

هل تجه العالم نحو ثقافة إنسانية *

للدكتور بهي الدين بركات باشا

وزير المعارف ورئيس مجلس النواب الأسبق

ليس فينا من لا يستمع الى الراديو يوميا ، بل منا من يتبعون أخباره في الداخل والخارج عدة مرات كل يوم ، فهل فكرنا في مدى ما أدخلته تلك الآلة الصغيرة أعني عدة الراديو من تطور جسيم في حالة العالم بما أزالته من حدود بين الأمم المختلفة ، وما خلقت من اتصال سريع بين الناس ، وبما سهلت من انبثاق الآراء بين سكان هذا العالم نحن اليوم نجلس في غرفتنا ، فنحرك تلك الآلة الصغيرة ، فنسمع لندن وباريس ونيرنبرك وموسكو وبرلين في ساعة واحدة ، ونطلع على ما تذيعه كل منها من الأخبار وما تعلق به من الآراء على المواقع الحربية وتطورات الحرب ساعة فساعة ، وكثيرا ما نسمع خطبة سياسية هامة في المساء ونسمع التعليق عليها من الجانب المناصر أو الجانب المعادي في نفس الليلة أو في اليوم التالي على الأكثر ، فالعالم جميعه أصبح سوقا مشتركة يدلى كل برأيه ويؤيده بحججه ويناصره بكل ما يعتقد ، بهذا الفكره ، من غير أن تقف دون ذلك حدود سياسية أو غيرها ، فلقد رأينا الدول الكبيرة نفسها تحرص على أن تصل أفكارها وآراؤها ومذاهبها الى جميع بلاد العالم ، فهي لا تقتصر على محطة اذاعة واحدة ولا تكتفى بالاذاعة بلغة واحدة ، بل تذيع بعشرات اللغات حتى لا يبقى شخص في العالم المتمدن دون أن تكون له فرصة الاستماع الى تلك الاذاعات بلفظه هو تصوروا تلك الحالة ، ثم قارنوها بما كانت عليه في الحرب الماضية ، حيث كان الاتصال مقصورا على التلغرافات التي تصل الى كل مملكة بقدر محدود ، اذ كان الاتصال مقصورا على البلاد التي يكون لها فيها وكلاء يوافونها بالأخبار . ليس من شك أن من يضع هذه التطورات نصب عينيه يرى أن تقييد الافكار أو الحجر عليها أصبح ضربا من المحال ، فإذا كانت المطبعة قد آنت بالعجائب وقلبت العالم في القرون الوسطى بما سهلت من اتصال الافكار ، فماذا يكون مقدار أثر الراديو في عهدنا الحاضر ، لا شك أن هذا الاتصال الروحي الذي وجد بين جميع أجزاء العالم على أثر هذا الاكتشاف العجيب ، سيكون له أثر شامل لا أحسبني مبالغا اذا قلت انه الحجر الاول في سبيل توحيد العالم

فإذا ما نحن تركنا الراديو جانبا ، وفكرنا في مدى أثر السينما علينا حيث نرى الآلاف بل عشرات الآلاف من الناس في مصر وحدها يذهبون كل يوم ليروا ما تخرجه امريكا

* أثنى هذه المحاضرة الفعيلة الدكتور بهي الدين بركات باشا في قاعة يورت التذكارية وقد اختص الهلال بتمرها

وغيرها مما يجعل الناس في جميع أنظار المعمورة يطمعون على سبل معيشة كل بلد من البلاد أدركنا الى أى حد بلغ ترابط العالم بعضه ببعض

ولقد فطر الناس على حب التقليد ، لذلك نرانا بعد أن كنا في الاجيال الماضية نحصر في كل بلد على عادات معينة وطرق من الزى خاصة حتى أن كل أفليم كان ينفرد بطابع خاص يميزه عن سواه ، وكان يحصر على المحافظة على هذا الطابع ، وبعبارة أخرى يجب المحافظة عليه ، ترانا الآن يقلد بعضنا بعضا في اللباس وفي المآكل وفي طريقة المشي وفي المعيشة ، بل وفي طرق الزينة وقص الشارب وتقليم الاظافر وكيفية السلام ، الى غير ذلك من أنواع التجميل وتفاصيل الحياة التي لم تكن تمنح الفرصة لمعرفة ، فضلا عن تقليدها الا للزور اليسير من الناس الذين آتاهم الله سعة في الرزق وصحة يستطيعون معها أن يجوبوا أنحاء العالم مع ما كان في السفر من مشاق ومجازفات لا يمكن أن يضطلع بها الا الزور اليسير من الناس ، وهل لي بعد ذلك أن أشير الى ما حدث من تطور جسيم بسبب سهولة المواصلات ، فلقد كانت المسافات بين قطر وقطر تجعل الناس بعيدين بعضهم عن بعض في الابتكار وفي الآراء وفي فهم الحياة ، فجاء البخار وانطوت معه المسافات الشاسعة وتعارف الناس بعضهم ببعض ، ولكن أين هذا مما نرى اليوم وقد ملكنا الهواء ، فاقرب ما كان بعيدا ، فأرنا رئيس الوزارة الانجليزية وقد جاوز السبعين يطير الى كازابلانكا من إنجلترا ، كما رأينا الرئيس روزفلت يطير اليها من الولايات المتحدة لينفاضا في شؤون الحرب ويدبر ميدان القتال بين المئين من الملايين ، ولعمري ألسنا نرى العالم جميعه وقد انقلب الى معسكرين عظيمين ، فمعسكر الديمقراطيات وفيه أميركا والامبراطورية البريطانية والى جانبهما روسيا الشيوعية ، والى الجانب الآخر الدولتان اللتان تمثلان الاوتوقراطية والى جانبهما اليابان زعيمة المجلس الاصفر ، وأين هذا مما كنا نشهده أو نسمع به منذ جيل واحد من الزمان بل منذ عشر سنين فقط

اننا لا نزال نذكر أن الولايات المتحدة كانت دائما حريصة على أن تمتنع عن سياسة العالم القديم ، حريصة على أن تتركه وشأنه يدبر علاقات ممالكه بما يراه كل منها ، حتى اذا وقعت الحرب الماضية وطال أمدها وتوجست أميركا خشية من مصيرها رأينا الجيوش الاميركية تعبر البحار لنصرة فرنسا وبريطانيا ونصرة مبادئه ولنسنا الاربعة عشر ، حتى اذا ما انتهت الحرب ورأينا ساعة السلم قد أذنت بمؤتمر الصلح ، رأينا أميركا تصر على أن لا يزيد اشتراكها فيه على وجود عضو مشاهد فحسب دون أن تأخذ نصيبا مباشرا في مؤتمر السلام . وعند ذاك رأينا الاميركيين يطمعون على سياسة الاشتراك مع أوروبا ، ويؤكدون بكل الوسائل أنه لن يكون لاميركا في المستقبل تدخل في المشاكل الاوروبية ولكن هذه الحرب لم تلت أن هددت مصير أوروبا بل العالم القديم بأكمله ، حتى رأينا أميركا تنسى كل سياساتها التقليدية وتعود الى الحرب على وجه أهم مما كانت عابه في الحرب الماضية فجيوشها ليست ن فرنسا وحدها ، بل انها تحارب في الشرق الأقصى وفي

استراليا وفي جزر الفلبين وفي شرق افريقيا وفي البحر الاحمر ، بل انها وصلت الى مصر وهى من الناحية الاخرى تحتل مراكش والجزائر ، حتى لم تمد في الحرب مجرد عون لاوروبا المقتحمة ولا للامبراطورية البريطانية وحدها ، ولكنها محارب أصلى تضرب بمنف وشجاعة وتلقى الضربات بصبر وبسالة

ذلك هو الحال اليوم في العالم وهو ليس مقصورا على اميركا ، بل ان ما نراه من السياسة الروسية ومن السياسة نحو روسيا لا عجب بكثير مما نشاهده بالنسبة للسياسة الاميركية ، فروسيا عند ما اعتنقت المبادئ الشيوعية قاطعها العالم بأجمعه ، ورأى في عملها خروجاً على المبادئ الانسانية وفوضى ووحشية لا يصح لمن كان يحرص على وطنه ويحترم مبادئ الشرف أن يتعامل مع أهلها أو أن يتصل بهم حتى لمجرد الدراسة ، ولقد ظل الحال على ذلك أعواماً وأعواماً حتى رأينا في مصر قاتونا يصدر بجواز حرمان كل من يدرس في روسيا أو يقيم فيها من الجنسية المصرية حفظاً للامن العام وحرصاً على سلامة البلاد من انتشار الافكار المخالفة لمبادئ الانسانية والمدنية

كان ذلك منذ عشر سنين فقط قبل اعلان الحرب سنة ١٩٣٩ ، والآن ماذا نرى ، لقد صارت روسيا جنبا الى جنب مع بريطانيا واميركا ، وأصبحت حليفة لمهما ، كما أصبحت شريكة في الرأي لهما ، بل سيكون لرأيها مقامه في تنظيم العالم بعد الحرب

لست أنا الذى أقول هذا ، بل ان هذا هو قول عامل انجلترا المستر تشرشل حيث جاء في خطابه الاخير منذ عشرة أيام عن رعاية الامم الصغيرة قوله : « والآن ما شأن العدد الكبير من الامم الصغيرة التى لا بد من صيانة حقوقها ومصالحها ، انه ينبغي أن يكون هناك الى جانب الدول الكبرى عدد من مجموعات الدول أو اتحاداتها على أن يعبر ممثلوها المختارون عن أغراضها وأمانها . وعندى ان هذا كله سيكون متسجماً مع المصالح العليا الدائمة لبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا . ومن الثابت أن هذه الامنية لا يمكن أن تتحقق الا برضاء هذه الدول الثلاث الخالص واتفاقها التام »

فهل عرفتم مدى التطور العظيم الذى حدث في الافكار وفي الآراء ثم تصورتهم بعد ذلك ما يمكن أن تكون عليه الحال اذا ما وضعت الحرب أوزارها ألا يكون المحتم عند ذاك أن يكون الاتصال الادبى والاقتصادى والسياسى كاملاً بين هذه الدول الثلاث وهل يمكن اذا ما تم هذا الاتصال وأصبح التبادل الاقتصادى تاماً بين تلك البلاد الا أن تتقارب النظم الاجتماعية وتتم الخطوة الاولى وهى خطوة واسعة جداً في سبيل توحيد النظم بين تلك الدول المتنافسة المذاهب والمتباينة الاجناس . وهلا يؤذن ذلك بتوحيد الشعوب واندماجها بعضها في بعض أو على الأقل تقاربها وتغاممها وعملها مشتركة بعضها مع بعض ، والا فخيرنى كيف يمكن أن تصور بعد ما نشاهده اليوم أن أحداً يجرو أن تحدثه نفسه بوضع روسيا في عزلة من العالم أو أن امريكا يقبل أن يكون دوره في العالم مقصوراً على أن يشترك معه في يوم الكريهة ، فاذا ما جاء يوم السلم ابتعد عنه وعن الاشتراك معه في

نظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

وهل اذا نحن اتجهنا بعصرنا نحو ألمانيا النازية وقد شادت مذهبها بل نظمها الاجتماعية على أساس تفوق الجنس الآرى وسيادته على ما عداه من الاجناس ، ثم رأينا كيف أن اليابان كانت سبب انقراضها في العام الماضى من انكسارها في الحرب ، هل هى تستطيع بعد ذلك أن تمسك ضد الجنس الاصفر بنظرية هذه السيادة ، أم انها لا بد معاملة له على قدم المساواة التامة ؟

انى لالبح في المستقبل القريب زوال الحواجز الصناعية لمنع الاتصال بين الشعوب والامم ، فسيكون عالمنا بأجمعه ميدانا واسعا جدا لتبادل الافكار والآراء وتجربة النظم المختلفة فيه على تباعدها عن بعضها ، ومن ذلك ستتقارب الافكار وتتناسق الآراء وتتحد الجهود في سبيل سعادة البشر ، فان لم تتمخض هذه الحرب عن ذلك فستتلوها حرب تكون أوسع وأعنف جهادا وأقدر على صهر الشعوب والامم حتى تصل الى تلك الغاية . أما بقاء شعب أو أكثر أو ابقاؤه في عزلة عن باقى الشعوب فقد أصبح أمرا مستحيلا ، وقد علمنا التاريخ الحديث أن العالم يسير في طريق الوحدة أو ما في حكمها كجامعة أمم متحدة ، فكما أن الدول الحاضرة تكونت على آثار نظم القبائل والاقطاعات ، فكذلك ستكون الانظمة الجديدة على أساس تقوض الانظمة الحاضرة

بل اننا اذا نحن تركنا ما يحتمل حدوثه من التقرب بين أنصار كل فريق من المتحاربين ونظرنا الى ما يحتمل حدوثه بين فريقى المتحاربين أنفسهم على ضوء ما حدث من التقارب بين الشرق والغرب إبان الحروب الصليبية وبعدها ، وما تدعو اليه الحرب من تقليد فى الانظمة وتقليد فى الأسلحة وتقليد فى المناورات الحربية وتقليد فى طرق القتل والتدمير ، وجدنا ان كل ذلك سيكون اعداء لأن يسود العالم علم واحد وأن تنظم الجهود فى اتجاه مشترك لا نظنوا أنى المبح من ذلك عهدا قريبا تسود فيه العدالة والرحمة وتتعاون جميع الشعوب الانسانية فى سبيل مصلحة المجموع ، كلا بل انى لا أزال أرى أمانا مواقع دامية يسود فيها الظلم وتحكم فيها القوة المجردة وتضطهد فيها شعوب وتظلم أمم ، ولكنى أرى برغم كل ذلك أننا فى سبيل تناسق وتوحيد بين العالم أجمع سيكون الثمن غالبا وستكون المضحايا كثيرة وعديدة ، وستنشأ الانظمة الجديدة بحيث يبقى للقوى امتياز به بل جبروته ، ولكن الاقوياء أو من سيظنون اقوياء سيتحدون حتما أو يشتبكوا اشتباكا يتقلب فيه من يتقلب فينفذ آراءه ويخدم الوحدة سواء أراد هو أم لم يرد

لعل بعضكم يظننى ابتعدت عن موضوع الثقافة وتكلمت فى تطور سياسى ليس داخلنا فى معرفة ما اذا كان العالم يتجه نحو ثقافة انسانية أو لا ، ولكن مهلا ، ودعونا نقف لحظة لنعرف ما هى الثقافة ، فلقد تفاوتت فى تفسيرها الآراء تفاوتا شاسعا ، فاستأنا الكبير أحمد لطفى السيد باشا يقول فى ختام محاضراته فى هذه الجامعة : « يجب على الأمة فى تربية أبنائها أن تكون غايتها الانسان المثقف ووسيلتها الى ذلك تثقيف ملكات الفرد الطبيعية

ملكات الجسم والعقل والنفس بأن يقوم بمقتضيات حفظ الذات وحفظ النوع بالاعتدال المأمور ، ثم بواجب الصدق الذي يسبب له الانقاع بكرامته وواجب السخاء الشخصي بأن لا يقصر ولا يسرف بل يتفق بالمعروف وواجب كرامته من حيث هو انسان ، فبرفض أن يكون تبعا لغيره في غير الحدود المفروضة عليه من جهة كونه عضوا في جمعية مدنية لها قوانين مرجعية الاداء ، وواجب عكابه نفسه على كل ما يخطر له من فكر أو يلفظ من قول أو يأتي من عمل ، وضابط ذلك كلمة افلاطون المعروفة : « تعرف نفسك بنفسك أى تعرفها بالدرس الدائم لحلها وسبر غورها في أعماق طياتها . ثم ينبغي أن يؤخذ الناس بشئيف ملكات عقله بأن يتعلم ما هو مبسر له من العلوم والفنون . فال كنت : « من ليس متفقا فهو بهيمة ومن ليس مؤدبا فهو متوحش »

فإذا نحن أخذنا بهذا التفسير ، لم يبق عمل في حياة الانسان لا يكون داخلا على نحو أو آخر في معنى الثقافة ، وعلى ذلك تكون كل العلاقات بين الناس سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم أدبية أم تشريعية أم روحية داخلة في معنى الثقافة ، ويكون كل تقارب في أى ناحية من تلك النواحي بين شعب وآخر أو بين فرد وفرد مما ينطبق عليه هذا الحكم ، بل نحن لا نكون مبالغين إذا ما قلنا ان الاتحادات الرياضية والمسابقات الاولمبية نوع من الثقافة ، ففي تنظيمها بين الدول المختلفة اتجاه جلى نحو ثقافة عالمية كذلك يمكننا ان نقول ان مؤتمرات الاديان التي كانت تمقد بين الفينة والفينة للتقريب بينها والتفاهم بين الناس ، وسمى بمضاهي للتوحيد وإزالة الفوارق ، هو اتجاه واضح صريح نحو توحيد الثقافة في العالم

وما نقوله عن مؤتمرات الاديان ينطبق بذاته على المؤتمرات التعليمية والمؤتمرات التشريعية بل المؤتمرات الطبية ، فانها جميعها انما ترمى الى الوصول الى تكوين رأى عام عالمي للسير عليه في التربي وفي التعليم وفي طرق معاملة المجرمين والمرضى وفي صيانة الحقوق الادسية للكتاب والمؤلفين ، وفي الوصول الى أجدى طرق العلاج . كل ذلك كان موجودا وهو اليوم أقوى أثرا وأسرع مما كان عليه قبل الحرب الحاضرة ، أى منذ ثلاث سوات أو أربع أنظر الى انجلترا وكيف انها وسط هذا الضجيج الهائل وتلك المجزرة البشرية التي لم يشهد التاريخ بما يماثلها هولا ، كفف انها وسط كل ذلك تبحت مشروعا لتحسين حالة العمال وضمان العيش لكل شيخ وكل عاطل عن العمل ، ثم انظر الى اميركا وهي بعد أسابيع قليلة من تقديم مشروع بفردج تنسج على نفس المنوال وتبث نفس الخطوة ، فواجب الحكومة يحتم عليها « أن تكفل لكل مواطن حقه في الحصول على عمل ، وحقه في الحصول على دخل يتناسب مع احترامه لنفسه جيسا يعجز عن العمل . ولو لم توجد مثل هذه الكفالة الاجتماعية والاقتصادية لما أصبحت هناك أية ضمانات للحرية . ولا شك أن كل جهودنا (هكذا تقول اللجنة الاميركية) لاقامة الحياة والحرية والسعى الى الرخاء ، ستذهب عبثا ما لم تعتمد على أساس وطيد من التأمين الاجتماعي والاقتصادى »

أرايتم كيف أن العالم اليوم صار يتقارب من بعضه ، بل كيف أن الاثير جعل كل الشعوب تطلع على ما يجرى خارج بلادها فلا تلبث واحدة منها أن تقوم بنظام جديد حتى ترى هذا النظام موضع بحث وتمحيص في البلاد الأخرى ، بل ربما كان هناك مباراة بين الأمم في أيها تسبق الأخرى ، ليس ذلك هو المقصود بقولنا ان العالم يتجه نحو ثقافة عالمية قد يقول البعض اننا توسمنا توسمنا كبيرا في تفسير معنى الثقافة ، وان الحقيقة ان الثقافة ان صح التعبير بها على الملكات العقلية والروحية ، فهي لن تطبق على تثقيف ملكات الجسم مثلا ، ولقد عرفها الأستاذ محمد سعيد مظهر في عدد يناير سنة ١٩٤٠ من « الهلال » حيث قال : « فالرجل المثقف غير الرجل المتعلم ، فهو أكثر مرونة في العقل وأوسع مجالا في الحديث وأكبر مدى في المعلومات ، وله شخصية قوية محبوبة ورأى بارز في المجتمع وأثر كبير في الامور العامة ، وهو لا يكون كذلك الا اذا ألم بطرف من الادب والفن واتصل بأمور الحياة العامة ، وعرف ما يجرى في بلده وفي العالم من الاحداث الهامة ، وعرف لغة أخرى غير لغته ، وتبع النهضة العلمية الحديثة وتيار الفكر في الشرق والغرب الى جانب علومه التي تخصص فيها . على أن لا تبقى هذه الطوائف من المعلومات منزلة مستقلة بعضها عن بعض ، فيصبح عقله مخزنا كبيرا به غرف غير متصلة . . وانما هو يؤلف بينها في مجموعات منتظمة واحدة للعلوم وثانية للمعلومات العامة وأخرى للتاريخ والاجتماع وهكذا على قدر تنوع معلوماته . ثم يربط هذه المعلومات بعضها ببعض فتصبح كلها مجموعة واحدة كبرى أو دولة علمية يشد بعضها أثر بعض ويستفيد كل فرع منها من باقي الفروع بحيث اذا تكلم في الدين عرج على الفلسفة والمنطق واستعان بالتاريخ للاستقصاء والمقابلة والمعلوم للبحث والتحصيل فتدور معلوماته كلها حول محور واحد يندرج فيه الى التفرع الاسمي من التليم والتثقيف . وهو دراسة طرائق التفكير الصحيحة ومناهج البحث ومعالجة الأمور بالحكمة والنظر فيها نظرا سديدا وكسب العادات العقلية المنظمة . . هكذا عرف الثقافة أستاذ أشرق هنا وفي العراق على اختيار درجة الثقافة العامة . وهو تعريف ان سهل أن يكون وسقا لاشخاص بذاتهم فانه لا يكاد يحصر الاتجاه الذي يمكن أن يتعرف به الانسان المعنى المقصود من لفظ الثقافة فهي في عرفة ترجع الى توسيع الدارك العامة وتنظيم المعلومات الفنية والادبية والعلمية وهضم علومها جميعا لدرجة تمكن الشخص من أن يكون ذا رأى ومذهب في الحياة ، بل انه يذهب الى أبعد من ذلك ، فهو يعتبر الشخصية القوية المحبوبة شرطا من شروط الرجل المثقف ولعل لا أكون مبالغا اذا قلت أن تلك الصفات على أهميتها وفائدتها في الحياة لا تتوفر جميعها الا نادرا في شخص واحد ، لذلك أراني أميل الى تعريف الاتجاه الثقافي بأنه الاتجاه الفكرى والروحى ، فهل نحن آخذون في سبيل اتجاه عالمى من هذا القبيل ان جميع ما قدمت من الملاحظات والآراء يجعلنا نجيب عن هذا السؤال بالاجاب ، ولكننا من الناحية الأخرى اذا ما رجعنا الى تحليل تفاصيل الحياة ومعارك المجتمع الذى

نعيش فيه ، وجدنا الامر على خلاف ذلك تماما ، فان أقصى ما يرد بالخطر أن تنسح المملكة اتساعا يجعلها أضعاف ما هي عليه اليوم ، حتى لا يبقى في العالم الا عدد محدود من الدول ، فهل هذا يحل الاشكال ، كلا فمصر دولة واحدة ، ونظامها السياسي واحد وتشريعها واحد ، ودين أغليتها العظمى واحد ، ولغتها واحدة ، وطقوس أفراسها ومآتمها واحدة ، ولكن هيا بنا نفحص قليلا أفكار الناس وآراءهم ، اذن لرأينا بونا شاسعا وتناقضا عظيما وعراكا مستمرا بين مذهب ومذهب وبين رأى ورأى

هذا يدافع عن السفور ويراه حقا طبيعيا تتمتع به المرأة ، ويرى أنه السبيل الوحيد لترقية المجتمع ، لان المرأة التي لا تختلط بالناس ولا تعرف الحياة لا يمكن أن تكون أما صالحة ولا ربة بيت نافعة ، وهذا يطعن على السفور ويرى فيه مخالفة للدين وتقليدا أعمى للاوربيين ، ويعتقد أن السفور عار وسبة للمدينة

وهذا يرى وجوب تقليد أوروبا في نظمها وطرق معيشتها ، بل وفي المآكل والمنشرب . والآخر يرى أن لا شأن لنا بغير بلادنا ، فنحن شرقيون وهم غربيون ، وسيلتنا الى النجاح أن نحرص على تقاليدنا وقواعد ديننا ، وان ننقل في أمورنا عن سوانا وهذا يرى أن يكون هدف مصر الاسمى أن تكون قطعة من أوروبا ، وذلك يراها جزءا من البلاد العربية يجب عليها أن تحافظ عليها وتتفانى في الاخلاص لها وتجعلها هدفها الاسمى الذى سعى اليه ونعمل على تحقيقه مهما كانت الظروف والدوافع

هذا في مصر وهى شعب واحد ولغة واحدة ونظام واحد ، فاذا ما حولنا نظرنا الى فرنسا مثلا قبل الحرب ، وجدنا عوامل خلاف متأصلة فى شعبها برغم وجود الاتحاد فى اللغة والنظام والدين ، انفسها من كانوا يسمعون الى بسط النظم الشيوعية بكل تعاليمها حتى وصلوا الى أن يجعلوا لهم عددا محترما من القواب يتصلون علنا بوسكو ويعملون بتعاليمها فى أشد الازمات حرجا فى بلادهم ، كما كان فيها من كانوا يرون ويدعون الى نظام الملكية ويطالبون باعادتها يعلنون افلاس الحكم النيابى

كذلك كان فى فرنسا دعاة أشداء أقوياء يناصرون الديمقراطية ويرونها المثل الاعلى للانسانية ، وازامهم كنا نرى دعاة الدكتاتورية والنظم الفاشية أو النازية وغير هؤلاء وهؤلاء كنا نرى كتابا ومفكرين يدعون الى الفكرة الدينية ، وغيرهم يعلنون حربا لا هوادة فيها على الاديان والشرائع السماوية وكتب الله ورسله

ونحن اذا ما اتجهنا ببصرنا الى غير مصر وفرنسا ، ونظرنا الى الامم المتعددة الشعوب واللغات والدين ، لوجدنا خلافات أشد غورا وأبعد أثرا وأعماق فى نتائجها وفيما تتمخض عنه من حرب داخلية وقودها الحقد والعداوة والجهل ، فهل منا من يستطيع أن ينسى ما وقع وما يقع فى كثير من البلاد باسم النعمة الجنسية ، أو هل سينا الحروب الاهلية فى مختلف أنحاء العالم وعلى عمر الدهور بين السود والبيض . أفلا نزال نشاهد الى اليوم فى بلاد تزعم أنها وصلت الى أقصى درجات الحرية والرقى تفريقا بين الشعوب ،

فأجناس بذاتها لا يجوز لها الدخول في بعض المحال العامة لأنها مقصورة على غيرهم
لست أود أن استطرد في هذا الحديث لأنه مؤلم مرير ، ومن شأنه أن يثير ذكريات
ليس من الصالح اثارها أو تحريكها ، ولكننا أردنا فقط ان نشير الى أن الشعوب والأمم
لا يزال بينها وبين بعضها فوارق أساسية تقتضى أجيالا وأجيالا في سبيل تذليلها ، وانا
لم تصل بعد في هذه الناحية الى درجة يمكن الاغتراب بها أو الرضى عنها ، فاتحاد الثقافة
لا يزال بعيدا بل أبعد مما تصورون ، فإذا قلت اننا في طريق بناء اتحاد عالمي ، فلما نظرت
فقط الى تطورات العالم مدى الدهور ، وأردت أن أقول ان اتجاه التطور الحديث من شأنه
أن يساعد على وضع حجر جديد في أسس العالم الجديد ، أما الوصول الى تحقيق الغاية
فأمامه طريق طويل وطويل جدا ، بل ومحفوف بأشد المخاطر والأهوال

هاتان هما الناحيتان اللتان يمكن النظر منهما الى تطور العالم نحو ثقافة عالمية ، ولكن
قد يرد بالخاطر أن المقصود بثقافة انسانية في هذا المقال ليس الثقافة العامة ، بمعنى انها
تعم جميع الاجناس ، بل المقصود هو الثقافة الانسانية ، أى التى تبنى على الانسانية
الرحيمة ، وفي هذا أيضا نجد العالم يتطور نحو المبدأ الانسانى ، فما نراه في البلاد
الراقية من عناية بالمرضى ومن مكافحة للأمراض ومن رعاية للطفولة ومن رجة بالشيوخ
ومن اعانة للماطلين ومن تأمين للعمال ومن ملاجئ لاعالة المحتاجين واغانة المساكين ،
كل تلك أعمال انسانية تبارى الامم الراقية في السبق اليها والتبوع منها لا في بلادها
فحسب ، بل خارج بلادها أيضا ، فالعالم في سبيل التدرج الى أمثلة عليا كريمة في هذه
الناحية ، وما على الباحث الا أن يقرأ المشرع الانجليزى أو المشرع الاميركى اللذين
أشربا اليهما ليعرف كيف تضمنان الانسانية وتكافح لصناع الرخاء والسعادة لجميع أبناء
الامة يستوى في ذلك غنيهم وفقيرهم ، جاهلهم وعالمهم ، صحيحهم وعليلهم ، شبيهم
وشبانهم ، فهم جميعا أبناء الوطن ، وهم جميعا حديرون برعائته وحنانه وعطفه
ولكننا نرى من نافذة أخرى أهوال حرب هائلة تزهق فيها الارواح بلا حساب ،
فالفتك والتدمير والتخريب والتقتيل وايقاع الاذى على الاطفال والشيوخ وعلى المدنيين
الآمنين فضلا عن المحاربين ، بعض سلاحها ، فنحن اذا ما نظرنا الى تلك الصفحة وجدنا
البشرية بأكملها وهى لا تزال في دور الفطرة الوحشية ، ونحن لا نزال أبعد ما نكون
عن تحقيق المبادئ الانسانية الرحيمة

ونحن اذن حينما قلبنا وجوهنا وجدنا لتطورنا الثقافى وجهين متقابلين : أحدهما ضاحك
باسم يجذبنا الى السعادة والرفق ، والاخر عابس محزن يذرننا بما ينتظرنا من مصائب
وأهوال . وانى لأرجو أن يعمل الجيل القادم على أن يتغلب جانب الخير على جانب الشر ،
وأن يساعد كل منهما قل نصيبه في العمل على أن تكون جهوده في هذا المعترك العالمى
موجهة الى تحقيق ثقافة انسانية رحيمة تؤلف بين القلوب ، وتلى كلمة الحق والعدل ،
والله يهدينا سواء السبيل

الصراع حول مضيق صقلية

بفلم الدكتور محمد عوصه محمد
أستاذ الجغرافيا في كلية الآداب

لو أنك سألت إنسانا أن يثبتك بما يعرفه عما بالبحر الأبيض المتوسط من مضيق ذي خطر عظيم ، لاجابك بسرد أسماء عديدة قبل أن يخطر له مضيق صقلية . سيحدثك عن مضيق جبل طارق الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي ، ويفصل ما بين مراكش واسبانيا . أو يحدثك عن الدردنيل والبسفور ، وما ثار حولهما من نزاع وصراع على مر القرون . أو يذكر لك مضيق مسينا بين صقلية وإيطاليا ، ذلك الطريق الذي كانت تخشاه السفن وتتحاماه بسبب تياراته الخائنة وعواصفه الهوجاء . بل لعله يذكر مضائق أخرى مثل مضيق كرش بين جزيرة القرم وبلاد القوقاز ، أو مضيق بونيفاسيو بين جزيرتي كرسكا وسردينيا . يذكر هذا كله قبل أن تحدثه نفسه بذكر مضيق صقلية . ولا بد للمرء أن يردد ذكر الأحداث الجلية التي دارت حول هذا المضيق ، في العصور القديمة والحديثة قبل أن يدرك أكثر الناس ما لهذا المضيق من الخطر العظيم

لقد سبق لكاتب هذه السطور أن عالج في « الهلال » وصف المضائق بوجه عام ، وما لها من أثر في تاريخ الدول . ونود اليوم أن نركز بحثنا في مضيق صقلية وحده ، الذي يدور حوله اليوم صراع هائل يذكرنا بما كان في العصور القديمة بين روما وقرطاجنة

<http://Archivebeta.Sakr.ir.com>
مضائق البحر الأبيض في الحرب الماضية

في البحر المتوسط ثلاثة مضائق لعلها متساوية في الخطر : الدردنيل والبسفور في الشرق وجبل طارق في الغرب ، ومضيق صقلية في الوسط . وليس من الضروري في كل نزاع عالمي أن يدور صراع عنيف حول هذه المضائق جميعا . بل الامر في هذا مرجعه الى الحرب والى الوجهات التي تتجه اليها أحداثها . ففي الحرب الماضية دار صراع عنيف من أجل السيطرة على الدردنيل والبسفور . ولو ان الحلفاء نجحوا في اقتحامهما ، لقصروا أمد الحرب ، وتغيرت نتائجها تغيرا خطيرا . أما في هذه الحرب فان تركيا المحايدة تسيطر على هذه المضائق ، ويسود الأمن والسلام شواطئها . ولكن الحال لن تلبث أن تتبدل اذا حاولت دول المحور أو دولة بلغاريا ان تشن الحرب على تركيا ، وتخرجها من حيادها

وفي الحرب الماضية كانت فرنسا وإيطاليا حليقتين - وهما الدولتان المسيطرتان على سواحل مضيق صقلية - فظلت طوال الحرب تنعم بنصيب وافر من الأمن . كذلك يسود

السلام الى حد بعيد شواطئ مضيق جبل طارق . ولكن ألمانيا اذا أرادت ان تقتحم أرض اسبانيا ، وان تهاجم الحلفاء في مراكش ، فان هذا الامن لا يلبث ان يزول وانما تبرز أسماء هذه المضائق في الوجود ، وتتطاير انبعاثها في الاتفاق ، حين تشتعل في جوانبها النيران ، وتصطرع من حولها الجحافل ، ويبسط عليها عقاب الحرب أجنحته ، وينشب فيها أظفاره . هنالك يذكر من لم يكن يذكر ان هنالك بحارا ، دقيقة في مساحتها جبلية في خطرهما ، يستطيع من يسيطر عليها ان يتحكم في طرق الملاحة والتموين ، وأن يشب فوقها من بر الى بر ومن قارة الى قارة

من أجل مضيق صقلية

وفي الصيف الماضي - في شهر تموز - في الوقت الذي كانت قوات المحور واقفة فيه على أبواب مصر ، تهدد باحتكام هذا القطر الامين . وان تجتازها الى الارض المقدسة ، وبلاذ الشام وسهول الفرات ودجلة ، بل الى ايران والهند . كانت القيادة العليا للدول المتحدة تدبر الوسائل لارسال جيش جرار الى بلاد المغرب ، وقد استطاعت أن ترسل هذا الجيش في تسعين الثامن ، وأن تحتل بسرعة أرض مراكش والجزائر وأن تبلغ الاطراف الغربية من تونس ، فهال دولتي المحور ان يسيطر الحلفاء بهذه السرعة على تونس ، والسواحل الجنوبية من مضيق صقلية . فبادروا بحشد جيش عظيم في افريقية ، وأخذوا يدافعون دفاع المستعصم عن أرض تونس ، علمهم أن يرجئوا - ان لم يستطيعوا في النهاية أن يمنعوا - تسلط الدول المتحدة على الطرف الجنوبي من ذلك المضيق الخطير فاذا كنا طالعا ما دار من موارك حول خط مارت ، وفي ميدان قفصه والقيروان ، وما جرى من زحف الجيوش ، وحقول الالغام التي تلقى في طريقها ، فلنذكر أن هذا القتال العنيف ، بأسلحته المختلفة ، وفنونه المتعددة ، انما يدور كله من أجل شيء واحد وهو مضيق صقلية ، فان السيطرة على السواحل الجنوبية وحدها ، يضمن للدول المتحدة تأمين الملاحة في البحر المتوسط الى حد كبير . وثأمين جزيرة مالطة وتموينها بحيث تستطيع أن تؤدي وتلبيتها كاملة في هذه الحرب ، ويقرب مطارات الحلفاء بحيث تهدد قواتها الجوية ايطاليا وصقلية وسردينيا بالويل والدمار ، بل بالغزو والحرب ، من البر والبحر والجو ، ولعل الابتكارات الحديثة قد زادت ولم تنقص من خطر هذا المضيق بأن جعلت عبوره أسير . وخلق الطيران وسيلة لا جنياز هذه الشقة بحيث أصبح المضيق اليوم أكثر ضيقا وأقل سعة مما كان في عهد النزاع بين قرطاجنة وروما . أو بين العرب والروم

أخطر مضائق البحر الأبيض

لست أدري لماذا لا أكاد أفكر في مضيق صقلية ، حتى يصوره الوهم لعيني في صورة وحش هائل ، أو تنين بشع ، أو غول ضخم ، أو مارد من الجن ، قابح تحت سطح الماء ،

ناشبا مخالبه في طرفي البوغاز . فأغرا فما واسما بأنياب وأضراس من جهنم ، يتهتم ثبات الاساطيل ، فيعضنها مضغا ، ويطحنها طحنا ، ومئات الالوف من الارواح ، فيرسلها الى جوف مظلم واسع ، لا يمتلى ولا يعرف التسع . ولا يزداد على الايام الا شرها ونهما . كان فيما مضى يناول فرائسه من سطح اليم ، ومن شواطئ تونس وصقلية وإيطاليا ومالطة ، من البحر حينا ومن البر أحيانا ، واليوم يقتنصها من الجو ايضا ، من بين المسحب ومن مسارب الطير

ولم لا يكون في جوف هذا البوغاز مارد من جن جهنم ؟ ولقد رأينا البراكين تنور من جوفه وتقذف بنبراتها وحممها ورمادها ، فتكون جزرا مثل بنتلاريا ، ولينوزا ، ولبيدوزا ، بل لقد ثارت البراكين في عصر حديث جدا في جوف هذا البوغاز ، ففي القرن التاسع عشر كانت الثورات البركانية العنيفة تززع القاع ، وتثير الموج ، وترسل الحمم الى سطح الماء ، حتى كوت من مقدوفاتها المتراكمة ما بين صقلية وبنتلاريا ، جزيرة صغيرة لم تلبث ان اختفت وغاصت تحت سطح الماء *

ان مضيق صقلية أكبر مضائق البحر المتوسط اتساعا ، اذ تبلغ سعته في أضيق جزء منه مائة وأربعين كيلومترا . بينما مضيق جبل طارق لا يزيد على أربعة عشر كيلومترا . والبسفور والدردنيل لا يزيد اتساع كل منهما في أضيق جزء على الألف متر . ولهذا السبب وحده قد ينسى كثير من الناس أن بوغاز صقلية مضيق بالمعنى المعروف أو يتوهمون انه قليل الخطر لهذا السبب ، ولكن خطر المضائق لا يقاس بمقدار ضيقها ، بل بموقعها وبالأقطار التي تحيط بها ، والبحار التي تصل بينها ، وطرق الملاحة التي تجتازها

ومهما يكن الحال في المصور الحديثة ، فإن بوغاز صقلية كأي من غير شك أخطر المضائق في البحر المتوسط كله ، في المصور القديمة . في ذلك الوقت كان البحر المتوسط هو الميدان الأكبر للنشاط العالمي ، وكانت الأقطار التي تحيط به هي مهد الحضارة ، وميادين الثروة . وأقدم طرق الملاحة البحرية نشأ وتعا بين سواحله وجزره . والتجارة بين الأقطار المحيطة به هي أقدم مظهر للتجارة والمبادلة المنظمة بين الدول .

في وسط هذا البحر تمتد شبه جزيرة إيطاليا ، وجزيرة صقلية ، نحو الجنوب بحيث تقترب اقترابا شديدا من شواطئ أفريقية . وبهذا ينقسم البحر المتوسط لشطرين ، شرقي وغربي يفصل بينهما طريق ضيق هو الذي أطلق عليه الجغرافيون اسم مضيق صقلية . تشرف على سواحل صقلية من الشمال ، وسواحل تونس من الجنوب ، ونحن في غنى عن أن نسهب في وصف هذا الطريق الضيق ، وما له من جليل الخطر في السيطرة على طرق الملاحة وثروة الأمم . فإن حوادث التاريخ نفسه التي سنجعلها هنا هي خير معبر عن جليل خطره وعظيم شأنه

* حدث هذا في عام ١٩٣١ ، وبعد أطلق على الجزيرة اسما كثيرة اشهرها اسم جزيرة فردنانديا ، ولم تلبث على سطح الماء سوى بضعة اشهر ، ثم زالت من الوجود

مضيق صقلية بين حوادث التاريخ

كان أول الشعوب التجارية في البحر المتوسط الشعب الفونيقى . وكانت نشأته في شمال جزيرة العرب ، ثم نزحت جموعه الى سواحل الشام منذ أربعة آلاف من السنين . وبعد قليل من الزمن أخذت الموانئ الفونيقية تظهر على تلك السواحل ، وأخذ الفونيقيون يتبنون الأساطيل ، ويجوبون البحر المتوسط ، يبيعون ويشتررون ، ويجمعون الثروات . وقد ظل نشاط الفونيقيين أول الامر مقصورا على القسم الشرقى من البحر المتوسط . ولكنهم ما برحوا ينتشرون ، ويطوفون أقطارا جديدة ، حتى نزلوا سواحل افريقية الشمالية . وأخذوا في مبادلة السلع مع السكان الاصليين . وبقيت منهم جماعات على شواطئ المغرب ، وازدادت هذه الجماعات على مدى الزمن حتى أصبحت بمثابة مستعمرات دائمة امتزجت تماما بسكان البلاد ، وأصبحت بلاد المغرب وطنها الثابت . وفي حدود عام ٨١٣ قبل الميلاد ، اتفق أن هاجرت أميرة فونيقية تدعى ديدو ، من بلدة صور الى أرض تونس ، فأبتاعت قطعة من الأرض على ذلك الخليج الهادئ ، خليج تونس ، ثم قامت بتشييد مدينة قرطاجنة (ومعناها بالفونيقية المدينة الجديدة) على تلك الأرض

وهكذا أسست الأميرة ديدو دولة فونيقية جديدة في بلاد المغرب عاصمتها قرطاجنة ذات الموقع الجغرافى الممتاز ، الذى تستطيع منه أن تسيطر بأساطيلها على طرق الملاحة ، وأن تجمع المتاجر والثروة ، حتى أصبحت فونيقيا الجديدة أجل شأنا من فونيقيا القديمة وباتت قرطاجنة نفسها من أعظم - إن لم تكن أعظم - المدن في عصرها ، وقد قدر الكتاب أن سكانها تجاوزوا المليون من النفوس ، ولئن كان هذا التقدير لا يخلو من الغلو ، فإن آثار المدينة تدل من غير شك ، على أنها كانت عظمة الحجم ، كبيرة الثروة ، كما كانت محصنة تحصينا هائلا ، ومحاطة بأسوار منيعة لا يقل سمكها عن عشرة أمتار

وما أشد حاجة قرطاجنة الى الحصون الثمينة والأسوار الضخمة ، وهى التى تنعم بموقع جغرافى عزيز ، وتنطوى خزانها على ثروات عظيمة ، لم تلبث الميون أن تطلعت اليها ، والأيدي أن امتدت لاختطافها

ولم تكد أقدام الفونيقيين أن تثبت في افريقية حتى أخذوا يكملون سيطرتهم على مضيق صقلية ، والأقطار المحيطة به ، فنزلوا مالطة واستولوا عليها ، واحتلوا سردينيا وانتشروا فيها ، ثم أخذوا بالتدريج يحتلون جزيرة صقلية ويؤسسون المستعمرات في اصحابها . وقد ظلوا زمنا يقرب من الثلاثة القرون ، وهم سادة الموقف لا ينازعهم في سلطانهم منازع ، ولا تترض توسمهم وانتشارهم أمة أو دولة ذات خطر . ولكنهم لم يكادوا أن يتموا احتلال شطر كبير من جزيرة صقلية حتى اصطدموا بأول خصم عديد ، وهو المستعمرات اليونانية . فلقد أخذ اليونان في القرن السادس والحامس قبل الميلاد ينتشرون في جهات كثيرة من البحر المتوسط ، ومن أهم المستعمرات التى أنشأوها وعمروها اقليم صقلية

الشمالي الشرقي ، ولم يكن بد من أن ينشأ صراع عنيف بين اليونان وقرطاجنة من أجل السيطرة على صقلية . ودارت بين الفريقين حروب طويلة ، كانت سجالا بين القوتين ، ولكن الفوز بوجه عام كان في جانب الفونيقين اذ استطاعوا ان يحتفظوا بجزيرة سردينيا كلها ، وبالجزء الأكبر من صقلية

بيد أن هذا الصراع القديم على سيادة المضيق لم يلبث أن اتخذ شكلا أشد عنفا وأكبر جرما ، في القرن الثالث قبل الميلاد ، حين بسطت روما رايها على النصف الشرقي (اليونان) من صقلية ، وظهر في الميدان خصم جديد عنيد لم يلبث أن قام يناوئ قرطاجنة وينازعها السيطرة على هذا المضيق الخطير ، ثم دارت تلك الحرب الشعواء ، التي دامت زهاء المائة عام ، والتي لم يكن بد من أن ينشأ فيها أحد الفريقين

ينقسم النزاع بين قرطاجنة وروما الى ثلاث حروب متتالية . ولكنها في الحقيقة حروب واحدة طويلة تتخللها فترات الاستعداد لاستئناف الصراع . وقد بدأت هذه الحرب دورتها الأولى عام ٢٦٤ قبل الميلاد ، ودامت الى عام ٢٤١ ، كان الميدان الأكبر فيها جزيرة صقلية وقد تعاقبت تلك السنوات الثلاث والعشرون ، والقتال لا يزيد الا احتداما ، وكلا الخصمين عنيف عنيد ، وكانت الأقدار تتلاعب بالفريقين ، فيميل النصر حينما الى جانب ، ثم لا يلبث أن يتحول الى الجانب الآخر ، ولكنه لم يكن في أية حال نصرا حاسما قاطعا . وقد انتهت الحرب في النهاية لا بسبب نصر باهر أحرزه أحد الفريقين ، بل لان الأعياء قد نال منهما جميعا . وقد فقدت قرطاجنة في هذه الحرب نفوذها البحري ، كما فقدت ممتلكاتها في صقلية ، بل واضطرت لان تغرم ميلنا من المال

ولا نزاع في أن قرطاجنة قد حشرت الجولة الأولى ، ولكنها لم تكن خسارة فادحة . وقد ظهر بين قوادها في نهاية الحرب جندي بارع وهو هملكار بركا ، وقد أشرب قلبه بنض روما والرومان ، وأحرز عليهم انتصارات ذات شأن في البر ، ولكنها لم تغن كثيرا بعد فقد القرطاجنيين للتفوق البحري ، في ميدان يوشك البحر فيه أن يكون أجمل خطرا وأبعد أثرا من البر

ولم نكد تنتهي الجولة الأولى حتى أخذ كلا الفريقين يستعد للجولة الثانية . . ومن الغريب أننا نرى قادة قرطاجنة لا ينصرفون الى انشاء أسطول جديد واستعادة السيادة البحرية بل نرى قائدها الأكبر هملكار بركا يفزو اسبانيا ، ويستولى على جزء كبير منها ، لكي يعوض بذلك فقد صقلية من جهة ، ولكي يدير وسيلة لغزو روما بطريق البر من جهة أخرى

وقد مات هملكار تركا في اسبانيا بعد أن وطد حكم قرطاجنة فيها ، ثم خلفه أخوه هرذروبال ، ثم ابنه هنبال الجندي العظيم ، الذي لم يعرف الرومان خصما أشد منه من قبل ولا من بعد

لقد صحب هنبال أباه الى اسبانيا ، حيث تعلم منه فنون الحرب ، وقيادة الجيوش ،

وحيث تعلم منه أيضا بغض روما ، والتعصبة عليها . فلم يكذب بتولى رئاسة الجيش ، حتى أخذ يدع حمله الشهيرة على روما ، ولم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من العمر ، وكانت خطته تقتضي بأن يزحف من أسبانيا الى روما عن طريق جنوب فرنسا وجبال الألب ، وقد نفذ هذه الخطة ببراعة هائلة ، ودهاء حربي منقطع النظير .

بدأ هنبال زحفه الشهير في ربيع عام ٢١٨ قبل الميلاد ، وأخذ ينقل جيوشه ببراعة فائقة ، بحيث استحال على القوات الرومانية أن تعترض مسيره في فرنسا الجنوبية . أو تحول دون اختراقه جبال الألب ، فاستطاع أن يخترقها في صيف ذلك العام ، وفوجئت الجيوش الرومانية في سهل لمبارديا ، فاضطرت الى التقهقر جنوب نهر البو والى اخلاء إيطاليا الشمالية كلها .

والتمس بهم هنبال في العام التالي ، وأخذ يوقع بهم الهزيمة تلو الهزيمة ، حتى انتهى به الامر الى سحق الجيش الروماني سحقاً تاماً في معركة كانى الشهيرة في جنوب إيطاليا . عام ٢١٦ ، تلك المعركة التي لا تزال موضع دراسة طلاب الفنون العسكرية الى وقتنا هذا . بعد هذا النصر الباهر كان الطريق مفتوحاً أمامه الى روما . وقد لام كثير من المؤرخين هنبال لانه لم ينتهز الفرصة ، ولم يتقدم لمحاصرة العاصمة . . ولكن لكل في هذا اللوم كثيراً من الأسراف ، فلقد كانت روما محصنة تحصيناً شديداً ، ولم يكن بد لهنبال من أن ينتظر حتى يأتيه جيش الامداد بقيادة أخيه هزدرويل . فاضطر للانتظار ، واتبع الرومان نحوه . خطة قتال جديدة ، أو هنوا بها قواته عاماً بعد عام ، وهي تجنب المعارك الكبيرة ، والاكتفاء بما يشبه حرب العصابات .

ولعل النقلة الحقيفة التي ارتكبها هنبال هي انه أقدم على هذا الزحف الهائل دون أن تكون له السيادة على البحر . وقد استطاع الرومان بفضل تفوقهم البحري أن يغيروا على أسبانيا ، وأن يمنوا هزدرويل من أن يذهب لامداد أخيه . ثم استطاعوا في النهاية أن يهاجموا أفريقية ، وأن يهددوا قرطاجنة نفسها . . فاضطر هنبال الى العودة الى وطنه للدفاع عنه . ولكن الجيش الذي جمعه على عجل لم يستطع الوقوف أمام القائد الروماني سيبيو فانهزم في معركة زاما عام ٢٠٢ قبل الميلاد . ونصح هنبال حكومته بأن تطلب الصلح . وانتهت الحرب الفونيقية الثانية بفقد قرطاجنة ما بقي لها من اسطولها ، وجميع ممتلكاتها في صقلية وسردينيا واسبانيا .

وعادت الثروة والرخاء الى قرطاجنة رغم هزيمتها . فلم تطلق روما ان تراها ، وقد عاد تجمعا الساطع الى الظهور ، فشنت عليها الحرب الفونيقية الثالثة (١٤٩-١٤٦ ق. م) ، وأقيم الحصار الشديد ثلاثة أعوام على مدينة قرطاجنة ، الى أن غلب السكان على أمرهم ، وملك أكثرهم في أثناء الحصار ، وبيع من بقي منهم حياً في أسواق الرقيق ، وأحرقت مدينة قرطاجنة ودمرت تدميراً . وزالت دولة الفونيقين في شمال أفريقية ، وحلت محلها ولاية أفريقية الرومانية .

في ظل الدولة الرومانية بنيت مدينة قرطاجنة من جديد ، وخيم الهدوء والسلم زمانا على مضيق صقلية . ولكن لم يكد الضعف يشرب الى روما ، وتغير عليها الشعوب البربرية في القرن الخامس الميلادي ، حتى تمزقت الدولة ، وكانت افريقية من نصيب شعب الفندال . وكان الفندال شعبا قوام حياته النهب والقرصنة ، وقد اختار السواحل الجنوبية من مضيق صقلية ، محالا يغير منه على السفن والجزر المجاورة ، وظل يمارس هذه الحياة مائة وعشرين عاما . وفي منتصف القرن السادس رأت الدولة البيزنطية أن هذا المضيق لا ينبغي أن يترك في مثل هذه القوضى ، فأرسلت جيشا واسطولا ضخما ، وأجلت الفندال عن افريقية ، وانتظم الحكم فيها فترة من الزمن . وكان للبيزنطيين أيضا النفوذ الأكبر في جزيرة صقلية ، فملكوا بذلك جانبي المضيق

لعل الحرب بين روما وقرطاجنة أضخم مظهرا في التاريخ كله للنزاع على مضيق صقلية . ولكن المصور الوسطى والحديثة لم تخل من مظاهر هذا التطاحن ، وفي العهد العربي باتت افريقية قطرا عربيا يتكلم العربية ويدين بالاسلام . وكان العرب شعبا برياً في أول الامر ، وكان التوسع العربي منجها نحو البر ينتقل من قطر الى قطر ، حتى وصل مضيق جبل طارق ، فلم يكن بحاجة الى قوة بحرية كبيرة لاختراقه ، وتم له الاستيلاء على الأندلس ولا شك في أن الاستيلاء على بلاد المغرب وإسبانيا قد استدعى بناء السفن والاساطيل . وليس بغريب والحالة هذه ان نرى التطاحن على بوغاز صقلية يظهر للوجود مرة أخرى في القرن العاشر الميلادي . وكانت تونس إذ ذاك تحت حكم بني الأغلب ، فأرسلوا سفنهم وجيشهم الى صقلية ، فاستولوا عليها بل عبروا أيضا مضيق ميسينا الى الطرف الجنوبي من إيطاليا . وكذلك استولوا على جزيرة مالطة ، وتمت لهم السيطرة على المضيق الحظير زهاء قرن من الزمان ، وظلت صقلية خاضعة للحكم العربي الاسلامي أول عهد الفاطميين أيضا ، الى ان سقط عليها النورمانديون وتولوا الحكم فيها . ولم يكنهم هذا بل حاولوا أن يسيطروا على السواحل الافريقية فترة من الزمن . ولكنهم لم يلبثوا أن أجعلوا عنها

ومن أعجب العجائب في قصص الظموح الى الاستيلاء على مضيق صقلية ما حدث في القرن الثالث عشر ، في أثناء الحروب الصليبية . فان لويس التاسع ملك فرنسا ، الذي بذل معظم جهوده في حروب مع الدول الاسلامية ، لم تردعه هزيمته وأسره في القطر المصري ، بل جرد حملة أخرى وأغار على سواحل افريقية ، وقد قضى في هذه المحاولة نحيبه ، وهلك معظم جيشه

النزاع على المضيق في المصور الحديثة

ونستطيع الآن أن ننقل الى المصور الحديثة لكي نرى الصراع على المضيق يستفحل خطبة مرة أخرى ، وأول شيء نصادفه أن بريطانيا تنبه الى ما لهذا المضيق من خطر

كبير في ملاحه البحر المتوسط ، وهى الدولة البحرية الاولى . ولكنها لا تحاول الاستيلاء على سواحلها في صقلية أو افريقية ، بل تكفى بأن تحتل جزيرة مالطة ، ذات المرفأ الطيعى البديع ، وأن تجعل منها قاعدة بحرية هامة . وذلك في نهاية القرن الثامن عشر ، فى أثناء حربها مع نابليون . ولكن نزول البريطانيين مالطة لم يثر نزاعا ولا قلقا ولا اضطرابا . لان السواحل الجنوبية من مضيق صقلية كانت خاضعة لحكم العثمانيين . وفى الجانب الشمالى لم يكن لدولة ايطاليا وجود

وانما يتجدد الصراع حول مضيق صقلية فى وضوح وجلاء ، فى الثلث الاخير من القرن الماضى ، فقد تكونت مملكة ايطاليا بعد لائى . ولم تكند تظهر فى الوجود حتى اخذت تم عينها باحثه عن مجال للتوسع الاستعمارى . ولم تكن حكومتها بحاجة الى تفكير طويل ، لكى ترى أن قطر تونس أول ثمرة يحق لها أن تتطلع لاقتطافها ، ناهيك أن القطر قريب جدا من صقلية . وليس بين دول أوروبا دولة تعادل ايطاليا فى قربها من تونس ، أو لها من الصلات التاريخية بها ما لاطاليا

ولكن ايطاليا الناشئة كانت تموزها القوة الحربية والاقتصادية ، بل ان وحدتها الجديدة لم تكن بعد شديدة التماسك ، ولهذا فشلت فى الصراع من اجل افريقية ، واستطاعت فرنسا أن تبسط حمايتها على تونس من غير كبير عناء كما استطاعت أن تتجاهل ما قد يشور فى نفس حكومة ايطاليا من حقد سياسى عظيم . وأرادت الدول أن ترضى ايطاليا فسمحت لها باحتلال طرابلس وبرقه ، ولكن نفس ايطاليا لم ترض عن فقد تونس ، ولم تعمل عنها ، واحتدم النزاع حولها مرة أخرى فى العهد الفانى ، ولا شك فى أن هذا الضغن القديم مما دفع بالحكومة الايطالية الى أحضان النازيين الجديدة

واليوم يشتعل اللهب مرة أخرى ، تجدد بحدتها وشدهتها عهد روما وقرطاجنة فهل التاريخ يعيد نفسه ؟

وأى الفريقين روما وأيهما قرطاجنة ؟

ان التاريخ قلماً يعيد نفسه حرفاً بحرف . ولكن الصراع القديم على المضيق يعود الى الظهور ، فى صورة أشد عنفاً وغطاوة مما كان عليه فى أى عصر من العصور . ووراء الاستيلاء على المضيق اليوم كما كانت الحالة فى العصور القديمة . نتائج بعيدة المدى ، وأمور جلييلة الخطر

والحال اليوم كما كانت فى النزاع بين قرطاجنة وروما ، فإن النصر فى هذا الميدان رهين بالتفوق البحرى ، مضافا اليه فى عصرنا هذا التفوق الجوى

محمد هوسه محمد

ماذا فعلت الهندسة بالعالم

وماذا تفعل في المستقبل ؟

بقلم عبد القوي احمد باشا

قبل الحرب الماضية بسنوات قليلة ، كان أستاذنا في المعهد الهندسي بالجزيرة يتلقى من شقيقه المهندس باركان حرب الجيش الفرنسي رسائل في أحدث ما وصلت اليه النظريات الهندسية . وفي يوم ما ، أخبرنا أستاذنا الفرنسي أنه وصل اليه من شقيقه ما يدل على أن الألمان وقفوا الى مدفع يقذف فبئله على بعد ٧٠ كيلو ، ثم أخذ أستاذنا المسكين يشرح لنا في محاضرتين ما وصل اليه بعد مراسلات متعددة مع شقيقه - من أن هذا الاختراع خيال لا يمكن تحقيقه من الوجهة العلمية والعملية . رحم الله أستاذي وغفر له ، فاننا بالرغم مما قال عشنا ورأينا كم من أحلام اليوم تصبح حقائق الغد ، وكم من خيال صار أمرا واقعا حقا

لا أستطيع أن أحجم على الغد من غير وقفة قصيرة على أطلال الامس وبناء اليوم ، لتري كم فعلت الهندسة ، والى أي مدى وصلت بالعالم في السنوات الاخيرة . ونظرة خاطفة للهندسة بفروعها العديدة وألوانها المتباينة وأشكالها المختلفة ومعاملها ومصانعها المنتشرة في أقطار الارض ، لتدل أوضح الدلالة على أنها أصل ما وصلنا اليه ، وبسبب ما حصلنا عليه من خير وبركة وصلاح وإصلاح وقدم نحو الكمال عند البعض ، أو من شر ونقمة وفساد وبعد عن المثل العليا عند البعض الآخر ، أو هي الأهمل في هذا وذلك اذ لا عمران بدون الخير والشر يسيران جنبا جنب كما يقولون

يذهب بعض الناس الى أن للهندسة يدا فيما نحن فيه من شقاء ، فلولاها لاحتفظ الرجل بخلقه القويم القديم ، وعف عن ضرب المرأة والطفل والشيوخ بقنايل المدافع البعيدة المرمى أو بمقذوفات الطائرات ، ولولاها لما كانت البطالة من يوم أن أحل المهندس الحصان البخاري مكان أربعين رجلا . ولولاها ولولاها . . وماذا على المهندس لو رد ردا عمليا أو بالخرى ردا سلبيا ففعل المصنع والمعمل وأمسك عن امداد العالم بفتاج فكره ويحه وعمله ، وقال أما والهندسة عاجزة عن اختراع قانون رياضي للاخلاق ، وليس في مقدورها صنع ماكينة أخلاقية ترتفع بالإنسان الى مستوى الانسانية العالي ، وما دام أمر الناس ومقدراتهم في يد طائفة من السياسيين المحترفين ، وما دام أمر البرلمانات لحفنة من خطباء المحامين ، وما دام حكم الناس لغير الفنيين ، فلا هندسة ولا معامل ولا مصانع .

وحسبكم ما وصلت اليه الهندسة ، ولا مناس من وقفة طويلة أو قصيرة حتى تصل
 الاخلاق الى الحد الذي تنشئ فيه مع الهندسة جنباً لجنب
 كم يكون جبلاً من المهندس لو رفع صنوعه قائلاً للناس : « ان الحرب من طبيعة البشرية
 اكدوبة كبيرة أضفى عليها القدم والتكرار مسحة القول الحق ، وما هي من الحق في شيء ،
 لولا عجز النسبة من جهة ، واستغلال الحروب لما آرب وضيفة وصغيرة من جهة أخرى
 قل لهم ان الوطنية أفنى ضيق ومجال غير حيوى ، أما الملائد الحق فهو الانسانية تنسج
 لكل جنس ولون ودين ، وينضوى تحت لوائها العالم بأفراده وجماعته وأمه الصغيرة
 والكبيرة على حد سواء

قل لهم في دائرة الحب المتبادل انك مستعد لعمل في سبيل الخير والجمال ، وان في
 معامل البحث وفي دنيا الهندسة مئات من النظريات التي ستستحيل الى عمليات تنمون
 بها اذا ما وضعت الحرب أوزارها ، حتى اذا ما أتت سنة ٢٠٠٠ ، وجدتم أن خيال اليوم
 صار حقيقة الغد ، أذكر لهم على سبيل التمثيل :

ان الهندسة - في سبيل الوحدة العالمية وتوزيع بركااتها على الناس جميعا - تعمل جاهدة
 على اقامة محطة توليد كهربائية واحدة في وسط أحد المحيطات لتقذف الالكترونات في
 أجواء العالم المختلفة على أن يكون في كل بلد من بلاد العالم محطة استقبال لجمع هذه
 الالكترونات واعادة توزيعها في شكل تيار كهربائي يستعمل في جميع مرافق الحياة
 كذلك وصلت الهندسة الى تحقيق أمر يبدو غريباً هو الآخر ، ذلك هو تسير قطار
 بسرعة تصل لمائة وخمسين كيلو في الساعة بدون استعمال أى قوة من القوى المعروفة في
 الهندسة التطبيقية اليوم ، فلا فحم ولا مازوت ولا كهرباء تولد بالمحطات المختلفة . وقد
 عطلت الحرب تمام العمل ، وحصلك أن تعرف أن القطار التموضجى احتاج في أول سيره
 الى عشر بطاريات لتدفعه مسافة الميل الاول ، وبعد هذا الميل الاول تولت عملية الدفع
 ملفات من السلك ركبت بطريقة خاصة لتقطع خطوط المجال المغناطيسى الارضى
 « Magnetic Meridian » فتولد عند ذلك قوة دافعة كهربائية (Electro Motive Force)
 تولى تسير القطار ، والانتفاع بقوة الارض المغناطيسية باب جديد ولجنه الهندسة في بلاد
 السويد وأوصدته الحرب الحاضرة

والآن - والحرب قائمة - تجاهد الهندسة في تمكين الشعب الالمانى من رؤية هتلر
 وجورنج وجوبلز وغيرهم وهم يخطبون عن طريق التلفزيون ، وسيكون لهذا الاختراع
 شأن خطير في المستقبل القريب ، وعلى الاخص في حروب الغد ، وليس التمكن من رؤية
 تحركات الجيوش على أبعاد شاسعة بالخيال المستحيل التحقيق . وككل نتاج الهندسة
 سيكون نعمة ونقمة ، ويجمع بين الخير والشر على السواء

أليس في اعتماد العالم على محطة قوى واحدة لاستعمالها في كافة أغراضهم المنزلية
 والصناعية ومواجهة كل من وزبرى خارجية مصر وبريطانيا بواسطة التلفزيون على بعد

آلاف الأميال ، وتمكينهما من ترجمة ما يدل عليه وجه كل منهما عند الخطاب ، ليس في هذا وأمثاله تقريب مادي لا بد يلازمه تقارب معنوي وتعاون عالمي وتضامن على فعل الخير . أرجو أن تحقق الهندسة هذا الحلم أو بعض هذا الحلم . ولئن لم تفعل فلتتواضع ولترجع الى مصر لترأها في سنة ٢٠٠٠ مكثفة : بكهربية أسوان وغير أسوان من مسافات طيبة وصناعية على مجرى النيل ، بعد اذ كادت تصبح هندسة الكهرباء في تقليل الضائع من القوى عند نقلها على مسافات شاسعة . وسيرخص سعر الوحدة الى حد تستطيع معه السيدة في شمال الدلتا من استخدام الكهرباء لعملية الطبخ والفضيل ، والرجل في اداة الطلبة لرى أو صرف الارض

وسنربط مصر بالخرطوم بطريق زراعي لا يقل عرضه عن ٥٠ مترا يسائر النيل في أغلب مراحلها ، وستلعب الطيارات دورا هاما في نقل الركاب خصوصا بين القاهرة وجميع عواصم البلاد العربية الشقيقة ، وستكون اللوريات والسيارات الفردية والمشاركة من الكثرة والرخص بحيث تصبح معها السكك الحديدية من المودات القديمة . وفي سبيل الوصول بسرعة اللورى الى مائة ميل في الساعة ، والسيارة الى ضعف هذه المسافة ، تجري المباحث على قدم ومباقي

وستنتج مصر الى الصناعة اتجاها جديدا ، على انها بالرغم مما ظهر وسيظهر قريبا فيها من مواد خام ، ستظل معتمدة على الخارج في استيراد الكثير من المواد التي تلزم لصناعاتها هذا وستقطع الهندسة شوطا كبيرا في سبيل النيل وضبطه والانتفاع باكبر كمية من مياهه ، بتمام مشروع السدود وزيادة عدد القناطر واللجم التي تكبح جماحه ، وتخضمه اخضاعا تاما لاغراض العمران من ري وملاحة وكهرباء

ستكون مصر سباقة كماداتها الى الانتفاع بكل ما تصل اليه الهندسة من مبتكرات جديدة ، وبالرغم من هذا أختي أن تأتي سنة ٢٠٠٠ والقرية المصرية على حالها والبرك لم تدم ، ومياه الشرب لم تدم . وكل ما أرجو الا يصبح ما أخشاه ، وأن تتوالى على مصر حكومات على غير ما نرى ، وأن يتولى أمودنا خيارنا ، وأن يكون من أبنائنا وأحفادنا من يجيد فن الحكم والادارة خيرا منا ، ولئن صح أن أولاد العمى هم عادة مبصرون ، كان لنا أن نرجو خيرا

وبعد فأني أطعم في كرم مجلة الهلال ، اذ رأيتي أخطط عملا صالحا بآخر سبي . وأشير الى الحرب وعلاقتها بالهندسة ، ذلك لاننا نعيش في زمن طفت الحرب فيه على الافكار والاعصاب ، بل حتى ليخيل الى أنني لا زلت أسمع دوى القنابل يوم الاغارات الكبرى بالاسكندرية والسويس والاسماعيلية في صيف سنة ١٩٤١ وكم كنت أود أن أقف عند حدود الهندسة في العالم المدني ، ولكن أبت الحرب الا أن تجرني الى ميدانها

عبد القوي احمد

مفروع بيريدج هو ، كما وصفه بحق معالي الأستاذ عبد الحميد عبد الحفيظ ، أهم حادث
اجتماعي في القرن العشرين ، وقد أتبع لنا الاطلاع على إحدى النسخ الخفية التي وصلت
إلى مصر ، ونستخلص منها المعلومات الآتية التي هي خلاصة موجزة لهذا المفروع

نظرة في مشروع بيريدج

ألفت الحكومة البريطانية في شهر يونية سنة ١٩٤١ لجنة برئاسة السير وليم بيريدج
بممثل عدة وزارات ومصالح ، وجعلت مهمتها : « استعراض الانظمة القومية القائمة
والخاصة بالتأمين الاجتماعي والخدمات المتصلة به ، بما في ذلك اعانات العمال ، ووضع
التعديلات التي ترى لزوما لها ،

وقد قامت اللجنة منذ تاليفها بالبحث في نظم الخدمات الاجتماعية والتأمين الاجتماعي
السائدة في إنجلترا في مدى الخمس والأربعين سنة الأخيرة ، أي منذ صدور قانون اعانات
العمال في سنة ١٨٩٧ . وبحثت في التعديل الذي أدخل على هذا القانون في سنة ١٩٠٦
فجعله يشمل العمال في جميع الحرف والصناعات بعد أن كان مقصورا على صناعات معينة .
وبحثت في نظام التأمين الصحي الاجباري الذي شرع في سنة ١٩١٢ ، ثم في التأمين
ضد البطالة الذي بدأ سنة ١٩١٢ في بعض الصناعات وصار يشمل الصناعات كلها منذ
سنة ١٩٢٠ . كذلك رجعت اللجنة الى قانون المعاشات الصادر في سنة ١٩٠٨ ، والذي
قرر منح العمال عند بلوغهم سن السبعين معاشات بدون دفع مقابل سابق منهم بشرط
تيوت عوزهم . ثم رجعت الى قانون المعاشات الثاني الصادر في سنة ١٩٢٥ الذي قرر
منح معاشات لمن يبلغون سن الكبر وللارامل والتامى بشرط أن يكون العمال المستفوعون
هم أو عائلاتهم من بعد قد دفعوا من قبل أقساطا معينة لتلك المعاشات . كذلك استعرضت
اللجنة قانون البطالة الصادر في سنة ١٩٣٤ الذي جاء بنظام تأمين ضد التمثل

وبالاجمال رجعت اللجنة الى جميع القوانين والانظمة القائمة في إنجلترا - وكذلك في
الدول الاجنبية - والخاصة بالتأمين الاجتماعي واعانة الفقراء والخدمات الاجتماعية عموما
وسرعان ما اتضح للجنة أن تلك النظم تضورها عيوب كثيرة ، فهي من جهة قد شرعت
قطعة قطعة فصارت محتاجة الى التوحيد في نظام واحد تشرف عليه جهة مسئولة واحدة ،
وهي من جهة أخرى لا تفي لسواد الشعب بمستوى المعيشة الراقي الذي قدرت اللجنة
أنه المستوى الضروري الذي يجب أن يسود في إنجلترا . وللوصول الى معرفة هذا
المستوى درست اللجنة أحوال عائلات العمال والمستخدمين في مختلف المدن الصناعية
وعائلات الزراع في الريف واتفقت بدراسات سابقة لهيئات وجمعيات شتى

وبعد كل ذلك بالبحث وهذه الدراسة قدمت اللجنة تقريرها الى الحكومة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، باسم رئيس اللجنة السير وليم بيفريديج ، الذي أصبح وحده مسئولاً عن كل ما جاء بذلك التقرير ، لان من أعضاء اللجنة موظفين يمثلون وزارات مختلفة ، فهم لا يستطيعون أن يتحملوا مسؤولية الآراء التي تضمنها التقرير ولا أن يربطوا بها وزاراتهم التي هي جزء من الحكومة

فوائد المشروع

قام مشروع بيفريديج على القواعد الآتية :

اولا - الابتداء من أنظمة الخدمة الاجتماعية القائمة والتأمين الاجتماعي الموجود والانتفاع بالحجرة المكتسبة في هذا المجال ، ولكن مع ادخال تعديلات جوهرية وزيادة قيمة الاعانات التي تمنح للمتعطلين والعاجزين عن الكسب وابتعاد أنواع جديدة من الاعانات والهبات .
لم يكن للبلاد عهد بها من قبل

ثانيا - ان نظام التأمين الاجتماعي الموحد كما جاء في التقرير ليس الاجزاء من اجزاء سياسة اجتماعية شاملة يجب أن توضع وترمى الى مكافحة الشرور الخمسة التي تعترض طريق الإنسانية ، وقد حددها بيفريديج بأنها : الفقر والمرض والجهل والتمطل والقدارة
ثالثا - ان الشعب البريطاني يكره المنح والهبات ، ويفضل عليها أنظمة التأمين التي يساهم الافراد فيها بأموالهم قدر استطاعتهم ، ومن ثم قام المشروع على دفع اشتراكات للتأمين الاجتماعي يشترك فيها العمال وأرباب الاعمال والدولة

رابعا - المساواة بين افراد الشعب المؤمن عليهم ضد كوارث الدهر ، سواء من حيث قيمة الاشتراكات التي يدفعونها أو من حيث قيم الاعانات التي يحصلون عليها ، فلاولى لا ينظر فيها الى تفاوت الدخل بينهم ، والثانية لا يبحث فيها عن موارد التي يستحقونها ومبلغهم من الموز

خامسا - احتاط المشروع كيلا تكون الاعانات التي تدفع باعثة على التواكل . ومن وجوه ذلك الاحتياط ما يأتي :

١ - لا تصرف اعانة للعامل الذي تطول عطلة الا اذا قبل أن يحضر كل يوم الى مركز من مراكز التدريب لكي يتعلم صناعة أو حرفة جديدة اذا لم يبق مجال في عمله السابق

٢ - العمال الذين أصابهم عجز يقعدهم عن العمل - يدربون على عمل جديد يلائم حالتهم الجديدة ، حتى يمكنهم أن يرتزقوا من كدهم

٣ - اذا استحق الرجل معاش التقاعد عند بلوغ سن الخامسة والستين أو استحققت المرأة ذلك المعاش عند بلوغ سن الستين ، فان المشروع ينرى كلا منهما بمواصلة العمل اذا استطاع ، وذلك بزيادة الاعانة التي سوف تمنح له بعد ذلك

سادسا - تبسيط نظام التأمين الاجتماعى تحت اشراف وزارة جديدة تسمى (وزارة الضمان الاجتماعى) ، وتوحيد مالية ذلك النظام فى صندوق واحد تذهب اليه كل الموارد الخاصة بالمشروع ، وتتفق منه كافة الاعانات والهبات . مع ايجاد بطاقات تدل على الشخص ومهنته ودفع اشتراكات اسبوعية بطريقة سهلة منتظمة

سابعا - شمول التأمين جميع طوائف الشعب تقريبا حتى تقدر نسبة الذين يتناولهم بما لا يقل عن ٩٨ ٪ . من مجموع الامة . وقد قسم المشروع الشعب البريطانى لهذه الغاية الى ست طبقات أو طوائف :

- ١ - العمال والمستخدمون أى الاجراء الذين يعملون بموجب عقود مع أصحاب الاعمال
- ٢ - الاشخاص الذين يشتغلون لحسابهم مثل أصحاب الاعمال وأرباب الحرف والمهن وأصحاب الحوانيت والتاجر ، وجميعهم يؤمن عليهم ويدفعون أقساطا للتأمين مثل الطائفة الاولى غير أنهم لا يتناولون اعانة بطالة أو عجز عن العمل
- ٣ - ربان المنازل أى النساء المتزوجات اللاتى فى سن العمل . فاذا كانت الزوجة تستغل بعمل تتناول منه اجرا فانها يمكنها أن تساهم فى التأمين الاجتماعى وأن تستفيد باعانة التمثل أو العجز عن العمل . واذا لم تكن تساهم فى التأمين عن نفسها فانها مع ذلك يمكنها أن تمتع بكافة الاعانات المقررة للعامل وزوجته معا
- ٤ - الاشخاص ذوو الموارد الخاصة الذين لا يزاولون أعمالا مربحة أو يتناولون عليها أجورا . وإى فرد لا يمكن أن يدخل فى الفئات الثلاث الاولى يدخل فى هذه الفئة الرابعة . وهذه الفئة تدفع اشتراكات التأمين مثل غيرها من الفئات ، غير أن أفرادها لا يتناولون بالبداية اعانة تظل أو عجز
- ٥ - الاطفال أى الاشخاص الذين تقل أعمارهم عن ١٦ سنة ، وهؤلاء يتنعمون فقط بالتأمين ولا يساهمون فيه بدفع أقساط
- ٦ - الشيوخ المتقاعدون أى الاشخاص الذين تحفظوا من الكد والعمل ، وهى الخامسة والستون للرجل والستون للمرأة

ملفحة العوز بالاعانات والهبات

الغاية الرئيسية ، بل الغاية الوحيدة ، من مشروع بيفريدج ، هى مكافحة العوز فى أى مظهر من مظاهره ، وسواء كان سببه التمثل عن العمل ، أو المرض ، أو العجز ، أو الكبر ، أو كثرة العيال ، أو نكبات الدهر مثل الوفاة أو الترمل . وقد رأت اللجنة أن المرض من أكبر أسباب الفقر والحاجة ، فوضعت نظاما يكفل لجميع المواطنين وسائل العلاج بدون مقابل ، سواء كان العلاج بالمستشفيات أو غيرها ، وسواء كان لأمراض عادية أو لغيرها ، أو لعمليات جراحية ، أو (تركيبات) صناعية لللسان أو الاعضاء النخ فاذا صرفنا النظر عن توفير أسباب العلاج بكافة أنواعه بدون مقابل - ومعلوم أن

العلاج يستفد جزوا كبيرا من دخل كل فرد وإيراد كل أسرة - فاما تشير فيما يلي الى أنواع الاعانات والهبات التي تضمنها المشروع ، وبعضها كان مقررا من قبل ، ولكن المشروع زاد من قيمتها أو ضاعفها في الواقع ، والبعض الآخر عبارة عن اعانات وهبات جديدة لم تكن تصرف من قبل ، ولكن المشروع قدر ضرورتها لكي يضمن لكل فرد (عيشة الكفاف) أى المستوى الضرورى للحياة الراقية

الاعانات :

١ - اعانة تعمل عن العمل : مقدارها (للرجل ذى الزوجة والولدين) ٥٦ شلنا فى الاسبوع ، دون تقيد بمدة محدودة ودون التحرى عن موارد الشخص المعان . ويشترط على العامل المتعطل أن يقدم نفسه الى مركز من مراكز التدريب ليتعلم صناعة جديدة اذا طالت مدة بطالته

٢ - اعانة عاجز عن العمل (فى غير الصناعة) : مقدارها مثل الاعانة السابقة ، وهى أيضا لا تقيد بمدة معينة ولا يتحرى فيها عن موارد الشخص المعان ، ويندرج العاجز على عمل جديد ليكتسب منه

٣ - اعانة عاجز عن العمل فى الصناعة : مقدارها ٥٦ شلنا فى الاسبوع لمدة ١٣ اسبوعا ثم صرف معاش يوازي ثلثى الاجر أو المرتب السابق بشرط أن لا يقل عن ذلك الحد ولا يزيد على ٧٦ شلنا فى الاسبوع

٤ - اعانة الكبر أو الشيخوخة : (عند بلوغ الرجل سن ٦٥ والمرأة سن ٦٠) ومقدارها ٤٠ شلنا فى الاسبوع ، (مع اضافة شلنين فى الاسبوع عن كل سنة يقضيها الشخص فى العمل بعد بلوغ سن التقاعد المذكورة)

٥ - اعانة الترمول : ومقدارها ٤٠ شلنا فى الاسبوع على أن تحصل الارملة على ٥٢ شلنا فى الاسبوع لمدة ١٣ اسبوعا التالية لوفاة زوجها ، وتخفيض الاعانة بعد ذلك الى ٤٠ شلنا مع تخفيضها عن هذا الحد بنسبة الايراد الخاص الذى قد يوجد للارملة

٦ - اعانة الاطفال : قدرت اعانات للاطفال بمعدل ٨ شلنات اسبوعيا عن كل طفل بعد الطفل الاول للعائلة

وقد قدرت هذه الاعانات كلها بعد فحص دقيق لتكاليف الحياة من مآكل وملبس ومسكن وغير ذلك من الضروريات التى يتكون منها مستوى المعيشة اللائقة ، وقدرت الارقام على أساس الاسعار التى كانت سائدة قبل الحرب فى سنة ١٩٣٩ مع اضافة ٢٥ ٪ . اليها تقديرا لما ستكون عليه الارقام القياسية للمعيشة بعد انتهاء الحرب

الهبات :

فضلا عن جميع تلك الاعانات ، وعن العلاج المجانى لجميع الامراض ، قرر المشروع منح الهبات الآتية :

- ١ - حبة عند الزواج تصل الى ١٠ جنيهات طبقا لعدد أقساط التأمين المدفوعة
- ٢ - حبة عند الوضع قدرها ٤ جنيهات
- ٣ - حبة عند الوفاة لسد تكاليف الجنازة ومقدارها ٢٠ جنيها عن الشخص البالغ ، و ١٥ جنيها عن الغلام أو الفتاة من سن ١٠ الى ٢٠ سنة ، و ١٠ جنيهات عن كل طفل يموت بين الثالثة والتاسعة من عمره ، و ٦ جنيهات عن كل طفل يقل عمره عن ٣ سنوات
- ٤ - حبة تقدر طبقا للوائح ، وتمنح لارملة العامل الذى يموت بسبب اصابة فى الصناعة وذلك اضافة الى مصاريف الجنازة السابق بيانها (وقدرها ٢٠ جنيها للشخص البالغ)

الاشتراكات

يقوم المشروع على مساعدة العمال والمستخدمين المؤمن عليهم مع أصحاب الاعمال والدولة فى دفع الجزء الاكبر من تكاليفه ، ونورد فيما يلى بياناً عن اقساط التأمين الاسبوعية التى يجب أن يدفعها كل فرد من أفراد الطائفتين الاولين :

الذكور		الاناث	
الشخص المؤمن	صاحب العمل	الشخص المؤمن	صاحب العمل
القسم الاول			
٢١ سنة فأفوق	٤ شلن ٣ بنس	٣ شلن ٦ بنس	٢ شلن ٦ بنس
١٨ - ٢٠ سنة	٣ ٦ ٣	٣ ٣ ٣	٢ ٣ ٢
١٦ - ١٧ سنة	٣ ٦ ٢	٣ ٦ ٢	٢ ٣ ٢
القسم الثانى			
٢١ سنة فأفوق	٤ ٣ ٤	٣ ٩ ٣	—
١٨ - ٢٠ سنة	٣ ٦ ٣	٣ ٣ ٣	—
١٦ - ١٧ سنة	٣ ٦ ٢	٣ ٦ ٢	—
القسم الرابع			
٢١ سنة فأفوق	٣ ٩ ٣	٣ ٣ ٣	—
١٨ - ٢٠ سنة	٣ ٦ ٣	٣ ٦ ٣	—
١٦ - ١٧ سنة	٣ ٦ ٢	٣ ٦ ٢	—

ويلاحظ فى هذه الاشتراكات أنها قليلة بالنسبة الى الاعانات والهبات والفوائد الاخرى التى يجنيها المؤمن عليهم فى مقابلها ، وأنها ليست فادحة بالنسبة لمستوى الاجور والمرتبات السائد فى إنجلترا

ميزانية التأمين الاجتماعي

قدرت نفقات المشروع في سنة ١٩٤٥ - التي يبدأ فيها نفاذه كما أملت اللجنة - بمبلغ ٦٩٧ مليوناً من الجنيئات تدفع منها الدولة ٣٥١ مليوناً (بما فيها ما تدفعه السلطات المحلية للمستشفيات والخدمات الاجتماعية) ويدفع المؤمن عليهم ١٩٤ مليوناً ، ويدفع أرباب الاعمال ١٣٧ مليوناً . والباقي وقدره ١٥ مليوناً من موارد أخرى (وخصوصاً فوائد المال) ، على أن هذه التقديرات تزيد بعد عشرين سنة فبمبلغ جملة المصروفات في سنة ١٩٦٥ : ٨٥٨ مليوناً ، تدفع منها الدولة (والسلطات المحلية) ٥١٩ مليوناً ، والمؤمن عليهم ١٩٢ مليوناً ، وأصحاب الاعمال ١٣٧ مليوناً وتشمّل المصروفات في سنة ١٩٤٥ ما يأتي :

١٢٦ مليوناً من الجنيئات للمعاشات ، و٣٩ مليوناً لاعانات الارامل والاطفاء ، و١١٠ ملايين للمتقاعدين عن العمل ، و٥٧ مليوناً للعاجزين عن العمل في غير الصناعة ، و١٥ مليوناً للعاجزين عن العمل في الصناعة ، و٧ ملايين هبات للوضع ، ومليوناً لاعانات الزواج ، و٤ ملايين لدفن الموتى ، و١١٠ ملايين لاعانات الاطفال ، وغير ذلك مما يبلغ مجموعه ٦٩٧ مليوناً من الجنيئات

ويلاحظ أن هذا المبلغ على ضخامته ليس جديداً كله ، فقد اعتادت إنجلترا أن تنفق الملايين كل سنة في الخدمات الاجتماعية المختلفة ، وقد بلغت قيمة ما صرفته في هذا السبيل في سنة ١٩٣٩ : ٣٤٢ مليوناً من الجنيئات ، والمقدر أن يرتفع هذا الرقم الى ٤٣٣ مليوناً في سنة ١٩٤٥ إذا سارت الامور في مجراها وبدون تنفيذ هذا المشروع الجديد

خاتمة

حتم السير بيفريدج تقريره بالرد على أولئك الذين تساءلوا كيف يوضع مثل هذا المشروع في وقت الحرب الذي يجب أن تنجبه فيه الجهود كلها نحو النصر وحده ؟ فأورد حججاً مفصلة وكلمات يصح أن تؤثر

من ذلك قوله : « لا شك في عزم الشعب البريطاني ، مهما ضيقت عليه الحرب ، في أن لا يبتسئ كلفة للحرب وحدها وفي أن لا يترك العناية بما سيأتي بعدها ، فإن ذلك ينفق مع طبيعة الديموقراطيات والروح الذي تحارب به والغرض الذي تحارب من أجله . فانها لا تحارب الآن لغرض الحرب ، ولا لكسب مستعمرات ، ولا بقصد الانتقام ، بل تحارب من أجل السلم . فاذا كانت الدول الديموقراطية المتحدة تقدر أن تبدي الآن من القوة والتمجاعة والخيال ما يتفق ورغباتها الظاهرة ، وإذا كانت تقدر أن تضع الخطط للسلم في خلال الحرب ، فانها سوف تحوز انتصاريهما في الواقع وحده لا تتجزأ »

وحى الخمسين

بفلم الأستاذ عباس محمود العقاد

وحى الخمسين هو وحى فضيلة المال المحسوب والثقة المقدرة ، أو هو وحى الملك الخالص لا يمتد على الاستمارة ولا يقوى على الاسراف في انتظار التعويض من الوارد الجديد

من كلمات فكتور هيجو - على ما أذكر - ان الخمسين شيخوخة الشباب ، ولكنها شباب الشيخوخة !

وفي هذه الكلمة حقيقة أكثر من مجازها ، على خلاف كلمات هيجو التى يكثر فيها المجاز ونقل الحقيقة ، ذهبا مع الجرس أو إثارا لمحاسن التشبيه
فدو الخمسين شاب بين الذين يغفوا على السبعين أو الثمانين ، يشعر بهذا كما يشعرون به وان لم يقصدوه وينعمدوه . فإذا اجتمع مجلس من المجالس التى يختار لها الاعضاء ممن جاوزوا الاربعين ، كمجلس المجالس النيابية وبعض المجالس العلمية والادبية ، رأيتهم ينصرفون فى التقديم والتأخير والاثار بالراحة والرعاية تصرف الابناء والآباء فى الادب والمعاملة وهم دون ذلك فى السن بكثير ، ورأيت أبناء الخمسين وربما هدرت منهم «شيطنة» التلاميذ فى معاملة الاساتذة الذين يوقرونهم ويحبونهم ، ولا يخلونهم من فترات الشيطنة مع ذلك !

ولا حاجة بنا الى اطالة التذكير بتلك الحقيقة الخالدة التى لا ينسى أن نفسى فى مقام ، ونعنى بها أن المسألة اعتبارية اضافية فى جميع الأعمار والعلاقات ، فما يصدق على الخمسين عند فريق من الناس قد يصدق على الاربعين عند غيرهم وعلى الستين عند آخرين . فأنما الكلام فى هذه الامور على الاجمال ، ولا يتأتى أن يساق الكلام فيها على التفصيل لكل فرد من الناس على حدة

ومن الصور التى كانت شائعة فى أوائل القرن الحاضر - ولا ترى الآن كثيرا - صورة العمر الانسانى وأدواره من السنة الاولى الى المائة . فندر دكان حلاق دخلت اليه قبل ثلاثين سنة الا كانت فيه هذه الصورة التى كان لكل زائر وقفة عندها يتبين منها مكانه من الدرج الصاعد أو الدرج الهابط . وربما كان التفات الشيوخ اليها أكثر من التفات الصبية والشبان ، لان الصبية والشبان واقفون من المكان فى حاضرم وبعد زمن طويل ، أو

طويل على ما يحسبون ، ولكن الشيوخ لا يفقون من مكانهم على هذه الدرجات الا الى حين ، فهم دائمو التفت اليه ، مخافة أن يضعف !

في تلك الصورة طفل مولود في مهده ، ثم ولد في العاشرة بعد وراء طوقه ، ثم شاب في العشرين يصاحب فتاة في مثل عمره أو دون عمره بقليل ، ثم رجل في الثلاثين معه امرأة تقاربه سنا وبينهما طفل أو طفلان ، ثم كهل في الاربعين تمت له مظاهر السمات والقوة والقوام ، ثم يرتقى على قمة الدرج في أوسطه شيخ في الحسين قد أدار ظهره الى الدرج الصاعد وقد أدركه بعض الانحناء ، واستقبل بوجهه الدرج الهابط وقد تزايد انحناء الهابطين عليه درجة بعد درجة ، أو دركة بعد دركة ، حتى انتهوا الى كرسي كمهد الطفل في سنته الاولى ، يجلس عليه شيخ فان في المائة قد تكس رأسه لا يلتفت الى امام ولا وراء

نمثل حسن لادوار العمر الانساني على كل درجة من درجاته ، مع استحضار الفوارق النسبية بين انسان وانسان

ويصح على هذا التصوير أن تكون الخمسون أعلى الذروة في درجات العمر كله ، قبلها الصعود وبعدها الهبوط ، وهي بينهما في مكان الاعتدال والاستواء

ومن المحقق أو الراجح في جميع الاعمار ، أن الحسين نهاية الكسب أو التحصيل من الحياة ، ليس بعدها ما يأخذه الانسان من الدنيا ويضيفه الى تكوين عقله وجسمه ، ولكنه لا يزال بعدها يعطى الكثير ويفقد الكثير ، ايذانا يفقد كل شيء يأخذه التراب من التراب اذا قيل على هذا التبعير ان الثلاثين سن التحصيل ، وان الاربعين سن الجمع والثروة ، فالذى يقال في الحسين انها سن التصفية و عمل الحساب ، ليعرف الانسان نصيبه من الربح ونصيبه من الخسارة

وهي من ثم سن اغناء وليست بسن افتقار ، واذا جاز لي أن أفسر على نفسى فهى لا تقل غنى عن الاربعين ، وقد تفوقها غنى من وجوه

تفوقها غنى لان التدبير فيها أفضل لا لان الثروة فيها أعظم ، أو تفوقها غنى لان الحساب فيها أضيظ لا لان الثروة فيها تزداد على التوالى كلما ازدادت السنوات ، اذ هي في الواقع كما أسلفنا تكف عن الازدياد في جملة المكاسب من خيرات الحياة

فالرجل الذى ضبط حسابه - بعد التصفية الكاملة - قد يستفيد من مائة دينار ما ليس يستفيدة غيره من مائتين قبل ضبط الحساب

والرجل الذى عرف ما له وما عليه يعرف على التحقيق أين يضع ما له وأين يمسك عن الانفاق ، وتلك معرفة لا يحيط بها الرجل الذى عنده المال الكثير ، ولكنه قد ينفق من ديون ويكف عن النفقة من الملك المضمون

هذه هي فضيلة الحسين على أدوار العمر السابقة : فضيلة المال المحسوب والنفقة

المقدورة ، والثروة التى لا تزيد يوما بعد يوم ولكنها لا تضبح فى غير طائل ، ولا تذهب فى غير المفيد

ووحى الحسين هو وحى هذه الفضيلة ، أو هو وحى الملك الخالص لا يعتمد على الاستعارة ولا يقوى على الاسراف فى انتظار التعويض من الوارد الجديد
اذ الوارد الجديد قليل

وإذا جاء الوارد الجديد فقلما يفسح الوقت لتصرفه وإعادة تميره ، وقلما يكون له موضع الا أن يضاف الى ما قبله ، كل باب الى بابه وكل نظير الى نظيره

وحى الغنى المحسوب ، وليس هو بوحى الغنى بغير حساب ، أو هو وحى التدبير وليس هو بوحى التجميع والازدياد

ذلك هو وحى الحسين الذى يرتقى الى ذروة السلم ، ثم يقف حيث لا يطول الوقوف

ومن أمثلة كثيرة بين أصحاب الوحى - وأصحاب الوحى هنا هم المتجون فى عالم الذوق والتفكير - نرى أن ثمرات الحسين بين الفلاسفة والشعراء وأرباب الفنون تضارع خير الثمرات فى سائر الاعمار

ولا يبدو هذا عجبا فى الكلام على الفلسفة والمذاهب الفكرية ، لان الفلسفة حكمة والحكمة مقرونة فى الاذهان بالشيخوخة وتقدم العمر وزيادة التجربة والروية

ولكنه يبدو عجبا حين نتكلم عن الشعر والفنون ، لان الشعر والفنون جمال والجمال مقرون فى الاذهان بالشباب وضحة العمر ، وقد يكون مقرونا الى حد كبير بالفراة وقلة النصيب من التجربة والروية

وهنا وهم يجب الالتفات اليه

اذ يجب التفريق بين الجمال وتقدير الجمال ، ويجب التفريق بين تقدير الجمال والتعجب عن تقديره

ومهما يختلف المختلفون فى جمال الشباب وجمال كل عمر من الاعمار فالحقيقة التى لا خلاف فيها أن تقدير الجمال لا ينتهى بانتهاء الشباب ، وأن القدرة على التعبير لا تنقص بنقصان الشباب ، بل لعلها تزيد

ومهما يقل القائلون عن استطاعة المتعة بالحياة ، فالحقيقة التى ليس فيها قولان أن المدة التى تهضم أعسر المأكولات ليست هى المدة التى تذوق أحسن المأكولات ، لان الحز والملاح لذيدان عند من بهضم ويستخلص من الطعام القليل أكثر ما فيه من غذاء ، ولحن الاختيار الاثيق انما يكون لمن لا مناس له من الاختيار ، فلا يستهويه الا ما كمل أو قارب الكمال

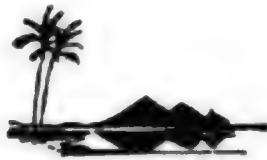
فاذا كانت الاعمار الاولى أوفر حظا من متعة الحياة ، فالاعمار التالية أوفر حظا من

التمييز بينها والشعور بمزاياها والعرفان بما لكل منها من قيمة وحظوة وهذه هي الحقيقة التي تزيل الوهم العارض الذي أشرنا إليه ، وهو الوهم الذي يلقي في روعنا أن وحى الأربعين أو وحى الحسين لا يوحى جمالا لأن الجمال مقرون بالشباب ان جمال الجوهرة غير تفويم الجوهرة ، وغير تميز الجوهرة ، وغير السرور بالجوهرة لمن يقتنيها ، وهذا هو بعينه ما يقال عن جوهرة الحياة فيما شئت من الاعمار وما شئت من الاقدار

ولو اتسع المجال لاتيينا هنا بالأمثلة من عشرات الدواوين الشعرية وعشرات التحف الفنية ، وقابلنا بين ما نتج منها في الثلاثين وما نتج في الأربعين أو الحسين أو الستين ، فأننا لخليقون أن نعلم بالمقابلة والمضاهاة أن المزايا تتبادل وتتفاضل ، فلا تنحصر المزايا كلها ولا الفضائل كلها في عهد من عهود الحياة ، ولا تزال لكل سن فضيلة تعوضها فضيلة مثلها في سن أخرى . فإذا وفرت حماسة الشعور في بواكيره فقد تقابلها المعرفة بأنواع الشعور بعد فوات البواكير ، أو تقابلها القدرة على التعبير والاتفات الى الفروق ، أو تقابلها تصفية تأخذ الخلاصة بعد أن نجتمع لديها الكثير من الأزواد

وفي الشرقي تبكر الشيخوخة أحيانا كما يبكر الشباب ، فيسرع الذبول كما تسرع النضارة ، ويكثر التبوغ قبل الاوان كما يكثر الجمود قبل الاوان ، ويغدو بين أدبائنا من أئمة بالفلق بعد الحسين كما أفلق أناس من أعيان العرب الذين جاوزوا السبعين أو الثمانين ، ولكننا اذا رجعنا الى أدبائنا الذين بلغوا تلك السن ألفينا لهم حسنات يعيشون بها في عالم الخلود يقرنها الناقد بأجل حسناتهم الماثورة في أيامهم الاولى ، وكلها ذات سمة واحدة لا تمدوها ، وهي سمة الثروة المملوكة والكثرة المحسوب

عجاسي محمود العقاد



السبب والسبب

بفلم الأستاذ إبراهيم عبد الغادر المازني

ركبت الترام ذات يوم ، وأنا أحمد الله الذي هبأ لي موضع قدم فيه ، وأسندت ظهري الى باب لا يزال الذي خلفه من الناحية الاخرى يرتقى عليه قيرجه - وذلك أهون ما يعانيه راكب الترام في أيامنا هذه - وإذا بشاب ينهض عن مقعده ويقول لي : « فضل ! » ففضلت ، وأنا أحسب أنه بلغ حيث يريد ، ثم تبينت انه انما تحط لي عن مقعده أكراما لشبي ، فأكبرت أدبه ، وأثبتت عليه بما هو أهله ، ولكنني رددته الى مجلسه وقلت له : « هذا نفعه مع السيدات رحمة بضعفهن »

ومنذ بضعة أيام اندسست بين الواقفين المتحمسين في الترام ، فما راغني الا فتاة لو رأها مهباز لما احتاج أن يقول :

آه على الرقة في خدودها لو أنها تصرى الى فؤادها

تقف وتقول لي : « فضل » وتناول ذراعي لتعني على القعود ، فسألها ، بعد أن شكرتها : « هل أنت نازلة ؟ » قالت : « لا » ، ولكنك كبير ، قلت : « صحح » ، ولكنني لست محطما ، ولا قليل الذوق ، ففضلتي ، **مشكورة** ، وعودي الى مكانك » قالت : « مستحيل ! ثم ان رجلك .. »

وأمسكت ، واشادت الى/ساقى المبهضة

فقلت : « يا فتاتي ان أدبك جميل ، وكل شكر لك قليل ، ولكني أستطيع أن أحمل هذه الوقوف بلا مشقة ، على هذه الساق الى اكسبتني عطفتك ، ولكنني لا أستطيع أن أطيق وقوفك وأنا قاعد ، فاسمحي لي أن أكون مثلك حسن الادب »

قابت - وأبيت - كل الالباء ، فلم أجد مخرجا من هذا المازق الا ترك الترام !

وحدثت نفسي ، وأنا واقف أنتظر تراما آخر ، ان هذا السبب الذي اشتعل رأسي به ، فضيحة ، وقد أصارني ، كما يقول ابن الرومي ، متحسرا :

أصبحت شيخا له سم ، وأبهة يدعوني الفيد عما ، تارة ، وأبا

فماذا أصنع ؟ هل أحلق رأسي بالموسى كل صباح ، كما أحلق لحيتي وشاربي ، لآخفي هذا الذي يخيل الى الفتيات أنني كبرت وشخت ووهن مني العظم ؟ وانه لادب أن يوقر الصغير الكبير ، ولكنه لا يخفى على النفس أن يقال للمرأة انه أسن وصار خروعا وهاتا يلمس يحذر ورفق لئلا يتفكك ويتناثر

وأذكرني هذا الذي لقيته من عطف الفتاة ، والفتى قبلها ، انه يصعب أن تجد في غير أدب العرب ما تجده فيه من كثرة القول في الشيب ، وقد أكثر العرب - ولا أقول أسرفوا - من ذكر الشيب في شعرهم ، والتلف على الشباب ، والتجسر على ذهابه ، وما من شاعر - غير الذين ضاع شعرهم أو معظمه - إلا وقد بكى شبابه صادقا مخلصا ، أو منكلفا مقلدا ، وحزن لما وخطت به لفته من بياض بفيض ، ونظير هذا في غير الأدب العربي عزيز

واحسب أن الفنون في الشباب والشيب كان في أول الامر طبيعيا ، وكان الشعراء فيه جادين مخلصين ، وصادرين عن فطرة سليمة ، ثم صار الامر تقليدا ، خرج الى العث على أيدي المتأخرين ، وذلك أن العرب في بداوتهم كانوا يحبون حياة كفاح - كفاح في سبيل الوجود ، وفي سبيل الرزق ، وفي سبيل البقاء ، وكفاح - ضمنا - من أجل المرأة التي هي أداة لحفظ النوع - فكانت الحاجة الى القوة والمثنية ، ومثانة الاسر ، وشدة المراس والبأس أعظم ما يشعرون به من حاجة ، وزمن الشباب هو زمن هذه القوة التي لا غنى عنها لعربي في صحرائه الفاحشة ، والشيب هو تذيير الشيخوخة التي تفتقر فيها القوة وتفسق المثنية ، وهو المؤذن بالعجز والهمود ثم الفناء ، والمحل وقلة الخبر ينممان الروح الفردية ، لان كل امرئ يبيت معنيا بنفسه ، وحسبه من السعي أن يكفيها حاجتها . وإذا كان ذكر الشيب والشباب قد اترن في الشعر بذكر المرأة فإن هذا أيضا طبيعي ، فإن المرأة في مثل هذه الحياة الحثثة القاسية تؤثر الرجل القوى ، وتجب أن تشعر باقتداره وصولته وسطوته ، وما زالت المرأة كذلك الى الآن وإن كانت الحضارة قد رفقت من الرجل وقلمت من أظافره ، وقوت مظاهر الارادة في المرأة وأكسبتها حظا من الاستقلال والحرية ، غير أنها ما انفكت في أعين أعماق سريرتها تعجبا وتروعا للقوة ، وإن كرهت الحثونة ونفرت منها ، فمقول من العربي أن يبكي شبابه ويتعسر عليه ويقول ، كما قال مطيع بن ابياس في الشباب المولوى :

كان اذا غمت قال قم ، فاذا قممت ، ساء بي لا عظم الرب
وكان انسى ، اذا فرغت له وكان حصنى في شدة الكرب

أو كما قال طريح بن اسماعيل :

ذهب الشباب وصرت كالحلق الذي لا تعاجله النية يهمد

ومن آيات القطة - الناقصة - الى دورة الحياة في الطبيعة والانسان قول نصر بن سعد الانصارى :

لو شاء ربى رد الشباب على المرء كما رد خضرة الشجر
وزاد بعد التقصان بهجته عن طول عمر زيادة القمر

وأقول انها نقطة ناقصة لانها لا تتجاوز الظاهر . ذلك أن أوراق الشجر التي تذبل

وتجف وتسقط لا تعود خضراء بعد اذ هي صفراء ، وانما يثبت غيرها ، كما يذوى الانسان الفرد ويذهب ، ويحيى غيره من نسله ، والشجرة تشبه الجماعة من الناس ، والذي يتفرع عليها من الاغصان كالاسر ، وأوراقها كالأفراد ، ولا بقاء لورق أو لأفراد ، وقد يدرك الاسر الفناء ، ولكن الجماعة تبقى بما يتعاقب من أجيالها

وخيل الى وأنا أفكر في المشيب - وأحسبني غير مخطيء جدا - أن الشيب يشغل على النفس في الجماعة الانسانية التي تكون فيها المرأة قبلية التعويل على نفسها كثيرة الاعتماد على الرجل في حياتها ، دائمة التطلع اليه ، وانتظار رأيه وعمله قبل أن يكون لها رأى أو عمل ، وفي مثل هذه الجماعة لا يسع الرجل الا أن يجعل ياله الى رأى المرأة فيه ويبلغ ثقتها به ، واطمئنائها اليه ، ومن هنا يكرهه ويشق عليه من مظاهر التحول ما يشق بانحطاط القوة وذهاب الفتوة والاشفاء على المعجز ، وعسى أن أكون مخطئاً ، فما أظن الا أن هذا هكذا في كل جماعة من الناس بالغة ما بلغت المرأة فيها من الحرية والاستقلال

وقد قال لى أحدهم ، وأنا أغادر الترام الذى أبت الفتاة الكريمة الا أن تؤثرنى بمقعدها فيه وتدعه لى : يا شيخ أخجلتها !

قلت : آسف ! ولكنى أشعر كأنها لطمتنى على وجهى ، فأمسكت بكفها اتقاداً لللمعة الأخرى .

وكان هذا هو شعورى الحقيقى - ان عطفتها على كان لكمة لى . فما يدور بخلدى قط أنى أستحق الرعاية والترفق من أجل هذا الشيب الذى لا أبالـه ولا أعنى يستره أو تمويهه ، لانى لا أحس من جرائه ضماً أو فتوراً ، فجاثت هذه الحسنة العطوف فعرفتنى لماذا تكره المرأة أن تذكر سنّها ! فماؤلنا نتعلم وان كنا قد شبنّا !

كلا ! سأصلح سيارتى التى أهمتها ، فاستقتنى عن الترام وأتقى المعطف من الحسان ذوات الشعر الدجوى والحدود التفاحية والشفاه الحمر

ابراهيم عبدالقادر المازنى



العالم بعد الحرب

يصرّف جهود العلم والصناعة في هذه الأيام إلى شؤون الحرب وحدها ، توافها بما تتطلب من سلاح وذخيرة ومزودة وما يلزم للجندى من طعام ودواء ومسكن ، وما تقتضيه حركات الجيوش من وسائل النقل وسبل المواصلات . ولكن هذه الجهود ستحول غداً أن تضع الحرب وزرها من ساحة القتال إلى ساحة السلام ، كما تجعل حياة الإنسان أوفر راحة وأكثر متعة وأيسر سيلاً مما هي عليه في هذه الآونة ولنا في مجال التنقيب والاقتراض مما ستكون عليه صورة العالم بعد الحرب القاتمة ، ولا في صور الحديث مما يجب أن يكون عليه عالم المستقبل تحديقاً لفكرة « المدينة القاطنة » التي حلم بها الفلاسفة منذ القدم - وأنما بين تصورنا لمراحل الحياة ومظاهر العالم المستقبل على ما جد في السنين الأخيرة من أسباب الارتقاء في مناحي العلم والصناعة ، مما بدأ يؤتي نتائجه في كل ما يهم الإنسان من السكن والأكل والملبس ، ووسائل المواصلات في البر والهواء والماء ، ووسائل التسلية والتثقيف ، ومسائل الطب والصحة والترفيه ، وما إلى ذلك من مراحق العيش

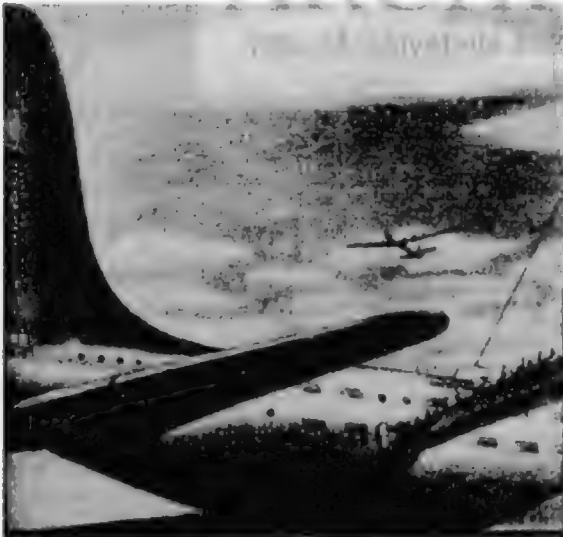
ولها على صور تتخلل مشاهد الحياة القاتمة ، كما يتجلىها أحد الكتاب الذين يتبعون التطور العلمي والصناعي في وقت الحرب ، ويغردون تطبيق هذا التطور في مناحي الحياة المختلفة بعد أن ينصر السلم لواءه



ستكون سيارة التسليل يضاوية الشكل ، دقيقة في مقدمتها متباعدة في مؤخرها ، ذلك أن « محركها » سيكون في للأخرة فلا يشكو سائق السيارة من صوت أو غاز ينبعث منها . وسيكون لها أجنحة كأجنحة الطائرة ، تنفرها إذا اضطرت في طريق زفح متسع ، كما تستطيع أن ترتفع بها إلى الجو . ولن تكون مقاعد السيارة ثابتة في مكانها ، بل متحركة ، فيستطيع ركابها أن يجلسوا متجهين أية وجهة يريدون . وسيتمكنون في داخل السيارة كثير من أسباب الراحة المختلفة ، ولن ينقصها ضوء الشمس وأشعتها التي ستلغز من سطحها للصنوع من الزجاج الذي لا يكسر . ولن يحتاج راكب السيارة إلى فتح نوافذها وإغلاقها كثيراً ، فيكون في داخلها جهاز بسيط لتكييف الهواء . وسيدخل اللاسلكي في صناعة السيارات كما دخل في صناعة الطائرات ، فيكون فيها جهاز بين السائق على تحجب ما يعرض له من حوادث الصدام



تعتمد عامة الناس في المدن الكبرى في تنقلها على الترام والأوتوبيوس . ولكن التطور العظيم في صناعة الطائرات ، سيخرج طرازاً من الطائرات يحضه الناس في مواصلاتهم في داخل المدن ، ذلك أنها ستكون طائرات صغيرة الحجم جسر اقناؤها ، وبسر وسهولة في « جراح » سير . وهي ترتفع وتهبط في خط عمودي ، فلا تتطلب مطاراً واسع الساحة ، ويمكن أن يكون هذا المطار هو سطح البيت الذي يمكنه صاحب الطائرة



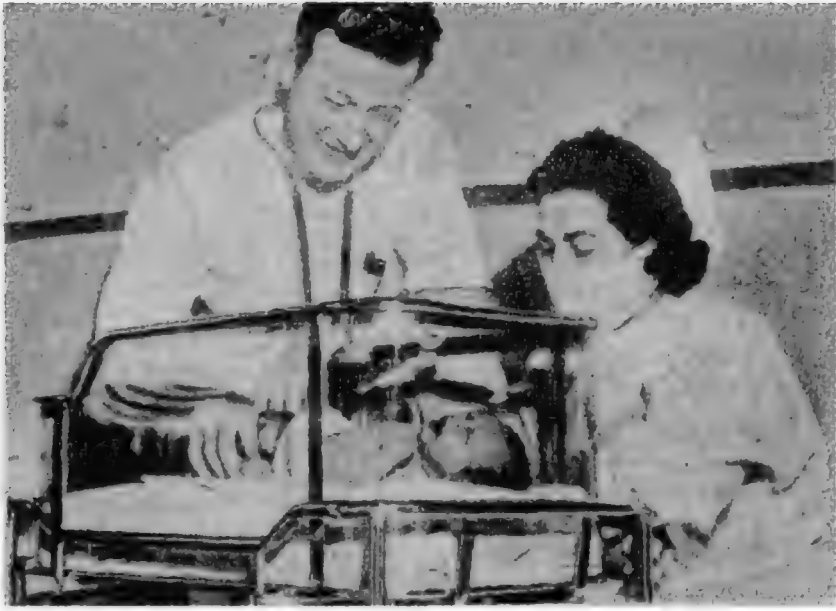
وسيرى سكان المدن في المستقبل طائرات ضخمة تقلق فوق أسطح منازلهم وأبراج مبانيهم ، لتستقبل ركبها الذين سيستخدمون في تنقلهم من شارع إلى شارع على وسائل النقل الجوي . وستكون هذه الطائرات من ثلاث طبقات ، وتستطيع أن تحمل مئات من الركاب . وسيكون أجهزها متخففاً لا يزيد عن أجهز الترام والسيارة الآن ، ولا شك أن من أمتع مشاهد المستقبل رؤية الناس في بلد كالفامرة وقد معدوا أماكن للسجاد ليقتلوا منها بالطائرات التي تجري في السماء لتقل الناس من حي إلى حي



وسيشهد العالم تقيماً كبيراً في بناء البيوت ، فلم يبق البيت حجراً أو حجراً ، ولن يكون للاسمنت ماله الآن من الأهمية ، بل ستحل المادان محلّه ، وتنعج أجزاء البيت حلة ، فيصير كل من السقف ، والأرض ، والجدران قطعاً متساكطهم بعضها الى بعض فيتكون منها البيت دفعة واحدة . فلما انتقلنا الى داخل البيت وجدنا السقف يطلنا بصورة هيمية عن مطبخ البيت . فأفرانه جيداً من الزجاج ، والطهي لا يعتمد على البترول أو الغاز بل على الكهرباء وحدها . وستكون هناك أجهزة بسيطة التركيب رخيصة الثمن لتطهير الآنية وتقليمها لإعلاء للاسراش . ولن تكون ربة البيت لتسل الآنية بيدها ، بل ستكون هناك الأجهزة الآلية التي تقوم بهذه المهمة . ولن تكون الأبواب من خشب أو صاج ، بل من الزجاج أو الباغه ، مما يسهل تنظيفها . وسيكون في وسع الأسرة البسيطة أن تلتقي أجهزة لتكثيف الهواء ، حين تصير رخيصة الثمن سهلة التركيب



ومن أم ما عني به العلماء في وقت الحرب مسألة الطعام ، فأفسرت جهودهم عن كشف ألوان جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وكذلك عن تغيير كبير فيما يعرفه الناس عن القيمة الغذائية لبعض المواد . فهناك فواكه وخضروات تعود الى نضرتها حين كانت مزروعة في الأرض لذا هي غنست في سائل معين بنضج دقائق . وهناك أنواع من الطعام والبطيخ لا بذورها . وهناك طرائق جديدة في طهي اللحم وحفظه تريد من ليسته الغذائية فضلاً عما تكسبه من قوة جديدة . وهذه الجهود وأمثالها ستحدث في المستقبل ثورة في مائدة الطعام ، تريد من إقبال السيدة على عملها للقول ، وتريد من إقبال الرجل على بيته وزوجه



ولعل ما يصيب علم الطب من الارتقاء في وقت الحرب أكثر مما يسبب أى فرع آخر من فروع العلم . وقد تولى الطب في هذه السنين الحديثة إلى التخلص في داخل البيت من ضار الجور وما يحصل من جرائم الأمراض ، ولهذا لن نناقش الإنسانية في المستقبل ما عانت من الأوبئة الخطيرة التي تهدد العالم في أثناء الحروب وأعقابها . وسيتهد كل فرع من فروع الصحة العامة ألوفاً من الرق ، فهذا الطفل ينام في المستشفى وسط صندوق من الزجاج يحميه من كل ما قد يلوّث به الهواء من الجراثيم ، وفي الوقت ذاته يمكن للطبيب أن يراقبه مراقبة دقيقة وأن يجزه داخل صندوق وكل ما يلزمه من دواء أو علاج

هذه البذلة الأنيقة ليست مصنوعة من الصوف أو الحرير بل من نوع «مين» من الورق يستخذ منه أكثر ملابس المستقبل ، وهي لهذا بذلة رخيصة الثمن جداً ، وفي وسع الإنسان أن يلبسها بضعة أيام ثم يلقى بها . ولن تتكلف حياتها كثيراً ، لأن مثل هذه البذلة لن تصنع بالأيدي ، بل بالآلات الضخمة التي تنتج الآلاف منها في ساعات قليلة . وسيتشهد العالم تغييراً عظيماً في الملابس ، فلن نكون هناك ملابس لشتاء وأخرى للصيف ، بل يمكن أن « تسخن » الملابس العادية تدفئة للجسم في فصل الشتاء ، وقد بدى ، فلا في صناعة مثل هذه الملابس لطيارين ، فتسخن لهم بالكهرباء قبل صعودهم إلى طائرات الجو الباردة ، وكذلك مرف العالم في سببه الأخيرة أنواعاً من المنسوجات لتستخرج من القمح ومن البين ، وسوف يكون لهذا الكشف أثر كبير في خفض أسعار المنسوجات للطلقات الفقيرة



مكانة مصر في بناء تعاون عالمي *

للدكتور محمود عزمى

إن مصر مستعدة أن تسام في بناء تعاون على أوسع مساهمة . فهي بينها ،
ونخب تربتها ، وأخذها بالوسائل العلمية في التنظيم الزراعى ، لقادرة على أن
توسع من مساحتها المزرعة ، وهي بما في جوفها من معادن منتشرة في صيدها ،
وفي سينائها ، وبما في شمسها من قوة ، مستعدة أن تسام بإنتاجها الصناعى مساهمة
يزيد من قدرها عدم تعيدها بما تفرضه التقاليد الصناعية في البلاد الأخرى

إن نتائج الحرب لا تزال في عالم الغيب ، ومستقبل فيه بعيدة عن حظائر الحقائق ومبادئ
الجزم ، إلى أن تقف رحى الحرب بالفعل ، وإلى أن تقرر قواعد السلم بالواقع ، وإلى أن
تقف الرسمى وتقرر القواعد ، فلن يكون أمام الباحث غير أبواب الحدس يطررها ، ومنافذ
الافتراض يتلمسها ، ولن يكون حدسه وافتراضه الإضافين إلى معلومات ساعته التي
قد تجبه الحوادث المتداعية بمفاجآت تقضها وتقلب أقضيها رأسا على عقب

تأجيل هذه الحرب

ويلوح لى في دائرة هذه الحدود أو في حدود هذه الدائرة ، أن هناك لنتائج هذه الحرب
ثلاثة افتراضات : انتصارا حاسما للمحور . وتقابلا للمتحاربين بمصالحة في منتصف
الطريق . وانتصارا حاسما للأمم المتحدة . ومقضى على الافتراض الأول بأن يستبعد في
هذا البحث ، ذلك أن موضوع المحاضرة يستند إلى اعتبار جوهرى هو اعتبار التعاون الذى
يقوم كيان العالم بعد الحرب على أساسه . وأنا من الذين يعلمون أن المحور إن انتصر ،
فإنما ستفرض ألمانيا النظام على العالم كله فرضا . تصدر هى في سبيله الاوامر « سيدة »
وينفذها سائر الناس تبعاً لا رأى لهم ولا ارادة ، بل عييدا بعضهم تحت بعض درجات
ويبقى الافتراضان الآخران : افتراض تقابل المتحاربين للمصالحة في منتصف الطريق .
وافترض انتصار الأمم المتحدة . والتحقق جائز على كليهما

فمستر تشرشل تلوح فقرات من خطبته الاخيرة بأخذ الحرب على مرحلتين . مرحلة
تعصف فيها الامور مع ألمانيا ، ثم مرحلة تنفرغ فيها برتانيا العظمى وأميركا والصين

* خلاصة محاضرة ألييت في قاعة بورت التذكارية بالمطبعة الأميركية بالقاهرة

لليابان . وبعض الاشتراكيين من أعضاء البرلمان الانجليزى بتولاهم شيء من القلق ، فيتوجهون الى رئيس الوزارة بسؤال « لكى تطمنن قلوبهم » على استمرار التضامن مع روسيا حتى النصر المشترك النهائي الحاسم . واذاغات قد تكون عليها مسحة الايحاء ، تنشر فكرة اقضاء هتلر عن الحكم ، والتقدم بطلب صلح منفرد مع بريطانيا العظمى واميركا تفرغا لمقاتلة « البشقيين » أعداء الجنس البشرى جميعا ، كما تنشر اشاعة توميط ألمانيا نفسها بلغاريا في سبيل صلح منفرد مع روسيا ، تفرغا للقضاء على « البورجوازيين البرلمانيين » أعداء ألمانيا وروسيا على السواء . والرئيس روزفلت يحذر من الوقوع في أشراك تلك الاذاغات ، ويقرر أن وعدا من الاميركيين - قليلا لحسن الحظ - وضع مصلحته الشخصية فوق مصلحة الوطن .

وكل أولئك من القرائن على احتمال تحقيق الافتراض الثانى ، يقابلها من ناحية أخرى مجهود جبار تبذله روسيا في سبيل الانتاج الصناعى الحربى ، الى جانب ما يتجلى في أبنائها من بسالة وضحية ، وفي قوادها من عبقرية وفن وسعى حيث تشتط له اميركا وبريتانيا العظمى ، الى اعداد الهجوم وتوحيد القيادات في المغرب وفي الشرق الأقصى ، وقرار في مؤتمر « الدار البيضاء » بأن لا هدنة الا اذا استسلم المحور بلا شرط ولا قيد . وعلان مستر تشرشل في بيانه الاخير بمجلس العموم التصميم على المضي في الحرب الى النهاية ، وتأكيد الرئيس روزفلت في خطابه الى الشعب الاميركى منذ أيام العزم على القتال الى اليوم « الذى نسير فيه قوات الأمم المتحدة ظافرة في شوارع برلين وروما وطوكيو » وكل هذه من دلائل احتمال تحقق الافتراض الثالث

يجوز اذن أن يتحقق فرض من هذين الفرضين ، ويجوز اذن أن يحتمل بحثنا للحرب في ذاتها احدى نتيجتين منصلتين باعتبار التعاون الذى يقوم عليه كيان العالم بعد الحرب - مصالحة في منتصف الطريق ، أو نصرا حاسما للأمم المتحدة

الكيان العالمى . . إذا حدث صلح أو إذا انتصر الحلفاء

ترى - وهذا هو العنصر الثانى من عناصر البحث الاربعة - ترى ماذا سيكون الكيان العالمى المترتب على نتائج الحرب في كل حالة من هاتين الحالتين ؟
هنا أيضا نلجأ الى الحدس ، ولكنه هذه المرة حدس مستند الى وقائع من المواقف والاتجاهات . والواقع أنه منذ وقعت الحرب ، بل منذ انفرط عقد اجتماعات ميونيخ في سبتمبر سنة ١٩٣٨ ، اتجهت آراء السياسيين والمفكرين والصحفيين الى التفكير في معالجة الشؤون العالمية ، واقامتها على غير القواعد التى سادت العلاقات الدولية على أثر صلح فرساي وفي كنف عصبة الأمم ، ولم يكن لقيام الحرب واستمرارها وتقلبها الا أن دفعت هؤلاء السياسيين والمفكرين والصحفيين الى زيادة نشاطهم في سبيل التفكير والمعالجة . فزخرت المكتبات بالمؤلفات ، وعمرت الصحف بالمقالات ، ودوى في الاجتماعات .

بالتصريحات ، وصدرت عن المؤتمرات القرارات تم عن عميق البحث وديق التفكير ، وتكشف عن صحيح اليات وأكيد الرغبات . وانما أشير حين أذكر هذا كله الى ما أخرجته قرائع أساتذة الجامعات وعلماء الفكرين وكبار الصحفيين ورؤساء الدول والحكومات ، ولا أقصد طبعاً ما تخرجه الدعايات

فماذا تضمنته تلك المؤلفات والمقالات والتصريحات ، بل ماذا نستذكره نحن مما قرأنا من تلك المؤلفات والمقالات والتصريحات منفصلاً بموضوع هذا البحث ، وماذا نستخلص مما نستذكر اتجاهات في سبيل تكييف الكيان العالمي بعد الحرب في مؤلفات « كول » ، الأستاذ بجامعة أكسفورد ، والأستاذ « لاسكي » بجامعة لندن ، وكتب الاجتماعى العالمى « ويلز » عن « النظام الجديد » بعد الحرب ، تقرير بأن عهد « الغوميات » التى تمخضت عنها الحرب العالمية الأخيرة قد انقضى ، وأن نظرية « الاستقلال » قد بليت وأن مدرك الدول الصغرة قد انتهى دوره ، وأنه لن يكون هناك غير ما يسمونه « Super nations » . تسود الواحدة منها أمة كبيرة ، وتنظم الواحدة منها أمماً صغيرة . وانما بعد الحرب سيطلمع على العالم بقيام خمس من نوع هذه الدول الضخمة هن : الولايات المتحدة ، وجماعة الأمم البريطانية ، وألمانيا ، وروسيا ، واليابان . تنقسمن العالم وتواز عن مواده الأولية ، ولا تقوم دولة أخرى الا فى نطاق واحدة منهن . وراح الأستاذ « كول » فى هذا المضمار يطالع بعض التفصيل ، ويقول ان الدولة الألمانية العليا ينبغي أن تنتظم أوروبا الوسطى والبلقان ، وأن روسيا العليا يجب أن تنتظم جزءاً من الصين والهند مع ايران وأفغانستان ، وأن من شأن إنجلترا العليا أن تنتظم أوروبا الغربية ببلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال . ويقول الصحفي المساوى « أوسكار بول » فيما يقول فى كتابه القيم « مناجاة ما تحت الأرض فى أوروبا » ان الهوة أصبحت مسيجة بين عقليات حكومات الدول المحتلة القائمة فى لندن ، وعقليات أهل هذه الدول التى تفاعلت مع طرق حكم النازيين وارهائهم ، بحيث أضحت تطالب بالانتقام من ألمانيا انتقاماً لا يمكن أن يقف عند حد ، وبحيث أضحت تطالب بنظام للاجتماع أقرب الى الشيوعية منه الى النظام الذى كانوا يرضونه يوم كان أعضاء حكومات لندن يتولون أمورهم قبل الحرب

ويدعو الأستاذان « كول » و« لاسكي » والاجتماعى « ويلز » ، والصحفى « أوسكار بول » وسائر من يرضون فى كتاباتهم لمشاكل الاجتماع فيما بعد الحرب ، الى ضرورة التطور نحو اليسار وتقبل التعاليم الاشتراكية بحض الاحتيار ، قبل أن يجتاز العالم تيارها ، فتفرض عليها فرضاً . فيسارع الرئيس روزفلت فيعلن فى الناس « حرياته الأربع » ويدعو سائر الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة الى جعل هذه الحريات نبراسها الاول . ويظهر فى إنجلترا مشروع « بروج » لضمان « الامان الاجتماعى » للجميع ، فبعقب مجلس العموم على رأى الحكومة فيه مناقشة عنيفة تبين خلالها اختلاف النظر بين المحافظين والعمال ، والحاج المحافظين على تأمين تجارة الصادرات قبل تأمين جيع العمال . ويوقع

الرئيسان روزفلت وتشيرشل ميثاق الاطلنطي بضمنانه قواعد النظام الجديد لما بعد الحرب، ويدعوان الدول المتحالفة الى الانضمام اليه ، فقبل عليه ويبلغ عددها احدى وثلاثين غير الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى

ميثاق الاطلنطي

ويقع في يدنا منذ ثلاثة ايام ايضا النص الكامل لخطاب المستر « سمنر ويلز » وكيل وزارة خارجية الولايات المتحدة واقرب رجال هذه الوزارة الى الرئيس روزفلت في الواقع ، الفاء في نيويورك المناسبة لافتاح ماسموه « شهر الامم المتحدة » وعرض فيه لميثاق الاطلنطي هذا قصد ايضاحه لمن يجدون فيه شيئا من الغموض فقال فيما قال : ان المادة الثامنة من الميثاق قد أكدت للناس « انه في دنيا المستقبل ستحافظ الامم المحبة للسلم على السلام ، كما ينظم القانون المهيمن على كل جماعة بشرية قوة بوليسية للمحافظة على النظام . ولقد اشترط بجلال » ، انه ما دام لا يمكن الاحتفاظ بالسلم في المستقبل اذا ظلت الامم التي تهدد أو يمكن أن تهدد بالعدوان خارج تخومها ، تستخدم السلاح على الارض وفي الجو والبحر ، فان الدول الموقعة على الميثاق تعتقد بنية الاستقرار لنظام سلامة دولية يسي على أسس اوسع وأدوم ، أنه من الضروري أن يترع سلاح مثل تلك الامم »

ومضى مستر سمنر ويلز يقول : « وفي المادتين الثانية والثالثة من الميثاق اوضحت الاسس الضرورية للمحافظة على الحرية الشخصية والديمقراطية في المجتمع الدولي . لقد اعطى التاكيد بأن الامم المتحدة ترغب أن لا ترى تغييرات اقلية لا تتفق والرغبات التي عرت عنها بحرية الشعوب ذات الشأن ، وانها تحترم حق كل الشعوب في اخبار شكل الحكومة التي ستعيش هذه الشعوب في ظلها ، وانها ترغب في أن ترى حقوق السيادة ، والحكم الذاتي وقد اعيدت لتلك الشعوب التي حرمت منها بالقوة » ثم راح يضيف « وفي المادتين الرابعة والخامسة اعطيت شعوب العالم العهد بأن الامم المتحدة ستؤيد تمتع كل الدول بحق الوصلة على قدم المساواة لتجارة العالم ومواده الاولية التي تحتاج اليها لرخائها الاقتصادي ، وذلك قصد أن يضمن للجميع مستويات عمل محسنة مع التقدم الاقتصادي والامن الاجتماعي . واخيرا فان شعوب الارض قد اعطيت الوعد العظيم بأن السلم الذي سيشترط على هذه الحرب ، سيضمن أن يعيش الناس في كل بقاع الارض اعمارهم ابرياء من الخوف ومن العوز »

وهنا يقب وكيل الخارجية الاميركية بقوله : « ولكن المبادئ والاهداف تبقى لسوء الحظ كلمات وآمالا نبيلة ما لم تترجم الى حقائق . وهذه الترجمة الى الحقيقة الواقعة هي أشق مراحل الواجب أمانا . ومنذ ٢٥ عاما وضعنا كذلك نصب أعيننا صورة عقلية لعالم حر يسوده السلام والعدل واللياقة الدولية . ولكن لان هذه الصورة العقلية التي هدفت

اليها البشرية قرابة نهاية الحرب الماضية لم ترجع الى الحقيقة ، فان العالم اليوم ينصهر في هذا السعير الأكبر .

ويهبط الهابطون من سماء هذه الآمال الى أرض الواقع ، فيعلن مستر تشرنشل في مجلس العموم يوما أنه لم يتول الحكم ليصفى الامبراطورية . ولللفظ الامبراطورية الآن عند الانجليز معنى غير الذي كان يقصد به منذ خمسين أو ثلاثين سنة ، اذ يعبر به في الاصطلاح الحديث عن المستعمرات وحدها دون الدومنيون ، ويذيع وزير الدولة في الشرق الاوسط منذ أيام ، فيذكر المستعمرات بلفظها الصحيح ، ويقول : ان بريطانيا العظمى تسير بها على سنة التدرج . ويضيف ان بعضها عبء مالى على ميزانية الدولة البريطانية . وينشر أول أمس ان وزارة الانتاج البريطانية أصدرت بلاغا قالت فيه : ان مكتبا اميركا بريطانيا مشتركا يدير مسألة المواد الأولية في شمال افريقيا لترسل منها الفسفات والحديد الخام الى الجهات التى تكون فى حاجة اليها ، ولتخصص المواد الاخرى كالمنجيز والنحاس للولايات المتحدة . ويذكر قراء هذا البلاغ ان اميركا لا تحتل شمال افريقيا وحدها بل غربها واقليم الكنفو وايرتريا أيضا

ثم ينهض متالين من ناحيته ، فيعلن أنه لا يريد سوما بالشعب الالمانى ، اذ هو صديق جميع الشعوب كشعب ، وهو ينظر اليها كلها على قدم المساواة ، ولا يعترف لبعضها باعتراف على البعض الآخر . ويؤمن على قوله وزير خارجية الصين لمناسبة اعلان الاتفاق بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على الغاء الامتيازات الأجنبية في بلاده بعد الحرب ، فيصرح بأن روسيا الحديثة كانت هى أولى الدول التى ألغت امتيازاتها هناك ، وانها ألغت هذه الامتيازات من تلقاء نفسها دون مطالبة الصين بها ، لانها نزلت بذلك عند مبدأ من مبادئ نظامها

ترى بعد هذا كله وعلى ضوء هذا كله ، ماذا يكون حسنا للكيان العالمى المترتب على نتائج الحرب في كل حالة من حالتى المصالحة في منتصف الطريق والنصر الحاسم للأمم المتحدة

أغلب الظن عندنا أن حالة المصالحة في منتصف الطريق ستعود بالعالم الى نظامه الدولى التقليدى ، نظام الدول العظمى الخمس ، ونظام التوازن بين هذه الدول العظمى الخمس . تكون الولايات المتحدة وجماعة الأمم البريطانية وألمانيا وروسيا واليابان هى تلك الدول ، وتكون لكل واحدة منهن مناطق نفوذ . ويكون المحيط الهادى منطقة النفوذ اليابانى ، والصين قسمة في النفوذ بين اليابان وروسيا ، وهما لم تتحاربا في النزاع القائم ، ويران وافغانستان منطقتى نفوذ روسى في الشرق ، وبيلغاريا ورومانيا في البلقان ودول البلطيق جمهوريات داخل الاتحاد السوفيتى . وأوروبا الوسطى كلها منطقة نفوذ ألماني تبعتها بلجيكا والازراس ، وتكون افريقيا منطقة نفوذ بريطانى اميركى ، كما تكون سائر بلاد العربية في آسيا مع تقاهم بين الجميع على توزيع المواد الأولية . وتبقى كل من اليابان وروسيا

والمانيا يعزل عن الآخرين . وتظل روسيا قلقة من ناحية اليابان ، واليابان قلقة من ناحية روسيا ، وتغضى روسيا حذرة من ألمانيا ، وألمانيا حذرة من روسيا ، وتحكم الاواصر بين الدولتين الانجلوسكسونيتين ، وقد اقربت ثانيتهما من الاولى من حيث النظر الى الاستعمار الدولي . فعدلت الولايات المتحدة عن موقفها التقليدي ، وهو موقف الانقصار على ضمان الاسواق لمنتجاتها الصناعية ، واخذت بسياسة بريطانيا العظمى المقررة ، وهي سياسة الاستيلاء على اماكن المواد الأولية وتناولها بالحكم . وأما فرنسا واسبانيا فتذهبان بين ظروف الضغط من جانب ألمانيا ، وضروريات الحاجة الى الانجلوسكسونيين . وينجم عن ذلك كله أن الحالة لا تكون حالة استقرار ، بل تكون حالة تاهب لحرب طاحنة جديدة . أما حالة النصر الحاسم للامم المتحدة ، فيذهب حدسنا المستند الى ما قدما من وقائع ، الى أن كيان العالم الذي ينشأ عنها سيكون مقلدا الى نظام ولايات متحدة عظمى ، تتم كل واحدة منها بهئتها الداخلي ، وتضع نشاطها الخارجى راضية الى اعتبار التضامن مع سائر الولايات ، مساعدة بذلك في هاء البشرية ورخائها جميعا ، ومنظمة علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية مع الغير عن طريق مؤسسة عالمية تمثل فيها شعوب الارض كافة ، وتترك للشعوب حرية اختيار الجماعات التي تود لمصلحتها ولهنا الانسانية أن تحكم اواصر تلك العلاقات معها

وبينما تكون الانظمة السياسية والاجتماعية في حالة المصالحة في منتصف الطريق على تباينها الحاضر . ديموقراطية عند الانجلوسكسونيين ، بروسية في ألمانيا ، شيوعية في روسيا ، يابانية في اليابان ، فان الاشتراكية هي التي يظل أن تتم العالم في حالة النصر الحاسم للامم المتحدة

ذلك أن الحالة الاولى ستكون ان هي وقعت نتيجة مزدوجة لرغبة الالمان في ألا تحل بهم كارثة الانهيار العسكري من ناحية ، ولتخوف المحافظين البريطانيين والاميركيين من فتك جرمومة البلشفية بأوروبا كلها عن طريق دخول الجيوش الروسية في الاراضي الالمانية من ناحية ثانية . أما الحالة الاخرى فستكون نتيجة لاتصارات هذه الجيوش الروسية وجرفها التيار الاجتماعي في العالم الى اليسار ، وهو تيار يتضخم كل يوم باعتبارات الاعجاب ببطولة الروس ومثانة الطريق التي يسرون عليها

منزلة مصر من الكيان العالمي

ونصل الآن الى العنصر الثالث من عناصر البحث ، اذ نعرض لمنزلة مصر من الكيان العالمي الذي يترب على نتائج الحرب . فما هي مصر ؟ والام تطمح في العالم الدولي ؟ وما تفاعلها وتفاعل مطامعها مع كيان العالم في كل من الحالتين اللتين ينتجما عن نتيجة الحرب ؟

أما مصر فهي هذه الدولة النبلية المطلة على البحر المتوسط وعلى البحر الاحمر . للمتوسطة

بلاداً تتفق وإياها في اعتبارات اللغة والدين الغالب والاجتماع المتفاعل خلال التاريخ ،
وهي الى هذا ملتقى قارات ثلاث ، وواسطة عقد ما يصطلح على تسميته الشرق والغرب
وهي على قدمها بالحضارة ، حديثة عهد بالتقدم المصري ، زراعية توافقة الى الصيرورة
الصناعية . ثقافتها خليط بين تراث الماضي وقشور الحاضر ، مظاهرها متراوحة بين الدينية
الرسمية والمدنية الواقعية ، فيها جامعتان أخذت أنظمتها عن أوسع الانظمة الجامعية في
العالم ، وفيها أمة متفتحة عاتلة . بعض أفرادها تبلغ ثروتهم درجة كبيرة ، وكررتها
الساحقة تجر أذيال الفاقة والحرمان . هي مستقلة ، واستقلالها مقيد بأثقل أنواع القيود .
مرتبطة ببريطانيا العظمى بمعاهدة تحرص عليها وتطالب بتعديلها ، وتلتزم لنفسها مساواة
مع سائر الدول غير المقيدة . تحلم بتزعم اخوات وشقيقات ، ولا تكلف نفسها مؤونة
تعرف حالات هذه الاخوات والشقيقات عل وجهها الصحيح . تقدم لهن بالماونة ،
ولا تعرف نوع الماونة المجدية بذلها ، ومحل السخرية عند الشقيقات قبض يدعها عنها ،
بل لا تسأل نفسها هل هذه الشقيقات راضيات بتزعمها أو هن في الحقيقة منه نافرات
مزيج عجب من المتناقضات في الكينونة ، والرغبة في الصيرورة ، لعل أحسن ما يصوره
موقفها من الحرب القائمة والصالح المنتظر ، محايدة قاطمة علاقاتها بدول أحد الطرفين
المتحاربين ، محالفة غير ذات علاقات بكبرى حلفيات الحليفة ، غير محاربة متقبلة في أراضيها
جيوش المتحاربين ، بل هي ميدان قتال فعلی ومحل غارات مستمرة . تريد تجنب نفسها
ويلاات الحرب ، وتريد أن يكون لها نصيب من منافع الحرب . تطالب بمفعمد في مؤتمر
الصالح ، فبراد أن تكفي بأخذ حين تتناول المفاوضات مسائل تتصل بها وتتصل بها مباشرة
هذه هي مصر ، وتلك هي مطالعها ، فإين تنزل بها في الحظيرة الدولية المترتبة على
تأثير الحرب القائمة

أما اذا كانت الحظيرة هي حظيرة المصالح في منتصف الطريق ، فسيكون مكان مصر
فيها داخل الدائرة المرننة ، التي تشمل مناطق النفوذ البريطاني المرتبطة بنوع من الرباط
مع مناطق النفوذ الأمريكي ، بحكم ما يقوم بين الوجدتين الكبيرتين البريطانية والأمريكية
من وثيق العلاقات . وأغلب الظن عندى أنه لن يكون لمصر في تلك الحالة نصيب وافر في
الشؤون العربية ، فأمريكا القوية ستكون صاحبة الكلمة في بلاد المغرب ، ما عدا طرابلس
التي ستكون مرتبطة بمعاهدة تحالف وصداقة مع بريطانيا العظمى القوية ، كما سنستمر
مصر وسنمر العراق ، وكما ستكون بلاد الشام مع فرنسا أو مع إنجلترا . وطبعي
الآ يود بل ألا يفكر القوى أن يكون اتصاله بمناطق نفوذه عن طريق الغير . وطبعي
الآ يرضى القوى تكتل مناطق نفوذه حتى لا تكون وحدة تقدر يوماً ما من الأيام على
الافلات من قبضة يده . أما فلسطين فتظل قايمة في حدود « الكتاب الأبيض » وتسع وتضيق
تحت ضغط الحوادث المحلية ، وبالتفاهم بين الدولتين الكبيرتين بريطانيا العظمى وأمريكا ،
وستحلان بالنسبة لها محل عصبة الأمم وعهدى انتدابها . وبعد في الأفق ما كان قد ذكر

على أنسنة الرجال الرسميين حين كانت حاجتهم ماسة الى ذكره من وحدة عربية أو اتحاد عربي . ويكتفى بقيام اتفاقات جبركية وتجارية ، ومعاونات ثقافية بين الدول العربية وقد يكون هناك تعديل في بعض نصوص المعاهدة المصرية الانجليزية ، وقد يصل الى تحرير جلاء الجنود البريطانيين عن الاراضي المصرية وقت السلم ، وتقبلها فيها أيام الحرب وعند خطر الحرب ، أو عند مجرد خشية الحرب والرغبة في الاستعداد بمقاومة طوارئ الحرب ، أو ما الى ذلك مما يجيد الجبراء التفتن في صيغته وعباراته ، كما قد يصل الى البت في أمر السودان واستقرار نوع علاقاته بمصر ، وعلاقة مصر بالنيل كله وبحيراته كلها ، لكن مع بقاء مصر دائما في حظيرة العلاقات البريطانية ، وعن طريق معاهدات مصرية انجليزية ، وخضوع النشاط الدولي المصري لاعتبارات هذه المعاهدات .

أما اذا كانت النتيجة المترتبة على الحرب هي حالة النصر الحاسم للأمم المتحدة ، فاحسب أن النظرة الى الاحداث ستكون غير النظرة ، وأن جو المفاوضات سيكون غير الجوى ، واعتبارات البشرية غير الاعتبارات ، وكرامة الانسان غير الكرامة ، ومساواة الأمم غير المساواة ، وطبيعة العلاقات بين الدول غير الطبيعة .

وأغلب الظن عندئذ أن مصر في هذه الحالة لن تكون بمعزل عن التيارات العالمية ، ولن تحرم من أن يكون لها صوتها في تكييف الدنيا الجديدة ، ومن أن تكون لها مكانتها في بناء العالم بعد الحرب .

نصيب مصر من تدعيم النظام العالمي الجديد

ولكن ما نصيب مصر من تدعيم النظام العالمي الجديد ، وكيف تساهم مصر في التعاون المنشود بعد الحرب ؟

لكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نستحضر في أذهاننا أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية ستقدم العوامل السياسية ، وأنها هي التي سترضخ لها اعتبارات التعاون في العالم الجديد جميعا . ويجب أن نستحضر أن العوامل الاقتصادية في العالم الجديد ستتصل على الغالب بأزمات الانتاج ، وأن العوامل الاجتماعية ستتصل على الغالب أيضا بأزمات التوزيع ، وبعبارة أخرى ان العالم من الناحية الاقتصادية سيظل في مرحلة الانتاج الاولى ، في حين أن المشاكل الاجتماعية ستراجع الى مستوى الفرد المتضامن تضامنا اكيدا مع عدالة طرائق موارد الهناء ووسائل التعميم . وإذا كان التوزيع على النحو الذي تقدمه يمكن تصوره تصورا محليا ، فإن الانتاج على الاعتبار الذي نذكره لا يمكن الا أن يكون عالميا بفضل التحويل وبفضل النقل الى أمكنة التحويل . بل ان للتوزيع نفسه اعتبارا عالميا ، اذ ههنا الفرد سيتصل بقدرته على الانتاج من حيث الصحة ، ومن حيث المعرفة ، ومن حيث الاطمئنان في حالات المرض والعجز عن العمل .

وان مصر مستطاعة أن تساهم في ذلك كله أوسع مساهمة ، فهي ينيلها وخصب ثورتها

وأخذها بالوسائل العلمية في التنظيم الزراعي ، لقادرة على أن توسع من مساحتها المنزرعة وأن تزيد من غلة وحداتها الزراعية ، وتقلل من مجهود عمالها الزراعيين ، وأن تقيم إلى جانب انتاجها الزراعي انتاجا صناعيا زراعيا لا تقل قيمة مساهمتها به عن قيمة مساهمتها بالانتاج الزراعي البحت . وهي بما في جوفها من معادن منتشرة في صعيدا وفي سينائها وبما في شمسها من قوة لمستطاعة أن تساهم بانتاجها الصناعي مساهمة يزيد من قدرها عدم تقيدها بما تفرضه التقاليد الصناعية في البلاد الصناعية من عوائق كثيرا ما تحول دون التجارب الجزئية التي قد تترتب على نجاحها ففقر بالانتاج الصناعي وبنظام الحياة الاجتماعية كلية . وهي بموقعها الجغرافي لمستطاعة أن تساهم في تداول المنتجات بما تقيمه في بعض جوانبها من مناطق حرة تنزل فيها البضائع ، وتوجه منها إلى أواسط أفريقيا وإلى بلاد الشرق في آسيا وإلى جنوب أوروبا ، وكذلك تستطيع بما تمهد من مهابط أن تكون محطة جوية عالية تلقى فيها طائرات أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا نفسها أيضا . وإنها لتستطيع بقتاتها أن تساهم مساهمة عالية في تقصير المسافات وتأمين النقل البحري وانقاص تكاليفه بين مختلف القارات . وكذلك بما تستطيع أن تنشئه من شبكة طرق داخلية تربط غرب افريقيا وجنوبها بغرب آسيا ، وشرق أوروبا وجنوبها

وهي بحكم منزلتها في البلاد العربية لقادرة على أن تعاون العالم عن طريق أخذ هذه البلاد عنها ما تحدث من اتجاهات وتخرج من تعاليم ، أو ما تقتبس عن الغير من هذه وتلك في ميادين الثقافة والتشريع والإصلاح الاجتماعي ، بل إن منزلتها هذه لتمتد من بلاد العربية الخالصة إلى بلاد وجهات أخرى تصل بها اتصالا روحيا عن طريق أزهرها في البلاد الإسلامية والجماعات الإسلامية ، وعن طريق كتبستها في بلاد الحبشة وما إليها . وإن مصر لمستطاعة أن تساهم في هتاة العالم - والعلاقة بين بعض أجزائه وبعضها الآخر قد أصبحت هي علاقة الأوائى المتصلة - تستطيع مصر أن تساهم في هتاة العالم بما ترفع عن أبنائها أنفسهم من غشاة الأمية والجهل ومصائب الجوع والفقر وويلات المرض والموت المبكر . بل إنها لتستطيع أن تزيد من دائرة مساهمتها في هذا المضمار الصحي والثقافي والاجتماعي بما يكون لها من بعثات إلى أواسط أفريقيا وشرقها ، وإلى شبه جزيرة العرب وسائر البلاد العربية جينا

بهذا وبمثله تستطيع مصر أن تساهم في حقن العالمية الجديدة بعد الحرب . وقد يختلف حظها من المساهمة باختلاف الحالة التي تترتب على نتائج الحرب ، فإذا كانت هي حالة المصالحة في منتصف الطريق فسيكون هذا الحفظ مقصورا بحكم الظروف على التعاون المحدود في دائرة علاقاتها بالدولتين البريطانية والأميركية ، وسيكون هذا الحفظ وفيرا في حالة النصر الحاسم للحلفاء ، إذ سيكون التعاون فيها عالميا حقا

محمد هزيمى

رأى انجليزى فى اقصه المصريه

للكاتب الانجليزى كولين بالى

مشكلة اللغة

يؤدى بحث الادب العربى الحديث ، بقلم رجل اتخذ من الادب الانجليزى مادة تفكيره وأساس تقديره ، الى كثير من المزايا . فان أول ما يصادفنى ويلفتنى فى هذا الادب الحديث ، ما يحبط به من الجلو ، الكلاسيكى ، الذى لا يكاد يلتفت اليه القارئ المصرى ، وقد ألف ما فى هذا الجلو من أدوات وأساليب ، فيمر بها دون أن تسترعى نظره وتستدعى انتباهه . أما القارئ الانجليزى فخلق بأن يلحظها ويقتبها ، اذ تبدو اليه غير مألوفة ، بل قد تترامى له غريبة شاذة

وأنا أشير بهذا الى مسألة اللغة . فان مما يدهش الرجل الانجليزى الى حد بعيد أن يجد الشعوب التى تتكلم اللغة العربية تعنى بأمر اللغة عنايه مسرفة . فنقد كتاب حديث فى انجلترا ينصب على ما فيه من آراء فلسفيه ، أو ما فيه من حقائق نفسية ، أو على طريقة تكوينه وتأليفه ، ولن تجد هذا النقد دائرا على لغة الكتاب الا فى الدوائر التى تعنى بأمر اللغة فى ذاتها . أما فى مصر وفى جميع دوائرها المثقفة فان أفسى ما يوجه من نقد أى كتاب ، وأبلغ ما يقال فى تقييده ، يقوم على مدى ما فى لغة هذا الكتاب من « الصحة » و « البلاغة »

والقارئ والنقاد الاجنيان خليفان بأن يريا ما فى هذا من خطأ ومن خطر . فأنى وان كنت أوافق على ما يقال فى صدد الدفاع عن « اللغة الفصحى » من انها ضرورة من ضرورات الوحدة الاسلاميه ، الا اننى أَسْأَلُ : كم من المصريين يعارض « اللغة العامية » حرصا على هذه الوحدة الاسلاميه ؟ اليس من الحق أن يقال ان مرجع هذه المعارضة فى أغلب أمرها الى رغبة قوية فى الحفاظ على التقاليد ، وفى انكار كل تجديد وتغيير ؟

ان اللغة ليست جمادا ساكنا ، بل هى حى نام ، فيجب ان يلائم بينها وبين ضرورات التعبير التى تتغير بتغير العصور والبيئات . وأظن انه ما من أحد يريد ان يكون الاسلوب السائد فى الادب هو أسلوب المجلات الشعبية المبذلة ، ولكن الاسراف فى التمسك بالأساليب اللغويه العتيقة سيؤدى حتما الى تطلب هذا الاسلوب المبذل النابى . ذلك أن التعليم فى مصر لم يعد امتيازًا تحكره الطبقة الغنية التى يتوافر لها كثير من وقت الفراغ ، بل أخذ يشمر جميع الطبقات حتى غدا المتعلم المصرى الحديث هو هذا الفرد الذى لا يجد

من شواغله فراغا طويلا يعنى فيه بأمر الدقة والفصاحة فى مفردات اللغة وتراكيبها . فاذا لم تستطع ان تعد هذا التعلم بغذاء أدبى يجمع بين الجودة والسهولة ، فلا بد انه سينصرف الى تلك المجلات الشعبية المتذلة ، مدخرا تفكيره الجدى لينفقه فى نواح غير ناحية الادب ومن الخطأ أن يظن أن تفسير اللغة الحديثة سيؤدى الى أن تفقد الآداب القديمة قيمتها ، فان « تشوسر » ما زال نبعاً فياضاً من ينابيع الوحي فى الادب الانجليزى ، مع أنه يشق على الانجليزى العادى أن يقرأ ويفهمه

ونعمة سبب آخر آراء من أسباب مقاومة اللغة العامية ، وهو ما أميل الى تسميته « بالاحياء القوطى » . وقد كان هذا الروح سائداً فى انجلترا فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، وكان أبرز مظاهره تبدو فى فن العمارة ، وقد بدا كذلك فى فن الادب . وكان فى كلا الفنين عائقاً فى طريق التعبير الفنى الحر ، الذى يلائم روح العصر والبيئة . فكانت بيوت الريف تقام على هيئة الكنائس ، وكانت الكتب تفضأ على غرار من الكتابة لم يعرف من قبل ، ولم يكن لهذا من أثر سوى موت هذه الآثار التى تكلف منشئوها أن يكسبوها ثوب القدم . فاذا نظرت اليوم الى مؤلفات « شارل لابل » لوجدت ماذا نقرأ منها وماذا تترك : « فصول اليا » التى كتبت بلغة سهلة سلسلة ، أم درامته الشعرية القوطية « جون ودفيل » التى تصمد أن يشغلها بالالفاظ والتراكيب العنيفة ؟

وقد ظهر فى مصر هذا « الروح القوطى » فى فن العمارة . فاذهب الى طريق الاهرام تر تلك « الفيلات » التى أنشئت على طراز المعابد المصرية القديمة . أو انظر الى تلك العمارات « المراكشية » القائمة أمام فندق « شبرد » تبين هذا الاتجاه الى اتخاذ الاساليب القديمة بدون داع سوى إثارة الأشياء القديمة ولو كانت زائفة لا تجدى

وهذا الروح فى فن الادب هو العامل القوي فى مقاومة اللغة العامية فى الوقت الحاضر . فمن الشائع أن يقال عن الدكتور طه حسين يك انه « كلاسيكى » ، ولكن اليس الاذى الى الصواب أن يقال عنه انه « قوطى » ؟ فمع أن من واجب الاجنبى أن يتكلم فى أمر الاسلوب بحذر ونهييب ، الا أننى أزعج أنى وجدت فى « دعاء الكروان » ، مثلاً أن الكاتب يستخدم الاساليب والنماذج « الكلاسيكية » لذاتها ، لا لما تعبر عنه من أثر حقيقى ، وهذا هو ما أعنيه حين أتكلم عن « الروح القوطى »

وأرى أن من العدل أن يقال ان هذا الاستغراق فى أحضان الماضى ضعف وخطأ ، فمع أن جذور الحركة الادبية الحديثة فى مصر نبتت من الماضى ، الا أن الشجرة لا تفقد جمالها وقيمتها لأن جذورها غنبتة تحت الترى

وهذا رأى يصحح على الاخص فى هذه المحاولات التى تبذل للالباس « القصة » المصرية ثوباً قديماً . فان هذا دليل واضح على هذا الروح الذى يؤثر القديم لقدمه فحسب ، اذا ذكرنا أن عصور الادب العربى القديم لم تتج فى « القصة » فكيف نصنع القصة الحديثة بصيغة قديمة ؟

عوامل ضعف القصة المصرية

وقد حفلت الصحف المصرية ببحث طويل في مسألة القصة المصرية. وكانت ثمة كمية من النقد في الواقع أكثر مما هناك من « المادة » التي يدور عليها النقد . على أنه لم يكن من ذلك بد ، إذ كان أكثر هذا النقد يدور حول عدم وجود القصة المصرية ويتلمس الأسباب التي أدت الى ذلك

ويمكن ان تلخص الاسباب التي قيلت في عدم قيام القصة المصرية فيما يلي :

١ - السبب النفسي : وهو القول بأنه ليس في مصر مجال للمواقف التي يقوم عليها موضوع القصة . وقد قال بذلك الدكتور هيكل باشا الذي أكد أن الطائفة القائمة الآن في المجتمع المصري بين الجنتين من شأنها أن تحل اللذات الجسدية محل اللذات العاطفية . على أن هذا القول قد غدا الآن أقل صحة مما كان حين كتب الدكتور هيكل باشا قصة « زينب »

٢ - السبب الاجتماعي : وهو القول بأن مركز المرأة المصرية بعد عائقا في سبيل قيام القصة الصحيحة . والقاتلون بذلك يقيمون رأيهم على أن المرأة قد لعبت دورا كبيرا في آداب الغرب ، وفروجها في مصر من حظيرة الحياة الاجتماعية لا بد وأن ينعكس من قوة الإنتاج الأدبي ، ولكنني أرى أن هذا الرأي وإن استحق كثيرا من التقدير إلا أننا يجب ألا نعدّه عاملا حاسما . فإن تأثير المرأة في الأدب الغربي لم يكن على الدوام تأثيرا طيبا ، كما أنه على كل حال تأثير جانح في عمقه ومداه . هذا الى أن هذا العامل يفقد الآن قوته شيئا فشيئا ، لأن هناك من العوامل الاجتماعية ما هو أهم وأقوى من المرأة

٣ - السبب الاقتصادي : فإن قلة عدد الجمهور القارئ من شأنها أن تثبط الكاتب الذي يريد أن يكرس نفسه للكتابة ويعتمد في حياته على شق قلمه . ولكنني أرى هنا أن عامل « اللغة » عظيم الأهمية ، فإن الجمهور الذي يستطيع أن يقرأ كتابا سهل اللغة بسيط الأسلوب ، جمهور كبير يمكن الاعتماد عليه

٤ - السبب السياسي : فإن استغراق الكاتب في ميدان السياسة أدى الى ضعف إنتاجهم الأدبي ضعفا نسبيا . فالكاتب الذي يملك ما يؤهله لان يكون قصصيا يرى أن الكتابة القصصية لن تجديه ، من المال والجاه ، مثل ما تجديه الصحافة السياسية على أنه أرى أن الباحثين أغفلوا عاملا أحسبه أهم العوامل في ضعف القصة المصرية ، وأعني أن جزما كبيرا من الجمهور القارئ ، أو الجمهور الذي يمكن حمله على القراءة ، يحيا حياة « مزدحمة » لا تترك له فراغا طويلا لقراءة « الرواية » وتحمله مكرها على أن يؤثر عليها المقال القصير والقصة الصغيرة . والواقع أن « الرواية » نشأت في إنجلترا على

هذا المقعد المريح الى جانب المدفأة الجميلة ، حيث يقضى الرجل الانجليزى والمرأة الانجليزية شطرا طويلا من يومهما ، فيتيسر لهما أن يفرغا لقراءة الرواية الطويلة

نظرة فى بعض القصص المصرية

انتقل بعد عرض هذه الاسباب الى كلمة وجيزة عن بعض القصص المصرية الحديثة وأول ما أذكر فى هذا الصدد قصة « زيف » للدكتور هيكل باشا ، لأنها أسبق القصص المصرية فى تاريخ ظهورها . ولا شك أن ليس من العدل توجيه نقد قاس الى أول تجربة فى هذا الفن الجديد . ولكن فى وسع المرء أن يقول ان نقطة الضعف فى الكتاب هى الموضوع الذى يتناوله وليست القصة التى يرويها . ومع أنه يوجه عنايته الى مناظر القصة ، الا أن القارئ يشعر أنه يصف الريف المصرى فحسب ، دون أن يجهد فى تفسيره وتعليقه . هذا الى أن القصة ينقصها البحث السيكولوجى العميق

وقد استطاع المازنى أن يكون أكثر تمكنا من شخصيات قصصه ، ولكن قصته « ابراهيم الكاتب » قصة غريبة فى جوها ، رغم ان المازنى يقول ان القصة المصرية يجب أن تكون مصرية فى روحها وتكوينها ، ولهذا فان قصته هذه رغم براعتها وجودتها وفكاعتها ، يجب أن يقال انها قد فشلت كقصة مصرية

والدكتور طه حسين شخصية كبيرة فى كثير من ميادين الكتابة ، ولكنى أعلن أنه لم يكن موفقا فى فن الرواية . ومن الغريب أنه كاد أن ينشئ رواية ناجحة كاملة بكتابه « الايام » مع أنه ليس قصة بل ترجمة لشطرنج حياته ، وقد كان أسلوبه السلس الواضح ملائما كل الملائمة لموضوع الكتاب . أما أعماله القصصية الأخرى فبدوى أنها قد أخفقت ، وذلك لما يوليه من العناية الفائقة للغة فى ذاتها . أما قصته « الحب الضائع » فتبدو فيها آثار قوية للثقافة الفرنسية ، ولهذا يصح أن ينطبق عليها ما قلته عن قصة « ابراهيم الكاتب » من انها ليست رواية مصرية . ويمكن أن يقال ان عمله الاساسى فى هذا الميدان الادبى هو قصته المصرية « دعاء الكروان » ، ولكن فى هذه القصة قوم مشكلة الاسلوب ، ويتبدى هذا « الروح القوطى » الذى أشرت اليه ، مما يؤدى به الى شيء من الزخرف الذى كان فى وسعه أن يتجنبه ويتفاداه . فما من فتاة بدوية تصف حياتها بتلك اللغة المنقطة قارن بين ما جاء فى « الايام » من حديث عن شعور الفنى الريفى الذى هبط المدينة الكبيرة حين يقول المؤلف : « فهو يسكن بيتا غريبا يسلك اليه طريقا غريبة أيضا . ينحرف اليها نحو اليمين اذا عاد من الأزهر ، فيدخل من باب يفتح أثناء النهار ويغلق فى الليل ، وتفتح فى وسطه فجوة ضيقة بعد أن يصل العشاء . فإذا تجاوز هذا الباب أحس عن يمينه حرا خفيفا يبلغ صفحة وجهه اليمنى ودخانا خفيفا يداعب خياشيمه ، وأحس من شماله صوتا غريبا يبلغ سمعه ويثير فى نفسه شيئا من العجب . وقد ظل أياما يسمع هذا الصوت اذا عاد من الأزهر مصحبا واذا عاد ممسبا وينكره ويستحيى أن يسأل عنه »

قارن هذا بشعور الفتاة البدوية حين تهبط المدينة في « دعاء الكروان » اذ يقول الكاتب:
« والخطوب تنقل بهن من قرية الى قرية ومن ضيعة الى ضيعة ، يلقين بعض اللين هنا
ويلقين بعض الشدة هناك ، ولا تستقر بهن الارض في أى حال حتى يتنهين الى المدينة
الواسعة ذات الاطراف البعيدة والسكان الكثيرين ، والتي تشقها الطريق الحديدية نصفين،
وعيشى فيها هذا الشيء المروع المخيف الغريب الذى يبعث فى الجوارح شررا ونارا وصونا
ضخما عريضا وصفيرا عاليا نجيفا ، والذى يسمونه القطار الذى يركبه الناس يستنيون
به على أسفارهم كما يستعين أهل البادية والريف بالابل حينا ، وبالحمير حينا آخر »

يمكن أن يقال ان أجنيا مثلئ يؤثر الأسلوب السهل البسيط لانه أيسر عليه فهما ، وقد
يكون هذا صحيحا ، ولكن مع هذا أرى ان مقارنة هاتين القطعتين احدهما بالأخرى دليل
واضح على أن طه حسين شديد العناية بأسلوبه ، يسرف فى تميقة وتجويده . وهنا أعود
الى ما سبق أن قلته وهو أن الجمهور القارئ الذى يزداد عدده يوما فيوما لا يتيسر له
من الوقت ما يخصه لفهم هذه الأساليب التى يجد فيها صعوبة وعسرا

وأخيرا أصل الى « توفيق الحكيم » الذى أراه الكاتب الوحيد الذى بلغ الدرجة المرضية
كل الرضى فى فن القصة فى مصر ، وان كان قد أخفق فى قصته الحديثة « حمار الحكيم »
التي لا تزيد عن أن تكون سلسلة من الفصول والصور الممتعة لا يربط بعضها ببعض
سوى وحدة « الراوى » فيها

أما قصة « يوميات نائب فى الأرياف » فهى صورة دقيقة للحياة الريفية وما فيها من
غاذج شخصية ، وهى الى ذلك مطعمة بالفكاهة الريفية . ولكن تنقصها مع هذا صفة
« المركزية » مما ينقص من قيمتها كرواية حقيقية

ولكن هذه الانتقادات لا يمكن أن توجه الى أحسن آثاره ، وأعلى قصة « عودة الروح »
التي أزعجتها أنها أحسن رواية كتبت فى مصر . وموضوعها ، وهو النزاع بين العصى
« محسن » والبيثة التي نشأ فيها ، مشكلة خطيرة حقا فى هذا البلد ، وقد أبرزها المؤلف
بما أضاف إليها من ملاحظات سيكولوجية دقيقة . وان الرواية فى جلتها ، من حيث موضوعها
الجوى ، ومن حيث جوها الصوفى الغامض ، ومن حيث تعمقها فى تناول الأشخاص ،
كفيلة بأن تجعلنا على أن نقول ان الرواية المصرية الصحيحة قد نضجت فعلا

وقد أمكن لهذه القصة أن تجيب عن هذه المسألة الكبرى ، وهى كيف يمكن أن تكتب
قصص الحب فى ظل المجتمع المصرى القائم ؟ وكانت اجابة القصة هى أن مسائل الحب
ليست كما يزعم الناس بذات أهمية كبرى فى فن الرواية . والواقع ان جوهر الرواية
الجيدة هو « الصراع » وقد استطاع الكتاب « الشميون » فى انجلترا أن يثبتوا أن الجنس
والحب ليسا هما الصورة الوحيدة من صور « الصراع » التي تتخذ مادة للقصة ، بل ثمة
فى المجتمع من عوامل الصراع ودواعيه ما يمكن الكاتب من انشاء قصته

(خلاصة محاضرة القامحات ج . كولبن بال لى المعهد البريطانى بالقاهرة)

الانجليز

رجال تجارة أم رجال مبادئ ؟

للأستاذ جلبرت مورى

حينما قال نابليون ان الانجليز « شعب من أصحاب الدكاكين » كان يعنى أنه ليس شعبا محاربا ، يؤثر الجندية على سائر الاعمال ، ويعمل الجندى على غيره من الافراد . وهذا قول حق ، فلم يكن الجيش - منذ عهد كرومويل - قوة سياسية تسود الحياة الانجليزية وتتولى أمر الشعب الانجليزى ، هذا الشعب الذى يملك أهم المصالح التجارية وأكبر الاساطيل التجارية ، مما يحمله على أن يوجه أعظم همه الى شؤون التجارة برعافا وحميها وينميها . ومع هذا كله ، فانك اذا عرضت تاريخ إنجلترا منذ بداية القرن التاسع عشر الى وقتنا هذا ، شق عليك أن تجد فيه فترة ما سادت فيها طبقة التجار غيرها من الطبقات ، أو كان لها فيها نفوذ بارز مشهود

تقافة السياسى الانجليزى

لقد كانت الطبقة السائدة الحاكمة هى طبقة أو كسفورد وكمرديج ، وليست طبقة برمنجهام ومفستستر وحتى الاعمال فى لندن . ولم يكن سياسة إنجلترا ووزراؤها طوال هذه الاجيال جميعها رجال أموال واعمال ، بل رجال أدب كلاسيكى وفلسفة اغريقية . كانوا جميعا من أبناء هذا « التقليد الارستوقراطى » الذى يتطلب من رجل السياسة أن يكون ممن درسوا أعظم الآثار التى أنتجها العقل الانسانى فى الادب والشعر والفلسفة ، وممن راضوا عقولهم على أن تفكر على نسق ما فى هذه الآثار الخالدة من آراء وأفكار ، بل هذا « التقليد » الذى ينفرد من أن يكل أمر السياسة الى من انحصرت دراستهم فى كتب السياسة والقانون ، ولم يتدربوا الا على فن البيع والشراء وما فيه من مساومة وتحايل ويروى أن أحد أعضاء مجلس العموم سأل زميلا له : « ما السر فى أن « جلاستون » يتفوق دائما على بعض أقرانه فى بحث مسائل درسوها خيرا مما درسها ، وعالجوها أكثر مما عالجها ؟ » . فاجابه زميله : « ان مرجع هذا الى أن جلاستون يضى وقت فراغه فى قراءة هومبرس وافلاطون ودانتى والانجيل ، بينما يصرفه هؤلاء فى قراءة الكتب الرسمية والاسايد القانونية والقوائم الاحصائية . وما الى ذلك مما يمدهم بالحقائق والوقائع اللازمة

في بحث ما يعرض لهم من المسائل ، ولكنه في الوقت ذاته يحصر أفق تفكيرهم في هذا النطاق الضيق ، ويحرم أذهانهم من كل غذاء آخر يوسع دائرتها وينمي ملكاتها . أما جلاسونون فلا يملأ ذهنه بهذه الارقام والوقائع التي يمكنه الحصول عليها متى شاء ، بل يؤثر أن يملأه بأقوال الشعراء والادباء وأفكار الحكماء والفلاسفة ، فإذا تكلم كانت هذه الانوال الثمينة طلاء رائعا لكلامه ، وإذا واجه مشكلة سياسية كانت هذه الأفكار المميغة والمبادئ الخالدة مادة بحثه وتفكيره فيما يواجهه .

هذا هو « تقليد » الحياة السياسية والتفكير السياسي في إنجلترا : تغذية ذهن رجل السياسة بالأدب والفلسفات القديمة الخالدة ، ورياضته على أن يفكر وينجه وفق ما تخلله من آراء ومبادئ لا تتغير بغير الظروف والملاسات . وفي هذا يقول « بيرك » فيلسوف السياسة الانجليزي في القرن الثامن عشر ، انه يجب على السياسي حين يختار حلا من الحلول لمشكلة سياسية ، ألا يفكر في قيمة هذا الحل في اليوم الحاضر أو في الغد القريب ، بل يجب أن يفكر في قيمته بعد أن تمر عشرات السنين . ولا يتبسر هذا الا اذا أقام « حله » على أسس من المبادئ والأفكار الخالدة التي لا تبلى جدتها ولا تزول قيمتها بمرور الأيام ، على نقيض ما اذا أقامه على أسس من التفكير العملي الذي يركز همه ويحصر جهده في الكسب التجاري العاجل أو الظفر السياسي المباشر

والواقع اننا اذا عرضنا تاريخ إنجلترا في ضوء هذا « التقليد » أمكن أن نفهم كثيرا من أحداثه ووقائمه . فكثيرا ما كانت السياسة الانجليزية تبدو قصيرة النظر سطحية التفكير ، فإذا مرت الأيام وتابعت الاحداث ثبت أنها على النقيض من ذلك ، كانت تنظر نظرة عميقة نافذة تكشف عما وراء الظواهر من حقائق . وليس مرجع هذا الى أن السياسة الانجليزية أذكى وأبرع من سائر الساسة ، بل لأن ثقافتهم تقوم على أسس من « المبادئ الخالدة » اكتسبوها من الأدب والفلسفات الاغريقية واللاتينية ، بينما يركز الآخرون درسهم في كتب الفقه والقانون والسياسة التي تتغير نظرياتها كلما تغيرت البيئات والاجيال

في ضوء هذا التقليد يمكن أن نفهم لماذا عارض « لورد شاتام » في محاربة المستعمرات الأمريكية التي ثارت بالحكم الانجليزي وقامت تريد الاستقلال عنه ، وأن نفهم لماذا أبت بريطانيا ، حينما كانت لها السيادة المطلقة على جميع البحار بلا منازع ، أن تستولي على ما كان للدول الأوروبية الضعيفة من مستعمرات وأمالك في آسيا وإفريقية وأمريكا . وإن ندرك لماذا أعاد جلاستون جزر الايونيان الى أمها اليونان ، مع أن اسطول بريطانيا في أشد الحاجة الى هذه الجزر تأمينا وتيسيرا لمواصلاته في البحر الأبيض المتوسط . وأن نتبين قيمة المبدأ الذي وضعه ماركولي حين نادى بأن يكون القصد من الحكم البريطاني في الهند تمكين هذا الشعب من أن يحكم نفسه بنفسه يوما ما ، مناقضا بذلك كل ما سارت عليه الدول المستعمرة قديما وحديثا

هذه بعض أحداث التاريخ الانجليزي ، التي كانت تبدو أول الامر دليلا على قصر

النظر وضالة التفكير في السياسة ، ولكن الايام والوقائع اثبتت صحة ما ذهب اليه الساسة الانجليز ، وكثما كانوا يستشفون ما وراء القشرة من اللباب . ولست أزعم أن بعد النظر هذا نتيجة مباشرة لدراسة الادب الاغريقى أو تعلم الاجرومية اللاتينية ، ولكنى أرى ان مرجعه الى حد بعيد الى أن السياسى الانجليزى لا يقصر حياته وتفكيره على اللحظة الزمنية ، بل يفسح لهما مجالاً فيما مضى من أدوار التاريخ

والواقع أن السياسى الذى يشرف على شؤون امبراطورية مقسمة الارحاء عظمية القوى مرهوبة النفوذ ، عرضة لان تسلوه افكار الشر والسطوة والمدوان ، ما لم يكن معداً اعداد السياسى الانجليزى بهذه المثل العليا والمبادئ العظيمة التى خلفتها اعلام التاريخ

أثر الانجيل في الشعب الانجليزى

ومن الغريب أن هذا التقليد - تقليد التسبب بالا داب والفلسفات الاغريقية واللاتينية - لا يقتصر على رجال السياسة وأعلام التفكير وحدهم ، بل هو شائع في سائر طبقات الشعب الانجليزى بوجه عام ، والشعب الاسكتلندى بوجه خاص . فالاسكتلنديون عامة على درجة عالية من الثقافة ، وليس من الغريب أن تجد في جبال اسكوتلند راجعاً يحمل العصا التى يهش بها على غنمه بيد ، ويحمل انجيلاً باللغة اللاتينية بيده الاخرى . أما الطبقة العاملة في انجلترا فانى أشك في انها على حظ كبير من الثقافة القديمة أو الحديثة ، أو من الثقافة العلمية أو الادبية ، ولكنها مع ذلك تلتذ كثيراً بالادب الرفيع بأسلوبه الجزل ولغته الوفورة ومثله العالية . ومرجع هذا فيما أرى هو هذا الانجيل الانجليزى ، الذى كتب في ابلغ وأجمل عبارة انجليزية ، والذى يعد القوت الفكرى لامة الشعب الانجليزى

وان المرء ليعجب كيف تبسّر « لحون برايت » أن يصوغ خطبه الجزلة اللبقة الرفيعة ، مع أنه لم يحسب من الثقافة القديمة الا قسطاً يسيراً . ولكنه لما سئل في ذلك أجاب أن مرجع هذا الى الانجيل الانجليزى . ولا شك أن هذا الاسلوب الرصين الحلاب هو سر تمكن « برايت » من قلب الشعب الانجليزى ، الذى واضته قراءة الانجيل واستماعه ، على حب العبادة الرصينة والاسلوب الرفيع

ولا شك أن اقبال الانجليز على دراسة الاغريقية واللاتينية ، وما فيهما من آثار أدبية وشعرية وفلسفية ، بعد أمراً غريباً في شعب لا يحسب في عداد الشعوب اللاتينية ، فالجنس الانجليزى خليط من كثير من الاجناس ولكن العنصر الغالب فيه على الجملة هو العنصر النوردى ، وثلاث اللغة الانجليزية من أصل نوردى وليس من اللاتينية أكثر من ثلثها الباقي . ومع هذا كله فالادب الانجليزى ، وعلى الاخص في آثاره الكبرى وغماذجه العالية ، مستمد من الآداب اللاتينية والاغريقية . وليس للشاعرين النوردين « هيوولف » و « كادمون » في الادب الانجليزى أثر يذكر الى جانب الاثر الذى خلفه هومروس شاعر

اليونان وفرجيل شاعر الرومان . بل ان تعليمنا الجامعي يعنى بالآداب الاغريقية واللاتينية أكثر مما يعنى به أى تعليم جامعي فى أوروبا

الانجليز يونان العصر الحديث

وأرى انه يمكن أن يقال اننا فى شؤوننا الداخلية نسير على نسق اليونان ، وفى شؤون امبراطوريتنا تتبع أثر الرومان
ففى أمورنا الداخلية تقوم الحياة الانجليزية - وعلى الاخص حياة هذه الطبقة قليلة العدد عظيمة النفوذ التى تخرجها جامعاتنا القديمة فى ايتون وهارو وكمبردج واكسفورد - على أساس الثقافة الاغريقية التى تعتمد على دعامتين : الموسيقى والالعب الرياضية
فالتسعب الانجليزى جميعه يلعب الالعب الرياضية ، من كريكت وتنس وكرة قدم وما الى ذلك ، ويرى فيها أمرا لا غنى عنه . ولكننا - كالأغريق - لا نغارس هذه الالعب كما يمارسها المحترفون ، ولا ننظر اليها النظرة الجادة العابسة التى ينظرها هؤلاء المحترفون بل نلعبها لذاتها - لما فيها من لذة ومتعة ورياضة . وكذلك كان يفعل الاغريق : يلعبونها دون أن يحترفوها

ونحن كالأغريق كذلك : أبناء جزيرة ، ورجال بحار ، يقضون شطرا من حياتهم على ظهر السفن يجوبون بها أرجاء العالم تجارا ، وحملايين ، وسالحين
وقد تبدو هذه الصفات المشتركة بين الانجليز والأغريق صفات عارضة لا تعدى المظهر ولا تجاوزه الى الصميم ، ولكن ثمة صفات أخرى أكثر دلالة على تشابه التسعين فى حقيقة الامر . وهذه هى صفات الحرية ، والفساح ، وطاعة القانون عن رضى ورغبة . فإن هذه المميزات التى تميز الحياة الانجليزية فى الوقت الحاضر هى التى ميزت الحياة الاغريقية فى العصر القديم

انهما يختلفان فيما دعاهما الى الاخذ بالحرية وإيثارها . فالأغريق أقاموا حياتهم على أساس الحرية لأن تكوين المجتمع الاغريقى كان يفرض هذه الحرية فرضا . أما الحرية الانجليزية فترجع ، فيما أرى ، الى هذه العزلة التى تعيش فيها انجلترا آمنة من الغزو والعدوان . فالدول الاوربية الكبرى لم تستمتع بهذا الامن يوما ما ، بل هى تعيش دائما متعرضة للخطر مستهدفة للخطوب ، وهى لهذا شحوب محاربة تأهبها للدفاع عن نفسها ضد أعدائها المسلحين الذين يبيتون على هذه الخطوط الوهمية التى تسمى بالحدود السياسية . وهى كان الشعب شعبا محاربا كان كذلك شعبا متديا ، لأن الحرب لا يمكن أن تكون دفاعا مستمرا ، بل لا بد أن تكون من حين الى حين هجوما وعدوانا . وهى الى جانب ذلك تخضع لحكومات سيئة الظن فى رعايها ، لأن ظروف الحرب تضطرها أن تضيق الى أملاكها مناطق يسكنها أقوام من أعدائها ، فمن الطبع أن يسوء رأيها فى هؤلاء الأقوام ، وأن تأخذهم دائما بالصف والبغى

أما نحن الانجليز فقد أحاطنا هذا البحر المبارك بسياج أمننا من العدو الغازي ، فعشنا
بنأى عن هذه الظروف التي أكرهت دول أوروبا الكبرى على أن تقف من جيرانها موقف
العداء ، ومن رعاياها موقف الرية والسلوة

إن حياتنا العامة برثة من « الخوف » ، فما من سياسي أو وزير يخاف أن يترك مقعد
الحكم فيكون هدفًا للعدوان أو فريسة للاضطهاد . وما من حكومة تخشى أن يتآمر عليها
معارضوها مع أعداء الدولة أو يلجأوا في مقاومتها الى وسائل العنف والثورة

ويترتب على ذلك أننا لا نخشى حرية الكلام ، وما ينفرع عنها من حرية الصحافة
وحرية الاجتماع . وفي هذا نجد أكبر وجوه الشبه بين الانجليز والاغريق . فقد كان
النادي في أثينا ينادى : « فليقف كل من يرغب في الكلام وليتكلم » . وكذلك الامر في
انجلترا ، فليقف كل من يرغب في الكلام على منبر من منابر هايد بارك ، وليقل كل ما
يروق له في الحكومة ، والدستور ، ودين الدولة ، وما شاء من الامور . وسوف يجد
أمامه جما من المستمعين يتفلقون في أرجاء الحديفة من خطيب الى خطيب ، يقفون عند من
يرددهم كلامه وينصرفون عمن لا ترضيهم أقواله ، دون أن يفكر أحد منهم في أن يمنع
خطيبا من ابداء ما يمن له من الرأي . . . وليس هناك من رجال البوليس سوى واحد أو
اثنين مهمتهم أن يمنعا أى مستمع تهيج أعصابه من أن يحول بين الخطيب وما يريد أن يقول
ولكن هل ينبغي هذه الحال الطيبة فثمة أبدا ؟ أم هل ستؤدى هذه الحرب القاسية التي
أثرت في حريتنا وتحجفتها من جميع الجوانب ، والتي ملأت حياتنا الآمنة بكثير من
المخاوف والخطوب ، والتي نزلت من غير شك بمستوى ثقافتنا وقد ركزنا جهودنا وفكرنا
في أمور القتال وأسبابه . هل ستؤدى هذه الحرب الى تفويض هذا الاساس الذي قامت
عليه حياتنا العامة وحياتنا السياسية أجيالا تلو أجيال ، وهو جعل الافكار والمبادئ الخالدة
التي تضمنتها المبادئ والفلسفات القديمة ، محور تفكيرنا وبجبال سينا ، بنقض النظر عن
الربيع المادى العاجل والنظر السيسى المبانثر ؟

عسير علينا أن نجيب عن هذا السؤال ، فإن أثر الحرب قوى عنيف ، ولكن ما نحسب
حربا في بضع سنين تقتلع شجرة نبت منذ أجيال وتأصلت جذورها في الاعماق . ولهذا
فأبى أعتقد أننا سنظل حافطين على ثقافتنا التقليدية ، أى الثقافة التي لا تمنى بالنظريات
والارقام والوقائع ، قدر ما تمنى بالمثل العليا والمبادئ الخالدة

أعتقد أن الانجليز سيقفون « هواة » ، بينما سيقبى الالماني « محترفين » . والهاوى منه
المتعة ، بينما لا تمنى المحترف سوى المنفعة

ولعل خير ما قيل في هذه المقابلة ما قاله رجل ألماني وهو : سيقفون أيها الانجليز أغبياء .
وسيقبى نحن الالماني بعيدين من أن نكون رجلا أفاضل

(مترجمة بتصرف عن الأستاذ جلبرت مورى فى سلسلة « بريطانيا اليوم »)

شكوافان من المرأة

بقلم الدكتور أمير بقطر

لمن تشكو ، والحصومة بيننا أشد ابلا من الحب ، وأقدم عهدا من التاريخ ؟ ولمن نتحكم ، وقد أدخلت الشيطان شريكا في الدعوى ؟ ألم تطردى من الجنة ، فزعت أن الحية أغوتك ؟ وأنى للرجل أن يقوى على المرأة والحية والشيطان في آن واحد ؟ ألم تكونى أنت أول من أصلى قلوبنا بنار الحب ، وأنت تعلمين أنه أقوى من الموت ، وأنسى من الهاوية ؟ فلم جنيت علينا ولم نجن على أحد ؟

أحبيناك أما ، فاحتطفتك المنية ، ونحن لا نزال في ربيع الحياة . وأحبيناك طفلة ، فما لبثت أن بلغت سن الحلم قبلنا ، وأسدل أهلك ستارا كثيفا بيننا ، تمسكا بالتقاليد ، لذنب لم تقترفه . وأحبيناك أختا شقيقة ، ففرق الزواج بيننا وبينك . وأحبيناك فتاة ، وعقلك كامل النمو ، وجسمك ريان فينان ، فقلت المداعبة في هذه المرحلة من العمر غير بريئة ، واهة يعلم أننا كنا أنقياء الثوب ، ناسى الصحيفة . وأحبيناك زوجا ، وفمك عقيق كالمهجة يتلظى ، وفؤادك بالحلم يمشى ويتفدى ، فلم تلبثى أن خبت فيك نار الحب ، وانطفأ لهيبه ، وكان الالفة تفضى الى الاستخفاف . وهل صدق الشاعر يرون حينما قال ان الفرق بين حب الحيلة وحب الزوجة أن الاول أطول عمرا من الثانى ؟ وأحبيناك ابنة ، فملا حبك القلب والجوانح ، ولكن سرعان ما رغبنا عنها ، وولمت بنفى لا يمت إليك أو البنا بصله

أحبيناك فتاة ، والمود لبن والفضن رطيب ، فقلت علام الهوى وأنتم لم تنضجوا للزواج بعد ؟ وأحبيناك شباناً في ريعان العصب ، فقلت أنى لهذا المرتب الفضيل أن يقوم بأجرة الحياط والحلاق ، وغنم الفراء والحريز والبنزين ، ومطالب القرن العشرين ؟ ثم انصرفنا للعمل بنهر هوادة ، وأحبيناك رجلا في مراكز يحسدنا عليها سوانا ، فإذا بك في أحضان الغير . وأخيرا أحبيناك زوجا لهذا الغير ، حفظا للمهود ، فقلت هنا تنقطع كل صلة ، وتصمت بيننا كل عاطفة . وحبذا المثل الأعلى يا سيدتى ، لولا أنك أقسمت لنا ، يوم أرسلت من محارك أول دمة من دموع الحب ، أنك للمهد حافظة ! وحبذا اخلاص الزوجة ، يا سيدتى ، لولا أنك أسردت لنا يوم دوت في آذاننا زفرات الوداع وصيحات القرفة ، أنك على الولاء باقية ، كيفما كانت الأقدار !

قلنا لك أنك مادية ، حتى في وجدانك وحبك ، في بكائك وابتهامك ، نعتبت علينا وبكيت ، وأنكرت علينا القول ، لأنك كعادتك لم تفهمى ما نقول . ولكن لعمري ، ألسن ترغيبين في الرجل ليرغب هو فيك ، في حين أن الرجل ، لا يرغب فيك الا لاجلك ؟

ألمست تحبين الرجل الا كما يحب الصياد سلاحه ؟ الا تسمعين اليه ، الا كما يسعى المروء الى من يدفع عنه الاذى ، ويحميه من عاديات الزمن ، في حين أن الرجل انما يحبك ويسعى اليك ، لانك أنت أنت المرأة وكفى ؟ الا تنقلين بين عشية وضحاها ، من حبيب الى زوج ، كما تنقل الفراشة ، من زهرة وازفة شبيهة للنظر ، الى ثمرة يانعة دانية القطوف ؟ الا يتنقل الحب معك كالسلعة في الاسواق ، او كالحقيرة يوم الرجل ، في حين أن الرجل يبيت معذبا يتلوى من الألم طويلا قبل أن تتم الصفقة ؟ ان مثلك يا سيدتى مثل العالم الرياضى الذى لا يؤمن الا بالأرقام ، أما الرجل فمثلته مثل الشاعر والمصور والمثال ، ينشد من وجدانك أروع القصائد ، ويرسم لوجهك أبدع الصور ، وينحت لقوامك أجمل التماثيل . انك يا سيدتى تدينين بفلسفة البراهمانزم ، الحديثة التى لا تحب العلم الا لانه وسيلة لغاية ، فى حين أن الرجل يدين بفلسفة الايدالزم ، القديمة ، التى تحب العلم لذاته . ولا أخالك الا تدرकिन أن العلم ، فى الحالة الاولى كتابة عن الرجل ، وفى الثانية كناية عنك يا سيدتى

ستنكرين علينا بالطبع هذا ، ولكن عودى بالله الى الماضى منهبة . كم قلت لنا معاذ الله أن أنقض لك عهدا ، وأبى الله ألا أرى لك ذمة ! فلم تلبثى أن نقضت العهد وكسرت المواعيد ، وكان شيئا من هذا لم يكن ! وكم ألفت بيننا وبينك وحدة الهوى ، فلم تلبثى أن لويت عنا العذار بأهون سبيل ، وما كنت أحسب ان ذاكرتك بالغة من النسيان ما بلغت ! الا تذكرين أعواما كاملة ، كانت تضطرم فيها المواقف اضطراما ، وتوق فيها النفوس للنفوس ، وتقرب القلوب من القلوب ، فكان الناس يقولون ان عقولنا قد خالطها عارض من عوارض الجن ؟ أتذكرين أعواما لبسنا فيها لأحلك الخلفان من الثياب ، بعد أن برحت بنا الفاقة ، واشتدت بنا ضائقة العيش ، وفى طرفة عين ، أقبل عريس ينبخر ويتهادى ، فاقسمت للقاتل الخطي بغير استئذان ، وكأننا متاع مهمل ، لا وجود لنا ؟ ان للرجل يا سيدتى كرامة يبقى عليها أكثر مما يبقى على صداقة المحبين ، وان نسى ذلك فى كثير من الاحايين ؟

والآن وقد تم لك ما تريد ، من حرية وعمل وزوج وولد ، فما بالك تطيرين ؟ اذا ما انهمك زوجك فى عمله ، فلم يرك الا نادرا عتبت عليه ، وبمنت وراة العيون والجواسيس ، وداخلك الشك فى علاقته بالمرضى من النساء اذا كان طيبا ، وبالتفاضين منهن اذا كان محاميا ، وبالسكرتيرة اذا كان من رجال الاعمال ، واذا ما زهد فى الاندية والقهوات وموائد اللعب ونضى أوقات الفراغ فى البيت ، قلت انه كالعجوز الضمطاء لا يبارح الدار . واذا حاول أن يخفف عنك العبء فى تربية الذرية أو ادارة شؤون الخدم ، قلت انه يتدخل فيما لا يعنيه . واذا تخلى عن هذا وذاك ، قلت يترك الحبل على الغارب . واذا منعتك عن العمل وكسب الرزق حبا فى راحتك ، أو غيرة عليك من رؤسائك ، قلت محافظ يريد حبسى . واذا لم يجتمع فى احتفاظك بوظيفتك ، فانك تصولين وتولين

وتفاخرين ، أو تلهين عنه بزملائك من الرجال ، أو زميلاتك من النساء . وإذا ما تألم من ذلك وتأفف ، ثم كبت الألم ساكنا ، تهينه بالصد والاعراض . فإذا استعطفك تابين وتمنعين فيحار بين هذا وذاك

شاهدت قبيل هذه الحرب منظرا في مدينة البندقية لا يزال ماثلا في مخيلتي ، وقد مثلت فيه عاطفة المرأة أحسن تمثيل . كان ذلك قرب الاصيل ، وقد تدفقت الجماهير من حمامات ليدو الشهيرة ، واكتظت بهم إحدى ماثات القناطر البديعة التي تربط شوارع المدينة بعضها ببعض ، كان ذلك أمام فندق دانيلي التاريخي . وفي وسط ذلك الجمع الحاشد ، يلاipse المزركمة البديعة وأجسامه أنصاف العارية ، وقد كستها شمس الادرياتيک لونا نحاسيا يفيض حمرة وجلا ، وقفت الجماهير فجأة ، وانتقلت العيون من عبادة الجسم الى عبادة الروح . ذلك أن صبية لا تكاد تبين ، تناهز الرابعة من عمرها ، لمحت راهبة حسناء من راهبات الدير ، فأنطلقت نحوها كالسهم ، ودست وجهها في ثيابها الكهنوتية تطلب البركة ، فمدت اليها الراهبة صليبا الذهبى المعلق في صدرها ، فقبلته الصبية ملوينا وجيلا ، في خشوع وتعبد بين اعجاب الشجعان من الفتيان ، واتعاط الحسان من الفتيات . . كم تستطيعين يا سيدتى أن تستأثرى بالقلوب وتلمسي بالافئدة ، حتى في أشد الاوقات بعدا عن اللعب والاستئثار ! ناعمة أنت في الظاهر ، قاسية عنيفة في الداخل . كم غزوت السويداء في بكائك ، أكثر مما سلبت العقول في ابتسامك ! ألسنت باكية أجل منك ضاحكة؟ كم من رجل طلب يدك ثملا بدموعك ، وهى أعذب من الشراب ، وأشد فعلا من الراح ، فدخل منزل الزوجية ممسوبا العين ، فلما أن أزيل الحجاب ، كان أول ما وقع نظره عليه ، ابتسامة صفراء ! أنت في كثير من الأحيان ممثلة خير منك طليعية واقعية ، وخيال أكثر منك حقيقة ! فهل صدق بلزك في نصحه لكل رجل ألا يقدم على الزواج قبل أن يشرح امرأة تشريحا ؟

توجعين وتشكين جور الرجال ، ولكن ألم تخلقى لألم الحيض والحمل والولادة ؟ ألا تسعين اليه بالفطرة ؟ كذلك تكرهين وتحين في آن واحد كالمصاب بمرض عصبى ، ولعل عندك في ذلك أنك كالطفل الذى لم تنوع عواطفه ولم تتضج بعد ، فهى مزيج من القسوة والحنان ، والعنف والرفقة ، والخوف والاطمئنان « ambivalence » فلا غرابة اذا قال البعض ان للمرأة وجهها بلا قلب . بيد أن هذه الشخصية المزدوجة هى التى ترى الرجل فيحب ، وهى التى تفتح عينيه بعد ذلك فيكره ، والحب كما تعلمين يتسلل الى قلبى الرجل والمرأة خلفا ، ولكنه يخرج على مرأى منها ومسمع . وعشنا يحاول الرجل أن يدرك نوابك ، طالما كان سلاحك ذاك الطرف النفيض الذى أدركت سره فأوغلت فيه . فينما يترقرق الحياء في وجهك كالطلل على ورقات الورد هنا ، اذا بك

تغامرين كالرواد هناك ، وبينما تشربين معه القهوة منضعة نهارا ، اذا بك تحسنين مع سواء الحمر مشحمة ليلا . والرجل الطيب القلب بين هذه الثنائية فيك خائر . فأيضا قلب الطرف ، ألقى في كل جارحة فيك صفة ، وعبارة مشتركة ، تحتمل كل المعاني . واذا ما أسر اليك أمرا ، فلا مفر من اذاعته على أسلاك البرق أو على أمواج الاثير ، وذلك لان الاسرار عندك اما أن تكون تافهة فلا تستحق كتمانها ، أو خطيرة فيعز عليك ألا تنفع بها الانسانية

ولسنا ندري لم خصتكم الطبيعة بمزايا ، حرمت علينا نحن الرجال ؟ ألسنا أشد تعرضا للأمراض والعيوب الجسمانية منك لأسباب بيولوجية ، سبق تفصيلها على صفحات الهلال (١) أو لا تتحاملين على الذكور من أنثاك وأحفادك ، فتورئينهم هذه العلل دون الاناث ؟ ألا يزيد عدد الاطفال الذكور الذين يموتون في خلال السنة الاولى من أعمارهم عن الاناث بمقدار ٢٠ ٪ . ؟ ألا يزيد عدد النساء عن الرجال في سن النضوج بمقدار ١٥ ٪ . ؟ ألا يبلغ عدد النساء في العالم فوق سن الستين ضعف عدد الرجال ؟ ألم يكف الطبيعة هذا التحيز ، حتى كتب القتل والقتال علينا ، وما عليكن الا جر الذبول ؟ ألم يكفك كل هذا يا سيدتي ، حتى أرغمتنا على الوقوف لك اجلالا ، وتقبيل يديك في المجتمعات اذا كنت سيدة ، أو الانحناء اليك اذا كنت آتمة ، واحللك المكان الاول دخولا وخروجا ، وقعودا وجولسا ؟

وهذه الامراض العصبية والفلبية من نيورستانيا وملائخوليا وهستيريا قلقية وتحولية وغيرها وغيرها ، ألا يقول لنا العلماء ان الاصل في أكثرها المشاكل الجنسية ، وأنت مصدرها ؟ ألا يقول لنا آخرون ان المال أصل الكثير من هذه العلل ؟ ولم نعتز نحن الرجال المساكين بالمال والكرامة والرجولة ؟ ولنز دولز رويس ، وبكارد ، وكاديلاك ؟ لك قبل كل شيء يا سيدتي ؟ يقولون في اميركا ان السيارة الفخمة لا تتحرك الا بالماء والهواء والزيت والبنزين والمرأة . أنتكرين ذلك ؟ ويقول الحكماء ان الذهب يختبر بالنار ، والمرأة تختبر بالذهب ، والرجل يختبر بالمرأة . ألسنت اذن أقوى من الرجل والذهب والنار ، وأشد فعلا من الماء والهواء والزيت والبنزين مجتمعة ؟ وحتى علماء الاجتماع لم يهتم ان ينحيزوا للمرأة ، فزعم بعضهم أن أربعة أخماس السعادة الزوجية مصدرها المرأة ، وأربعة أخماس التعاسة الزوجية مصدرها الرجل . فلا عجب يا سيدتي اذا استثمرت بالسلطة ، وعدت تطلعين بالمساواة ؟ ألسنت أنت سيدة البيت دون الرجل ؟ ألا يحسن الرجل أنه غريب في منزل أخيه ، وأنه أحد أفراد الاسرة في منزل أخته ؟

وقد بلغ من تساهل الرجال انهم ينحون على بعضهم باللائمة اذا ما تطلعوا اليك وانت تستلقين على رمال الشاطئ. كالصليب المعقوف ، وتختالين فيها في ثوب يمكن أن تقول عنه تساهحا أنك ترتدينه ، فتبدلين كالصورة العارية التي يتخذها تجار الملابس الملاصقة للجلد اعلنا لسلمهم . ان ثيابك المسرفة المستهتر لا تزيد شعرة على جمالك ، وانما تجعل الميون تحج اليك ولا تعجب بك . كما أن « الكريم » وما على شاكلتها من العقاقير لا تطرى من بشرتك ، طالما كانت نفسك خشنه انثوية . ان البساطة والعظمة شيء واحد ، والخشمة والجمال مرادفان لمعنى واحد . فاذا كنت هادئة وادعة حية ، نظر اليك الرجل كما ينظر الى الفراشة وهي تحنى على الزهرة لتقبلها ، وكف عن أن يقابل واياك هتات الاستنكار ، أو يتراشق بنظرات الاستهتار . واذكري أنك اذا أسرفت في كبرياتك ، قد ينقم منك الرجل ، يوم ينشب الدهر أطفاله ، فيدب فيك الكبر ، ويوم يستنزف الزمن الحياة من شعرك فيبيض أو يفقد لمعانه ، ويعمل العمر الجشع في أسنانك فتخسر ، في حين أن الرجل يكون بعد شديد البأس ، تسرى في عروقه بقية لا بأس بها من دم الشباب

وأخيرا سيدنى أرجو المذرة اذا قصوت عليك اليوم ، فقد أسرفت في العطف عليك بالامس . لقد عمدت في هذا المقال تصفية حساب بيننا طال عهده ، وأردت أن أبين لك أقصى ما يستطيع أعداؤك من الرجال أن يصفوه بك من التهم ، التي أخرى بهم ان ينسبوا لانفسهم . ولا أخفى عليك أنني كتبت هذه الرسالة اليك في يوم الانقلاب الربيعي (٢١ مارس) ، وهو يوم تكثر فيه الاعاصير والعواصف ، كما تور فيه الذكريات والعواطف . واعنى أن الشكوى من امرأة ستبقى ما بقيت الطبيعة البشرية ، وأن التوتر بين الجنسين سيظل هو هو ، ما ظلت العاطفة الانسانية ، وأن الفضل بين القلب والقلب سيدوم ما غرد طير ، وضع زهر ، واليوم الذى يعيش فيه الرجل والمرأة بسلام هو اليوم الذى تقول فيه على الحضارة والعلم والمدنية السلام . فالفنون الجميلة والشعر والموسيقى والاحتراع والعلم وأشد ما نعتز به من طيبات الحياة ، انما يعزى الى ما توجهه أنت الينا من خيال وابتكار وحب وجمال . فغفوا يا سيدنى ، ولا تأخذى ما قلت فيك بحرفينه ، فأننى أحبك ، لان لنا ، نحن معشر الرجال ، من بين جنسك أمهات وشقيقات، وعمات وخالات، وحييات صادقات !

فلمن تشكو يا سيدنى ، وأنت الحصم والحكم ؟؟

أمير بظفر

عبد العزيز البشري

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

قضى في الخامس والعشرين من مارس الماضي أديب عربي كبير ، عرفته اللغة العربية وأهلها وقراؤها منذ ثلاثين سنة كتابا مبدا ، وفانا ممتازا بأسلوبه الرشيق ، وعباراته الجزلة ، وعواطفه الجاثمة ودعائياته الفنية البارة

وليس في الشرق العربي من الادباء والمتأديبين ، ومن العلماء والمعلمين من لا يقدر الشيخ عبد العزيز البشري ، ويحجب بأدبه وظهره . وقد نشأ أول ما نشأ في بيئة دينية صرفة ، قضت تقاليدها أن يعيش في تنبأه أديبا مستورا لا يعرفه الا خلفاؤه والخاصة من الادباء . ولا يكتب أكثر ما يكتب الا بلا امضاء . فقد كان والده الشيخ سليم البشري شيخ الازهر وشيخ الاسلام ، وأراد هو أن يحرص على الوفاق التقليدي لعلماء الدين ، ورجال الشرع فمكث حينا بعيدا - أو كالبعيد - عن الجمهور ، ثم مرق من الحمول الى الشهرة ، وأبت عليه فطرته الا أن يكون فنانا مرموقا ، ولا أن يعيش في البيئة التي خلق لها ، وان يتحرر من الوظائف الدينية الى الوظائف الفنية مما يلائم ميله وطبعه

البشري الموظف ورأيه في الوظيفة

لم يكتب عبد العزيز البشري تاريخ حياته ، ولكنني كنت أجالسه يوما حينما تقلد وظيفة ادارة المصبوعات فسألته عن تسميته وانوظائف التي تقلدها فأجابني بما يلي :

« دخلت (الكتاب) لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة على نحو ما كان لداتي في ذلك الحين ، فمكثت فيه مدة ليست طويلة حفظت فيها القرآن الكريم . ثم انتقلت منه الى مدرسة ابتدائية ، ولكن والدي أمي الا أن ادخل الازهر ، وان ادرس علوم الدين ، وكان وقتئذ شيخ الاسلام لأول مرة له ، وبينما كنت في الازهر تعلقت بالادب وأحبته فمكثت انصرف كثيرا لقراءته ، ثم أخذت أكتب في جرائد المؤيد ، واللواء ، والظاهر .

ثم تخرجت سنة ١٩١١ فمكنت سكرتيرا بوزارة الاوقاف . وبعد سنتين عينني المرحوم احمد حشمت باشا محررا فيا بوزارة المعارف . وفي هذا الوقت ندبني سكرتيرا عاما للجنة الاصطلاحات العربية . وكان من أعضاء هذه اللجنة اسماعيل باشا حسنين ، ومستر روب ، وحفني بك ناصف ، واحمد زكي باشا

« ولما تحول حشمت باشا الى الاوقاف كرهت البقاء في وزارة المعارف ، ورزيت التحول الى القضاء الشرعي ، فمكنت قاضيا بالمحاكم الشرعية ، حتى سنة ١٩٢٢ فقلت مفتشا

بالمجالس الحسبية . وبعد قليل ندبني المرحوم عبد الحالق ثروت باشا رئيس الوزارة في ذلك الحين لأكون سكرتيرا للجنة وضع الدستور مع بعض رجال القانون . وفي أواخر هذه السنة عينت مفتشا بوزارة الحفانية (العدل) . ولم ألبث في هذا المنصب شهورا حتى تغيرت الحال السياسية ، وتآلفت وزارة نسيم باشا الاولى ولم يمض عليها ساعات حتى صدر أمر وزير الحفانية بنديني الى عضو عامل بمجلس حسي اسبوط ، فقيت هناك حتى استقالت الوزارة وعدت قاضيا بالمحاكم الشرعية . ولما تولى على ماهر باشا وزارة المعارف لأول مرة عهد الى أنا والاستاذ احمد بك أمين عبيد كلية الحقوق وقتئذ في وضع كتاب التربية الوطنية للمدارس الثانوية ثم نقلت الى وزارة المعارف عضوا بالمكتب الفني . ولما تولى على التسمي باشا الوزارة ألغى هذا المكتب واتخذني سكرتيرا برلمانيا له ، وبقيت كذلك الى أن عينت وكيلًا لإدارة المطبوعات ،

وقد مكث البشرى في هذه الإدارة مدة ثم أعيد الى وزارة المعارف . ثم لم يلبث أن أحيل الى المعاش . ولما أنشئ المجمع اللغوي عاد مراقبا عاما له الى أن توفي . وعلى الرغم من أنه عاش موظفاً ، فقد كان يكره الوظيفة ويمقتها ، وينقدها نقدا لاذعا ومن ذلك قوله : « فن الوظيفة ، هذا شرح الله صدرك ، وأطال عمرك ، ورفع في المناصب قدرك ، فن واسع الأطراف ، رحب الاكتاف ، موصول الأصول ، مفصل الفصول ، مقعد القواعد ، مبسط الأمثلة والشواهد لا يحققة الفنى الا بعد الجهد وشدة المطاولة وسهر الليالي في التفكير والتدبير ، وفقرين الاعضاء في كيفية التعود والقيام ، والسكوت والكلام ، والدخول والخروج ، والهبوط والعروج ، والتشجيع والاستقبال ، والخشوع والاستبسال ، والاتقاض والتبسط ، والرضا والتسخط ، وارهاف الانف حتى يشم الريح على أميال ، ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حال »

« ومن أولى مزايا هذا الفن الجليل تخليد الوظيفة للفنان على الزمان ، ولو عصفت أحداث السياسة بلداته جميعا . ومنها الوثب في الدرجات متنى وثلاث ورباع وخماس وسداس وسباع »

« وانى لأعرف طائفة من هؤلاء الفنانين مهد لهم الفن الدرج كله ، فتناولوه وثابا في كل وزارات عدلى ، وثروت ، ونسيم ، ويحيى ، وسعد ، وزيور ، وعدلى ، وثروت ، والنحاس ، ومحمد محمود ، حتى بلغوا القنة بدقة الفن وحده ناعمين بثقة الجميع ، ولا إيمان لهم بواحد من الجميع » !

في المرأة

قدمت أن البشرى في الشطر الاول من حياته ، بل في معظم حياته كان يتوارى من الجمهور ، وكان يؤثر الحجاب على السفور ، يدفعه الى ذلك تربيته الدينية ، وبينه الأزهرى

الوقور . ولكن هناك دافعا آخر الى هذه الحال التي لزمها طويلا ، وقد أفصح عنها في بعض كتاباته واعتذاره عن طبع مؤلفاته بقوله :

« وان عادة لزممتي من يوم ضبطت القلم ألا أحرص على حفظ شيء من آثاره المنشورة في الصحف ، فإذا وقع لي شيء من ذلك أسرع الى اتلافه تمزيقا أو تحريقا . وسبيل هذه العادة الى انني أول ما عاجلت الكتابة ، وتملقت بصنعة القلم كنت أدرك تمام الادراك انني ناشئ لا أجيد البيان ، فإذا كانت لي طبيعة فلن تنهيا لي الاجادة الا بعد شدة معاناة ، وطول تمرين ، وظللت على هذا دهرا ، وأنا في ارتقاب الاحسن مما ينبت للانظار .

اذن فهو انما يود الا يجمع مقالاته وألا يظهر اسمه الا بجانب ما يراه قد بلغ المكانة العليا من الاجادة . وسار على هذه الطريقة زمنا حتى انه لما كتب مقالات « في المرأة » في جريدة السياسة الاسبوعية ، لم يفض واحدة منها على ما فيها من فصاحة في التعبير ، وبلاغة في التحليل ، وقد يكون ذلك لاعتبارات سياسية دفعته اليها قيود الوظيفة ، ولكنه لم يمن بجمعها في كتاب يقدمه للجمهور . ولولا انه قد استخذه أحد اصدقائه في جمع هذه المقالات ، بل لولا ان هذا الصديق قام على طبعها ما ظهر كتاب « في المرأة »

ويحتفل هذا الكتاب بثلاثين من صور رجال مصر في العصر الحديث ممن عاشوا بين سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٧ . وقد كتبها لمناسبات سياسية . ومما قاله عن سعد باشا :

« ملء السمع ، ملء البصر ، لو حاول بكل جهده الا يكون رجلا عظيما ما استطاع . وهيئات لامرئ . أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله . وقد سوى الله له هذه العقلة من يوم مدرجه ، فكان طالبا عظيما ، وكان مدرها عظيما ، وكان قاضيا عظيما ، ثم تناهت اليه زعامة أمة ، فهو ملء السهل والجبل . »

وقال فيما قال عن عدلي بكين باشا : « اسعر اللون في شحوب الا ان ما يخالف سمعته من صفرة جلوه مستعذب . يمتاز بقليل من الطول ، وكثير من العرض . فهو بعيد ما بين الكتفين حتى لتعرفه حوبا كما تعرفه مقبلا ، مستوى معارف الوجه ، حديد البصر . اذا قدر لك ان يحدق فيك شعرت ان نظره لا يستقر على سطحك ، بل انه ليتفغل في اطوائك ، ويصل من نفسك الى كل ما ترض به على الابتذال . وادع ساكن ، تتجملجل الدنيا من خوله ، وهو ثابت ثابت الهرم الاكبر . . . »

وهكذا مما يتلى به هذا الكتاب من صور هؤلاء الرجال التي يزوجها اليك في اسلوب أخاذ ، وتحليل دقيق ، واختلاف في المزايا والافصاف حتى ليصور لك كلا منهم كأنك تراه شكلا ، ونفسا ، وروحا

البشري الجهد والأدب القومي

لقد نرى في هذه الصور التي كتبها في المرأة تجديدا في الاسلوب ، وتجديدا في التفكير ، على الرغم مما يبدو في اطوائها من ألوان الادب القديم . وقد تناول البشري

ألوانا أخرى من الكتابة دلت على سعة أفقه ، فقد كتب في الأدب وتطوره ، وحاجته الى التجديد ، وكتب عن رسالة الأدب ، ووصف بعض المخترعات الحديثة فأبدع كل الإبداع وتناول تراجم بعض رجال الجيل ، فكان من أدق المعاصرين في ترجمة الشخصيات البارزة . وكتب في الفن والمتفنين وفي كثير من الموضوعات الأدبية والاجتماعية ، وإذاع في الراديو عددا من المحاضرات الطريفة ، فكان في ذلك كله الأديب المجدد ، والأريب صاحب الرأي الذي يقف موقف المتبصر المنزن الذي لا يتعصب ولا ينطرف ، ولا ينال منه التفريط أو الإفراط

وقد كان يدعو الى أن يكون لمصر أدب قومي ، ولكنه عربي الشكل والصورة ، ويجذب التجديد في الأدب والأخذ عن الآداب الأجنبية ، ويرى انه لا غناء لنا عن ذلك ، فانه مما يهذب خافتا ويفسح في ملكاتنا ، ويرهف من احساسنا ، ويهدينا الى كثير من الأغراض . على انه يرى ان الأخذ عن هذه الآداب لا يجدي ولا يؤدي الغرض المراد من مطالعته والاصابة منه الا اذا هذبنا ما نأخذ ، ولونا من صورته حتى يتسق وطباعنا ، ويوائم مألوف عاداتنا ، ويستقيم لاذواقنا مع صوغه في نظام من البلاغة العربية محكم التصيد . وبهذا نزيد من ثروة الأدب العربي

الأديب البشري وفن النكتة

وقد امتاز رحمه الله بخفة الروح ، وعدوبة النفس ، وميله الى المفاكهة والمداعبة ، ورواية النكتة . وهي في أصدق وصفها نوع من الأدب وفن من فنونه ، لانها تحتاج الى الذكاء اللامع ، والتصوير المبدع ، والدبابة الحاضرة والخالط السريع . وتقوم النكتة في أصل معناها على مخالفة القياس العرفي ، أو القياس المنطقي ، ونقض الخيال العادي ولكن البشري يعرف النكتة - على العموم - بانها ضرب من التصوير الكاريكاتوري أو على الأصح ان التصوير الكاريكاتوري ضرب من النكتة لان صاحب هذه يملك ما لا يملك المصور من الاسترسال في التصوير والتخييل بالاشتقاق والتوليد ، فلا يزال يقلب الصور ويلونها ، ويخرجها واحدة بعد أخرى في اشكال وأوضاع مختلفة حتى يأتي على جميع المعاني التي يحتملها المقام

وكان يرى ان هذا الفن هبة واستعداد ، وان الرجل الذي أوتى هذه الهبة يلحظ الانحراف مهما دق في اخلاق المرء أو في حلقه أو في بعض عمله أو حديثه ، أو في أي شيء من الانشاء ، فسرعان ما يسوى له بخياله صورة مكبرة مهما تبعد في شكلها عن الأصل فهي متصلة به بسبب أو بسباب . وقد يخلق النكتة الحديث خلقا ، ولكنه انما يترجم به عن حال من يتندر عليه . ولقد تجيء النكتة في صورة جواب مسكت استفادا الى حال واقعة ، أو نأى في شكل ملاحظة لطيفة . ولقد تجيء بالاشتقاق اللفظي ، أو من تحريف اللفظ عن جهته كما روى عن المرحوم محمد البابلي انه سمع المعنى يقول : ه أهل

السماح الملاح دول فين أراضهم ؟ فاجاب من فوره : « فى البنك المغارى » !!
وقد تقع النكتة بالمقابلة والطباق ، فقد اخترع رجل طريقة سهلة لترويق الماء ، وكان
محمد البابل يستغل ظله ، فقال :
- بقى يا اخوانا . الراجل ده يروق الميه ، ويمكر دمننا . .

بعض أفكاه البشرى ومراجعاته

ولقيد الادب عبد العزيز البشرى أفكاه ومداعبات تناقلها الكثيرون عنه وعن حافظ
ابراهيم أو عنهما مع المرحوم محمد البابل . وقد كان الثلاثة أصدقاء ، غير ان بعضها مدخول
عليهم ، وهى مشهورة غير اننى أروى للقراء بعض ما سمعته منه مما لا يعرفه الكثيرون ،
فقد حدثنى ذات يوم انه كان واقفا ينتظر الترام فى الزمالك ، فامتد الانتظار به ، حتى
تبرم بوقوفه . وبينما هو على هذه الحال اذا بسيارة فخمة يسوقها شاب وبجانبه فتاة ،
فأشار رحمه الله اليهما ، فوفقت السيارة ، فتقدم منهما ، وقال :
- لازمى لحضرتكم عدول ١٩ . .

فضحك الشاب والفتاة ، وانطلقا بسيارتهما مع الريح تازكين العذول يحرقه الانتظار
وروى البشرى انه كان فى الترام ، فقابلته لحاد (تريبى) يعرفه ، فسلم عليه ، وأقبل
يحييه بما جرت به عادة الناس ، فقال له (التريبى) فى رد التحية : « احنا واقه يا استاذ فى
الخدمة » فقال له البشرى : « الله يحفظك » فاجاب التريبى من فوره : « ربنا لا يحرمنا
منك » . . !!

وقد تولى كتابة أحاديث رمضان فى السياحة الاسبوعية ، وفى جريدة المصرى ، فكان لا
يكذ ادعان الصائمين بالحوث الفقيه ، ولا بالمواعظ المنبرية ، بل كان فى الكثير يعمد الى
الترفيه عنهم بموضوع اجتماعى فى أسلوب طريف ، يعرض فيه بعض مشاهداته وتجارب
النادرة ، ونظراته السديدة . وكانت له طريقة فى النقد اللاذع يسوقه فى مداعبات
وغمزات فكاهية صائبة . ومن ذلك ما كتبه بعنوان : « شعراؤنا والتدابير » ، وقد أخذ
على بعضهم مواقفهم الكثيرة فى المآثم والأفراح حتى لم يبق لهم فى الشعر الا هذه المواقف
ومن ذلك قوله :

« الحمد لله . لقد أصبح عندنا « طقم » شعراء لا يقل استعدادا ولا سرعة اجابة فى
المهمات عن « موسيقى حسب الله » ، تمشى فى الزحف كما تمشى فى الجنائز ، وتعزف دائما على
حسب الأحوال بالمطرب والمحرزن من الألحان

« أمسى طقم الشعراء من ضرورات الحياة عندنا ، يخف للدعوة ، وينشط للشعر
هنا لكل ممرس ، وترجيا بكل قادم ، وتكريما لكل مولع بالظهور ، ورناء لكل ميت ،
ولا يبعد أن تسع غدا هذه المهنة فيحل شعراؤنا محل جماعة « شوبش » فى صبيحة العرس ،
و « صلوا عليه سعيد » فى موكب « المطاهر » !

« ولعل شعراءنا المجيدين يتخذون لهم محلا مختارا حتى يكونوا تحت طلب « الزبون » في كل وقت . فلا يتموا أصحاب الأفراح ، ولا أهل الموتى في التماسهم وطول البحث عنهم . . . ولقد أصبح وجه التسه شديدا بين طائفة من شعرائنا وطائفة الندابات في مصر . وهل جازك ايها القارىء نأ السيدات : « حطبة » و « حنطورة » و « أم امام » و « ببيت » و « دجاجة » ؟

« انهن لا يتقصن عن شعرائنا بديهة ولا حضور قول ، واكثرهن كذلك تشتغل نائمة في المآتم ، وعالة في الأفراح . . . والشئ بالشئ يذكر ، فلقد اتصل بنا ممن لا يشك في روايته ان المحلات التجارية الكبرى رأت ان تتخذ من الندابات أحسن ركلام عند من ينشئين المناحات من السيدات . لذلك تراهن يتنهزن الفرصة في موت احدى العذارى ، فيلقن فيما يندبن مثلا :

(يا لى مالحنش تنهى يا حلوه . يا لى مالحنش تمنى يا عروسه . يا لى مالحنش أبوك يفرح بك يا شبه ويجهزك من محل فلان . .
(يا لى ماوعتش لما يشتريلك الطقم اللاكيه الى على الشمال والواحد داخل يا حلوه
(يا لى خطفك الحطاف قبل « الاوكازيون » الى فيه الحاجه هناك بتراب الفلوس يا عروسة !)

« وما بدرنا فلعل تجارنا واصلون غدا الى أن يؤجروا بعض شعرائنا ليعسنوا لهم ركلاما عن بضائعهم وموداتهم في حفلات الاربعين ، فيشدوا مثلا :

« ولقد تخسر ملك النية قبلما نهنا بما جلبوا اليك وأطلبوا »
« لجهاز عوسك كل غال قيم جادوا به فمفضض ومذهب »
« من عند سيمان الشهير وبعضه من شيكوريل أعز ما يطلب »

ومن هذا الباب كثير مما حوى فمزا ونقدا فكاهة مثل : « التطفل والمتطفلون » ، و « الباعة المتجولون » ، و « الشحاذون » ، و « الى الحكومة » ، و « اقتصاد سياسي » . الخ وقد توخى في ذلك كله التهذيب الحلقى ، والتوجيه القومي الى رقى الامة واصلاح ما فسد من حياتها الادبية والاجتماعية ، على أنه في كل ما غمز به ، ونقد فيه نواحي الحياة العامة لم يتناول عرضا شخصيا ، ولم يمس فردا في نفسه أو أهله ، بل نأى عن ذلك وعاش طول حياته مكرما لنفسه ولغيره ، محبوبا من الجميع . ومع أنه فسا على بعض الطوائف كالشعراء في هذا المقال الا انه استغفرهم وأقر بفضلهم ، وأعلن أنه ينتقد حالا من الحالات يراها في قومه ، فيعمد الى نقدها واصلاحها وهو ما يجب أن يكون هدف الاديب ورسائله في العصر الحديث

طاهر الطناحي

جنكيز خان

القائد الذى ابتكر فنون الحرب الحديثة

قال الجنرال دوجلاس ماك آرثر : « لو أزيلت من صحائف التاريخ جميع المعارك الحربية ، فيما عدا معارك جنكيز خان ، لظل في وسع الجندي الحديث أن يجد منجما خصيصا يستخرج منه كل ما يريد أن يعرفه في تكوين الجيوش وخوض الحروب وكسب المعارك »

فلا يمكن للجندي ، في نظر ماك آرثر ، أن يتعلم حرفته بمجرد التدريب والممارسة . ومع أن أدوات القتال تغير من عصر الى عصر ، إلا أن للحرب قواعد وأصولا لا تتغير ولا تبلى . وهذه هى المبادئ التى يجب أن يرجع الجندي الى كتب التاريخ وأسايده ليُعرفها ويدرسها . وسوف يجدها على أكمل ما تكون دقة ووفاء في سيرة جنكيز خان الذى عاش منذ سبعة قرون

فقد كون جنكيز خان بالحرب والفوز أعظم امبراطورية شهدها التاريخ ، اذ كانت أطرافها تترامي من شواطئ المحيط الهادئ الى أواسط أوروبا ، شملت على أكثر ماكان يعرف من أرض العالم ، وعلى أكثر من نصف سكان المعمورة حينذاك

وقد انتهى أمر نابليون بالهزيمة ، أما جنكيز خان فلم يخسر معركة واحدة ولم يمت جنكيز خان الا شيخا مسنا ، وقد بلغت انتصاراته الحربية ذروتها ، كما بلغت امبراطوريته أقصى سعتها وأوج مجدها

وكان قيصر والاسكندر مدينين لاسلافهما الذين أوزنوهما العروش وكونوا لهما الجيوش ومهدوا أمامهما طرق الفتح والانتصار . أما جنكيز خان فأنشأ عرشه بنفسه ، وبني جيشه يده ، ولم يكن لاسلافه عليه يد ما

وكانت جيوش أعدائه تتفوق دائما على جيوشه في عدد جنودها ، فلم يتيسر له أن ينزل الى ساحة الحرب أكثر من مائتي ألف جندي ، ولكنه استطاع بهذه القوة الصغيرة أن يحطم ويقوض امبراطوريات حاشدة بملايين الأفراد . فهو على الأرجح أعظم جنود التاريخ نجاحا

ومعنى كلمة جنكيز خان « الحاكم الأعظم » . وهو اسم اختاره لنفسه ، أما الاسم الذى أطلقه عليه أبوه فهو « تيموجان »

كيف نشأ جنكيز خان

وقد مات عنه أبوه ، بسم دسه له أعداؤه ، وما زال ابنه في سن الثالثة عشرة . ولكنه كان حينئذ مكتمل البنية شديد المراس ، يقضى يوما كاملا على متن جواده ، ويجيد تفويق السهام ولقاء المنازلين . وكان الى هذا قوى الروح عازم الارادة ، فحزم أمره على أن يخلف أباه في رئاسة قبيلته الصغيرة التي كانت تهيم في مراعى آسيا وهضابها ، ولكن رجال القبيلة أبوا أن يسلموا قيادهم لهذا الفتى الناشئ ، أما القبائل الاخرى فتوجست منه شرا وأخذت تكيد وتدبر له أمرا ، وراح رجالها يتمقبونه في تلك الفياق كالغاف يطاردون صيدا ، حتى اذا وقع في أيديهم ذات مرة لم يسفكوا دمه ، بل وضعوا على عنقه نيرا ثقيلا من الخشب ونبثوا فيه معصيه حتى لا يملك فككا منه ولا حراكا ، وأقاموا عليه حراسا يمنونه من الفرار فيهلك في الصقيع تعذبا وتنكيلا . ولكن لما جنى الليل نهض الفتى بما ينقله من الثبر ، وراح يضرب به من يلقى من الحراس فيردهم قتلى ، حتى تيسر له الفرار وما زال الثبر مثبتا على عنقه الى أن صادف سيادا فرفعه عنه وفك عنه الوثاق

وهكذا أمضى الفتى حياته الاولى دائما في القلوات ، يتألب عليه أهله ويكيد له عدوه ، دون أن يفث هذا في عضده أو يرجه عما عزم عليه أمره ، وهو أن يتولى زمام قبيلته أولا ، ثم يثار من قنلة أبيه ثانيا ، ثم يقيم نفسه حاكما على آفاق الارض وأهنيها

وقد أمكنه في سن العشرين أن يؤلف حوله أهل قبيلته يشدون أزره ويتمرون بأمره . ثم أخذ يحارب تارة ، ويتآمر تارة ، ليجمع من حوله القبائل الاخرى . ولم يبال في هذا أن يسفح دم أى شخص يناوئه ويحديه ، أو يطمح في أن يشاركه السلطان الذى أراد الانفراد به وحده

ومضت السنون وهو ماض في توطيد حكمه وملكه حتى دانت له في سن الخمسين جميع قبائل آسيا الوسطى ، وأقام للملكة عاصمة في وسط سهول منغوليا هي مدينة كراكوم ، التي كانت تعرف باسم مدينة الرمال السوداء ، وهي ملتقى طرق القوافل وسوق رائجة لعروض التجارة في هذه الآفاق

وكان جنكيز خان في هذه السن رجلا سلب المود قوى الاجلاد ، يتدنر بغراء الغنم وجلود الماعز ، ولا يعنى من هذا الغلاء الحشن وجهه الناحل الصلب ، فعليه كساء من الشعر ، لا تظهر منه سوى عينييه البراقطين في محجريهما العميقين ، وقد احمرت حوافهما من كثرة ما ينفذ اليهما من غبار تلك الفياق السوداء ، وما كان يتكلم الا قليلا ، ولا تخرج كلماته الا بعد صمت طويل وترو عميق ، وكان وراء كل كلمة من كلماته أمرا يدبره أو مكيدة يحكيها

وهكذا صار جنكيز خان في الخمسين من عمره سيد آسيا غير منازع ، تدين له جميع قبائلها بالطاعة ، ولا تجرؤ احداها على أن تعصى له أمرا . ولكن لو وفق أحد خصومه

فأصابه حينئذ بسهم يردبه قبلما عرفنا الآن من أمره شيئا ، ولذهب في غمار التاريخ منسيا مجهولا ، ذلك أن أعظم أعماله وأجمل فتوحه ما قام به بعد ذلك في الأعوام البسة عشرة الأخيرة من حياته . فقد أمكنه في هذه السنين أن يواجه القوة الحربية الهائلة التي كونها وأعدّها الى فتح العالم المعروف حينذاك

فالى الشرق من ملكه تراسى أقاليم الصين التي كانت تنقسم حينذاك امبراطوريتين : كين في الشمال وسنج في الجنوب . فسير جنكيز خان فرسانه وأجناده ، فشقوا طريقهم في سور الصين الكبير ، وانسابوا منه هائمين في أرجاء الصين ، حتى احتلوا عاصمته الشمالية « ينكنج » ، فلاذ الامبراطور بالفرار ، وكان النصر حلسا مؤزرا .

وبعد ذلك بثلاث سنوات اتجه جنكيز خان الى الغرب حيث تراسى الاقاليم الاسلامية ، فلم تنقض شهور قلائل حتى وقعت « سمرقند » في قبضته وفر سلطانها هاربا ، وأخذت جيوشه بعد ذلك تهيم غازية فاتحة في الهند جنوبا ، وفي بلاد الاسلام غربا ، ثم تصعد شمالا فتتغذ الى قلب روسيا ووسط أوربا ، وهى في هذا كله لا تعرف معنى للهزيمة أو الوقوف . فما السر في هذه القوة الجارفة ، وما السر في هذا النصر المطرود المؤزرا ؟

عناصر نجاح جنكيز خان

لعل مرجع هذا الى ما وهبه جنكيز خان من قوة العزم وشدة الارادة ، وما امتاز به من حيوية الجسم والعقل ، ومن صرامة في حكمه وقضائه . ولكن السبب الحقيقي يرجع الى ما ابتكره جنكيز خان في فن الحرب من طرائق وأساليب فوقته على أعدائه الذين يفوقونه عددا وعدة

كان جنكيز خان أول من حشد الشعب بأسره في سبيل الحرب ، أى أنه ابتكر منذ سبعمائة سنة هذه « الحرب الشاملة » التي لا تدور رحاها في جهة القتال فحسب ، بل في بالجهة « المدنية » كذلك . وإن المرء ليجد كثيرا من وجوه التشبه بين هذا الفن الحربى الذى ابتكره جنكيز خان وبين الفن الحربى الذى تقوم عليه الحرب الحديثة ، حتى ليمكن أن يعد هذا الجندى المغولى استادا لمن تدوى بلسانهم آذان العالم في الوقت الحاضر من قواد الجيوش

ففى جهة القتال كان فنه الحربى يتمد على « الجواد » الذى وجد فيه خير أدوات القتال اذ لا يكل من السير والعدو ، ومن الكر والفر ، وفي وسعه أن يظل في ساحة القتال ثلاثة أيام متواصلة لا يثبات بشىء الا بما تنبش عنه حوافره في التلوج والصخور من الحشائش الجافة . وكذلك درب فرسانه خير تدريب ، حتى صاروا يظلون على سهوات جيادهم الأيام دون اعباء ، ويروحون خصاما أيا ما متتالية لا يذوقون سوى جرعات من الماء وكان كل جندى من جنوده يحمل قوسين ، أحدهما عند ما يكون راكبا جواده ،

والآخر عند ما يترجل على قدميه . وكان للقوسين ثلاثة أنواع من السهم ، ما بين طويل وقصير ووسط بين الاثنين ، ولكل منها عمله حسبما يكون العدو قريبا أو بعيدا . وكان الجندي يحمل معه جرابية من اللبن المجفف يتناول منها قوته اليومية في ساحة القتال ، كى لا يتقل الجيش بحمل مؤونة الجنود ، وكى يستطيع الجندي أن يواصل منزلة عدوه أياما دون أن ينقطع لتناول الطعام .

وكذلك كان يحمل الجندي ما يلزمه من الأقواس والسهم في حقيبة صغيرة من الجلد ، يستطيع أن ينفخ فيها ، فإذا بها قارب يعبر عليه ما يعترضه من مجارى الماء !

وقد قسم جنكيز خان جيشه وحدات متفاوتة العدد ، فمنها ما يتألف من عشرة جنود ، ومنها ما يستعمل على مائة جندي ، ومنها وحدات كبيرة في كل منها ألف جندي . وكانت هناك الى جانب الفرق المحاربة فرق من الجنود المساعدة ، أى من المهندسين والاختصاصيين الذين يعدون أدوات القتال ، وأدوات الحصار ، وما يلزم في هذا وذاك من متاريس وحواجز . وكان الشعب من وراء ذلك يكرس كل همه وجهده في اعداد الجيش بما يلزمه من مؤونة وذخيرة ، ويغرض على نفسه التقير والحرمان .

أما التكتيك ، الذى ابتكره جنكيز خان فكان آية في دقته وإحكامه ، فكان يقسم جيشه خمسة أقسام ، يفصل بين كل وما يليه مسافة طويلة ، وتتقدمها كتائب الهجوم المفاجئ ، وهى مسلحة بأفك الأسلحة من سيوف ورماح ، أما قاذفو السهم فكانوا في مؤخرة الجيوش حيث يرسلون سهامهم من فوق الرؤوس الى حيث تصيب الاعداء في مقاتلهم . ويمكن أن تشبه فرقة قاذفى السهم في الحرب الحديثة بفرق المدفعية التى تقوم في مؤخرة الجيش ، بينما تقف فرق الدبابات في المقدمة لتشق طريقها وسط صفوف الاعداء ، وكذلك كان يفعل جنكيز خان ، فإذا ما تهاوت السهام على العدو فأوقعت الفوضى في صفوفه ، أسرع كتائب الهجوم الامامية فشقت طريقها وأعملت سيوفها ورماحها

وقد كان التعاون بين فرق جنكيز خان وثيقا دقيقا ، ولم تكن تتصل بعضها ببعض بالنداء والصياح كما كان الشأن في الجيوش القديمة ، بل كانت تستعمل أعلاما بيضاء وسوداء تلوح بها وفق ما تمارفت عليه .

وبالرغم من قلة عدد جيوش جنكيز خان عن عدد جيوش أعدائه ، الا انه استطاع أن يظهر عليهم في جميع ما خاض من المارك ، وذلك بمقدرته على إيقاع الرعب والفوضى في صفوفهم مما يكرههم على التفرق والتشتت ، بينما يكون جيشه موحد القوى مركز الاتجاه . وكان جنكيز خان فضلا عن هذا أستاذا فى الخدعة والحيلة ، فما كان يضرب بتاتا حيث يتوقع العدو ضربه ، بل يوجهها دائما الى المواقع التى أغفلها عدوه استهانة بشأنها ولا شك أن من عوامل انتصاره السرعة الفائقة التى كانت ديدنه في تسير جنوده ، فقد كانت سرعة جيشه عادة ضعف سرعة جيوش أعدائه . وما كانت المعاول الحصينة

لتؤخر زحفه ، بل كان يقنع بحصارها حتى تستسلم فيما بعد ، موجها سائر جيشه الى تعقب العدو ومطاردته دون هواده وابطاء

فالجواد الذى اعتمد عليه جنكيز خان ، والفرسان الذين اعدهم للقتال منذ نعومة اظفارهم ، وأدوات القتال التى اعد بها جنوده ، والطرائق التى ابتكرها فى تقسيم الجيش وتوزيع العمل على كتائبه ، والسرعة التى كان ينقل بها جيشه من ساحة الى ساحة ، والحدع التى برع فيها توهينا لقوى أعدائه وتركيزا لقوى جنوده - هذه هى العناصر التى حققت له انتصاراته الساحقة

ولكن لا ننس أنه كسب كثيرا من معاركه قبل أن يخوض غمارها ، فقد برع فيه استعمال « الكلمات » مثلما برع فى استعمال أدوات القتال . والحق ان هذا البربرى الذى ما كان يعرف القراءة والكتابة كان نابغة من نوايا الدعاية

الطابور الخامس وسلاح الدعاية

لقد ابتكر هذا الرجل « الطابور الخامس » . وكان مؤلفا من قوافل التجار التى كان يرسلها الى الاقاليم المجاورة ، حيث تبت دعايته وتؤلف له فيها الاصدار والمؤيدون . وكان اذا أراد أن يهاجم اقليما درس شعبه دراسة وافية ، وتعرف الى ما فيه من عناصر التدمير والتمرد ، ليستعين بها فى تثبيت كلمة الشعب وغميد طريق الغلبة عليه

ذكر مؤرخوه أنه عند ما أراد أن يفزرو بلاد الاسلام ، علم ان ثمة نفورا بين السلطان وأمه التى كانت تنازع ابنها بعض أمور الحكم والسيادة ، فأرسل اليها بمنىها بالوعود والامانى ، ويوسع شقة الخلاف بينها وبين ابنها ، فلما دخلت جيوشه تلك الاقاليم وجدتها فى حرب أهلية بمرت له النصر العاجل الخامس

وعند ما أراد مهاجمة الصين اكتشف عيونه أن وزير الحرية يخلص من أموال الدولة فأذاعوا الخبر وساقوا فيه القصص والروايات ، فلم تلبث أن قامت فى الصين أزمة سياسية عنيفة استأثرت بتفكير الخاصة والعامة ، بينما كان جنوده يهاجمون البلد ويضعفون فيها زحفا موقفا

وكان لجنكيز خان فى كل بلد « كويرلنج » يخون وطنه النعاسا ليرضى الفاتح الغازى .

وكان يتألف هؤلاء الحونة برضى من الاموال والمناصب يشتري بها أوطانهم وكذلك اخذ الدعاية سلاحا يوقع به الرعب فى قلوب أعدائه . فكان أعوانه ينشرون فى البلد الذى يريد أن يفتحته أن لا فائدة من القتال والمقاومة ، وأنه مقضى عليه بالهزيمة والاندحار ، وان خير سياسة هى الاستسلام والتسليم ، مذكرين الناس بما لقي من سبقوهم الى المقاومة من ضروب الاذلال والتعذيب . وكانت الصيحة التى تسبق جيوش جنكيز خان تلخص فى هذه الجملة : « اما أن تسلموا واما أن تبادوا » . فاذا خدعت هذه الكلمة أعداءه فسلموا ، عمل فيهم صوط عذابه حتى ييدهم !

وكما كانت الدعاية سلاحه في اضعاف قوة أعدائه ، كانت سلاحه في بناء القوة المعنوية في رجاله . وقد أمكنه بالدعاية ان يجعل الناس ينظرون الى مهنة الجندي نظرة التمجيد والتعظيم ، ويرون أن واجبهم أن يعملوا ويجهدوا ليتمكنوا هذا الجندي من البقاء في ساحة القتال الاعوام الطوال ، موفور المؤونة مكتمل السلاح والذخيرة . وكذلك علم جنكيز خان قومه أنهم سلالة جنس أرقى واسمى من سائر الاجناس ، فمن حقهم ، بل من واجبهم ، أن يحكموا جميع الشعوب والاقوام . ولم يتحرج جنكيز خان عن شر ضروب القسوة والمذاب ينزلها بأعدائه جميعا ، فاذا قاومته مدينة من المدن أشعل فيها النيران حتى اذا وقعت في يده أطاحت سيوف رجاله رؤوس كل من فيها من رجال ونساء وأطفال . وما كان يترك مدينة من المدن حتى يقضى أهلها ، فكان يبقى في كل مدينة بعضا من رجاله ليفتكوا بمن اختبأ من أهلها ، وكان هؤلاء يرسلون نفرا منهم يصيحون في أرجائها أن العدو قد تركها ، فخرج الناس الى الطرق آمنين ، فاذا برجاله يقتضون عليهم ويعملون فيهم سيوفهم وخناجرهم . وكان من دأبهم أن يقطعوا رؤوس الناس حتى لا ينجو منهم من يتظاهر بالموت . وقد ذكر مؤرخوه أن رجاله ذبحوا في مدينة واحدة خمسمائة ألف نسمة ما بين رجل وامرأة وطفل وظل جنكيز خان في حروبه وغزواته حتى مات في أثناء احداها في سنة ١٢٢٧ وله حين العمر ستة وستون عاما .

ولكن ما من شك في أن الفن الحربي الذي ابتكره جنكيز خان سواء في ساحة القتال أو في اعداد الجيش والشعب ، أو في تحطيم قوى العدو - مبطل - كما يقول الجنرال ماك آرثر - صالحا للعمل والاعتداء به في جبهتنا الحاضر في انشاء جيش كفء ، كما كان صالحا منذ سبعة قرون خلت ، وذلك بعد تنقيته مما علق به من المذابح المروعة والبربرية الباطشة . واذا عرفنا أن ليس في اللغة الانجليزية سوى ترجمتين أو ثلاث لحياة جنكيز خان ، بينما في الالمانية خمس دراسات متصلة بفنونه ومعاركه الحربية ، أمكننا أن نتذكر الى أي حد أفاد الالمان من هذا الجندي الكبير .

(خلاصة مقال بقلم ادوين مولر لى صحيفة اميريكان ليجيون)



مستمرد المرأة المصرية على الدنيا التي بناها الرجال ، وتصبر على أن تفتك في بناء
العالم من جديد . . وسيرها القرن الحادى والعشرون قد فخت باين مومدين
اليوم أمامنا : أما الأول ، فهو باب الأزهر . وأما الثانى فهو باب البرلمان

نساؤنا فى آخر القرن العشرين

بقلم الأنسة ابنة الشاطئ.

لم يخطر هذا الموضوع على بالى قبل أن تقترحه على مجلة الهلال الغراء : لقد كنت من
بين أفراد الطليعة الضاربة فى تيه الاتقال ، فسلطنا أموال التيه عن التفكير فى الامس
كيف كان ، والغد كيف يكون ، حتى اذا أتمنا الرحلة ووصلنا الى آخر الشوط ، وقفنا
نصغى الى أنين الضحايا ممن نخلفن عن الركب وسقطن صريعات فوق الصخور والاشواك
والرمال ، فأمست أشلاؤهن معالم هادية فى الطريق المظلم الوعر ، وفدا حطامهن جسرا
أديما نهيا تعبر عليه المرأة المصرية من الجهالة العمياء الى نور العلم والعرفان
وعصير على من سمع هذه الاشلاء النائحة ، ورأى ذلك الحطام المنهار ، أن تنسوقه رؤى
الغد ، ويطيب له الحديث عن التفكير فى المستقبل ، اللهم الا أن يعصمه جود الحس ، وتنهيا
له نعمة القسيان ، وهيهات .
فليكن حديثى اليوم مربية للشهيدات المجهولات ، وتحية لاشلائهن الممزقة ، وحطامهن
المنهار !



نساؤنا بعد نصف قرن من الزمان

ماذا يكون من أمرهن ، وإلى أين تنتهى بهن هذه السنين الطويلات ؟!
انها رحلة معلوية فى ضمير النيب ، يشق السير فيها بغير دليل ، فليكن لنا دليل من
ماضينا القريب ، ولنعد الى الوراء نصف قرن ، لئرى ما فعلت بنا الايام ، فى هذه الحلقة
من الزمان

نحن الآن فى عام ١٩٠٠ على التحديد ، وقد توقفت عجلة الحياة فى مصر برهة ، لان
أهلها وقفوا يتفرجون على فتاة مصرية واحدة ، نالت الشهادة الابتدائية فى ذلك العام ،
لاول مرة فى تاريخ البلاد
ونشر المؤيد ، فى تلك المناسبة ، قصيدة للتلميذة النابغة ، تفخر فيها بأنها مساوية
الرجال فى التعليم .

ونقضى سنوات معدودات ، فسمع « التسخ عبد الكريم سلمان - رئيس تفتيش المحاكم الشرعية في ذلك الحين » يسجل ظاهرة أخرى غريبة ، اذ يروى عن شيخ مسن أنه ذهب - وهو شاب - الى إحدى الاسواق ، فعجب اذ رأى امرأة في السوق ، « وما عهدها من قبل ذلك النهار الا قعدة البيت ، ولما قص على أبيه القصص ، قال له أبوه : « يا ولدى لا تعجب ، فانا قربنا من آخر الزمان ! »



على أعقاب هذا الجيل ، جاء جيلنا الذي أيقظ دعوة « قاسم أمين » النخلة ، وغذى الارب الحائية باللحم والدم !

ومن أبناء هؤلاء الرجال والنساء ، تألفت مواكب الفتيات المتعلمات اللاتي تضيق بهن المدارس اليوم

ومن تلك الامة السائدة ، بدأنا رحلتنا الشاقة ، فاندفعت جموعنا في سرعة هوجاء ، فتحتم المدارس الاولى والابتدائية والثانوية ، حتى أدركت أبواب الجامعة ، فافتحتها ألوف منا ، وبدأت الطلائع تستبقي في ميدان الدراسة الجامعية العليا

وتجاوزنا - في هذا العمر القصير - حدود الحجاب وجدران الحدور ، وأسوار التقاليد ، الى آفاق الدنيا وميادين العمل ، حتى غدت الواحدة منا يباح لها السفر - وحدها - الى أوروبا وأمريكا ، والشام والعراق ، حرة طليقة سافرة ، وقد كانت أمها تشكو الحرمان من زيادة آله وذويها ومن أداء فريضة الحج

كل ذلك فعلته المرأة المصرية في النصف الاول من القرن العشرين ، فماذا تراها فاعلة حين يصل بها الزمن الى آخر القرن ، وان العام الواحد من أعوام عهده ليعدل قرنا كاملا من قرون ماضية ؟!



فأفلتت اليوم متممة ، قد أُنحستها الجراح ونال منها الاعياء ، لكنها لا تغلك - مع هذا - أن تنكس على عقبها وتعود أدراجها وتستقبل من أمرها ما استديرت ، لان ما بينها وبين ماضيا قد انقطع ، ولن ترضى أن تعود من حيث جاءت ، الى وادى الظلمات ، عبر التيه المخوف

بل ليس في طافتها أن تكف عن السير أو تنف لتستريح ، لانها تنزلق في المنحدر الوعر ، والزمن يمضي بها غير مكترث بما تعانیه

ويرى الاكثرون أن ما بقى من هذا القرن ، كقيل يتهدته سورة الانفعالات الحادة التي كابدها المرأة الجديدة ، والتهارات الضيقة التي تعرضت لها في عصر الانقلاب لكنى من أقلية محدودة العدد ، تصبغ أن يشهد الجيل المقبل خفقة الصراع ، وأن تستقبل نساؤنا القرن الحادى والعشرين ، وقد اطمأن بهن المكان في العالم الجديد ، ونعمن بالراحة والاستقرار

ويدفعنا الى ذلك الاستبعاد أمران :

أحدهما من طبيعة الانقلاب الحاضر ، والآخر من طبيعة هذا الغد القريب الذي تدفع نحوه جماعة النساء ، اثر حركتها الجارحة في جيلنا هذا .
لقد كان الانقلاب عنيفا غائيا طاعيا ، زادته السرعة والاندفاع والطفرة والجموح ، عنفا وعتوا وطمعانا ، فمن البعيد جدا أن نزول آثاره ونهدا سورته في قطعة من الزمان ، هي بطبيعتها أبعد الاوقات عن الهدوء المحتمل والاستقرار المظنون ، لأنها - في ذاتها - ستكون عهد ثورة جارحة وانقلاب خطير في تاريخ البشرية ، حيث تشهد نتائج النضال الهائل الرهيب ، الذي يحدث اليوم بين أعنف قوى شهدها الانسان في ماضيه الطويل .
أسمع من وراء السحب ، نذر عاصفة هوجاء ..
والمنع على أفقنا البعيد ، ثورة عالية صماء ..

ولن ندرك نحن هذه الثورة ، لكني أحس بوادرها تضطرم وتضطرب في كياننا .
فما من تذكر هذا المنهج الضال الذي ارتجله الرجل لحركة الخروج ، والاسلوب الشاذ الذي اصطنعه في معاملتنا بعد أن تميزت شخصيتنا ونضج كياننا .
أليس من الغريب انه علمنا كل شيء ، الا ما يمس حياتنا في الصميم ؟
علمنا الطب والفلسفة والصيدلة ، ولم يسلطنا بناء الأسرة !

وحدثنا عن العازر الرياضيات وأسرار الطبيعة وأنكبياء ، ولم يحدثنا بكلمة واحدة عن شخصية الانثى كما رسمتها السن الطبيعية ، والأوضاع الانسانية ، والحدود الشرعية !
وفتح أمامنا أبواب معاهد الطيران والتجارة والتمثيل ، وأغلق دوننا أبواب المعاهد الدينية ، وانه ليعلم أننا في بلاد شرقية اسلامية ، يستقل الدين فيها ، برسم نظام الأسرة ووضع حدودها ! ويفصل ، الفاضى الشرعى ، بين أفرادها في أمور الزوجية والبنوة والحضانة والنفقة والميراث

نم ، أليس من الغريب أن ينكر الرجل اليوم أمرنا ، بعد أن استجبنا لما أراد ؟
وأن يحاول ردنا الى مكان أمهاتنا وجداتنا ، وقد انقطعت بيننا وبينهن السبل ، وهو هو الذى دعا ووجه وحرك وأراد !
الا لا يحسبن الرجال أن المرأة سوف تسكت على هذا ، وتترك مصيرها ، معلقة بكلمة تخرج من أفواههم ، وتدع ابتها - من بعدها - تتمتع في ذلك الضلال ، وتواجه تلك الاعاصير والأنواء



بيننا وبين القرن الحادى والعشرين ، حقبة طويلة من الزمان ، تقطعها الحياة في مرحلتين ويمر بها جيلان متتابعان .
والمرأة في الجيل الاول ، هي التى تعاني آثار الاخطاء الكبيرة التى لا يست الحركة الحاضرة ، وتعرض لازمة نفسية قاسية عصيبة

ثم تأتى ابتها من بعدها ، فتعلن الثورة ، وتشعل النار ..
 مستور في امرأة الجيل المقبل ، فطرتها الموروثة وتحاول أن تنأى بها عن صخب العمل ،
 وغبار المعرك ، وضجة الميدان ، مدفوعة الى ذلك بقوة قاهرة من ميراثها العصبى والنفسى ،
 الذى انحدر اليها من أمهاتها ، على مر الحقب والدهور
 لكن هذه الفطرة الثائرة ، سوف تصطدم في كيان المرأة ، بعقلها الحديث ، وشخصيتها
 الجديدة التى تنأى بها عن الجمود والتعطل ، وتهفو الى الحركة والنضال ، مدفوعة بقوة
 غالبية من ثروتها المستحدثة التى كسبتها في عصر النور والعرفان !
 وسيكون كيان المرأة ، ميدان هذا الصراع : بين فطرتها السليمة الباردة ، وعقلها
 الناضج المتأزر .. بين ميراثها النفسى والعصبى القديم ، وثروتها العقلية الجديدة
 ويطول النضال حتى يستغرق الجيل الاتى كله ، ثم تكون الغلبة أخيرا للعقل ، وتلك
 هى كلمة الزمن وحكم التطور ..
 يومئذ تندفع المرأة ، في أواخر القرن العشرين بقوةها الطارئة ، في ثورة عاصفة ، تشعل
 نارها يدها الناعمة ، وتذكى لهيبها بالأعصاب والدماء !
 وسوف تبدأ هذه الثورة ، بالخروج على الدنيا التى استقل الرجال بنائها يوم كانوا
 وحدهم في الميدان ، ثم يريدون اليوم أن يفرضوها على المرأة الجديدة ، التى خرجت
 وتعلمت وعانت ونميت وطمحت !
 ستتمرد المرأة على الدنيا التى بناها الرجال ، وتصر على أن تشترك في بناء العالم من
 جديد
 وستنتزع منهم زمام القيادة في الحركة القومية ، لأنها مستسمع في مهدها قصة الرحلة
 العمياء ، والسباق المرتجل ، والانومة الطائرة المضيفة ، والرجولة التى كشفتها المعركة !
 حتى اذا بلغت أشدها ، اندفعت - ثائرة متهورة - تأزر لأمها وتحمل بناتها ، وتنتزع
 الزمام من أيدي الرجال ، لتجنهن الأسلاك والصخور ، وترسم لهن منهجا واضحا
 الحدود ، بين العالم متميز الاهداف
 وهى لن تتردد - في سبيل هذا - في دفع أى غن ، وخوض أية معركة ، وافتحام
 أى ميدان ..
 ستضئ في الطريق الوعر الى النهاية ، وسيرها القرن الحادى والعشرون قد فتحت
 مقلبين موصدين اليوم أمامنا
 أما الاول فهو باب الازهر ، تدخله عنوة ولو كره الرجال ، لتفقه الحدود الشرعية
 وتنتفع بها ، وتفسرها تفسيرا تراعى فيه مصلحتها كما فعل الرجل من قديم الزمان
 وأما الثانى فهو باب البرلمان ، تدخله اثر معركة رهبة تستشهد فيها الاتى ، لتشترك
 في توجيه الحياة الحديثة ، وبناء العالم من جديد

ويومئذ قد يشور الرجال ويسخطون وينكرون ، ويحاول نفر منهم أن يرد (المرأة الى رشدها) ويوقظ فطرتها النائمة
ولكن الزمن سوف يمضي بها غير مكترث بصياح الصائحين وسخط الساخطين ، وثورة
التأثرين !

ولن تبرا هذه الحركة العنيفة من الأخطاء ، ولن ينجو أهلها من فداحة التضحية وهول
الاستشهاد ، فإن المرأة سوف تهور في اندفاعها ، وتغلو في مطالبتها ، ثم يأخذها غرور
الشخصية الجديدة فيفسدها على الرجل ، ويضد عليها الحياة
إنها سننكر عليه أنه لم يتفوق على أبيه وجده ، بقدر ما تفوقت هي على أمها وجدتها ،
واته لم يحقق في نفسه معجزة شبيهة بتلك التي حققتها هي في نفسها ، في قرن واحد
من الزمان

ولعل خطيئته الكبرى أنه لم يثب الى السماء السابعة ، حين شارفت هي سماء الاولى
وأخيرا تقتد - الرجل - في دنياها ، وتمثل فطرتها صورة رائعة له ، تبدو لها في
عالم المثل ، وتسعى اليها من أعماق العصور الغابرة ، وتمثل الى كيانها في أحلام البقطة
ورؤى المنام

ويا ويلها من هذه المحنة !

ويا ويل الرجل منها ! . .

ذلك هو طابع الثورة ، في آخر القرن العشرين . .

ضحاياها من الرجال والنساء ، وأخطاؤها يشقى بها الفريقان على السواء . .

إن ثورة الأمس قد أشعلها الرجال ، وصلى بحرها النساء وحدهن . .

وغدا تدور الايام ، فتشعل النساء النار ، ويصلاها الرجال والنساء جميعا . .

وعزاء المرأة الوحيد ، أنها تستشهد هذه المرة في سبيل هدف تعرفه ، وتمضي الى ثورتها
بارادتها وقد كانت بالأمس ، تدفع الى النار مصوبة العينين !

ابنة الساطي



طريقة التحليل النفس الحديث في معالجة الأمراض النفسية ، أظهرت
لبنة الاعتراف وأوجت أهميته ، وساعدت الانسان على أن يعرف نفسه

الاعتراف والمعرفون

بفلم الأستاذ على أدهم

يجد كل انسان راحة مستطابة ، ويستشعر متعة خالصة اذا تحدث عما يشغى نفسه من احساسات ملحة ، وما يعالج من خوالج شتى ، ووصف ما يضطرب في خاطره من افكار وما يهيج به من هواجس ، وكان النفس تنفى بذلك همومها ، وتخفف من اعبائها ، أو كأنها تحاول ان تقذف حممها وتبثر شجونها لتفسح المكان وتخل الطريق لتأثرات لا عهد لها بها ، وتجارب جديدة ، وتيارات طريفة ، ولكن كثيرا ما يحدث ان لا تجد احدي النفوس سبيلا الى التخلص مما ادها ، ولا تملك الاعراب عما خالجهما ، والافضاء بما في نفسها ، وامثال هؤلاء الناس يستهدفون للأمراض النفسية والعقل النفسية ، واعراض هذه الامراض البارزة هي اعراضهم عن قبول التأثيرات الجديدة ، ومحاولتهم الاكتفاء باجترار احاسيسهم المؤلمة والتفدى بما يتأدهم من خواطر وأوهام ، وكل علة مستعصية مزمنة من هزل النفس مردها في النهاية الى سر من الاسرار خائر في اعماق الضمير ، متغلغل في ثنايا الفؤاد ، مضيق في ظلام اللاوعي ، وايو تمام يقول :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لدياجتيه فاعترب تتجدد

وكذلك طول اقامة الاسرار في اغوار النفس مخلق لدياجتيها ، هادم لاعصابها ، مضيع لسماعاتها وأمنها ، جلوب اليها الفشل من معادنه ، بل قد تتمخض مثل هذه الحياة عن فاجعة مؤثرة ، أو مأساة مروعة ، وفي افضاء النفس بما يكفلها ويملا شاعها لون من التجديد ، وضرب من التهوية والتصفية ، وابتعاث للنشاط وتحريك للشهية ، ولعل أكبر عزاء للشعراء والكتاب وسائر الفنانين هو انهم يستطيعون الى حد كبير ان يرسلوا انفسهم على سجيبتها ، ويرخوا لها العنان في التحدث عن آلامهم وآمالهم ، والبوح بما يجول في خواطرهم ويطوف باخلاقهم ، وتصوير ما يلم بهم من احاسيس ، وما يعرض لهم من ازمات ، فترتاح بذلك نفوسهم ، وتخف وطأة احزانهم ، وتنجلي همومهم ، وهم يجدون صعوبة ، ويلقون عنتا في محاولة رسم عواطفهم ، ووصف وجداناتهم وصفا دقيقا صادقا ، ولكن كلما راضوا تلك الصعوبة واستملوا على ما يتصداهم من الطوائل والعقبات استروحت نفوسهم وهدأت خواطرهم ، وليس اشقى من النفس المغلفة المنطوية على احزانها الماكفة

على همومها ، والتي لا تجد متنفسا للشكوى ، ولا منفذا للاعتراف
وفي حياة الاطفال الصغار تبدو العوامل الحفية المعقدة التي تعمل وتؤثر في حياة الرجال
الكبار واضحة جلية ، ونفوس الاطفال مرآة مجلوة نستطيع ان نقب فيها الكثير من ملامح
الانسانية وصفاتها ، والاطفال لا يتقنون المداراة ولم ترغهم الحياة بعد على مصانعة
الظروف واخفاء الاحاسيس ، فهم لا يستطيعون ان يحتفظوا بسر ولا ان يكتبوا أمرا ،
وليس في طوفهم ان يلتزموا الصمت ، ويتصنعوا الوفاق والاتزان ، فاذا جهلوا شيئا سألوا
عنه ، واستفسروا حقيقته ولم يتعمدوا اخفاء جهلهم وادعاء العلم والاستئثار بذخائر المعرفة
كان المطلوب من كل فرد أن يكون موسوعة حافلة متحركة ، ويعرض الاطفال عن هذا
الضرب من التفاق واللون المضحك من الادعاء ، وهم كذلك أحكم من أن يحتفظوا بسر
يرحق احصائهم ، وينتص عليهم متعة تجديد الاحساس ، والترفيه عن النفس ، اما الرجال
فانهم يأبون الا أن يحملوا الاسرار المفضية التي تحطم الاعصاب ، وتكرب النفس ،
والسر عند الاطفال عبء لا يصبر عليه ، ولا يمكن احتماله ، فهم لا يستودعون سرا الا
اذاعوه وضف احتمالهم عن الاحتفاظ به وهذا هو سر مرحهم الدائم ، وبشائهم المتصلة ،
وصفاء نفوسهم ، ونضارة حياتهم

والواقع أن السكار مثل الاطفال يضمنهم احتمال الاسرار ، ويزعجهم ، ويقض
مضاجعهم ، ويثقل على نفوسهم ، ويسرهم ان يتخلصوا منه على أى وجه من الوجوه وبأية
صورة من الصور ، فاذا لم يوحوا بالسر مباشرة ، ولم يقولوه صراحة بلا مواربة ولا لف
ولا دوران التمسوا لذلك اسلوبا خفيا ، وطريقا معوجا ، واسلوبا رمزيا ، وركنوا الى
الايهام والاشارة ، والتلويح والكناية ، مما لا تخفى دلالة على البصير بدخائل النفس ،
والعالم بما تخفى الضمائر ، وقد روى أحد علماء النفس ان امرأة اوتكتبت الخطيئة ، وعادت
بعد ذلك على نفسها باللائمة ، وبكتها ضميرها ، واشتد ندمها ، ولكنها لم تستطع الاعتراف
بجريمها فكأنت لا تنى تتسل يديها في مناسبة وغير مناسبة ، فقد استولت عليها فكرة انها
قذرة ملوثة ، وانها غير طاهرة الذيل ، فهدتها فطرتها الى اسلوب من الاعتراف الرمزي
غير المباشر التماسا لراحة النفس ، وتهدة للضمير ، ولكنه اسلوب لا يفهمه الا الراسخون
في العلم ، وكانت هذه السيدة عندما يوجه اليها السؤال عن سبب غسل يديها تقول :
« لان يدي ملوثة » ومثل هذا الاعتراف الرمزي كثير الحدوث متنوع الرموز ، وهو نوع
من المساومة وعقد الهدنة بين الدوافع النفسية المتعادية ، والخواطر المحتربة ، ولا يعادل
بطبيعة الحال اطلاق النفس على فطرتها ، والتخلص المباشر من سيطرة الامراء ، واعباء
الاحساسات الباطنة المستخفية

ويقول الذين عاشوا طويلا بين جدران السجون ان شر ما كانوا يلقونه في السجن هو
عدم استطاعتهم نقض اسرارهم ، والتحدث عما خالجه من احساسات ، وأكثر الرحالة
الذين طافوا بالعالم ، وجابوا الاقطار ، كانوا يعقدون الصداقات ويتعرفون الى الناس في

تختلف الجهات حاجتهم الماسة الى أوعية يستودعونها احاسيسهم ، ومضمر أسرارهم ، وغرات تجاربهم ومشاهداتهم ، وحاجتنا الشديدة الى الاصدقاء الاصفياء الذين تألفهم ونستريح اليهم ونستشيرهم في مشكلاتنا ونشاطهم صرراتنا واحزانتنا سببها هذه الرغبة القابضة على زمام نفوسنا ، الغالبة على طباعتنا ، ولقد كان رجل مثل الخليفة العظيم هرون الرشيد في أوج سلطانه ، وغفوان مجده وعزته يشعر بحاجة الى صديق يخلطه بنفسه ، ويقاسمه ملكه ، ويغضى اليه بدخائله ومسكنات ضميره ، ولقد أصاب في بادئ أمره هذا الصديق في وزيره جعفر البرمكي ، وبدا له بعد ذلك ان هذه الثقة في غير مكانها فتغير قلبه وسامت حالته النفسية ، ومأساة حياة البرامكة هي نفسها مأساة حياة الرشيد ، وانهار ثقته في الحب والصدقة والنفس الانسانية قاطبة

وغشيان المجتمعات ، وإرتداد الاندية سببه رغبتنا في فتح مغاليق قلوبنا ، والتخلص من أسرارنا ، فالأحداث المتبادلة في أمثال هذه الاجتماعات تلتطف من شجوننا وتذود الملل عن نفوسنا ، والأحداث المستطابة والمناجاة المستعذبة هي ألوان مختلفة وصور متعددة للاعتراف ، والأطفال في ذلك اسعد منا حالا ، وأقدر على التفلت من ازمانهم ، فهم سرعان ما يدون ما في نفوسهم لاول قادم ، اما نحن الكبار فلا يد لنا من مراعاة المعايير الاخلاقية ، والموازين الاجتماعية ، وتقدير ما يليق وما لا يليق قبل ان تشمل انسانا بثقتنا ، ونختصه بأسرارنا ، وحتى بعد ان تتوثق بيننا وبين الناس العلاقات ، وتصل الاسباب ، فاننا في الحقيقة لا نغضى اليهم الا بالأسرار الطافية فوق سطح نفوسنا ، أما أسرارنا العميقة ودخائلنا الدفينة فاننا نحفظ بها في الاعناق والاغوار ، فإذا ما استثارنا نائرة واحتاجت نفوسنا هاججة فهناك يبرز المخبأ ، وينكشف المستور ، وتنكسر الحواجز ، وتتداعى الاسوار ، وينطلق التيار زائحا هادرا ، مكتسحا كل شيء ، غير مبق على شيء .

وقد لاحظ علماء النفس المحدثون ان الانتحار يكثر في الامم البروتستانتية ويقل في الامم الكاثوليكية ، وعللوا ذلك بمسألة الاعتراف عند الكاثوليك ، فهي بركة من البركات ونعمة من النعم

وطريقة التحليل النفسي الحديث في معالجة الامراض العصبية التي وضع أساسها العلامة فرويد اظهرت قيمة الاعتراف ، واوضحت أهميته ، وساعدت الانسان على أن يعرف نفسه ، وان يلقي ببصره في ظلماتها الدامسة وسراديبها الخفية ، بل سرت مناجاة الانسان لنفسه وتحليله لمواطنه الخاصة ، وكل انسان له أسرار له التي يخفيها حتى عن نفسه ، وليس في مقدور كل انسان ان يعرف كيف يجلو تلك الاسرار ، ويفتش عنها في تناب الفؤاد ، ومعظم الامراض العصبية سببها ما سماه فرويد « الكبت » ، ومصدر هذا الكبت الرغبة في تناسي الاحاسيس المؤلمة والافكار الممضة ، ولكنه تناس غير تام ، لان جزءا من الفكرة المقموعة يحتال ويتخفى ويتخذ صورة رمزية ، أو يبدو في شكل مرض عصبي ،

وفي هذه الحالة يستعمل الطبيب النفس فيه وتجربته ، ويعلم المريض كيف يعرف نفسه عن طريق الاعتراف

وقد عرف جيتي كبير شعراء الألمان قيمة الاعتراف ، وفد مدى تأثيره في علاج الأمراض العصبية ، وقد روى انه شفى إحدى السيدات من اضطراب عصبي انتابها بأن حملها على ان تصف أخطاءها ونقاطها في تفصيل دقيق ، وأسباب مسنوع ، وقال انه بهذا الأسلوب مكناها من ان تلقى بهمومها في قاع البحر ، وتسترد صفوها ، وبشاشتها ، والذي يعترف بأخطائه وآثامه سرعان ما يغنى وجودها ويكسر أغلالها ويؤودها

والادب في له وصميمه قائم على الاعتراف بأساليب مختلفة وطرائق متباينة ، ففيه الاعترافات الصريحة المباشرة مثل اعترافات روسو واعترافات تولستوى وهنرى والفرد دى ميسيه ، وهناك التراجم الذاتية مثل ترجمة المؤرخ جيبون لنفسه وترجمة استيوارت مل لحياته ، وهناك كتب التأملات والذكريات واليوميات مثل خواطر بسكال ، وتأملات مرفس اورليانس ، ويوميات اميل ، ورسائل اوبرمان ، وخواطر موريس ليجران ، وكبار الروائيين يتحدثون لنا عن انفسهم ويصفون لنا تجارب حياتهم خلال تحدثهم عن شخصياتهم الروائية ، وعوالمهم المتخيلة ، وقد وصف لنا تولستوى في روايته العظيمة عن الحرب والسلام ، أباه وأمه والكثيرين من افراد أسرته كما وصف لنا جوانب مختلفة من شخصيته في سائر رواياته ، ومن المعروف الآن انه في روايته « كروتزر سوناتا » انما يصف لنا نفسه في فترة من فترات علاقاته بزوجه وما طغى على نفسه من الغيرة المؤلمة لفسوء صداقة بينها وبين شاب موسيقار مما نفص عليه حياته وأثار همه

وفي الادب المصري الحديث أنران بارزان هما في الحقيقة نوع من الاعتراف ، وهما كتابا الايام للدكتور طه حسين وسارة للاستاذ عباس محمود العقاد ، وقد أراد الدكتور طه ان يتخلص من المشاعر المؤلمة التي ألمت به في صدر حياته فلم يجد خيرا من تسجيلها تسجيلا فنيا واستطاع بذلك ان يتغلب عليها ويصرعها ، وواضح ان شخصية همام في رواية سارة هي نفسها شخصية الاستاذ العقاد يموله العارمة ، وعزيمته الماضية ، وعقلته النافذة الغلبة ، وقد كتب العقاد روايته ليعالج علاجاً فنيا أزمة نفسية رجت نفسه وزلزلت كيانه ، وفي هذا النوع من الايضاح والتكثيف مسلاة للقلب ، وتقوية للنفس

والاعتراف هو حجر الزاوية في مذاهب التحليل النفسي الحديثة ، واثره في الاداب والفنون جدير بأن يوثق مكانا مرموقا ويولي عناية خاصة

على أدهم

من مجموعة شريف صبرى باشا

التصوير الاسلامى

بفلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمن المساعد بشار الأتار العربية

يخطئ الذين يعتقدون أن الفنون الجميلة على هامش الحياة وليست في صميمها، إذ لم يعد هناك شك في أن لها قيمة معنوية ومادية إن غاب إدراكها عمن ينظرون إليها نظرة سطحية، فهي واضحة أشد الواضح لمن تغذوا الى صميمها وأحسوا بمدى تأثيرها في الحياة، ويمكن أن نذكر أن العناية بها هي الفارق بين الانسان والحيوان، والبرزة الواضحة التي تسمو بها حياتنا عن حياة البهائم، وأن الذى لا يرضى بها يحرم نفسه من لذة ليس الى إنكسارها من سبيل، ولا يستطيع أن يحسن ما يزاوله من الأعمال إن كان عمن يشغلون بأيديهم ولئن كانت العناية بهذه الفنون أمراً واجباً على كل انسان، فإن اقتناء التحف الجميلة أمر لا تنفع له ثروة كل فرد، ولذلك عنت الحكومات الراقية بإنشاء للتاحف لتوفر لسواد الشعب أساليب المراساة والاستفادة، وإذا جاز لنا أن نستعير من علماء الفقه الاسلامى بعض اصطلاحاتهم، قلنا إن العناية بالفنون الجميلة فرض عين واجب على كل فرد يرى في نفسه أنه انسان حقاً، وأما جمع التحف واقتناؤها، ففرض كفاية تؤديه الحكومات عن شعوبها، ويؤديه معها من أفراد الأمة من تشع ثروتهم لذلك

وحضرة صاحب القام الرفيع شريف صبرى باشا من أولئك الذين أدوا ويؤدون هذا الفرض على أحسن وجه وأتمه. فقد عنى رفته بجمع طائفة قيمة من التحف الانسلامية المختلفة، أهمها وأتمها مجموعة التماوير الاسلامية

موقف الاسلام والمسلمين من التصوير

ولقد يغيب للكثيرين أن التصوير من النواحي الفنية التي لم يعن بها المسلمون. ولكن الواقع يختلف ذلك. وخير دليل على هذا هو هذه المجموعة النفيسة التي أخذناها موضوعاً للبحث في هذه الكلمة

ولعله من المفيد أن نعهد لهذا البحث بكلمة موجزة تلخص فيها موقف الاسلام والمسلمين من التصوير . أما القرآن الكريم فقد حرم الصور المجسمة أو التماثيل التي تتخذ للعبادة ، يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . والأنصاب هي الاصنام التي كانت تعبد من دون الله كما ذهب الى ذلك للفسرون . وأما كتب السنة فقد تناولت هذا الموضوع بشيء من التفصيل ، إذ ورد بصدده نحو مائة وسبعين حديثاً ، طائفة منها تنص على لعن للصور ، وطائفة تمنع بيع الصور ، وطائفة تذكر أن أصحاب الصور يوم القيامة يعذبون ، وطائفة تبين إثم من يصنع الصور ، وطائفة تحظر استعمال ثوب فيه تصاور ، وطائفة تشير الى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، وطائفة أباحت تصوير ما ليس فيه روح ، وطائفة رخصت في التصوير على القبرش وما أشبهها . ويجمع رجال الدين من شيعة وسنيين على حرمة الصور المجسمة - التماثيل - ما لم تكن صغيرة تتخذ لعباً للأطفال أو ناقصة الحلقة لا تستطيع أن تعيش ان قدر ونفخت فيها الروح . أما الصور السطحة فهم حيالها فريقان : فريق يرى حرمتها وفريق يرى لإاحتها

ويشك للمستشرقون في صحة الأحاديث التي تنص على حرمة التصوير ، ويرون أنها مكذوبة على النبي صلوات الله عليه ، وضعت تحت تأثير اليهود الذين أسلموا ، أو بدافع الخوف من الصور باعتبارها من أدوات السحر ، أو ترغيباً في التفشيف وتحذيراً من الترف . ويرون تبعاً لذلك أن النبي لم يكره الصور ولم ينه عنها ، وأن هذه الكراهية لم تنشأ إلا بعد وفاته بنحو قرن ونصف قرن عند ما بدىء في جمع الأحاديث وتدوينها

أما علماء الآثار فقد انقسموا قسمين : قسم يشايح المستشرقين فيما ذهبوا اليه من عدم تحريم التصوير ، ويسندون رأيهم هذا بوجود الصور على النقود التي كان يتعامل بها المسلمون قبل الدولة الأموية وعلى السكة التي ضربها الأمويون والعباسيون وعلى الأبنية التي خلفوها من بعدهم . وقسم يرى أن التصوير مكروه في الاسلام ، وهذه الكراهية ترجع الى عصر النبي ، ومبناها الخوف من عودة المسلمين الى الوثنية

وسواء صحت جميع الأحاديث التي تروى في هذا الصدد أو صح بعضها ولم يصح البعض الآخر ، وسواء كان المستشرقون ومن تابعهم من علماء الآثار على حق فيما ذهبوا اليه أو أخطأهم التوفيق فيه ، فالامر الذي لا مجال للشك فيه هو أن المسلمين عرفوا تصوير الأحياء وزاولوه وغزوا به جميع فروع الفن الاسلامي من مخطوطات وأخشاب ، وعمارة وزجاج ، ومعادن وطاج ، وخزف ومنسوجات . ولم تتجل عبقريتهم الفنية في هذه الناحية بقدر ما تجلت في المخطوطات ، فقد شغف المسلمون المسلمون بتزيين كتب العلم والدين والأدب والتاريخ بصور تفسر بعض ما تتضمنه من معوث وحوادث

أهمية مجموعة رفعة شريف صبرى باشا

ومجموعة رفعة شريف صبرى باشا تلخص لنا موضوع الصور الإسلامية الصغيرة أحسن تلخيص سواء فيما يتعلق بالمدرسة التي صورتها ، أو فيما تتضمنه الصورة ، أو الزمن الذي عملت فيه ولا يكاد ينقصها إلا القليل لتصل الى درجة الكمال ، ففيها صور إيرانية وصور هندية وصور تركية كما أنها تتناول معظم الموضوعات المختلفة التي عني بها المصورون من السنين ، وتمثل عصور التصوير المختلفة إذ ترجع الى الفترة الواقعة بين القرن الثامن الهجري والقرن الثاني عشر (١٤ - ١٨ م)

ودراسة تلك المجموعة الثمينة دراسة وافية تشبع رغبة علماء الآثار وتفتح غلة رجال الفن أمر يضيئ عنه المجال ، ولذلك سنكتفي بأن نقدم لها صورة مجملة إن رضى عنها القارئ العادى فلن يأبأها الدين اختصوا بتاريخ الفن الاسلامي وبالبحث فيه

الصور التاريخية والأدبية

وتعتبر « الشاهنامه » أو « كتاب الملوك » - التى وضعه في أواخر القرن الرابع الهجرى الشاعر الايرانى العظيم أبو القاسم الفردوسى وضمنه أساطير الفرس وتاريخهم منذ أقدم العصور حتى الفتح الاسلامى - من أهم الكتب عند **الإيرانيين** ، يعنون به عناية فائقة يستوى فيها أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم ، ولذلك كانت قصائده بما تضمنته من قصص شين تميز في الحرافة بالتاريخ ، مبعث أوحى للفنانين الذين ترجموها الى صور جميلة ، نقادة الى القلوب ، أخذاً للنفوس تزرع مجموعة صبرى باشا منها بعدد ليس بالقليل ، ففيها صور تمثل المبارزة والقتال ، والصيد والظلعان ، وتمثل الملوك والأبطال ، من افريدون وزال ، ورستم واسفنديار ، والاسكندر وبهرام . ولعل أروع هذه الصور تلك التى نرى فيها الاسكندر الأكبر وهو يستمع الى الوصايا الأخيرة لدارا ملك الفرس الذى ألقى برأسه على نخذ الاسكندر يعالج سكرات الموت وقد وقف بالقرب منه حارساه الحائنان اللذان طعناه في ظهره غيلة أثناء تفهقره أمام جيوش الاسكندر ، وقد ظنا أنهما بهذا الغدر بنالان حظوة لدى ذلك الفاتح العظيم ، ولكنه خيب ظنهما وأذاقهما الموت جزاء وفاقاً على سوء صنيعهما

وللشاعر الايرانى « نظامى الكنجوى » منظومات خمس تتضمن « قصة مجنون لىلى » و « قصة الصور السبع » و « قصة خسرو وشيرين » و « كثر الأسرار » و « مغامرات الاسكندر » . وللملحة القصائد في إيران شهرة واسعة ، ولها عند الإيرانيين مكانة سامية دفعت بالفنانين منهم الى أن يستمدوا وحيم مما تضمنته ، بل ان المصورين الأتراك قد استلهموا قصصها



صورة إسرائيلية من القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) تمثل الشيخ
نجم الدين كبرا جالسا وسط مريديه ، وقد وقف أحدهم يقرأ في كتاب

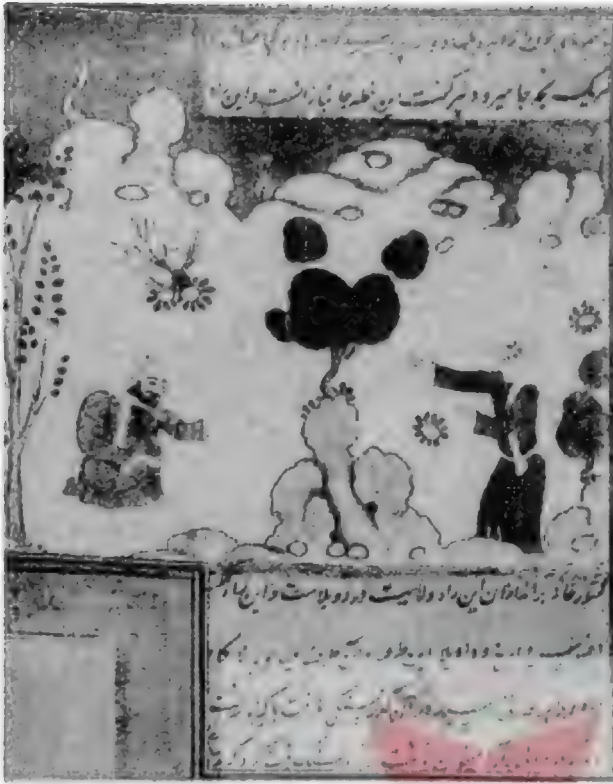
وحوادثها في صورهم . وفي مجموعة رفعة صبرى باشا طائفة من هذه الصور بين إسرائيلية وتركية
مجمع الى طرافة للوضع جمال الرسم وسحر اللون ودقة التصميم
أما قصة مجنون ليل فلنا في حاجة الى تلخيصها ، ويمكن أن نشير الى تلك الصور الرائعة التي
نرى فيها ليل والمجنون في « الكتاب » يتعلمان معا ، ونرى فيها المجنون وهو يطوف بالكعبة ،
ونرى ليل وقد ذهبت الى حبيبتها حيث يقف في الصحراء وسط الحيوانات التي يبدو عليها أنها تشفق
على ذلك العاشق البائس الذي شفه الوجد وبراء الجوى
وأما قصة « الصور السبع » فلا مفر من تلخيصها ليستقيم لنا فهم الصور للتصلة بها ، فهي
تتعلق بملك القرس بهرام جور إذ كان والده يزدجرد - أحد ملوك الدولة الساسانية - سيما
الخلق ، وعندما ورث بائنه بهرام ، أشار عليه النجمون بتشيئته بيدها عنه كي لا يتخلق بأخلاقه ،
فعهد به الى الثمان بن النذر ملك الحيرة فأحسن زريته . وبينما كان بهرام يتجول ذات يوم في
قصر الخورنق الذي كان يعيش فيه ، إذ وجد غرفة مغلقة لم يلجها أحد من قبل ، ففتحتها ،

فلذا به يرى صوراً سباً تمثل أميران
 سباً : هندية ومقرية وثرية
 وصقلية وخوارزمية وصينية
 ورومية ، وكن جميعاً رايات
 الحسن بأرعات الجمال ، فليكن عليه
 قلبه وعقله ، وما كاد يتولى عرش
 إيران حتى سمى للتزوج منهن جميعاً ،
 ونجح في ذلك ، وشيد لمن قصرأ
 به سبع قباب تختلف كل قبة عن
 الأخرى في لون جذرائها وأثاثها ،
 فاقبة السوداء للهندية ، والصفراء
 للمقرية ، والفضية للثرية ، والخرام
 للصقلية ، والزرقاء للخوارزمية ،
 والبيضاء للرومية ، والتي في لون
 خشب السندل للصينية ، وقسم أيام
 الأسبوع بينهن ، فخص كل واحدة
 بيوم معين . والسور التي تتصل بهذه
 القصة أربع قطع تمثل الأميرة الهندية
 والرومية والخوارزمية والصقلية



صورة لرائية من القرن العاشر الهجري
 (١٦ م) تمثل ليل تزويج الجنون في الصحراء

وتدور حوادث قصة « خسرو وشيرين » حول كسرى الثاني ابن كسرى أنوشروان المشهور ،
 إذ يسمع بجمال شيرين ابنة ملك أرمينيا ، ويحتال في إرسال صورته إليها فتجبه من كل قلبها ،
 ونهرب إلى إيران لقاتله ، ولكنه يكون قد خرج إلى أرمينيا ليسبقها إلى هذا اللقاء ، ويتلاقيان
 بعد متاعب حمة ، ويسمع خسرو باغتيال أبيه ويسعى لاسترداد ملكه ولكنه يفشل ، فينتقل إلى
 جوار حبيته يرشف وإياها شهد الغرام ، ويشدد به الجوى ، وتضطرم بين جوانحه نيران الهوى ،
 فيتقدم إلى شيرين لطلب ظمأ إليها ، ولكنها تصده عنها وتؤذبه على فشله في استرداد ملكه ،
 فيخجل خسرو من نفسه ، ويخادر أرمينيا هائماً على وجهه ، وتشاء الظروف أن يتردد ملكه
 وأن يتزوج ابنة ملك الروم وأن يرزق منها بولد ، ويشدد الغرام بشيرين فتسافر إلى إيران
 لتكون على مقربة من حبيبها دون أن تفكر عليه صفو حياته العائلية ، وبراهم الحفار فرهاد فيهم
 بجملها ، ويعلم خسرو بذلك فتملكه الغيرة ، وبعث إلى الحفار من يخبره كذباً أن شيرين قد



صورة إيرانية من القرن الحادي عشر
المجري (١٧٧٠م) تمثل صوفيين يتقابلان

مات ، وصدق الحفار ذلك فينتحر
ونحن عليه شيرين . ونموت
زوجة خسرو ، ونفزوج بشيرين
ونتمنل ممّا بيئشة راضية هاتئة بعد
طول الفراق ، ولكن ابن خسرو
يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، ويري
زوجة آيه فيجن بها ، ويدفعه
الشيطان الى قتل آيه ليستأثر بالملك
واللسكة ، كما يدفع الوفاء بشيرين الى
الاتحار . والصور التي توضح هذه
القصة معظمها من المدرسة التركية

الصور الدينية

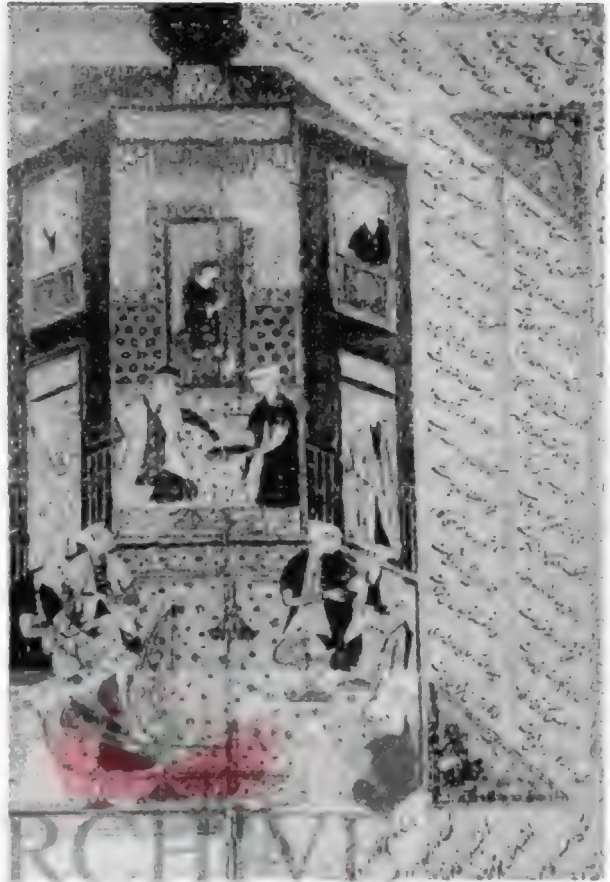
وطبيعى أن تكون الصور
الدينية معدومة أو نادرة في الفن
الاسلامى نظراً لما أحاط به موضوع
التصوير ومزاوئله من لبس وشكوك
ولكن رفعة شرف باشا قد ولق

برغم ذلك الى الحصول على طائفة قيمة من الصور المتعلقة بالقصص الدينية والتصوف . اثنان منها
يمثلان قصة الاسراء وللعراج ، إحداها إيرانية والاخرى تركية ، ثم صورة إيرانية تمثل بساط
الريح الذي منحه الله لسليمان عليه السلام ، وصور تركية تمثل إحداها اسرائيل وهو يتفخ في
الصور ، وتمثل أخرى إشفاق لللائكة من اقتراب يوم النشور . وهناك صور عدة تمثلنا فكرة
جلية عن حياة رجال التصوف وعن أزيائهم ومجالسهم

الصور الاجتماعية

وتزخر هذه المجموعة بصور كثيرة تمثل الحياة الاجتماعية في شتى نواحيها : فهناك مناظر في
الهواء الطلق تجلو علينا صوراً طبيعية ترتاح العين لجمالها الرائع ، وتسر النفس بألوانها الساحرة ،
فيها الأزهار الباسمة ، والأشجار الباسقة ، والجبال الشاهقة ، والأنهار الجارية ، والسما الصافية ،
والسحب اللطيفة . وبين أحضان هذه الطبيعة الجميلة نرى العيد والصارعة والولائم الحافلة . كما

أن هناك مناظر داخلية تصور
التصور بأناتها الفاخر وجدرانها
للزركشة نشاهد تحت سقفها مجالس
الأنس والشراب ومناظر الشبان
والشباب هكذا يقرأ في كتاب ،
وهذه تزين في للركاة ، وهذا يعط
شفتيه وهذه تسبح في المجال ،
وهذا متكى على سيفه وهذه تفتح
ذراعها لاستقبال طفلها ، وهذان
عاشقان على موعد ، وهؤلاء جماعة
يشغلون ببناء مسجد ، الى غير ذلك
من المناظر التي يضيئ المجال عن
سرها جميعاً . على أن الذي يستحق
الاشارة هو تلك الصور المختلفة التي
تمثل لنا بعض الشخصيات البارزة



صورة إيرانية من القرن العاشر الهجري (١٦ م) تمثل
بهرام جور مع الأميرة الهندية (من قصة الصور السبع)

وهكذا تجلوا علينا مجموعة
رفعة شريف صبرى باشا كثيراً
من النواحي المختلفة للتصوير عند

المسلمين ، كما أنها تمكنتنا من دراسة الأدوار المختلفة التي تقلب فيها هذا الفن ، ففيها صور إيرانية بلغت
البروة من الاتقان والجمال ، وفيها صور هبطت عن هذا المستوى وتسربت اليها التأثيرات الأوروبية
وفيها صور تركية وهندية متأثرة بالتقاليد الإيرانية في التصوير . ولا ينبغي أن ننسى أن لهذه الصور
الجميلة مزايا ليس لانكرها من سبيل ، ذلك أنها تعطينا فكرة واضحة عن حياة المسلمين الخاصة
وعن أزيائهم وعن طرق قتالهم وعاداتهم ، وليس هناك من شك في أنها كنز عظيم يجد فيه رجال
الآثار نبراساً يهتدون به في تمييز التحف وتأريخها لا سيما الطوائف الإيرانية ، ويجد فيه المؤرخون
مادة غنية بالمعلومات ، ويجد فيه الرجل العادي مجالا يتخفف فيه من كده وسعيه في هذا العصر
الحامى ، ويعيش ساعة من زمن ينتم فيها بالنبطة والجمال

محمد عبد العزيز مرزوق

طغيان القصة

بإلمام الأستاذ عبد الرحمن صرقي

الحاجة الى القصص أصيلة في الانسان ، مركوزة في طبيعته الاجتماعية . حتى أن المصور البدائية الاولى التي خلت من المأثورات المدونة ، لم نعدم مجالها القصصى فيما خلفه الصيادون الاولون من الحكاية عن حياة الطرد والقتل بطريق التصوير على جدران المغاور والكهوف ، وحتى أن التأمل لمخلفات هؤلاء البدائيين التي تمثل صيد الحيوان أو جنس الصل من خلايا التحل أو مجامعهم التي تضم أفرادا شتى من الذكور والاناث - ليلبس في رسومهم مختلف العواطف التي أوحىها ، والمعاني التي قصدوا اليها ، فلو شاء لا دأبا عنهم قصة مبسطة السرد مكتوبة

ولعل أقوى شاهد على حاجة النفس الى القصص ، ما كان له من أثر قوى وفعل سحرى في نفس طاغية ألف ليلة و ليلة الملك شهريار . فهنا حيث لم يفلح الصبا والجمال في عطف فؤاده ، ولم تشفع الدموع في استدراجه رحمة ، وأعيا الزمن نفسه تسكين غضبه وموجدته ، صمدت شهريار الى هذه الحاجة القصصية التي تعرف سرها ، وجريت في هذا الطاغية سحرها ، فتجلت على يديها المعجزة ، وتفتحت بفضلها تلك النفس المغلقة هذا عن القصص بمناهجها وروحها البسيطة الاولى

القصة كما يعرفها أهل الغرب

وأما القصة كما يعرفها أهل الغرب ، فهي فن حديث العهد ، لا ينيف عمره على القرنين الا قليلا . واذا فسنا بداها الى بدء الشعر والفلسفة والتاريخ ، فانه يصح لنا أن نسميها وليدة اليوم . ولكن هذه الفسيلة الوليدة ما كادت تخرج شطأها حتى استغلظ غرسها واستطال ، وتشعبت أغصانها وتأنشت ، ومهما يكن من تفاوت في اطراف نموها ، فانه لم يمض عليها قرن واحد حتى زحمت ما حولها من الدوح المرقع القديم ، وأشرفت على الغاب كله بشماريخها الفارعة وأغصانها الشمواء

والقصة بالمعنى الحديث ليست مجرد الحكاية عما جرى . ولكنها إبراز بطريق الحكاية للشخصيات أو أطوار الجماعات ، أو تصوير جيل من الاجيال ، أو تحليل لما يضطرب من عواطف وشهوات في النفس ، وما يتداول بين الانسان والبيئة من تفاعل وتأثير متبادل ، وما الى ذلك من المعاني . ومهما يكن من محاولة بعض مؤلفي القصة المحدثين أن يستقلوا بالقصة عن الحكاية ، فانه لا مندوحة من عنصر الحكاية فيها . ولما قصصاها أن يذهبوا الى

أبعد ما استطاع في تبسيط هذا المنصر والتهوين من شأنه . وللمؤلف القصصى بعد ذلك أن يجعل مجال القصة جنباً شاماً ، فيتخذ في حاضر العصر ، أو يرجع به الى غابر الدهر ، أو يبادر به آفاق المستقبل . بل من المؤلفين من يعدو بمجاله الحياة الطبيعية دون أن يعدو مع ذلك حدود فنه

ويختلف بدء القصة في أمة عنه في أمة أخرى . فلقد عرفت الصين في عهودها الاولى قصص المعارك الدامية ، على حين اشتهر عند العرب ما هو أقرب الى النوادر المرحه والاهاجى اللاذعة ، فضلاً عن قصص الاسفار العجيبة النائية . ولقد كان الغالب في ابان عهد النهضة على القصة الايطالية موضوعات ثلاثة : غيره الأزواج وخيانة النساء وفجور القساوسة ، على حين كان الغالب في اسبانيا قصة الفروسية أو ما يسمونهم بالفرسان الجوالين من طلاب المجد والمغامرة

وأخذت البواكير من القصة الاولى تتخطى الحدود القائمة بين الامم ، وترجم من لغة الى أخرى ، وتنتشر بين ناس غير ناسها ، وتقد عروفاً في كل تربة ، حتى ذاعت ألوانها المعروفة . ثم لم تلبث أن تشابكت وتداخلت ، ثم ما زالت مع تغير الاحوال وتداول الدول وتجدد الملايسات تتطور وتعمد وتنوع ، حتى أصبحت لا حد لها ولا نهاية لافئها

أغراض القصة العصرية

ولقد وسعت القصة جميع الأغراض ، وطرفت كل سبيل لأرضاء مختلف المشارب والاذواق . فمن قصص المغامرات التي يهتز لها الصغار وأشباههم من الكبار ، الى القصة العاطفية التي توافى هوى الفتيان والفتيات وتحقق لها قلوبهم وتقتزج بأحلامهم . ومن القصة التي تعنى بوصف ظاهري الحياة ومجال الطبيعة ، الى القصص التي تغفل الى مسارب النفوس فتحلل كل خلجة الى عناصرها وبواعثها . وكما أن هناك القصة التاريخية التي تبحث الماضي فتنتج الحياة في رجالاته وتعيد بناء حضاراته ، فثمة كذلك القصة المفترضة التي تدعو الى رأى وتتوخى الامتاع بفكرة . وأخيراً هناك القصة الاجتماعية التي تربط الانسان بما حوله ، وهي تظهرنا عليه في وسطه المهني جزماً مندمجاً في طبقته ، وعضواً في جسم مجتمعه ، بل كثيراً ما يتجاوز موضعها تصوير الفرد الى تصوير المجتمع كله

والسبب في ذبوع القصة هو هذا الذى رأيناه من مرونة نطاقها ومطاوعة قلبها . فلا صورة من صور الشعر والتفكير الا قبلتها ، ولا فن من فنون الكتابة ولا مذهب من مذاهب القول الا اتفهحت له . ونذكر هنا على سبيل المثال ، انه الى عهد الروائي الفرنسى « بلزاك » كان أبلغ ما يشى به الناس على القاص أنه صاحب خيال ، فلما أن تغيرت الاحوال وتقدم العلم معتمداً على الملاحظة والتجربة ، وأصبح الخيال منظورا اليه كأنه بقية من بقايا الجاهلية ، وأصبح المدح به يكاد أن يكون قدحا ، لم يقف القاص جامداً ولم تختم انمصة حياتها ، بل تطورت وتحولت ناحية المنهج العلمى . فاذا القاصون يستمدون أقل الاعتماد

على الخيال ، وإذا جل اعتمادهم - ان لم يكن كله - على قوة الملاحظة والتحليل . فهم حريصون على جمع الشواهد الحية وتدوين الملاحظات ، حتى اذا استوفوا بحث الموضوع وراجعوا فيه كل مرجع ، واستخبروا عنه المصادر أجمع ، شرعوا يكتبون قصتهم على أساس ما جمعه عن مشاهدة وتجربة ودراسة ، بعد تصنيفه على مقتضى منطق الحادثة المروية وبما يناسب وحياة أشخاصها الأحياء المنقولين وهكذا سارت القصة وتسير في فحواها وقالبها من طور الى طور ، متأثرة بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وما تستحدثه الحركات العلمية والفنية حتى ما كان متعلقا بطرائق الإخراج السيمائية

والحق أن التجاج الذي أصابته القصة كان سريعا وانتشارها فريحا ، حتى ليزعج المفكرين ويشعر مخاوفهم في كثير من الأحيان . وأول ما يذكرونه في هذا المرض أن أكثر المتفرجين على مطالعة القصة هم الشباب من الجنسين ، القصة التي يمرضها عليهم المؤلفون هي بطبيعة الحال القصة التي يطلبونها في هذه السن . أعنى القصة الغرامية . فهم ينصرفون عما سواها ، ويقبلون عليها في نهم - سواء أكانت في صورة الشق الحسى المتوقد ، أو من نوع الحب المثالي القسامي . والشباب في يقظة حسنة وسذاجة نفسه منجذب الى الاثنين معا . والقارئ لا يكتفي هذه القصص لا يتصور لأشخاصها عملا ولا هما غير التغزل والصبابة ، ولا يمثل للحياة حركة غير الدافع الجنسي والحافز التأسلي . مع أننا حين ننظر في أنفسنا وفيما حولنا لا يسمن إلا أن نقرر أن الحب في سائر صوره العاطفية والخيالية والحسية - المكتوبة منها والمقضية - شاغل كثير من الشواغل ، أو هو أقوى الشواغل ، ولكنه ليس التماثل الوحيد

ولا نحسب النقاد يصدون الى عمارية القصة الغرامية والقضاء عليها لأنها غرامية ، فانه ليس الى ذلك من سبيل . ولكنهم ونحن معهم نريدها غير رخيصة . فلا يعمد اليها المؤلفون الهابا لحواس الشباب وارضاء لسذاجتهم ليس غير ، ولأنها لا تكلفهم الا تسمية زوج من ذكر وأنثى والقول بأنهما يتحابان ، ثم يضرب الدهر بينهما فيفترقان ، أو يحسن اليهما فيلتقيان . ثم اذا هم أرادوها قصة مركبة مقدمة ، زادوا على الاثنين ثالثا - ذكرا أو أنثى - لتكون الحياة والقتل وما الى ذلك

ان قصة كهذه - غرامية كانت أو غير غرامية - لا يمكن أن تكون لها أية قيمة فنية ، الا اذا طاللتا بصورة كاملة للرجل والمرأة في حياتهما الطبيعية ، وما كان لهما من نشأة وما حولهما من بيئة ، وما يصدر عنهما من الآثار ويرد عليهما من مؤثرات ، وما في نفسيهما من الدوافع الخاصة الخفية وما يشملها من أحكام القوى الكونية . وبالجملة أن يورد المؤلف الحوادث والمرض موردا يشعرا من ورائه بالمعنى والجوهر ، علما منه بأنه لا شأن للجزيئات الا بمقدار دلالتها على الكليات ، على أن يكون هذا كله أو بعضه في تضاعيف القصة ومدلولها دون منطوقها ، ومن غير أن تفقد القصة صفتها من حيث هي قصة

القصة في مصر

ولقد غزت القصة بلادنا في أوائل هذا القرن عن طريق المترجمين لها . وكانوا ينظرون فيها الى القسلة والملهى البرىء ، ويختارونها لذلك مليئة بالمفاجأة وغرائب المصادفة . فلما انتعشت الدراسة الادبية على اثر نهضة التعليم وانتشار المجلات ، اتجهوا الى ترجمة القصة البليغة بخيالها الرائع ونفحتها الشعرية وسموها العاطفى . وأما القصص العظمى من طراز غير هذه جميعا ، كآثار جبارى القصص الرومى « دوستيفسكى » بما فيه من صدق الاحساس بالملامة ، و « تولستوى » بما أوتي من الاحاطة وصحة النظرة للحياة ، وأمثالهما من الروسين وغير الروسين ، فالذى ترجم للعربية منها نزر قليل ، ولا يزال ما ترجم قليل الخفوة عند القارئين

ومنذ سنوات بدأ عهد التأليف فى القصة . وكان مقصورا على الشباب . ومؤلفو القصة عندنا وعند غيرنا من الشباب كثيرون ، وعيهم أنهم يكتبون باكرا وسريعا . كما أنه يغيب عن معظمهم أن اعلام القصة الذين يقرأون لهم ويتمدحون بهم ، هم أحيانا أقل الناس مطالعة للقصص ، وأنهم لا يستمدون مادتهم منها ، بل من دراسة الفلسفات والتواريخ ، والمباحث البيولوجية والنفسية ، ولم يختص بنشأة الانسان ويداوته ، وسير الحضارة ونظم الاجتماع وغيرها ، فضلا عما يفيدونه من المشاهدة والتجارب . ولستأ نريد بهذا أن نغضب المؤلفين الشبان حظه ونبخس فضلهم ، فانهم فى الحق قد طرّقوا فيما طرّقوا أبوابا طريفة من النقد الاجتماعى تملق بحياة الشعب وحكام الاقاليم وعقليات البشوات وحياة الدواوين وما شاكل ذلك . وأكبر الظن أنهم لو عالجوها بعد ادامة الدرس واستكمال أداة الفن لضمّنوا لانفسهم الخلود بين اعلام هذا النوع من القصة ، فلملهم فاعلون ومن حسن الحظ - حظ القصة - أن نزل الى ميدانها بعض شيوخ الادب معن لهم فيها اطلاع واسع . وهم لا يوزّهم رهافة الحس ولطف الخيال ، ويزيدون على مؤلفى الشباب ما اجتمع لهم من تجربة للحياة ومعرفة بالناس ، ودراسات مستفيضة فى سائر الفنون والعلوم ، فضلا عما استوفوه من القوة البيانية

ولكننا نحفظ لانفسنا الحق مع ذلك فى كلمة نضيفها ، ولا نجد فيها اساءة للقصة . وهى أنه لو كان من شأن القصة صرف رجالات الفكر عندنا عن بحوثهم الجدية الاخرى ، لتملكتنا لذلك أشد الاسف ، ولاضطغناها على القصة ، وحسبناها عليها لا لها ، ولم نجد فيها مهما بلغوا بها عزاء عما فاتنا . ولكنهم بحمد الله يرون فى القصة ما نراه ، من أنها لون من ألوان الادب لا يصح أن يطنى على غيره ، بل لا يستطيع أن يحيا بنفسه مستغنيا عما عداه

عبد الرحمن صرّفى

عَصَمَتُ إِينُونُو

بمناسبة إعادة انتخاب لرياسة الجمهورية التركية

إن الترك الآن ومنذ مؤتمر لوزان في معركة السلام والتحدن . وبلادهم تنسج لأضعاف عددهم . وهي غنية في زرعها ، وضرعها ، وبترونها الخبوء . وأمنيتهم الكبرى أن يناسم الغرب المتصعب الجشع ويغنيهم الشرق من عبء السولية الباهظة التي كانوا يتحملونها في زمان الخلافة . وهم مستعدون للحرب ، أجل . ولكن استعناهم للسلم أكبر

ولست من الغفلة ونكران الجليل بحيث أقول إن وفاة زعيمهم أتانورك كانت فألا حسناً لهم قبيل اشتعال الحرب العظمى الثانية . ولكن أكاد أم بهذا القول ، ومعدني لذكرى هذا البطل العظيم الذي لم يكذب عصف قلمى من سيرته الغدنة . .

إن كمال أتانورك ربيب الثورة والقتال لم يكن يصلح رباناً للسفينة التركية في هذا الخضم الهائج من البشرية للفتنة . إنه سريع التأثير . سريع الوثوب . والدائب الأغبر كان لا بد سيكسر عن أنيابه لهذا الفريق أو ذاك . أذكر مرة أنه قرأ خطبة لموسولوى فيها تعريض وتهديد . . فاستدعى سفير إيطاليا في أنقرة ، واستبدل له بتيابه الملكية ثياباً عسكرية ، وقال له : اذهب وقل لزعيمك إن الترك سيلبسون عتمة للحرب في الحال .

رجل السلام بعد رجل الحرب

وخليفة أتانورك - عصمت إينونو - هو أيضاً ربيب ثورة وريب قتال ، ولكنه من طينة أخرى غير طينة زعيمه ، أو غير نار زعيمه إن شئت

عصمت الذى التقى بزعيمه في ميدان الحرب لأول مرة في جبهة القوقاز في عام ١٩١٦ حيث كان رئيس أركان حرب ، فلم يكذب يعمل معه حتى شغف به حباً وإعجاباً ، واشتملت في قلبه هذه الجنوة التي سرعان ما اتعدت وشملت الترك جميعاً عندما آذن مؤتمر الصلح بتقسيم تركيا وتجزيقها ، وأذنت الوطنية التركية بالانفجار . .

أجل هذه الجنوة هي التي أرقته في ليل ٢٠ مارس سنة ١٩٢٠ . . فقد اعتزم وهو في استانبول اللحاق برئيسه السابق الذى تسمع الوطنيون بأنه نادى بالثورة في الأناضول . . ولم لا تقول إنه كان مع الرعيم على سابق ميعاد . .

هذه الجذوة هي التي جعلته يتسكّر في ثياب عادية ، ويعبر البسفور سرّاً في قارب صغير ، وينزل الى البر في الأناضول ، ويظل يجتاز التلال ويتخفى خشية القبض عليه ، ويتمزق ثيابه وتحن قدماءه ، حتى يبلغ أنقرة ..

وهناك في أنقرة ، في مدرسة الزراعة ، كان مصطفى كمال ، اللدّب الأغبر ، جالساً وحده ، وقد اتخذ دار المدرسة مقراً للقيادة وطى حين غرة ينتح الباب عليه ، ويرتعى عصمت في أحضانها ، فيتماعنق الرجلان عناقاً حاراً طويلاً !

عصمت يكمل أتاتورك

أجل . تماعنق الرجلان طويلاً . فكلاهما يحب الآخر ويشق فيه ثقة لا حد لها . ولم يكذب يفرق بينهما بعد ذلك إلا اختلاف بسيط في وجهات النظر

وسيرة عصمت بعد ذلك هي سيرة زعيمه مصطفى كمال ، وتلخيصه هو الى حد كبير تلخيص حرب الاستقلال ، ثم ما ميته حرب السلام والتحدن

فهاهو ذا عصمت ينضم الى الثورة ، ويمطون كالا في مراحلها الأولى . وراه في قوته يتحدى الاحتلال ويتحدى إرادة الخليفة ، ثم يرى جيوش الحركة الوطنية وهي تتألف ، وراها وهي تلدوب أمام جيش الخليفة وقتواه بمروق مصطفى كمال وإباحة دمه .. ويرى أعضاء المجلس الوطني الكبير وهم يتراوحوون قوة وضعفاً أمام ضغط الانجليز وإغراء الخليفة . وأخيراً يتلقى معه ومع أنصاره ضربات اليونان الأولى ، ثم يكمل لها ضربة ماحقة في معركة « اينونو » التاريخية . « اينونو » اللقب الذي يحمله عصمت منذ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٣٤ « كهديّة » إعجاب وتقدير من المجلس الوطني الكبير في أنقرة

وبعد الظفر في حرب الاستقلال يضع كمال ثقته في صديقه الحميم ، ويوفده الى لوزان على رأس وفد للمفاوضة التركي . وهناك تذوب كبرياه كيرزون رئيس الوفد الانجليزى في ابتسامه عصمت الدبلوماسية الأسرة ، ويتحدث مريدوه في إعجاب بهذا « الصمم » الذى تصنمه ليتغاضى عما لا يروق من الأقوال وليتأهيا للرد على ما يروقه منها ، ويلقى دشاً بارداً على تهديدات كيرزون بطلبه اعادتها أكثر من مرة .. وي طرح رئيس الوفد الروسى « رغبة » ملحّة في وجوب جعل تركيا مطلقة التصرف في اللضايق .. فتلتمع عينا عصمت ذكاء ويلوح ما في هذا العرض من غفاح ينصّبها الهداء الروسى لتوكيا التي أنهكتها الحرب العظمى ثم حرب الاستقلال . فيصم دون تلك الرغبة أذنيه ، ويفاجىء العالم كله ، ويصدم للشاعر التركية نفسها بمواقفته على فكرة اللورد كيرزون بجعل اللضايق حرة للجميع ، وبزعج الاستحكامات من شطآنها

وفشل مؤتمر لوزان الأول . وترفع أصوات معارضي عصمت بنقده وتجريحه . ولكن صديقه الأكبر يوفده الى مؤتمر لوزان الثاني الذي انعقد في ١٧ أبريل سنة ١٩٢٣ برغم هذه المعارضة ، وهناك يلتقي عصمت بالسير هوراس رمبول الذي كان ألين من كبرزون عريكة وأقل كبرياء ، فتجسج المفاوضات ، وتكتب تركيا وثيقة استقلالها التي سطرناها بدماء مئات الألوف من شهدائها

وبعد لوزان يرأس عصمت الوزارة التركية حتى قبيل وفاة أتاتورك . وفي كل هذه الاصلاحات السريعة الحاسمة التي اشتهر بها كمال يظل عصمت صديقه الوفي اللغافي في خدمته ، ويكمل بهدوء طبعه وحسنه ولين جانبه العظيمة السلبية من سيرة زعيمه وبسرعة أدهشت العالم كله ، يتغير وجه كل شيء في تركيا تقريباً باعلان الجمهورية وبسذ التقاليد القديمة . وتلبس تركيا ثوباً جديداً في السياسة ، في الأخذ بمجهر الدين دون الخزعبلات والأوهام ، في الاجتماع ، في التفكير ، في ائزى نفسه .. ويتدفق أتاتورك بعقريته الثائرة العنيفة ، فيترجم رئيس وزرائه هذه الثورة بأسلوبه الهادئ الرصين ، ويصوغها في قالب العمل المكين وثمة أشياء بنفرد بها عصمت دون زعيمه . كالسكك الحديدية التي أسرف في مدها إسرافاً أضحك منه معارضيه ومنتقدي سياسته . ولطالما أخذوا عليه مده السكك الحديدية في خطوط لا تكاد توجد فيها حركة تجارية ولا يكاد يسافر منها أو إليها أحد . . ولكن عصمت كان بعيد النظر . كان يتطلع في حذر الى اليوم الذي تهوم فيه الحرب العظمى الثانية . ويرى جين البصيرة أهمية هذه الخطوط الجديدة في نقل الجنود والجنود شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . ويذكر في فزع ما قامت تركيا من أهوال في حروبها الماضية ، وكيف كانت تضطر لنقل الجيوش سيراً على الأقدام ، والداخل في عربات تجرها الثيران بحبال من اللب . . وقد حققت هذه الحرب نظريته ، وأصبح أشد معارضيه انتقاداً يعترف له باليد التي أسداها الى البلاد

خليفة كمال أتاتورك

وعلى حين غرة يسمع الناس أن بين عصمت وزعيمه خلافاً شديداً ، تعبه استقالة من رئاسة الوزارة في عام ١٩٣٧

ولكن ماذا نجم بينهما من سوء التفاهم ؟

هذا ما لا يعرفه أحد على وجه التدقيق . وإن يكن للوشابات التي أشرت في أعصاب أتاتورك للمريض أثرها الذي لا ينكر أما الصداقة بين الرجلين فلم تنفسم عراها أبداً تشهد بذلك الصلات التي استمرت حتى جاد أتاتورك بالنفس الأخير . وكل متصل بتركيا يعلم جيداً أن عصمت كان في الشهرين الأخيرين من حياة أتاتورك هو الحاكم الفعلي في تركيا . فلما

انقضت أيام « أبى الترك » كان كل شيء مهياً في عالمي الجيش والسياسة لتصيب عصمت رئيساً للجمهورية بإجماع مطلق من المجلس الوطني الكبير.

ولقد كان لعصمت معارضوه الذين لعبوا دورهم في إبعاده من الوزارة . ولقد فوجئ هؤلاء المعارضون بما حدث مفاجأة مرعبة ، وخافوا منبة وشاياتهم وأكاذيبهم . ولكن عصمت من شيمته الصنح ، والصنح عند المقدرة . وقد بلغ من رحابة صدره أنه نصب أكبر معارضيه - وهو فتحي أوكبار - وزيراً للعدل . واستهل رئاسته بالعفو عن عدد كبير ممن كان أناتورك قد وضعهم في « القائمة السوداء » ، فعادوا إلى أوطانهم شاكرين له هذه المنة . عادوا ليعملوا ببلادهم من جديد . وارتفع الثقاب الكثيف الذي كان قد حجب طائفة من أئمة الكتابة في تركيا ، فعُدنا نقرأ كتابات حسين جاهد بالشيخ وغيره من أفذاذ الكتاب.

ولكن هل معنى ذلك أن عصمت نبذ سياسة أناتورك الحديدية وإصلاحاته الجهورية ؟

لا . . إنه لم ينفها . ولكنه يوطد دعائمها ويعمق جذورها

إن عهد زعيم « أبى الترك » كان ثورة إصلاحية كبرى . وخليفة الزعيم عهده عهد استقرار وتدعيم . ولقد جمع الترك بعض الجوانح شأن كل ثورة سرمة سامة . وعلى عصمت الآن أن يجذب الأئمة ويكبح من هنا الجوانح .

وهذا الكبح مفتاح النجاح الثوري . فكل ثورة لا تجدد من يكبح جماحها سرعان ما ترتطم بما يحطمها وينهب بأعمالها الحيدة . وهاكم ثورات التاريخ الكبرى لم تصل دائماً إلى أهدافها لأن أفراسها الجامحة لم تجد من يجذب لها الأئمة في الوقت المناسب

وأخيراً . . ها هو ذا عصمت إينونو . المحارب الربعة الأشيب الثقيل السمع الذي يصمت طويلاً ويشكك قليلاً ، فإذا تكلم فبصوت خافت هادئ رصين

عصمت الذي عرك الدهر وشهد مصارع الأمم وويلات الحروب . وعاصر أنور وأشباهه ممن كانوا يزعمون إلى الحرب ارتقاء لمجرد إرضاء شهوة القتال . ورأى كيف انتهزت سلطنة آل عثمان وانطوت أحلام غليوم الامبراطورية .

عصمت الفيلسوف ، الانساني ، الذي يؤثر أن يرى مشروعاً هندسياً يوصل المياه إلى ولاية من ولايات الأناضول فتخضر تربتها وتؤتي ثمارها وتحمّر وجنات أبنائها وبناتها شعباً ورياً وصحة ونشاطاً وتعلو أصواتهم بالشدو والأناشيد ، على رؤية فيلني تركي يرغمي في أتون الحرب ، وبمجامع كله نناء في استعلاء من قم غليوم حليف الأمس مثلاً .

ما جدوى هذه الكلمة ؟ وهل هي تسمن أو تغنى من جوع ؟

ديوان المحاسبة

في عهد محمد علي باشا الكبير

بسم
الأستاذ محمد محمد توفيق

ديوان المحاسبة الجديد ليس بدءاً في مصر ،
ولأنه هو بيت ديوان تفتيش الحسابات الذي
أنشأه محمد علي الكبير ، وكون رئيسه الحال
في مقام الوزير ليس بدءاً كذلك

حينما أنشئ ديوان المحاسبة الجديد في
مصر ، تناول بعض الكتاب بالبحث ، وحاولوا
أن يحددوا صلة بين مهمته الجديدة وما عرف
في التاريخ الاسلامي عامة - وتاريخ مصر
الاسلامي خاصة - بالمحاسبة . ووضع أحد
حضرات موظفي الديوان كتاباً في هذا المعنى .
مع أن المحاسبة في النظام الاسلامي شيء ،
ومهمة ديوان المحاسبة شيء آخر . ولم
يسبق في تاريخ مصر أن عرفت هذه البلاد

• ديوان المحاسبة ، بمعناه الحديث الا في عهد محمد علي الكبير كما سنفصل عما قليل
ولسنا هنا قصد شرح نظام المحاسبة في الاسلام ، فان تفاصيله واردة في معظم كتب
التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، كما أن فيه مؤلفاً - او عدة مؤلفات - وضعت لبحثه
من الناحية الفقهية الاسلامية علاوة على عملية المحاسبة ذاتها . انما نكتفي هنا بالقول ان
المحاسبة الاسلامية كانت نظاماً لا دخل له في مالية الدولة من حيث هي إيرادات ومصروفات ،
او أصول ومخسوم كما يقول رجال المال . ولا دخل لها في الخراج الذي كان أكبر
مصادر الإيراد في مصر الاسلامية ، والذي عرف في العهد العثماني المملوكي • بالميري • .
وانما جعلت للاشراف على الاسواق والمعاملات التجارية بين الافراد والجماعات ، واتخذت
لتقنين الانشاء وتسميرها وضبط موازينها وتحديد أنواعها بالضبط ومسمياتها وما يجب
توافره فيها من شرائط صناعية او تجارية . ولم يكن للمحاسب الذي وكلت اليه المحاسبة
اشراف مالي على الدولة ، ولا كان له قط توجيه او ارشاد . انما هو عامل من العمال
للاشراف على الاسواق كما أسلفنا

وقد قل شأن المحاسبة وضائق نطاق نفوذ المحاسب في مصر العثمانية ، واتفنى الشرط
الاول في هذا العامل - اعني لزوم كونه متفهما في الدين عالماً بالنظم الاسلامية . وعهد في
المحاسبة الى فرقة « جادشان » احدى فرق المسكر العثمانية المعروفة في التاريخ « بالواجبات »
حتى ولى أمر مصر محمد علي الكبير ، فأنهى وظيفة المحاسب نهائياً في سنة ١٢٥٣ هـ ،
وأحال أعماله التفتيشية والزجرية على الديوان الحديوي الذي كان بمثابة وزارة الداخلية

أما مهمة ديوان المحاسبة بمعناها الحديث ، أو بالمعنى الذى كان مصطلحا عليه فى مراجعة الحسابات بوزارة المالية قىل انشاءه ، فلا أثر لها فيما قرأنا من كتب أو وثائق فى تاريخ مصر قبل عهد محمد على الكبير ، اللهم الا عمليات المراجعة العادية على الحسابات التى تنلمس شيئا من آثارها فى ديوان الروزنامة فى مصر العثمانية ، ولا يعد انها كانت قائمة فى الدواوين المالية قبل ذلك

محمد على بنشى وديوان المحاسبة

كان ديوان المالية فى أوائل عهد محمد على ما يزال يعرف بالديوان الدفترى ويتبعه ديوان الروزنامة على ما تعهد فى العصر العثمانى المملوكى قبله . وكانت للوالى من قديم و خزينة ، خاصة لايراداته تعرف بالخرينة الخديوية . فلما لس محمد على مثالب النظم القديمة وبخاصة النظم المالية ، والنشى نظام الالتزام فى تحصيل الاموال الاميرية ، وسع من اختصاصات خزينة الخديوية وعمل على أن ينقل اليها اختصاصات الروزنامة شيئا فشيئا ، حتى حلت محلها وجعلت قلما من أقلام الديوان الخديوى . وفى سنة ١٢٥٠ هـ أنشأ للمرة الاولى « ديوان الايرادات » الذى كان أصل وزارة المالية الآن . وبعد ذلك بثلاث سنوات (فى سنة ١٢٥٣ هـ) قسم ديوان الايرادات الى ديوانين : أحدهما لايرادات مديريات القطر والسودان والحجاز وكريت ، والاخر لايرادات القاهرة والاسكندرية والجمارك وما اليها . وفى سنة ١٢٦٠ هـ اندمج الديوانان فيما عرف بديوان المالية (١)

الى جانب الخزينة الخديوية ، أو ديوان الايرادات ثم ديوان المالية كما سميت بعد ذلك - أنشأ محمد على ، بما عرف منه من عقرية لم تقف عند مجرود الحرب أو السيامة بل شملت فيما شملت شؤون المال - ديوانا آخر عرف « بديوان تفتيش الحسابات » . والديوان فى ذلك العهد مرادف للوزارة الآن

هذا الديوان لم نثر له على تاريخ انشاء فيما فحصنا من وثائق تركية وعربية فى كل من سراى عابدين ودار المحفوظات المصرية . بيد أننا نستنتج من الإشارة اليه فى التنظيم الادارى الشامل الذى عرف « بالسياسة » ، والذى كان أول محاولة فى عهد محمد على لدعم النظم الادارية على أسس حديثة ، أنه كان قائما قبل سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) . والأشارة اليه صريحة فى أنه « ديوان » مستقل عن سائر دواوين الدولة . فلم يكن اذن « مراجعة للحسابات » ملحقة بديوان المالية كما كان الشأن قىل انشاء ديوان المحاسبة الجديد فى عصرنا الحاضر

(١) هذا البيان مجمل . ونحن شاء التوسع فيه مطالعة كتاب « Sommaire des Archives Turques du Caire » : J. Deny . و « سياسة » سنة ١٢٥٣ هـ طبع مطبعة بولاق فى السنة المذكورة . ووثائق دار المحفوظات بالقاهرة وسراى عابدين العامة

وفي الإشارة الى النظم الأوروبية في مقدمة « السباستنامة » دليل على أن فكرة هذا الديوان مأخوذة عن نظم الغرب التي كان محمد علي وثيق الاتصال بها عن طريق مستشاريه وأصدقائه من قناصل الدول الأوروبية ومن مفكرى الأجانب . بيد أن محمد علي كان حريصا جدا على ألا يطبق النظم الغربية في مصر بخلافها وقبل ادخال التعديل عليها أو دراسة مدى صلاحيتها للبيئة المصرية ، و « السباستنامة » السالفة الذكر تنص على أن ما يناسب مع إحدى الممالك قد لا يفيد مملكة أخرى ، وأن ثمة فارقا كبيرا بين ما يمكن أن تهضمه مصر من نظم الغرب وبين ما هضمت مختلف الدول الغربية من هذه النظم (١) فمحمد علي اذن حريص على الاستفادة من النظم الأوروبية . ولكنه أحرص على ملائمتها لمصر ، وبيئة مصر ، وأجود من أن يتورط في نقل نظم مستحدثة الى بلاده نقلا حرفيا قبل التأكد من صلاحيتها لمصر من الوجهة العملية

مصر وديوان تصنيف الحسابات

و « السباستنامة » المذكورة تشرح مهمة ديوان تفتيش الحسابات في أكثر من موضع . فتص على أنه : « لما كانت الأصول الجارية بجميع الممالك أن دواوين العموم يقدموا (هكذا) حساباتهم باواخر السنة الى تفتيش الحسابات مع الاوامر والرجع والسندات ويحصر به مناظرة دفاتر الشطب واليومية بالدقة الكلية والمراجعة على السندات والاوامر والرجع حكم الأصول المربعة ، وبعد تحقيق حقيقة ضبط وعدم ضبط الحسابات ، يجرى تسليم الدفاتر مع كافة السندات الى الدفترخانه . فالديوان المذكور (يقصد ديوان تفتيش الحسابات المصري) صابر تقديم جامعة اليه فقط بآخر السنة ، وهكذا ترسل كشوفات ودفاتر اجمالية الى ديوان المعاونة شهرى (المية السنية) ، والدفاتر الحايية اصول المفردات ترسل الى الدفترخانه بغير تحقيق . فلهذا لم يمكن الوقوف على الخفية ان كانت الحسابات مضبوطة وخالية عن السقامه أم لا » (٢)

فهذا شرح موجز بأسلوب ذلك العصر لمهمة الديوان الحسابية

(١) نورد فيما على فقرات مما ورد في السباستنامة (النسخة العربية) ص ٢-٣ عن هذا الاحتياط الحقول بنصه دون تصويب لما فيه من طرفة : « ان المالك المختلفة الكائنة بأوربا موجود لكل منها قوانين متفرقة بحسب طبيعة واخلاق ودرجة ترتيب اعاليتها ، وجارى اجراء حكم امورهم الملكية على مقتضاها . غير انه لما كان عدم توافق قانون مملكة الى اخرى شيئا معلوما . صار اجراء اى قانون من قوانين المالك المذكورة عينه في هذه الأقاليم شيئا معدوما . . . وحيث ان الحكومات التى على الاستقلالية والجمهورية وغيرها اساس اصولها واحد ، فلذا صار رعاية تلك الاصول بهذا الطرف ايضا لا بد ان ينتج منها حسن سلوك المصالح الخيرية مع الفوائد الكثيرة . انما الجارى ان حينما يصير المرام تبديل اصول ملكية تكون جارية بمملكه ، أولا يلزم تحقيق معدوراتها . ثانيا وجود اسباب تكون موجبة لازالها . وبالموازاة عنها يصير اظهار مضررتها ومنفعتها . وعند تحقيق منافعها يعطى صورة اليها كما يوافقها . . الخ » (٢) السباستنامة ص ٢-٣

أما مهمته من حيث هي اشراف على عام وتوجيه حسن للسياسة المالية للدولة ، فيبدو جليا من الفقرة التالية : « وأيضا بالتوجه من ديوان تفتيش الحسابات الى الدواوين في بعض الاوقات لاجل المناظرة والملاحظة لم يعلم ان كانت الحسابات بالضبط الساقى والسندات موجودة وموافقة للاصول المرغوبة أم لا »

فكان ثمة موظفين يتوجهون من الديوان الى سائر الدواوين الاخرى (وهى وزارات ذلك العهد) لاجل المناظرة والملاحظة ، أى للمناقشة في الشؤون المالية وابداء الملاحظات التى تكفل حسن توجيه السياسة المالية للدولة كما يرى ديوان تفتيش الحسابات وهل مهمة ديوان المحاسبة الجديد الا مثل ذلك ؟

ويشرح البند الخامس والعشرون من الفصل الثانى من السياسة مهمة هؤلاء المفتشين فيما يلى : « المفتشون عليهم ان يتسوا واجبات وظيفتهم كما هو لازم عليهم ، ويلاحظوا المشتريات والمبيعات والتشغيل والمدلات بناية الضبط والدقة الواجبة ، ويجرون تفتيش المصالح التابعة لتفتيشهم طبق المبرهن بلاحة التفتيش ، مع جرد خزن الصياف بفتة ، والبحث عن لزوم الاصناف والموجودات والمواشى التى بالمصالح ، وتوزيع الغير لازم على محلات لزومه ، والتأكد على المديرين (مديرى الدواوين الذين هم بمثابة الوزراء الآن) وكافة النظار (أى مديرى المصالح) والخدمة على الاجراء كما هو محدد وتسميم خدمتهم . ويلاحظوا اشغالهم وحركاتهم ان كانت بالاستقامة فى حق المصلحة أم لا . وكذلك ينبغي ان المشكلات والبعوى التى تقدم الى المفتشين لا يؤخرون نهوها وحلها على الوجه اللازم بحضور من يلزم حضورهم . ويعرضوا عن كل ما يلزم اعراضه بأوقاته اولا بأول »

كل هذا يدل على ان ديوان المحاسبة الجديد ليس بدعا فى مصر وانما هو بعث لديوان تفتيش الحسابات الذى أنشأه محمد على الكبير من قبل وكون رئيسه الحال فى مقام الوزير ليس بدعا كذلك ، فان ديوان تفتيش الحسابات كان « ديوانا » ، والوزارات على عهد محمد على كانت تحت بالدواوين ، وهذا يضمه فى صف سائر وزارات ذلك العهد ، ويضع رئيسه فى مقام الوزير ومهمة ديوان المحاسبة لا تكاد تختلف عن مهمة ديوان تفتيش الحسابات ، الا فى الوضع البرلماني الذى هو من المستحدثات فى مصر ، فان عهد محمد على الكبير لم يعرف بالنظام النيابى

انما المهم هو ان ديوان المحاسبة لا يمت الى « الحسبة » فى النظم الاسلامية بسبب ، اللهم

محمد محمد توفيق

الا فى التشابه اللفظى

ماجستير فى التاريخ

أعظم قواد السائح

للإشارة وبطل

طالعنا قراء « الهلال » في العدد الماضي بقال
النقاد الحربى الانجليزى المشهور « ليدل
هارت » فى « البقية الحرة » . وقد
أثار هذا المقال كثيراً من البحث والنقد بين
من يتنون بالثمن الحربى والتاريخ العسكرى .
وكان ممن شاركوا فى بحث هذا الموضوع
نائب بريطانيا الاكبر « الارشال وبطل »
بقال مسهب فى جريدة التايمز ، تقدمه ملخصاً

تتبع بحوث « ليدل هارت » اهتمام المفكر
الحربى دائماً ، وكثيراً ما تصدمه وتربكه بما
فيها من جدة وطرافة . ولهذا فأتى أريد أن
أناقشه فيما كتب عن « العبقرية الحربية » وإن
لم يكن لى الا قسط يسير مما له من العلم
بالتاريخ الحربى ، فضلاً عن أنه لا تيسر لى
فمسحة من الوقت أرجع فيها الى الكتب الحربية
لا أجده ما يتعلق منها بهذا كرتى التى علاها الصدا .
ذلك أن هذا المقال حملنى على أن أعاود التفكير
فى موضوع القيادة والقواد ، الذى سبق أن
تناولته فى بعض المحاضرات والمقالات (١)

« العبقرية » كلمة مضللة

العبقرية كلمة متعة ، بل كلمة مضللة ، اذا اتخذناها فى الحديث عن فن الحرب ، بما تدل
عليه من معنى شائع ، أى انها الموهبة الطبيعية التى تمكن الانسان من النجاح بفضل الوحي
والالهام ، لا عن طريق الدراسة والتفكير .
ذلك أن القواد العظام ، على نقيض الشعراء العظام ، لا يولدون بل يصنعون . ولن
يصلوا الى المرتبة العليا فى فن القيادة الا بواسطة الدراسة المتصلة والتفكير الدقيق ، وإن
كان من اللازم أن يحوزوا ، فضلاً عن هذا ، بعض المواهب الطبيعية ، مثل : القدرة على
السرعة فى تقرير الامور تقريراً حاسماً ، وعلى السداد والاصابة فيما يصدرونه من
الاحكام ، والشجاعة فى مواجهة الاحداث وعلاج المواقف ، الى جانب الحثونة والصلابة
التي أخشى أن تصبح من الصفات النادرة بسبب ما تركه فىنا الحضارة من آثار التئمة
وأرى فى بحث هذا الموضوع أن أبدأ بوضع « المقاييس » التى يمكن أن نقبس بها
عبقرية القائد ، ثم نعرض طائفة من القواد المشهورين فى التاريخ لنرى مدى توافر هذه

(١) للمارشال وبطل رسالة من « القيادة والقواد » تضم محاضرات ألقاها فى هذا الموضوع
فى جامعة كمبريدج ، وقد طالع « الهلال » قراءه فى أحد أعداده الماضية بخلاصة إحدى هذه المحاضرات
التي قامت وزارة الدفاع الوطنى بترجمتها كلها الى اللغة العربية لى كتيب صغير

الاقبسة فهم . وبهذا نسير على عكس الحطة التي اتبعها ليدل هارت حين رأى ان أيسر طريق لتبين سمات العبقرية وتحديد محلها في الميدان الحربي ، ان يجمع طائفة القواد المشهورين ويختبر عناصر عقلمتهم ويعترف الى مختلف مؤهلاتهم ، ثم يستنتج من ذلك شروط العبقرية ودلائلها وأوصافها

ثم يجب ألا نطبق هذه « المقاييس » الا على القائد الذي تتوفر فيه الشروط التالية : أن يكون قد تولى قيادة جيوش كبيرة ، وكان مستقلا في قيادته لها تمام الاستقلال ، وخاض أكثر من معركة واحدة ، وكان في بعض معاركه مهاجما وفي بعضها مدافعا . فإذا توافرت هذه الشروط في تاريخ القائد ، أمكن أن ندرسه في ضوء ما سنضع من مقاييس وهذه المقاييس ، أو المؤهلات ، خمسة :

- ١ - قدرته في اعداد الجيوش وتقديمها لساحة القتال وهو ما يعرف « بالاستراتيجي »
- ٢ - مهارته في ادارة المعركة أي ما يعرف « بالتكتيك »
- ٣ - قدرته على جعل علاقته بحكومته ، وبحلفائها ، علاقة وثيقة
- ٤ - كفاءته في تدريب جنوده ، أو في الاشراف على هذا التدريب
- ٥ - همته ونشاطه خارج ميدان الحرب ، وفي معمة القتال كذلك

والآن لتبحث هذه المقاييس في ضوء من التفصيل

يرى ليدل هارت أن ضخامة الجيوش الحديثة ، واتساع ما تقاتل فيه من الميادين ، من شأنه ان يجعل فن اعداد الجيش أكثر أهمية من فن ادارة المعركة . ولكنني لا أوافق على هذا الرأي ، وأعتقد ان أخطر واجبات القائد وأنشغها ليس تقديم الجيوش اللازمة للقتال في صورة مرضية ، بل ادارة هذه الجيوش وتوجيهها الى حيث تظهر بالنصر . والواقع ان « الاستراتيجي » يقوم على قواعد وأصول معروفة ، أما « التكتيك » فيتطلب في غالب الامر الابتكار والتجديد ، وان كان هذا لا ينفي أن بعض القواد ابتكروا في طرق اعداد جيوشهم وتقديمها لساحة القتال ، وكان هذا هو السر في نصرهم

على أنه يمكن أن نسمي الحرب بلعبة البريدج : فاعداد الورق مثل اعداد الجيش ، أما طريقة ادارة الورق فمثل ادارة الجيش . والعمل الاول أيسر من العمل الثاني ، لان له في الغالب قواعد التي يمكن دراستها ومعرفتها . وعلى العمل الثاني توقف النتيجة الاخيرة ، ولهذا يجب أن نعدده أكثر أهمية

ولا شك أن القائد الذي يبتكر أسلوبا جديدا في ادارة الجيش والمعركة يتفوق على سواء في مجال الشهرة والعبقرية الحربية . وقد قام هذا الفن - فن الاستراتيجي - منذ القدم على ثلاثة عناصر : عنصر تحريك الجيوش ، وعنصر العدة الحربية . وعنصر توجيه الضربات . ولكن الدور الذي يلعبه كل من هذه العناصر يختلف بحسب عصور التاريخ وما ابتكر فيها من وسائل القتال وأدواته . فكلما جد فيها جديد أمكن لقائد الجيش ، أو لمحبيه من الضباط أو المدنيين ، أن يعدل في مدى الدور الذي يؤديه كل عنصر من

العناصر الثلاثة ، وبذلك بضمن التفوق على خصمه اذا هو لم يجار ما يحدث من أدوات القتال من تغير وتجديد

أما عن علاقة القائد بحكومته وحلفائها ، فقد يبدو أن ليس من الانصاف أن نقيس مقدرة رجل الحرب بهذا المقياس الذي هو من خصائص رجل السياسة . ولكن الواقع أن هذه العلاقة من أهم العوامل في ادارة الحرب ، فإن القائد الذي يمجز عن الظفر بثقة حكومته كى يحملها على تنفيذ ما يراه من الخطط وتجنب ما ينكره منها ، أو الذى يسيء العلاقة بينه وبين حلفاء حكومته ، خلى بأن يخسر الحرب ولو توافرت له جميع أسباب النصر ، فمن الحق أن تعد قدرته في هذا السيل مقياسا من مقاييس كفاءته

والتاريخ الحربى حافل بكثير من الامثلة على أن مقدرة القائد في تدريب جيوشه تدريبا مديدا قد تكون السبب في انتصاره على عدو يفوقه عددا وعدة . ولهذا فإن القائد الذى يوفق الى تدريب جنوده على الوجه الذى يلائم المعركة التى سيخوضها ، جدير بأن يصيب من التقدير مثلما يصيب القائد المظفر في ساحة الحرب

أما المقياس الاخير ، أى همة القائد ونشاطه ، فهو في الواقع أهم أسباب النجاح ، لانه مصدر العناصر والمؤهلات الاخرى ، ولا يمكن أن نجد في صفحات التاريخ قائدا عظيما كان ينقصه هذا النصر الفعال

من هم القواد العباقرة ؟

نقتل بعد هذا الى عرض أسماء البارزين من قواد التاريخ ، وقد عدده ليدل هارت نفرا كبيرا منهم ، الا أننى لا أريد أن أنافسه في بعضهم لأننى لا أعرف عن صفاتهم وأعمالهم ما يؤهلنى الآن للحكم عليهم حكما رشيدا ، ولا شك أن جوستاف أدولف السويدى ، وجونزالو القرطبى ، وتورين الفرنسى ، وغيرهم ، من أعلام القواد ، ولكنى كدت أنسى حروبهم ومعاركهم ، فليس من الحكمة ان أتحدث عنها الآن . وكذلك الامر فيما يتعلق بجنكينز خان وسابوتاي ، فلست أريد الحديث عنهما برغم أنهما خاضا حروبا واسعة المبادئ ظفرا فيها بانتصارات باهرة حساسة وحققا فيها نتائج تاريخية خطيرة ، وذلك لأننى لا أعلم كثيرا عما اتخذوا من أساليب الحرب ووسائل القتال

انما أريد أن أحصر كلامى في أولئك القواد الذين لا شك في عظمتهم ومقدرتهم ، والذين يمكن أن نسميهم القواد « الكلاسيك » لأن كفاءتهم فوق كل جدل وانتقاد ، ولأن سمعتهم ما تزال تزدد على مر الأيام ذيوعا وانتشارا ، وهم : هانيبال ، شيبو افريكانوس ، الاسكندر المقدونى ، يوليوس قيصر ، بلزارىوس ، فردريك البروسى ، كرومويل ، مارلبرو ، نابليون ، ولنتجون ، لى الأمريكى ، فون مولتكة ، فوش ، لندورف . فلنذكر عن كل منهم كلمة وجيزة نعرض فيها كفاءتهم على أساس « المفايس » التى ذكرناها آنفا:

هانيبال : يجب أن يوضع هانيبال في المقدمة من القواد العظام سواء نظرنا اليه من وجهة قدرته على اعداد الجيوش ، أو من وجهة كفاءته في ادارة المركة . وان انتصاره في معركة « كاني » ليعد نموذجاً ومثلاً يقتدى به في أعظم الشعوب الحربية الحديثة . ولاشك انه كان الى جانب ذلك قدراً في فن تدريب الجنود على القتال ، فانه يبدو أن أهل قرطاجنة الذين سار بهم من نصر الى نصر لم يكونوا جنوداً بالفطرة ، بل بالتدريب والاعداد . أما هزيمته في النهاية فترجع الى أن حكومته خائفة وحطمت ، ومن السير أن تبين الآن مدى مسؤوليته عن سوء العلاقة بينه وبين حكومته . ولكن هذه الهزيمة التي حلت به في صورة مروعة البمة لا تنقص شيئاً من عبقرية الحربية التي مكنته من أن يخوض معارك مظفرة عدداً من السنين ضد قوات تفوقه عدداً وفي ظروف شاقة عصبية على أن من العسير تقدير عظيمة هانيبال تقديراً صحيحاً ونحن نجهل كثيراً من ظروفه ومعداته ، فمن يدري ماذا كان يحدث لو أتيح له بعد معركة « كاني » خمسون فيلاً آخر ؟ فلربما دخل يومئذ روما وتغير وجه التاريخ تغيراً كاملاً !

شيبو افريكانوس : وقد اعترفه ليدل هارت أعظم من نابليون ، وهو في الحق جدير بأن يقدر كل التقدير ، وان كان خصمه هانيبال قد استأثر دونه بالشهرة الدائمة والمصيت الخالد ، برغم أن الحطة الحربية التي لجأ اليها افريكانوس ، وهي تجنب لقاء العدو وجهاً لوجه ، وإيثاره أن يئال ويتجف من أطرافه وحواشيه ما يوهن قوته شيئاً فشيئاً - هذه الحطة الماكرة هي التي ختمت جميع انتصارات هانيبال بهزيمته المروعة . ولهذا فاني أرى أن افريكانوس يجب أن يكون على الأقل قرين هانيبال ، وأن يقف معه جنباً الى جنب في صف القادة العظام

يوليوس قيصر : وفي تاريخ الرومان نفر من القواد العظام ، فالى جانب شيبو افريكانوس يجب أن نذكر يوليوس قيصر وان كان أقل من زميله - من الناحية الحربية الصرفة - ذيوغ صيت . وقد خاض معاركه الاولى ضد القبائل المتبربرة التي كانت تغير على الدولة الرومانية وتربص بها الدوائر لتتل عرشها وتحطم مجدها . أما معاركه الاخيرة فكانت ضد مواطنيه أنفسهم الذين لم يكونوا دائماً مخلصين في تأييده ومؤازرته وقد ترك قيصر تقارير حربية طويلة جافة ، ولكني أرى برغم ما خاض من معارك كثيرة بين هجوم ودفاع أنه أقل قدراً من هانيبال وافريكانوس

الاسكندر الاكبر : في هذا القائد تجسست مواهب المغامرة والجرأة التي يمتاز بها الشباب . وقد ورت عن أبيه فيليب قوة حربية كبيرة مدربة ، كما كان سيد نفسه فلم تكن ثقة حكومة مستأذنها أو يستشيرها ، ولهذا وجد طريقه الى المجد سهلاً مبسراً . ولاشك أن الاسكندر بفنوحاته التي اجتاحت بها آفاق المعمورة حينذاك ، ثم بجمته في سن الشباب ، يعد في الفلك الحربي كالنيزك الذي هوى مثاقفا ملتهباً في الفضاء . فيجب أن يوضع في مكانه

الرفيع وسط نجوم الحرب اللامعة ، الخالدة ، في كبد السماء

بلزارديوس : انى اشعر بكثير من الاعجاب بهذا القائد الذى لم ينظر بكثير من الشهرة الواسعة ، فانه يبدو لى أنه يملك من الجبال الحصب ومن القدرة على الابتكار أكثر مما يملك أى قائد عظيم قرأت عنه . وقد كان يتكرر دائما من الوسائل ما يمكنه من قهر خصمه وبلوغ هدفه ، وهى وسائل تدل على انه تفوق على جميع أعدائه بالذكاء والذهانة . وكان الى جانب هذا محاربا جريئا مقداما ، كما كان عظيما في تدريب جنوده واعداد كتائبه وقد خدم ميده الامبراطور جستنيان بذمة واخلاص ، وكان جزاؤه على ذلك نكرا وشرا . وكذلك كان مخلصا لحلفاء حكومته وقد وثق علاقته بهم فتججح في كسب ثقتهم به . وقد كان رجلا نبیلا في معاملة من يهزم أو يؤسر من خصومه . فهو قائد عظيم من جميع الجوانب

فرديريك الاكبر : أما وقد رأيت ان اتجاوز عن جنكيز خان وسابوتاي وغيرهما من قواد المصور الوسطى ، فاني أقتز قفزة كبيرة تقلى من العصر القديم الى العصر الحديث ، حيث أجد في مطلقه فرديريك الاكبر الذى تتحلل فيه التقاليد العسكرية البروسية ، المعروفة بصرامتها من ناحية ، وبكفائتها من ناحية أخرى ويشبه فرديريك الاسكندر من وجهة أنه ورث جيشا كبير المدد موفور العدة كامل التدريب ، فكان فضله محصورا فيما ابتكره من خطط جديدة في توجيه هذا الجيش وادارة ما خاض من المعارك ، وان كان قد اقتبس بعض هذه الخطط من القواد الرومان القدماء وكان كلاسكندر في أنه بدأ حروبه بالاغارة على جيرانه ليأخذ منهم قطعاً من الارض يضيفها الى ملكه ، ولكنه كان يختلف عن الاسكندر اختلافاً بينا : ففى الاسكندر تمثل الشباب الجريء ، الثغامر ، المدفع ، أما فى فرديريك فنمثل الروح البروسى الباطش ، العنيد ، المترن

وقد صارت السياسة التى سار عليها ، وهى اثار الهجوم مهما كلف من ضحايا أو مهما كانت الظروف والصعاب ، تقليداً يسير عليه الشعب الالمانى في كل ما يخوض من حروب

كرومويل : لا شك أن الرجل الذى لم يحترف الجندية الا في سن الاربعين ، والذى يجد في نفسه حينذاك مقدرة على قيادة جيش كبير ، يستحق أن يعد قائدا كبيرا . وقد استطاع كرومويل في هذه السن أن يكون جيشا من أنصاره ، وأن يدرهم تدريبا كاملا ، وأن يث فيهم روح العزم والحماسة ، ولكنى لا أرى في فنه الحربى شيئا مبتكرا أو ممتازا . وقد كاد أن يهزم فى « دونبار » هزيمة منكرة لم ينقذه منها الا حسن الحظ حين وقع عدوه « لزل » في كثير من الاخطاء الحربية الفنية . ولهذا فاني أرى ان كرومويل لن يجد مكانا في القائمة التى تضم اسماء القواد المباشرة . ولعل السبب في ذلك انه لم تتح له الفرصة

التي يظهر فيها ملكاته الحربية في ميدان أقبح مدى وحرب أطول أمد
مارلبرو : أظن انه لا جدال في أن مارلبرو هو أعظم قائد حربي أنجبه المجلس
 البريطاني ، وان في تاريخه ما يؤهله لان يعتبر أوفر قواد بريطانيا نصيبا من الواهب
 الحربية

فقد كان عظيما في اعداد جيوشه ، قدر ما كان عظيما في ادارة معاركه . وهو وان
 لم ينتكر شيئا كبيرا في « التاكيك » الحربية الا أن حركات جيوشه في ساحة القتال كانت
 تدل دائما على أنه وهب النشاط ، والجرأة ، والحاسة العملية

وكان الى جانب ذلك بارعا في علاقته بحكومته ، فلستطاع أن يقنعها بأن تواصل حربا
 لم يكن يرجي فيها النصر أول الامر ، وأن تمده بما يلزمه من جند وعقاد . وما من أحد
 سواء كان يستطيع أن يبدى ما أبدى من صبر وحذق في علاقته بحلفائه الهولنديين المصين
نابليون : والآن نأثي الى نابليون الذي لا يتردد كثيرون في أن يضموه في الذروة

العليا بين جميع قواد التاريخ . أما أنا فلا استطيع ان ارتفع به الى حيث أقرنه بمارلبرو ،
 فانه وان كان سيذا عظيما من ناحية اعداد الجيوش « الاستراتيجية » ، الا انه لم يبلغ من
 ناحية ادارة المارك « التاكيك » هذه الدرجة الرفيعة . وقد يبدو هذا الحكم غريبا ، ولكني
 اعتقد ان دراسة معاركه دراسة بعيدة عن التأثير باسمه الحفاني تؤدي الى ارتضاء هذا الحكم

ففي معاركه الأولى في ايطاليا لم يتخذ من الصبر ما كان خليقا أن يتبع له من الظفر
 ما لم ينح له الا عن طريق الجرأة والمغامرة . ثم انه لم يكن يستفيد شيئا من أعمال المناورة
 والمراوغة ، بل كان يدفع جنوده الى ساحة القتال من أقصر طريق

وقد هزم في معركة « مارنجو » بسبب اندفاعه ومناورته ، ولم ينفذه من الهزيمة الا
 وصول « ديزيه » في الوقت الملائم . وكان من الممكن أن تتحول بعض معاركه مجازر
 مروعة لو كان خصومه اكفا وأدهى مما كانوا . اما معاركه الأخيرة في ليزرج وواترلو
 فلم يد فيها من الفن الحربي شيء يذكر . ومعركة اوسرلنز التي تذكر على انها مثال
 للمعركة التي وجهت فيها الضربة المضادة الحاسمة ، لم تبلغ في براعتها ما بلغت معركة
 سلامنكا التي أعدها سيدة معارك ولنجتون

وقد كان نابليون في أكثر معاركه يستفيد من أخطاء عدوه ، أكثر مما يبدى من البراعة
 في إدارة المعركة . وربما كنت غطتا في أحكامي هذه ، ولكني أقرر انني لا استطيع أن
 أعد نابليون عظيما في فن ادارة المارك

ولم يكن نابليون دبلوماسيا في معاملته لحلفائه ، فكانت الفرق الأجنبية تنهز أول فرصة
 لتهجروا وتخلي بينه وبين عدوه . كما انه لم يكن العناية اللازمة بتدريب جنوده . ولكن
 نشاطه الشخصي كان كفيلا بأن يغطي جميع هذه العيوب

وقد كان نابليون في معظم حياته الحربية سيد نفسه ، غير مسئول أمام حكومة ما ،

وعند ما كان في بدء أمره مستولا أمام حكومته كان يضرب بأوامرها عرض الحائط ولا يحفظ أنه هو القائد الوحيد من بين القواد العظام الذي تدرب في سلاح المدفعية ، ولعل هذا هو السر في أنه كان دائما يسيء توجيه فرق الفرسان والمشاة في ساحة القتال ، مؤثرا أن يستند في فخر عدوه على المدفع أولا . أو لعل مرجع حكمي هذا الى أنني رجل من المشاة اتحيز لهم وأغار من رجال المدفعية

ولنجتون : من الممكن أن يعتبر « أصبح » القواد العظام جميعا . كان رجلا شديد الثقة بنفسه ، شديد الاتزان في حكمه . وإلى هذا يرجع نجاحه أكثر مما يرجع الى ذكائه أو براعته . وقد كان سيدا في فن الدفاع ، وضربته المضادة في « سلامنكا » أحجوبة حرية ، على أنه كان يبدى كثيرا من الجرأة والاقدام عند ما تناح له فرصة الهجوم . وقد كانت علاقته بحكومته وحلفائها دليلا على سداد تفكيره وعلى حاسته العملية . وفي رأي أن أعظم قائدين في التاريخ هما ولنجتون وبلزارديوس

لي : يمكن أن يعد « لي » الذي طغى اسمه على اسماء جميع قواد الحرب الاهلية الامريكية أكثر الشخصيات الحربية جاذبية ودنوا الى القلوب . وهذه هي نقطة الضعف فيه التي انتهت به الى الهزيمة . فقد كان « جنتلمانا » وهو يمارس عملا يتطلب الحشونة والصرامة . ولو تذرعه « لي » بشيء من الحزم والشدّة لكان خليقا بضمه الحربي البديع أن يفهر خصومه ويكسب الحرب

مولتكة : هو مفكر حربي أكثر من قائد جيش . وقد كان بارعا في ادارة معاركه وان لم يكن قديرا في اعداد جيوشه

فوش : اعتقد أن ليس في قواد الحرب الحديثة من يبلغ الصف الاول من صفوف القواد العظام . فان فوش قد ارتكب أخطاء كثيرة ، ولكنه كان يهود فيصلحها في النهاية ، بفضل ما أوتى من روح قوى غلاب كان هو السر في انتصاره

لدوندورف : وكذلك لدوندورف الذي لا يرقى الى المرتبة العليا برغم ما أوتى من مهارة ومن معرفة واسعة بفن الحرب . والواقع أن أعظم شعب حربي في القرن الماضي ، وربما كان في جميع عصور التاريخ (وما أسوأ الحرب من عمل !) لم يستطع أن ينجب في عهده الاخير قائدا فذا ، بل قنع بأن ينجب رجلا من أمثال هندنبورج وعتلر يشرفون على شؤون القتال ، بينما يدور من وراء ظهورهم الجهاز الحربي الألماني الذي أعد اعدادا دقيقة ، فإذا تعرض هذا الجهاز لخطر ما ، تعطل وتوقف دون أن يجد القائد المبقرى الذي يحركه !

هذه كلمة وجيزة عن أشهر قواد التاريخ أكتبها في ساعة أو ساعتين احتلسهما من وقتي في ادارة ما ألقى على من عمل حربي ، وفيها كثير من الاحكام التي تثير النقد والشك ، وعذري في ذلك أنني كتبتها في عجلة لا تسع لي أن أرجع الى المراجع المعتمدة

لماذا نحلم؟

تنقسم الحياة الانسانية بين امرين نقيضين : اليقظة والنوم ، وتكون فى بعض الحالات وسطا بين هذين الامرين

فعد ما نكون نياما - والنوم يستغرق ثلث حياتنا - فانا لانمى شيئا مما يحدث لنا . أى أن هذا الذى نسميه « الوعى » ينعدم ، أو ينفو على الأقل ، فى أثناء النوم . ولكن هذه الناحية السلبية تقابلها ناحية ايجابية ، هى التأثير الفسيولوجى للنوم ، فان الجسم ، فى خلال الفترة التى بنامها ، يستعيد نشاطه ويستزيد من حيويته

يمكن إذن أن نقول ان حالة اليقظة تنتج مواد سامة تضعف الجسم وتهدمه ، بينما يحدث عكس هذا فى حالة النوم التى تنتج ما يند الى الجسم نشاطه وقوته

واكثر اجزاء الجسم تأثرا بما يصيه فى اليقظة من خور وهمود ، وما يصيه فى النوم من قوة ونشاط ، هو المخ . وهناك أعضاء أخرى تأثر بهذا ، ولكنها أقل تأثرا من المخ ، فهو أكثر الاعضاء حساسية

الفرو بين الحلم واليقظة

وبين هاتين النهايتين - اليقظة من ناحية والنوم من ناحية أخرى - توجد حالة ثالثة هى حالة الحلم . ولهذه الحالة قوانين تختلف عن القوانين التى تحكم الحالتين الاخرتين . فمن وجوه هذا الاختلاف ما يتعلق « بالوقت » فان قيمته فى حالة اليقظة أو حالة النوم تختلف اختلافا تاما عن قيمته فى حالة الحلم . فسقوط شيء ما لا يستغرق فى الواقع سوى بضع ثوان ، ولكنه فى حالة الحلم يؤلف قصة كبيرة ، تستغرق حوادثها وقتا طويلا ، وتنتهى فى ختامها بسقوط هذا الشيء

فما هى المدة التى استغرقتها هذه القصة التى يراها الحالم ؟ أى تستغرق فى الحلم الوقت الذى يلزم لها فى حال اليقظة ؟ كلا انها لا تدوم فى الحلم أكثر من هذه الثوانى التى استغرقتها ذلك الشيء فى أثناء سقوطه . فكان الحلم « صورة مركبة » تبدو فيها مرة واحدة الحوادث المتتالية التى انتهت بسقوط هذا الشيء

اذا عرفنا هذا ، أمكنا أن نعرف حقيقة بعض الأحلام التى تبدو غريبة محيرة . فهذا قائم يرى فى الحلم أن ثمة حريقا اتقد فى البيت الذى ينام فيه ، وأن الستة الحريق أخذت

تعلو وتمتد هنا وهناك حتى كادت تلتهمه ، فيهب من نومه خائفا مغزوعا .. فإذا به يرى المصباح الموضوع الى جانبه وقد سقط منذ لحظات الى الارض وبدأ ما انسكب من بتروله يحترق ويشعل

انه لا بد أن يقول انه تنبأ في أثناء حلمه بسقوط هذا المصباح ، وأنه بفضل هذه النبوة استطاع ان يخمّد النار قبل أن تمتد السقفها وتلتهم البيت كله . أى أنه يقول ان الحلم كان سابقا لوقوع المصباح . ولكن هذا خطأ ، والصحيح أن المصباح سقط أولا ، ثم حدث الحلم بعد ذلك . ولكن هذا الحادث الصغير ، أى سقوط المصباح ، تراءى له في الحلم في صورة قصة طويلة مفصلة ، فيها لهب ونيران ، وفيها بيت يحترق وأناس يصرخون ، وما الى ذلك من صور الحريق

والمسألة كلها ترجع الى أن « الوقت » في اليقظة قيمة تختلف عن قيمته في الحلم . فالطريق الذى يستغرق في اليقظة بضع ساعات لا يلزمه في الحلم سوى ثوان أو دقائق

الاحلام ثلاث أنواع

وهناك أنواع كثيرة من الاحلام ، الا أن أهمها هذه الأنواع الثلاثة :

- ١ - أحلام ترجع الى ما سبق أن رآه الانسان في اليقظة
 - ٢ - وأحلام ترجع الى الحالة العضوية لجسم الانسان
 - ٣ - وأحلام تتعلق بنوع من « الوعي » يختلف عن هذا « الوعي » الذى نعرفه ، وهو الذى يمكن ان نسميها « أحلام النبوة »
- والنوع الاول يشمل هذه الاحلام التى نرى فيها صوراً غامضة مضطربة لما مر بنا من مشاهد وحوادث وقت ، في غالب الامر ، في النهار السابق لليلة الحلم مباشرة . ولا يجد المرء بطبيعة الحال مشقة في تفسير هذا النوع من الاحلام
- أما « الاحلام العضوية » فتحتاج في تفسيرها الى شيء من العلم ، لمعرفة الصلة بين الصورة التى يراها النائم وبين حالة بعض أعضاء جسمه . فرؤية الثعابين والأفاعى في الحلم تنشأ من حالة اضطراب الامعاء

وكثيرا ما يرى النائم نفسه داخل كهف مزين بمناظر خلابة وصور غريبة ، فمنى يحدث هذا ؟ عند ما يكون النائم مصابا بصداع أو دوار ؟

فلكل حلم من هذه الاحلام « مفتاح » اذا عرفه الانسان سهل عليه تأويل الحلم تأويلا صحيحا . فرؤية سور حديدى انتزعت بعض قضبانها ، والنوى أو تهشم بعضها الآخر ، ليس له من معنى سوى أن النائم يعاني ألما في أسنانه . وقد لا يأتيه هذا الألم الا بعد أن ينام ، فإذا استيقظ بعد رؤية هذا الحلم أحس بهذا الألم ، فظن أن الألم نتيجة الحلم

الذى رأى ، مع أن العكس هو الصحيح ، وهو أن الحلم لم يقع إلا بعد أن نزل الألام بالإنسان

وقد يرى الحالم مرجلا يغلى بالماء الفاتر ، فيستيقظ من نومه وقد ارتفعت درجة حرارته نتيجة إصابته بالحمى . أى أن هذا الحلم كان نتيجة مرض حل بالنائم وهكذا يمكن تفسير مئات الأحلام على وجهها الصحيح ، متى عرفنا مفتاحها ، الذى يبين الصلة بين أمراض الجسم وأوجاعه وبين ما يترأى للنائم من صور الأحلام أما الأحلام النبوية فهى التى يحار العالم فى تعليلها . ولكن من البعث والخطأ إنكارها ، فإن الأدلة على صحتها كثيرة جدا . وأكثرنا يعرف أشخاصا تترأى لهم هذه الأحلام التى تنبئ عن أمور تقع بعد الحلم بساعات أو أيام أو سنين . وأكثر هذه الأحلام وقوعا ما يتعلق منها بموت بعض من نجبهم من الأقارب أو الأصدقاء . ومنها الأحلام المتعلقة بالحوادث ، وبالمرض ، وبإقبال الخط وادباره

وأكثر الناس رؤية لهذا النوع من الأحلام هم طائفة البحارة ، والرحالة ، وعمال المناجم ، ومن اليهم معنى يتعرضون فى حياتهم لكثير من الأخطار والأحداث ، التى يغلبون عليها بطريق الجرأة والمهارة جينا ، وبطريق المصادفة والتوفيق جينا آخر . ذلك أن هذه القدرة على اتقاء الخطر ، أو هذا التوفيق إلى النجاة منه ، لا يلبسان دورهما فى اللحظة وحدها ، بل قد يؤديانه فى حالة الحلم أيضا . وإذن فممكن أن نقول أن هذا البحار الذى تعود لقاء الأخطار ومصادفة الخطوب فى كل ساعة من ساعات حياته ، تنشأ فيه ملكة تنبؤ عما سيقع فى المستقبل من كوارث وأحداث . وبهذه الملكة يستشرف فى حلمه بعض الوقائع المستقبلية

ولكن هل من تأويل علمى لهذه الأحلام النبوية ؟ الواقع أن حدودها معناه أن ما نعرفه عن طبيعة الوقت ، ليس هو كل شيء فى الوجود . فنحن إلى الآن لا نعرف إلا الأشياء التى مضى وقت وقوعها ، أما هذه الأحلام فتدل على أن هناك أشياء فى حكم «الوقوع» وأن لم يكن بعد وقت وقوعها . وليس فى الوسع إيضاح هذه المسألة لأنها تتعلق بالعالم الروحى الذى لم يستطع العلم حتى الآن أن ينفذ إليه لتعرف ظواهره واستنباط قوانينه

الرؤى والهم والمساءلة الجنسية

وقد عالج فرويد وأتباعه فى بحوثهم فى التحليل النفسى « الأحلام العنصرية » وحدها ، فزعموا أن جميع الأحلام ترجع إلى الرغبات الجنسية . وهذا اسراف فى الحكم ، إذ الواقع أن المسألة الجنسية لا تتناول إلا النوع الثانى من الأحلام التى تتعلق بحالة الجسم وما يعاين من دوافع ورغائب

ومن هذا القبيل نوع غريب من الأحلام يرى فيه الإنسان أنه يقابل نفسه . فالعادة

في الحلم أن يقابل الرجل المرأة ، وإن تقابل المرأة الرجل . أما في هذا النوع فإن الحالم يرى أنه يقابل نفسه ، كما ترى الحاملة أنها تقابل نفسها . فما تعليل ذلك ؟
يجب أن نذكر أن في كل رجل كمية من « الانوثة » ، وفي كل امرأة كمية من « الذكورة » ، ولكن هذه الكمية ليس لها تأثير عضوي في حالة الشخص الطبيعي ، بل لا يتعدى تأثيرها الناحية النفسية . ونحن وإن كنا لا نتيقن في أنفسنا وجود هذا العنصر الغريب علينا ، ألا أنه يؤدي دوره في بعض عواطفنا وميولنا . وهذا هو مرجع هذه الاحلام التي تقابل فيها أنفسنا ، لانا في الواقع نقابل « الجنس الآخر » المختبئ فينا وأكثر الناس تعرضا لهذه الاحلام هم طائفة الفنانين ، ومن البهيم من ذوى الحبال المرهف والحس الدقيق ، لان « الجنس الآخر » أقوى فيهم منه في سائر الأفراد العاديين

هل للأحلام فائدة ؟

وكثيرا ما يسألني أحدهم : هل لما نرى من الاحلام أية فائدة ؟ فاجيب على هذا بأن الحالة العادية تؤدي الى أن يقضى الانسان فترة النوم مستغرقا فيه لا يعي شيئا مما يحدث لنا ، ولا يرى شيئا من الرؤى والاحلام

ولكن للاحلام مع هذا فائدتها ، فيجب أن نذكر أن كثيرا من آثار الفن لا يؤخذ من عالم اليقظة بل من عالم الحلم . وقد ذكر الموسيقى مندلسون أنه رأى نفسه في الحلم ممسكا بكمانه يعزف عليه لحنا من الموسيقى ، فاستيقظ من نومه متذكرا هذا اللحن بجميع أنغامه وتوقيعاته ، فأمسك أداته الموسيقية وعزفه ، فإذا به من أعظم ما أنتج من ألحان .
ولست فائدة الاحلام مقصورة على الشعراء ، والموسيقين وأصحابهم من الفنانين ، بل يجب أن نذكر جان دارك لترى كيف يكون الحلم في بعض الأحيان بالغ الاتر في حياتنا . فإن ما رآته هذه الفتاة من انها تفود جيش فرنسا ، وتطرد عدوها من أرضها ، وتنوج ولي عهدا ملكا عليها . هذا الحلم كان أقوى دافع لها على أن تفعل ما فعلت ، فنقلت ما تراءى لها حلما الى عالم الحقيقة

وانى أعتقد بعد هذا أن عالم الاحلام جدير بأن يبحث بحثا علميا واسعا ، لان كل ما قام به رجال التحليل النفسى في هذا السبيل لا يتعدى أطرافه وحواشيه . وأقول ان هذا البحث يجب أن يقوم به علماء يؤمنون بأن الى جانب هذا العالم المادى ، عالما روحيا ، له قوانينه وله مظاهره . ولست أدري ما سوف تتمخض عنه مثل هذه الدراسة من نتائج ، ولكنى واثق من أنها ستخرج للعالم ملبا جديدا وعلم نفس جديدا

(من مدخل للدكتور يوجين كوليسكو فى مجلة ميرل داجست)

حكمة الانسان

خطر لمنون ذات يوم أن يكون رجلاً حكيماً . وهذا خاطر كثيراً ما يدور بأخلاق بعض الأغنياء . . فقال في نفسه : ان خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية هي الابتعاد عن نزوات الهوى ، وهذا مرام ليس أيسر ولا أقرب من ادراكه . وليكن أول همي أن أبتعد عن هوى النساء . فإذا وقع بهرى على غادة ذات حسن ودلال قلت لنفسى هذا الحسن عرض سوف يزول : هذه الوجبات المتوردة سوف تزوى ، تلك العيون الغاتة سوف تذبل ، هذا الصدر الناهد سوف يضمصر ، هذا الشعر الداعج سوف يسقط أو يشيب وكل ما على هو أن أنظر إليها في الحاضر بعين المستقبل ، ولا شك ان عقلها الصغير سوف لا يتغلب على عقلى

ولاكن زاهد النفس على الدوام ، فلا تحلى مباحج الحياة ، ولا تفرى نفسى بالشراب الشهى والمجالس الصاخبة . . وما على الا أن أفكر في الأثر السيء الذى تجره هذه المآثم على الجسم والنفس . من ثقل في الرأس ، ومرض في المعدة ، الى ضياع للعقل والصحة والوقت . ولن أتناول من الطعام الا ما يقيم أودى ، فظل صحنى سليمة قوية ، وأفكارى ناضجة نقية . ولكن هذا سهل بسيط لا يصعب مثاله

قال ممنون : يجب على أن أفكر في حالتى المالية . . ان حاجاتى يسيرة وأموالى فى حرز حرز بمصرف المدينة . وان ما لدى من المال يكفينى مؤونة الناس أجمعين . وتلك سعادة ما بعدها سعادة . سوف لا أجرى وراء مجد فان أو مظهر زائل : فلا أحقد على انسان ولا يحقد على انسان . وهذا مطلب يسير كذلك

واستمر ممنون فى خياله هذا فقال : ان لى أصدقاء ، ولا أرى ما يدعونى الى فقدهم ما داموا لا يضمرون لى شراً ، سوف لا أمسهم بسوء ولا يمسوننى بسوء . وهذا امر لا يكلفنى مشقة

وما كاد ينتهى من وضع حكمته فى هذا البرنامج الصغير وهو مضطجع على فراشه ، حتى قام فأطل من النافذة ، فإذا امرأتان تسيران فى ظلال الأشجار المجاورة لمنزله . احدهما عجوز صامتة المعالم كأنها لا تفكر فى شيء على الإطلاق . أما الثانية فتاة صغيرة ، جميلة المحيا تبدو عليها مظاهر الفكر والقلق ، وكانت تبكى وتساو . فاسترعت نظر صاحبنا الفيلسوف ، واهتزت لها مشاعره ، لا لحسنها وجمالها ، فهو على يقين بأنه لم يكن

بالغا من الضعف هذا المبلغ ، ولكنه رثى لشقوتها ويأسها .. وسرعان ما خرج الى هذه الفتاة وفي خلداه انه سيزودها بحكمته ويسرى عنها بنصائحه ، وما كاد يلتقى بها حتى انبرت تقص عليه مأساتها المؤلمة ، في لهجة عذبة صريحة تأخذ بمجامع القلوب . اخذت تروى له شيئا عن عمها (الذى لا وجود له) كيف فسا عليها وكيف أساء اليها فاستولى منها بكمه ودهائه على أموال لا تملكها ، حتى غدت ترتجف خوفا وفرقا من سطوته وجبروته ، ثم قالت والدمع ينهمر من عينيها : اننى استشف من نفسك يا سيدى ذلك الرجل الذى تحسن مشورته وتنفع نصيحته ، فلو تفعلت فراقتى الى المنزل لتغلز بعض صواحبى ، فأتك ولا شك ستفقدنى من ورطتى ، وتفتسلنى من وهدنى . فرافقها ممنون ولم يردد ، وفي نيته أن ينظر في أمرها بتعقل وإخلاص ، ويذل اليها النصيحة الطيبة .

صحبته هذه الفتاة اليائسة الى حجرة تتصوع أرجاؤها بالملطور ، وأجلسه على أريكة كبيرة ونيرة في أدب ولباقة .. ثم جلست اليه وجها لوجه . وانبرت تحدث اليه وعيناها الى الارض . وكانت تتحد على وجنتيها بين القبة والغنية دمة متأففة . فإذا ما ارتفعت فأتك العينان التقتا بنظرات ممنون الحكيم . وكان صوتها الجميل يرتجف بالعواطف كلما التقت عيناها بعيني . فأخذ ممنون شمور رقيق يبعث في نفسه الرغبة الصادقة في أن يساعد هذه الفتاة الكريمة المنكودة الحظ . فلما طال الحديث وارتفعت حرارته ، تغير الوضع شيئا فشيئا ، فلم يعد أحدهما يجلس أمام الآخر . وكان ممنون في هذه اللحظات يقدم اليها تلك النصائح اللينة اللطيفة . حتى تحول مجرى الحديث ، فلم يعد يدور حول الصوابح والنصائح ، وأفلت العنان من يد المتحدثين

عند هذه اللحظة دخل المم المزعوم ، وكان مدججا بالسلاح من رأسه الى قدمه ، فهدد بادية الامر بقتل ممنون وكذلك ابنة أخيه - كما هو منتظر في مثل هذه الحال - ولكنه عاد فأبقى على حياتهما بعد التوصل والبكاء ، على أن يدفعها اليه مبلغا من المال ، فقدم اليه ممنون كل ما يحمل من النقود ، ونجا من الموت بهذا الثمن الرخيص .

عاد ممنون الى منزله يجزر أذيال الحية والحجل ، فوجد رسالة من بعض الاصدقاء المخلصين يدعونه الى الغداء . قال في نفسه اذا بقيت هنا وحيدا في عقر دارى فسوف تراكم على الهموم والافكار فتحرمنى شهوة الطعام ، ومن ثم يدب الى جسمى السقم والانحلال ، فخير لى أن ألبى هذه الدعوة ، لعل أجد فى تناول الطعام مع هذه الرفقة السعيدة ما يسرى عن نفسى وينسينى تلك الغاوة التى وقعت فيها هذا الصباح ..

قبل ممنون الدعوة . وقد أدرك أصدقاؤه أنه يزرع تحت عبء تقيل من الهموم ، فقدموا اليه بعض الشراب لعله يذهب عن نفسه بعض الاشجان . ففكر قليلا ثم قال فى نفسه : ان قليلا من الخمر يصلح الجسم وينش الروح . فتناول من بئت الخان ما ذهب برشده ، فلما انتهى هو وأصدقاؤه من تناول الطعام والشراب دعوه الى لعب النرد . فقال فى نفسه : ان اللعب مع هؤلاء الرفاق الاوفياء متعة شريفة ، فلعب حتى خسر كل ما معه

من النقود ، ثم لعب ولعب حتى خسرها أضاعافا مضاعفة . وثار جدال حول اللعب أدى الى شجار وغضب ، فضربه أحد أصدقائه المخلصين بصندوق الترد في رأسه ، فأطفا سراج عينه

وعاد ممنون الحكيم الى منزله غلاما مفلسا ، فأقدا احدى عينيه ! وما كاد يصل الى فراشه حتى استسلم الى رقاد عميق . فلما أفاق من رقاده وانجلت عن رأسه غيوم الحمر ، أرسل خادمه الى المصرف ليحضّر اليه بعض النقود ، يسد منها دينه لآخوانه الاوفياء ، فعاد اليه الخادم يحمل نبالا من الفلاس المصرف ، وضياح مئات الأسر في مهالوى البؤس والشقاء

ذهب ممنون الى المحكمة ساخطا متبرما ، على عينه عصابة وفي يده شكاية ، لعله يجد لدى المدالة مغرجا من هذا المأزق الذى أوقعه فيه افلاس المصرف . فلما دخل حجرة الانتظار لقي عددا من السيدات ذوات الدل والجمال ، يرقلن في الدمقس ويتخايلن في الفراء ، فنظرت اليه احداهن شذرا ، وكانت تعرفه بعض المعرفة ، ثم قالت : أو . ما هذا المنظر ! ونظرت اليه أخرى كانت تعرفه أكثر من الأولى ، وقالت : عم مساء يا سيد ممنون . اننى لسعيدة بأن أراك عرضا في هذا المكان . لماذا فقدت عينك يا سيد ممنون ؟ ومرت ولم تنتظر الجواب . فلم يسع ممنون الا أن يأوى الى ركن يختفى فيه حتى تحين اللحظة التى يتقدم فيها الى الحاكم ويرثى عند قدميه . فلما جاء دوره ومثل أمام الحاكم قبل الأرض ثلاث مرات ثم قدم اليه شكواه . . قبلها منه قبولاً حسناً ، ثم ناولها الى أحد رجاله ليقدمها اليه مشفوعة بمذكرة من عنده . فدنا هذا الرجل من ممنون وانتحى به جانبا ثم قال له بتلك اللهجة التى يلبسها الزهو والنصب : يا لك من أعور نزق ، كيف تجرؤ على دخول هذا المكان ، وكيف تتخطانى وتتقدم الى الحاكم بهذه الشكوى . ان هذا المصرف قد أفلس افلاسا شريفا لا تنسوه شائبة ، وقد كفلتني بحمايتى ، وان الذى يديره هو ابن أخت وصيفة من وصفات زوجتى . عليك يا صديقى أن تسحب هذه الدعوى ، اذا أردت أن تحتفظ بعينك الأخرى . .

وهكذا عاد ممنون الذى كان قد أجمع أمره في الصباح على ان يتعد عن النساء ، ويزهد في مباحج الحياة ، ويتجنب خصومات الأفراد بله الرجال الرسميين ، وقد وقع في جبال غادة حسناء سلبته ما معه من النقود ، وعافر الحمر ، وقامر ، وشاجر وفقد احدى عينيه ، وتقدم الى المحكمة وعبث به وبشكواه . . ولما عيس المساء !

وذهب الى داره والأسى مله فؤاده ، والدهشة تستولى على خواطره وافكاره . فما كاد يتخطى عتبة الباب حتى رأى مندوب المحكمة ، ينقل أثاث بيته ومتاعه بأمر دائيه . فجلس في ظل شجرة قريبة ، واذا به يرى تلك السيدة التى لعبت دورها في الصباح تسير مع عمها ، وما كاد يرفع نظرها على ممنون بعينه المعصوبة ، وحاله المريب ، حتى انفجرت بالضحك والسخرية

ولما أرحى الليل سدوله ، رقد ممنون على كتيب من القش على مقربة من جدران داره .
فأخذته سنة من النوم . وقد بلغ به الجهد وأخذت أنفاسه حتى النعم والالهم .. فرأى في
رقاده طيفا سماويا عجيبا

كان هذا الطيف يضيء بنور مثالي وهاج ، له سنة أجنحة ولا رأس له ولا ذيل ولا
قدمان ، وليس يشبهه شيء في الأرض على الإطلاق
سأله ممنون : « من أنت ؟ » فأجاب الطيف : « أنا الملك الساهر على حياتك » . قال
ممنون : « إذن أعد الى عيني وصحني ومالي وحكمتي » وأخذ يقص عليه كيف فقد كل
هذا في يوم واحد

قال الطيف : « ان هذه الاحداث لا وجود لها في العالم الذي نعيش فيه ،
صاح ممنون : « ما أجل هذا المكان الذي تسكنون فيه ! اليس عندكم أوغاد يفررون
برجل مسكين ؟ اليس عندكم أصدقاء يأخذون نقود صديقهم ويطفئون نور عينه ؟ اليس
عندكم أفلاس ؟ اليس عندكم حاشية يمشون بحقوق الناس ؟ »
قال ساكن الكوكب : « كلا ، ليس لدينا شيء من ذلك . اننا لا نفرق بين النساء ،
لاننا ليس لدينا نساء ، ولا نقتل بطوننا بالطعام والشراب لاننا لا نأكل ولا نشرب على
الإطلاق ، واننا لا نعرف الأفلاس لاننا لا نعرف الذهب ولا الفضة ولا وجود لهما بينما .
ولن نستطيع أحدا أن يظفي عين أخيه ، فأجسادنا بطبيعتها ليست من الجوهر الذي
خلقت منه أجسادكم . ولا يستطيع أحد أن يتلاعب بحقوقنا لان الكل سواء في كوكبنا
الصغير »

قال ممنون : « يا الهي ! وكيف تقضون وقتكم بغير نساء ولا طعام ؟ »
قال الطيف : « اننا نقضي أوقاتنا في مراقبة الموالم التي يتألم بها أمرها . ولقد أتيت الى
هذا المكان لاهلك شيئا من التفرقة والستوان »

فقلوه ممنون ثم قال : « ويحك ! ولماذا لم تجيء أمس لتقذني من غيوتي ؟ »
فأجابه الطيف السماوي : « لقد كنت في شغل شاغل بأخيك الأكبر . انه أحوج منك
الى العطف ، لقد فقد صاحب المظلة والجلالة سلطان الهند الذي كنت أتولى الخدمة في
بلاطه ، عينيه الاثنتين ، في مؤامرة عاجلة ، وقد كبل بالاصفاد والاغلال ثم ألقي به في
مقبرة بعيدة »

قال ممنون : « وما نفع الملك الحارس للأسرة التي يتكفل بها ، اذا كان أحد أفرادها
يفقد عينيه ويلقى به في مقبرة ، وأخوه ينطفيء سراج عينه ويرقد على كتيب من القش ؟ »
فأجابه الطيف : « لقد تغيرت وتغيرت حالك يا صديقي ، انك لن تعيش الا بعين واحدة
— هذا أمر لا شك فيه — ولكنك سوف تعيش سعيدا ما دمت لا تفكر في أن تغفل حكيمًا
على الدوام »

صاح ممنون متوجها : « إذن هذا مطلب لا يستطيع ؟ »

- أجل كما لا يستطيع الإنسان أن يكون أرباباً ، وأن يكون نواباً وقادراً وسعيداً على الدوام . نحن أنفسنا أبعد من أن نصل إلى هذه الغاية . كل هذا لا وجود له إلا في عالم واحد . أما في العوالم الأخرى التي تشغل هذا الفضاء ، وعددها مائة ألف مليون ، فالأمور تختلف في كل منها عن الآخر . فالعالم الثاني أقل حكمة وسعادة من العالم الأول ، والعالم الثالث أقل من الثاني ، وهكذا حتى تصل إلى العالم الأخير فمجد كل إنسان فيه جد مجنون !

قال ممنون : « اذن فعالمنا الارضى هو عالم المجانين ، الذى أتعترف بأن اسمع منك بناء الآن »

قال الطيف : « قد يكون ذلك »

قال ممنون : « اذن فهؤلاء الشعراء والفلاسفة الذين قالوا : ان الحياة تسير نحو الخير ، كانوا جد مخمطين »

قال الفيلسوف من علو : « انهم على صواب ما داموا يضعون نظام هذا الكون الكبير موضع التقدير »

صاح ممنون : « لا أصدق هذا حتى تميد إلى عيني التى فقدتها »

ترجمة: محمد طاهر الجيمورى

ألمان يقولون

الألمان خطرون ! ليس من المستبعد عليهم في أى وقت أن يخرجوا من جيوبهم قصيدة من الشعر ، أو يأخذوا في بحث مشكلة فلسفية

اكتشفت بين الألمان للتل الذي يقول : ليس الذهب وسعد هو البراق .. بل الجلد كذلك

الهي ! رحمتك بوطنى الذى أحمته الآلام وأفسدته السيئات

الهي ! علم هذا الوطن كيف يسالم العالم وكيف يسالم نفسه !

انى اشعر بأننى أحسن المانى .. لاني أريد أفضل شيء للشعب الألمانى !

« هتلر في سنة ١٩٢٤ »

وا أسفاه ! اننا لا نقدر الحق أى تقدير ، ولما ندعى أن كل من توجه إليه ضرباتنا يجب أن يكونوا مجرمين ، ويجب عليهم أن يقرؤا بجرمهم

« فردريك فون شيب »

نحن لم نخرج من طور البربرية الا حديثا ، ما زالت فنوننا في قباطة الطلولة . أما الفرنسيون فقد علموا شوطا في طريق الحضارة ، وهم بسببوتنا بقرن كامل من الزمان ، كما أنهم يتفوقون علينا في كل أمر من أمور الحياة

« فردريك الاكبر »

مونتجومري

أو «مونتى الصغير» كما ينعتة اصداقاؤه

رجل قصير . بسيط في طعامه . في ملبسه . في منظره العام . برز فجأة الى الصف الاول بين القواد الانجليز ، فاثبت جدارة وبسالة يستأهلان التقدير عجيب أمر هذا الشعب البريطانى . ينعت نابليون بأنه أمة من التجار ، فيرز من بين صفوفه من يقهر نابليون العظيم . ويدعى الالمان في كبرياء انه لا ينجب القواد ، واذا بريطانيا تنجب القواد . والاعجب من هذا أنها تاتى بهم مغمورين مجهولين حتى ليقول القائلون : ما هذا المونتجومرى مثلاً . واذا بمونتجومرى هذا بطل على الطريقة الانجليزية ، لا ينام فيما لا جدوى فيه ، ويستمد حتى لا يترك لفرجه بصيصاً من أمل ، ثم يهجم فاذا هو منتصر ، ويظل متابعا هجومه حتى يقضى على غريمه قضاء نهائياً . ويقت روميل من فوق الجبال ليخطف في جيشه المنامر ، فيقول : ان لم تردوا الانجليز عنكم فان ايامكم في تونس ممدودة . . فيخاطب مونتجومرى جيشه في (برود) انجليزى غريب : هلم تثبت لرومل ان ما قاله صدق ، وان ايامه في تونس ممدودة . . منطلق لطيف . ولا غرو فالجنرال برنارد لو مونتجومرى قائد الجيش الثامن الذى لا يتكلم الا قليلا ، يجيد هذا النوع من الدعاية . مونتجومرى الذى ينعته اصداقاؤه بمونتى الصغير . . والذى يعرف أركان حربه دون غيرهم كم هو جاف ، عروس ، قوى الإرادة لا يثنيه عما وطد العزم عليه شيء .
ثم هو يداعب غريمه مداعبات أخرى كثيرة . فيقول مثلاً : انى شهدت دانكرك من قبل . وان لى مع الالمان في تونس حساباً قديماً . . كالقبط الذى يداعب الفار وهو بين غلبه ، ويجد في ذلك لذة وفتحاً للشبهة . .

المعركة بتطبيق الخطط الحربية

ولقد كانت مهمة مونتجومرى شاقة عند ما عهد اليه في قيادة الجيش الثامن وحي به من انجلترا ليطبق الخطط الجديدة في حرب الصحراء . وأمام من ؟ أمام الفيلدمارشال ادوين روميل الداهية الذى خبر الصحراء خبرة امتاذ جيولوجى قبل الحرب العظمى الثانية ، ووفد الى مصر ليحاضر في جغرافية الصحراء ، فلما تولى قيادة فيلق افريقيا ، والجيش الايطالى في طرابلس ملا الصحراء ووادى النبل رعباً وحلماً من مهارته ، وكاد يضع الحلفاء في مأزق حرج

ووضعت الخطة الحربية لقهر روميل بأشراف الجنرال هارولد . د . ل . ج . الكسندر القائد الاعلى للقوات البريطانية في الشرق الاوسط . وعهد الى مونتجومرى في تنفيذها ، فعماذا صنع ؟

عكف مونتجومرى على درس الخطة والاحاطة بما استجد من فنون حرب الصحراء زهاء شهرين . ثم ضرب ضربته القاصمة عند العلمين ، وخدع روميل تلك الخدعة التي طال التحدث عنها لقرط براعتها ، ثم وقف في جنوده يقول : انه نصر تام عظيم . . في الوقت الذي كان زملاؤه فيه يقولون انهم ما يزالون في يده المعركة

هنا تتجلى حنكة القائد الموهوب . فان المعركة قد تكون في اولها . ولكن القائد الموهوب يعرف ان كانت ضربته الاولى قاصمة أم ليست كذلك . وقد أدرك مونتجومرى أن غريمه تلقى الضربة القاصمة . وان ما سيتلو ذلك هو من قبيل العناد واطهار البطولة في الصبر الى النهاية . وقد كانت الحال على ما شهد وظن . وظل روميل يترنح من ضربة العلمين ، ويذلل المستحيل لينقى على كيان جيشه ، ولكن كل شيء كان قد انتهى والسكين ذبحت هناك عند (عنق الزجاجة)

والمناورات التي قام بها مونتجومرى في خط العلمين ، والتي حيرت روميل في أمره وجعلته يتخبط في دفاعه ، لم تكن ضمن الخطة التي وضعها الجنرال الكسندر . انها من بنات أفكار مونتجومرى . ومثيلا لها كثيرات . فالعبرة - كما يعرف رجال الحرب - ليست دائما بوضع الخطط الحربية ، وانما بالحنكة والدهاء في تطبيقها

ثم اليك مثلا هذا (الجيب) الكبير الذي ألقى به روميل (طعما) لمونتجومرى بين تل الميسى وسيدى عبد الرحمن ، هذا الجيب حاول روميل أن يغري به مونتجومرى على القتال حتى يفلت هو بجيشه الى طرابلس . . ولو أن قائدا عاديا لقيه في طريقه لانشغل بقتاله ، ولافلت الصيد الحقيقي منه . ولكن مونتجومرى لم يكن هذا القائد العادى . انه يعرف مكان صيده . ويفرق بين الصيد السمين و (الطعم) الذي يحمله الشخص . . الصيد السمين هو روميل وفيلقه . . ما في ذلك شك !

ما هذا المونتجومرى ؟

أجل . ما هذا المونتجومرى الذى جرى به من عالم السيان في جنوب انجلترا ليقهر روميل مارشال الصحراء الافريقية وأحد الدهاة الافذاذ في قائمة القواد الالمانيين البواسل ؟ ان تقارير ادارة المخابرات السرية الالمانية تمتعته بالتهور . وأصدقائه ينعونهم بالبساطة والتدين . والضباط الذين تحت قيادته يقولون انه يبعث فيهم أحيانا الخوف الشديد . فهو بطالهم - وخاصة ضباط أركان الحرب منهم - بالطاعة العمياء ، والدقة التي لا تعرف الخطأ ، والنظام في أشد قوالبه صرامة ، النظام في التفكير ، في غط المعيشة ، في القتال .

ولا يذكرون أنه ابنهم لهم مرة ، أو زعم أن ما صنعوه كان أكثر من الواجب المطلوب منهم

وهو يختار أركان حربه بنفسه ، ويمتحنهم قبل إلحاقهم بخدمته . ويدرس التقارير عنهم في كل شيء . رشحوا له مرة أحد الضباط وأنشأوا على شجاعته وذكائه . فأمر باستدعائه الى خيمته . ولم يكذب الضابط يلقى النجبة العسكرية حتى يادبه موتجومرى بقوله : انك ضابطه كفه . ما في ذلك شك . ولكنك لست كفتا لي ا اذهب لشأنك عسكري (محترف) بكل معاني الكلمة . يعيش في الجيش ، وللعيش ، ولا يسمح لنفسه بالتفكير الا في الجيش

هو الآن في السادسة والخمسين من عمره . والناس يحسبونه أسن من ذلك . وخاصة عند النظر في عينيه اللتين تبدو عليهما آثار التعب . ولكن ضابطه يعرفون جيدا أنه لا يعرف التعب

خمس وثلاثون سنة من هذه السنين الست والخمسين قضاها في الجيش العامل منذ تخرج في كلية ساندهرست الحربية . ونال في الحرب العظمى الماضية وساما خطيرا علاوة على صليب الاستحقاق الفرنسي . وذكر في التقارير الحربية أكثر من مرة . والشيء الوحيد الذي يفتق به من لهو الشباب هو الرياضة العنيفة وخاصة لعبة (الرجبي) . أما (النشاط الاجتماعي) الذي يعرفه شباب الجيش ، والذي يحفل عادة بالشراب والغزل ، فلم يعرفه موتجومرى قط ، بل هو يشتمز منه أشد الاشمزاز ويراه حطة في الخلق العسكري

ولقد دهش أصدقاؤه وعارفو جيلعه عند ما فلجأهم بزواجه في عام ١٩٢٧ . لقد كان اذ ذاك في الأربعين من عمره . وهي من متقدمة للزواج . وكثيرا ما قالوا عنه بعد زيارتهم له في منزله انه يديره « بسلطة فارس من فرسان القرون الوسطى » ولما رزق بمولود ذكر درس مشكلة ميلاده كأنها مسألة تعرض على هيئة اركان الحرب . وأخذ يصدر « أوامره اليومية » في مسائل تنفيذية وتنشئة . . ولما سئل عن حاجته الى مولود آخر قال : ان وقته لا يتسع لأكتر من مشكلة واحدة وتوفيت زوجته عقب مرض قصير . فاخفى عن المجتمع الذي كان يعيش فيه عاما كاملا ليخفى حزنه عن عارفيه

لا يدخن . ولا يشرب الخمر . ولا يعرف للهواية معنى . فقد ورث عن أبيه الذي كان أسقفا في تسمانيا الاستقامة والجد والرصانة ، وعن التقاليد الاسبرطية أخذ الحسنة والرجولة الجافية

وعند ما هم بمغادرة مركز قيادته في جنوب انجلترا ليتولى قيادة الجيش الثامن في مصر ، جمع ضابطه وقال لهم مودعا : أيها السادة . ان من عادتي أن أتلو في الانجيل كل يوم . فمسي ألا تهملوا تلاوته

لا يسمح حتى بالسعال

وموتجومرى يبدو على أنه في الدروس التي يلقيها على ضباط أركان حربه . فهو في هذه الدروس يقف أمامهم في صلابة واستلاء ، ويبدى من فنون الحرب ما شاعت له مواهبه ودراسته وتجاريه ، ويعالج المسائل المعقدة بتفكيره المركز المنظم الهادى . فلا يحتاج لاختلاس النظر الى ما أعد من شيء مكتوب

وأول ما يجابه ضباطه بمجرد دخول حجرته أو خيمته لوحة كتب عليها : ممنوع التدخين . ويشرع القائد في درسه أو عرضه الحربي يمثل هذه الكلمات : أنا لا أسمع بالسعال أثناء محاضرتي . من أجل ذلك أمنحكم دقيقتين للسعال قبل الشروع في الكلام . . فإذا ما انتهت الدقيقتان شرع يتكلم ، حتى يقطع في الكلام مرحلة طويلة ، تحفيها دقيقتان أخريان . للسعال . مرة أخرى . . والويل للذي يتجلسر على السعال في غير هاتين الدقيقتين . . ان موتجومرى يقصيه عن هيئة أركان حربه في الحال !

قد يقال : وما شأن السعال في الكفاءة العسكرية ؟ وهب أن الضابط اضطر الى السعال في غير هذه الهدنة القصيرة . . ولكن موتجومرى لا يسمح بالسعال وكفى ، وهى نزعة (اسبرطية) لها مثيلاتها عند جميع القواد

والثى . الوحيد الذى يأخذه موتجومرى باليسر من الدعاية والمرج قبعاته الكثيرة . . وهو يسأل عدته أكثر من مرة : ما رأيك في قبعتى هذه ؟ وفي الميدان يجب أن يضع فوق رأسه قبعة استرالية كبيرة ، أو « بيريه » كالتى يلبسها السعال

وهو رياضى غيف . ويأمر ضباطه وجنوده بالرياضة . أصدر وهو في اتجلترا أمرا بأن يجرى الضباط - ومنهم السنون - مرة في الصباح كل اميوع مسافة ستة كيلومترات وكان هو يجرى في طلبتهم

ولقد كانت متابعه لجيوش روميل المتقهقرة في الصحراء (رياضة) غنية من هذا القيل



الطيران الحربى فى ربع قرن

من أبرز مشاهد الحرب القائمة أن لا غنى للجيش البرى عن السلاح الجوى ، فإذا أراد الجنود أن يرحلوا ويغمدوا سيوفهم أسراب الطائرات تحذف أهداف العدو ، فتحطم مواصلاته ، وتغوص معاقه ، وتشتت كتابه ، وإذا أرادوا أن ينحسروا ويتراجعوا فطعمهم سحائب من الطائرات تدفع عنهم خطر طائرات العدو .

وهذه الصلة الوثيقة بين الجيش البرى وسلاح الطيران من أم وجوه الخلاف بين الحرب الكبرى الثانية والحرب الكبرى الأولى . فبعد ما قامت هذه فى سنة ١٩١٤ لم يكن فى بريطانيا سوى عصفرة قليلة من الطائرات الضعيفة ، موزعة بين وحدات الجيش والأسطول ، إذ كانت بريطانيا لا تتخفى ، فى الشهر أكثر من حين طائرة . فلما تبين رجال الحرب فى بريطانيا أهمية الطائرة فى القتال . أنشأوا فى أول أبريل سنة ١٩١٨ السلاح الجوى للملكى ، الذى كان يشتمل حينذاك على ألفين وخمسة طائرة .

وقد احتل هذا السلاح فى أول أبريل سنة ١٩٤٣ بالقتضاء خمسة وعشرين عاماً على إنشائه ، ويضمه فى هذه الفترة نحو أثنى عشر فى عدد طائراته ورجاله ، فبلغ عدد طائراته فى هذا اليوم ٢٢٦٤٧ طائرة ، وعدد رجاله ثلاثمائة ألف رجل .

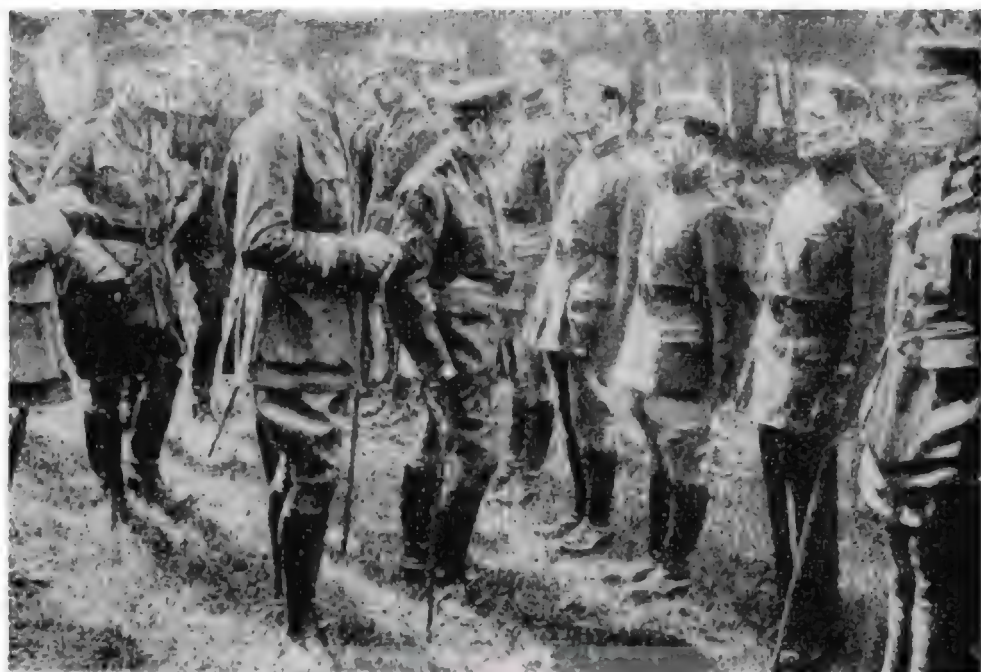
وقصة السلاح الجوى البريطانى طوال ربع القرن الماضى قصة تقدم مستمر وارتقاء مطرد . فى سنة ١٩٣١ فازت بريطانيا بكأس شيفر للطيران ، عند ما أدخلت فى طائراتها محركان وولرويس . وفى سنة ١٩٣٣ بدأت فى صناعة طائرات مسلحة بثمانية دافع مزاليز ، أما أم طرازين فى الطائرات البريطانية الحالية ، أى طراز سيطير وطراز هارليكين ، فلم ينشأ إلا فى سنة ١٩٣٦ - أى قبل « ميونخ » - التى حدثت فيها ألمانيا بحرب بريطانيا وحلفائها واجتياحهم جباً - بستان اثنتين اومع ذلك فان هذه الطائرات هى التى أفتت بريطانيا من الغزو فى سنة ١٩٤٠ . وقد ذكر الخبراء الحريون بعد انتهاء معركة بريطانيا أن خطة ألمانيا كانت ترمى إلى تعطيل السلاح الجوى البريطانى ، فإذا تم لها ذلك أمكنها أن تدبر سنها وزوارلها عملة بالجنود والسلاح الى الساحل الانجليزى ، ذلك أن الأسطول البريطانى سيجبر حتماً من الدفاع إذا لم يكن



فى الحرب الماضية ، ألغت سلاح الطيران الملكى البريطانى
فتيات من التطوعات . وهذه صورة فريق منهن . .



واليوم تفهد كذلك متعلقات فى سلاح الطيران الملكى
البريطانى ، والقارق بين هؤلاء هؤلاء ، تطور الأزياء والسبامها
على القوام وكثرة التطوعات الحالبات



وفي الحرب الماضية ، زار الملك جورج الخامس وحدات سلاح الطيران
الملكي البريطاني ، وكانت هذه الزيارة في ٦ أغسطس سنة ١٩١٨



، وكنت الأعوام ، وفي يونيو سنة ١٩١٠ ، زار الملك جورج الخامس سلاح الطيران الملكي البريطاني ،
وتحدث إلى الطيارين الذين ماتوا لأولئك الطيارين الذين حاربوا ألمانيا في سنة ١٩١٤



هؤلاء ٤ طيارو طائرات الأوس،
في الحرب للامنية . وقد أخذت
هذه الصورة في سنة ١٩١٨
في فرنسا وكانت الحرب ضد ألمانيا



ما أبعد الفارق بين طيارات
الأوس واليوم ، فهذه الطائرة
الانجليزية من أحدث وأقوى
ما أخرجت للصانع البريطانية ،
وهي من نوع « سيناتور »
وهؤلاء هم طياروها . والحرب اليوم
كما كانت بالأوس ، ضد ألمانيا

هناك الطائرات التي تؤيده وتحميه . ولكن كفاءة السلاح الجوي البريطاني ، سواء من ناحية قوة طائراته أو من
ناحية تدريب رجاله ، هي التي أفسدت على ألمانيا خططها في غزو بريطانيا ، وبالتالي خططها في ميدان الحرب عامة
ولا شك أن انتصارات البريطانيين الحاسمة في ميدان المراقبة ترجع إلى حد بعيد إلى هذه المؤازرة القوية
التي قدمها السلاح الجوي إلى الجيش البري

ولا شك أن بريطانيا وإن كانت قد تباطأت في التأهب للحرب قبل أن تهوم قيامتها ، إلا أنها فابت منذ
نزلت إلى ميدانها على أن تموض ما فاتها بالأسراع في إنتاج السلاح وتدريب الجنود ، ويبدو هنا واضحا في
أمر السلاح الجوي البريطاني ، إذ عرفنا أن هذه الآلاف من الطائرات التي تطير اليوم فوق أوروبا تصلم
مصانعها وتلك قواعدها ، والتي تدوى في سماء أفريقيا فتطلق للحقاه نضرا في أثر نصر ، والتي تحس سفنها
الجوالة في بحر العالم ساعدة بالمؤونة والذخيرة والسلاح ، هذه الآلاف من الطائرات لم تكن في سنة ١٩٣٨
تجاوز الألفين إلا بقليل ، وكان منها في بريطانيا ١٧٥٠ طائرة ، وفي سائر أرجاء الامبراطورية ٤١٨ طائرة

الغلبة والعالم

من تقاليد الحرب البحرية الاغراق لا التسليم

في أثناء المعركة ان الفرنسيين قد يتغلبون عليهم ويستردون منهم سفنهم

وفي معركة رأس سانت فنسنت ، التي دارت في سنة ١٧٩٧ أسر الاسطول البريطاني المؤلف من خمس عشرة سفينة سبعا وعشرين سفينة اسبانية . ولم يكن نلسون حينذاك سوى ريان احدى السفن ، ولكن سفينته وحدها أسرت سفينتين اسبائيتين . وفي نفس هذه السنة دارت معركة بين البريطانيين والهولنديين وكان أسطول كل منهما يتألف من ست عشرة سفينة ، ومع ذلك فقد أسر تسع من سفن الهولنديين ، بما فيها سفينة القائد العام.

وكذلك كان الامر في معركة الارمادا التي دارت بين اسطول اليزابت ملكة بريطانيا واسطول فيليب الثاني ملك اسبانيا . ففي هذه المعركة الكبرى لم تغرق سفينة واحدة ، بينما أسر ثلاث وعشرون سفينة استرجع الاسبان اكثرها نتيجة بعض اخطاء ارتكبها البحارة البريطانيون . ولكن الطبيعة كانت في جانب بريطانيا ، فهبت عواصف هوجاء اغرقت نصف الاسطول الاسباني

وما يحدث للسفن الحربية يحدث للسفن التجارية . فلا يعرف في هذه الحرب الغائبة أو في الحرب الماضية ان سفنا تجارية أسرت ، بينما لا يمر يوم واحد لا يقطع فيه البحر كثيرا من هذه السفن المحملة بالذخيرة وعروض التجارة . اما في الحروب الماضية فكان أسر هذه السفن أمرا مألوفا ، ففي سنة ١٧٨١ ، في أثناء

وقعت في الحرب الماضية ثلاث معارك بحرية كبرى ، في كورونيل ، وجزر فوكلند ، وجوتلند . وقد لقت بريطانيا في هذه المعارك ست عشرة سفينة ، وخسرت ألمانيا خمس عشرة سفينة منها ثلاث بوارج كبيرة . ويجمع هذه السفن قد اغرقت ، فضلا عن سفن أخرى اعطيت عطشا شديدا . ولم ينج من بحارتها سوى ضيع مئات بينما قتل اكثر من اثنى عشر ألف رجل وجرح زهاء ألف ومائتي رجل . ومع هذا كله فلم تؤسر سفينة واحدة

ذلك ان من التقاليد الجديدة في المعارك البحرية الا تسلم السفينة مهما احيط بها من جميع الجوانب ، ومهما كانت قوة السفن التي تعارها . ولكن هذه التقاليد لم تكن معروفة في المعارك البحرية القديمة ، ففي عهد نلسون مثلا كان عدد السفن الأسورة اكثر من عدد السفن المفرقة . ولم يكن ريان السفينة حينذاك يرى عارا أو بأسا في ان يسلم لعدوه اذا رأى ان لا فائدة من المقاومة . بل كثيرا ما كان الريان الضعيف يستسلم وما زال امامه متسع للمقاومة والكفاح

في معركة نلسون الكبرى ، معركة الطرف الامر التي حققت لبريطانيا السيادة البحرية الى يومنا هذا ، لم يفرق من سفن فرنسا سفينة واحدة ، بينما أسر عشرون منها . وكان عددها جميعا ثلاثا وثلاثين - ان تسلم للسفن البريطانية على ان البحارة البريطانيين عادوا فدمسروا واحرقوا بعض هذه السفن الأسورة حين هذا

الأسيرة - ومن امثلة ذلك ما وقع في معركة هافانا في سنة ١٧٦٢ التي أسر فيها البريطانيون اثنتي عشرة سفينة اسبانية ، وكوفى قائد الاسطول ببلغ ١٢٢٠٩٩ جنيه وعشر شلنات وستة بنسات ، وكوفى كل بحار بثلاثة جنيهات واربعه عشر شلنا وتسعة وثلاثة ارباع البنس

أول « بالون »

في أوروبا وفي مصر

أكثر الناس يذكر ان اول محاولة للطيران هي التي قام بها الاخوان الفرنسيان « رايت » في اول القرن الحالي . ولكن الواقع ان هذين الاخوين سبقهما الى الطيران اخوان فرنسيان آخران ، هما جوزيف واثنان مونتجوليفر ، اللذان اخترعا في سنة ١٧٨٣ اول بالون . وقد طار هذا البالون في حفلة من الحفلات البلاغة التي كان يعيها لويس الرابع عشر ، وكان ركاب البالون . . نتجة وبطة وديكا ! وكان هذا البالون مجرد حطبة من الجلد المرفق مملوء بالدخان ، وملحق بها مكان للركاب . وعند انقار هذه المحاولة اعجاب الباريسيين ، فأقبل بحش الربا فرنسا وسيداتهما على الاخوين يطلبون اليهما صنع بالونات لهم ليرتفعوا بها في الجو بضع دقائق . وتم صنع هذه البالونات واقبست حفلات شتى في باريس وغيرها من مدن فرنسا ، شوهدت فيها هذه البالونات مرتفعة في الهواء برعة وبجيزة من الوقت

وذاعت هذه البالونات واصبحت من المشاهدة المألوفة في الحفلات الفرنسية الكبرى ، فلما جاء نابليون الى مصر أراد العالم الكيماوي الميكانيكي الشهير « كوتني » ان يرى المصريين كيف يستطيع الفرنسيون ان يطيروا في الهواء ، وقد كان دأب الفرنسيين ان يلتوا في روع أهل البلاد انهم يملوا من العلم والحضارة ما يتوهم

الحروب النابليونية ، كان اسطول بريطاني مؤلف من واحد وسبعين سفينة يسير متجها الى جزر الهند الشرقية ، فأمرت منه السفن الفرنسية ثلاثا وستين ! ويمكن ان تسمى الحادثة البحرية التي حدثت بين نابليون ونلسن « معارك أسر السفن التجارية » ، فالقائد « كينغل » أسر بسفنه اثنتي عشرة قافلة فرنسية مؤلفة من تسع عشرة سفينة يحميها اسطول حربي من واحدة وعشرين سفينة ، واسطول القائد « بينج » وحده أسر ثلاثاثة سفينة فرنسية . وهكذا كان أسر السفن مألوما وميسورا ، حتى ان الباغرة الاسبانية « هرميون » سلمت لبحس السفن البريطانية التي لاقتها دون ان تطلق عليها قبلة واحدة ، وكان ذلك في أول يوم خرجت فيه الى البحر

فما السبب في ذلك ، ما السبب في ان البحارة القدماء كانوا لا يستحيون من التسليم ، وفي أن البحارة المعاصرين يؤثرون الفرق على الأسر ؟ ليس مرجع ذلك الى ان المعدين اشتهر قلبا واصلب هودا من القدماء ، بل لان السفن القديمة كانت تصنع من الخشب لا من الحديد . ومن الغريب ان الخشب اقدر على المقاومة من الحديد القوي بفجر عند ما يصطدم به « طوريد » أو تلقى عليه قبلة ثقيلة . ولهذا فان العدو يؤثر المراكب السنية لانه أسير واسهل بينما كان في الماضي يلقي مشقة كبيرة في المراكب فيعمل للاحاطة بها حتى تكف عن القتال وتستسلم . هذا الى ان السفن القديمة كانت تحتمل في سيرها على الصراخ والريح ، بعكس السفن الحديثة التي يسيرها ربانها الى أية جهة يشاء ، ولهذا يسهل عليه ان ينجو من عدوه على عكس سلفه الذي كان اذا أحيط به لم يجد مناصا الا ان يسلم

وقد كان القواد والبحارة يكافأون بالمال ، لا باللقاب وحدها كما هو الحال الآن ، اذا خرجوا من معركة بحرية ظافرين بعدد من السفن

١٨١٨ ، وقد اذلت بها الى الجو مدة اربع دقائق ونصف دقيقة

أعمال التدمير

وكيف يمارسها ، الطابور الخامس »

حانت امريكا في الحرب الماضية كثيرا من اعمال التدمير التي كان يقوم بها حيون ألمانيا ومؤيدوها النشئون في أنحاء البلاد . وكان الموكلون بهذه الاعمال الرهيبة قد دربوا تدريباً عليا على وسائل التخریب باستعمال المفرقات الكيميائية أو بانعمال الحرائق المروعة ، حتى ليقال ان ما خسرت الولايات المتحدة الامريكية في داخل بلادها نتيجة اعمال هؤلاء المدبرين اكثر مما خسرت في ميدان الحرب ذاته . ونذكر مثلا واحدا على خطورة هذه الاعمال ، وهو ما حدث في نيوجيرسي سنة ١٩١٦ ، فقد وقع انفجار هائل في عدة منازل ومطارات مملوءة بالسلاح والذخيرة ، تقدر قيمتها بخمسة ملايين من الجنيهات . ومع ان عدد القتلى في هذا الحادث لم يتجاوز ثلاثة افراد ، الا ان عدد الجرحى كان كثيرا ، كما كانت الخسائر المادية باعظمت جدا . ويكفي ان نعلم ان الزجاج الذي تحطم في « مانهاتن » وحدها قدر ثمنه بثلاثمائة ألف جنيه

ومع ان جميع بلاد العالم تعاني في أثناء الحرب كثيرا من حوادث التدمير هذه ، الا ان نصيب امريكا منها اكثر من نصيب سائر الدول ، لان هذا الشعب يتألف من مجموعة من العناصر المتعادية المتحاربة . وحسبنا ان نعلم ان من سكان الولايات المتحدة ما يقرب من عشرين مليون نسمة ينحدرون من عنصر الماني ، وخمسة أو ستة ملايين من سلالة ايطالية ، وان عدد الايطاليين في مدينة نيويورك وحدها اكثر من عدد سكان روما ذاتها . ومع ان اكثر هؤلاء قد نسوا وطغهم الاول وصاروا لا يعرفون

حق حكم مصر والسيطرة على أهلها . ويروى الجبرتي قصة هذه المحاولة فيقول :

« وفي عشرين جمادى الثانية سنة ١٢١٣ (يوافق ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨) كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصفوحا بالاسواق مضمونها انه في يوم الجمعة حادى عشرته تصدنا ان نظير مركبا ببركة (ميدان) الازبكية في الهواء بحيلة لرئاسة . فكثر لفظ الناس في هذا كعادتهم ، فلما كان ذلك اليوم قبل النصر تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجلستهم لرأيت قماشاً على هيئة ألوية على عمود قائم وهو ملون احمر وابيض وازرق على مثال دائرة الغريال وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مقبوسة ببعض الادعان وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة وهي مشدودة ببرك واحبال ، والطراف الاحبال بأيدى ناس قاتنين بأسلحة البيوت القريبة منها فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصد دخانها الى ذلك القماش وملاء فانتفخ فصار مثل الكرة ، وطالب المدخان الصمود الى مركزه ، فلم يجيب مستظفا ، فجلبها معه الى العلو ، فجدبوا بذلك الاحبال مسندة لها حتى ارتفعت من الارض لم تلتفتوا تلك الاحبال ، فصعدت الى الجو مع الهواء ، فمشت هتيفة لطيفة ثم سقطت طائرتها بالفتيلة وسطا ايضا ذلك القماش وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الاوراق المصومة فلما حصل لها ذلك انكشف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من انها على هيئة مركب تسمى في الهواء بحكمة مصنوعة ، ويجلس فيها انصار من الناس ، ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الاخبار وارسال المراسلات ، بل ظهر انها مثل العليارة التي يحملها الفراشون في المواسم والافراح ، هذه هي قصة اول بالون طار في سماء مصر . أما أول طائرة بالمعنى الحديث فهي التي صنعها المخترع الفرنسي بيلانز دي روزيير في سنة

في الخارج ، وعن يتصلون بهم من المعارف والأصدقاء ، وهكذا نرى ان الحرب الحديثة حرب سفلة جدا ، وان الدولة التي تريد كسبها لا يمكن ان تركز جهدها في ميدان الحرب ، وتنسى ميدانا أهم منه وهو " الميدان المدني " في دور الصناعة والانتاج ، بل وفي دور السكنى ذاتها

أحسن عمل للمصبيين

« من الممكن والكيسور ان يوجه المصبي الى ان يكون سياسيا او مصلحا »

هذا هو رأى الدكتور جولد هيلر استاذ علم الاجتماع في جامعة ستانفورد بأمريكا . وهو لا يعنى ان من يريد ان يشتغل في السياسة أو الإصلاح يجب ان يكون مصبيا ، والا أصابه الاخفاق وأخطأ التوفيق . بل يعنى ان الاصحاب للتهبة كثيرا ما تساعد صاحبها على النجاح في هذين الميدانين ، رغم ما هو معروف من ان السياسي يجب ان يكون عادتا رزينا ، يظهر غير ما يبطن ، وينسى عند ما يجب ان يقطب وأن المصلح يجب ان يكون التفكير رائده في عمله ، ولذا يكون عمله أقصد تأثيرا فيه من عاطفته وقد بنى الاستاذ رأيه هذا على دراسة شاملة في آلاف من الاندية الاجتماعية ، والهيئات السياسية ، ومجامع السيدات ، ونقابات العمال وما الى ذلك من الجماعات ، بقصد تعرف حالة أعضائها الحلقية والمصيبة ، وبتعيين مقدار ملامتهم لما يزاولون من العمل ومدى نجاحهم فيه

وهو يقول ان الأشخاص الذين يشعرون بجرحهم عن الهدوء والاستكانة في أمورهم الخاصة وعن مجازاة الناس في الشؤون العامة ، بسبب عنف أعضائهم وتهيجها ، يتجهون غالبا الى احتراف السياسة العامة ، او القيام بعمل من أعمال الإصلاح الاجتماعي ، وكثيرا ما يوفقون الى بلوغ الغاية في هذين السيلين

لهم وطن غير امريكا ، ومع ان منهم عددا كثيرا يتهاوى نظم الحكم الاستبدادية التي اقامتها الفاشية والنازية في ايطاليا والمانيا - الا ان منهم من تربطه بوطنه الاول روابط الشحور والعاطفة ، أو روابط المصلحة والغرض ، فلا يتوانون عن القيام بمقاومة أعمال الانتاج والسلح في امريكا التي تعد المورد الاول للحلفاء للعتاد والسيرة

ولهذا تعنى امريكا عناية خاصة بمقاومة أعمال التدمير هذه . وقد وكلت أمر هذه المساواة الى رجل من اشهر رجال الحكومة الامريكية وهو « ادجار هوفر » مدير مكتب البحوث الجنائية ، الذي اشتهر أمره في مقاومة عصابات اللصوص والمهربين الذين عاثوا في ارجاء امريكا دعرا طويلا . وقد أصدر هوفر بحثا تناول فيه الوسائل التي يلجأ اليها هؤلاء المدمرون ، واعدها وسيلة الانجبار ووسيلة الحريق . واكثر حوادث الانجبار تقع في السفن المحملة بالجنود والسلاح والمؤونة المرسلة الى ميادين الحرب . وهو يحدث عن قتال مينة توضع في السفينة أثناء حبيتها ، ولا تنجب الا عند ما تبعد السفينة عن الشاطئ . وتضرب في عرض المحيط . ومعامل العلماء جادة في ابتكار الانواع الفعالة من هذه القنابل ، وفي اجادة صنعها بحيث تكون صغيرة الحجم يسهل حملها وندسها ، اما حوادث الحريق فتقع عادة في مصانع الانتاج الحربي ، ويقوم بها غفرت من العمال الذين تسخروهم رضى الاعداء ووعودهم وقد تصح هوفر في بحثه رجال المصانع وربابنة السفن بأن يحتفظوا في اختيار المهنيين والعمال الذين يوكل اليهم أمر ادارة الآلات والاشراف عليها . فيتحلقوا من تاريخهم وماضيهم ، ويمدوا عنهم الأشخاص الذين قد تستهويهم أموال العدو أو تعطفهم عليه ميولهم الخلسة . كما تصح بأن يكون في كل مصنع مكتب خاص للتحري عن سيرة عماله ومديره

الحكمة والفكرية

هزيمة فرنسا في نظر كاتب انجليزي

أما اصحاب الاموال والصانع فكانوا يشترون
« العمال » أكثر مما يشترون « الالمان » بل
كانوا من صميم انفسهم يريدون الالمان ليصدقوا
عنهم ما تخيلوه من الشياخ الشيوعية

أما كبار الضباط فكان الغرور يملأ جوانحهم
لان الجهل كان يمتش في رؤوسهم . وعند ما
أراد الضباط البولنديون ان يفهموم معنى الحرب
الحاطلة التي كانت سبب هزيمة جيشهم . وعندما
أرادوا أن يعلموم الوسائل الكفيلة بحصد هذه
الحرب . وردوا في تصور الالمان - فقولوا
من القواد الفرنسيين باعراض كل اذدره .

أما صفار الضباط فما كانوا يدرون شيئا عن
الحرب الحديثة وما حدث فيها من تطور عظيم بينه
سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٣٨

لما الشعب فلم يكن يعلم السياسة جهلا تاما
فحسب . بل كان مرئيا في حكومته . متشككا
في جدوى للحرب . شاعرا بأن الامر لا يعنيه
كثيرا . وكان كل فرد يعتقد ان حكومة فرنسا
قائمة على اساس من الرشوة

ولم يفت موم في كتابه اى رجل مما يستحقه
من العقاب . فتحدث عن خليفة رينو . مدام دين
بورت . التي وضعت أصبحها في شؤون الوزارة
واكرحت رينو على ان يجعل من بودوان وزيرا
للخارجية . وألوعنت عزمته عند ما اجتاح الجيش
الالمانى أرض فرنسا

ولكن موم مؤمن بأن فرنسا قد المادت من
هذه الهزيمة . أفلدة بنتها بشا جديدا سرى
روحه في قلوب آلاف وآلاف من الفرنسيين .

خرجت الحرب بكثير من الكتاب من دائرة
الادب الى دائرة السياسة . فما يجوز للكتاب -
وهم قادة الناس ان اعموهم القادة - ان يعتزلوا
الدنيا في ابراجهم . بينما الحرب تتمخض عن
احداث ونتائج لا بد ان تمس كل شعب . وكل
فرد . في صميم حياته - وتمس قبل ذلك كله
الحياة الفكرية فاما ترجميها الى الامام واما تلقى
بها الى الورا

من هؤلاء الكتاب سومرست موم - أو موجهام
كما اعتاد بعض كتابنا ان يكتبوه - كان متفرغا
فيما مضى لادب اللغة وما يصل به . ولكنه
خرج أخيرا بكتاب عن هزيمة فرنسا التي شهدها
بجنيته . وتحدث فيها الى السياسة والقادة والى
الجمهرة والعامة . فكتبها في صورة خاطفة
حتى ليقول : « ليس عجيبا ان تهزم فرنسا »
وانما كان يعد عجيبا حقا الا تهزم »

بسط موم حال الشعب الفرنسى قبل الحرب
بسطا واضحا . فالضباط الشبان كانوا يسودون
من الميدان الى باريس أو الى مدنهم في اجازات
متصلة وهم يتساملون - لا فى حى بل فى
العلن - عما يعاربون فى سبيله . انهم سيكونون
تحت حكم هتلر كما هم الآن . فكل ما يريدونه
ان يعيشوا الى حدود ملتفتين الى مصالحهم ومسالهم
وهذا ما سيكون عليه الامر ان جاء هتلر - اما
للامبراطورية . اما البحرية فلا بأس عليها .
فان فرنسا شعب عظيم ولا يمكن ان يهر روحه
هذه هى الروح التي سرت فى فرنسا . فتمثلت
فى صورة هزيمة يوم ان نزل جيشها الى الميدان

وقد نطقت هذه الرجل الى التأليف في الفترة الاخيرة فأخرج من الكتب ما يجلو أوضاع اليد وكان آخرها كتابه « الثورة المعاصرة » الذي خصه بأمرين : الأول عما دعاه الى مؤازرة هتلر في بداية الامر وعما كان يدور في اذهان الالمان حينذاك من مبادئ لا غبار عليها ، حتى اذا جاءت العصبة المتحدة حول هتلر تعدد هذه المبادئ وتتحول بها الى وسائل للتفتيل والتدمير انفس من حوله وتبرأ من النازية - والثاني عن المنهاج الذي يسمه لاصلاح أمر ألمانيا التي أفسدها النازية وبالتالي اصلاح شأن أوروبا التي يسودها هتلر بوسائل القتال والارهاب

يقول روستنج : « تسألوني لماذا كنت نازيا ؟ ذلك ان النازية حركة شعبية فلا بد للمرء من أن يتدخل فيها ، ويحاول توجيهها ، حتى تسلك طريقا سويا . واني أعطيتكم « كمالوجيا » بالأمال التي كنا نريد تحقيقها عن طريق الحركة النازية التي نؤمن بها . » وهنا يعود روستنج الى غموضه وأجهامه حين يقول ان هذه الآمال هي : « التقليد بدلا من التحرير . التطور بدلا من الثورة بالحكومة الدائمة من الحكومة البروقراطية التوسع والتشول مكان التركيز والانصار . التطاوت والاختلاف بدلا من التماثل والتشابه . الاتجاه الذاتي بدلا من التوجيه الحكومي . الفردية بدلا من المجموع . الملكية بدلا من الاعتماد على دخل تمنحه الدولة . المبدأ المسيحي بدلا من ثقافة التحرير . » ولنا نحل هذا الغموض الغريب الا على ان الرجل اما انه لم يكن مخلصا واما كان مضنوا . فهو يقول انه لم يدر بخلفهم ان حملة هتلر على السامية يسكن ان يصير أمرا جنيا يوما ما . فاما هي غرب من الدعاية والاثارة رشما يتولى الحكم ويؤوب الى التؤدة والاثزان . بدليل ان هتلر كان يقول هذا الكلام تلقا على الماسون مع انني كنت ماسونيا ، فلم يجد بأسا من مؤازرته لان هذه

وهو فوق هذا جفتال بالمستقبل ، واثق بأن الديمقراطية ستتصير نصرا ساحقا ، وانها ستحقق الآمال المعلقة عليها - وهي الا يكون الشعب من طيقتين ، احدها مسرفة في الغنى والاخرى مسرفة في الفقر . ثم هو يقول : « ان الديمقراطية تعتمد على فساتل الفرد ، فحيثما يكون الفرد مسما يكون معبر الديمقراطية الى الاخلاق ،

الريخ الرابع

على انقراض الريخ الثالث

فلان اسم « روستنج » في أرجاء العالم خلال السنين الاخيرة ذيوما كبيرا ، فان كتابه « هتلر يتكلم » - أو « هتلر قال لي » - قد ترجم الى اكثر اللغات فأقبل عليه العامة والسياسة على السواء يقرؤون آمال هتلر ويراجعه ، وهم بين مصدق ومكتف ، حتى جاءت أحداث هذه الحرب تبيت كثيرا مما أوردته روستنج - وان كنا نلاحظ انه كثيرا ما يتكلم بلغة يتخللها الغموض والابهام مما يجعلها مطلقة حسس لكل تأويل وتفسير ، كأنها - مع القالة - لغة المرابين التي يمكن تفسيرها على شتى الوجوه .

على ان هذه الشهرة التي نالها روستنج تسببت عليه ستارا من الغموض الذي يكاد يبلغ حد الحرافة . بل ان من الناس من يصدق ما أذاعه بعض الكتاب الالمان من ان روستنج شخصية خرافية ابتكرها خصوم ألمانيا ليطلوها بأقوال لم تصدر عن هتلر يوما ما . ولكني اكتب هذا وبين يدي صورة فوتوغرافية لروستنج الذي لم يكن من قبل نزوله الى ميدان الكتابة والتأليف شخصا مفهوما ، بل كان رئيسا لمجلس شيوخ هانزج ، فمكة هذا المركز من ان يتصل بهتلر اتصالا وثيقا وأن ينفذ الى ما يدور بخلفه من آمال جسام ويرامج ضخمة ، وان ينفذ الى ما وراء السطح والمظهر من مبادئ وحقائق

البحر الأبيض المتوسط

لامبل لودفيج

هذا كتاب ثان يكتبه اميل لودفيج عن البحر الأبيض المتوسط ، فبعد سنوات أصدر كتابا شعريا رافعا عن مشاهد هذا البحر ، تحدث فيه عن الحضارة العريقة في مدن إيطاليا ، والجلال النليد في جبال الالب ، والاسواق الحاشدة في أحياء الاستانة ، والحياة الجديدة في تل أبيب ، وما الى ذلك من مرافق الحياة على شواطئ هذا البحر الخالد خلود التاريخ . ولكنه اليوم يكتب عن البحر الأبيض المتوسط كتابة المؤرخ المبدع ، أو على الأصح ، كتابة « متش » السير ، الفن ، فكما تصور « النيل » بطلا من أبطال التاريخ ، له « ناس وحياة » وله آثار وأعمال ، فكذلك تصور في كتابه الجديد « البحر الأبيض » بطلا عاش آلاف السنين ، وكتب الجزء الأكبر من سفر الحضارة ، فراح يلصق على قراله سيرة هذا البطل منذ جرت فيه سبل الكهنة إلى ان عاشت في جوانبه وحلفت في سباتها سفائن الحرب وطائراتها

يبدأ الكتاب بمهيد لا علاقة له بالتاريخ يصف فيه سمات هذا البحر الذي تخيله انسانا . وعنه في الطريقة التي اتبعها لودفيج في انشاء بعض « سيره » اذ يبدأ بوصف سمات المترجم وملاحه ، ليستنبط منها صورة لعقله ومزاجه ، ويبتغى اسلوب لودفيج الشعري في هذا الفصل ما يجعله شبيها بسمات هذا البحر الرائعة ومشاعده الحلاية

ثم يعرض تاريخ البحر عصرا فصرا . وهو في هذا يتنكر فنا جديدا في كتابة التاريخ ، فهو لا يعرض ما جرى على شواطئه من الاحداث والوقائع ، ولا ما قام في ارجائها من الآثار والأعمال ، وانما هو يعرض الشعوب التي عاشت

الظواهر يمكن التغلب عليها والغاؤها بد ان تؤنى عمرها

هذا تحليل روستنچ لتأييده للنازية ، وقد يكون مخلصا ، ولد يكون وموليا ، أراد ان يركب الحصان السابق حتى يبلغ به الى حيث يريد ، شأنه في ذلك شأن فون هينبرج وفون باين

على انه في الجزء الثاني من الكتاب يبدو اكثر وضوحا لانه اكثر خلاصا . فهو لا يخفى انه لا يؤمن بالديموقراطية ايمانا كليا ، وان كان يقيم الآن في قلعة للديموقراطية - انجلترا - ليناقش منها خصومها وعنايتها - وانما ما زال يبتغى الى شيء من الحكم المطلق . وهو يرى ان ثمة ثورة متسعة النطاق خطيرة الآثار تشب منذ سنين في أوروبا ، وتنتشر منها الى سائر القارات ، وهي تبذل في حركات يبدو منها التناقض والتصادم ولكنها متجهة كلها في اتجاه واحد يراد به تغيير الحياة الاجتماعية القائمة ، تحتل هذه الثورة في الاشتراكية الماركسية من ناحية ، وفي الفاشية والفاشية من ناحية ، وفي البولشفية الشيوعية من ناحية ، ولكن صالح الانسانية يقضى بولف هذا التيار الجارف ، باخضاع جميع هذه الحركات الثورية ، ولا يكون ذلك الا عن طريق الثورة ، الثورة المحافظة ، الثورة الكبرى التي تقضى على جميع الثورات . ولكن ما هذه الثورة ؟ انها هي التي تقيم « ديموقراطية مسيحية على غرار جمهورية ومار اللامبية »

ونظرة الى الشعب الألماني تتأثر بالفهم والادراك . فهو يعلم يقينا ان « الألمان غير الانجليز والأمريكيين » . فاذا صلحت الديموقراطية المطلقة لهؤلاء ، فان الألمان في حاجة الى ديموقراطية تجد منها زعامة - ولكنها زعامة معتزلة رزقة لا زعامة مسرفة هوجاء

على جوانبه ، مصطدمة بعضها ببعض ، ومتناونة بعضها مع بعض ، مخللا هذه الشعوب الى طبقاتها المتنازعة المتصارعة ، كأننا كل طبقة منها تمثل نزعة من نزعات الانسان التي توجه الى اليمين تارة وإلى اليسار أخرى

وهو في الناء هذا العرض يتحدث عن العوامل التي اثرت في تاريخ الانسان وكونت حضارته . حتى اذا وصل الى العصر الحاضر ، تحدث في زهاء مائة صفحة عن سياسة العالم في السنين الاخيرة ، وما أدت اليه من جعل هذا البحر الذي كان العامل الاول في بناء حضارة العالم وتدعيمها الى مسرح رهيب من مساحر القتال . ونرى في هذا الفصل ان لودفيج خرج عن رأيه السابق في موسوليني . فطالما مجد هذا

ويهم قراء العربية من هذا الكتاب بوجه خاص ما كتبه عن « قوة الاسلام ووحده » ، فقد أكد لودفيج في كتابه ان العالم الاسلامي حقق من ضروب الاتحاد الوثيق ما لم يستطع العالم المسيحي ان يحقق مثله . وهو يرى ان الفرق البسيطة التي حدثت بين العرب والترك في أثناء الحرب الماضية وفي اعقابها لا يمكن ان تؤثر في هذه الوحدة الوثيقة التي جمعت بين المسلمين المسلمين ألف عام

الحركة الثقافية في روسيا

نورد هنا بعض أرقام عن تطور الحركة الثقافية في روسيا خلال السنين الثلاثين الاخيرة :

	سنة ١٩٤٠	سنة ١٩١٣
نسخة من الجرائد اليومية	٣٨٨٠٠٠٠٠٠	٢٨٧٠٠٠٠٠٠
نسخة من الكتب	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٦٧٠٠٠٠٠٠
جامعة وكلية	٧٨٦	٧١
طلبة جامعي	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٢٠٠٠٠
تعليم إحصائي وفنوني	٣٥٠٠٠٠٠٠٠	٧٨٠٠٠٠٠٠٠
تعليم في المدارس الفنية	٩٥١٩٠٠	٣٥٨٠٠
مسرحا	٩٥٦٢٦	٢٢٢
ناديا	٨٢٥	١٥٣
مكتبة	٧٠٠٠٠	١٢٦٠٠

ولا غرابة في هذا اذا ذكرنا ان روسيا تنفق على الشؤون الثقافية والاجتماعية سنويا ٤٨ ألف مليون روبل ، أى ما يقرب من ربع ميزانية الدولة التي بلغت في سنة ١٩٤١ حوال ٢١٦ ألف مليون روبل ، وكذلك اذا ذكرنا ان الجيوش الروسية الضخمة ، ومصانعها الحربية الهائلة ، ومعداتنا المختلفة من مدافع ودبابات وسيارات وطائرات وذخائر لا تزيد نفقاتها كثيرا عن نفقات الشؤون الثقافية والاجتماعية الا تبلغ نفقاتها سنويا حوال ٧١ ألف مليون روبل

الكتب الجديدة

الاتجاهات الحديثة في التربية

للاستاذ محمد عطية ابراهيم

مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي
عدد صفحاته ٣٩٢

والتعليم ، اذ هو يتخير من هذه المثل والاتجاهات ما يلائم حياتنا التعليمية

فمن الموضوعات التي عالجها هذا الكتاب في شرح وإضافة : التعليم الفردي ، وطرق استذكار الدروس ، وتنظيم أوقات الفراغ ، والمناهج الدراسية واختيار المواد ، والعقوبة المدرسية ، والسكرات والمناخف المدرسية ، والمؤتمرات التعليمية ، والحكم الذاتي في المدرسة والنظام المدرسي ، ثم طرق الادارة المدرسية

وهو يعد الى جانب ذلك ثلاثة فصول طوال يشرح فيها طرق، متسورة، ودكرولى، ودلوتون، شرحا دقيقا مستفيها ، مينا بالامثلة والوقائع، مما يدل على ثقافة عميقة ، ونظرة سديدة ، في شؤون التعليم التي درسها ومارسها طويلا

اسكندر الأكبر

للاستاذ عزيز خانكي بك

المطبعة المصرية - عدد صفحاته ٦٤٨

كتاب «اسكندر الأكبر» هو المؤلف الثلاثون من مؤلفات الأستاذ عزيز خانكي بك التي تناولت كثيرا من البحوث القانونية والمالية والتاريخية والاجتماعية ، في صورة تجمع بين دقة البحث وسعة الاطلاع وحسن العرض والبيان

وموضوع هذا الكتاب ممتع شائق ، فقد قيل ان الاسكندر هو اكمل انسان مره التاريخ، لديه اجتمع جمال الجسم وتألقت العقل ونضوج الشعور . وان كان ثمة من الكتاب من انكر عليه ذلك ، مثل الكاتب الانجليزى ويلز الذى صوره في كتابه عن تاريخ العالم صورة فيمة تبدو فيها الغزوات الجامحة والشهوات المريضة على ان حياته الحافلة بالحروب التي اجتاحت العالم

تحدثنا في العدد الماضي من « الهلال » عن كتاب أصدره الأستاذ محمد عطية ابراهيم في « روح التربية والتعليم » ضمنه مجموعة من أحدث الآراء والنظريات التي يمكن الانتفاع بها في مسائل التربية والتعليم ، ويسهل تطبيقها في مدارسنا المصرية . ويسرنا ان نحى في هذا العدد نشاط الأستاذ ومجهوده مرة أخرى ، اذ اصدر كتابا جديدا عن « الاتجاهات الحديثة في التربية » ضمنه خلاصة دراسة وافية لشؤون التربية : النظرية والتجريبية والعملية

وقد قيل ان هذا العصر هو عصر التربية . فان التجارب التي تدور في هذا الميدان ليست أقل ، في مقدارها ولا في أهميتها ، من التجارب التي تدور في أى ميدان من ميادين العلم والنشاط . بل لقد قيل ان امريكا ليست الا معبلا من معامل التربية ، تخرج كل يوم نظريات ومبادئ جديدة في تنشئة الطفل وتربيته وتعليمه وان هذا الجهد العظيم الذى يتوالى عليه آلاف من كتاب امريكا ومفكرها ومدرسيها هو السر في قوة هذا الشعب العظيم وبروزة في جميع مراحل الحياة

ومع هذا كله فان المؤلفات العربية في مسائل التعليم والتربية قليلة جدا ، لا تفي بحاجة المدرسين وبنية الادباء ، ولهذا ترى ان الأستاذ ابراهيم يسد بؤلفاته هذه حاجة ماسة الى انشاء ابنائنا وتلاميذنا على أحدث المثل في التربية

ويتحدث عن زوجته وزواجه ويقدر اثر الأسرة في حياته ، ثم ينتقل الى الحديث عن القسطنطين الأول من حياة روزفلت السياسية حيث شارك في سياسة امريكا ابان الحرب الماضية ، فتعرف منه شيئا كثيرا عن سياسة ولسن وعصبة الأمم التي انشأها واعتزل امريكا شؤون العالم حينذاك

ثم يتحدث بعد ذلك عن مرض روزفلت وآثاره التي تبثت حينما عاد الى الحياة العامة رئيسا للولايات المتحدة

ويقدم الفصل الرابع من الكتاب على نظام التوزيع الجديد ، وما يتضمنه من مبادئ وقواعد تعد في مقدمة ما شهده العالم الحديث من ضروب الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي

أما الفصل الأخير فهو عن سياسة امريكا الخارجية وما تتخذ من قاعدة سياسة الجار الطيب ، ثم كيف تحولت هذه القاعدة لتخرجت بأمريكا من سياسة العزلة الى سياسة الاقراض والتأجير ، ثم الى الحرب ، ويختم كتابه بهذا البرنامج الذي تصفه امريكا للاستقلال ، كي تجعل الحياة القادرة آمن وأرخى من الحياة الفنية

صوت باريس

للدكتور طه حسين بك

مطبعة الخازف ، عدد صفحاته ١٩٨

قدم الدكتور طه حسين بك لقراء العربية هذه القصص الشعبية التي يتخيرها من آثار كبار أدباء المرح الفرنسي ، ولخصها وناقشها بأسلوبه الرقيق ، وقد طالع له قراء « الهلال » منذ سنين طائفة من هذه القصص التي كان يتخيرها من روائع الادب الفرنسي الحديث ، فتيبنوا ما كان يأخذ نفسه به في تقديمها ، من عرض دقيق شائق لحوادثها واشخاصها ، ومن إيضاح متعق لما ترمي اليه من المعبرة والغزى

المعروف حينذاك ، وبالأعمال التي خلّدت أثارها وتناجها على مرّ الدهور ، والتي انتهت في ريمانيا كأنها الشهاب الثاقب الذي تألق في كبد السماء ثم هوى مجتريا في الفضاء - هذه الحياة تله قراءتها وتفيد درستها الى أبعد مدى وقد وفق المؤلف في عرض هذه الحياة عرضا

جيدا ، فتحدث عن والد الاسكندر فيليب ، وعن استاذ ارسطو ، ثم حروبه في فارس وسورية ومصر والهند ، وبعد ان فصل الحديث في غزواته الحربية تحدث عن فتوحاته العلمية وما كان لها من أثر عظيم في حضارة العصر القديم ، ثم تحدث عن وفاته وانقراض أسرته وانحلال امبراطوريته

والكتاب الى هذا كله مطبوع طبعا جيدا ، وممل بكثير من الصور

روزفلت

للاستاذ فؤاد صروف

مطبعة الخازف ، عدد صفحاته ٢٤٢ صفحة

الاستاذ فؤاد صروف في مقدمة كتابه الذي أجادوا إنشاءه « انجيل » فقد ترجم لكثير من العلماء والمختبرين والزحالة والكشفين ، فجمع فيما كتب بين الفائدة يجنيها القارئ من حياة هؤلاء الاعلام وأثارهم ، وبين التمتع بلسانها القارئ فيا امتازت به هذه الكتابة من طرافة والمزم . وكذلك ترجم الاستاذ لاثنتين من زعماء العالم السياسيين هما تشرشل وروزفلت ، فكان في ترجمته لهما لا يفتن بأن يقدم لغارته حياة الرجل وما حفلت به من أعمال وآثار ، بل يطوى لي ثابا الترجمة دراسة وإلية لكثير من مشاكل العالم في السياسة والاجتماع والاقتصاد ففي هذا الكتاب الثمين الذي أصدره عن الرئيس روزفلت ، نقرأ تاريخ حياة الرجل مدروسة دراسة سيكولوجية دقيقة ، ليتحدث عن سلاته واسلافه ويقرر أثر الوراثة في صفاته ،

وكتابه هذا مصدر بقلعة وجيزة عن «حجرة
الاديب» ، أياها ما يفترض الاديب المصري
الحاضر من ألوان الحيرة والتردد حين ينشئ
أدبه في وقت لم تتبين فيه اهداف الادب ولما
تتوحد لفته . فيقول ان حول الاديب المصري
« مذاهب شتى يجرب منها ما يظنه الاوفق »
حتى اذا تبين له خلاف ما ظن ، عاد الى مذهب
كان يأباه . وهو لا يدري : يختصر على التراث
العربي ، يفترق منه ويطبع الكلام على غرار
أم يقبل على الجديد المستحدث من ألوان الادب
في الغرب ؟ وتراه يؤثر في كتابته الفصحى
مرة ، ويطلق على اللغة الدارجة مرة ، ويوسط
في الامر فيخلط بينهما مرة ثالثة »

عل ان الاديب الذي يجشم نفسه مؤونة انشاء
شئى ضروب الادب ، ومؤونة اتخاذ شئى لأساليب
الكتابة ، جدير حقا بأن يظهر من قراء العربية
جميعا بما هو أهله من الشناء والتقدير

أوراق

للاستاذ منير المجلاني

مطبعة النسيب دمشق - عدد صفحاته ١٨٨
هذه مجموعة مقالات وخطب في السياسة
والادب والاجتماع انشأها الاستاذ منير المجلاني
وزير الشؤون الاجتماعية السورية
وتجميع هذه الفصول والمخطب صفة واحدة :
هي صفة الرجل العربي المؤمن بوطنه الأصغر
سورية ، ووطنه الأكبر العالم العربي . فكل
ما يكتب وما ينطق نداء الى قومه عامة . والى
الشباب منهم خاصة ، ان ينهضوا وينهضوا
ليحققوا لهذا الوطن العربي آماله في الوحدة
والحبة

يبدأ الكتاب بقال عنوانه « من نحن »
يوجه فيه الكلام الشعري الصادق الى الشباب
كى يؤدوا واجبه قبل وطنهم فينشئوا كل شئ .
ويحولوا كل شئ ، ويتخذوا لانفسهم هذا

وهذا الكتاب الجديد هو مجموعة من هذه
القصص التشيلية والروايات التي تخبرها الدكتور
طه حسين عن بعض نواحي الادب الفرنسي المعاصر
ليقدم لقراء العربية ومثاديينها نماذج من هذا
اللون الادبي الذي ما نزال فيه في دور النائي .
النماذج ، برغم انه هو اللون الذي يفسر الادب
العربي جميعه ويحجب عن العين سائر ألوانه
الاخرى ، ثم هو تخير من هذه النماذج احفظها
بالدراسة النفسية أو الدراسة الاجتماعية ،
فيهي . لغايتها ان يبعد شيئا كثيرا الى جانب
ما يشعر به من التعة

المنفعة وحفلة شاي

للاستاذ محمود تيمور

دار الكتب الاعلية . عدد صفحاته ١٥٩

يضم هذا الكتاب مسرحيتين للقصص الكبير
الاستاذ محمود تيمور ، أولاها وهي المنفعة
مسرحية تاريخية تدور حوادثها في عصر المماليك
ثانيتها ، وهي حفلة شاي ، مسرحية اجتماعية

تناول بعض شؤون المجتمع المصري

وقد عالج الاستاذ تيمور ألوانا شتى من
الادب ، كان في بعضها رائدا مبتكرا ، وكان
في بعضها مبدعا مبدعا . وقد أبدع كتابة القصة
المصرية القصيرة اجادة تدعو الى الاعجاب
والتقدير ، سواء في غنها واسلوبها ، أو في
موضوعها ومرامها . وكذلك ساهم في الادب
المسرحي بما انشأ من تمثيليات تاريخية واجتماعية
كتب بعضها بالعامية وبعضها باللغة العربية .
ذلك انه انصرف الى ترقية الادب المصري بهذه
الالوان المختلفة من الاقاصيص والسرديات
والسرحيات ، التي يمكن ان تعد نماذج طيبة
يقتدى بها الجيل النائي من ادبائنا القصصيين ،
لما تحفل به من آراء اجتماعية ، ومن دراسة
نفسية ، وما تمتاز به من بساطة وسهولة في
التأليف والعبارة

- ٢ - القسم الثاني - ويحتوى على نشرات دائرة الري الفنية
٣ - القسم الثالث - ويحتوى على مذكرات مجلس النواب والاعيان حول مشروعات التكاثرات
٤ - القسم الرابع - ويشتمل على تأليف الرحالة والباحثين وغيرهما من المراجع العامة
٥ - القسم الخامس ويشتمل على المراجع التاريخية والجغرافية

هذا ما ذكره المؤلف فى مقدمة كتابه الذى يدل ولا شك على ان صاحبه قد بذل جهدا كبيرا فى جمع ما يتعلق بشؤون الري من تقارير ، وترتيبها وتبويبها ، مضيئا اليها ما حصل عليه من تجارب ومعارف خاصة فى أثناء عمله بدائرة الري ستين طويلا

والخلاصة ان هذا الكتاب هو أحد المؤلفات التى يشم الانسان منها « راحة العرق » الذى بذل فى جمع اسانيده وتلخيص تقاريره وترتيب آيابه

أحداث تاريخية

بقلم « بنت بطوطة »

مطبعة حلبى بدمنهور عدد صفحاته ١٩٤

يتألف هذا الكتاب من سبعة أحداث تتناول نواحي شتى فى التاريخ الاسلامى وكتابة هذا الكتاب التى استعادت لنفسها اسم « بنت بطوطة » ، تعالج هذه الموضوعات معالجة يستخرج فيها التحقيق التاريخى بالاتجاه الأدبى ، فجاءت فصول كتابها اشبه بالقصص التاريخية

وقد كتب على غلاف الكتاب ما يفهم منه ان الكتاب ألف بالفرنسية وقام بترجمته الى العربية « د. ن. » ومع ان أسلوب المترجم سهل وجزل الا اننا تأخذ عليه انه لم يصدر الكتاب بكلفة نعرف منها مؤلفة الكتاب ، ولم يذبله بالمهرس

الشعار : « اليوم لا يباح لرجل ان ينام »
ثم يرمى فى « عبراته » بعض ذمماء العرب وشهادتهم مثل غازى ملك العراق ، وابراهيم هنانو ، وشهداء بيروت

ثم ينتقل الى الادب والنقد فيصعدت ليهما حديث الرجل الذى وعى الاديبين العربى والفرنسى جيدا ، ليبحث فى الشعر الرمزى ، وفى القصة ، والرواية والفلسفة ، وشوقي والعروبة ، وشيلى وجوستاف كان والبير سامان ، ويقدم للقارى ثلاثا من قصصه جيدة الاسلوب رفيعة الغزى . وفى ذلك بعض خطبه ومحاضراته التى القاها فى بعض المناسبات الوطنية والاجتماعية المهمة ومن أمتع ما فى الكتاب هذه الاحاديث التى عقدتها ، أو تخيلها ، مع الملك فيصل وسعد زغلول وفوزى الغزى وتيودور هرزل ، وفيها يعرض مشاكل البلاد العربية عرضا جسيلا

ويختتم الكتاب بصور لبعض رجال العرب البارزين ، ثم عدة فصول قيمة فى مسائل القومية العربية ، فيدعو الى وحدة الشعب العربى الكبير ويحث ما يقال انكارا لهذه الوحدة
واسلوب الكتاب أسلوب شعري ولفظي ، فيه حماسة المزمّن بحوله ، وإعترافه المخلص لوطئه

المصادر عن رى العراق

للدكتور احمد سوسة

مطبعة الحكومة ببغداد . عدد صفحاته ٢٠٠

« شعرت وأنا أمارس دراسة شؤون الري فى العراق بالحاجة الملحة الى سجل يضم كافة المصادر التى تتعلق بأمور الري (أى بيبليوغرافى حول الموضوع) »

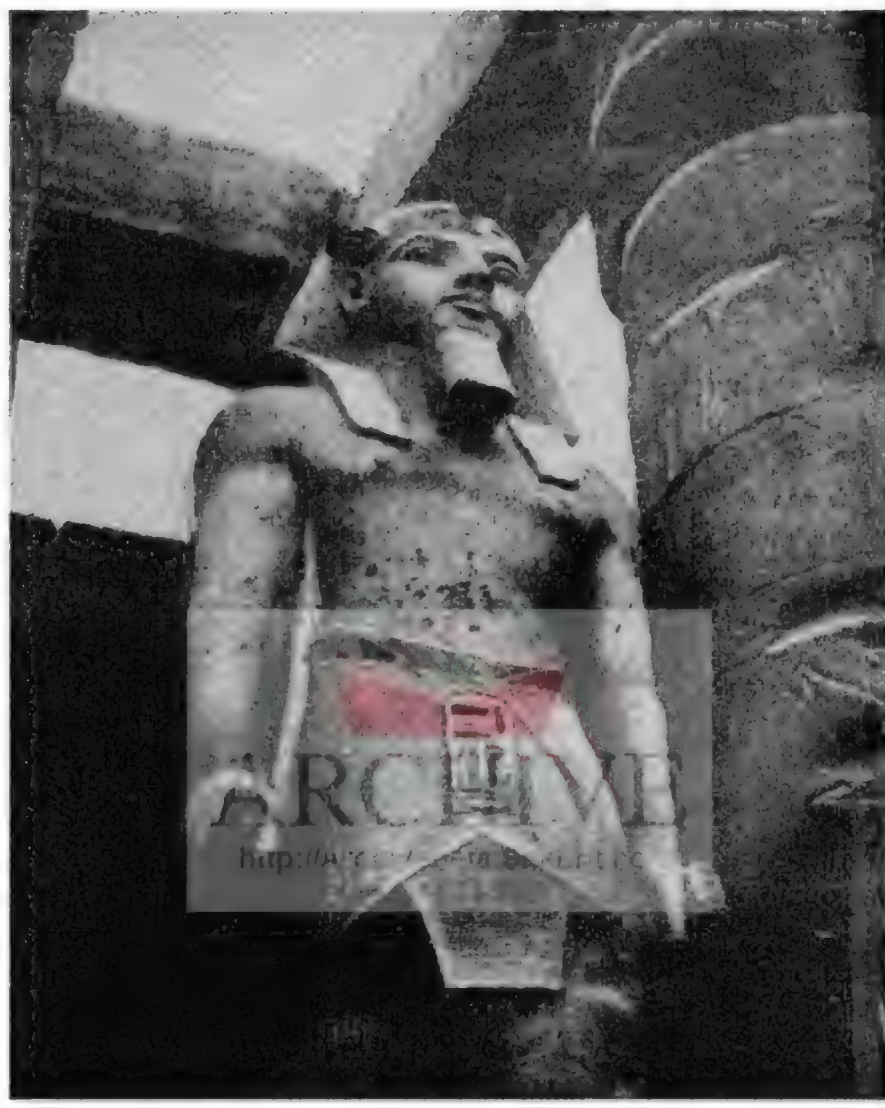
« وقد سلكت فى ترتيب المراجع على الشكل الآتى مراعىا فى تنظيمها التسلسل الزمنى . »

١ - القسم الاول - ويحتوى على التقارير والنشرات العامة عن شؤون رى العراق

قصص البطولات الوطنية

المصري





رمسيس الثاني

تمثال في أحد معابد الأقصر ، (رمسيس الثاني الذي شن حرباً على الحثيين واحتصر عليهم
[أنظر قصة تلخ التراعنة من ٢٠٧]



رمسيس الثاني في المعركة

صورة نادرة لرمسيس الثاني أثناء معركة قادش التي انتصر فيها على المصريين
 [انظر قصة تاج الفرعون ص ٣٠٧]

تاج العفنة



تقع حوادث هذه القصة في عهد رمسيس الثاني أثناء الحرب المشهورة التي شنها على الحثيين وغيرهم من قبائل غرب آسيا ، إذ اجتمعوا وتعاهدوا بإخراج المصريين من تخومهم ، وكانت عاصمتهم قادش الواقعة على نهر الفاصي ، وقد انتصر رمسيس عليهم ، وخلق هذا الانتصار الشاعر بشتاور في ملحمة القاعة الصيت

كانت الحياة في طيبة هادئة ناعمة . وكانت البيوت عالية النوافذ منخفضة الابواب متلاصقة بواجه بعضها بعضا ، وينفذ اليها اصحابها من اربعة طويلة مظلمة . اما الشوارع فكان معظمها أشبه بدروب ضيقة تفضي الى ساحات واسعة ، ينحدر الشعب احداها ، ويقع فيها سوفا كبيرة في يوم معين من كل اسبوع

وكان اليوم يوم السوق ، والجمامير مثابة حول باعة الخراف والاوز والحمبر والمجول ، وباعة الحبز والخضر والفاكهة والحلوى ، وباعة الاقمشة والحلى والمطور ، وهم جالسون القرفصاء بجوار البيوت ، يعرضون بضاعتهم وينادون عليها بأبهى النعوت وأجمل الصفات وكان بعض أفراد الجمهور يحملون عقودا من زجاج ، أو مراوح ذات مقابض من خشب ، أو أساور أو أقراط أو أحذية أو منافع ، يحاولون استبدالها بمواد غذائية أو بطيور أو عطور

وكان الحر شديدا والجو خافقا والعرق يتصب على الجباه ، وجماعات المشترين من رجال ونساء وصبيان تختلط بالباعة وتندس بين الماشية وتقرق بين الطيور ، وتصبح وتساوم وتقبل العرض ثم ترفض ثم تقبل آخر الامر في امتعاض وأسف وتسليم

وأجل ما كان يلاحظ على تلك الجماهير ، أنها كانت رزينة متبهجة ، جادة هازلة ، يقظة مستهترة ، واعية وغير مكرثة ، تساوم وهي تضحك ، تشترى أو تقايض وهي تمزح ، تؤدي واجب الحياة اليومية وهي تترشق بمختلف النكات الطريفة المستعذبة ولم تكن أفرادها لتسعر بوطاة الحر أو تنأف منه ، أو تبرم بالزحام ، أو تضيق ذرعا بالتراب يشيره الصبيان والماشية ، فتعقد سحائبه في جو الساحة ، تأخذ بالمخافق وتكاد تصمي الأبحار

والحق إن الزحمة كانت جميلة ، والمروضات مغرية ، والصخب منحش منشط ، والمساومة لذة لا تعدلها غير لذة الحصول على الشيء بأبخس الأثمان وبعد جهاد طويل

ففي هذه السوق المصطنعة المألجة ، وبين هذا الجمع المختلط العاصف ، المنصرف إلى شؤونه ، الباحث عن قوت يومه وأسبوعه ، كانت « نوريت » تشق طريقها في تحفظ واتقاد خفيفة الخطى ، لينة الحركات ، تنساب في مشيتها انسيابا ، وقد أضفت على بدنها غلالة طويلة سوداء ، وسترت وجهها بقناع كثيف ، وحملت بين يديها حامين بيضاوين ، كأنها هي تنوي حقا أن تبيعهما في السوق

واحترقت صفوف الناس في عزم ورفق ، وظلت تمشي قلبها يخفق ، وفكرها موزع مشتت ، وبصرها يرقب الجماهير ، وسمها يلتقط أجزاء من أحاديثهم ونكاتهم ، والأغراض التي من أجلها يصبحون ويسامون

ولم يكن البيع والشراء إليهم جميعا عن الحدث الأكبر الذي استفاضت أنباؤه ، وأصبح شاغل القوم في المدينة ، فالبعض منهم كانوا يمدان يمشوا صفقاتهم ، يجتمعون ويؤلفون شبه حلقات صغيرة ، وينهمكون في معاملة ذلك الحدث العظيم كانوا يصرخون ، ويراجع الواحد منهم الآخر ، وبخطته ، ثم يؤمن على كلامه ، ثم يعود فيخطئه ، منمنسكا برأيه ، ذائدا عنه في جلد وغناد واصرار

ومدار أحاديثهم في تلك الحلقات الصغيرة المتفرقة ، كانت الحرب الهائلة التي شنها فرعون المجيد ، فرعون الآلهي ، رمسيس الثاني ، في العام الخامس من اعتلائه العرش ، على قبائل الحثيين ، التي انحدرت من سوريا والتي استفحل أمرها ، وأصبحت تهدد البلاد بخطر الغزو فجيوش فرعون التقت بجموع تلك القبائل البربرية في أحد سهول مدينة « فادش » - في الشمال الشرقي من طرابلس الشام - وهناك دارت بين الفريقين معركة عنيفة كاد يتم فيها النصر لفرعون . ولكن فريقا من البدو المرتزقة أتباع أمير الحيتاس ، أوهموه أنهم قد انتفضوا على أميرهم المستبد ، وأثروا الانضواء تحت لواء مصر ، فلما وثق فرعون النبيل بهم ، وأمنهم على حياتهم ، واستمع لهم ، وأخذ بخطتهم في القتال ، أوقفوه في كمين ، فأبصر فجأة نفسه محاطا بالحثيين من كل صوب ، يقاتلهم وحده ، وقد دب الذعر في قلوب جنوده فلأدوا بالفرار

فوة فرعون الالهية كانت مدار الحديث ومظاهر قدرته الخارقة على أن يقاتل وحده. الاولف ، كانت مثار الجدل . ففريق كان يزعم أن نظرة من فرعون تكفى لاصابة أعدائه بفتة بداء السلل ، وآخر كان يرى أن أنفاس فرعون وحدها كفيلا باحراق وجوه الحثيين ، وثالث كان يؤكد أن فرعون بشر مثلنا وإن كان من سلالة الآلهة ، وأنه لا بد أن يقاتل كبشر وإن كان لا بد أن ينتصر في النهاية كاله

ولم يكن أحد منهم لينشكك لحظة في قدرة فرعون أو يسمح لنفسه بالبحث في غير مظاهر هذه القدرة . وكانوا جميعا يؤمنون إيمانا عميقا راسخا متصلا ، بأن فرعون سيثبت في وجه أعدائه ، وسيظل يقاتلهم منفردا حتى يبدد جموعهم ، فتزد التجمعة الى جيشه ، فيحمل الكل حملة صادقة ، ويبدوا آخر جموع الحثيين

وكانت نوزيت كلما سمعت اسم فرعون اهتز بدنها رهبة وثقة وعزة ، وتجاوت في نفسها أصدا هذا الايمان الشعبي بالنصر ، وازدادت تعلقا بهؤلاء الفقراء التامعين الذين اشتهرت بحبهم والمطوف عليهم والاحسان اليهم وفتح أبواب قصرها لهم ولاولادهم في المواسم والاعياد يأكلون ويشربون ويمرحون ، على الرغم من ارادة زوجها البغيض اليهم ، لفرط ما طبع عليه من حرص وبخل وغطرسة وترفع

وفيما هي تسير ، أخذت عيناها من خلال ضباب برقعها مشهد شجار نشب بين رجلين ، أحدهما طاعن في السن والآخر شاب ، فتباطأت في مشيتها ، وملكها الفضول وجعلت تعنت لما يقولان

صاح الشاب وهو جالس القرفصاء يجمع في حجره شيئا من الخضر والفاكهة كان قد ابتاعها في السوق ويلف عليها طرف جلبابه ثم يقف هذا الطرف حول حزام غمطيق به :
- يجب أن ترقب ابنتك يا عمي . لقد أهدرتها بعيني رأيت تخرج ليلا في صحبة جارنا (حابي) ..

فانفتح وجه الشيخ ، وقال وهو ينهض كمن يهيم بالوئوب :
- صه . وإياك أن تجرى اسمها على لسانك ، أنت غام لانك غيور . ومهما فعلت فلن تالها ، وسأزوجها بحابي
فاستضحك الفتى ثم قال :

- ولكننا قد تقتل قبل أن تقترب به !
فانقض عليه الشيخ وأمسك بتلابيبه ، ولكن الشاب دفعه عنه في قوة مترفقة ، وقال بلهجة الساخر المحذر :

- لا تدعها تخرج ليلا في صحبة حابي .. ألم يبلغك النبأ ؟

فتطلع اليه الشيخ وأجاب وهو يكبح نفسه :

- أي نبأ ؟

فأجال الشاب طرفه فبمن حوله ، وقال منهكما :

- يقول أى نأ؟ .. كأنه لا يعيش فى مصر! .. ألا فاسمع اخن . انا فى حرب ، وكما يؤدى فرعون وجنودنا فى ساحة القتال واجب الوطن ، فيبنى أن تؤدى نساؤنا للمجاهدين واجب العفة . ولقد أصدر الكهنة بالأسس أمرا خطيرا يسرى لمدة ثلاثة أيام ، ويراد به تقوية الروح المعنوية فى الجيش قبيل اشتباكه فى المعركة الفاصلة ، أمرا يحتم على كل مصرى يثبت على زوجة أو شقيقة أو بنت جندى أو موظف كبير جريمة الزنا ، أن يسلمها الى السلطات كى تضرب بالنال بعد عرضها على الجماعير ووصمها هى وأسرتها بالعار . أما العظماء فقد أحل لهم الكهنة - منا للفضيحة - قتل الزانية بأنفسهم على أن يقدموا ما يثبت ادانتها ، والا استعدوا لطائلة العقاب ، فاحذر يا عم بتيو وراقب ابنتك ، فشقيقها جندى ، ومن واجبها أن تؤدى له واجب الشرف والعفة كما يؤدى هو للوطن واجب التضحية والموت
فصرخ الشيخ بتيو :

- ان ابنتى لاعف وأظهر من نوريت نفسها! ..
فانتفضت نوريت وسرت فى بدنها فتحريرة ، ومضت تحت الحطب وقلبها يخفق . اشتد احساسها بذلك المقلق الحفى الذى استولى عليها صباح اليوم . غملكها نفس الجزع المبهم ، ونفس الاضطراب الغامض ، ونفس الاستشعار المخيف الذى لا تكاد تطرده حتى يكر عليها ويحتم على صدرها كهم ثقيل
ولجت بها رغبة الراحة والخلاس ، فانطلقت تدو حتى غادرت ساحة السوق ، ثم تغفلت فى الدروب الضيقة ، واجتازت بعض الشوارع الفسيحة وعرجت على أطراف المدينة ، وهناك فى ضاحية ساكنة حدثت ، لاح أمامها خيال البيت الذى كانت تقصده
وكان بيتا موحنا مهجورا منفردا وسط حديقة مكاثفت فيها ظلال الاشجار ، فمشيت اليه بخطى ثابتة ، وطرقت الباب مرة ثم ثلاث مرات ، ففتح بعد لحظة من الداخل ، ومقرت منه نوريت مروق السهم

قالت نوريت للعراف خونسو :
- رأيت ليلة أمس حلما أزعجنى وأخافنى .. رأيت كائى أصبح فى بحر متلاطم الامواج ، وكان حولى طائفة من النور تحلق فى الجو ثم تنقض على ثم تنهد عنى ، ونستحيل فجأة الى مصافير لا أكاد السها حتى فخر منى وتقلب الى نسور .. ثم رأيت كان تمساحا ، تمساحا هائلا ، خرج بقنة من جوف الماء واقترب منى ، فذعرت ودفعت عنى ، ولكن النور أحاطت بى فاضطريت ولم أعد أدرى الى أين أتجه ، وبالرغم منى اندفعت نحو التمساح ففتر فاه الفظيع وابتلع ذراعى فصرخت ، ثم ابتلع شبتا ففتسا جسمى كله ، فظلللت أصرخ وأبكي وأنا أقلب فى أحشائه وأنخبط تألثة مذعورة كائى فى ليل بهيم . وفيما هو يفترسنى ، خيل الى انى ألح من خلال أحشائه المظلمة وجه ايزيس مقبلا على ،

ففرحت وأبخت من نجاتي ، ولكن سرعان ما ابتعد الوجه عني ، وتقلصت معارفه واحتفت . وغابت في الظلمات الخالكة . فاستفتت مصدوعة منزوعة مهمومة ، وهرعت نوا اليك . فاستحلفك بكل عزيز لديك يا أبت ، أن تفسر لي هذا الحلم الفظيع . فأنت قد تلقيت أفانين السحر في بيوت العلم والحكمة المشمولة برعاية الاله (تحوت) ، وأنت الذي في وسعك أن تفهم لغة العصافير ، وترى الاسماك والوحوش في أعماق البحر ، وتسلط على الجبال والمياه ، وتودع في نفس المضطربة روح السكينة والاطمئنان

وكان العراف خونسو يحدق اليها وهو متربع على دكة صغيرة ، مشعث الشعر جاحظ العينين براق البصر ضامر هزيل جامد تكسو عظامه البارزة قشرة من الجلد الباهت ، كان الزمن قد لاهه بين فكى السنين ، وكان المعرفة قد حطته فاحلته الى نوميا . لا تنبض بالحياة الا من عينيها اللماعتين المتهبتين

فلما صمتت نوريت ، لم يتكلم الساحر على الفور ، بل طفق برهة طويلة يتفكر فيهما وينم النظر في قسماتهما ، ثم مد أصابعه المروقة المخشوشة ولمس جبهتها العالية ، وعينيها السوداوين الجليبتين ، وخذها المكترز الناضر ، وفيها الدقيق الصغير ، وجعل يهمهم ويغزم ويتلو صيغا مهمة ، وهو يمر بأصابعه على حرير وجهها ، وهي ترتعش وتحبس أنفاسها ولا تجسر على رفع البصر اليه

وأحست بعد لحظة فتورا غريبا يدب في مفاصلها ، وثقلا عجبا يحط على رأسها ، ورغبة في النوم لا تقاوم تبعت من مقلى العراف وتستقر فيها وتغمض عينيها المختلفتين بالرغم منها

وراحت في سبات عميق وهي لا تدري ، ثم افتحت أجنحتها بقة كأوراق الزهر ، ثم رفعت كالأجنحة ، فأبصرت العراف أمامها جامدا ، فلم تضطرب ، واستأنست بالظلمة المحيطة بها ، ولم تستطع أن تدرك كيف نامت وكيف صبحت ، وخيل اليها أن ليلة الالام قد اتصلت باليوم ، وأنها ما تزال تحلم ولكن بأشياء جديدة جميلة أشاعت في نفسها بعض الراحة والهدوء .

وقبل أن تهمل بالكلام ، انطلق من فم خونسو صوت رفيع حاد ، ثم تلا الصوت شبه أنين ، ثم قال الساحر متأملا أصابعه وهي تتعقد في بطنه وتتشابك :

- النصور التي رأيته يا مولائي هي الشهوات .. شهوات رجل يحوم حوالبك ويرغب فيك ويمثل أمامك في صورة تمساح .. أما العصافير فهي التوسل وهي الرجاء وهي الأمل ، أملك في أن يثوب هذا الرجل الى رشده وأن يرد عنك عادية شهواته .. وأما خيال ايزيس المباركة فهو رمز لرجل آخر .. رجل طيب ونيل .. رجل يحبك وتحبته ، ورجل سيصبح عما قريب ضحية وقربانا ! ..

فقال نوريت وهي ترتعد : سيموت ؟

فأجاب العراف وهو يشيح بوجهه :

- الموت والحياة بيد الله . كل ما أعرف أنه سيتالم

فصاحت نوريت : والاخر ؟

فقال خونسو بعد لحظة :

- احذري الآخر ، فهو غادر لثيم . تجنبى الاتصال به . لا تقربه اليك . ولكن ..

ولكن ما القادمة يا ابنتى . ان حفظك مرصود فى لوح القدر ، ومهما حاولت نوريت فلن تفك مما كتب لها

فحملت فيه مذعورة ، وقالت :

- ما تزال عندى قارورة السم البطيء التى ابتعتها منك يوم أن كان المرض على وشك

أن يقتلك بزواجى . لو ضاقت بى الحياة فسأشرب ما فيها وأموت بعد أيام فلا يظن أحد لانتحارى . فلا تنشق على ونبتى ما الذى سيحل بى ؟

فأجاب فى صوت أجش :

- أرى حولك دماء .. دماء كثيرة .. وأرى عفتك ، عفتك التى أصبحت مضرب

الأمثال ، أراها فى صورة تاج رائع البهاء يسبح فى بركة من الدم !

فصرخت نوريت وهى تثشب بالمراف :

- لا أفهمك يا أبت .. صرح .. أين .. ان الغازك لاشد حلوكه من ظلمة حلمى !

فهز خونسو رأسه وقال وهو يخفى اضطرابه :

- لا أعرف غير ما قلت .. سأجاهد من أجلك .. سأستخدم كل ما لدى فى سبيلك ..

سأسخر علمى وفنى وكل ما أعرف لانتقاذك ، وليفعل (تحوت) بعد ذلك ما يشاء :

وانحنى على نفسه ورس يده فى أحد جيوبه ، وأخرج عدة قنابل صغيرة صنعت على شكل أعمدة قدمها لنوريت واستطرد :

- خذى هذه التمام . هذا عمود صغير أخضر يضمن لحامله الشباب والجمال . وهذا

آخر أبيض اللون يكفل لصاحبه النجاة من شتى المآزق ، وهذا ثالث ذهبى اللون يمد فى

عمر حامله ويهبه السعادة والبقاء . فخذها واحتفظى بها كحديقة عينك الثمينة ، وإذا

أصابتك مكروه فضعها على صدرك وانطقى بهذه الرقية الفعالة : « اخرج يا سم الشر

ولتسقط رأسك الى أسفل ، فالعبود حورس يأمرك ويصق عليك » هذا كل ما عندى .

على أنى أنصحك فوق ذلك أن تقتنى اسمك على جمران . فإن من يفعل هذا يضمن

لنفسه الحياة الأبدية

فقال نوريت وهى تضم التمام الى صدرها وتكاد من فرط القلق والخوف تبكى على

نفسها :

- أنتظن أنى ساموت يا أبت ؟

فاكفهر وجه خونسو واكتفى بأن قال :

- اذهبى فى حراسة حورس ، واعلمى أنك أحب النساء الى قلبه الكريم

فألقت نوريت الى الساحر بكيس نقودها ، وقبلت يده في شكر وخشوع ، ثم أخفت التمام في جيب صدرها ، وأسدت القاب على وجهها ، وخرجت مسلوكة الحول مشتركة اللب ، شاعرة بأن الراحة قد غادرت نفسها الى الابد !

وسارت على غير هدى تضرب في طرقات لا تعرفها ولم تطأها قط قدماها . وكانت كأنها تخشى العودة الى قصرها ، وكان هاتفا يهيب بها أن اغنى هذه الفرصة واستمتعي بهذه اللحظات واملائي عينيك من نور الدنيا ، ولا تستعجلي العودة ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

وبينا هي تسير اذ بها تبصر نفسها في مدينة الاموات وترى ثلاثة رجال يرقصون بجوار مقبرة وبالقرب منهم رابع يصفق يديه تصفيقا توقع عليه حركات الرقص ، وعلى مسافة قصيرة جمعا من النساء يرقصن أيضا وقد وقفت بجوارهن امرأتان تصفقان وكانت ضفائر الراقصات طويلة تنتهي بشبه كرة تهتز أثناء رقصهن اهتزازا يؤدي الى تموج الضفائر حول أجسامهن تماوجا ساحرا غريبا

أما الرجال فكانوا يرقصون رقسا فائنا رائعا يحاكي لينة الماء ، واضطرام النار ، ووحشية الاسد ، وغضب الفهد ، واصطفاف أغصان الشجر ، ويمثل مختلف ألوان الحياة أصدى قثيل وأبلغه . فأنز هذا المنظر في نفس نوريت وغمغت :

- لقد قدموا الهبات المادية لفيدهم . وما هم يرقصون لادخال السرور على نفسه . ترى من ذا الذي سوف يبنى بالرقص أمام قبري لو مك اليوم أو غدا ؟ ..

وتحولت ومضت في الطريق العام وقد أيقظها الخوف ونهتها فكرة الموت ، وبدل أن تفصياها عن بيتها دفعت بها اليه ، كما يدفع القدر بالسافر على الرغم منه الى طريق الهاوية واجتازت ساحة السوق ، واخترقت الدروب الضيقة ، وبدأت تسير في الشوارع المتبسطة المهددة المفضية الى قصرها . وعندئذ امتضاء عقلها ، وذكرت ما قاله العراف ، فجعلت تفكر وتحدث نفسها وهي ترتجف : « تاج عفتي يسبح في بركة من الدم ! .. » هذا ما قاله العراف ! .. ولكن لماذا ؟ .. أقدر على بعد جهادى الطويل أن أنقض آخر الامر عهدى لزوجى والوث هيكل جسمى وأتردى في حوة الفضيحة والاثم ؟ .. لقد عشت طوال السنوات الأربع التى قضاها زوجى طريح الفراش مريضا ، وفيه له غلصة لواجبى ، بتولا عذراء ، لم أفكر في نفسى ولم أحفل بوقد الشباب يسرى في عروقتى ، ولا يبيع الاغراء تهب من كل صوب على ! .. آثرت كبرياء العفة في ظل الواجب على سعادة الحب في ظل الحيانة . ولقد أشفق على فرعون نفسه ، فأراد ان يحلنى من يمينى ، أن يطلقنى من زوجى ، ولكنى رفضت ومضيت في تضجيتى ، فأجبنى الشعب وأكبرنى وأصبحت في مصر كلها مضرب المثل في العفة حتى للعداوى .. احتملت الألم . احتملت

العذاب . عذاب الحياة مع زوج مرم مريض شحيح ، القانى والدى بين ذراعيه لانه اشتهاى ، ولان شهوة وزير فرعون لا يمكن أن ترد .. امرأة الوزير ! .. هذا ما كان يحلم به والدى وهذا ما رخصت له على مضض . ومع ذلك أخلصت .. تقانيت فى الاخلاص حرصا على كبريائى وقطعا لالسة حسادى من نساء البلاط اللاتى كن يترصن بى ويرتنن فى قدرنى على مواصلة الحياة عفيفة فى صحبة رجل كزوجى .. ولكن القلب لا يموت اذا مات البدن ، بل ان موت البدن يعصب الحياة كلها فى شفاف القلب . ولقد تجمعت حياتى فى سويداء قلبى فأنجيت .. أحبت رجلا غير زوجى . أحبت . آنى أحبته وعذبه . أدنيه وأبعدته . قربه وحرمة . لم أكن له . لم أخن عهدى . خلعت على حبه قداسة طهرى . جعلت من حبه ملاذى وملجأى ، فما زاده هذا الحب العلوى الا جنونا ، وما زادنى الا عفة وعذابا وحسرة . فكيف استحل العراف لعينه أن ترى تاج عفتى يسبح فى بركة من الدم ؟ .. لن أسلم .. لن أبذل شيئا منى لـ « آنى » . وسأظل به حتى أستل من جسمه جرثومة الشهوة ، فيصبح بدنه ميتا كبدى ، ولا أعود أرى منه ومنى غير روحين تحلقان معا فى سماء واحدة .. ولكن « سوكتى » .. شقيقى « امنبت » .. شقيق زوجى .. هو التمساح .. هو الذى يريد بى شرا .. هو الغادر اللثيم .. لقد حاول اغرائى وانتهاك بيت أخيه ، ولكن عفتى أيلمته ، فلما أحس منى حبا لآنى ، اعتقد آنى فرطت فى عرضى ، وأنى أخدع وأخايل ، فاستنكر كيف أوثر الغريب عليه ، وعاد يعصب شباكه حولى .. نعم .. غير آنى لا أخشاه .. هو الآن هناك .. فى ساحة الحرب .. فى حاشية فرعون مع شقيقه زوجى .. أما آنى فهنا .. بالقرب منى لم يفادر طليه .. كان يتسنى اللحاق بالجيش تأدية لواجبه وتخلصا من عذاب حبى ، ولكن فرعون أعضاء من الجندية ليظل فى منصبه رئيسا للملاط ، مشرفا على شؤون الدولة . فهو اذن هنا .. بجوارى .. ولسوف أراه بعد حين . سيزورنى كمادته كل يوم فى نفس الوقت وفى نفس اللحظة ، وسيدق قلبى دقاته العنيفة ، فأتفتح عينى ، وإذا بى أراه ماثلا أمامى .. نعم أخاف ، ومم أرتعد هكذا ؟ .. انه معى .. انه سدى ونصيرى .. انه وجه ايزيس الذى رأيته فى الحلم يتسم مقبلا على .. لا . لن أدع القلق يستولى على نفسى . ان روحي صافية وضميرى مطمئن ، ولقد صهرت الكبرياء والعفة واردة الحب النقى عقلى وبدنى وقلبى ، فجردتها من كل شائبة ، وأحالتها جوهرًا من فضيلة وضياء .. لن أخاف ! .. .

وكانت هذه الحواطر تتراكم فى ذهن نوريت وهى تسير بسرعة الخطى ضامة بإحدى يديها التمايم الى صدرها ، وممسكة بالآخرى طرف قناعها خشية أن يعث به الهواء ، فيبين المارة طلعة وجهها

فلما استقرت خيالاتها على صورة آنى ، وزايلها الخوف والقلق بعض الشيء وارتدت اليها شجاعتها ، أحست بنفسها خفيفة رشيقة شبه بمنجحة ، وخيل اليها انها لا تمتلئ بل

تب أو تطير ، فطفت تضحك وتستغرب كيف عن لها أن تضحك ، وتخطب صورة آنى وتداعبه ، وتحرك يدها فى الهواء كأنها تمر بها على حياه الذى انبثق فجأة من فسحة خيالها ، وتمثل أمامها نابضا بالحب والحرارة والحياة ولازمها آنى ، وأبى إلا أن يقطع معها الطريق ، ففرحت به وأنست لقربه ، وجاذبته أطراف الحديث مسندة الى ذراعه تختال فى مشيتها اختيال المرأة النياحة المحسودة ، التى ظفرت على رغم الجميع برجل أحلامها

ولم تكد تشرف على حبها وتلمح باب قصرها ونوافذه حتى طارت عن خيالها الرؤيا ، وانجابت عن ذهنها الصبح ، وبانغتها شعور عميق بالوحدة انقبض له صدرها ، فوقوفت برهة ، وتطلعت الى القصر ، وخشيت أن تدخل

أحست قوة غريبة تعرض طريقها وتدفعها الى الوراء

سمعت شبه صوت يناديها ويحذرهما ، ويدعوها الى التقهقر والفرار

ففلتت تبحث عن آنى ، فلم تجد غير الوحدة والصمت ، فنهلع فؤادها وأوشكت أن تصرخ ، ولكن الوحدة نفسها طمأنتها ، والصمت الشامل أودع فى صدورهما سكينة ، فابتسمت ساحرة من خوفها ، ساحرة من خيالنها، ساحرة من طفولة روحها، ثم تسجعت وجرت قدميها جرا ، وصعدت درجات القصر

ولكنها ما أن اجتازت البهو الكبير وفتحت باب مخدعها المطل على الحديقة حتى تراجعت وقد اتسمت حدقتها دهشا ورعبا ، إذ أبصرت « سوكنى » شقيق زوجها جالسا على حافة فراشها يتسم ، وينظر اليها نظرات ملؤها النسيوة والسمانة والفدر

تمالكت نفسها وصاحت فيه مسفكرة :

- متى عدت وكيف دخلت هنا ؟

فانفجرت شفتاه الفليطتان عن ضحكة كبيرة وقال :

- من أين أنت قادمة ؟

ثم طوى ذراعيه على صدره وهز رأسه وأردف :

- من عند آنى ولا ريب ..

ولمت عيناه المستديران الحادتان ، واتتهبها نظراته، فارتعشت كبرياء وسخفها، وأشارت

بيدها نحو الباب ، وقالت فى هدوء متوعد : « اخرج ! »

فتمابل على نفسه ، ووضع ساقا فوق أخرى ، وقال وهو يقهقه :

- ما جئت لآخرج يا نوريت .. كم أنت ساحرة وجيلة ! .. لمن ارتديت هذا الجلاب

الاسود وحجبت وجهك بقناع وخرجت هكذا متخفية كالحدى بنات الشعب ؟ .. لا .. لا .. اعتذر اليك .. لا اعتقد أنك كنت على موعد من آنى .. أنت مثال الطهر والنعمة والوفاء

يا نوريت ، ولا بد أنك ارتديت هذه الثياب اظهاري لحزنك على فراق زوجك . . لا بد أنك قادمة من الهيكل حيث كنت تصلين من أجله وتبهلين الى الالهة كي تسجل بعودته سالما . .

ومضى يهيمه وهو يتطرح في الفراش ويخالسها النظر وهي ترتعد ، وتحدي الى عينيه التمتين وأنفه الانفوس ، وقد ملكها الاشمزاز ، وضاعفت سحرته الهادئة الواثقة شعورها المبك بالخوف

وأحس بها حائرة تائهة تزحف حركاته وتنفض ، وتلفت كلما تبحث عن نفسها ، فأغرام اضطرابها ، ونهض فصرخت وهي تراجع :

— ماذا تريد مني ؟

وهمت بدفع الباب لتفر ، ولكنه أمسك بذراعها وحال بينها وبين الخروج ، ولو صد الباب في رفق ، ثم قال وقد عبس وجهه فجأة وتقطب حاجباه والتوت شفتاه الغليظتان وتمتلت فيهما قسوته الكامنة :

— البنى مكانك ولا تحركى . واحذرى أن تصرخى أو تستغينى !

ومس في أذنها وهو يقسم :

— يا نوريت الجميلة أنت لى !

فدفعته عنها في عنف وعينها المحلقة مثبتة فيه ، ونظرتهما المذهولة للحظة وترقب حركاته وتبهما لاقائهما ، فأناره هذا الاياه ، وأوغر صدره حقدا على غريمه ، فصاح :

— ليس أنى بأفضل منى ، وكما كنت له فيجب أن تكونى لى

فقال وقد أضفى عليها الشموخ حلة من مجد وجلال :

— لم أكن لآنى ، ولست الا الروجة الوقية لآخيك . ولن أدعك تلوث فراشه ما دام فى نفس يتردد !

فضحك وقال فى بحق مكظوم :

— ما أروع الوفاء الزوجى يتخذ ستارا للنفاق

ثم دنا منها وتفرس فيها لحظة طويلة وهي شاخصة اليه تتفحصه وترتجف

ثم انحنى عليها وقال فى صوت خافت غائر وعينه متشبثان بها وفعه العريض يصعب الكلمات كاللهب فى أذنها :

— تركت حاشية فرعون وأسرعت الى مصر لآراك . . اصطنعت المرض ، فاذن لى شقيقى

بالرجيل . . غادرت ساحة القتال من أجلك . . ولقد بلغت طيبة منذ ساعة فقط ، وأردت

أن أفاجئك ، فتمسكت من باب الحديقة الخلفى دون أن يشعر بى أحد ، وتمسكت السور

العالى ، وهبطت من هذه النافذة الى فخذك . . لم أضيع لحظة واحدة . كان جوادى ينهب

بنى الارض وكنت أكاد أطيء من فرط الفرح . . اقتضت الفرصة النادرة التى جاتى بها

القدر . . جئت اليك وانقا هذه المرة بحظى . . أتعلمين لماذا ؟ . . لآنى وجدت فى الامر

الآخر الذى أصدره الكهنة ، بابا للفرج أستطيع النفاذ منه توا الى هيكلك سعادتى ..
فصوت اليه نوريت نظرة متوقدة ، ولكنها لم تفهم . فأبسم عاضا على شفتيه ثم استطرد
بصوت أجش مروع :

- شعارنا اليوم هو العفة لنسائنا ، وفاء لحق جودنا علينا والهبا لروح التضحية فى
نفوسهم قبيل اشتباكهم فى المعركة الفاصلة . ولقد أحل الكهنة للشعب تسليم المرأة الزانية
الى السلطات وأحلوا للنساء قتلها . فان نعمت على يا نوريت وأبيت أن تكونى لى ، قتلتك
الآن دون رحمة ، ثم أعلنت فى الملا أنى فاجأتك بين أحضان أنى !! . لن يرتاب فى
أحد .. سيصدقنى الجميع .. وزير فرعون هو أخى وأنت زوجته ، وأنا القيم عليك
فى غيبته ، ومن حقى أن أذود عن شرفه وشرفى .. فتخبرى الآن . اما بذل نفسك واما
الموت لك ولا أنى .. الموت فى حماة العار .. الموت فى غمرة الفضيحة .. ستموتين وتغوت
معك شهرتك .. سمعتك .. قدوة العفة التى طالما اعترزت بها .. وسيلمنك الشعب
غدا بعد أن كان يباركك ويقدمك . سيلمنك ولا يرى فيك الزانية فقط بل العائلة ،
العائلة التى أثرت الشهوة على الواجب ، والحب على الوطن !

فجمد الدم فى عروق نوريت . تأعت عن نفسها واستطار فؤادها جزعا ورجبا . أحست
كأن طوقا من حديد يضرب حولها ، وكأن جميع المسالك قد سدت فى وجهها ، وكأن
سورا هائلا ينهض أمامها ، لو حاولت انتحامه فلا بد أن تخور وتتحطم . فصرخت
مرقبة عند قدمى سوكنى : ارحمنى !

فنظر إليها فريز النفس شامتا ، وقال وهو يشفى غليله من ضعفها :

- أورهنتى بالأمس ؟

فجئت أمامه مبسوطة الذراعين ضاربة العينين وقالت وهى تتوسل اليه وتقبل قدميه
وتبكي :

- لا تلوتنى يا سوكنى .. أنا امرأة أخيك .. أنا شرف أسرته .. أنا التى أصبحت
بعذابى .. باحتمالى .. بصبرى .. بتضحياتى ، رمزا لمجد نساء بلادك .. لا تضع
جهادى .. لا تلقى بى من القمة التى بلغتها بحرمانى ودمى !

فقال وهو يتأملها ذليلا رخيصة متكسرة عند قدميه :

- فى يدك انقاذ نفسك وانقاذ أنى . لن تفقدى سمعتك .. لن تفقدى احترام الناس

فهتفت : وكيف أعيش وقد فقدت احترامى لنفسى ؟

فقال فى هدوء : اذن فأقبل الموت مع العار ..

فاختلجت نوريت ، وعندئذ فقط ذكرت عبارات العراف كلمة بكلمة ، وذكرت حلمها
الفطيع ، وهالها كيف تحقق الحلم بمثل هذه السرعة ، فلاذت بالتأميم وضمتها الى صدرها
فى لهفة وعنف ، ولكنها نسبت الرقية السحرية الفعالة ، فخارت قواها وتملكها اليأس ،
وغشى بصرها ضباب كثيف . ومن خلال أفكارها المتضاربة وخيالاتها المضطربة ، قتلت

والدعا الشيخ ، مؤدب ابن فرعون ، مطرودا من البلاط ، وأما محقرة منبوذة جلت شيئا
العار ، وأفراد أسرته وقد اضلهم الشعب يقرون من طيه ويقتربون . ثقلت الجماعير
وعى تلنها ، وحبيها آتى يتهم ظلما وعدوانا ويموت من أجلها وهو أيضا يلنها . ثقلت
استحالتها في نظر الناس من مثل مقدس للغة الى مثل مروع للذيلة والائتم . ثقلت نفسها
رمزا حيخالدا لروح الشر والافساد ، افساد نساء بلادها وصرفهن عن الواجب وتحريضهن
على خيانة أزواجهن المجاهدين ، خيانة تعد في هذا الظرف العصيب أبشع وأبغض جريمة
في حق الوطن

كل هذه الرؤى التمت في ذهنها ثم استقرت شيئا فشيئا في فسحة خيالها ، فصرقتها
عن نفسها وجردتها من كبرياتها وأعدمت فيها حب الذات وهيئتها للبطولة والتضحية ،
فنظرت الى سوكنى وهو واقف يتأملها ونية القتل تبرق في حدقيه ، وأبت أن تموت وتكفن
بالعار ، فرفعت رأسها وتطلعت الى رقعة السماء الزرقاء البادية من النافذة ، وغمغمت تصلى :
« أيها الاله العظيم ، سيد جميع الالهة ، آمون رع ، الازلى الحق ، الواحد ، الخالق كل
شيء . أنت يا من أوجدت الشعب للحيوان وغمر الاشجار للانسان ، ويسرت للاسمالك
قوتها في البحور وهيئ الطير غذاءه . أنت يا حمى الضعيف من القوى ، يا من تمجده
الوحوش الضارية في بياض الصحراء ، كن مع عبدك نوريت كما كانت ملك منذ أودعت
فيها روح الفرح والامل والحياة ! »

ولما اتمت صلاتها شعرت كأن نورا يملأ قلبها ، وكان ماء الهيا ساطعا ينسكب عليها
ويطهرها ، وكان قوة خارقة قد تمشت في أعضائها وصلبتها ، فنهضت ومشت الى الرجل
صفراء الوجه ، حامدة التقاطيع ، مفعضة الميثين ، ذاهلة عن نفسها وعن العالم
وفي تلك اللحظة ، في تلك اللحظة الرهيبة المشومة ، خيل لنوريت أنها تعيش في
نفس الحلم الذي رآته بالامس فصرخت . صرخت من أعماق قلبها صرخة واحدة مدوية
عند ما رأت رأى العين صورة التمساح وهو يقترسها

ونابت نوريت الى رشدها ، فألفت نفسها في المخذع وحيدة ، والصمت يكتنفها ، وأثارت
غرفتها قائم حولها ، جامد في أماكنه ، ممرض عنها ، شاهد عليها ، فلم تعرفه ولم يعرفها ،
وأحست كأنها قد أصبحت غريبة عن كل شيء ، وكان كل شيء يحجبها ويلفظها . حتى
الاشياء ، الاشياء التي كانت تحبها وتسري اليها في نجوى أنوثتها دخيلة نفسها ، مرآتها ،
أنوابها ، حليها ، عطورها ، شعرت بها الآن تنفصل عنها وتصبح محرمة عليها ، فلم تعلق
المكث في المخذع ، وخرجت شبه ملتامة الى البهو الكبير

ونظرت الى أشعة الشمس الغاربة ، وأيقنت من أن موعد قدوم آتى قد أرف ، فانهمرت
الدموع على خديها ، وعصف بها اليلس والذل والحسرة والجنون ، وجملت يداها تقطعان

نوبها وتهشان بدنها كأنها هي تريد أن تتخلص منه أو تقتلع من أحشائه جرنومة الخزي والعار

وسقطت على الأرض متهاككة ، وعقلها يفكر بالرغم منها . يفكر في هول ما يجب عليها أن تفعل ، وهول ما يجب أن تحمل ، وهول ما يجب أن تقاسي وتجلى لها آتني بوجهه الضبوح ، وعينه الصليتين ، وفمه القرمزي ، وابتناسمه المذبذبة وسرته القاتنة المشربة بالحمرة المتقدة اتحاد الحمر ، فمزقتها الشفقة وفاضت من عيذها الدموع غزيرة متداركة

وكما كان يحدث عادة اذ تخاطب الروح اختها فتصت ، ويهفو الفكر الى قرينه فلمسه ، وينادى القلب حبيه فيلبى النداء ، سمعت نوريت طرقا خفيفا على الباب ، فأسرعت وفتحت لآتني وهي تنفض من أجسارها وترتجف وقبل أن يجلس الشاب ، وقبل أن يمرب عن دهشته لاضطرابها ، وغرابة هيئتها ، ومظهر الالم والحيرة الذي قابله به ، صاحت فيه وهي تحجب وجهها بكلك يديها :

- آتني ، لقد لوثني سوكتي ولم أعد جديرة بالحياة !
وقصت عليه ما وقع وهي تزفر وتلشج وأعضاؤها تلتفتض تقززا ورعبا ، وهو جالس بجوارها ينصت اليها يجمع كيانه مغفور الفم ، زائع البصر ، قد عقد الذهول لسانه ، وجثمت على صدره فطاعة الحادث وسحقته سحقا ولما أتمت نوريت قصتها ، صمدت نفسا مستبلا ، ثم حدثت الى آتني وقالت : وقد جف دعمها وتألقت عيناها عزة واباء وعزما ماضيا :

- أما وقد أنقذت سميتي وشرف بيتي ، وحفظت مني لبلادي صورة نقية تقتدى بها النساء على مر الدهور ، فينبني أن أموت يا آتني ، لأنني لا أستطيع الحياة وهذا الرجس في دمي !

فنهت الشاب وهو لم يزل في ذهوله يحاول أن يجمع شتات فكره : ماذا تقولين ؟ فاستطردت وقد امتزج في صوتها العزم القاطع بلوعة الحنان العميق :
- يجب أن أموت يا آتني ، والا فكيف أستطيع أن أحبك ؟ . كيف أستطيع أن أكون خليفة بك . كيف أستطيع أن أمحو من بدني هذا الدنس ، وأحتفظ بتقديرك لي وتقديرى لنفسى ؟ . لو عشت فلن أجسر على رفع البصر اليك يا آتني ! . ستنسى تضجتي وتذكر عارى كلما رأيته فكبرهني وتعذب ! . لا .. لا أريد أن تعذبك حياتي ! . أريد أن أنفذك بموتي ! . أريد وقد كنت لسواك على الرغم مني ، أن أقص من نفسي بنفسى لترتد الى كرامتي المسلووبة ، فيزداد حبك لي وتمجيدك لذكراي ! . لا .. لا تبك يا آتني .. لا تبك يا حبيبى المسكين .. صدق ما قاله العراف ، أنت قربان . وضحية ! . كان حبي وبلا عليك . لم أجلب في حياتك غير الهم والشقاء . لم تعرف السعادة خالصة بقرينى .. والأسفاه ، لقد احتارنى القدر لاسعاد من أكره واشقاء من أحب . فانا ، أنا

أيضا قربان وضحية . فلا تمزق فؤادى وارحم ساعة وداعا ، وكن عند خيالى العظيم منك وتشجع وشجنى !

وكانت تكلم وهو ينظر إليها من خلال دموعه نظرة الملتان ، ولا يستطيع أن يفهم أو يصدق . ماذا ؟ . أياظلم ناعسا في حبا كل هذه السنوات ، محروما منها ، معتسلا لارادتها ، مبتلا من أجلها ، ثم يفوز بها رجل غيره فيقضى على فضيلتها ويعدمها بعد ذلك الحياة ؟ . ماذا فعل آتى ليحتمل كل هذا ؟ ماذا جنى ؟ . انه أحب وأخلص وعف وأطاع . لم يرغب في شيء . لم يطمع في شيء . لم يطمع الا في دوام هذه النعمة . في بقاء هذا الهيكل ثريا من كل شائبة ، خالصا من كل دنس . ولكن ها هوذا الهيكل يسبحج والحبال يشوه ، فلا أقل اذن من أن تبقى معاله ويظل أثر الحياة نابضا فيه . أجل . ينبغي أن تعيش نوريت . ينبغي أن يراها ويسمع صوتها ويملأ قلبه ودمه كل يوم من فيض حبا ، والا فكيف يستطيع هو الآخر أن يعيش ؟ . . . سيريضى بحظه . . . سيستسلم لقضائه . سيجها ولو ملوثة . . . وعند ما تاح له الفرصة العظيمة ، فرصة الانتقام من غريمه والقضاء عليه ، فسنبسى ، سنبسى كل ما وقع وترتد نوريت في نظره طامرة كما كانت ، ويسعد بحبا ولو في ظل التبتل والحرم

واستولت عليه هذه الفكرة ، فقال وصوته يرتجف كراهية وحقدا :
- سوكنى هو الذى يجب أن يموت ! سأقتله وأقتل معه الماضى ، فتمود حياتنا كما كانت ويهدأ قلبك وقلبي

فصاحت نوريت وهى ممسكة بذراعه تهزه في عنف وذعر :
- اياك أن تفعل . لو فلتك فستقتل أنت أيضا لا محالة . انه يعرف ، يعرف أنك تحبني . ولقد قال لي قبل أن يش من فائدة تخدعنى ويخرج ، انه لو أصيب بسوء ، فلن يثار أصدقاؤه الا منك أنت . . . ما تزال كلماته ترون في أذنى . . . ستقتل يا آتى لو حاولت الانتصا منى ، والآن أنا لا أريد أن تموت !
واقطعت عنها وأردفت :

- أريد أن تحرس على حياتك اذا كنت تريد أن تحرس على سمى ! لو فلتك سوكنى ثم قلت أنت ، فسأضح ولا ريب أنا ، وينكشف أمام الملائ عارى ، وتذهب ضميرى هيا . . . هذا ما هددنى به الوغد قبل رحيله ، فيجب أن تدل عن التأثير منه حبا . يجب أن يعيش سوكنى لتعيش في قلوب الناس ذكرى نوريت !
نفذ صبر آتى وصرخ : كيف تطلين الى أن أرضى يموتك ثم أرضى بحياتى ثم أرضى بالمو عن المجرم الاثيم ؟ . . . أية امرأة أنت ، وأى حب هذا الذى تزعمين ؟ . . .
فقطرت اليه نظرة تظفر لها قلبه ، وقالت :

- لو لم أكن أجبك لقضيت على نفسى دون أن أعترف لك بشيء . . . ولقد اعترفت لاني أجبك . خشيت لو كمت عنك ما وقع أن تعلم بعد موتى أن ذلك الوغد قد ظفر بى ،

فعتقد أنني ضعفت وختشتك وانتحرت ندما على خيائتي ، فاسقط من عينك فذكرهني وتلعنى . لقد اعترفت كى لا أدع للشبهة طريقا تنفذ منه يوما الى نفسك . . اعترفت من فرط حبي لانفذ هذا الحب في قلبك . . وما اعترمت أن أضحي بنفسى الا لاصون شخصي في نظرك ، أبرهن لك على أنى لم أنغير ، وأنى أوثر أن أموت على أن أحمل وصمة العار ، وأؤثر أن أقضى على أن أحبك وأنا ملونة . فأى شيء أبلغ في الدلالة على صدق حبي وعلى اخلاصى لسيرتى من تأهبى للموت راضية مبهجة يا أنى . . فاذا كنت حقا تحبني واذا كنت حقا الرجل الذى أحبت ، فينبئني أن تعدل عن النار وتصفح عن المجرم ، وتسلم بأن موتى هو الطريق الوحيد لاتقاذ نفسى واتقاذ حيا !

فصاح أنى وهو باسط ذراعيه وصوته اليأس المتهدج يفرغ في نظراته المتوسلة عصارة أمله العظيم :

- اذن لمت معا يا نوريت ! . . لست بأقل منك كبرياء وقوة . لست بأقل منك قدرة على التفوق على نفسى . لقد احتمكت في سبيك الالم والحلمان وفى وسعى أن أطاول قوتك وأذهب في الضحية مبهجة الى حد الموت . فخذينى يا نوريت . خذينى الى العالم الآخر ملك ! . .

فقطرت رأسه بذراعها واضخت عليه وقالت وهى تأمل ضوء عيني السليتين ، ولوعة فمه القرمزى ، وبؤس ابتسامته المذهبة :

- انت يجب ان تعيش يا أنى ! أريد أن تعيش لتذكرى ، لتفكر فى ، لتحبنى أيضا ، لتحبنى أكثر . . أريد أن تقدم الهات طتى . . أريد أن تكون أنت من يعنى بجمع الرافضين حول قبرى كى أنكروك كلما أدخلوا السرور على نفسى ! وجذبت من يده وهو فى غمرة فحولته ، واقتادته الى أقصى البهو حيث كان ينهض على قاعدة من مرمر تتأله كبير للاله حورس وأردفت :

- أقسم أمام المعبود حورس رب الصلاح والتقوى ، أنك ستعيش من أجلى ولا تفكر أبدا فى وضع حد بنفسك لحياتك . أما اذا امتنعت عن القسم ، فلن أنتحر أنا . سأعيش مجللة بعارى ، ولكنى لن أراك ولن أعرفك ، ولن نطأ قدمك غيبة هذا البيت بعد اليوم . فاختر بين كراهيتى وموتك . اقض على نفسك ان شئت أن تقبح كراهيتى ولعنتى وانتظرت قراره . وهى ترتجف . ولما أبصرها ثابتة عازمة ، ولح فى عينيها المشتعلتين بريقا حادا يوشك لو أثارها أن يصبح بريق سحق ، تهاوى على نفسه وأطرق برأسه وآثر أن يسلمها للموت على أن يبقها حية وهى تذكره . فنعتم : « أقسم ! »

فأشرق وجهها وتהל . ولاول مرة منذ أحبا عانقه ، وطبعت على جبينه الملتهب قبله وقبل أن يفيق ، وخشية أن يطنى عليهما سلطان الحواس القاهر وتجتاحهما على الرغم منهما عاصفة الوداع ، دفعته فى رفق نحو الباب وقالت :

- اذهب يا حبيبى وعش واذكرنى !

ثم عادت زائغة البصر فارغة الروح خاوية العقل الا من فكرتها ، ومشت الى مخدعها في بطنها ذاهل كما يمشي النائم . ولكن هزة عذبة عرتها بفتة فتوقفت ، وطرق مسمعا صوت هائل أشبه بهدير البحر ، فاضطرم فؤادها ، وأسرت الى الشرقة ففتحتها ولم تكذب تطل منها حتى قوبلت بموجة هتاف طاغية ردتها الى الوراء مذعورة أبصرت الجماهير وقد غص بها الشارع الضيق تحمل علما كبيرا ذا هلال وثلاث نجوم ، وتقدم كاللوح الزاخر ، متطلعة برؤوسها مشرقة بأعناقها ملوحة بأذرعها ، تهتف بين زغرودة النساء وصياحين هتافا يشق عنان السماء :

— الحياة الخالدة لفرعون !.. الحياة الخالدة لنوريت !..

فأدركت نوريت أن فرعون قد فهر الحنين ، وأن الجمهور قد جاء يحييها محفلا بالنبا العظيم . فاستندت الى حافة الشرقة ورفعت ذراعها ولوحت بها ترد التحية وقد اغرورقت عيناها بالدموع

وظلت واقفة تلوح بذراعها وصدرها ملتهب وقلبا متوثب ودمعها يسيل ، حتى اختفت الجماهير وخيم على الشارع الصمت

وعندئذ أوصدت الشرقة ، ثم تنفست طويلا ، ثم اتجهت صوب مخدعها بقدم ثابتة وهتاف ، في تلك اللحظة المشحونة التي شاهدت ذلها وعارها ، فتحت باب طاقة صغيرة في الحائط ، وأخرجت منها قارورة السم البطيء التي كانت قد ابتاعتها من العراف ، وغصمت :

— آمون يحنني . لقد انقذت نفسي ، وأخذت آني ورأيت النصر !

ورفعت القارورة الى شفتيها ، وجرعت ما فيها عن آخره



القصر اليوناني بطولة العذراء هسّيا



تتل هذه القصة روح البطولة والوطنية التي كانت مسئولية كل الشعب اليوناني أثناء حرب الاستقلال ضد الفرس وملكهم داريوس . وقد تولى قيادة هذه الحرب ثلاثة من عبادة فواد اليونان وهم : ميثايس وتمنكس وأرسنيدس ، وانتهت بفوز اليونان في ماراثون ، وهي ميناء على الشاطئ الشرقى وعلى بعد عشرين ميلا من أثينا .

ابنهم الكهل ، هرمس ، ابنة رقيقة ، وقال وهو ينظر بعينه المستديرتين الزرقاوين الى ضيفه ، شالكاس ، :

- اني لاستغرب كيف تكون فيلسوفا ثم تتعلق بأشياء عارضة لا يلبث أن يأتي عليها الزمن . في رأيي أن من كان مثلك يجب أن ينظر الى أحداث هذا العالم كما ينظر الرجل العادى الى اختلاف فصول السنة .

فضحك شالكاس والتفت الى زميله

« أوريون ، وقال له : وما رأيك أنت في هذا اللون من التفكير الذي أصبح يستعذبه صديقنا هرمس ويشيد به ويدعو اليه ؟

فأطرق أوريون لحظة ، ثم رفع رأسه الصغير ، فبدا وجهه الذي نقره الجدري ، غامسا متجهما محمقا ، أشد دمامة مما هو عليه . وحاول أن يتكلم ولكن أعصابه المتوترة تغلبت عليه وضاعفت انفعاله ، فلم يستطع الا أن يرسل شبه صيحات مخنوقة مبهمه ورمقه الفيلسوف بنظرة مشفقة ، ثم تحول الى صاحب الدار وقال :

- أنت تأخذ على يا هرمس اهتمامي بشؤون وطني ، وترى من واجبي كمفكر أن أظل بمنزل عن السياسة ، وأن أعيش في عالمي الخيالي المغلق . ولكنك تفسى أن بلادى هي مادة فكري ، وأن المجتمع الذي يكسفننى هو الذى يغذى عقلى وقلبى ، وأن الارض التي تحملنى هي التي توحى الى مختلف الابتكار والعواطف . فكيف تريدني على أن أنفض يدي

منها ، ولا أحفل بكفاحها المقدس ضد أعدائها ، ولا أساهم في هذا الكفاح بكل ما أوتيت من قوة الفكر والبيان . انك بذلك تساعد على افناء المادة التى أعيش منها ، وتصيرنى أنا نفسى الى عدم

فقال هرمس وهو يسبح بوجهه كى لا تقع عيناه على وجه أوريون المشوه :
- ولكنك كلما تعلقت ببلاذك ، انطويت على نفسك ، وضاق أفق تفكيرك ، وآثرت مصلحة اليونان العارضة على خير الانسانية الباقي

فعمد الفيلسوف أصابعه الضامرة على بطنه المتكور ، وقال ولم يفارقه هدوؤه :
- الحرية التى أنشدتها لبلادى هى القوة التى لا بد أن تتوافر لى أولا ، كى أستطيع فى دائرتى المتواضعة تحقيق الخير والحرية للانسانية كلها
فندت عن أوريون صرخة أعرب بها عن اعجابه باستاذة . ولكن هرمس لم يعأ به واستطرد :

- وإذا كانت القوى غير متكافئة ؟ .. اذا كانت جيوشنا لن تستطيع الثبات أبدا أمام جحافل الفرس ، أفلا يكون من الخير لنا أن نستعاض عن الحرب بالسياسة ، وأن نخدع أولئك القوم وتغرب بهم ، عسى أن تنفع الحيلة حيث أخفقت الحرب ؟
وهنا صاح الفيلسوف بالرغم منه :

- ولكن الحرب لم تنته بعد . وليس معنى انكسارنا فى المعركة الاولى أن الفشل مضمون به علينا

فقال هرمس وهو يتسهم ويربته على كتفه :
- لا .. لا يا صديقى شالكاس .. أنت لم تمد فيلسوفا بالمره .. ان عواطفك الوطنية تطفئ عليك وتؤثر فى تفكيرك ، وانك الآن لتفضل هزيمة بلادك وحرايتها على استخدام عقلك وذكاؤك وحكمتك لاقتادها

فقطب شالكاس حاجبيه ، وقال وهو يطيل النظر الى مضيقه :
- لا أنت ولا أنا سنصبح شيئا مذكورا اذا ما فقدت البلاد معركة استقلالها ضد جيوش داريوس ! .. وانه لمن البدهى أن الحكمة والفلسفة والفنون والشرائع لن تزهر فى أمة من العبيد . والواقع انى عند ما أكافح من أجل حرية بلادى ، انما أذود فى نفس الوقت عن حرية فكرى ، أى عن تطور الفكر البشرى اطلاقا . لهذا السبب أنا من أنصار الحرب ، ومن أنصارها حتى النهاية !

فأسبل هرمس عينيه المستديرين الضيقتين ، وأخفى غيظه جهده ، وتظاهر بالتسبط والتسليم ، ومضى الفيلسوف بفكر وهو يدير ايهاميه على بعضهما بحركة عصبية سريعة ، وانطلق أوريون يضحك بلا مسوغ ضحكات مزعجة متقطعة ، وقد تهدل لحم خديه وارتمى أنفه الأفتس ، وبرزت من خلال شفثيه الليليتين أسنانه الحادة السوداء

وقر فجأة وزايلته نوبة الفرح ، وارتد وجهه ساكنا كئيبا حزينا ، فلاح عليه ضوء غريب من جمال لم يلحظه ، ولم ينتهج له غير الفيلسوف شالكس وقال صاحب الدار بعد فترة :

- لقد أنذرتكم وأنذرت سواكم وما أنا بعد بمثل اذا حلت الكارثة !
وهنا انتفض الرجل الساكن الدميم ، واستطاع بعد جهد أن يقول : أية كارثة ؟
وتلفت يمينا ويسارا كأنه يشهد الملا على ما يقول ، وأردف :
- نحن سنكسب هذه الحرب ! .. سنكسبها ! .. سنكسبها ! ..

وظفك يضحك كمتوه وهو يهز جسمه هذا متواليا كأنما هو يرقص على نغمات موسيقى النصر ، ثم صمت مرة أخرى وأريد وجهه وعادته كآبته ، فاتحى ناحية من الغرفة قبع فيها وظل يحدق باهتمام الى قدميه

وهنا لم يتمالك الفيلسوف نفسه ، فانفجر هو الآخر بالضحك وقال :
- ما أمتع حياتي معك يا أوريون ! .. ان تقلباتك الغريبة تسحرني وتفتنني ! .. أنت تمثل الحياة الكبرى . كل ما فيها يعكس عليك . وكل ما سوف يأتي به القدر يستقر به فلبك وتفيض آثاره على محياك . وما دمت مؤمنا بالنصر ، فأنا مؤمن به أيضا . فلا تكتب ولا تحزن . ان ه هتيا ، تقدرك وتثق بالهامات بصيرتك ، وتستقد نفس اعتقادك ولو كره والدعا . .. فنحن ثلاثة : هي وأنت وأنا ، ولسوف تنقلب بعون الالهة على ضعف هرمس وشكوكه

فناقل أوريون هرمس ومال نحو أستاذه ، وهمس في أذنه متوسلا وهو يرتجف :
- لا تصرف .. ابق قليلا .. أريد أن أراها في حلتها المقدسة البيضاء قبل أن تذهب الى المعبد ..

فطمأنه الفيلسوف بنظرة معنوية ، ثم تحول الى مضيقه وقال :
- لا بد أن سيكون احتفال هذه السنة رائعا ؟ ..

فأجاب هرمس وهو منصرف الى تفكيره :

- ماذا تقول ؟ .. نعم .. أجل المذاوى من أرقى بيونات اليونان اشتركن في حياة نوب الآلاهة ، بالاس ، الذى سنكسو به اليوم تمثالها . سيكون الموكب كما ألفتموه عظيماء ولكن رهطا كبيرا من ضباط الجيش سيشارك فيه هذا العام ، كما مترتل ه ميرا ، لأول مرة ، يصحبها جمع كبير من الفتيات ذوات الجمال الرائع والصوت الرخيم فهتف أوريون وهو يصفق :

- سيكون عيد ه بالاس ، بشير النصر !

ثم اتجه بفتة نحو هرمس وركع أمامه نصف ركعة ثم تشجع وقال في احترام عميق :
أمل وأنت رئيس كهنة معبد الآلاهة ه بالاس اتينا ه ألا ترفع اليها اليوم صلواتك وأنت في شك من انتصار أبنائها ! ..

فرمقه هرمس بنظرة احتقار ، ثم قال في صرامة وشموخ :
 - ان سلامة بنتي تثبت لها طهارة قلبي !
 وكان الفيلسوف يحدق اليه وهو ينطق بهذه العبارة ، فلما التقت عيناهما اضطرب
 هرمس واكفهر وجهه ، ولم يستطع الا أن يترك . وفي تلك اللحظة سمع صوت عذب
 يقول : هاأنذا يا والدي !
 وتلفت الكل ، واذا بهستيا الجميلة واقفة باب مخدعها تبسم لهم ، وترفل مبهجة في
 حلة العيد المقدسة البيضاء

وصاح الفيلسوف وهو يتأملها معجبا بها !
 - كم أنت جميلة يا هستيا !
 فاردهرت الفتاة لهذا الأطراء وتأملت عينها الزرقاوان ، وانسكب على كيانها كله ضوء
 من الزهو الفاتن البريء ، ولكنها قالت في وداعة ورقة :
 - سترى في الموكب فتيات أجمل منى بكثير يا استاذي العزيز ..
 فلوح الفيلسوف يده وقال : أنت أجملهن جميعا !
 فأماك هستيا رأسها على كفها بحركة لطيفة ، وقالت وقد ارتعشت جدائل شعرها
 المصفف حول رأسها ككاج من ذهب :
 - لقد علمتني التواضع يا استاذي ، فحذار أن تلقى في نفسي يدور الكبرياء ..
 فقال هرمس وهو ينظر الى ابنته نظرة ملؤها الاعتزاز :
 - يحق لك أن تفخرى يا ابنتي ، فالكبر من شيم الجمال
 وأردف مداعبا وهو يتبسم :
 - آه لو رأك خطيك كرونوس على هذه الصورة ، اذن لازداد جنونا بك !
 فنفضت الفتاة من بصرها حياء ، وقالت في خفر ودل :
 - ألا تفك تذكر هذا الموضوع يا أبت ؟ ..
 فقال الفيلسوف وهو يحك صاعته :
 - هذا أحب موضوع الى الفتيات يا هستيا ..
 فنضمرت وجنتاها وشاع الحجل والاضطراب في صوتها ، وقالت وهي تلقى على شالكاس
 نظرة عتاب :
 - أنت أيضا يا استاذي ؟ .. انى اغفر لك لاني أجبك ، ولكن عدنى بالآ تطرق هذا
 الموضوع ثانيا ..
 ففقهه الفيلسوف وقال :
 - اذا امتنت عن الكلام فيه ، فلن تدمى وسيلة لاثارتة بنفسك ..
 فضج الوالد بالضحك ، وتعلمت هستيا ، وتحولت عنهما الى أوريون ، ولكنها ما كانت

تدنو منه وتنتظر اليه حتى انقبض بحياها ، وحقق الاشتراز الكلمات في صدرها بالرغم منها
وكان أوريون قابعا في زاويته رافعا رأسه اليها ، يتأملها بنظرات ملؤها العبادة والتقديس
فلما اقتربت منه وأحس منها ذلك النفور الطبيعي الذي لا حيلة لها فيه ، طوى رأسه على
صدره كي يخفي وجهه الدميم ، وأرسل أنه قصيرة ، وانكش ولم يتحرك
وبماطفة انسانية نبيلة غابت احساسها ، وقالت وهي تجتهد في تويد نفسها بالنظر اليه :
- ألا ترى أن من واجبي ألا أخطر اليوم على بالي أية فكرة تتعلق بشخصي ؟ كل
عذراء في بلاد اليونان - ولا سيما أنا ابنة الكاهن الاعظم - يجب أن تتجه اليوم بعقلها
وقلبها الى المودة بالاس ، كي تعجل بسقد أكاليل النصر على هامات أبطالنا !
فهز الفيلسوف رأسه ، وتعهد أن يقول كي يخرج هرمس :
- ما أعجب أن تناقض البت آراء والدعا !
فتطلعت هسليا الى أستاذها وقالت في دهشة : ما معنى هذا ؟
فأجاب على الفور :

- والدك يرى أن النصر على الفرس ضرب من المحال ، وأنه أولى بنا ، واجدى
لصالحنا أن نتفق معهم ونلقى السلاح ..
فهتت هسليا ، ثم امتنع لونها وتدلكت في لحظة . تفضن جبينها وارتمست عليه صرامة
مهيبة . اقتدت عيناها وانسمتا وقدح منها بريق النضب والاستنكار . زايلها كل خفر
وكل حياء وكل رقة . تقلص منها جمال العذارى ، وأغدى عليها السخط جمالا آخر أشد
ثامرا وأوقع فتنة . فمشت الى والدعا كامرأة راشدة كاملة ، وقالت بصوت جاف جهير :
- أصبح ما قاله شالكس يا أبت ؟
فاضطرب هرمس ، وأجاب متلعنا وهو يرشق الفيلسوف بنظرة حاتقة :
- هذه فكرة عرضت لي .. ليست من الأهمية بحيث ..
فقاطعت هسليا منقطة :

- بل هي من الخطورة بمكان عظيم ! .. ولو تسربت منك أنت رئيس الكهنة ، وتغلغل
في أوساط الشعب في أيام المحنة هذه التي نجتازها ، فمن ذا الذي يضمن أن تظل الأمة
تمسكة أمام عدوها في حرب هي بالنسبة لها حرب حياة أو موت ؟ ..
وصمتت فترة ثم صرخت :

- أتم تعلمون شدة حبي لخطيى كرونوس ، ولكني برغم هذا الحب أوتر أن يقتل
في ساحة الحرب على أن يعود الى حيا وفي صدره خيبة الهزيمة .. الموت .. حب الموت
يا والدي .. انكار الحياة .. الزهد فيها .. التحرر من مباحجها .. التغلب على سلطاتها
باحتقار هذا السلطان .. تلك هي المبادئ التي أخذتها عن أستاذي شالكس ، والتي
أعلم علم اليقين أن فيها سعادة وطني كما كانت فيها حتى اليوم سعادتي !
وكانت تتكلم وأريون شاخص اليها ، يتأمل وجهها المتهب ، وعينها القاسيتين ، وشفتها

القرمزية السفلى وهى ترتجف ، واشاراتها القاطعة ، وحرركاتها الفياضة بالآباء والعزة ، وقد غمر لها من صميم قلبه نفورها العميق منه ، لفرط ما شاهد من اخلاصها وصديق وطنيتها

وفجأة وقعت ابصارها عليه فلم تحولها ، بل اتجهت نحوه وامسكت بذراعه ، وتقدمت به الى حيث كان يجلس والدها واستطردت :

- ماذا قدما نحن للوطن ؟ .. لا شيء ! .. أما هذا الرجل الضعيف الذى لم يستطع أن يقدم للوطن حياته ، فقد وهب خزينته الجليش كل ثروته ! .. يجب أن نقضى به . وإن أعوزتنا روح التضحية ، فلا أقل من أن نصمت ونندع اليونان نقاتل موحدة مترامصة مراحة الضمير !

ورنت بطرفها الى أوريون وربنت على كتفه ، فتفتح قلب الرجل النبوذ الدميم ، وابتهجت روحه واتحدرت دمعة على خده المشوه الباهت

وأحست همتيا أنها قد أسرفت فى القسوة على والدها ، فاندفعت نحوه وطوقته بذراعيها ، ومضت تبسم وتقول بصوتها الناعم وقد غاودتها فتنة العذارى الرفيقات المستضعفات :

- سامعنى يا أبت ! .. ما قصدت الاساءة اليك .. لتنصب على لمة الالهة بالاس ، فى يوم عبدها العظيم لو كان قد خامر بى أى شك فى وطنيتك .. اعف عني .. انقسم لى كعادتك .. انس ما بدر منى ، ولا تمنع ، وهات يدك ..

وتاولت يد والدها وقبلتها فى خضوع ، ثم اثنت الى أستاذها ، وقالت وقد تفاضت عن أوريون كعادتها ، وأهملته كأن لم يمد له وجود :

- ألا ترى أنى يوصفى ابنه الكاهن الاعظم يجب أن أحمل الآتية المقدسة وأقدم موكب العذارى ؟

فأجاب الفيلسوف :

- يكون منك أروع وأجل وأنت ابنة كاهن معبد الالهة التى سنحتفل اليوم بعيدها ، أن تضربى النثل الصالح فى التواضع ، وأن تقدمى عليك أنرابك وتسيرى فى مؤخرة الموكب ..

فأحنت همتيا رأسها وقالت :

- لك ما تريد يا استاذى . وسأنظر فى المؤخرة وأنت ببجانبى ..

ولم تكذب تم عبارتها حتى سمعت خارج البيت حركة وأصواتا مشفوعة بلجب كبير ، فصاحت همتيا وقد غمر الفرح وجهها :

- جاءت العذارى ، وأزف الموعد ..

فهتف أوريون : هيا بنا ! ..

ونهض هرمس عابسا متجهما ، وتبعته هتيا متابعة ذراع أستاذها ، وسار أوريون خلفهم بخطى التابع القانع السعيد ، وخرجوا جميعا متجهين نحو المعب

احتشدت الجماهير في الاكروبول (١) حول البارثون معبد الالهة بالاس اتينا . وكان المعب مقسما الى مناطق ثلاث : المنطقة الاولى رجة فسيحة أعدت في الجهة الشرقية لتلقى القرابين والنذور . والمنطقة الثانية رجة أيضا أقيمت في الجهة الغربية لحفظ كنوز الالهة ومجوهراتها . أما المنطقة الثالثة فكانت تبرز في الوسط ، وينهض فيها على قاعدة عظيمة تمثال الالهة نفسها

وكانت الجماهير ومعظمها من أبناء الشعب الفقراء البائسين المرضى تتجمع عند أبواب البارثون في انتظار الموكب وبدء الصلاة

فالمقعدون والكسحان والعميان والمشلولون ، والامهات الحاملات أطفالهن المرضى ، والشيوخ الذين أعيتهم مكافحة الهرم ، والمصابون بداء الصرع ، والارامل الحزينات ، والمطلقات المنبوذات ، والنساء العقيصات اللواتي يطمعن الحمل ويشتهين الامومة ، كل أولئك كانوا يتزاحمون بالنواكب نحو المعب ومن خلفهم طوائف التفرجين من أبناء الطبقة الوسطى أو أرهاط الشباب العابت الماخن من أبناء الطبقات الممولة ، جاءوا لامتاع نفوسهم بحفلات العيد والاشتراك في الرقص مع الغواني ، والاستماع لترتيل الغنية « ميلا » ومشاهدة موكب العذارى

أما الرجال والنساء الذين أرسلوا الى الحرب أباءهم أو أزواجهم أو اخوتهم ، والذين فقدوا البعض منهم في ميدان القتال ، فقد كانوا في المقدمة متجمعين حول بعضهم البعض ينسمون أبناء القتال ، ويواسون المرضى ، وينهلون الى الالهة بالاس أن تستعجل يوم الخلاص والنصر

ولم يكن ليلفت النظر في هذه الجموع سوى الغواني المحترفات بالتمات الهوى . فقد كن يبرزن من بين الجماهير بأرديتهن الزاهية ، وضحكتهن العالية ، ونكاتهن الصارخة ، ووجوههن الوقحة المظلية بالمساحيق ، وكن ينحرفن بالشباب الاثرياء ، ويبادلنهم مختلف النكات ، ويقدن معهم أواصر الصداقة ، ويضربن لهم مواعيد الغرام

وكانت الاحاديث تدور حول المرض والحرب والحب ، وكان الفرح بالعيد يخفف من وطأة المرض ، والامل العميق بالنصر يحجب كوارث الحرب ، ومشهد العذارى المتقلتر يوجج في النفوس عاطفة الحب

وفجأة ترامت الى الآذان أنغام موسيقية بعيدة ، فاضطربت الجماهير واحتلعلت ، ومال

(١) الاكروبول قلعة أقيمت في اتينا فوق منخرة عالية شيدت عليها معابد مختلفة منها معبد بالاس

البعض منها على البعض الآخر كالامواج ، وارتفع صراخها وهتافها مبهما غامضا كهدير حيوان هائل خراف

وتقدم الموكب شيئا فشيئا ، وافسح له الشعب الطريق . ولم يكذب يدور همرس ومن خلفه الكهنة يقبضهم خدام الهيكل حتى استولى على الناس شبه جنون فاندفعوا نحو الكاهن الاعظم ، وداس كبيرهم صغيرهم وولوت النساء ، وبكت الاطفال ، ولم ينعم غير نفر قليل بلبم رداء همرس خدام الالهة بالاس

وفي اقل من لحظة تبدلت نفسية الجماهير ، وخذت اصواتها ، وقر فيها النظام ، واحتواها الصمت

تراجع الناس واصطفوا خاشعين ، واعانقهم مشرقة ، وعيونهم ثابتة تحدق في الهفة ونشوة الى موكب العذارى

وكن عشرا من اجل واثنين بنات اثينا ، يسن مشدات شائحات ، صارمات الوجوه في جلال مهيب ، تلمعات العيون في ورع قدسي ، ملتهبات الحدود في فرح محجوز عميق ، يحملن في كبر واعتزاز ثوب الالهة الجديد الذي حاكته اناملهن وزركشنه ووشت مختلف اطرافه ورسمت عليه صورا رائعة من شتى العظائم التي قامت بها الالهة ، ونقشت فيه اسماء الابطال الذين استشهدوا وماتوا في سبيل الوطن

وجئت الجماهير عند مرور الموكب ، واخبت وزوسها امام التوب الذي كان يتألق ويسطع تحت اشعة الشمس ، متموجا من خلالها ، سابجا فيها ، شبه بقارب صغير من ذهب ، يرمز الى النجاة ، ويتجه في هدوء نحو شاطئ السلام

وارتفعت غمضة كبيرة تعالى بعدها الهتاف :

المجد لبلاس انينا ! ! !

فارتفعت يد هسثيا وهي تحمل طرف التوب المقدس وضمت شفيتها لثلا تبكي من فرط التأثر ، واستطردت السير وثيدة الخطى صافية العينين مشرقة الوجه معشوقة القد لينة الاعضاء ، تكلاها عين الفيلسوف استاذها ، وتهب حميتها الباهر الابصار ومر ضباط الجيش وكبار رجال الحكومة ، وتبعهم فرق الموسيقى ، وجماعة الشعراء والادباء ورجال الفن يحيطون بالمغنية « ميرا » وقد ارتدت ثوبا ابيض طرزت عليه زهرات حمراء ، وارخت شعرها الاسود الرائع على كتفها ، وغنطقت بحزام من ذهب . فما ان عرفها الجمهور حتى صاح : ميرا ! ! ! ميرا ! ! !

فاينسبت ولوحت للمهاتفين بذراعها ، كأنها هي تعدهم بسماع ما لم يسمعوا في حياتهم من اشجى التراتيل وابهج الانغام

وجعل الموكب يختفي ويغيب في جوف المبد على مهل . ثم تدفقت في اثره الجماهير متسابقة متدافعة ، ثم هدأت الساحة الكبيرة بعض الشيء ، وتخلف فيها ذلك النفر من الشباب الاثرياء في صحبة بنات الهوى اللوانى جلسن على الارض ، وجملن يجاذبن

أصدقاءهم الحديث ، ويداعبهم ، ويمرحن ويضحكن في انتظار نهاية الصلاة ، وبدء أفراح
الشعب
وكان آخر من دخل الهيكل هو أوريون الرجل الديميم النبوذ الذى لم تستطع أن
تنظر اليه عين ، والذى لم يكن له بين كل هذا الجمع أى صديق

احترق أوريون الجماهير وعسلل بين أعمدة المبد ، حتى وقع اختياره على زاوية يمكن
أن يلمح منها الآونة بعد الأخرى وجه حبيته هسيا . وكان هرمس وحوله الكهنة
يرغمون وهم ينزعون في بطنه وحرس عن الآلاهة بالأس ثوبها القديم ، وينناولون التوب
الجديد من أيدى العذارى ، ويخلعونه على التمثال
وظلوا يرتلون والشعب صامت ، ثم تنحوا فجأة عن التمثال كأنما هم يقدمون الآلاهة
هبة للجماهير

ولاحت إذ ذاك بالأس اتينا ، تلالا في ثوبها الرائع ، متعصبة على قاعدة تمثالها ،
عزيزة مرهوبة وقد تمنطقت بحزام وعلت رأسها خوذة يزيناها رسم أبى الهول ذو المخيلين ،
وحى صدرها درع نقشت عليه صور بعض الأفاعى ، وقبضت يدها اليسرى على رمح
أسند الى الدرع ، وحملت يدها اليمنى شارة النصر المجنح

عندئذ دبت الحياة في الجماهير وجاشت واصطخبت ، فارتمت الأذرع ، وامندت أكف
الضراعة نحو الآلاهة ، وفتح الكاهن الأعظم باب الحجرات الشرقية حيث تراكمت
القرابين والنذور التى قدمها الشعب بالأس ، فضج الناس بالفرح ، وانفدت حماسهم ،
وجعلوا يرددون : المنجل للآسى اتينا !

وقبل أن تفرحهم ، توسطت المغنية ميرا ، بهو المبد وتقدمت صوب الهيكل ،
ووقفت تجاه تمثال الآلاهة ، ثم جثت ، ثم نهضت ، ثم رفعت ذراعيها وأنشأت ترتل بصوتها
الحار الجميل ، وهى شاخصة الى عيني الآلاهة ، والجمهور يقبها النظر ، وقد بدأت
صياحاته تخفت ويحل محلها سكون جاشع رهيب
وغنت ميرا تمتدح بالأس وتمجدها :

آلام الناس تطرح عند قدميك
أمراضهم تزول بنفخة منك
قلوبهم الواجفة نهفو اليك
أصواتهم تنشق عنان السماء
فتمطفي علينا يا عذراء
وامنحنا الشفاء !

فارتفعت الأذرع ورددت الجماهير : « امنحنا الشفاء ! »

ومضت ميرا في انشادها وكأنها في غيوبة :

تذاك يتساقط على الازهار
ونورك يشكب في قلبها
وفيضك يا عذراء يحيى براعمها
فامنحنا الحياة
فلنا أقل تمجيذا لك من الازهار !
امنحنا الحياة !

لقد أخرجت من بطن الأرض شجر التين
وتعالى في حماك شجر الزيتون
ووهبتنا رحمتك كل فاكهة وكل ثمر
فامنحنا خيرات النفس يا عذراء !
فلنا أقل تمجيذا لك من الأرض !

— امنحنا خيرات النفس !

الحكمة شعارك والعقل قوتك
الفصاحة لسانك والفنون زينتك
الرقى ايمانك والحضارة قلبك
فامنحنا النور يا عذراء
وقوى قلوبنا !

فرددت الجماهير في حماسة : « امنحنا النور ! »

وجلجل صوت ميرا واستطودت :

يا عبيدة التفرغ يا سبيدة الروية
يا بنت الصلى وحارسة المدينة
يا ذات العيون اللامعة والنفس الالهية
يا درع الوطن ، يا عذراء ، اتقدنا
وامنحنا نعمة الخلاص والحرية !

فرددت الجماهير في جنون : « امنحنا نعمة الخلاص والحرية ! »

وحلق صوت ميرا ودوى كالرعد القاصف :

يا راعية الابطال يا عاقلة
يا الالهة الحكمة والشجاعة يا باسلة
يا عبقرية السيف والقلب والفكر
يا روح الكفاح الأقدس ومجد هذا العصر

امنحينا الثبات يا عذراء

وجودى علينا بالنصر !

فماجت الجماهير واختلطت ، وتساعدت صرخاتها واشقت حناجرها وهى تردد :
« جودى علينا بالنصر ! »

ثم صنت ميلا ، وانحنت تقبل قدمى الالهة ، ثم تراجعت فلقاها الشعراء والفنانون وأحاطوا بها وجعلوا يلثمون أطراف رداثها ، بيناكات الموسيقى تنزف ، والجماهير تهلل ، والعذارى بشرن الورود على الالهة فتساقط كالنجوم وتنحدر على قاعدة التمثال حيث كان يزدهم عليها المصلون ويقارون فى أيهم يفوز بواحدة منها

وبعد أن أتم الكهنة الشعائر الدينية ، وتحولوا فى اتجاه رئيسهم وانحنوا لتحيته ، أدرك الجمهور أن الحفلة قد انتهت ، وأن من واجبه أن ينصرف ويترك الكاهن الاعظم وحده فى الهيكل ، يرفع صلاة الشكر الجامعة للالهة بالاس

وبدا المصلون يمشون بالتمثال وهم يلمسونه ويقولون أيديهم متبركين . ثم اندفعت جموعهم نحو الخارج وفترت حركتهم فى المبد ، ولم يعد باقيا فيه غير العذارى اللواتى شامت التقاليد أن يكتن لحظة أيضا فى صحبة رئيس الكهنة ليقسمن بين يديه اليمين الكبرى ، ويتلقين منه البركة جزاء ما قدمن من عمل عظيم

واصطفت القبات فى نصف دائرة تجاه الهيكل ، ووقف هرمس على الدرجة الثانية لقاعة التمثال ، ثم طوى ذراعيه على صدره وقال :

— يا أظهر وأبقى عذارى اليونان . تعلمن أن الكهنة لم يمهّدوا اليكن بحياكة ثوب الالهة العذراء بالاس الا ليكون الاقنعا . بفضلها رادكن منذ الساعة ، وحتى بعد أن تفادرن بيوت آبائكن الى دور بولتكن . فلتتقدم اذن كل واحدة منكن ولتقسم أمام الالهة أنها ستحتفظ بنفسها طاهرة من كل خيانة وكل غيبة وكل رذيلة وكل دنس . واعلمن أن من تحنت يمينها لا بد أن تحقق عليها لعنة بالاس !

فرفعن جميعا أبصارهن نحو الالهة ومددن أذرعن ، وقلن فى صوت واحد :

— نقسم أن نقضى بالالهة بالاس !

فاستدار هرمس وقتم أمام التمثال بعض الصلوات ، ثم تحول وبارك العذارى ، فأنحنين لتحيته بعد أن قبلن قدمى الالهة ، ثم انصرفن الواحدة بعد الاخرى ، مشدات ساكنات ، فريرات النفس ، ناعمات البال ، وقد امتلأت قلوبهن راحة وصفاء وطهرا

ولما اطمأن الكاهن الاعظم الى انه قد أصبح وحده فى المبد ، قبل التمثال ثلاث مرات ، ثم جثا أمامه وشرع يتلو صلاة الشكر الطويلة الجامعة

وكان قد خطر لهسيا أن تخلف ريشا يفرغ والدها من صلاته فيعودان الى البيت معاه ولكنها ذكرت أن الفيلسوف استاذها لا بد أن يكون فى انتظارها خارج المبد ، وأن من واجبها ألا تدعه ينتظر ، فأنجعت نحو الباب ، ولكنها لم تكد توسط الرحبة الكبيرة المؤدية

الى الخارج ، حتى جددت في مكانها ، ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة ذاهلة ، واستنصاه وجبها كأنما قد صب عليه فجأة سيل من نور
أبصرت خلف أحد أعمدة المبد شابا تعرفه حق المعرفة ، يشير اليها بالصمت ويدعوها للدنو منه

تقدمت وهي ترتعد ، فجذبها من يدها ، وسار بها الى أقصى المبد حيث ينهض عمود ضخّم أخفاهما عن الابصار . وهناك ضمها في حنان الى صدره ، فأقصته عنها في رفق وهي تفسنم :

- كيف جئت ؟ .. انها لمعجزة .. أنت في اجازة ؟ وهل .. هل نحن متصرون ؟
فحاول الشاب أن يجيب ، ولكنها تأبطت ذراعه وآثرت أن تخرج به من المبد ، غير أنه ردها بحركة وقال في همس :

- استاذك ينتظر بالباب ، ولا أريد أن ألتقى به .. يجب أن أتحدث اليك .. اليك وحده .. الآن .. لدينا متسع من الوقت .. البنى مكانك .. لا تحركى .. اصنى الى وكان شابا وضيء الطلعة ، سبط الغوام ، مدمج الاعضاء ، بادى عظام الوجه في رجولة اخاذة . وكان يتكلم وهو يرتجف ، وبعض شفته الدقيقة السفلى ، ولا ينفك يرشق هسبا بنظرات حادة منقطعة وجلة ، كأنما هو يخشى التحديق اليها مواجهة
وكانت هي تطلع اليه وقلبا يخفق وأبصارها تقوم حول ملامح وجهه وتقتنص من حركاتها ما يمكن أن يبيط لها اللثام عن دخيلة نفسه
وقالت بعد فترة :

- انت مضطرب .. لم أرك أبدا على هذه الصورة .. ماذا ؟ .. هل بدأت المعركة الثانية ؟ .. وهل مرم جيشنا ؟ .. تكلم .. أصرح ..
فقال وهو يجاهد لينظر اليها :
- كلا .. لم نهزم ولا اعتقد أننا سوف نهزم مهما حدث ..
وصعد نفسا مستغيلا واستنورد :

- تعلمين ان ميناء « مرتون » بعد نحو عشرين ميلا من اتينا . فلما نزلت جيوش داريوس ونصبت خيامها في سهل مرتون الفسيح ، نظم قائدنا « ملياتاس » جيوشنا بحيث قوى جناحيها وترك قلبها ضعيفا ، فانطلقت الحيلة على الفرس ، وحلوا بمجموع رجالهم على قواتنا المرابطة في القلب فدحروها وأحرزوا التجاح في الدور الاول من المعركة ..
فعاجلته هسبا بصيحات مخنوق : والآن .. الآن .. ماذا حدث ؟ ..

فأجاب كرونوس وقد استولى عليه بغة جمود غريب :
- سيبدأ الدور الثانى من المعركة بعد أيام . وستحمل قواتنا على العدو بجناحيها القويين وستدور على قلب جيشه فتمعن الطعن فيه الى أن تلقى به في البحر
فأختلجت هسبا وندت عنها صرخة : اذن هو النصر !؟ ..

فدفعها لتصمت ، ثم سكن لحظة وانظم جبينه الوشاح ، وانطلقت شمعة عينيه الجليتين وعاد بخالس هسيا النظر ويقول متفاديا التحديق اليها :

- أعقد أنه محقق . وكذلك يعتقد قائدنا . ولكنه مع ذلك يخشى الهزيمة .. يخشى الهزيمة هنا لا في ساحة القتال !

فحملت اليه هسيا وقالت : صرح .. لا أفهمك ..

فقال وهو يظايطه رأسه ويلحظ بعينه مدخل المعبد :

- هياس .. هياس اليوناني الحائن الذي فخته اتينا فانصل بداريوس وحرضه على قتالنا كي يقيم بعد النصر ملكا على عرش اليونان .. هياس هذا ، ما يزال يملك في اتينا قوة خفية .. أنصارا ذوي مكانة ونفوذ .. يعدون العدة للقيام بثورة داخلية في اللحظة التي يبدأ فيها الجيش معركة الاستقلال الفاصلة

وصمت هنية وهو يلهث ثم قال :

- ان الشعب اليوم يلهو وسيظل غارقا في اللهو أياما ، فلن ينتبه ولن يحفل .. ستندلع نار الثورة خلال أيام البعد . هذا ما أضمره أنصار هياس ، وهذا ما دبره زعيمهم !

فهلج قلب الفتاة ، وقالت وهي تحتضن خطيها الشاب وقد عيل صبرها :

- ولكن أنت ؟ أنت ؟ ماذا جئت تفعل ؟

فأجاب كالمنسحق وهو ما يزال مطرقا :

- جئت لأقضي على حياة هذا الزعيم !

وأردف وهو ينتفض حقا :

- جئت لأقتل لا لأحارب أنا الجندى ! .. تلك هي ارادة القائد .. المتآمرون يجب أن يقضى عليهم في أسرع وقت .. ما ان يلقه النبا وعرف أسماعهم حتى اختارنى ونفرا من الضباط لتأدية هذه المهمة المشؤمة ..

فقال هسيا في هدوء مروع : إذن يجب أن تقتل الرجل !

فلم يتكلم بل رفع رأسه وثبت نظره في عيني هسيا ، ثم امسك بكتفيها بقتة وادارها في عنف الى حيث كان يبدو والدعا منطويا على نفسه مقوس الظهر مستترقا في الصلاة ، وقال في مثل هدوئها المروع : واذا كان هذا هو الذي يجب أن أقتله ؟ ..

فبحظت عينها وففرت فأها كبلها وتتمت : من ؟ أبى ؟ ..

فأجاب وهو يطيل التحديق اليها محاولا الهبوط الى أبعد أغوار نفسها :

- هو بئنه رئيس كهنة بالاس وأقدس شخصية في الدولة !

فماقت أنفلس الفتاة وأحست كأن هوة سحيقة احتفرت تحت قدميها وكان دوارا يطوح بها ، فتلقت بالشاب وقالت بصوت لا يكاد يسمع :

- وهل القائد متأكد أن أبى هو زعيم المتآمرين ؟

فأجاب :

- وزعيم طائفة من كبار رجال الجيش أيضا !.. لقد وقعت في يدى القائد أوراق سرية اطلعنا عليها .. أوراق تثبت ادائه والدك بصورة لا تقبل الشك !.. ولقد شرع القائد في تطهير الجيش وأصر على أن يطهر المؤخرة أيضا قبل الدخول في المعركة الفاصلة !
فهزت الفتاة رأسها ولم تبس بكلمة . رنت في مسمعها تلك العبارات الغريبة التي صدرت اليوم في البيت عن والدها . ذكرتها كلمة بكلمة وحرقا بحرف . ذكرتها وقلها يتمزق أنفة والما ، وذكرت موقف أستاذها وثورتها على أبيها واشادتها بوطنية صديقهم المشوه الدميم .. فشعرت بالعار يغمرها ، ولم تستطع أن تصور كيف يكون والدها الكاهن الاعظم ثم يخون ، وكيف تكون هى ابنة هذا الكاهن ثم تنفض الطرف عن الحياة وتسمح بالتفاني يستتر خلف شعار الدين ، وتحتن باليمين الكبرى ، بين النزاهة والاستقامة ، التي أقسمتها الساعة أمام الالهة بالاس !

وحانت منها الفتاة ، فلمحت والدها ينهض ثم يسجد ثم يمين في صلواته ، فتصاعدت من صدرها موجة اشتزاز أخذت يخنقها ، وزايلتها رقة العذارى ، وعادت نفس المرأة الصارمة القاسية التي كانت تعترض اليوم والدها وتحاسبه حسابا عسيرا . وقالت وقد تنفض جبينها واتقدت عيناها :

- كرونوس يجب أن تؤدي واجبك !

فذهر الشاب وغغم : ماذا تقولين ؟ ..

فصمت تتكلم متشنجة الاعضاء ، وارادتها تقاوم ضغطها ، وعقلها مصوب نحو فكرتها الثابتة ، تأبى التحول عنها ولو لحظلة خشية أن تمصف بها عواطفها الطبيعية فتصرعها :

- أنت جندي وواجبك أن تطيع سواء في ساحة القتال أم هنا !.. لو تهاوت ونشبت الثورة ، تضعض جيشا وتدققت علينا قوات داريوس ! فانظر الى واجبك فقط !.. لا تفكر في أنه والدى !.. لم يعد لي والد !.. كنت يتيمة الام فأصبحت يتيمة الاب ، ولست منذ الساعة الا ابنة للالهة بالاس !.. لقد أقسمت أن أقتدى بها ، ولن أحنث بيمينى !.. فلا تفكر في كامرأة .. اطردنى من ذهنك .. اقضى عن خيالك .. اقلنى في قلبك الى حين ، لنستطيع أن نقتل المجرم وأنت ثابت مطمئن !

فسرت في بدن الشاب رعدة ، وقال وقد تهدج صوته وأوشك الدمع أن يطفر من عينه :
- حسيا .. حسيا .. كيف تطالبين الى أن أرتكب هذا الجرم ؟ .. كيف يمكن لرجل يحبك أصدق الحب أن يسمى لشقائق وهو لا يمتنى على القدر الا أن يجعل منك أسعد امرأة ؟ .. لا .. لا أستطيع .. هذا لبس في طاقة مخلوق !.. ان وطنيتك تحرضنى اليوم على قتل والدك ، ولكن عاطفة البنوة ستثور في نفسك غدا ، وتعدنى مسئولا عما ارتكبت يدائى !.. أنت في حماسك لا تفكرى في المستقبل .. ولكن المستقبل هو كل ما لنا .. وأنا أراه .. أراه في هذه الساعة والمسه وأعيش فيه .. أجل أعيش فيه وأعلم علم اليقين أنه سيكون الفراغ .. سيكون العدم .. سيكون مقبرة جنا العظيم !.. آه

يا هسيا .. لو طلعت والدك ، فالطعنة سترتد وتصينى فى الصميم ! .. سوف تكرمينى
يا هسيا .. أنا .. أنا .. ساكون موضع نفعتك وبفضلك .. فارحمينى .. أشفقى على
نفسك وعلى ! ..

فكانت فى مجالدة وعناد :

- سأتزوجك . وسيزداد حبى لك كلما ذكرت أنك أنكرت حبك وقمت بواجبك !
فضمها الى صدره فى صف ، وصاح بها بحسب الكلمات فى مسمعها كأنها يود أن يحرك
فيها عوامل الانانية التى تغلب قلوب جميع العشاق :

- أنت شابة ، ومن حقك أن تكونى سعيدة .. وما من قوة فى الارض تستطيع أن
تطلب من امرأة أكثر مما يمكن أن تعطى .. وليس فى وسعك يا هسيا ولا من حقك أن
تهبى الوطن حياة رجل أنت نفسك مدينة له بالحياة ! .. على أن للوطن رجاله ، وأنا على
ثقة من أنهم سينقذوه .. وحتى لو نشبت الثورة فلن تؤثر فى نتيجة المعركة .. فى مقدور
جيشنا أن يقمع الثورة ويرجع المعركة ! ..

فكانت وقد تقطع جبينها وجفت لهجتها وشاع فيها الغضب :

- ما أدراك ؟ .. وكيف تستحل تقدير الامور وفق مصلحتك ؟ .. ألسنت تجبنى ؟ ..
اذن اصدع بأمرى ونفذ واجبك ولا تبك على والدى أكثر منى ! ..

فقتبست بها وتحسرج صوته ، وقال وهو يحبس دموعه جهده :

- انما أبكى عليك وعلى ! .. لا .. محال .. لا أستطيع .. لن تعذبنى حماسك
الطائرة .. لن أنزلق .. لن أطيعك .. لن أشقبك .. لن أجلب على نفسى مسخطك
الايدي ! ..

والصق خده بخدها وحمل عيل بها كأنه يهددها وأردف :

- الحياة أمانا يا حبيبتى فلماذا نضيعها ؟ .. السعادة بين أيدينا يا صغيرتى فلماذا نفقدوها ؟
الحب يدعونا يا هسيا فلنلب النداء ! .. لنذهب .. لنتركهم .. لنفر .. لنفر الى قبرى
اليوم .. الليلة .. لقد أعددت عدتى .. مى تقود ولى هناك أصدقاء .. فاستمعى لنصيحى
قبل فوات الوقت ، واعلمى انى أجبك أضعاف ما تحبينى ، لانى ارتضيت خيانة بلادى
فى سبيل حبك وانقاذ والدك !

وكان يتكلم وهى تتأمله ، وصدرها يعلو ويهبط ، وجسمها يتعد عنه ويتردد شيئا
فشيئا ، وعينها الصارمة ترقبه وتبحث فيه عن الرجل الذى كان منذ لحظة أمير أحلامها
ولم يكذب يتم عبارته الاخيرة حتى كانت قد باعدت بينه وبينها تماما ، ثم قالت فى بطء
وهى تتكلف الهدوء ، وقد ازدردت فى فرارة نفسها عاطفة الحب ، لانها أدركت لأول مرة
كيف يستحل المعبود تحت سلطانها الى عبد ، وكيف ينقلب الرجل فيصبح والطفل أوفر
شجاعة منه :

- ما أشد حبك لي يا كرونوس ..
 واستطردت وهي تبسم : إنما كنت أمتحن هذا الحب ..
 ثم عانقه عناق اليأس ، وقالت ضاحكة :
 - أعرف اني لن أفتلب عليك .. أعرف أن الحق في جانبك ..
 فأشرق وجهه وصدقها .. فكرهته لسذاجته بعد أن كانت قد ازدردته لضعفه ، وأرادت
 ان تخلو بنفسها وتخلص منه ، فغمفت :
 - اذهب .. اذهب الآن .. تجنب الباب العمومي واخرج من هنا .. من باب حجرة
 النذور .. يجب ألا يراك أحد .. أسمع .. يجب ألا يراك أحد انصرف .. سأنتظرك
 في بيتي .. سيقضى والدى السهرة في صحبة أستاذي عند الشاعر اكيون . سأكون رهن
 اشارتك ! ..

وجذبت من ذراعه وهو في غفلة الفرح ، وتسلك به بين الأعمدة الى حجرة النذور
 ولما بلغا الباب استوقفته لحظة ، وقبل أن يعانقها عانقه هي وقبلته ، فزهاه الفرح وأعماه ،
 وأبى الا أن تستبقه برهة أخرى ، ولكنها دفعته عنها في رفق فأطاع ، وانصرف وهي
 تشيعه بنظرة هامة ملؤها الانبي والحسرة والاحتقار

وأجالت الطرف في رحبات المعبد ، واستقر بصرها على والدها وهو ما يزال يصلي .
 فاستغربت كيف يستطيع أن يصلي ونية القدر والحياة قتلًا نفسه
 وأماجها منه هذا الحسوع وهذا التقى وهذا الاطمئنان العجيب . وأدركت ان ضميره
 لا يؤنبه ، وانه قد خان بلاده عن عقيدة لا عن مصلحة ، فزاد سخطها عليه لخروجه عن
 الاجماع وجراته على كحدى ارادة الشعب
 وفي مثل لمح البرق تصورت ثوب الثورة ، وهزيمة الجيش ، ودخول الفرس بلادها
 غزاة فاتحين ، فضمت شفتيها غلا وحنقا ، وهالها كيف يمكن أن يقع كل هذا بواسطة هذا
 الرجل ، كما هالها ما ينتظرها على يده من عار
 وتغلغل سكون المعبد في أطواء نفسها ، وأسلمها بجمع عواطفها الى فكرتها الثابتة ،
 فابتهجت بوحدها وأحست الامن يثرىها ويدفعها ويهيب بها الا تضيق هذه الفرصة الفريدة
 التي حباها القدر بها

وتقدمت بضع خطوات وهي لا تدري على وجه التحقيق ماذا يجب أن تفعل . واذا ذاك
 وقع بصرها بالرغم منها على تمثال الالاهة فحدقت اليه ، ولبت هكذا جامدة شاحسة تضرع
 وتبتهل وتنتظر هبوط الوحي

وغابت عن صوابها فترة ، وشعرت كأنها تتخلل من كل أثر جسماني وكان روحها
 تدمج في روح الالاهة وتغنى فيها ، فعاودت التضرع والابتهاال ، ثم دبت فيها الحياة فجاءه





ونالت عيناها ، وتحرك بدنهما
على دهن منها ، وكرت راجعة
الى حجرة النذور تدفعهما
ونحرسها قوة مجهولة لا قبل لها
بمقاومتها

وجعلت تنقل ابصارها في
انحاء الحجرة ، ونداء الالاهة
يقعها ، وصداه يرن في اذنها ،
ويغم قلبها حرارة وايمان وعزما
وكانت القرايين من فاكهة
وطيور ولحوم ماتزال في الحجرة
لم يوزعها الكهنة بعد على الفقراء
وكانت الجدران مزدانة بأساور
واقراط من فضة وذهب ،
وبسائيل صغيرة للباس ، وبسبوف
وخناجر مرصعة بالمقايض بالاحجار
الكرمية ، وكلها نذور جمعت في



هذا المكان اعترافا بجميل الالاهة وتمجيذا لمجزاتها. فرفعت هسيا ذراعها واحتفظت أحد
الحناجر ، ومشت بخطى ثابتة الى الهيكل مدفوعة بنفس القوة ونفس العزم ونفس الايمان
ولما أوشكت على الدنو من الهيكل ، خلعت نعلها وصارت على أطراف قدميها وهي
لا تنفك ترقب حركات والدها . وعندما ألفت أمامها ساجدا يصلح عنى الرأس محدودب
الظهر بارز العنق ، أغراها سكونه وعجزه ، فحبست أنفاسها جهدها ، وقبل أن تضعف
وتردد ، وقبل أن يئنه ويلتفت ، طمعت في عنقه بملء قوتها ، فالتفت الرجل وعرفها ،
فصرخ والدم يتدفق من فمه : انت يا هسيا ؟ . .

ثم نهض وهو يتلوى ، ثم حاول أن ينتزع الحنجر من عنقه ، ثم خائنه قواه فسقط على
الأرض ، وجعل يزحف نحو ابنته ، مشرب العنق اليها ، متعلقا بأطراف ثوبها ، ملتصقا
منها المعونة والرحمة . ولكنها ابتعدت عنه وأشاحت بوجهها ، وظلت في هدونها الوحشي ،
جامدة ذاهلة حاملة ، تحديق الى تمثال الالاهة بالاس

ولما انتهى الصراع وخفت الصوت ثم تلاشي ، تنفست هسيا وألقت على جثة والدها
نظرة ، ثم استجمعت قواها ، واستدارت ، وخرجت من المبد بسرعة

وكان الفيلسوف جالسا مع صديقه أوريون على مقعد من حجر في طرف من أطرافه الميدان المحيط بالمعبد ، وحوله زحط من الفنانين والشعراء وبائعات الهوى ، يبارزون في انشاء القصائد الوطنية والغزلية ، ويناقشون في شتى الموضوعات الادبية والفلسفية ، وينحدون عن العقل والنفس والخلود ، ثم يؤلفون شبه حلقة توسطها نبات الهوى رافضات على نغم لين متماوج يعزفه أحد الفنانين على قيثارة

وكان البعض من أولئك الفوانى يستملحن مداعبة أوريون ، رغم دماسته ، ويعرضن عليه الزواج منه ، ويتكهنن بسؤاله عن غرامياته ، ولا ينفرن من وجهه المنفر بالجدوى ، غير انه عند ما كان يخدع بمواطفتهم وينتهى من احداهن قبله ، كن يتكرن على الفور له ، ويدفنه بعيدا كالكرة ، ثم يوسعه لكما وركلا ، ثم ينهلن عليه بالنكات الصارخة والمغامر المنكرة ومن يقهقهن غير حافلات بصيحات الفيلسوف وقد أشفق منهن على صديقه المشوه المسكين العاثر الحظ

ولم يكن في قلوبهن ولا في قلوب رفاقهن الشعراء والادباء والفنانين ، أى احساس بالرحمة نحو كل ما هو دميم . كانوا يكرهون الدماثة ويرون فيها صورة الشر وكانوا يعبدون الجمال ويرون فيه رمز الخير ، وكان الفيلسوف يعنى عليهم هذا الضرب من التفكير ، ولا يفتأ يقول لهم ان الجمال الحسى شئ رائع ، ولكنه لا يؤدى وحده الى أى كمال ، أما الجمال المنوى حتى ولو اقترن بالدماثة فهو الشعلة السرية المرتعة ، وهو القوة الخالقة المستورة الهادية الى كل كمال

ولكن القوم كانوا شبابا ، وكانوا أصحاء ، وكانوا يتطلعون نحو مثل أعلى هو اقتران ذلك اللوين من الجمال ، فعنا حاول الفيلسوف افناعهم بأن الامثلة العليا نادرة التحقيق ، وان الحياة لا تمتح في الغالب الا جزئا منها ، وأن الكمال المنشود وان كان قبله العقل الا أن الرحمة هي قبله الروح . أجل . حاول افناعهم عينا ، ولم يستطع انقاذ صديقه المسكين منهم فكان يرنو اليه ينظرة أسفة طيبة ويقول له وهو يربت على كتفه :

- احتمل .. احتمل يا صديقى .. كل شئ في الحياة يجب أن تدفع ثمنه .. أنت تتمتع بمجالسة الحسان والفنانين وهم يلهون على حساب دماثتك .. ولكن الرابع في الحقيقة هو أنت ، لأنك تألم ، ولأن الألم يجعلك أقوى وأنبيل منهم جميعا !

وفيما هو يتكلم ، والفوانى يرقصن ، والفنان يعزف ، وأوريون يفكر في حظه ويحتمل كما نصحه له أستاذه ، اذا بهسنا مقبلة عليهم ، تمشى وكأنها نائمة ، وبصرها شارد ، وغلايتها البيضاء وقد لفحها النسيم ترفرف من خلفها كجناح طائر هوى على الارض متخفا بالجراح ما ان لمحها الصديقان حتى استأذنا وتبعاهما ، فأحست آخر الامر وجودهما بالقرب منها كما يحس المريض النافه عودته فجأة الى عالم الاحياء ، فاستندت الى ذراع أستاذها ، وسار الجميع بخطى متعاقلة ، والفيلسوف لا يجسر على الكلام ، وأوريون يحترم صمت

هسّيا ، ومتوهم أن التماثر المقدسة التي قامت بها الساعة هي التي ما تزال تخلع عليها هذا السكون وهذا الجلال

ويرم الفيلسوف بالصمت الطويل ، وأوشك أن يتكلم ، وكاد أوريون بنفس عن صدره بإبداء بعض الملاحظات القاسية يثار بها من الأدياء والفوائى الذين عبثوا به ، ولكن هبة الفتاة عقدت لسانيهما فأترا السكوت والانتظار ريثما يصلوا الى البيت وهكذا كانوا يسرون كمن دفنوا عزيزا لديهم . وكانت هسّيا كأنها هي المنكوبة ، لم تجد غير صديقين شيئا فقيدها ثم عادا معها لا يجسران حتى على العزاء ولما دخلوا البيت ، وأجصر الفيلسوف وصديقه ، الضابط كرونوس جالسا في البهو الكبير ، تراجعاً مذهولين ، واثقاب أوريون واكفهر وجهه ، ونهض الضابط ممتضا مستنكرا عودة هسّيا في صحبة هذين الغريبين وهم أوريون بالانسحاب وأقضى به أستاذة ، ولكن هسّيا أشارت اليهما بالجلوس ، ثم ارتقت على مقعد وطلبت كوب ماء

وكان الصمت ما يزال تخيماً عليهم عاصفاً ثقيلًا خائفاً ، بحيث لم يكن واحد منهم ليجرؤ على تمزيقه والتفوه بكلمة . والواقع أن الخوف كان قد بدأ يذب في قلوبهم ، ويظهر هسّيا السلى كان قد بدأ يثير أعصابهم ويذهب بهم في تأويله كل مذهب وحتى الضابط استغرب من هسّيا هذا الجمود الفاجع بعد الابتهاج الذي ودعته به في الهيكل ، ونسبه الى القرار الخطير الذي اتفقا عليه ، فأراد أن يساعدها على صرف صديقها فلما منه أنها تورطت في العودة معها الى البيت وأنها تنوى الى الانفراد به ، فقال وهو يحنو عليها بنظراته ويختم:

— يلوح لى أنك راغبة في الراحة يا هسّيا بعد عناء هذا اليوم . .

فالتفت اليه ثم رشقته بنظرة حادة أذهلته . وعادت الى صمتها ، تعاورة وتروضة وتحاول أن تذللّه وتطوعه . وأخيرا وبعد جهد شاق استنفذ قواها ، وأحال عيها الناضر الجميل ضامرا شاحبا حامد الحيوية حاوى العصارة كوجوه المصروعين بعد أن تبرح بهم نوبة الصرع الفاتكة ، قالت في هدوء مخاطبة أستاذها محدقة الى عييه الذكيتين :

— اعلم أن أبى قد مات . وأنى قتله الساعة في الهيكل !

فنظر الفيلسوف اليها ، ثم أحال بصره فيمن حوله ، ثم جرد الجميع في أماكنهم ونظلموا اليها مبهورين ، ولكنها أردفت بصوت لا لون له :

— كان أبى خائنا لبلاده ، وكان قد صدر أمر القائد الى كرونوس بقتله ، ولقد أحجم كرونوس ، فقتله أنا !

وأسبلت أجفانها وتهدت ، ثم استطردت تقص ما حدث بمبارات متقطعة وقد بدأ صوتها يعلو ووجهها الشاحب يلتهب . ولما أتمت قصتها توقفت هنيئة ، ثم أمسكت بيد أستاذها وجعلت تهزها في عنف وتردد وهي محمقة فيه :

- أريد حكمك .. أريد حكمك .. هل أنت راض عما فعلت ؟
 فلم يجب الفيلسوف على الفور ، بل نظر إليها طويلا ثم قال : هل أنت سعيدة ؟ ..
 فصرخت : كل السعادة !
 فقال : ولم أنت سعيدة ؟
 فأجابت : لأنى شاعرة تمام الشعور أنى أنقذت بلادى وشرف أسرتى !
 فأخى الفيلسوف رأسه وقال : اذن فقد أصبت يا ببنى ، ولانت فى نظرى أقدس مخلوق !
 ولم يكذب على هذه العبارة حتى كان أوريون قد جثا عند قدمى هسثيا وطفق يقبلهما
 فى حرارة وهو يهتف :
 - أنت روح بالاس ! .. أنت روح بالاس ! ..
 فطوقت هسثيا ظهر الرجل الدميم ، ثم انهضته فى رفق وقالت له وهى تأمل وجهه ،
 كأنها تروض نفسها على النظر اليه والالتئاس به :
 - من استاذى تعلمت الحكمة والقوة ، ولكن الوطنية والتضحية تعلمتهما منك أنت
 يا أوريون !
 فاطرق كرونوس تحت وقع الاهانة واصفر لونه ، ولكنه لم يستطع كظم غيظه وأشار
 الى أوريون باحتقار وهو يقول فى لهجة نابية شاعت فيها وقاحة وغلظة جماعة المرتزقة من
 الجنود :
 - أمن أمثال هذا الرجل أصبحت تتعلمين الوطنية ؟ ..
 فامتقع وجه الرجل الدميم ، أما هسثيا فقد لمت عيناها ولم تجب ، بل نهضت لساعتها
 وطوقت أوريون بذراعا للمرة الثانية ، ثم تقدمت به نحو كرونوس ، وقالت بصوت
 جهوري لمن كان بالأسخس خليفها وحيدها :
 - هذا الرجل هو زوجى !
 وتاولت الوجه البشع المشوه بين يديها ، وانحنت عليه فى عطف خالص عميق ، وطبعت
 على فمه المجدد قبلة
 فبهت كرونوس وأومض محيا الفيلسوف وارتسمت على شفتيه ابتسامة راضية متهمكة

ولم تنشب الثورة بعد مقتل الزعيم ورفاقه . وانتصر اليونان فى المعركة بعد أيام والقوا
 يمدوهم فى البحر . وأدرك الناس قيمة التضحية التى بذلتها هسثيا ، فكرمها القائد
 ملبثادس بأن جعل منها أول عذراء يونانية يحتفل بزفافها فى حرم هيكل الالاهة بالاس
 اثينا !

القصر الروماني أسيرة الظلمة

طيطس هو ابن فيبازيان الإمبراطور الروماني ، وقد حاصر أيام حكم
 والده مدينة أورشليم وهدمها بعد أن دافع عنها سكانها دفاعاً لم يشهد
 التاريخ له مثيلاً . وهذه القصة ترمز واقعة الحب المشهورة التي جرت بين
 طيطس وبين الأميرة اليهودية ييرينيس قبل أن يصبح طيطس إمبراطوراً

قال لوسيوس وهو يرسل بصره الى الافق البعيد وقد لاحت على وجهه أملاوات الجد
 والاهتمام :

— إن حديثك ليثقل الرعب في نفسي . . ما كنت لأتصور أن رجلاً مثلك تخونه نفسه ،
 فيفشي بدخيلة قلبه الى روماني يبنضه أشد البنض ، ويعتقد اعتقاداً راسخاً أنه ألد أعداء بلاده ؛
 فتهض سمعان وجميع أطراف ردائه التفضاض . وضعا الى صدره ، ثم اتى على الروماني نظرة
 ملؤها الحقد الدفين ، وقال وفي صوته الأجنس نبرة غريبة تمتزج فيها الكراهية بالهراء :

— أتريد ان أصارحك يا لوسيوس بكل ما يحول في صدري ؟ اسمع إذن . . انك وان تكن
 من أخلص أصدقائي ، فليس في وسعي ان أكتفك الحقيقة التي تتحدث بها السنة اليهود جميعاً ..
 نحن شعب يؤمن بالله واحد وأتم كفره تعبدون الحجارة والعطين .. لقد سامنا حكامكم شر أوان
 اللذلة والمهوان . اتزعتم أملاكنا واستلبتم خيراتها واستجتم أعراض نساتنا وولنم علينا حثالات
 حكامكم وعباقرة للسبدين منكم ، فما ازددنا إلا بضاً لكم ، وما ازددتم إلا كبرياء وغطرسة
 وعتواً . فكيف تطلبون الينا بعد هذا أن نمنحكم قلوبنا وعواطفنا وإخلاصنا ، وان نذود عن

امبراطوركم بدماء أبنائنا ؟ .. أورشليم هي المدينة الخالدة بفت الايمان العميق ، وسندافع عنها بكل ما أوتينا من قوة ، وبكل ما أودعه الله في صدورنا من حرارة وثقة بالمستقبل .. على اني يا صديقي لوسيوس أحترمك وأحبك بصفتك الشخصية لا بصفة كونك من كبار تجار الرومان وأحد كبار أصحاب النفوذ في روما . أعترف على ما يدالك مني ، واعلم أن اليهودي لا يقل وطنية عن الروماني ، وأنه يستطيع أن يجمع بين حبه لبلاده وبين تقديره لصداقة رجل يعتبر من أعداء اليهودية

قال سمعان هذه العبارات وهو يرمق لوسيوس بعينه الصغيرتين الحادتين . ولما أتم كلامه عاد جلس على مقعده الصغير ، وظل يداعب يده اليسرى جبات سبخته بينما كانت أصابع يده اليمنى تمسح بشعر لحية الغزير الأبيض

وحانت منه التفاتة ، فأبصر صديقين له يغترقان جمهور السابلة ، ويتقدمان نحو حائوت مجاور لحائوته ، فهم بالهوض ثانية . ولكن لوسيوس جذب من طرف رداثة وقال : دع أصدقاءك الآن .. ليس من الحكمة أن تعقد للوامرات في حائوتك ، وأن تثير على روما ثائرة أصدقائك .. الكل يعلم أنك أنت الرأس اللدبر ، وانك أنت صاحب السيطرة على أهل هذا الحى بأسره . . . نصيحتي لك أن تكف عما أنت أخذ فيه ، والا فقد تجررك وطنيتك الرعناء الى مالا تعد تحفيها .. لا تظن أنني قد أشى بك يوماً ، فأنت صديقي ، وللصداقة حرمتها المقدسة ، ولكن لا تنس أن العيون والأرصاد قد بلت على أيضاً ، وأنهم لو علموا بأنى أكثر من زيارتي لك فالتيجة المحنومة القاء القبض على عليك أنت أيضاً !

فنهف سمعان :

— السجن ! .. لا يمكنك أن تتصور مقدار السعادة التي يمكن أن أشعر بها لو أنهم أطلقوا بي في غياهب السجن من أجل قيامي بواجبي المفروض على في سبيل وطني ! .. أنتم الرومان تحبون الحياة وتتشدون الفرح وتسعون وراء اللذائذ وتستمرثون حلاوة العيش في ظل الأمن والدعة .. قلوبكم تجررت ونفوسكم مرضت وعقولكم تلبت ، وما عدنم تحفلون بغير النعيم الذي أغدقته الفتوحات عليكم . .

أصبحتم وقد خنمت الانانية على أبحاركم أشباه رجال لا يأبه الفرد منكم لشيء ، ولا يحيا إلا لخدمة أهله وعشيرته وثروته ، كأن الدنيا قد جمعت في محيطه المحدود ، وكأن العالم يجب أن يستحيل الى متعة كبيرة تخدم اليه وحده .. هذا أنتم ! .. وتلك هي الحال التي انتهيت اليها بفضل تنازعكم واتقسام البعض منكم على البعض الآخر وإفراطكم في اللذائذ والشهوات . . أنتم رجال الفرح أما نحن . . نحن اليهود فأبناء الألم . . الألم الشديد . . الألم القاسي . . نحن نستعذب الألم ونطلبه ونهرع اليه ونستمد منه قوة التضحية وقوة الخلاص . .

وكما أمتعتم في اضطهادنا وكما ازددنا شعوراً بالألم والعذاب ، أدركنا معنى الحياة واشتد إحساسنا بقيمتها وهفت نفوسنا الى ذلك الضوء الساطع ، الضوء العظيم ، الضوء للنقد ، ضوء الاستقلال والحرية !

وصمت سمعان وهو يلهث ، ولكن لوسيوس عاجله بقوله :

— احذر . . . احذر يا صديقي . . . إن روما لا تقاوم وطيطس لا يمكن أن يهزم . . . ما يجدى الإيمان إزاء القوة ، وما تنفع حرارة الصدور إزاء النار للهلكة . . . ربما . . . ربما كان ما قلته صحيحاً . . . بل أنا أعتقد صحته ، وإن كان من واجبي ألا أصارحك بذلك . . . أجل . الامبراطورية تحتضر . . . معاول الدم تتهال عليها من كل صوب . . . أعداؤها واقفون لها بالرماد . . . المسيحية وحدها توشك أن تجهز عليها . . . ولكن احذر . . . احذر التفاؤل ولا تستلم لتيار الأمل ، فالحياة قد تتمشى في أوصال المحتضر ، وقد يصحو صحوه أخيرة ينجز فيها من المعنائم ما لم يستطع أن يحققه وهو في عنفوان القوة وشرح الشباب . . .

فصاح سمعان وقد انتقدت عيناه :

— متى أشرف المريض على الاحتضار فأقل صدمة تكنى للقضاء عليه . ونحن وانتمون من أنفسنا ومن نشوة التضحية العامرة بها قلوبنا . ومهما حاول طيطس فسنلحق به أكبر هزيمة عرفها التاريخ . أما لو قدر الله ولما علينا ودخل أورشليم وانتحها عنوة وانتداراً ، فيشهد العالم أننا رجالاً ونساء ، شيوخاً وأطفالاً آثرنا الموت جميعاً على حياة مهينة ذليلة هي والعبودية سواء . . .

فابتسم لوسيوس ابتسامة الرجل العتير بنفسه الواثق بعظمة أمته الفخورة ببل عنصره ، وقال وقد انحنى على صديقه وجعل يربت في رفق على كتفه :

— لو أوصيت إلى . . . لو طاوعتي . . . لجعلت منك أكبر تجار هذا الحى . . . أين هي ثروتك ؟ . . . ماذا جمعت حتى اليوم ؟ . . . لقد بلغت الستين من عمرك وما زلت في حاجة الى هذا الخانوت حيث تبسيع أنواباً رثة مستعملة بتصدق بها عليك بعض الأغنياء من أبناء جلدتك . . . عتياً حاولت أن أهديك الى السبيل السوى . . . الى طريق المجد والثروة . . . فعد الى رشذك وتحرر من أوهامك ، ودع التآمر على روما والرومانيين ، وكن عملياً كأبناء جنسك . . . كن بصيراً بالعواقب قبل فوات الوقت . . . كن عاقلاً وحكيماً . . . سهاجمك طيطس . . . سيدمر مدينتكم الخالدة . . . فدع وطنك للقدر واتبعني . . . اتبعني الى روما . . . أما اذا كان ذلك فوق طاقتك فلا أقل من أن تصمت وتتفص يدك من أصدقائقك وتغلق هذا الخانوت وتتبع في دارك . . . ولو فعلت . . . لو فعلت فأنا الكفيل بجعلك بين عشية وضحاها من أغنى أغنياء اليهودية ! . . . هذه فرصة يا صديقي ، فاقبضها . . . الحرب على الأبواب وأثم هالكون لا محالة ، فلستمع لصمى

ودع الحق من أهلك وأهل يقتلون ما شاء لهم الغباء للركب في الطبع البشرى ... نصيحتي إليك أن تبني ... فكر ... فكر ملياً ... فلن يكون لك في غد أى أمل !

فأثمت حدقتا سمعان ولمع فيهما بريق غريب ، بريق العناد المروع الكامن في نفس كل وطن متعصب لوطنه الى حد الهوس والجنون ، وقال في صوت غائر رهيب :

— أنتقد أنى أقيم لحياتى التافهة العابرة وزناً ؟ أنا لا أنشد غير الحياة لبلادى وللوت المحيد لشخصي ! لقد كان في وسمى أن أستغل صداقتك بعد أن أخذت حياة ابنتك ، ولكنى فضلت أن أظل بالنا وقبراً على أن أتقاضى منك ثمنك على محض قياى بواجب انانى بسيط !

فأبرقت أسرار لوسيوس ، وطوق صديقه بذراعه وقال في لهجة نرم عن الصدق الخالص وعرفان الجليل :

— لولاك لفقدت ابنتى الوحيدة العبودة ليديا . لولاك لانتك حرمتها ذلك النبيل الرومانى الذى اختطفها من دارى وحاول اغتصابها . لولاك لحرمت من نور حياتى وبهجة شيخوختى . أنت أخذت ابنتى . أنت بجرأتك وقوة ساعدك صارعت الرومانى الشاب وقهرته وسهلت لابنتى سبيل الفرار . فاستمع لى... دعنى أرد اليك جيلاً بجميل ... يؤلمنى أن أراك مهزداً في حياتك ... أريد أن أنهلك كما أنهت ابنتى ... لن أشعر باكتمال سعادتى إلا يوم أن تشاركنى أنت فيها ويوم أعلم أنى استطعت أن أجعلك رجلاً آمناً سعيداً
فهز سمعان رأسه وقال في هدوء :

— قلت لك إن السعادة الشخصية لا تهمنى ... سواء لى السعادة والشقاء ... من أنا ؟ . . لا شىء . .

لست بالشىء المذكور . . أنا رقم بين أرقام . . أنا نبتة وضيفة في أرض نباتها مشثوم . . لا ينمو ولا يشعر ولا يؤتى غير للرض وللوت . . لأن يد الفارس لا تتعهد الغرس ، لأن يد الفارس مجرمة وملعونة ، لأن يد الفارس لم تجد جد من يقطعها ، ولكنها متجدد . .
وهنا أرسل سمعان صرخة مدوية وأردف :

— بل لقد وجدت . . لقد وجدت من يقطعها !

فهب لوسيوس وحمقى في صديقه وقال في دهشة :

— ماذا تعنى لم أفهمك !

قهقهه سمعان قهقهة طويلة واستطرد وهو يعد حبات سبخته :

— في كل مرة غلب فيها اسرائيل على أمره أنهزته امرأة . . وفي هذه المرة ستنقذه أيضاً امرأة ...

فطأطأ لوسيوس رأسه وفكر قليلاً ، ثم قال في حمس :

— ومن تكون هذه المرأة ؟

فابشم الشيخ سمعان وأجاب :

— هذه أسرارنا ولا يمكن أن أفشى بها إلى انسان ولو كان أنت يا لوسيوس ! أما أن انزل

على رأيك وأهجر بلادى في الساعة التي هي أحوج ما تكون إلى خدماتي ، فذلك خيانة صارخة يا صديق ، واسرائيل لا يمكن أن يخون !

وكانا يتحدثان وجمهور السابلة مزدحم أمام الحانوت ، ذلك الجمهور الذي يتقاطر على اورشليم من مختلف أنحاء الإمبراطورية ، ذلك الجمهور للتباين الأشكال والأجناس والأزياء والاديان ، ذلك الجمهور الذي يجع به الشارع الضيق وتختلط لهجته وتتضارب وتمازج في صورة عجيبه تثير الضحك والدهشة والاستغراب

وكان الشيخ سمعان يتكلم ولوسيوس ينصت إليه وقد لاحت خلفهما أكوام الثياب الرثة مكسكة فوق الرفوف في جوف الحانوت ، واللباءات والقفاطين تتدلى من السقف أشبه بعث رجال شقوا بعد أن قطعت رؤوسهم ، والغلام يوسف سبي الحانوت يندو وبروج متقلبا في زواياه ، يرسل الآونة بعد الأخرى نغبات خفيفة رفيقة من أنشودة دينية كان قد بدأ يتعلمها على يد الشيخ سمعان

ونهمز الروماني وهم بالانصراف ، فانهكست عليه أشعة الشمس الغاربة ، فبدأ مديد القامة عريض النكبين مفتول الساعد رائح الجلال بوجهه البياض وجبينه العالية وأنفه المستقيم وذقنه البارزة بعض الشيء حيث تكرر الاودة ويستقر المزمع المهادى العبد ونهمز الشيخ سمعان أيضاً ، وصافح صديقه ، فتجلت في الواحد منهما صورة الشموع للطمثن وإلى الآخر رمز العناد الواثق الجبار

وقال لوسيوس وهو يهز يد صديقه في حرارة :

— لست مشغولا عما يمكن أن يحدث لك في غد . . . لقد أرضيت ضميري وقت بواجبي

وأثرت لك سبيل النجاة . فأنت الآن وشأنك

فأرسل سمعان ضحكة عصبية وقال :

— خير لي أن أموت في أرض آبائي من أن أعيش في روما ملطخاً بالعار !

وما ان انصرف لوسيوس وغاب عن الأبصار في غمرة الجمهور ، حتى لوح الشيخ سمعان لغلامه يوسف وأصدر إليه الأمر باغلاق الحانوت ، فغفر الصبي إلى أكداش البضائع وشرع ينظّمها ويرتبها ويقرها في مواضعها وهو لا ينفك يغمى بصوته العذب الحنون الذي طالما أشجى سيده وأعاد إليه ذكريات أحداثه أيام كان برتل هو الآخر في الكنيس بصوت لا يقل عذوبة عن صوت غلامه يوسف

وكانت الشمس نيل نحو الغيب ، والجو فائراً ، والنسيم عيلاً وحركة الجمهور تتضائل وتخفت شيئاً فشيئاً كقوة هائلة غير منظورة أخذت تتطوى على نفسها وتتكشف وتزحف منسابة من الشارع الى حيث لا يدري أحد الى أين يمكن أن تفيض وتستقر
وجأة غامت السماء وتلبد الأفق وهبط الليل وأغلق معظم الحيوانات ، وشاعت في الشارع الضيق هدأة مياغثة . قتلت الشيخ سمعان حوله وارتنى ققطانه الأسود الجديد ثم أوصد حانوته وصرف الظلام
ولما ألقى نفسه وحيداً تلفت حوله مرة أخرى واتأد لحظة ، ثم صعد نفساً مستطيلاً ، ثم جمع الى بطنه أطراف ققطانه كمن يتحفز للوثوب ، ثم سعل ومشط لحيته بأصابعه ، وانسل مخملياً وثيدة تحت جناح الظلام

كان أبطال الاستقلال اليهودي في ذلك العمر ثلاثة : رجل يدعى يوحنا جيسكالا وآخر يعرف باسم اليعازر وثالث أطلق عليه الشعب اسم شمعون بن جيورا
وكان الأول بسيطاً رجاؤه الى المنطقة الخارجية من هيكل أورشليم وعلى سفوح جبل موريا . وكان قد عهد الى أتباع الزعيم الثاني بالدفاع عن الهيكل نفسه ، أما الزعيم الثالث فكان يتسلط بأعوانه على جبل صهيون
وكانت كل آمال اليهود معقودة على هؤلاء الرجال الثلاثة ، ولا سيما على الأول الذي اشتهر بمحنته ودعائه ومروته السياسية وعقوبة رجاله في شن فنون القتال .
ولم يكن في العالم شخص يقدمه الشيخ سمعان بعد الله إلا الزعيم جيسكالا ، وكان يصدع لأوامره ويتلقى منه مبادئ الثورة ويبدل قصاره في نشرها بين طبقات العامة ، تلك الطبقات التي ضاقت ذرعاً بالحكم الروماني ، والتي احتملت على يد الرومان مختلف ضروب الأسف والتي استعمرت اليوم أن في نية القائد الروماني طيطس أن يعزو بمحافلها مدينتها المقدسة . وأن يدمر أعظم وأقدس شيء لديها ألا وهو هيكل أورشليم
قال الزعيم جيسكالا اتجه الشيخ سمعان بعد أن عرج في طريقه على بيوت نفر من أصدقائه واقتادهم معه

وكان الزعيم يقطن منزلاً صغيراً كائناً في ضواحي المنطقة الخارجية من الهيكل . وكان رجلاً قصير القامة مليء البدن متزن الحركة والاشارة ، تنبث من عينيه الواسعتين نظرات صارمة تفيض بالجلال والهيبة

وكان عتاز بلباته العجيب وهدونه الحارق وضبطه التام لأعصابه عندما تعرض عليه مشكلات السياسة ، كما كان يمتاز بسرعة الذكاء وسرعة التقرير والفصل عند ما تعترضه مشكلات الحرب

للعدة فتخصيته الفسدة جمعت بين نبوغ السبى ونبوغ القائد الحربى . ولما كان يعجب به أنصاره ومريده أشد الإعجاب ، وكان يتقبل إعجابهم فى بساطة رائعة لا يستخفه المجد ، ولا يتطرق إلى نفسه الكبيرة أيسر شعور بالمرزة الفارغة والزهو الباطل

وكان على علم تام بخطط العدو وحركاته وحق مقاصده بفضل شبكة من جواسيسه المخلصين ، أحكم تنظيمها ومد أطرافها فى جميع بقاع اليهودية

فلما دخل عليه الشيخ سمعان زاجع مبهوتا ، ووقف وقد انعقد لسانه وغلظه شبه ذهول شاهد الزعيم جالسا على كرسى من خشب فى حجرة عارية ، وبالقرب منه امرأة ساحرة الجمال ممددة على مقعد مستطيل ، عرف فيها للفرور للملك اليهودية ييرينيس

ونفض جيبيكالا لاستقبال الشيخ سمعان وعاقبه عناقا حاراً وأوماً إليه بالجلوس ، فتقدم الشيخ إلى الملك وانحنى أمامها وقبل فى خشوع واحترام طرف رداها الأزرق البسيط ، ثم جلس على قطعة من الحصى أقيت فى زاوية الحجر وترجع ولم يحسر على البدء بالكلام

وكانت ييرينيس ، أرملة بولميون ملك كيليكيا ، قد اعتدت فى جلستها واتجهت بصفحة وجهها نحو الشيخ سمعان . وفى تلك اللحظة فقط رآها لأول مرة عن كثب ، وأمكنه أن يفرس فيها ويتأمل نشاطيها ويتحلى من جمالها الباهر الفتلان

كانت امرأة فى عنفوان أنوثتها ، غضة كالثمرة الناضجة ، بضة الاهاب ، ناصعة البشرة ، ذات وجه مستدير ، وشعر محمد فاحم ، وعينين سوداوين براقيتين ، وأنف دقيق ، وفم صغير ، وشفتين حمراوين بمثلثتين تلطف حدة الشهوة النبضة منها شبه ابتسامة بييدة خفيفة تحوم أبداً حول هذا الوجه الكامل الساحر الضياء

هذه الابتسامة كانت سر فتنتها ، وكان ليس فى مقدور إنسان بالغاً ما بلغ من الدكاء أن يدرك على وجه التحديق ما إذا كانت هذه المرأة سميدة أم شقية ، فرحة أم غاضبة ، عاشقة أم خالية ، ملك أم شيطان

كانت ابتسامتها تغلق على الناظرين باب نفسها ، وكانت تفتن لهذا ، فتحرص أشد الحرص على سر فتنتها ولا تبدو أبداً متجهممة أو مستاءة أو مكتئبة

آمال شعب بأسره كانت معلقة على استعدادة للتضحية وللوت وعلى هذه الأثني ا ولقد وفدت إلى اورشليم بعد أن تراءى إلى سمعها النبأ المائل ، وعلت بما يضره القدر لأهلها وذويها على يد القائد طيطس

كيف يمكن أن تبقى فى مملكتها ، وترتع هائلة فى نعيمها ، وتعم أذنيها عن سماع صرخات اسرائيل شعبها ، ولا تتقدم إلى الأخرى يوم الجهاد لتشارك فى التضحية والقداء ؟

جاءت ولم يعلم بمقدمها أحد ما خلا الزعيم وبعض أعوانه والشيخ سمعان . وهما ذى جالسة

جلسة المرأة الخاضعة الطبيعة ، وقد أنكرت نفسها ونيت أو تناسلت أنها ملكة وأسلمت قيادها للزعيم دون ما اعتراض أو تبرم

وزادها هذا الخوض الاختياري جمالا ، وأكسبها روعة الفدائيين المؤمنين ، ومثل فيها أمام أنظار الشيخ سمعان صورة أستير ، لا بل صورة يهوديت قاتلة هولوفرن ومنقذة شعب بني اسرائيل وتساعد صوت جيسكالا بخترقا حرمة الصمت :

— هل أنت متأهب يا سمعان ؟

فتطلع اليه الشيخ ولعت عيناه وأجاب :

— كل التأهب . . . رجالي على استعداد . . الأحياء الفقيرة بأسرها تنتظر إشارة منك . . رجالها مدربون على حمل السلاح . . نساؤها وشيوخها ، وغلماها ، وأطفالها ، عازمون على أتلوف اللعنات العامة وأشغال الحرافيق في أي جهة تريد ا

فهز جيسكالا رأسه ثم قال وهو يقطب حاجبيه وينظر أمامه نظرة ثابتة كأنها هو يقيس هول ما سوف يحمل من مشوليات :

— اعلم يا سمعان أن طيطس سيهاجنا صباح الغد ا

فأرسل الشيخ صرخة ونهض وهم بالكلام ، ولكن جيسكالا استطرد فقال :

— جاءني النبا ظهر اليوم ، ولذلك أرسلت في طلبك ، سنلقى أورشليم بعد ساعات أهوال الحراب والدمار ، ولكنها ستكون لنفسها صفحات مجد تظل أبد الدهر خالدة خلود أمتا على هذه الأرض ، فهي رجلك للعمل وبث فيهم روح التضامن والولاء والزم حانوتك غدا منذ الفجر وانتظر هناك أوامري ا

وقبل أن يجيب الشيخ سمعان بكلمة تحول عنه الزعيم والتفت الى يريئيس . وبغس اللهجة الأميرة والاشارة الخاسمة قال ا

— أما أنت فواجبك أن تارزى هذا المكان ولا تغادرى قط هذه الحجرة . وإذا شاء الله واتصمنا فلن أصبح في حاجة اليك وسأردك سالمة الى بلادك وعرشك . أما اذا تنكر لنا الحظ وكتب علينا المزرعة ، فابق أنت أيضا حيث أنت . . لا تبرحى هذا المكان . . ومتى وقعت أسيرة في يد طيطس فعندئذ يبدأ دورك ، دور تنفيذ العدالة وتحقيق الانتقام ا

وهنا لاحت دلائل الدهشة على عجا الشيخ سمعان وقال بالرغم منه :

— ولكن في وسعها أن تسرع منذ الآن الى مركز القيادة الرومانية ، ولعلها تستطيع إغراء طيطس ، فتجنب البلاد ويلات الحرب

ولم يكذبفه بهذه العبارة حتى نسف ، لأن جيسكالا تقدم اليه وأمسك بذرعه وجعل يهزها هزاً عنيفاً ، وهو يقول وقد جمعت عيناه وأرعد صوته وفارقه وقرة :

— ليس من الكرامة ولا من الثقة بالنفس أن نرسل إلى طيطس امرأة قبل أن نقاتله . قد يأخذ المرأة ومع ذلك يشهر الحرب . فنكون قد فقدنا الكرامة ، واستهدفنا للحرب بروح معنوية واهية فقدت شعورها بالشرف وجها الواجب للواجب نفسه . . . كلا . . . سنقاتل لأن واجبنا أن نقاتل فإذا ما تكسر السيف حلت محله السياسة ، تلك هي عقيدتي ، فأياك أن تضعف أو يخونك صبرك فتفت في رجالك أمثال هذه السموم !

فطأطأ الشيخ معان رأسه ولم ينبس بكلمة

وكانت ييرينيس تستمع للحديث وهي صامئة ، وأصابها الدقيقة الحادة الأظافر نعتت بحبات عقد أبيض زيتت به جيدها . وجأة انبعث صوتها حاراً رخياً سلساً كالنور شادياً كالجدول الرقراق :

— وكيف هو طيطس هذا ؟ . . . بلغني انه وافر الاحلس رقيق القلب . . . ألم تراه أبداً يا جيسكالا ؟

فأجاب الزعيم في هدوء : أبداً .

واستطرد بعد لحظة وكأنه يوقع كلماته على دقات قلبه :

— أعني على الله ألا نصبح في حاجة اليك يا ييرينيس . ومع ذلك اعلى أن القائد متى خرج من الحركة استحال في لحظة الى انسان . والانسان ينض على قوة واحدة هي العقل . ولكنه يصارع أبداً قوتين هما القلب والجسم . ففي وسعك لو تحطمت آمالنا أن تسلي القلب من طيطس تمهيداً للقضاء على الجسم .

فلم تكذب ييرينيس هذه المباراة حتى وثبت من مكانها بخفة هجبية غابت فيها رخاوة أعضائها ، واندفقت نحو جيسكالا برشاقة كرشاقة الفهد أو الهر النمر ، وقالت بصوت أجش يبع حقدًا وكراهية وصغر كفتح الأنف :

— لو وقع طيطس في قبضي فسيموت قبل أن يعرف لذة امتلاكك !

ودارت على نفسها كأنها ترقص وتستوثق من مرونة عضلاتها ، ثم أردفت وهي تضحك :

— أولى بكم أن تتأروا منه بأنفسكم لأنني أشفق عليه مني !

وانتهجت الى حيث للصباح الزرق الحافت القائم على منصة صغيرة في زاوية من الحجرة ، وجعلت تلاعب النار وتلهي بالنفخ عليها مما جعل الضوء يتلاوأ حولها ويأتي على الجدران ظلالاً رهية مرقصة

وفي تلك اللحظة فتح الباب ودخل منه الزعيان العازر وشمعون بن جيورا خياهما الشيخ سمعان ، وأحس أن من واجبه أن يصرف ، فاستأذن من جيسكالا ودنا من ييرينيس فأعنى أمامها ورفع طرف رداثها وقبله ، ولكنها لم تتحرك ولم تلتفت ولم تخفل به ولا بمقدم الزعيمين ،

وظلت مكانها جامدة ساهرة حاملة تفكر وهي تحدق الى النار ا

وكان ذلك في الأسبوع الأول من شهر حارس في العام السبعين بعد الميلاد . وكانت أعياد الفصح قد بدأت وتوافد اليهود على اورشليم من كل صوب ليؤدوا شعائرهم الدينية في المدينة للقدسة

ولاح فجر ذلك اليوم الربيعي الجليل ، بنفجياً ساطعاً . فالجاء كانت مصحبة والنسيم رطباً ندياً يملأ النفس صفاء وغبطة ويشيع فيها حب للرح وحب الحياة وعند ما بزغت أشعة الشمس شرعت جيوش طيطس في محاصرة أسوار المدينة ونصب بجانبها والتقدم بها نحو هذه الأسوار وطلق الرومان يقدفون الأسوار بالحجارة الكبيرة ليحدثوا فيها ثغرة يمكن النفاذ منها الى قلب المدينة

وتجمع أنصار جيסקالا وأعوان اليعازر ورجال شمعون بن نجورا وتسربوا من أقبية خفية وسرايب غير منظورة واندفعوا فجأة خارج الأسوار وانقضوا على الآلات للهلكة مستبشرين غير هيايين وجعلوا يدمرونها وهم يصيحون ويحارون وينشدون أناشيد دينية هستهض عزائمهم وتضاعف حماسهم وتلهب في صدورهم روح البطولة والایمان والاستشهاد واتفق أن طيطس خرج في سرذمة من جنوده يفحص الأسوار ويرقب سير المعركة ، فلما ان أحس اليهود وجوده بالقرب منهم حتى أطبقوا عليه وأعملوا سيوفهم في صدر جنوده وكاد هو نفسه يقع في أسرهم لولا أن تداركه حرسه الخاص وشقوا له طريق النجاة هذا الحادث أثار حمية اليهود ، كما قوى الرومان فأصلحوا في الحال بجانبهم وشددوا الحصار على المدينة ، وعادوا يقدفون أسوارها بالأحجار

واشتد القتال وانهاالت طلقات الجانبين ، فكانت الاحجار تنساقط على اليهود كوابل للطير فتشم البعض منهم ولحق البعض الآخر وهم في أماكنهم ثابتون يكرون على الجانبين ويقصون الرومان عنها ويبدلون قصارى الجهد في تحطيمها غير آبهين بأنات جرحهم وصرخات صراخهم وجث موتاهم وقد تكدست حولهم مغبرة دميمة شوهاء تفيض عيونها بالرعب وتضغ أشلاؤها بالدماء واستحالت الحرب الى سلسلة معارك دموية هائلة ودام الحصار طويلا واستغرق نحو خمسة أشهر ، وتمكن طيطس في خلالها من إحداث ثغرة في السور الخارجي تدفق منها عسكره الى المدينة ، غير أن اليهود وقد عقدوا العزم على الدفاع عن أنفسهم حتى النهاية ، كانوا يباغتون جند الرومان في الأسواق ويوسعونهم ضرباً وتشكيلاً ويحولون بينهم وبين السيطرة على أى حى من أحياء اورشليم

وحفرت الخنادق في الشوارع ، وأقيمت للتارتيس وأصبح كل بيت حصناً وكل زقاق مخبأً وكل فرد مقاتلاً ذكراً كان أم أنثى

ونفذ الطعام من جراء الحصار ولاج في البلاد شبح الجوع ، وأمن الرومان في طيناتهم ، وأمن اليهود في كفاحهم ، وكان اذا دب اليأس في نفس واحد منهم وأراد التسليم قتلوه وطرحوا جسسه طعمة للرومان

واقفن جيסקالا في إظهار كوامن عبقرته ، فأوعز الى ضر من رجاله بالخروج ليلاً واحتفالاً هوة عميقة وراء الأسوار الباقية التي لم يتمكن طيطس من هدمها ، وإقامة أعمدة خشبية كبيرة في وسط الهوة ثم تغطيتها بالرمل والطين

لما زحفت جيوش طيطس وقتلت مجانيقها واقتربت من الهوة ، كان رجال جيסקالا قد سبقوها واحترفوا وفقاً طويلاً تسللوا منه الى حيث الأعمدة الخشبية وأضرعوا فيها النار فتراخت الأرض بنخلة وماتت وسقطت المجانيق في الهوة والتهمها التيران

هذه المقاومة الباسلة أوغرت صدور الرومان حقداً على اليهود وضاعفت من طيناتهم ، فأطلقوا الحجارة على الهيكل برغم إرادة طيطس وهاجموه عشر ساعات متوالية وأشموا النار في قدس الأقداس فتكدست الجثث حول اللذيع وسال الدم على درجات الهيكل أنهاراً وأمن مشاة الرومان في تهليل النساء والأولاد الذين كانوا قد احتموا في الهيكل وطلبوا الخلاص في بيت الله

وجن جنون طيطس ، فشرع في هدم المدينة هدماً منظماً ونهب رجاله خزائن أورشليم واستولوا على أواني الهيكل المقدسة ، وتم للقائد الروماني النصر على أشلاء نحو مليون يهودي زادوا عن حياضهم ذود الجبابرة وجاهدوا وماتوا مستشهدين في سبيل الفوز بنعمة العدالة والحرية

ووقع الزعيم شمعون بن جيورا أسيراً في قبضة الرومان وكاد يلقى اليماز نفس المصير ، ولكنه استطاع أن يلوذ بالفرار وبقتحم هو الهيكل في غفلة من الرومان ، وهتاك على خراب قديم الأقداس وفوق درجات الهيكل المهيطة ، استل خنجره وأغمدته في عنقه قبل أن يتمكن الأعداء من القبض عليه . أما جيסקالا فقد اختفى ، وعبثاً حاول الرومان البحث عنه ، وأما الشيخ سمعان فقد أسرع الى يريئس بعد إحراق الهيكل وأبأها بالخناس الفاجع ، وأنهى اليأس أن الرومان جادون في إثرها ، وأقسم أن يعاونها في الأخذ بالتأثر والا يتخلل عنها مهما حدث

وكانت يريئس قد قضت خمسة أشهر الحصار في نفس البيت الذي أمرها جيסקالا بالبقاء فيه ، فلما دخل عليها سمعان ونظرت اليه أيقنت من الكثرة ، فلم تصرخ ولم تضطرب ولم يبد على محياها الجليل أى انفعال ، بل نهضت لقورها واستأذنت الشيخ وانطلقت نحو مخدعها فارعدت ثوباً رائماً من الحرر الاحمر زينته بورود كبيرة بيضاء وكانت قد أعدته لهذه الساعة ، ثم عمدت الى مرآتها

فشمط شعرها وألمبت فتنة وجهها بمختلف اللاحيق وتعلبت وتعلرت ثم خرجت تهادى وتخطر أمام الشيخ سمان

وفي تلك اللحظة سمعت ضجة كبيرة عند مدخل البيت ، فأجل سمان وانتفضت بيرينيس ولكنها ضمت شفتيها وكبحت جماح أعصابها وتقدمت بخطى مترنة ثابتة مرفوعة الرأس شاذة الأنف متأهة لتأدية واجبها هي أيضاً

وعندئذ فتح الباب في رفق وتراجعت بيرينيس اذ أبصرت نفسها تجاه طيطس وجهاً لوجه !

كانت الليلة رائعة البهاء ، لطيفة النسيمات محيطة الصمت ، وكان القمر يتقلب بين السحب أشبه بكرة كبيرة من فضة تتقاذفها الأمواج ، وكانت روما غارقة في سباتها ، راقدة رقدة هائلة قررة يستمتع سكانها بشق الأحلام اللذيذة التي أشاعتها في نفوسهم نشوة النصر

ولم تكن الجماهير الرومانية قد شاهدت أعياداً عظيمة كهذه الأعياد ، فالجيش الظافر عرضه الامبراطور فسبازيان وحيته الاسرة الامبراطورية كلها ، وحفلات المصارعة تعددت وتعاقت في رواء مستحدث أخذ ، وحفلات السباق تبارى فيها معظم الكبراء ، وليالى الصفو والمرح نظمها الحكومة بنفسها في الحدائق العامة . وأغدقت فيها على الشعب الخنبل للشدود مختلف ألوان اللذة والسرور

ومن نافذة القصر الذي أودعت فيه بيرينيس أسيرة مع الشيخ سمان ، رأت بعينها ، وقلبا بمنزق لوعة وحسرة أفراح هذا الشعب للتوحش البربرى الذي اجتاحت بلاد أجدادها وأذل قومها واقتادها مسلوية الحول أسيرة ترسف في أهلال الضعة والمهوان لم تعرف الكراهية الصادقة الآخذة بتلابيب كل عاطفة من عواطف النفس الا في تلك الساعات

استحوذ عليها الحقد . تملك من كل جارحة فيها . غمر قلبها . أضرم فيها أبشع غرائز أنوثتها . أحلما الى عنصر هائل جامع من عناصر القسوة والشر

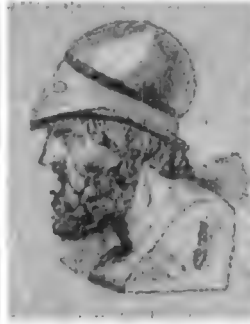
وكان القمر يصب أشعه عليها وهي مستلقية على أركة عالية قوائمها من الذهب الخالص ، تكسوها الطنائس وتنثر منها الاغطية الحمرية الزرقاء وتتبعثر عليها عدة وسائد صغيرة مختلفة الألوان محشوة بربش النعام ومجلاة بالحمم وشيت عليه أزاهر وأطياف مغيوط من فضة وأسلاك من ذهب

والقت نظرة عابرة على الشيخ سمان القابع عند قدميها ، ثم تحولت الى النافذة وأجالت بصرها في سماء المدينة النائمة . وقالت فجأة وهي تتأمل نفسها معجبة بحركات أعضائها للشفقة للمعشوقة وكيف تنقبض وتبسط وتتلوى في ضوء القمر :

قواد حرب استقلال اليونان ضد الفرس



مليتياديس



أريمينيس



ثيمستوكليس

[أنظر قصة بطولة الفداء هسثيا صفحة ٣٢٣]



الجيش اليوناني يفرصه غمار الحرب ...

[أنظر قصة بطولة الفداء هسثيا صفحة ٣٢٣]

بين طيطس ووالده

موقف عتاب بين
الأمبراطور فسبازيان
ووالده طيطس الذي قاد
الجيش الرومانية التي
حاصرت مدينة أورشليم

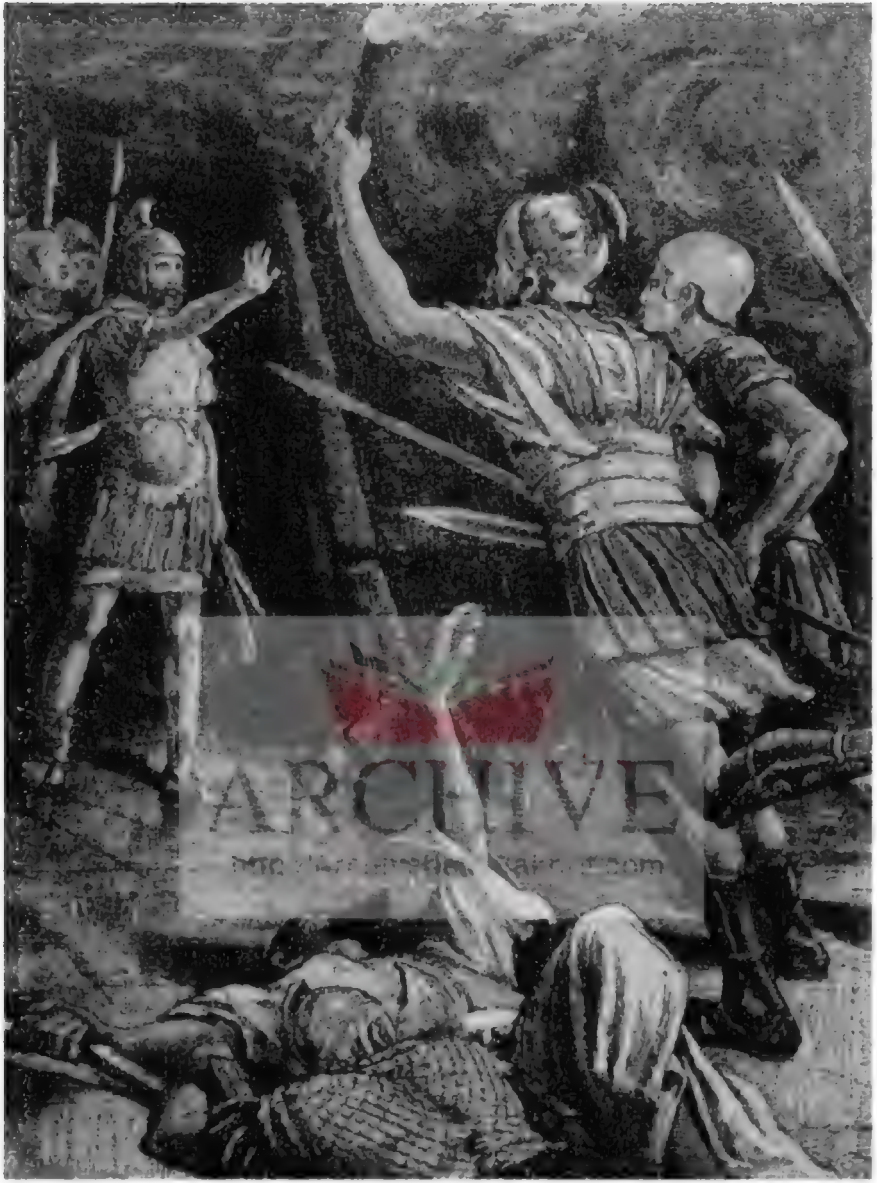
حصار الرومانيين لأورشليم

... وشدد الرومان
الحصار على المدينة ،
واشتد القتال ، وانهك
مقاتلات المجانيق ، فكانت
الأحجار تنساقط على

اليهود وتفتك بهم

[أنظر قصة أسيرة
الطاغية ص ٣٤٥]





حرق الهيكل

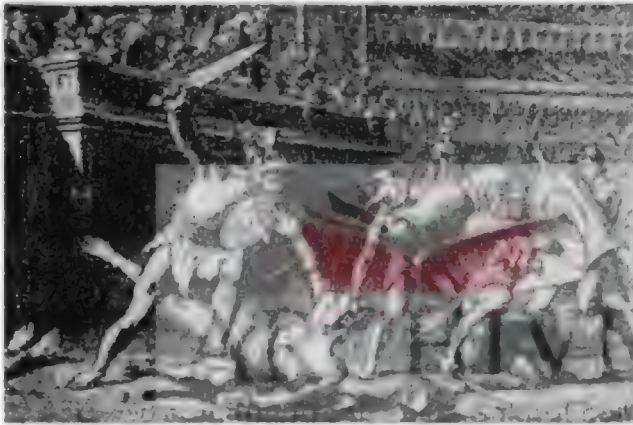
... واقفتم الرومان الهيكل ، وأشعلوا النار في قدس الأندلس . .

[انظر قصة أسيرة الطائفية ص ٢٤٥]



واحتل الرومان يهوذا
أورشليم ، وأقاموا
الأعياد العظيمة الرائعة
أولاً متتالية ...

... تحدثت حفلات
المسكرة في رواء أخلا



... وأقيمت حفلات
للبارزة عنوان البطولة
الرومانية وشهدتها
الجماعة



... وأقيمت حفلات
الساق ، وتبارى فيها
معظم الكبراء

[أنظر قصة أسيرة
الطائفة ص ٣٤٥]

— هل سمعت شيئاً يا سمعان ؟ .

رفع الشيخ رأسه وأجاب :

— ذلك وقع خطي الحرس . وما أظن طيطس قد أقبل بعد

وجمع أطراف قفطانة وزحف إليها وصدره يعلو ويهبط ولحيته البيضاء ترتعش والبغض يبرق في عينيه ويغلي في مخارج صوته وغمغم : الليلة ؟

فسمت قبضتها على مروحة كبيرة كانت بجانبها وضربت بها الأرض ، وأجابت في صرخات غزوفة متقطعة :

— الليلة نعم وليكن ما يكون ! عشرة أيام وأنا أنتظر . أعربت مراراً للحرس عن رغبتي في رؤيته ، ولكنه أرسل بعثراً ، ثم وعد بالهجر . أمس فأخلف ثم أوفد ظهر اليوم رسولا يعلن قدومه هذه الليلة ! وهانذا أنتظر . أنتظر وملء نفسي الثقة بنفسي ! لم أضيع الوقت . أعددت عدي . قضيت الساعات في غدعي أمام مرآتي . طوعت محاسن لارادتي . جربت على نفسي أفانين سحرى . رضت حركاتي وإشاراتي ونظراتي على تأدية أبلغ ما يمكن أن تؤديه أنني تصدت لأغراء ذكر ! أصبح جسمي أتوناً معدداً لكي نحترق فيه رجولة طيطس . وعند ما تذوب رجولته وينهار أمامي صرح عزته ويخضع ويحنو لسلطان علي ، سأعرف كيف أعين الفرصة وأضربه الضربة التي تصيبه في الصميم ! وسأقتل أنا ولا شك يا سمعان ! سأموت ! لن أحب أبداً ولن أكون أبداً محبوبة ! لن أستمتع برؤية جمال وجهي وجمال بدني وطلعة هذه الدنيا !

وتجهم عيناها بنفث وموت سحابة على جبينها الناصع وأردفت :

— أوافق أنت يا سمعان من أن الروح خالدة ؟

فتطلع إليها مستنكراً وأجاب :

— وهل في هذا شك . الله أبدى وأرواحنا من كلمة الله وهي أبدية مثله ، تنعم بروياه إن

كانت صالحة ، ونحرم منه إن كانت طالحة ثم تصلى عذاب النار

فارتفعت يريشيس وقالت بلهفة وهي تحديق إلى الشيخ :

وهل سأرى الله بعد موتى يا سمعان ؟

فأجابها وهو يفاطىء رأسه لإجلالاً للذكرى :

— كل من مات في سبيل الله تغفر له ذنوبه ويرى أجابه ويرى الله ! فأتدري بضحاياتنا وثق

منذ الآن بخلود روحك وروية الله لأنك بقبولك التضحية واللوت من أجل شعب الله جعلت نفسك في هذه الساعة خادمة الله !

فرددت وكأنها في غيبوبة : « خادمة الله ! »

وأغمضت عينيها وأملت رأسها وسبغت في شبه حلم فاستضاء عياها وأشرقت ابتسامتها

وصعدت زفرة فرح كأنها ترى النعيم وترى فيه الله وأحبابها . ثم فتحت عينيها وصوبتهما بالرغم منها نحو النافذة ، ولجأة تولتها رعدة ، فصاحت وهي توییء بأصبع مرتعشة الى الخارج :

— أنظر . أنظر يا سمعان . الشبح ! هناك . دائماً هو . دائماً أراه . في كل ليلة . شبح أفاق أو متسول لا ينفك يحوم حول القمر في كل مساء حالاً يطلع القمر . . ها هو . . أنظر . . ولم يكذب نهض سمعان ويظن حتى كان الشبح قد اختفى ، فتعلمت بيرينيس وقالت :

— أؤكد لك أني رأيته . . إني لأتشام . . إني لأتشام من هذه الرؤيا . . اغلق . . اغلق النافذة حالاً !

وأسرعت قبله فأوصدنها بنفسها . ولما أحست أن القلق قد بدأ يستولى عليها ويتغافل فيها كخمر خبيثة غادرة ، صرخت في الشيخ سمعان :

— أنشد . . أنشد لي نشيد أورشليم !

فأتى وجه الشيخ وشرع يغنى وقد أضفت عليه حماسة إيمانه حلة من جمال وشباب وكانت بيرينيس تنصت وقلبا يبدق ودماؤها تتقد . كان في كل كلمة من كلمات النشيد صرخة . وفي كل عبارة هزة ، وفي كل مقطوعة وثبة . وكانت القوة الجارفة تتدفق من الأنغام كالسيل لما كاد الشيخ سمعان يأتي على آخرها حتى شعرت بيرينيس على دهش منها أن القلق الطلوي . الغريب قد زانيلها ، وأن كل شيء فيها أصبح عزمًا وقوة ، وأنها لو ثارت لقومها ثم ألقى بها بينه

مطالب السباع فستدخل ساحة الموت كما لم يدخلها أي نصراني شهيد !

أحس منها سمعان هذا العزم القاطع ، قهال بحياه وجثا عند قدميها وقال :

— لقد رافقتك الى هنا كتابك وخادمك ، وعشت معك هذه الايام كالسكاب الامين ، فاذنًا . . إذنا يا مليكى بأن يحل بي ما سوف يحل بك وأن تعطيني على الدوام بجانبك ، أعذب في رفقتك وأموت وأنا رافع بصرى اليك ! عديني . . عديني بهذا !

فعممعت وهي جامدة :

— لن أغفل عنك . . ستموت سويًا يا سمعان ! . . أما اذا شئت العناية و . .

وقطبت جبينها ولم تتم عبارتها لأنها لحت في ضوء القمر وجه القائد الروماني . لحت عدوها الذي تنتظره محمولا على عهته ومقبلا نحو القصر

وعندئذ مزقت حجاب الصمت أصوات دوت كالرعد القاصف هائفة : «الموت لبيرينيس !»

فتفتحت المرأة النافذة بيد محمومة فأبصرت في الميدان الفسيح أطيان رجال برزوا فجأة من ههنا وهناك يلفهم ضوء القمر الضبابي وتقدموا صوب الحفة ورفعوا أذرعهم ولوحوا بها في وجه طيطس وجماوا يرددون هتافهم غير حافلين

ورأت حرس القصر يندفع ويغرق المجتمعين وينهال عليهم ضربًا بعصيه الغليظة ، ولحت

الشيخ .. الشبح الذى طالما منذ لحظة بنس بين المتظاهرين ويروغ من ضربة شديدة كادت تنج رأسه وتفضى عليه

وفى أقل من بضع دقائق ساد الكون وخيم الصمت واختفى للتظاهرون وعاد الميدان قهراً موحشاً كأن لم يحدث أى شئ.

هذه الصرخات ، صرخات الحقد عليها . والخوف منها ، المنطلقة من صدور عامة الرومان ، ضاعفت بغضها ، وشددت عزيمتها ، فأشارت الى الشيخ سمعان بالانصراف ، ثم تناولت مرآتها الصغيرة فألقت عليها نظرة ، ولما اطعأت ارتدت اليها ابتسامتها فتمدت على الأريكة واعتمدت رأسها بذراعيها ومضت تحقق إلى الباب وهي تلهث وتنتظر . .

ودخل طيطس ، ولكنه لم يكد بخطوة خطوة حتى وقف مبهوراً فأرسلت ييرنيس ضحكة قصيرة وتقلبت في فراشها فاجت هي والأغلبية الحمرية في شبه نهر من الضوء النفضى الواج . وتقدم اليها طيطس على مهل واخفى أمامها وجلس على الفراش عند قدميها ولم يتكلم

وانقضت فترة ، ثم التفت اليها القائد الرومانى وقال وهو ييشم ابتسامة عريضة صريحة فيها من دلائل الرقة والطيبة والبساطة ما أدهش ييرنيس :

— أعتذر الى جلالتك عما تفوه به أولئك الأوغاد . إنهم من للرزقة المأجورين لخصوى . وكل ما أتمنى ألا يلحقن منك بعض ما تضمنته من كراهية لهم

وطوح بطرف مؤزرة الأبيض على كتفه ، ووضع ساقا فوق أخرى واستطرد بصوت ناعم لطيف بعد أن تناول وسادة التي بها في حجره واحتضنها بكتفا يديه :

— أشهد الآلهة على أنى ما كنت أود إحراق هيكلكم وتدمير مدينتكم ، ولكن هو شعبكم العنيد الذى أراد هذا ! لقد ثار على الحكماء الذين ولتهم عليه روما ونشر الدعر والفوضى وعبث بكل قانون ونظام وأوشك أن يززع صرح الامبراطورية . ولقد كان من واجبي أن أعاقب العصاة فعاقبت . وأنت ملكة ولى وسعك أن تفهمين وتهدى موقى !

فرشفت ييرنيس بنظرة وقالت وهي تمجاهد لتحفظ بظل ابتسامتها :

— لا أفهم كيف تسمى الاحرار الدالدين عن بلادهم عصاة فقال فى هدوء :

— كل من لا يقبل عدل روما يعتبر عامياً !

فاستوت ييرنيس على فراشها وطوت ذراعيها على صدرها وقالت وقد تبدلت امرأة أخرى صارمة عاقلة مفكرة ، واخضت ابتسامتها :

— بأى حق تريدون أن تفرضوا عدلكم على الناس ؟
فرجع طيطس بصره اليها وطرب لهذه العبارة كما يطرب الرجل لفكرة راجعة يجرى بها لسان طفل . وم بالضحك ، ولكن صرامة المرأة ألزمته حد الجد فأجاب فى ثؤدة :

— القوة هى التى تفرض العدل . هذا حقها لأنها لم تصبح فى الحقيفة قوة الا بعد أن جمعت وركزت فى يدها جوهر الحضارة . فهى تمنح هذه الحضارة للضعيف خدمة له ، فإن لم يتقبلها وراضياً فرضت عليه بالسيف فرضاً . ذلك هو ناموس الحياة منذ الأزل !
فارتجفت بيرينيس وقالت وهى تلوى يديها :

— إذا فرض العدل على الضعفاء فرضاً تحول عن غايته واتى الى مصلحة الاقوياء ! البدأ عندنا أن يتفوق القوى على نفسه ، أن يتسامى بقوته وسلطانه ، أن يحترم قوته ، أن يأخذ بيد الضعيف كى يقر الضعيف العدل فى دائرته بنفسه ، وهكذا يكون العدل عمرة الحرية لا وليد الاستبداد

وهنا لم يستطع طيطس صبراً فأنفجر ضاحكاً وهو يتأملها وقد راعته منها حدة ذكائها وحمو منطقها ، واستلمح فى قرارة نفسه كيف استحال هذا الموعد النرامى الى مباراة فى النقاش السياسى ، وأراد أن يستمر ويكابد بها فقال وهو لا ينفك يضحك :

— لو ترك الأمر لكم معشر الشرقيين لجلستم من الناس أخوة وقضيتم على كل فارق وكل امتياز أوجدته القوة لخدمة الحضارة . أليس كذلك ؟
فهمتت بيرينيس وصوتها يهدو :

— ما هى حضارتكم ؟ ... طبقة من السادة استحوذت على كل شيء ، وطبقة متوسطة ترهب الأولى وتداهنها ، وشعب بائس تلقون اليه فئات المائدة ، ثم عبيد أرقاء يكدهون من أجلكم جميعاً ويموتون ضرباً بالسياط . كيف ... كيف يمكن أن ترضى بهذا يا طيطس ؟ ... كيف يمكن أن تحقق مثل هذه الحضارة فكرة العدل وهى لا تعرف معنى للمساواة ؟

فاضطرب القائد الرومانى وأحس أنه أخرج وود لو يحول يجرى الحديث ولكنه قال :

— أعرف مبادئكم أنتم معشر اليهود والنصارى . أنتم نظريون خياليون متصوفون ، أما نحن فأنباء الحقيقة والواقع . أنتم تؤمنون بالانسان ، أما نحن فلا يمكن أن نؤمن إلا بالدولة التى تصنع الانسان . أنتم تقولون إن الانسان هو الذى يستطيع خدمة أخيه الانسان ، أما نحن فنقول إن الانسان لا شيء .. ان الفرد لا شيء .. ان الدولة هى كل شيء لا الانسان ، وإنها يجب أن تنمو وتعتظم وتسود لتستطيع آخر الامر خدمة الانسان

فالتت بيرينيس على القور :

— كيف يمكن للدولة أن تخدم الانسان بعد أن تكون قد قتلته ؟ .. لا .. لا .. إنها بذلك تخدم نفسها .. تخدم السادة من أغنيائها وحكامها .. تخدمك أنت يا طيطس .. كيف لا تفهم هذا .. ثم كيف لا تشعر أن حضارتكم .. الحضارة التي أوجدتها تقديكم لفكرة الدولة .. ستهار .. ستهار عما قريب !

تغمغم الروماني الفاتح بعد لحظة على الرغم منه وكأنه يخاطب نفسه :
— أشعر بذلك تمام الشعور .. فوثبت بيرينيس من مكانها وطوقت القائد بذراعيها وأصغته خدها بخده وصاحت وقد اندفق الدم إلى قلبها فالتفت عيناها والنهب خدها وتجلت في صوتها إرادة جبارة عاتية :

— دعها تهار ! .. لا تعدد يدأ لخلاصها ! .. دعها تهار وانظر أمامك .. إلى المستقبل الحيد الذي ينتظرك .. ستكون في القيد امبراطوراً .. وسيكون في مقدورك إنشاء عالم جديد خليق بعقيدتك .. عالم لا يكون مجدنا فيه أن نجعل من الغنى نبيلاً ومن النبيل حاكماً ومن الحاكم غطرفاً ومن السادة وحوشاً ، بل نجعل أنا وأنت من العبد الوضع انساناً ! .. فإلى الرحمة والساواة والعدل والسلام والحرية أدعوك .. إلى بناء هذا العالم الجديد أدعوك يا طيطس فأنت طيب وعادل وكرم ولقد شاهدتك بعين رأسي .. شاهدتك تبكي وجنودك يدعون أطفالنا في شوارع أورشليم .. ومنذ تلك اللحظة ، آمنت بقلبك ! .. منذ تلك اللحظة خنته أهلي وعشيرتي وأحببتك !

وكانت ترمقه بنظرات جانبية فاحصة لترى مبلغ تأثيرها عليه وهي تخضنه وتصب فيه حرارة إعانتها وفيض حيوتها ودفء بدنها الناضر وعطره النفيح . أما هو فكان يتأمل شفيتها الجراوين المتلتئين وصدرها الناضج وأفقها السقيق وخفق أهدابها الطويلة على عينيها السوداوين ، ويحاول جهده ملاحظة ابتسامتها على يكتفه سرها وهي تفيض تارة على الوجه الجميل ، ثم تختفي ثم تلمع في فتحة غامضة تثير الفضول وتستفز الحواس

ولما صمتت جعل يحرق لحظة إلى أساورها الذهبية للتلفة كالأرقام حول معصمها ثم قال في سكون وحزم :

— بيرينيس عندما التقينا في أورشليم أحببتك لأول وهلة . وأنا رجل عسكري أكره اللبانات والتعقيدات النفسية ، ومتى أحببت أسلمت كياني وملكت من أحب زمام قاي . ولست أعلم إذا كنت قد صدقت الساعة في قولك إنك أحببتني . ولكني بكل بساطة أعرض عليك أن تزوج وتحاب وتعيش سعداء .. الشعب الروماني يحقد عليك لأنك عدوته ، وسوف يحقد على متى تزوجتك ، ولكن الأحقاد تموت مع الزمن ، وسأخذك ولن أحفل بأحد . أما أن تحاولي التدخل في حياتي العامة وتبديل معتقدي السيلسي وإثارتني على نظام بلادي ، فهذا ما لن أَرْضاه

أبدأ . أبداً . ولو قدتلك الى الأبد ! أنت عاشقة كما تزعمين فلماذا تجتهدين في الظهور بظهور
البشرة ؟ أى دخل للحب في السياسة ولم هذا الخلط بين الفكر والعاطفة ؟ . خذى قلبى ولكن
لا تطمعى في امتلاكه على حساب بلادى ؟

وا كفهر وجهه بنية ثم أردف بصوت جلف :

— هذا انتقام ! نعم هذا انتقام هائل من بلادى تستخدمينى يا ييرينيس أداة له ! أنت
تحاولين التفرير بى . أنت تطمعين في تسخير حى لمصلحة قومك . أنت تريدن الاستعانة بى على
إقامة دولة يهودية على أنقاض امبراطورية الرومان
فصاحت : بل دولة عالمية أساسها العدل الصحيح

فقال : العدل الصحيح لا ينبع إلا من روما

فصت للمرأة على شفتها وغازها أن تصطدم لأول مرة بارادة أقوى من ارادتها ، ولكنها لم
تفقد الأمل ، واستجبت لقورها بسر أنوثتها فقالت وهي تتأوه وتتمطى وتدنى منها وجه
طيطس وتحاول أن تذيب عزيمته بأن تطبع على ثمة قبله :

— كم سيصبح حبنا عظيماً لو اقترن بغرض عظيم !

فقطب الرجل حاجبيه ودفع للمرأة عنه في عنف ونهش وقد تصلبت عضلاته وشاع الغضب في
صوته ، وبنا وجهه للنبيسط الرقيق منقبضاً شاحباً قسماً كوجه القائد الظافر النوحش الذى
أبصرته وهالها في أورشليم ، وقال وهو يرعد :

— غداً . غداً صباحاً ترحلين هذا القصر الى حيث تشائين !

واستدار وتحول نحو الباب فجن جنون المرأة واستهولت كيف تفشل على هذه الصورة مثل
هذا الفشل القريع ، فقفزت من فراشها وقد ملأ الغضب قلبها وأفعمته نية القتل وأخذ النار ،
ولحقت بالرجل وتعلقت بأطراف مؤرره وصاحت به :

— لا تنصرف يا طيطس . لا تنصرف . أبهون عليك طردى ؟ ألم تقل إنك تحبني ؟ الى

أين . الى أين أذهب الآن ؟ !

فتوقف الرجل كالمنهول ، ثم ألقت اليها . وعندئذ وقع ما ليس في الحسبان . أطرق طيطس
هنية ثم هم بالافلات منها ثم لبث في مكانه وتضامت تقاطيع وجهه واختلج اختلاجاً عنيفاً وبكى .
غابت ييرينيس وزاجعت خطوة ثم أحست على دهش منها شيئاً جديداً ، شيئاً عميقاً ، شيئاً
كامناً هاجعاً لم تظن اليه ولم تفهمه ولم تحسه قط ، تحرك في نفسها وأرخى أعصابها وسيرها
بالرغم منها ، فدنت من الرجل وضعت في رفق الى صدرها وأستندت رأسه الى كتفها ولبثت
تستمع اليه هكلنا وهو يجاهد نفسه ويغالب دموعه ويقول من صميم فؤاده :

— وأنا ؟ أنا ؟ الى أين أذهب بعدك يا ييرينيس ؟ الى أين لأعص غلوق ! لو اقترنت بك جلبت

على سخط مليكي ودست بقدى على إرادة مواطني ، وسعيت من أجلك لخدم الأباطورية
ووصيت نفسي بالخيانة والعار ، واستهدفت معك لخطر النفي أو الموت . ولو انفصلت عنك ثم
أعطيت ملك الأرض طراً فأسألك في وحدتي تعساً مكيناً شقياً كأقتر ما يمكن أن يكون رجل
وأنتك ما يمكن أن يكون انسان ! فدعيني . دعيني أذهب . الحرية خير لك من حياة منقصة في
صحبة رجل قد تصبحين معه أنت الأميرة العظيمة شريفة طريفة جوابة آفاق !

ونزل يكي في غير خجل ولا استحياء ، وهي شاخصة اليه في ذهول وقد بدأت تأسرها اللذة
الكبرى ، لذة الشعور بأنها حقاً محبوبه وأن حبا قد استبد بعقل جبار وقلب بطل . يسد أن
فكرة الواجب سرعان ما أزجعتها وعكرت عليها صفو لثتها ، غرز في صدرها أن تدع هذه اللذة
تغلب منها ، ولا تستطيع الاستمتاع ببقائها ، وأن تكون لشؤم طالعها حجرة على نبذها وعلى
تزيق القلب الذي يقدمه لها

ولم تكن تنتظر كل هذا الحب . لم تكن تتوقع كل هذا النبل . بل لم تكن تتوقع لا حباً ولا
نبلاً ولا أى مظهر فيه مسحة من معنى السمو

كانت تتوقع غطرسة وعتوك ، واستباحة وبطشاً ، وقسوة واغتصاباً ، وغلظة وشهوة .
لمدحرتها لذة الرقة ، وجرتها روعة الصدق ، وفنن كبرياؤها عن هذا الألم الذي أحدثته حبا
في نفس رجل كان حتى الأمس القريب جلاد شعبها

ومن دموع طيطس ، ومن صرخاته اليائسة ، ومن صدق أله ، ومن نخبطه ولوعته وأساء
وفرط عذابه ، استفاق في بيرينيس إحساس بالشفقة حاولت عبثاً أن تخنقه

أشفقت عليه . لم تستطع أن تصور كيف يمكن أن تفتله . لم تستطع أن تتخيل كيف يمكن أن
ترهق روحاً يحبها وعقلاً يفكر فيها ولساناً يلهج باسمها

وتغلبكتها الحيرة وأصابها الفتور وغشيتها برودة الاحجام ، واندلع من صدرها لهيب غير
ذلك الذي كانت ترعاه وتتمهده . ومن الشفقة انساقت الى الطيبة ، ومن الطيبة الى العطف ،
ومن العطف الى الحنان . فقالت بصوت متهدج رحيم استغربت هي نفسها وقعه في سمعها :

— لا تبك .. انت رجل .. يمز على أن أراك تبكي ..

فاحتضنها وجعل يقبل يديها وذراعيها ووجهها قبلاً حارة نائمة محمومة وهو يردد كعنتوه :
— لا أريد أن أشفيك .. لا أريد أن أفقدك .. الشعب يحقد عليك ولو بقيت معي فقد
يتحين فرصة لقتلك . وأنا لا أريد .. لا أريد أن أفقدك . ولحق لي ألف مرة أن أعيش كبيت
في روما وأنا بعيد عنك وأنت حية من أن أقترن بك وأرتجف في كل لحظة على حياتك ..
دعيني .. دعيني أذهب .. لا أريد أن أملك بدنك .. لاحق لي فيه .. لم أستحق حبك .. لست
جديراً بك .. لو كان في وسعي إبتاؤك هنا .. معي .. لعرفت بفضل صبري وألمى واخلاصى كيف

أرج حبك وكيف أفوز بك مختارة ، وكيف أنعم بقربك عن جدارة واستحقاق
فليحفظ كلانا إذن بهذه الساعة الثقية العابرة التي لم تلونها أجسادنا . احتفظى بها .. لقد
اتممتك عليها فهي كنز حياتي .. احتفظى بها وفكرى في ان شئت وهيئ نفسك غداً للرجل !
وكان الصديق والنبل يشعان من عباراته ويأخذان بلب بيرنيس ، وهي واقفة بالباب تحول
بينه وبين الخروج ، وهو مستند الى قاعدة تمثال كبير لازهرة وقد أخذت أساريره تنطلق شيئاً
فشيئاً وتبسط ، وتتردد ما فقدت من لطف وبشاشة وبراءة وهدوء

وكان يبدو بوجهه الغض وخديه للكثيرين وابشامته الساذجة الصريحة وصدرة العريض
وذراعيه المفتولتين ، أشبه بعملاق يحمل رأس طفل . فازدادت بيرنيس شعوراً بطغيان القوة
التي تجذبها اليه . كبر عليها أن تكون أسيرة في يده ثم يطلقها ، أن يشتهيها ثم يعف عنها ، أن
يجها ثم يخنق حبه حرصاً على حياتها ، أن يتفوق عليها نبلا وشهامة وعظمة ، فثارت عزة نفسها
وأرادت أن تقابل شهامة بشهامة ونبلًا بنبل ..

وتغلبت عليها عوامل الزهو والحيلاء . وسحرتها الاضغالات العنيفة الصادقة . وأثر عليها
وأبهجها وأضعفها منظر الرجولة القليلة ، ولم تدرك أن الحب يخدمها ، وأن عدواه قد أصابها ،
وأن آلام رجل عاشق قد أهاجت كبريائها وأفقدتها صوابها وصرفتها عن الواجب للقدس الذي
كرست له نفسها

ولأن طيطس كان أول روماني عرفته احترم امرأة ضعيفة وعف عنها ، اعتذرت اعتذاراً
طارفاً هيباً ، أن هذه المنة لا يمكن أن تكون قد صدرت إلا عن روح اصطفتها العناية الربانية
وتفتحت بشفعة على نور الله . فاشتد ابتهاجها ، وأيقنت أنه قد آمن واهتدى من حيث لا يدري ،
وأن حبها سيرده من عبادة الأوثان الى عبادة الله . وهكذا ضاعف خيالها الدين سلطان الرجل
عليها ، فلانت واستسلمت ونسيت كل شيء ، ولم تعد تفكر إلا في تقدير الرجل ومكافأته على حبه
والظهور عليه بمنظمة تفوق عظمته وتغمد في قلبه ذكرها الى الأبد

فجذبته في تحايل ورفق الى فراشها وأجلسته بجانبها . ولجأة وقد قرر قراها وغمرت الظلمة
عقلها وختمت على أبصارها فلم تعد ترى غير وجهه ولم تعد تفكر إلا في حياته ، أشارت الى
القلادة الكبيرة المزدان بها نحرها حيث يكن شبه قلب من ذهب يتبدل منه سهم صغير ، ثم
ضغلت على القلب فانفتح فانتزعت منه دهباً أسود لوحته به في وجه طيطس وقالت بصوت
أجش وهي تقدمه اليه : « بهذا كنت سأقتلك ! »

فنظر القائد اليها من خلال أهدابه وغمغم :

— بيرنيس . كم كنت أود أن نظل عدوين !

فألت من النافذة بالدبوس للسهم ، وضمت طيطس الى صدرها . وفي سكرة الهوى الطائشة

العياء ، في لجب الحب وإعصاره الجارف ، في حمى اليأس العميق ، في حنق الأمل العظيم للفقود ، تاولت رأس جيدها وألصقت شفثها على فيه وقبلته قبلة طويلة أودعتها كل غرامها وأساسها وقبل أن يفيق الرجل من نشوته تملصت منه ودفعته عنها وقالت وهي تنهض وقد شردت نظراتها:
— اذهب . . يجب ألا تبقى هنا !

وأردفت وهي تنشب أظافرها في وجهها :

— أعلت الآن الى أي حد أصبحت أجبك ! اذهب والا زادت وجودك جبنًا وضغفًا !

سأبرح روما الى بلادى صباح الغد !

فنهض طيطس منها لكا منسحقًا ، وفي خضوع وتسليم ، عانقها بالرغم منها الأخير ، ثم انحنى وقبل منبت نهديها حيث يكن القلب الصغير الذهبي ، ثم استجمع قواه واندفع نحو الباب وخرج لا يلوى على شيء .

ولما ألقت نفسها في الحجرة وحيدة يكتنفها الضوء الفاضح الرهيب ، أفأقت من سباتها ورأت رأى العين هول جريرتها ، فجعلت تعض شفثها وتلطم وجهها وتمزق ثوبها وتضرب صدرها بغضبتها وتبكي في حنق وحسرة ومجنون بكاء من أقعد نفسه بنفسه كل شيء ولم يعد يستحق في هذا العالم أى شيء .

وفيما هي تفر وتنتج وتروح في الحجرة وتندو نائمة مرئاة مخبولة ، إذا بالباب يفتح على مهل ويصل منه رجل . فصرخت بيرينيس وهي تراجع وقد اتسعت حدقتها رعبًا : «جيسكاللا !» ثم تمتعت وهي ترتعد وقد لحمت الشيخ سمعان يدخل من الباب الجاني ويهف جامدًا مذهولًا :
— أكنت أنت ؟ أكنت أنت الشيخ !

فأجلب جيسكاللا وهو يحرق اليها :

— نعم هو أنا . . كنت أحوم حولك لأعرف ما إذا كنت ستقومين بواجبك أم لا ؟

فظلت ترتعد من قمة رأسها الى اخمص قدميها ، ولكنه لم يحفل باضطرابها واستطرد :

— والآن وقد رأيت الحرم يغادرون القصر ويتبعون طيطس ، غلكتني الدهشة فصعدت حالا لأعرف جلية الأمر . . فماذا حدث . . أجيبي !

جلت عند قدميه وكشفت عن صدرها ، ثم رفعت اليه ذراعيها وصاحت في ضراعة وإتهال :

— اقتلني . . اقتلني يا جيسكاللا ! لقد أحبيت طيطس وخنت اسرائيل !

فسرخ الشيخ سمعان وحجب وجهه بكلمات يديه

أما جيسكاللا فلم ينطق بكلمة ، بل تقدم في هدوء ، والى على المرأة نظرة هائلة . ثم أمسك بشعرها وطرحها على الأرض ، واستل خنجره وأحمده في صدرها !

إيران معجزة الفنان

تتم حوادث هذه القصة في عهد عصر الملك ارتشمان الرابع آخر ملوك أسرة الأرساس التي حكمت إيران زمناً طويلاً . وقد ثار الشعب على هذا الملك بقيادة الضابط أردشير وخلعه وألغى الأسرة الساسانية وهي إرانية صبيبة كان عصرها عصر أذهباً رائعاً

نشر على لوح من خشب ، قطعة القماش المربعة الكبيرة ، ثم تراجع خطوة ، وجعل يتأملها وأصابع يده الضامرة تبحث بطرف لحينه الكتلة البيضاء وكان قد رسم على القماش زهوراً حمراء وطيوراً سوداء مذهبة الأجنحة وفرساتاً يتقاتلون وعذارى نائمات فائنات وشيوخاً يروح بهم التعب فمناقطوا على الأرض متهاككين وكان قد شرع أول الأمر في رسم حديقة غناء ، ثم عن له أن يصور في الحديقة نشوب معركة صغيرة بين جمع من الفرسان ، ثم جمع به خياله فاستحالت الحديقة الى غابة والمعركة الصغيرة الى حرب طاحنة اشتركت فيها أمة بأسرها

وعجب من نفسه كيف يفكر في شيء ثم يصدر في عمله عن شيء آخر . والواقع أنه أراد أن يلهو . أراد أن يقتل الوقت فقط . أراد أن يتخلص من همومه وأحزانه . أراد أن يدفن عقله وقلبه في فنه ، كما كان يدفن آلامه العميقة وأمراضه المستعصية في كؤوس يملأها من عصير العنب الحامض ويظل يجرع منها حتى يرتوى ولكنه بالأمس لفرط ما أحس الألم ، استرسل في التخيل وآمن في التفكير وتاه عقله عن الدنيا ، فبدل أن يرسم الصورة التي كان مثلها في ذهنه ، رسم عالماً رائعاً خلاباً يزخر بالقوة والحياة

ونظر الى قطعة القماش نظرة فاحصة ، واستفاقت فيه شخصية الفنان
لم يقنع بما رسم . لم يطرب لما رأى
لمح في منظر الطيور نقصا صارخا ، وفي حركات الفرسان فورا باديا ، وفي تموجات
هياكل العذارى رقة صناعية نابية ، وفي تهالك الشيوخ رخاوة أنثوية مزرية
لمح كل هذا بنظرة الفنان المتطلع الى أكمل جمال ممكن . في حين أن الرسم كان مع
ذلك جيلا ، بل كان آية في الابداع لن يلبث متى اكملت حواشيه وانسجمت ألوانه
وانسقت خطوطه ، أن يصبح طرفه فية نادرة المثال
وتناول بهزاد ريشته وأكب على عمله وهو عابس الوجه مقطب الجبين متململ متبرم
مستاء

وفيما هو يصلح من شكل زهرة ويصبها في الضوء المناسب لموقعها من مجموع النظر ،
انبطح بحياء فجأة ، وانفجرت شفاته عن ابتسامة رقيقة ساخرة
سخر من نفسه كيف أنه كان بالامس قائما برسم حديقة متواضعة ، فلما التهب عبقرته
بالرغم منه ، أصبح اليوم والكمال نفسه لا يرضيه
وأخذ في رسم جمهور الشعب المقاتل ، وطوائف الاعداء المثابة ، وجنت المهزومين
والقتل تبشر تحت أقدام الجياد

وكان لفنه دقة في الاشكال ، في بروز في التقاطيع ، وتلازم في الالوان ، وسطوع في
الضوء ، وسياسة في الاداء ، وسحر غريب في ابداع الاشياء والاشخاص كدمى متراسة
أو عرائس مقسادة فيها حياة عميقة بعبدة على الرغم من ضالة أحجامها ومظهر الطفولة
الشائع فيها

وكان بهزاد أول فنان إيراني تطور يقن الرسم من الزخرفة الى التعبير ، من الخطوط
الملتوية المتعرجة المنسجمة التي تطرب العين الى الشخصيات الدقيقة الحية التي تطرب العين
والفكر على السواء

فالرسوم التي كان يقصد بها الى الزينة والتجميل لم تكن ترضيه ، أما الرسوم التي
تؤدي عاطفة أو توحى بفكرة أو تخلق جوا إنسانيا معينا فهي التي انصرفت اليها عبقرته
طوال أيام شبابه حتى استطاع تحقيقها في شيخوخته ، ولقد قدر فيه مواطنوه هذه العبقرية ،
فاشتهر وذاع صيته وتنافس الكبراء في اقتناء صوره ، وتوجه الشعب أميرا لفن الرسم
في جميع بلاد إيران

وكان مما حجب الجماهير في فنه ، تلك الروح القومية الاصيلية ، وذلك الاحساس
الايراني الصميم التابع من شعور الامة الحى ، بأنها خليفة بالمجد حقيقة بالعظائم ، جديرة
بأن تفض عن كاملها عب. الاستبداد الذي فرضه عليها الملوك البارثيون الاجانب
والحق ان بهزاد كان في رسومه رجوع صدى العواطف المناجحة في صدور أبناء وطنه
كان مثلهم ثائرا على حكم الملك البارثي « ارتابان » ، متمردا على أسرة الارزاس البارثية

التي سامت بلاده مختلف ضروب الذل ، توافا الى التحرر منها واقامة دولة جديدة ، ينولى الحكم فيها ملك يخرج من الشعب ويؤكد سلطة الامة
وهذه الروح ، روح الثورة والتحرر ، كان يبذل الفنان قصاره في تمثيل عناصرها المتباينة والوانها المتنوعة في الصورة التي يرسمها الآن والتي فاضت منه على غير وعى ، لفرط ما كانت المواطف الوطنية مستولية عليه

ولكنه مع ذلك كان مضطربا قلقا ، ترتجف يده وتغشى بصره المتوقد سحابة هم دفين كان يحاول طرد الوسواس عن ذهنه ، والانصراف الى عمله ، والفناء في فرح الابتكار والابداع والخلق . بل هو في الحقيقة لم يهرع الى الصورة الا ابتغاء الراحة ، ولم ينزع خياله بالرغم منه الى رسم موضوع خطير عظيم ، الا لانه في قرارة نفسه كان يحس المأ شديدا ، وكان يجاهد لينسى هذا الألم في الفن . ولو ميقات ساعات معدودات وكان يلوح عليه وهو يرسم أنه يفكر . يفكر في شيء آخر لا يمت الى الصورة بصلة . وهذا الفكر كان يدينه من عمله ويقصيه عنه في نفس الوقت ، مضاعفا له ، مودعا في أصابعه شبه قنور وشلل ، وفي عينيه شبه ظلمة تنشوش أمامه الظلال والاضواء والالوان ولبت يرسم غير حافل ، بيد أنه خشي آخر الامر من نفسه على عمله ، خاف أن يشوه اضطرابه جمال وجهه . أحس أن ارادة الحياة أقوى من ارادة الفن ، وأن سلطان الألم أقوى من سلطان الجمال ، فتهد وألقى بفرشاته جانبا وصفق فدخلت جاريته حاملة وعاء كبيرا وابريق ماء . فصل يديه ، ثم أمر الفتاة باغلاق جميع أبواب البيت ، ثم ألقى على كتفيه عباءته الخضراء وخرج

وظل يمشي في شوارع مدينة « كرماني » مستغرقا في التفكير ، يتطوح كالثوارب التمل ، والنلس تحيه ، والتسباب يفسحون له الطريق ، والعظماء ينحنون له باحترام ، والنساء يتبعنه النظر معجبات ، ويتبرك البعض منهن بلثم أطراف عبادته ولما أشرف على الحانة التي يجتمع فيها أصدقاؤه ومريده . خرج اليه الكل وأحاطوا به واستفسروه عن آخر أنباء الثورة وتوصلوا اليه أن يقضى مهمهم ، ولكنه حيالهم بتحفظ لم يعهدوه فيه ، وخاطبهم بلهجة متكلفة أدهشتهم ، ثم تقلص منهم في أدب ولطف فتيهمو بعبارات التواء مقرونة بخالص الاعجاب والود

وكان وهو يمشي لا ينفك يرقب وجوه المارة ، ويلحظ حركاتهم وسكناتهم ، ويطبع في أطواء خياله ابتساماتهم وضحكاتهم ، وهو مع ذلك بعيد كل البعد عنهم ، كان طبيعة الفنان فيه تأبى السكون والرفاد تحت ضغط الحوادث بالغة ما بلغت من الخطورة والعنف وانه ليعرج في طريقه على زقاق مهجور ، وإذا به يسمع من طرفه القصي ولولة نساء وصياح أطفال ، ثم يصير جنازة فتاة في مستهل العمر ، يحنو أبوها التراب على رأسه ، ويكاد يقطع صدره الصراخ والتعجب ، فتطير بهزاد ، وخيل اليه أن القدر يخاطبه من

خلال صوت الـاب المسكين ، فتقدم اليه ، وتفرس فيه لحظة ، وتولته رعدة لم يستطع كبحها
لمح شبا غريبا بين تقاطيع وجهه هو وبين سمات هذا الرجل . شبا أدهشه وأخفه
وأثار في فؤاده رجا مازجته الشفقة . فغض من أصداءه ، وتحول ومضى في طريقه متوكئا
على عصاه حاملا حديثه جاررا معه ، يتنكب الشوارع الفسيحة ويود لو استطاع أن يجلي
فيلنج في مثل لمح الطرف منزل ابنته

كانت « امسترس » مضطجعة على أريكتها في قصرها العظيم ، وحولها جواربها ينادمها
أو يرقصن الرقصات الشعبية المحببة اليها ، أو ينشدن لها بعض مقطعات من نظم الشاعر
« اريستيس » أو يسمعن أغاني الشوق والجوى
وكانت متبرمة متضجرة تتقلب على فراشها ، ونظراتها مصوبة الى جاريتها الصغيرة
« أتوسا » تلحظ ابتسامتها الناعسة الفاترة تترقب في سكون حالم على وجهها الجميل
ولم تشأ « أتوسا » في ذلك اليوم أن تغنى ، لأن سيدما رب الدار كان متغيا ولأن
امسترس كانت حزينة تفكر فيه ولا تدرى متى يعود

وكانت الشمس ترسل أشعتها من خلال قضبان النوافذ الحديدية ، وتلقى على وجوه
الجلاريات بدرات من لؤلؤ يضاعف ثألقها بريق أثوابهن الموشاة بخيوط من فضة وذهب
وكاد النوم يأخذ بمآخذ أجناف امسترس ساما وضجرا ، فعاتت تطلب الى أتوسا أن
تغنى ، فاطرقت الفتاة مترددة ولكنها أذعت آخر الامر على مقضى ، فأمالت رأسها
وانكأت على الاركة وأشارت الى زميلاتها ان يبدأن

وامتلا جو القصر فجأة بنغمات المزمار واصطفاق الدفوف ورنيش الصنوج ، وانشدت
أتوسا والانغام تدفق من فمها الصنبر كسيل يجرف كل ما يعترضه :

الساعات التي نعيم تعود

وكذا الاعوام تمر ثم تعود

وضباب الزمن كالطرير يهطل علينا

وبحجب الحب الذي ان مر لا يعود

فأثرت امسترس وفاض الدمع من عينيها ، فكفت أتوسا عن الغناء ، وسكنت حركات
الجلواري ، وشاع الصمت في القصر وزايلته الحياة

وبكت أتوسا لبكاء سيدتها ، فسرت امسترس لهذه المجاملة ، وانحنى وطوقت عنق
الفتاة وطبعت على خدها المورد قبلة

وتضجرت ربة القصر من الغناء ، فأوامت بأصبعها تدعو الجوارى الى الرقص ، فنهضن
لفورهن وأحطن بواحدة منهن شرعت ترقص ومن يرددن بعض حركاتها في رشاقة
تزيدها أنغام الآلات فتنة واغراء

وفي تلك اللحظة فتح الباب وظهر بهزاد على عتبه ، فجمدت الابدان المتمايلة ثم انحنى

جبا أمام الضيف ، ثم تفهقرت وانسابت وغابت ظلالها في الابواب
وقبل أن يتقدم الشيخ ، خفت امسترس لاستقباله ، وقبلت يده باحترام ، وأجلسته
على الارىكة وترىعت هى أمامه على الارض فرحة بقدمه منتهجة لزيارته . وترىعت كى
يبدأ والدها الحديث ، ولكنه لم يتكلم ، فنظرت اليه وحقق قلبها
رأنه شاحب اللون مكمد الوجه شارد اللب زائغ البصر ، فقالت وهى تحديق اليه :

- ما بك يا أبى ؟

فوضع عصاه بجواره ونضا عنه عبائه الخضراء ، وقال دون أن ينظر اليها :

- أتعلمين يا امسترس الى أين ذهب زوجك ؟

فاجابت متجاهلة :

- قال لى انه على موعد من « اردشير » وانه قد ينبغي الليلة ثم يعود ظهر الند

فضم بهزاد شفتيه ثم فتحهما وتهد وقال وهو يضع يديه فى رفق على كفى ابنته :

- وقد لا يعود الى هذه المدينة أبدا ..

فصرخت امسترس فى رعب مصطنع : « ماذا تقول ؟! »

تتحامل بهزاد على نفسه ونهض عن الارىكة وجمع حوله أطراف ثوبه الفضفاض ،
وترىع فوق وسادة على الارض بجوار ابنته وقال :

- ان اردشير هنا . فى مدينتنا . فى كرمان . وزوجك لم يذهب اليه . زوجك ليس

هنا و ..

فقاطعت كمن قد صبرها :

- ولكن أين هو الآن ؟

فنكس بهزاد رأسه وأجاب : فى مدينة « هرمز » عند الملك ارتابان !

فغفرت المرأة فاما كبلها وتحنمت : « أسافر الى هرمز ؟ »

ثم أردفت بعد قليل وهى تشرح بوجهها :

- ولكن ألم ينضم زوجى الى التوار ؟ ألم ينضم اليكم ؟ ألم يقسم بين الطاعة لاردشير ؟

فكيف يغادر الآن كرمان مركز الثورة ويلحق بالملك ارتابان فى هرمز ؟ ..

فابتسم الشيخ ابتسامة حزينة وأجاب :

- كان الملك ارتابان قد عين زوجك « بارس » رئيسا لبيت المال قبل ان تندلع الثورة

فلما اضطرت نارها وفر ارتابان الى مدينة هرمز واستقر فيها وتها هناك للمقاومة

والكفاح ، أرسل الى زوجك يعرض عليه منصب الوزير الاول ان هو كف عن تأييد

اردشير ، واستطاع بالقوة أو بالحنلة ان يسرق تاج الملك ويحمله الى ارتابان فى هرمز

فتمتعت امسترس ، كان الدعشة قد عقدت لسانها : « وهل سرق التاج ؟ »

فصاح بهزاد وقد لمت عيناه استنكارا وسخطا :

- وسرق أيضا ما هو أغلى من التاج !

تطلعت اليه امسترس وقالت وهي ترتجف : « ماذا ؟ »
فاجاب بهزاد لاهتا :

- سرق كتاب النور ، كتاب الحكمة الكبرى . كتاب ايران الخالد . كتاب زرادشت المقدس ، ينبوع ديننا ومهبط وحينا !
فصاحت امسترس وهي تضرب وجهها بكفيها : « زوجي فعل هذا ؟ .. »
فاستورد الشيخ :

- تعلمين أن الثوار عند ما هاجوا بقيادة اردشير قصر ارتابان استولوا على التاج وعلى الكتاب المقدس وسلموهما لاردشير الذي طلب الى زوجك ان يخفيهما عنده ويحرص عليهما حرصه على عينيه ، حتى تحين الساعة التي يقضى فيها بالموت على ارتابان فيؤول التاج والكتاب الى خليفته اردشير
فالتاج والكتاب عادا الآن في قبضة عدونا . فاذا قدر لنا وزحفنا الى هرمز وقتلنا ارتابان واتصرنا عليه ، فقد لا نثر على التاج والكتاب ، وعندئذ يتعذر علينا أن نستميل جماهير الشعب المؤمنة المحافظة ، وأن نقيم اردشير على العرش وننفذ البلاد من حكم البارتين واستبدادهم
فقال امسترس :

- ولكن لا زوجي ولا ارتابان نفسه يجسر على اتلاف التاج أو الكتاب المقدس ، لعنة الله نحق عليه في الحال ، فيشوه المرض وجهه ويموت جميع أولاده في عام واحد
فقال بهزاد :

- أعرف ذلك . لن يجسر أحد منهما على اتلاف التاج أو الكتاب ، ولكن زوجك قد يخفيهما بأمر ارتابان ، فيؤخر نجاحنا ريثما يعود سيده فيجمع رجاله ويستأنف قتالا قد نخرج منه بالهزيمة والفشل
فارتسمت دلائل القلق والحيرة على وجه امستريس ، وأسبلت أجنحتها الطويلة كي لا ترى نظرة والدها وتغمضت : « والآن ؟ .. »

فنهض الشيخ ونصب قامته وقال وقد أضفت عليه حماسة حلة رائقة من شباب :
- ان أولئك البارتين الذين تحكموا فينا قرونا طويلة هم أرهاط من البرابرة اتحدروا البنا من شمال غرب آسيا .. من الأورال .. وكانوا يحيون مع النمرود حياة بدائية متوحشة . انهم قوم غلاظ الأكباد ، يمجدون القوة الفاشية ، ويستبيحون حق الضعيف ، ويتهاكئون على المذات ، ويفاخرون بالقسوة .. لا أثر فيهم من خصائص عقلنا الايراني المتحضر المتزن الذكي ، ولا من مميزات عبقرتنا الانسانية ، ولا من طابع خيالنا المتوقد ، ولا من صفاتنا الخلقية الدمثة الرقيقة الجامعة بين القوة والاعتدال وبين التسجاعة والتسامح . فهم برابرة ونحن متحضرون ، هم نفايات قتال همجية ونحن شعب مهذب الفرائز مصقول الطباع خالص الاهواء والميول من شوائب التطرف ، عريق في حب الجمال والعدل

والحرية . ولقد ظلوا كل تلك القرون بمنزل عنا . لم يندمجوا فينا . لم يصبحوا منا . بل على التقبض أذلوا الشعب واستبدوه وساموه شتى ضروب الحسف والهوان
ولقد شامت العناية الالهية أن ينهض اليوم رجل من صميم ايران . ضابط ايراني هو اردشير ابن ساسان ، محب لقومه ، مخلص لبلاده ، عامل بنبوغه وبأسه على تحرير شعبه من سيادة البارتيين ممثلة في شخص الملك ارتابان . فواجبنا والحالة هذه أن نلغف حوله ، أن ننصوي تحت لوائه ، أن نذود عنه ، أن نساهم بعقولنا وقلوبنا ودماتنا في الجهود الجبارة التي يبذلها كيما نصبح أمة خليفة بتحقيق ما يعتلج في صدور أبنائها من عظامم
وها هو ذا اردشير بعد أن أضرم نار الثورة في كرمان ودحر الملك البارتي واضطره للفرار الى هرمز ، يوشك أن يزحف بجموعه صوب تلك المدينة كي يقضى على ارتابان ويستولى على العرش ويتم رسالته كي تبدأ رسالة ايران .!

فكيف نستطيع اذن وقد أصبح النصر على ملقى النظر منا ، أن نتهاون في الضرب على أيدي المارقين ، وأن ننضى الطرف عن جرم فطبع قد يززع صرح الحرية الذي شرعنا في بنيانه على أنقاض حياتنا كأفراد زائلين ؟
وأردف بهزاد صارخا :

- الا أن زوجك يا امسترس قد أجرم مرتين ، فهو خائن وسارق وهو وصمة وخطر ، وصمة عار لنا وخطر مروع على البلاد . ولقد جئت اليك يا ابنتي بعد أن استوفت من جريمة زوجك ، بعد أن كشف عنها ليلة أمس الشاعر ارسيتيس وأبنا بها الزعيم اردشير وذاع أمرها بين أعضاء المجلس الثوري كله . . لم أذق طعم النوم ليلة أمس . حاولت هذا الصباح أن أقتل همى في قفى . أن أقاسى معرتى بضع ساعات ريثما تستيقظين . ولكنى لم أرسم شيئا . لم أخلق شيئا . لم أستطع ابداع شيء ، بل كدت أنسوه ما أبدعت ولقد خطر لى أن أؤدى الواجب بنفسى . أن أنصرف عنك . ألا أصارحك بالحقيقة
الا اعتمد في شيء عليك . ولكنى فكرت . فكرت في أنه زوجك ، وأنت صاحبة الحق عليه قبل ، فنجت ، جئت لاراك ، لآتحدث اليك . لارى هل انت يا امسترس خليفة بالانساب الى أبيك وإلى هذه الأرض الطاهرة التي حملتك !

فانمق وجه المرأة وتمكن منها الدهول ، فبدت كأنها لم تفهم . ثم بسطت يديها في ذل وابتئاس وقالت :

- وماذا تطلب الى أن أفعل ؟

فقط بهزاد حاجيه الكثيفين وأجاب :

- هو زوجك ومن واجبك أنت الاقتصاص منه ! لقد فر الى هرمز فعليك أن تلحقى به . اليوم . بل الساعة . وهناك ينبغي أن تتوسلى بدهائك وجمالك لمرقة المكان الذي أخفى فيه باردس التاج والكتاب . ومنى ثم لك ذلك اتصلى على الفور بالقائد سمردس وأطلعيه على جلية الامر ، فهو من أنصارنا وهو عين اردشير في بلاط ارتابان . ثم . .

فطلعت امسترس الى أبيها وتثبتت به وقالت وهي ترتعد : « ثم ماذا ؟ .. »
 فأجاب بصوت فاطم كسكين : « ثم أقتل المجرم دون رحمة ! »
 فصاحت : « أقتل ياردوس ؟ .. بيدي ؟ .. »
 فأجاب الشيخ في هدوء : « أعتقد أن هذا هو واجبك ! »
 فلبثت لحظة مشدودة مندلهه العينين ، ثم انفجرت عواطفها في صرخات متقطعة مهتمة
 مفرقة :

- لن أسافر . أبدا . لا استطيع . لن أقتل . أنا ؟ محال ! انه ليس زوجي فقط .
 انه حبيبي . انه عتيقي . انه كل شيء لي . لم أعرف رجلا سواه . لقد تزوجته وأنا
 في الثالثة عشرة من عمري . أخذني طفلة فرباني . كنت يتيمة الام فحباي عطف الوالدة
 وحباها . انه زوجي وأمي وأبي . لا أب لي سواه . وأما أنت فلو أنك كنت حقا والدي
 لما جئت الى هنا تطلب الى أن أقضي بنفسى على نعى . وفي سبيل أى شيء ؟ .. في سبيل
 أوهم .. خيالات .. الوطن ؟ وطني ؟ انى أحبه . ولكن مثلا في زوجي . وحيث يكون
 الحب هناك الوطن . ولو تشرد زوجي وهام غل وجهه الى أقصى العالم فسأتيه . نعم .
 سأسافر . ولكن لا تقذه منكم . لاخرج به من إيران . وماذا يهمنى . أرض الله واسعة .
 أرض الله مأوى الجميع . وكل أرض تقبلنى هي وطني ، وكل أرض تلبت الحب وطن !
 وصمت والشرر يقدح من عينيها ، فنظر اليها بهزاد نظرة ملؤها الأسف المر وقال :

- هذا عزمك ؟

فأجاب :

• - سأسافر الليلة ، بعد مغرب الشمس . وإذا أنابهم بشيء ، إذا جد رجالكم في طلبى
 إذا وقعت في أيديهم ، فاعلم أنك لن ترائى الا جثة هامدة . فانيهم يعزى ان شئت ..
 اقتل ابنتك ان شئت .. هذا ما سيجليه عليك اخلاصك الاعشى لاردشير !

فأخني بهزاد رأسه وارتمت على وجهه ابتسامة لم تلمح امسترس مقدار الحسرة التي
 شاعت فيها ، ولا مقدار العزة التي فاضت منها ، ولا مبلغ العزم اليأس الذي سرعان
 ما نكرها وأحالها الى ضحكة باردة غريبة أزعجت المرأة وأدعشتها

وتفلمت الضحكة على شفتى بهزاد وارتمت ابتسامة ، ولكن ملؤها الاقتناع والتسليم .
 فمجبت له امسترس ، كيف لم يغضب .. وكيف لم يسهط .. وكيف لم يثر . وقالت :

- أظنك بدأت تراجع نفسك وتقدر استحالة ما تطلبه منى ؟

ففرك الشيخ كفيه وأمال رأسه مفكرا ، وأجاب :

- يلوح لي أنى كنت مخطئا

فهمت : « ليس كذلك ؟ »

فقال مؤمنا على كلامها :

- كان يجب أن أدع المجلس التورى نفسه يفضى فى هذا الامر ، فمرجع المسائل السياسية اليه لا إلينا

فهزت كنفها غير حافلة وقالت :

- دع المجلس يقرر ما يشاء . ما أنت الا عضو فيه . وكان خيرا لك الا تدخله أبدا . أنت قنان . أنت رجل خيال وعاطفة وشعر ، فمالك وللسياسة التى تلتهم جزما غمنا من فكرك ووقتك ، كان أحق به فكك العظيم الباقى فقال وهو مطرق : « الحق معك »

وأشاح بوجهه ، فتمنت لو استطاعت أن ترى لمعة عينيه . وهجس فى فؤادها أنه غير صادق وأنه يخدعها . واستشعر منها بهزاد هذا الاحساس ، فصبوب اليها بصره ، وقاوم فى شجاعة نظراتها الحادة ، وظل هادئا ثابتا مستسلما حتى أجبرها على أن تنفض أبصارها وترى فيه الشخصية الجديدة التى أراد أن يتقمصها وأثر فيها جموده واستخفافه ، وأوشكت أن تعتقد أنه انما جاء لا يستعديها على زوجها ، بل ليمنح حبها له

واختلطت أمامها الصور ، وتضاربت فى ذهنها الافكار ولم تفهم . بل لقد أسامها أن والدها قد أيقظ عقلها من سباته واضطرها الى التفكير ، وأجهدا ، فسأيرته مرثاة ، وأمنت بدورها على لهجته المستسلمة ، واقتمت بأنها أقنعت ، ولم تعلق أية أهمية على السرعة التى نزل بها عن مطالبه

واحتضنته بهتة ، وقالت وهى تلاطف وجهه بأناملها :

- لا تذهب الى المجلس الآن .. ابقى هنا .. امكث معى .. بجوارى .. ساعد معدات السفر وسأرحل الليلة .. ومتى غادرت كرماني وسألوك عنى ، تصل ، اصطنع الدهشة . قل لهم انك لم ترنى وانك تجهل كل شئ عنى .. فرماها بنظرة فاحصة وقال : « أوعزمت على السفر حقا ؟ »

فأجابت فى حزم :

- هذه الليلة . وسأصحب معى جاريتى الصغيرة اتوسا

فلم يعترض . ولكنه عاد فنصب فامته ولاحث على وجهه مخايل العزة ، وقال بلهجة الرجل الحريص على استقلاله الذى لا يحتفل أيسر اعتداء على حريته :

- لن أستطيع البقاء معك الآن يا أمسترس . أشعر بحاجة لاستئناف عملى الفنى . ومتى استبدى هذا السعور فلا شئ يمكن أن يثنينى عن ارواله . تلك نزعة فى أقوى من ارادتى . فدعنى أذهب وانطلقى أنت الى زوجك وليحرمك الله

وأدنى رأسها من شفتيه وقبلها فى جبينها قبلة أبوية خالصة ، ثم تلقع بماءاته الخضراء وتناول عصاه التى يتوكأ عليها ، ثم توقف لحظة والتفت وألقى على ابنته نظرة ، ثم اتجه

صوب الباب منكس الهامة مقوس الظهر ، لا تأخذ منه العين غير قديمين هزيلتين تحملان
كومة من عظام

ولم يكذب بهزاد يغادر قصر ابنته ويرى الشارع والشمس الضاحكة وجهور السابلة
يروح ويغدو ، حتى تنفس ملء رثيقه وتحسس موضع الجيب من قميصه ، وأخرج ورقة
زرقاء مطوية لفها في منديلته وعقده عليها ، ثم دس المنديل في جيب آخر بعد النور ،
وتنطلق عليه بحزامه الأحمر ، ويم وجهه شطر الحانة التي يختلف إليها أصدقاؤه ومريده
وسار مشتعل العينين ويبد الحطلى يلفح التسميم لحينه الطويلة البيضاء ، وترفرق حوله
أطراف عبادة الخضراء الزاهية ، فتكسبه مظهرًا رائعًا خلابة يجمع بين الوفاء والسحر ،
ويلفت إليه الانتظار

وعرفه الناس كالعادة ، فكاثروا يتهايمون ويضحون له الطريق . واستوقفه بعض
النسوة وفيلن يديه ومرغن وجوه أطفالهن في ثنايا عبائته . والتقى به نفر من الكهنة ،
فانحنوا أمامه حتى الأرض كأنه رب من الأرباب . وشاهده جمع من شباب الوطنيين ،
فلوحوا أمامه بأذرعهم وحيوه هاتفين

أما هو فكان مشغولاً عن الجماهير بنفسه . كان مستغرقاً في التأمل والتفكير ، كان
يسير وركبته لا تقويان على حمله . كان ينظر في بعض الأحيان إلى هؤلاء الناس نظرة
حب وشفقة وأسف عميق مشوب بالقلق والخوف . وكان يخاطب نفسه ويتأجج ربه قائلاً :
- يا هورمازداره (١) الكلي الحكمة . يا هورمازداره العظيم فاطر السماوات
والأرض . أنت يا من خلقت العالم وأودعت فيه روحين يتطاحنان أبداً : روح الحياة
والحسب والسعادة وروح الموت والدمار والشقاء . أنت يا من جعلت نور الشمس رمزا
لضياء الروح وجمال الخير ، وظلمة الليل رمزا لسواد النفس وقبح الشر . أنت يا من
أشفقت علينا فبنت حولنا من قبض نمتك قديسين وآلهة يرشدونا إليك ويمثلون بيتنا
فضائلك . أنت يا مبدع الآلهة مبترا ، واسطة العقد بينك وبين الناس . وبأخالق آثاره
إله النار المحيية ، وبأفطرنا إناهيته ، الرببة القادرة على إقصاء الموت ، أنت أيها الكلي
الحكمة ، قونى واشدد أزرى وخذ بيد شيخوختي وضعفى وهبى من لدنك شجاعة
الاصفياء الخالدين كى أقهر الشر فى نفسى وأسحق أرواح الأثم والرذيلة وأصرع شياطين
الظلام ولا سيما ناسو ، أخبتهم وأمكرهم وأشدعم قدرة على الأفراء . . هبنى قوة
احتمال الألم . اجملنى صالحا فى أفكارى ، صالحا فى أقوالى ، صالحا فى أعمالى . . اجمع
حوالى قديسيك وآلهتك فأنا أحوج ما أكون إليهم فى هذا اليوم الرهيب . قونى . أناشدك
جيك العميق لبنى الإنسان أن تهبنى مرة أخرى قوة احتمال الألم ، كى أصبح جديرا

(١) هو الرب الأعلى فى مذبح زرادشت الذى كان يدين به الفرس فى ذلك العصر

يالتطلع اليك ، خليفاً بالاعتداء بك ، مستحقاً بعد موتى الخلود في فردوسك ، في جاردوينا ،
هيكلاً الألمان ! .. لا تنصرف بوجهك عني ، لا تحب إلى الضيف ثلاثاً أحب نفسي وأتكر
الفضيلة فتتلقف الزبانية رويحي في جهنم موطن الكذب ، حيث أحرم منك وتفتنى الظلمة
قلبي فلا أستطيع أن أراك ! ..

وتنه بهزاد فجأة فإذا به أمام نفس البيت الذي فقد صاحبه ابنته وشيعها اليوم إلى
مقبرها الأخير ، فانقبض قلبه وحث الخطى ، ثم عاد يناجي ربه ونفسه ويقول :

- أنت يا هـ اورمازد ، لن تتخطى عني . وكما تسرع لتجدي وتقف خلفي وتعد عقل
وأصابعي بسيل من روحك عند ما أنكب على عملي الفنى ، كذلك سارك وستكون معي
عند ما أقدم الآن على التضحية بنفسى . قد أموت ، ولكنى لا أريد أن أموت يا هـ اورمازد
قبل أن أؤدي واجبي ! .. اما أنا واما ابنتى ! .. ولقد أثرت امسترس الحب على الواجب
فينبئني أن أوتر أنا الواجب على كل شيء ! أنا متأعب .. ولقد أعددت عدتي وحسبت
حساب ما وقع .. يجب أن أعرف أين أخفى باردس زوج ابنتى كتاب نيك «زراشت»
وتاج ايران أحب جوهره في الدنيا اليك .. ويجب أن أقفل باردس لانه سارق ومارق
ومجرم في حقك وحق الوطن .. هذه ارادة اردشير . ولقد خيرني بين أن أنخذ المدل
بنفسى ، أو أكل المهمة الى ابنتى . فاما وقد رفضت فينبئني أن أقدم أنا .. أنا الانسان
الوحيد الذى في مقدوره أن يوحى الثقة الى باردس ويفرر به ويخدعه ويتزع منه سر
المكان الذى أخفى فيه التاج والكتاب .. نعم . سأكذب .. سأخدع .. ستكون هذه
أول مرة في حياتي أنفصس فيها شخصية غير شخصيتى ، وأنخذ لسانا غير لسانى وقلبا
غريبا عن قلبى . فنبئني يا الهى القوة على احتمال الآلم وروحنى لانك عليم بذات نفسى .
لا تهلكنى .. لا تتخذ عني .. لانك لو تركتني فقد أموت وان كان اردشير قد وعد
بأن يأمر رجاله بالسهر على حياتي .. لا .. اشعر بأنك معي ، وسامضى في طريق العذاب
حتى آخره !

ومضى لا يلوى على شيء وقد تسددت عزيمته ، وتصلبت اعضاؤه ، وسرت في بدنه
الواهن ارادة لا تقاوم

ولما بلغ الحان ، استقبله أصدقاؤه بالهتاف والتهليل ، وأحاطوه بشئى ضروب التجلة
والاكرام ، وأجلسوه في صدر المكان ، وتباروا في أيهم يحظى بلم يديه أو بسط الطنافس
تحت قدميه أو خلع عبائه أو حمل عصاه أو امتاعه بكأس من عصير العنب الخالص الذى
لم يكن يقدم سواء في تلك الحانة المشهور صاحبا وروادها بكراهية الحمر والمزوف عنها
وجلس بهزاد صامتا وجمل ينقل الطرف في الحاضرين حتى وقعت عيناه على الفتى
القصير القامة الاسود العينين الذى كان يبحث عنه ، فصعد نفسا مستظيلا ثم أوما إليه
إيماءة معنوية ، فقام الفتى من فوره وتسلل الى الخارج دون أن يشعر به أحد
وانقضت فترات طويلة في التحدث عن الثورة ومستقبل البلاد ومبلغ القوى التى أعداها

الملك ارتابان في هرمز وموعد زحف اردشير الى تلك المدينة ، ونظام جيش الثورة وعدد رجاله وقيمة أسلحتهم . وكان بهزاد يجيب عن الأسئلة التي توجه اليه ببارات مقتضبة تنتهي دائما بهذه الجملة :

- الزحف مستحيل قبل أن يستولى رجالنا على التاج والكتاب
وكان في الآونة بعد الأخرى ينفخ بوضجر وهز كفيه كالمنخف اليأس ويتمتم :
- ارتابان رجل ذكي .. رجل قوى ..

فصمت أصدقاؤه وتلفتون الى بعضهم البعض ثم يحدقون اليه مبهورين ، غير انه كان بالرغم من ذلك لا يلبث ان يستأنف الحديث في موضوع آخر حتى يعود الى الكلام عن الملك ارتابان بشئ من الاصاب الحفي المستور ويلهجة غامضة جديدة لا عهد لاحد بها وهكذا شعر الجميع أن شيئاً في بهزاد قد تغير ولكن أحدا منهم لم يرتب في عواطفه ولم يشك في اخلاصه لانه كان حتى تلك اللحظة فوق جميع الريب والشبهات

ولما عاد الفتى الاسود الشعر ، القصير القامة ، وتبادل وبهزاد نفس النظرة المنوية ، ثم انصرف للمرة الثانية مسرعا كان عليه واجبا مستجلا يجب أن يؤديه . أعرب الشيخ لرفاقه عن رغبته في الرياضة ، فخرج الجميع من الحانة ، وبدل أن يسلكوا طريق الضواحي أشار عليهم بهزاد بالاتجاه صوب الطريق العام

وكانت الشمس ملتهبة ، والحر شديدا ، وفي السماء بعض السحب الضالة المشردة ، فتناقلت خطوات بهزاد وجعل يتأمل جمال السحب وترامت أبصاره الى الأفق البعيد ، فلمح طائرا ينضم غراب ربوة عالية ثم يحلق في الأفق صعدا ويختفي ، فمرته هزة كبرى به وضم قبضته على عصاه ، وأحس أن قوة حارقة قد استقرت في نفسه ، فتوقف عن السير وتفرس فيمن حوله

وفجأة برقت عناه وصاح محتدا كمن أطل الفكير في أمر ، ثم اهتدى الى حقيقته :
- كلا .. ان الظلم أحب الى من الفوضى وليس شك في أن ارتابان يظلم الشعب ، ولكنه على الأقل يعرف كيف يحكم ويفر النظام في المملكة . أما اردشير فحديث العهد بالحكم ، ولو أقيمت اليه غدا مفايلد السلطة فسوف يضطرب ولا ريب حبل الامن في البلاد وتعم الفوضى ..

ففلر اليه أصدقاؤه مصموقين . ولكنه استنرد :

- لقد فكرت طويلا وانتهيت الى نتيجة اطمأن اليها ضميري . يجب أن يحل المجلس الثوري ويجب أن نعدل عن فكرة مواصلة القتال . ان ارتابان قوى وسوف يقهرنا . والحكمة أن نستدرجه للتفاهم مع زعمائنا الآن لا أن نقاتله فنستهدف لحط الهزيمة ونعرض لانتقام الشعب

ففل أصدقاؤه بهزاد يتطلعون اليه وهم في شك مما يسمعون ، لا يصدقون آذانهم ولا يصدقون عيونهم ولا يستطيعون أن يتصوروا أن الرجل الذي يذم الآن معتداتهم بمثل

هذا الكلام هو نفس الرجل الذي كان علما عليها بالامس ، يزود عنها يقلبه ولسانه وينزل في سبيل تحقيقها كل مرتخص وغال

وخيل لبعضهم أن الحرف قد خالط عقل الشيخ . واعتقد البعض الآخر انه قد جن . ولكن بهزاد استأنف حديثه في منطق محكم وأسلوب بليغ أقتنع الجميع أنه يتكلم عن وعى لا عن جنون . فتقطعت جباههم وشجبت وجوههم وارتسمت عليها علام الصرامة التي سرعان ما شابهها الاستنكار والحق والسخط

ولما ألقوه يمين في تجريح أردشير ، ويسرف في التناء على أرتابان ، ويوغل في الدعوة الى الهزيمة ، انطلقوا يصيحون في وجهه ويخطئون ويمامونه معاملة الند ، ويحاسبونه على كل فكرة وكل كلمة وكل إشارة

واحتدم نقاشهم وتالت صيحاتهم وغص الطريق بالناس ، فلم يحفل بهزاد ولم يتطرق الى نفسه الخور ، بل كان على التقيض ، ثابتا راسخا يرد على هذا ويحاول أن يفهم ذلك ويوجه الجميع ويتحدثهم في صلابه غريية واصرار عجيب

وزاد عناده سخطهم ، وتطور السخط الى حقد ، واستحال الحقد في صدورهم الى رغبة في العقابة والتكيل . فأسرع واحد منهم واختطف مقعدا من أحد الخوائن واعتلاه وصاح بالجمهور :

- ان بهزاد يسب أردشير .. بهزاد يطلب عقد الصلح مع أرتابان .. بهزاد يدعو الى الهزيمة .. عقبوا الخائن .. انقصوا من المجرم ! ..

وهبط الرجل الى الأرض واندس بين الجماهير ، فاضطربت وغمايت واصطفقت كموج البحر ، واندفعت نحو بهزاد

وأحسن الشيخ كان نطاقا من حديد ضرب حوله ، وكان أسوارا من الاجسام الادمية قامت بغتة في وجهه ، وكان الف ذراع توشك أن تنقض عليه وتغزقه تمزيقا ، فحجب رأسه بيده اليسرى ، وهز بالآخرى عصاه بالرغم منه فظن البعض أنه يهيم بالدفاع عن نفسه فاستنكروا هذه الإشارة ، واشتد سخطهم فجرده أحدهم من العصا ولوح بها فوق رأسه ثم انهال بها ضربا عليه

وفي تلك اللحظة قبل الشرطة الذين تلقوا الامر من أردشير وشرعوا يفرقون الناس ويغصونهم عن الشيخ ويضجون له الطريق ، ولكن الجموع كانت قد أصابها شبه سعر فتملست من الشرطة وغافلتهم ، وتدفعت على بهزاد في صفين متراسين يحاولان الاطباق عليه

وتقدم الشيخ في طريق العذاب ، مشعت الشعر ، جاحظ العينين ، ممزق الثياب ، ينزف من رأسه الدم . فبدأوا يضحكون لمنظره ، ويقهقهون لهيئته ، ويسخرون من شبيهه ويتهددونه بالرجم ، ويتوعدونه باحراق داره والقاء صورته ورسومه طعمة للنار

ولما سار أيضا بضع خطوات بصقوا في وجهه وسبوه في عرضه ، وألقوا عليه حفات من تراب
ولما أبصروه ذاهلا ، مذعورا ، يثقت كالحويان المطارد حاثا خطاه في طلب النجاة ،
عز عليهم أن يثقت منهم فاشد عجيبهم ، واقتحموا الحاجز الذي أقامه الشرطة ، وجذبوا
بهزاد من أطراف عبائه ، وضربوه بقبضاتهم وركلوه بأرجلهم فترنح الشيخ وتهاوى
وانهار على الأرض
وعندئذ التحم رجال الشرطة بالشعب ، فثارت ثائرة الجماهير ، وطمى عليها شبه جنون
وأبت إلا أن تقتل بهزاد ، فشرعت تجمع الحجارة من الشارع وتهدف بها رجال الشرطة
وتصوبها على الشيخ الصريح
واحتل الحابل بالنابل ، وكادت جوع الشعب تفتك بالشرطة وبهزاد ، ولكن فرقة
من الفرسان أقبلت فجأة ، وسقت زحمة الجماهير وشرطتها أجزاء ، وبشرتها فذب الرعب
في قلوب الناس ، وفارقوا حائقين متوعدين
وفي تلك اللحظة ، وقبل أن تجلو الجماهير عن الشارع ، ويرتد إليه النظام ، شوهدت
أمسترس محلولة الشعر زائغة العينين ، تعدو كمتوعة وتخرق نطاق الجند ، وتلقى
بنفسها على أيها الذي كان أشبه بجثة فارقتها الحياة

فتح بهزاد عينيه ، فأبصر نفسه في مخدع ابنته مسجى على فراشها ، وهي واقفة بجواره
ترنو إليه بنظرة تفيض حبا وشفقة ، وبالقرب منها جارتها الصغيرة أتوسا تدثره بالاعطية
وتقسم له
وتذكر ما وقع وثقلت له أشباح أصدقائه والأجواء المشبعة بالهالة التي أبغضته
والأفواه المتوترة للقاسية التي لعت ، والشباب الذي أجترأ وضربه ، ورجال الشرطة
والنساء والفلماني والسيوخ ، وكل ذلك الجمهور صاحب المخيل ، فسرت في يده
قشعريرة باردة وخيل إليه أن جوع الساخطين المستفكرين تزحف إليه ، وتضيق عليه
الحناق ، وتوشك أن تفتسه ، فأرسل صيحة رعب وجزع ، ثم لمح وجه ابنته واستقرت
عينه على ابتسامة أتوسا الرقيقة الناضرة ، فتنفس وهذا وترقررت من عينه الدموع
ولما شاهدته أمسترس يركى ، أحست كأن فؤادها يذوب حزنا عليه ، فجلست على
الفراش بجواره ، وأسندت رأسه إلى ذراعها وطفقت تهدده وتناغيه وتطيب خاطره ،
كانها أم وكأنه طفلها
ودرعه هذا التدليل ، وخشى أن يكون قد أصيب إصابات بالغة ، يقتضى الشفاء منها
وقتا طويلا ، فتحسس أعضاءه ثم لمس رأسه المصوب ، ثم استجمع قواه واستوى على
الفراش ، فألقى نفسه سليما إلا من تعب شديد ما زال يرهقه

وكان من عادته أن يقاوم التعب بالحركة فحاول التخلص من أمسترس ، وترك الفراش فثبثت به وهى تصرخ ، ولكنه أقصاها عنه في رفق ونهض ، وجعل يروح في الغرفة ويدو شادا أعضائه مروضاً عضلاته ، مكافأ ضعفه ، معلنًا الى أن عين الله الساهرة لم تصرف عنه ، والى أنه لم يزل حتى الساعة على قيد الحياة

وتذكر الورقة المطوية الزرقاء ، فاضطرب وتحسس جبهه الكبير ، فألفاها قابضة في غوره ، فاضاء وجهه ، وزايلت قاطعته مسحة الحور والالام

وكانت أمسترس تنظر اليه مشفقة عليه ، معجبة بجوينة ، أما أنوسا فقد صفقت فرحا بسلامته ، وأسرعت تنقل النبا السار الى الجوارى والخدم

ولما تربع بهزاد على إحدى الوسائل الملقاة على الأرض ، ارتقت أمسترس على أخرى بجواره ، واحتضنته بذراعيها وقالت وهى تحديق فيه :

- أدركت الآن مبلغ جبك لى .. جبك العظيم لايتك الوحيدة .. لقد أنكرت نفسك ومعتقداتك واستهدفت لحظر الموت من أجل .. لم تشأ أن تكون فى جانب ، وابنتك وزوجها فى جانب آخر .. لم تشأ أن تكون الا حيث تكون ابنتك وقرينها .. لم تشأ البقاء عضواً فى المجلس التورى الذى قد يحكم غدا على ابنتك وزوجها .. هذه تضحية منك أعلم مبلغ ما أورثته لك من أسى وعذاب

فنظر اليها نظراته المملوءة بالأسف وعجب لها ، كيف تكون امرأة وتكون جميلة ثم لا تكون ذكية . وأدرك أن حبها لقرينها هو الذى أعماها ، وألقى فى روعها أن تضحية والدها ، انما كانت فى سبيلها هى ..

وقبل أن يهم بالكلام عاجلته بقولها :

- ولكنك أردت شيئا وأورمازده الكلى الحكمة أراد شيئا آخر ..

ففرس فيها مندهشا ولم يفهم . فاستطردت :

- بالامس عند ما حملتك الى هنا أصابنى نفس ما أصابك . لحقت بى الجماهير .. يصقوا فى وجهى .. ركلونى بأقدامهم .. مزقوا ثوبى .. كان الرجال يصيحون : هذه ابنة الحائن ! وكانت النساء تجار : اغتولوا البنى عشيقه ارتابان ! .. وهنا .. هنا فى بيتى أبصرت الوجوه تسيح عنى .. لمحت أثر الاحتقار فى عيون عبيدى .. رأيت ابتسامة الزايرة تلمع على شفاه جوارى .. الكل اعتقدوا أنى أغريتكم بالتمرد على أردشير لانى بمت نفسى لارتابان ! .. وحتى أنوسا ، أنوسا التى لم تتغير والتى كانت برغم الجميع تؤمن بى وثق بعتى ، كبت أحسن ان اسرافها فى الثقة والاخلاص دليل منكر على أنها تشفق على وتبذل قصاراها فى أن تنفر لى زلتى ! .. أجل .. أصبحت فى نظر الجميع بنيا استخدمها زوجها لاطماعه ، واستخدمت هى والدها لتحقيق تلك الاطماع ! .. ما شعرت أبداً بمثل ما شعرت به أمس ! أنا الزوجة الوفية ، استباحوا تخريق عرضى ، ومرغوا سمعتى فى الاوحال .. وسمونى بميمس الخزى الابدى .. لونونى بالعار ، عار الزنا وعار المروق .

ولقد أحسبت ، نعم يا والدي ، خامرني احساس طارىء مستحوذ غنيف ، انى أحببت زوجي أكثر مما يجب ، وانى أطعته أكثر مما يجب ، وأن هناك أشياء أتمنى منه ، كان ينبغي أن أفضلها عليه وأدفعه بحبي الى الحرس عليها ! .. شعرت بكل هذا وبما هو أقطع منه .. شعرت بأن حبي قادني الى الهاوية ، فتحرك في نفسي عامل غريب ، عامل بهت له وجزعت ، عامل الفوز من زوجي .. بل عامل الكراهية له والحقد عليه ..

أجل . لقد استفاق ضميري ولمست أمس مبلغ الاذى الذي أحدثه حبي وأطماع زوجي لنفسي وبلادي ، فكرهت نفسي وكرهت زوجي ولما بصرت بك أنت أيضا تنقض وتتردد وتخون من أجل .. من أجل سعادتى .. اسودت الدنيا في عيني وكرهت أن تكون أنت أبى ! ..

وكان ينم النظر فيها وهى تتكلم موجسا خيفة منها ، مرتابا في أن تكون قد نصبت له شركا تحاول إيقاعه فيه

وبعد أن كان يظنها امرأة ساذجة بسيطة ناقصة الذكاء ، بان يعتقد أنها داهية تصطنع المواطن التي تروقه وتقتل أمامه دورا وتستدرجه بإقلاها الفجائي ، كى تستبطن دخيله نفسه وتقف على حقيقة سره خدمة لزوجها وانقاذا له مما يراود به . فازداد استمساكا بموقفه واصرارا على عزمه وقال :

- اذا كنت يا أمسترس قد تغيرت فانا أيضا قد تغيرت .. واذا كنت قد أصبحت تحت تأثير كرامتك المتهكة مخلصة لأردشير ، فانا أصبحت تحت تأثير العقل والحكمة والحرس على مصلحة البلاد مخلصة للملك أرتابان ..

فرشقه بنظرة حادة وقالت : « أجل هذه المرة يقبل رجل مثلك ؟ »
فأجاب :

- قد تكون سرعة التقدير دليلا على صدق الايمان . ولو لم أكن صادقا في معتقدى الجديد لما تحدثت الجاهل وعرضت نفسي لخطر الموت ..

فضمت أمسترس أهدابها وقالت :

- اذن فأنت تؤمن حقا بأن مصلحة البلاد أن يفوز أرتابان ؟

فأجاب وهو ثابت جامد : « هذا هو الآن رأيي »

فصاحت وقد لمت عيناها الخضراوان :

- كيف نفسى ما قلته بالأمس ؟ لقد كنت تنقد وطنية وتنتهب حماسة وتشتعل غيرة في الدفاع عن أردشير وتدعوني الى الاخذ برأيك والسير معك . فأين ذهب اخلاصك لوطنك ؟ أين ذهب وفائك لاسرة سامان ؟ أين ذهبت أحلامك في تحرير بلادك من حكم الطاغية اندخيل ؟ .. الا أن العجب ليستحوذ على وأكاد اتهمك اما الخداع واما بالجنون !
أناى الى بالامس موقفا في نفسي شعلة الوطنية ، مضرما في قلبي هوى الحرية ، مستنيرا كبائى ضد الجور والظلم ، موغرا صدرى حقدا على قرينى ، فلما استنصر نبل آرائك وأنتق

بصدق وطنيتك وأصبح في صفك ، تأتي اليوم فتقتض أفعالك ، وتكرر تعاليمك ، وتذهب في المروق الى أبعد مما كان قد ذهب فيه خصومك ؟ . كلا يا والدي .. لا أستطيع أن أصدق .. لا أستطيع أن أنصور .. لقد كنت بالاسس أنمس امرأة عند ما كنا خصمين فلا تبعد اليوم عني .. لا تفصل عن ابنتك .. ردها اليك ورد حليمك القديم الى نفسك . أنت أردت أن تشرك ابنتك في تادية وإجب عظيم ، ها هي أمامك ، ها هي عند ظنك بها ، ها هي لا ترد في قطع رباط الحب ، لا ترد في تضحية زوجها ، والسير معك ! فنهض بهزاد وقال وقد تقبضت عضلات وجهه :

- لن تؤثر في أفعالك . أنت وشأنك فيما أصبحت تمنقدين . أما أنا فراحل .. يجب أن أغادر هذه المدينة .. يجب أن ألبى نداء ما بت أعقد أنه الواجب فالخلق بالملك أرتابان وخطا خطوة نحو الباب فوثبت اليه وقطعت عليه الطريق وصاحت : « لن تخرج ! » ثم تقدمت اليه واردفت وصوتها يدوي :

- لن أدعك تخدم أعداء بلادك . لن أدع أرتابان يفيد من ذكائك ورجاحة عقلك . لن أجلب على عارا فوق عار . لن أفقد والدي بعد أن فقدت زوجي ، لن أظن في كرامتي مرتين . سأنفذك من نفسك وأنفذ وطني من زوجي ومنك ودفعته الى الوراء في حزم مترفق ثم قالت :

- ستظل هنا .. لن تخرج من هنا .. لن تسافر ..

ثم ضحكت ضحكة وحشية واردفت :

- أنت أسيرى ومكانك أصبح هنا !

وكان بهزاد ينظر اليها حائرا منبوها . كانت عينه تجاهد لتأخذ منها ، ولو لمحة عابرة تتم عن الدهاء ونية التدبر . كان يفحص وجهها ، ويفرّس في عينيها ، ويرصد خركاتها ، ويزن كلماتها ، ويخيس على نعم الصراحة والصدق رنين صوتها . ولم يسمه الا أن يسلم بأنها صادقة ، فأراد أن يقسو عليها ويمتحنها للمرة الأخيرة فقال في سكون :

- أريد أن أخرج . طريقا يا أمسترس ودعيني أنفذ حياة لزوجك !
فصرخت :

- حياته وموته في يدي لا في يدك أنت . ولقد عزمت أن أقضي عليه كي لا يقال اني قد بت عرضي لاحقق مطامعه ، وأخون وطني .. كبريائي أصبحت أقوى من حبي .. احساسى العميق بالعار قتل الحب والرحمة في نفسي .. لن يعيش باردس وهذا أجدر به وبى . ولو انتصر فسبؤك انتصاره عارى . لا . لن يقال ان زوجي اشترى مجده بأن ألقى بامرأته بين ذراعى أرتابان .. لن أقوى على الحياة معه ، وهذه الوصمة في جيني . أولى بي أن أضحية انقاذا لبلادي من المبودية ، وانقاذا له نفسه من حياة العار وكانت أمسترس في حماسها الصادقة وفي ثورتها لكرامتها المتهكة رائعة الفتنة والجمال كانت القوة المنبئة منها والارادة التاججة فيها ، والبارات المتدفقة من شفتيها كسيل

من نار ، تحدث ضربا من التناقض الساحر بين نفسها المعترزة الشاغرة ، وبين جسمها الرقيق الضئيل . وكانت بفاتها القصيرة ووجهها البيضاء الصغير وأنفها الدقيق وفمها الشبيه بحبة غلب شهية ، تبدو في نظر والدها صورة حية نابضة لعذراء من عذاراء الطامعات اللواتي أفن في رسمهن على لوحه يذكبن حية الرجال ، ويقاثلن مع الفرسان والأبطال ، في سبيل مجد بلادهن ، فامتلا صدره خيلاء وزهوا ، وعقل لسانه فرط الإعجاب بابنته ، فلبث ينظر إليها مبهورا قريبا القلب ناعم البال ، شاعرا بالسعادة المطلقة الكبرى ، سعادة الوالد الذي يرى نفسه ممثلا في ولده أصدق تمثيل وأبلغه

ولما فاض به الإعجاب والفخر ، أعجاب الفنان بالصورة الجميلة وفخر الأب بابنته الخليفة به ، تحرك وهم بالكلام ، هم يكشف الستار عن حقيقة موقفه ، ولكن أمسترس استطردت في نشوة اندفاعها :

- أنا لا أحنزك هنا يا أبى لاني أخشى أن يمجل سفرك الى هرمرز انتصار أرتابان ، أو نجاة زوجي . كلا . انما أمنك من السفر لاني لا أريد أن تثبت عليك الحياة نباتها على زوجي ، يكفك ما ألحقته بنفسك من عار سأتكلف أشق الجهود لأطهرك منه في نظر الشعب ، أجل . اني أحول بينك وبين الرجل الى هرمرز انقاذا للبقية الباقية من سمعتك وكرامتي ، أما أن تتفق أن وجودك هناك قد يخدم قضية أرتابان وقد يؤدي الى نجاة زوجي . فهذا منك وهم ، هذا في حكم المحال ، لان النصر أصبح لنا . أتسمع ؟ النملة في أيدينا .. بل في يدي أنا ! ..

وجذبه من ذراعه وصاحت : « تعال .. تعال أنظر .. »

واتجهت صوب خزانة قائمة في إحدى زوايا مخدعها وفتحت بابها ووردت : « أنظر .. » فحملت بهزاد في جوف الخزانة وصنق ، ثم ثلاث عيناها فرحا جنونيا ، وسقط جانيا على ركبتيه ، إذ أبيض التاج والكتاب المقدس ! ..

وكانت أمسترس واقفة تأمله وتبسم وقد انصبت من النافذة أشعة الشمس فسقطت جواهر التاج ونوهجت وأرسلت أضواءها المنعكسة على عجا بهزاد وقالت أمسترس وهي توحد خزانتها على كنزها :

- هذا هو المكان الذي أخفى فيه بارس تاج الملك وكتاب الدين . أخفاهما عندي .. في مخدعي .. اثبتني عليهما ليقينه أن كاتنا من كان لن يستطيع دخول مخدعي ، ولن يفلتن الى وجود هذا الكنز في حرم امرأة .. ولقد أبقي التاج والكتاب هنا ، في كرماني ، قلة منه بالعودة إليها ظافرا حيث يتوج أرتابان مرة أخرى في نفس المدينة التي تعد مركز الثورة ومقل أردشير ..

وضمت لحظة وهي تلهث ثم أردفت شاحخة متحمدة :

- ماذا يمكنك أن تفعل الآن ؟ النملة في أيدينا .. القوة الروحية أصبحت لنا .. لاردشير .. وسوف يعرف كيف يستنهض بها الهمم ويشحذ الغرائم ويبدأ في ظلها

الزحف المتظر على جيوش أرتابان

وسكن جاشها ثم دنت من والدها وقالت مشيرة الى الخارج :

- انصرف اذا شئت .. ارحل الى هرمز .. العناية الالهية شامت أن تكون معنا
والنصر قد كتب منذ الساعة لنا ، ولن تصيب من انضمامك القتل الى أعدائنا الا لعنة
أمتك وبنض ابتك . انصرف اذا شئت !

وفى تلك اللحظة دخلت أتوسا مهرولة وقالت :

- مولانى ، ثلاثة من رجال الشرطة يسألون عن سيدى الكبير
فقال بهزاد :

- لينظروا فى الفناء الداخلى . رحبى بهم وأكرمى وفادتهم وسألق بك

وخرجت أتوسا فالتفتت أسنرس الى أبيها وقالت وهى ترعد :

- جاءوا للقبض عليك .. كنت أتوقع ذلك .. كنت واثقة ..

ثم تصورت نفسها وحيدة منبوذة لا أمل ولا عزاء ، لا والد ولا زوج ، فتملكها اليأس
والذعر وأحاطت والدها بذراعيها وصاحت :

- لن يأخذوك منى .. لم يعد لى سواك .. لن تذهب .. أشفق على .. أنا امرأة

وتأدية الواجب لا يمكن وحدها أن تسعدنى .. بى حاجة الى العطف ، الى الحنان . ولقد

ضجيت بحب الزوج فلا أقل من أن يبقى لى حنان الوالد .. فب الى رشذك وانكر

منزعتك الجديد وأشفق على نفسك وعلى .. ستعاقب فوق ما عرفت .. سيحقرونك أيضا ..

فأحس بهزاد وهو بين ذراعى ابنته سعادة عميقة كسعادة مجاهد كافح وحده ثم التفت

بانح له فى الجهاد ، بعد طول العناء والصبر ، فالتصق بها ، وتشرى روحه دفة الامن

والطمأنينة المنبعث منها ، فأخفى رأسه على كتفها ، ورفع إليها عينيه المتعبتين الصافيتين

وعغمم : « أنا الذى عذبت نفسى ! »

ثم فك أزرار جلبابه وكشف عن قميصه الأبيض وأخرج من جيبه الورقة المطوية

الزرقاء وتاولها لابنته وقال : « أقرئى »

ولم تكذ تلقى على الورقة نظرة حتى بهت وعقد الدهش لسائها ثم طغى عليها الفرح

فصرخت :

- أكنت اذن على اتفاق مع أردشير ؟!

فأجاب :

- وهذا هو الاذن منه باجتياز الحدود . أجل كنا متفقين وكنت قد عزمتم بالامس فى

حالة رفضك أن أسافر وحدى الى هرمز لتأدية الواجب بدلا منك .. ولقد أمر أردشير

رجالها بالسهر على بيتى ، وعلى حياتى فحاثوا بين الجماهير وبين قتل واحراق نارى .

وها هم الآن أقبلوا لا لاقاء القبض على كما توهمت بل ليهلوا لى سبيل السفر ،

ويحمونى من سحق الجماهير

فقلت أمسترس وقد أخذ منها العجب مأخذه :
- ولكن لم لم ترحل خفية ؟ .. لم ظهرت أمام الناس بمظهر الخائن ؟ .. لم عرضت نفسك لغضب الجماهير ؟ ..

فرمقها بنظرة حزينة طويلة وأجاب :

- لأنى أردت أن يتق زوجك بإخلاصى لأرتابان . أردت ألا أزع للنك عجلا في نفسه ، أردت أن أكسب ثقته لاتتزع سره وأعرف قبل القضاء عليه أين أخفى التاج والكتاب . أردت أن يعتقد أن انقلابى كان من الصدق بحيث جاهرته به على رؤوس الأشهاد واستهنت في سبيله بحياتى . ولقد أرسلنا الى زوجك من بلغه البيا وقص عليه قصتى . ولو أنى أذهب إليه الآن فسرحب ولا ريب بمقدنى ، ويعترف لى بكل شئ . فصاحت أمسترس وهى تغمره بالقبلات :
- إذن فلماذا احتملت يا أبى كل ذلك العذاب ؟ ..
فقال :

- من أجل بلادى لا من أجلك أنت كما توهمت يا أمسترس .. كان لا بد أن أحفر وأمان وأحرب وأرى الموت كى تتم الحديقة فعلها ! .. ولقد مضيت ولم أحفل لا بكبريائى ولا بسمتى ولا بضعفى فبوركت على شجاعى بأن رأيت المعجزة وريحت كل شئ .. رمز بلادى وكتاب دبنى وقلب ابنتى ! فالى العمل الآن يا أمسترس .. الى الحرية المكفولة والتصر المحقق ! .. احتفظى بكرك الثمين ريثما يصل أردشير وينسلمه من يدك ! .. انه ينتظر ويود أن يعلم ماذا حل بى . سأذهب إليه وأطمئه على الحقيقة ثم أنصح له بالزحف منذ الغد الى هرمز .

فتشبث به أمسترس وقالت بلهفة وهى تمسكه :

- أفى نيتك اللطاف بالجنش الى هرمز أم أنك ستبقى ها ؟

فتطلع إليها مبتسما وقال :

- سأعود الى عمل فقد انتهت بينكم مهمتى .. سأبقى لأنتم تلك الصورة التى بدأتها . الصورة التى أصبحت خلاصة فنى .. صفوة جهودى .. العمل الذى سأرصد عليه حياتى وتلكه فجأة عقل الفنان وروحه ، فألقت عيناه وشرد بصره . وأردف وقد نسي كل شئ . ولم يعد يرى غير خياله :

- الظل .. الظل هو كل شئ . لا الضوء .. الظل يجب أن يلفى على العذارى ..
والضوء على الابطال .. على الابطال فقط ..

ولم يلتفت الى أمسترس ولم يقبلها ولم يحبها ، بل أسرع وألقى على كتفه عبائه المزقة ، ثم توكأ على عصا جديدة كانت قد جاءته بها أنوسا ، وخرج مرفوع الرأس منصوب القائمة خفيف الخطى ، وابنته تبعه النظر ، وقد تهلل وجهها وملأ نفسها الدفعة والاعجاب والحب

دين الشريد



تخل هذه القصة روح الاخلاص والوفاء الى
كانت مسئولية على مشاعر الروس نحو
مليكهم العظيم بطرس الأكبر مؤسس
روسيا الحديثة ، والرجل الذى قرب مسافة
الحلف بين بلاده وبين حضارة أوروبا ، فخل
انها العلوم والفنون ، وقام فيها بحركة
إصلاح ثورية خفية في مختلف شؤون الادارة
والسياسة والاجتماع

.. لا .. لا .. ذلك لن يكون ..
يا لها من ليلة رهيبة !.. كان الحب صادقا
في عينيها النجلاوين ، ولكن نظرتها ؟ ..
لست مطمئنا لنظرتها ولا لصحتها الخفية
العائشة التى يشوبها في بعض الاحيان تهكم
خفى !.. أين أنا ؟ وماذا أفعل ها ؟ ..
هذا هو الخارج الضيق الذى تمارفنا فيه ،
وهذا هو بيتنا !.. لقد قادتنى قدماى الى هنا
بالرغم منى !.. ما أشد حبنى لها !.. عيناها
سر غامض أودع في كلمتين .. فمها ساحر التواء لا يكاد يهم بالكلام حتى يحجم ..
يحياها أرقى من صفحة الماء وأقن من ضوء الربيع وأبهى من الشمس في مطلع النهار ..
جسمها اللدن لا يتحرك بل يتلوى ، ولا يتلوى الا لبس وبرقص .. نفسها بهمة خفيفة
كأعناق البحر .. ما هذا الهدوء المقيم على منزلها ؟ .. أين والدتها الشيخ الذى كان
يحبنى ؟ .. نعم . لقد مات .. ومات والدتها أيضا وبقيت هى وحدها على قيد الحياة
لتشقى !..

أكان يجب أن تفكر في بعد كل ذلك الهجر الطويل ؟ .. كنت قد بدأت أنساها
وأغفر لها حياتها ، وأروض نفسي على القناعة بالسعادة الروحية يسبها على تأدية واجبي
للقيصر وحبى العظيم له ، وإيماني بأن الاخلاص لشخصه ومبادئه هو السبيل الاوحد لانتقاذ
روسيا من البربرية التى تتردى فيها ورفعها الى مصاف أكبر دول أوروبا !.. لا .. لن

أنحول عن اخلاصى للقيصر !.. بطرس الاكبر بطل الاصلاح ورب التجديد ، بطرس الباسل ، بطرس الصخرة ، الصخرة التى يصعدم بها الرجعيون كل يوم فلا تزداد الا صلاية وشموخا ولا يزدادون الا حنفا وضعفا !.. يا لروسيا الجديدة التى تفتتح للحياة مشربة النقى اليه متطلعة القلب نحوه !.. ألم يجعل من هذه الغاية الوحشية حديقة متراصة الاطراف منسقة الاشجار يانعة بكل زهر ونبات ؟.. انظر .. انظر حولك يا بوريس بافلوفتش ، يا ابن العهد الغابر ، يا وليد الاستبداد والذل .. اخرج من هنا .. تحرر من مؤثرات هذا الشارع الضيق .. انفذ عقلك وقلبك ورتيك واخرج .. ما هذا ؟.. انه لنور ساطع لا يجسر على التحديق اليه غير الاقوياء !.. انظر يا بوريس .. الشوارع نظيفة .. الامن مستتب .. النساء اللواتى كن محجبات فى البيوت يرسفن فى أغلال العبودية ويحين لشهوة الرجل ، أخرجهن القيصر من أجحارهن ورد اليهن نعمة الحياة والحرية !.. الشبان .. هؤلاء الشبان .. انظر كيف يضحكون متبهجين ولا يسبرون محزونين فرادى كما كانوا بالاس !.. كل فرد منهم يتباطئ ذراع فتاة .. فتاة كان لا يستطيع أن يراها ولا يستطيع أن يجبها ولا يملك حق الحرية الشخصية فى التزوج منها ! هذا الحق أيضا رده اليه القيصر غير حائل بتخربات الآباء ولا بزجرجة رجال الكنيسة ولا بتهديدات النبلاء العاطلين أشباع الجبل القديم !.. ثم انظر أيضا .. هناك .. من هؤلاء الرجال الأغراب الشقر الشمور الميديو القامات العاسون المتأنقون ؟.. هم مهندسون .. مهندسون أجانب جاء بهم القيصر لتدريتنا على إنشاء أول أسطول لروسيا !.. وهذا .. هذا المخلوق الذى يحث خطاه وضرب الأرض بمصاه ذات المقض الذهبى .. أتعرفه ؟ اليس هو ذلك الارستقراطى المترف الذى كان يقضى حياته فى الصيد والقنص ، والذى أجبره القيصر على الخروج من عزلة العقيمة والانخراط فى سلك الموظفين خدعة للحكومة والدولة ؟.. ثم .. ثم قف قليلا .. وادفع الرأس عاليا .. واسمع دوى تلك الطبول .. ها هم .. ها هم يتقدمون فى شكائهم اللامعة ، ناهضى الصدور متزنى الحطى ، يسير فى طلبتهم ضابط روسى شاب وفى مؤخرتهم ضابط منظم أجنبى !.. هذا هو جيشنا !.. هذا معقد آمالنا !.. هذا ثمرة غرس قيصرنا !.. الادارة .. الجيش .. الاسطول .. الحريات الشخصية .. كل جديد وعظيم نحن مدينون به اليه !.. فكيف .. كيف انسى هذا ؟.. كيف ينهض فى قرارة نفسى شيطان يريد أن يعينى عن رؤية كل هذا ؟.. كيف أنرده فى تلبية واجبى ؟.. كيف لا أبتز فى سبيل القيصر جميع اعضائى ولا سيما قلبى ؟.. الريح بدأت تعصف .. الناس يهرولون الى منازلهم .. كلهم يطلب الملاذ والمأوى .. لا ملاذ لى .. اعود ؟.. أكر راجعا الى حيث أراها ثانية ؟.. لماذا أنا اليوم جاف الذهن متبدل العقل مصدوع ؟.. لا أدري !.. كائى أعلم ولا أعلم ما أريد !.. كان قوة مجبولة تنشأنى وتسيرنى هكذا على غير هدنى !.. الطبول تدق !.. لا أريد ان اسمع شيئا !.. فلا تفر من هنا .. لماذا لجأت الى يا كاترين ؟.. تعلمين أنى أحبك حبا لم

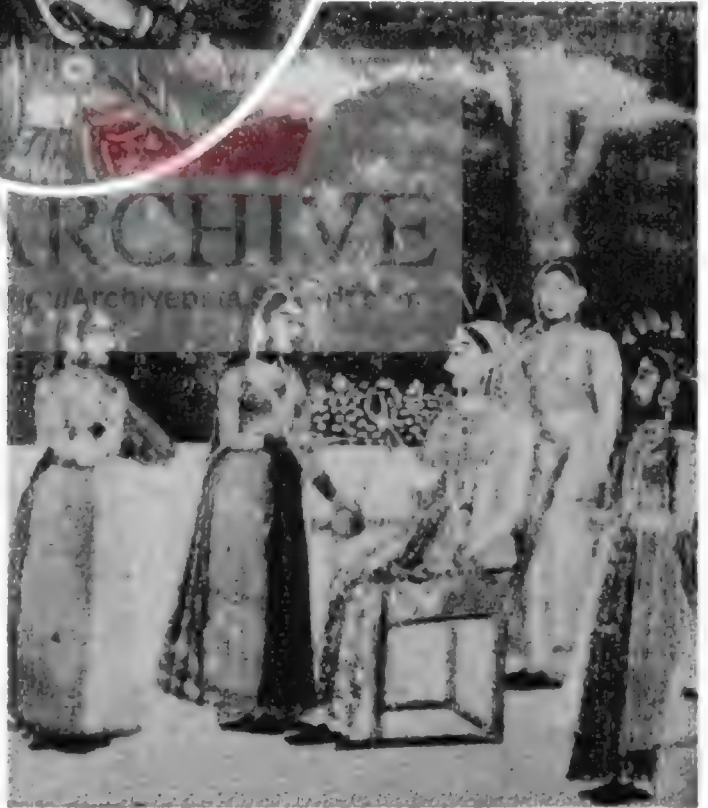
تخمد حياتك جذوته .. لا . على النقيض .. أنت خدعتي .. كنا قد تعامدنا على الزواج ففررت بي وفضلت على ذلك النبيل الشريف السرى عدو مليكى ورئيس حرس البلاط الامبراطورى .. لم تقتل حياتك حبيبى ، بل أحالته الى بنض ، وهذا البغض نفسه ألهب الحب وأحاله الى جنون ! .. نعم ، أغلب ظنى أن المطر لن يسقط اليوم .. الشمس تكافح السحب .. يا لقوة السحب وتغاتها فى التساند والتجمع ومحاولة خنق الشمس ! .. « ولكن لماذا لجأت الى أنا يا كاترين ؟ .. أصبح أنك تحبيني ؟ أصبح أنك قد ندمت ؟ .. ربه ، ألن تسكت هذه الطبول ؟ .. ماذا أفعل ؟ .. ماذا تريدان أن أفعل ، وكيف تطلبين الى المستحيل وتعلمين فوزى بك على تحقيق المستحيل ؟ .. ان بطرس الاكبر لم يسجن شقيقته الاميرة صوفيا فى الدير الا لانها كانت تتآمر مع رجال الحرس الامبراطورى على خلمه .. ولقد عادت الى التآمر وهى فى الدير سجينه وبطرس متعيب عن البلاد ، ففشيت من جديد ثورة الحرس الرجعية ، فلما علم بها الملك عاد على جناح السرعة من هولندا حيث كان يدرس صناعة بناء البوارج ثم قمع الثورة بنفسه ، ثم ألغى فرقة الحرس بعد أن قتل بيده رئيسها زوجها يا كاترين ! ..

« أجل .. كان بطرس جلادا لا تنفذ الرحمة الى قلبه ! .. كان جلاد نمر من الرجعيين أما زوجها وأمه فقد كانوا جلادى شرب بأسره ! .. وأنت .. أنت .. آه .. يا كاترين . أنت التى كنت رسول الاميرة صوفيا الى زوجها ! .. أنت التى تلقيت الارشادات ونقلت الاوامر ووثقت الصلات وأحكمت العمل وأشرفت على التنفيذ ! .. وكل هذا لتصبح صوفيا الملكة وزوجك الملك الفعلى وأنت سيدة بلاط روسيا ! .. أنت المرأة الضعيفة المنحدرة من الشعب أردت أن تتحدى الجبار ! .. ان طموحك أقوى من عقلك ورغباتك أضعف من ذكائك ! .. لقد تحدث الجبار وهو يمد الحدة ليبلغ أوج مجده .. تحديته وهو يبحث لبلاذ عن منفذ على بحر البلطيق بعد أن فاز لها ببناء على البحر الاسود .. تحديته وأضرمت حوله نار الثورة وهو معتزم اثاره حرب عالمية ضد ملك السويد .. ولكنه بغريزته المتوقدة التى لا تخفى عليها خافية ، أدرك أن عدوه الخطر المديبر هو أنت ، فلم يكذب يقتل زوجها حتى جد فى طلبك ، ففررت الى الدير ولذت بالاميرة صوفيا ، ولكنه لم يبال وطلب منها رأسك ! .. يا لهول ما أقدمت عليه يا كاترين ! .. لا قدرة لى على تصور ما ينتظرك .. أين أصبحت أنا وفى أى طريق أسير ؟ .. هذا الشيخ المتهم يخالسنى النظر عن بعد وكأنه يقبضى ! .. ماذا يبدو على ؟ .. أفى سحتى شيء قد تغير ؟ أترأه يعرف عنى شيئا ؟ .. لا تطلق من هنا .. لا . لم يعد يقبضى .. ما هذا التمارع ؟ .. لم أسرفه أبدا .. بلى . مرة واحدة .. أنا أرتجف .. أسنانى تصطك .. ماذا أرى ؟ ما هذا التجمهر ؟ .. آه . أنت يا كاترين .. أنت دائما وأبدا ! .. كل هذا الجمع قد احتشد بسببك .. حتى جدران الحوانيت يلمع عليها اسمك ! .. أجل . هذه هى الفترات التى ألصقها رجالى بأمرى والتى أعد فيها بمكافآت لمن يرشد عنك وأنوعد بالموث



آية فية الفنان بهزاد، وهي
تثل زوجة ثيودريك
مرسومة بالألوان الطبيعية
على الساء.

[أنظر قصة معيزة
الفنان ص ٣٧٠]



ساء إرابيات ...
لوحة قنية من مجموعة
دار الكتب المصرية
[أنظر قصة معيزة
الفنان ص ٣٧٠]



بطرس الأكبر

الذي أسس روسيا ، والذي قرب مسافة الخلف بين بلاده وبين حضارة أوروبا

[أظهر قصة المزيد من ٣٩٠]



شارلكان

صورة لفكرة لشارلكان

في أوج مجده مع حاشيته

[أنظر قصة آخر أيام

شارلكان من ٤٠٤]



الجمال الاسباني

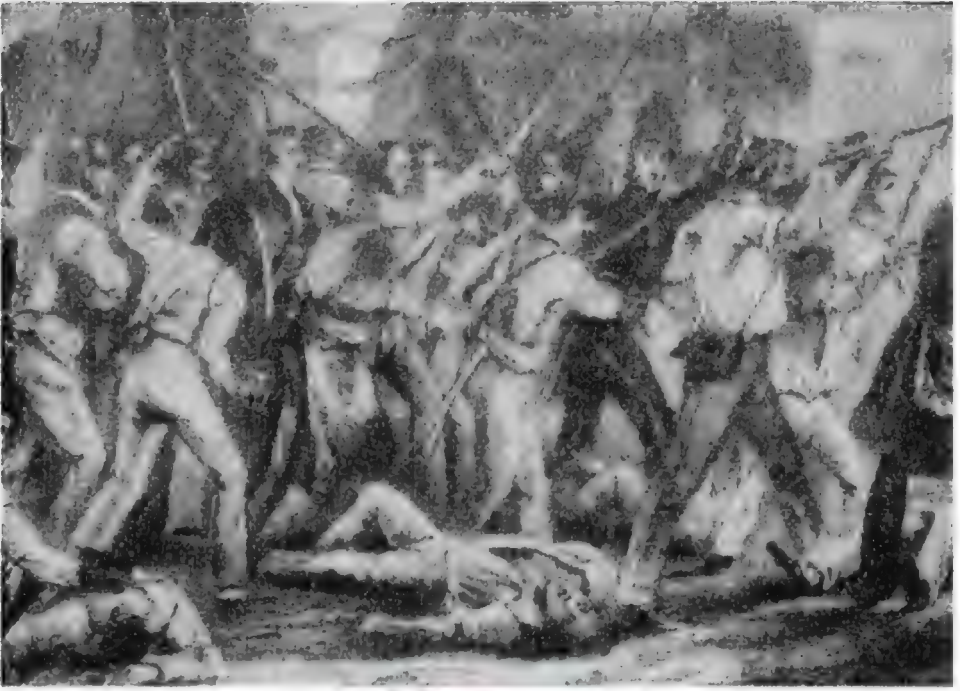
لمرأة إسبانية تمثل الجمال الاسباني

الذي من أجله ترك شارلكان الملك

ودخل النير ... للرسم جوبا

[أنظر قصة آخر أيام

شارلكان من ٤٠٣]



في إبان الثورة الفرنسية

صورة تاريخية للشعب الفرنسي يحمل
السلاح ويمر في الطرقات في إبان
الثورة الفرنسية . .

[أنظر قصة المحاكمة من ٤١٥]



ماري أنطوانيت

الملكة التي استعانت بالأجنبي على فتح
الثورة الفرنسية وإلحاد مبادئها ، كما
استعانت ببعض الحوارج من أنصار
الطبقة الأرستقراطية لهذه الغاية

[انظر قصة المحاكمة من ٤١٥]

من يخفيك في داره أو يعاونك على الفرار .. أنا فعلت هذا ؟ .. أنا نفي ! .. الكل يعلم الآن أنك فررت من الدير أيضا .. الكل يبحث عنك .. رجالى يتقبونك .. أنت طلبة الجميع ومحط فكر الجميع وأنت في هذه الساعة عندى ! .. في بيتى ! .. نعم أنت هناك ، وإن كان خيالى لا يستطيع أن يتصور أنك هناك ! .. لقد آوئك ! .. تحدث الجبار أنا أيضا ! .. تحدثه ملك أنا أخلص أتباعه ! .. أنا الذى آمنت به واعتنقت مبادئه وأيدت ملكه وأحببت مكائد أعدائه وسقتهم اليه صاغرين ! .. أنا عينة اليقظى وفكره الواعى وحذره العميق ، أنا رئيس جواسيسه أنزلك في بيتى يا كاترين وأخفيك في مخدع نومى وأقيم ابنى الوحيد حارسا عليك وأهدده بالموت لو كشف عن سرى لاي إنسان ! .. احببت الشمس ! .. لم أعد أسمع دق الطبول ! .. كيف أقدمت على هذا ؟ .. انى لا أفقدك وحدك يا كاترين ، بل أفقد معك فلول الحرس الرجعيين الثائرين أعداء ملكى الذين أفلتوا من قبضته بعد المذبحة ولاذوا هم أيضا بالفرار في أمكنة معينة لا يعرفها سواك يا كاترين ! .. فالقصر يبحث عنكم جميعا ولا سيما عنك أنت . ولن يقر له فرار حتى يطش بكم . ولو أحجم أو تهاون أو أغضى فقد تنشب الثورة مرة أخرى . قد يظهر الثوار من جديد فيؤلبون الاشراف والقساوسة على القصر ويحيطون بمجهودنا الحربي ضد ملك السويد ، فينهار سلطان بطرس الأكبر ، وينهار صرح الإصلاح العظيم الذى شيدناه بمقولاتنا وقلوبنا ودماثنا نحن أعوان قصر وخداه المخلصون ! ..

« فانا ، أنا الذى يجب أن ألقى القبض عليك ، أحاول انقاذك يا كاترين ! .. أنا الذى يجب أن أقوم بواجبى ، وأذوه عن وطنى ، وأنصر في هذا الوقت الصعب ملكى ، وأحمى حركة الإصلاح التى هي دينى وضميرى ، أسهل سبل الفرار لأعداء بلادى وأعبث بثقة ملكى ، وأنتزك في أحباط مجهود الحرب ، وأخون من أجلك يا كاترين كل أمنتى العليا ! .. ولكن كيف .. كيف أسلمك للموت يا حبيبتى ؟ .. كيف أفقدك بعد أن ربحتك ، بعد أن أفقت من عذابى فأبصرتك حرة ، أمامى ، في بيتى ، لى .. ؟ .. أنسعين الى نفسك ثم أغدر بك ؟ .. أحبك ثم أكون قاتلك ؟ .. أنا ، أنا الذى جنيت على نفسى ! .. لينى أبيتك حيث كنت فتاة من الشعب فقيرة بنت صانع قبعات ! .. لينتى لم أرشد الاميرة صوفيا اليك ! .. لينتى لم أجعلك في قصرها أولى الوصيفات ! .. هناك خدعتنى .. هناك وجدت فضلى .. وبدل أن تلبى نداء حبي أعرضت عني واقترنت بذلك النذل الذى قضى فريسة أطماعه مخلقا لك نفس الكبرياء ونفس العناد ونفس الاطماع ! .. الصمت يكتفنى .. الشارع يفر من السابلة .. أصبح مظلمة موحشا كقلبي ! .. ترى أيسقط المطر ؟ .. ان هذه الكنيسة لرائعة الجمال ! .. ان قبتها المزخرفة التى يعلوها الصليب لتشبه عن بعد تمام التشبه ذلك التاج الذهبى الذى يلبسه الطيريك أثناء تأدية القداس في الاعياد الكبرى .. ترى أوجدت القبة قبل التاج أم التاج قبل القبة ؟ .. هل ينبح لى القدر أن أتزوج كاترين في كنيسة جميلة مثل هذه ؟ .. انها تجننى . أصبحت تجننى !

هكذا قالت وأكدت وأقسمت .. يخل الى أنك حقا تحبني يا كاترين .. ألم تقولي
 أنك برمت بالدنيا وودعت أصداءك ولم يعد لك في العالم غير حيي ؟ .. أهذا حقيقة أم
 أن قلبي هو الذي يريد أن تكون هي الحقيقة ؟ .. كيف أصدقك .. كيف أصدقك
 يا كاترين ؟ .. أريد أن أصدقك والافن يكون في وسعي أن أعيش ! .. هذه فرصة
 حياتي ولن أدعها تفلت مني ! .. لم أعرف السعادة أبدا قرب امرأة ! .. لم أعرف
 سواك أنت التي كنت لغيري ! .. غاني عشرة سنة قضيتها برفقة زوجة لم أحبها ولم
 تفهمني ، فلما توفيت أحسست كأن روحي أطلقت من عقاليها ، وكان فكري الموزع
 المشتت عاد فتركز فيك وانقطع لعبادتك ! .. وحتى ابني .. حتى ابني الوحيد لم يظفر
 بكل حيي ! .. أنت يا كاترين غريمته في قلبي وهو يعرف ذلك ويعطف عليك لأنني صارحته
 بكل شيء فأدرك مبلغ عذابي وأشفق علي ! .. والآن ، أخون بلادي وواجبي وميلكي
 وأتبعك أم أفشي سرك وأسلمك بيدى الى الجلاء ، أم أقتلك بنفسى ، أم أقتلك وانتحر ؟
 يا لأغرائك المذنب يا كاترين الفاتنة ! .. يا لنظرتك الباسية المتوسلة الفاترة التي تخمد
 الهمة وتنيم الارادة وترقد الاعصاب وتسمم الفكر ! .. بل يا لقوتك الهائلة عند ما ثور
 نفسك ويثور حبك المجنون للحياة ! .. ماذا تريدني مني ؟ .. تريدني أن نفر معا .. الى
 حيث لا يتمكن منا أحد .. الى حيث لا يعلم بوجودنا أحد .. الى حيث نتحاب ونسعد
 ونعيش دون أن يكر صفونا أحد ! .. هذه رغبتك ! .. هذه ارادتك ! .. هذا ما ينشده
 حبك العظيم لي ! .. ولقد حملت منك الكثير من مال زوجك وجئت أيضا بمجوهراتك
 وحليك وجمعت في يدك ثروة قدمتها الى أنا الرجل الدائم الارتباك ، الدائم العوز . أنا
 الرجل الذي لم يدخر قط مالا والذي يثارجح أبدا بين السر والبسر . أنا عاشق المائدة
 الخضراء وعبد البسر والانسال الضيف التواق الى جمع ثروة ما أزال أركض خلفها
 وما تزال تفر مني ! .. المرأة والمال ، الحب والرخاء ، نعيم الروح ونييم الدنيا ، كل
 هذه المباحج قدمتها الى ، فهل أرضى ، هل أذعن ، هل أنسى ، هل أندمور ، هل أخون ؟
 في مقدورى أن أقربك وأقتذك وأنقذ حينا ، فهل أفعل ؟ .. أين هو الخلاص ؟ .. أين
 هو الخلاص ؟ .. لا . لا يا بوريس . اياك وفكرة الانتحار ! .. لو انتحرت قضيت على
 نفسك وعلى من تحب على السواء ! .. اذن ؟ .. اذن ؟ .. أدخل الكنيسة ؟ .. أصلى ؟
 لا قدرة لي على النظر الى الله ! .. بدأ المطر يساقط .. لن أذهب اليوم الى عملي ولن
 أعود الساعة الى البيت ! .. يجب أن أظل وحيدا .. أنأمل . أفكر . أبحث .. السحب
 تلبد وتجمع كأنها توشك أن تطبق على .. من هذا الرجل ؟ .. هو بعينه ! .. الشيخ
 المتهدم .. ماذا يريد مني ؟ لا شيء . لقد اختفى .. الى أين أذهب ؟ .. هناك .. ذلك
 المنزل المهجور .. نعم .. نعم .. ما أحلى هذه الطراوه ! .. لاجلس هنا .. على هذا
 الدرج البارد .. المطر ينهمر .. الريح تعصف .. الرعد يدوى .. ما أعذب الامن
 وما أغلى الطمانينة ! .. هدوما يا بوريس وتنفس ! .. ولكن ما هذا ؟ .. أصبح كيانى

نهما مقصدا لقوى غير منظورة تحيط به وتتقاذفني ! .. ما أشبهني بخلية التحل ! .. ماذا اسمع ؟ .. من أنت ؟ .. من تكون ؟ ..

العقل - على رسلك يا صاحبي .. علام كل هذا الاضطراب ؟ .. أنت أبله غر ! .. لا تنتحر ولا تقتل .. اذهب من فورك الى البيت واجتهد في أن تخذع المرأة ! .. ألم تخذعك هي من قبل ؟ .. جردتها من مالها واستولت على هذا المال ثم اذهب بها الى مكان قصى ثم ارشد رجالك اليها .. وهكذا تقذ حياتك وتغزو بالمال ولا تخون واجبك .. هذا هو صوت المصلحة فانصت اليه ولا تكن غيا ! ..

الملك الابيض - بوريس ، لا تهدم في لحظة ما بنيت في سنين ! سوف تكره نفسك لو فعلت وسوف تكره المرأة التي في سبيلها خنت ! .. عاقبها فهي تستوجب العقاب ، واعلم أن هناك أشياء أثمن بكثير من المصلحة ، أشياء يجب أن تقدسها ولو لبثنا فقراء محرومين ، أشياء بدونها تفقد الحياة قيمتها ، ويفقد الانسان حقه في الاعتزاز بأنه انسان !

بوريس - وهل أنا الآن انسان ؟ .. لقد ضقت ذرعا بسعادة الواجب الضيقة المظلمة التي تطوئني على نفسي وتغلق دوني أبواب العالم !

الحواس - أنت على حق ، وسنفتح نحن أمامك هذه الابواب : انظر .. انظر الى كاثرين مقبلة عليك ترفل في حلتها الجديدة وتقبل قبلة الهوى والوفاء .. أنتما في مدينة بعيدة .. في مكان مجهول .. في حرم الحب الرائع .. الرياش حولك ساحرة والطعام فاخر والشراب معتق مجيد .. كل ما تشتهي يتحقق .. كل ما تطلبه تناله .. المال بين يديك .. وهي هي تتلوي وجدا وهياما بين ذراعيك .. فاحتفظ بها .. احتفظ بها يا أحمق ولا تبخل للواجب وكن جسورا فما فاز بالثمة الا بالجسور

الملك الاسود - تسجني من ، الحواس ، هارة ، التبخل للواجب ، .. يبدو لي أنها على شيء من العمق ..

الحواس - أليس كذلك ؟ ..

الملك الاسود - .. وان كنت لا أستطيع أن أعتقد أن البلاءة قد بلغت بصديقنا بوريس الى حد أن يكون مخلصا في اتخاذ تلك العبارة الجوفاء شعارا لحياته ..

بوريس - لا .. ليست جوفاء أيها الملك الاسود .. كثيرون غيري ممن هم أعظم مني لا يعيشون الا منها ولها

الملك الاسود - أخلق بها أن تكون شعارا لاولئك المييد المكفوف البصر الذين يكسحون لسواهم وما هم مصيبون من مادة الحياة الا الفتات ! .. كلا . أنت يا بوريس سيد لا عبد !

الملك الابيض - ماذا تقول ؟ .. كف عن الرجل .. لا تشوش في ذهنه الافكار والخيالات .. لن تغلب عليه وأنا حي .. اسمع يا بوريس .. ان السيد الحقيقي لا يتمتع فقط بل يخدم .. وعلى قدر ما يتمتع يجب أن يخدم .. فإذا كان الملك الاسود يريدك على

أن تكون سيّداً ، فكن سيّداً أصيلاً يملك حق التمتع ، لأنه يعرف عند الإقضاء كيف يؤدي الواجب وكيف يخدم الآخرين
بوريس - هذا كلام طيب أشعر أنى مراتح اليه .. هو ذاك . السيد لا يملك حق التمتع إلا إذا خدم ! ..

الملك الأسود محدداً - ولكنه لا يستطيع أن يخدم إلا إذا كان يتمتع ! .. وأنت يا بوريس ما دمت لم تتمتع بكاترين فلا يمكن أن تخدم سواك أبداً ! .. وهب أنك لم تفر معها ، هب أنك أدبت واجبك وقضيت عليها ، أفتظن أنك بعد ذلك لن تخون ؟ .. أنت واهم .. ستخون .. ستخون كل شيء .. ستخون بلادك ومبادئك ونفسك .. ستفر من نفسك ان لم تسرع بالفرار مع كاترين ! ..
بوريس متطلعا اليه وهو يرتعد - ما معنى ما تقول ؟ ..

الملك الأسود - ستتحرر ! والانتحار يكون منك ولا شك خيانة .. خيانة عظيمة لقبصر الذى هو اليوم فى أشد حاجة إليك
الملك الأبيض - لن يعدم قبصر رجلا تخدمه ! .. وإذا مات بوريس فسيموت راضيا عن نفسه لأنه أدى واجبه

الملك الأسود متهمكا - اذن فالموت هو ما تصيح به لصاحبك ؟ .. يا لك من أحق أنت أيضا أيها الملك الأبيض البارد ! .. انظر الى بوريس .. لقد أربعته .. حرام عليك .. انه لا يريد أن يموت .. كان من الممكن أن يقبل فكرة الموت لو كان قد تمتع . ولكنه لم يتمتع بكاترين .. لم يفر بها حتى الساعة .. لم تسمع أن تكون له إلا بعد أن تستوفى من عزمه على الفرار معها .. ثلاثة أيام وهى فى بيته تهامى وتأبى التسليم إلا بعد أن تتأكد .. فالراى عندى ، الراى الحكيم ..

القل - قل .. تكلم ..

الحواس - كلنا آذان صاغية

بوريس - أسرع بالله وتكلم

الملك الأسود - الراى عندى أن يرجع بوريس الى البيت ويختل على المرأة ملقيا فى روعها أنه سيفر معها الى أقصى العالمين . ثم يبذل جهده حتى يملكها . ومنى فاز بها واستمتع وأرضى حواسه ، فسيجد فى نفسه الشجاعة للتضحية بها والتضحية بنفسه ان شاء . وهكذا يؤدي الواجب ثم يموت بعد أن يكون على الأقل قد تمتع ! ..

بوريس صائحا - لك الله من عبقري ! ما أجلك برغم كونك أسود !

الملك الأسود - كثيرون غيرك قالوا لى مثل هذا الكلام ..

الملك الأبيض صارخا - احذر يا بوريس ! انه يخدمك ! لو عرفت لذة امتلاك من تحب فلن تسلاها ولن تكون تضحياتك الا فى سبيل هذه اللذة وحدها !

بوريس متحمسا - كلا .. كلا .. سأمتلكها ثم أبلغ عنها .. سأمتلكها ثم أنفذ واجبي

الملك الأبيض - لن نستطيع !.. انه يخدعك .. تبصر .. ترو ..
الملك الأسود لفرجه وهو يتنم - لا تنب نفسك . أنت تقدم لصاحبنا الجمال البارد
أما أنا فأقدم له الجمال الحار !.. انهض .. انهض يا بوريس وسر ..
الملك الأبيض ممزقا ثوبه - أتبعه ؟
بوريس - ذلك حظي وليس مه مفر !
الملك الأبيض - سوف تندم !

بوريس - أين أنا ؟.. نعم . هذا هو الطريق .. من هنا .. سأراها .. ابني يحرص
عليها حرصه على حياتي .. السماء لم تعد تمطر .. هذا فال حسن .. القوم تبدد ..
وها هي الشمس .. تدو ثم تختفي .. سوف تشرق .. لا بد أن تشرق .. لك الله
من عبقرى أيها الملك الأسود الجميل !.. هذه هي الكنيسة .. وهذا هو الشارع
الضيق .. بيتها .. بيتها .. لا .. لم يعد يقيني أحد .. ان الملك الأبيض لموته !
كان يطلب الى أن أذهب من فوري الى رجالي وأصدر اليهم أمرى بالقبض عليها ..
أسلمها للموت ثم أنتحر وأنا لم أنم بها ولو مبقات لحظة !.. ناله من أحرق ما فون !..
ستكون لي !.. سأحظى بها !.. من هنا .. من هنا الى البيت .. هذا الطريق هادئ ..
ومعبد .. أقرب الطرق .. ما أظمأني اليها !.. ما أنشوقى لرؤيتها !.. يا لفرحى !..
المح الباب الحديدى والسياح العالى والنوافذ الكبيرة .. هانذا .. قلبى يدق .. أريد أن
أصعد الدرج فى قفزة واحدة .. ان ابني ايفان مشهور ، لم يفلق الباب الداخلى .. أين
هو ؟.. ايفان !.. ايفان !.. كاترين !.. ايفان !.. هذه الغرفة خالية !.. كاترين
لا أرى أحدا !.. ايفان !.. أين هما ؟.. كيف هذا ؟.. لا أحد فى البيت !.. رباه !
أين ذهبت ؟.. أين ابني ؟.. أين هي ؟.. وحدى ؟.. كيف يمكن ؟.. ماذا حدث ؟..
أكاد أفقد عقلى !.. ما هذا ؟.. ما الذى أراه على هذه المنضدة ؟.. كبس نقود ..
نقود .. ثم .. ثم ورقة .. ورقة بيضاء .. ماذا ؟.. ماذا أقرأ ؟ .. اغفر لي يا والدى
انى أحببت كاترين وهى أيضا أحببتى !.. ولقد فررنا مما وتركنا لك هذا المال !..
فاكم سرنا ان أردت الحياة لولدك . لو أفشيت هذا السر قضيت على ابنك وحبيبك على
السواء . سامحنى فأنا شاب وهذا الحب أصبح كل حياتى . أما أنت فطالما تمتعت وطالما
سعدت ، وفى وسعك أن تعيش بالذكرى . ولسوف تجد ولا ريب فى جهادك الوطنى
ما يعوضك عما فقدت . أنا أعرف أنك لو بحثت عنا فستمر علينا . أعرف أنك لو تمقنا
وقمنا لا محالة بين يديك . ولكنك لو فعلت أنكرت أبوتك وقتلت فى لومة الغيرة العمياء
ابنك الوحيد . فلا تقتلنى يا أبى . لا تقتل ولدك . لا تحرمنى نعمه الحب . لا تسلط
على أناية شيخوختك . أنت منحتنى الحياة فلا تأخذها منى والام وأنا أملك !.. آه ..
لا أرى شيئا .. الظلمة تعمى بصرى .. ولدى .. ولدى يغفل ذلك ؟.. يخوننى ؟
يفدر بى ؟.. يفر معها ؟.. أغرته الفاجرة وسحرته واقادته !.. سلبته منى !.. كيف

وثقت به ؟ .. كيف أمنت على قلبي ؟ .. كيف لم أتوقع منه ذلك ؟ .. يا لكبرياء الشيخ وزهوه وخيلائه واعتداده بنفسه متى أحب ! .. الشباب سحقنى ! .. الشباب قهرنى ! .. الشباب الظافر مسخر من عجزى وفى غلظة قسوته احتقر لى منذ الآن قبرى ! .. يا للطفنة الصادقة النجلاء ! .. لم أعد أحتمل . لا قوة لى . أنا خجل من رجولتى المتهكة ! .. ألمى يخفقنى .. الحسرة تترقنى .. الغيرة تاكلنى .. عض شفتيك يا بوريس وابك ! ابك ما شاء لك الحلق ! .. لقد خدعك واحتقراك ولم يحننا عليك بالمال الذى تحب ! .. ما أجدرك بأن تظل الى الابد مثل الخديعة المروع الحلى ! .. ابك ! .. ابك ! ..

الملك الابيض فى رفق - ألم أقل لك ؟ ..

بوريس منفجرا - وماذا تريد الآن منى ؟ ..

الملك الاسود - اعتقد أنه خير لك فى هذه اللحظة أن تلتحق ! ..

بوريس يله حقه ويأسه - لا .. لن أطيعك .. يوركت الخديعة أيها الملك الاسود فقد ردت الى القوة ! .. سأجد فى أثرهما حتى أعثر عليهما ! .. وإذا كانت الغادرة تصفد أن حرصى على حياة ولدى سيحبها منى فهى واهمة ! .. لم يعد لى ولد ! .. لن أرحمها ولن أرحمه ! .. سأعيش لأرى مصرعهما ، ثم أعيش سعيدا واضعا نصب عيني صورة هذا المصرع المزروع ، متخذاً منه حافزا كان ينقصنى لمواصلة الحياة والجهاد بهمة تطاول تلك الهمة الجبارة التى يمتاز بها ملكى ! .. هذا عزمى !

الملك الاسود - هلا تحول عنه بعد اليوم ؟

بوريس - كيف أتحول والخديعة فى دمي ؟ ..

الملك الاسود - اذن فسأدعك تنعم بلذة الانتقام وتأدية الواجب . سأدعك تنعم بلذة قتل حبيبتك وولدى . ولكنى مقابل فتمتلك بهذه اللذة العظيمة ، سأجردك من شئ ثمين تعرفه .. من أثنى شئ لديك بعد حبك وبعد ولدك ..

بوريس ناظرا اليه فى رعب - وما هو ؟ ..

الملك الاسود مقهقهها - ألم تعرفه بعد ؟ .. (ويلتفت الى العقل الصامت المتنبه المرتعد)

غدا أيها العقل تغادر بوريس وتقبضى ..

بوريس فى لهفة المذعور - لا تأخذ منى . انه الحياة !

الملك الابيض - لا تحزن .. الجنون أقوى من الحياة !

(يرسل بوريس صرخة ويقع مغشيا عليه)

أفرايام سركاف



حدث في أواخر عهد الأمبراطور شارلكان ان سُميت عرس هذا العالم العظيم مفان
الدنيا الباطلة فاقطع الصلاة والعبادة في أحد الأديرة . وهذه القصة تمثل مأساة تصور
المؤلف أنهاولت لفرلكان ليرسم حالة نفسية تلتزم فيها نزعة التجرد بمجاذية الحب

كان دير القديس « جيرونيمو دى پوست » في ضاحية بلدة « استرامادورا » التابعة
لأقليم كاسيريس بإسبانيا ، ساكنا كمادته في ذلك اليوم الربيعي الجميل ولم تكن هناك الا
حركة خفيفة تمشي في أروقته وتبدو آثارها غير المألوفة في وجوه الرهبان المنتهجة وفي
عيونهم المثاقفة وفي همساتهم ، وأقبال البعض منهم على فروض التأمل والتعب في لهفة
شديدة وحرارة مضاعفة ، كمن يطلب الى الله تحقيق أمل عظيم أو اظهار معجزة رائعة
وكانت أروقة الدير فسيحة ينصب فيها ضوء النهار من خلال الاعمدة التي تحمل
القباب العالية ، ويرسل اليها النسيم رائحة زكية تتصاعد من الحديقة الغناء المحيطة بالدير
ولم تكن تسمع غير زقزقة العصافير وحفيف أوراق الشجر ووقع خطى الرهبان
والحق أن الرهبان في غدواتهم وروحاتهم كانوا كأنهم يحبسون أنفسهم ، ويخفقون
أصواتهم ، ويلمسون الأرض بأقدامهم لمسا ، ويتجنبون أحداث أية حركة عنيفة وان كانت
نفوسهم التي غمرها الفرح قد أبت الا أن ينشطوا ويرفعوا عقائرهم ويتهللوا ، معربين
عن سرورهم الخالص بما أحرزوه من نصر في ذلك اليوم العظيم
وكان رئيس الدير يغدو ويروح في الرواق الطويل المطل على الحديقة ، حاملا كتاب

الصلاة ، يطالع فيه ونظراته الطيبة العافية تنقسم للرهبان كأنها تشجعهم على المرح والتبسط والاسترسال في الحديث

فلما أجسروا ابتسامه التجاوز والتسامح تلمع على شففى الرئيس الدقيقتين الصارمتين ، أشرفت وجوههم ونشطت حركاتهم وأخذوا يجتمعون في شبه حلقات وتقدموا بالرغم منهم جماعات صغيرة ، واحتدم النقاش فيما بينهم ، وانقلب حديث البعض منهم الى صباح ، واستغرقهم الفرح فلم يشعروا أنهم قد أصبحوا في نهاية الرواق بجوار نافذة الحجرة الصغيرة التي شغلت أفكارهم والتي كانوا يتحدثون عنها وعن الرجل الذى هبط عليهم أمس فجأة والذى يبيض الآن فيها ..

واقربوا من الحجرة ، فلحق بهم الرئيس ، ولكنهم كانوا قد كروا راجعين اليه ثم أحاطوا به وطفقوا يهتفون ويهتفون أنفسهم وهم يرددون : تلك معجزة ! .. تلك معجزة ! وانفضوا من حوله ثم تسربوا فرادى واتجهوا ثانية صوب النافذة ، يدفعهم الحرص على فخيرتهم الغالية الى التأكد مرة أخرى أنها في حوزتهم . بيد أنهم سرعان ما تراجعوا واغتمحت في أيديهم كتب الصلاة ، وانسابوا في الرواق الطويل وهم يخافلون رئيسهم ويتلفتون عسى أن تقع أبصارهم ولو على لحظة من وجه صاحب اليد التي فتحت النافذة بفتة ، وألقت في قلوبهم شعورا بالهبة مروجاً بالقلق والخوف

وتقبض يحيا الرئيس وعادته صرامته ، فساد الصمت في الرواق واستقر النظام ، وعندئذ شوهدت ذراع تبرز من النافذة ثم تقطوى وتتكئ على حافتها ، ثم أطل وجه مكفهر داكن حزين عرف فيه الجميع وجه العاهل شرلكان !

كانت الغرفة عارية الا من صليب صغير نبت على الحائط وغرس فيه نخس من شجر الزيتون ، وصورة كبيرة للابا ، وأخرى للقديس جيرونومو مؤسس الرهبة . وكان يرى الناظر في الزاوية اليمنى القرية من النافذة مكتبا كبيرا تاتارت عليه بعض كتب يتوسطها تمثال صغير للمسيح ، وجوار المكتب منضدة تحمل زهرية عالية من زجاج بنفسي اللون ملئت بورود بيضاء ، وعلى أرض الغرفة سجادة حمراء يزيده في توهجها البلاط الابيض الخفيف اللامع

أما الزاوية اليسرى فكانت تنتهى بباب مفتوح يؤدى الى حجرة ثانية رحبة ، أقيم في صدرها هيكل تحفه الازهار وينهض عليه تمثال كبير للعدراء تحضن المسيح الطفل ، بين تمثال للقديس يوسف حاملا غصنا من الزنبق وآخر لنفس القديس جيرونومو مؤسس الرهبة

وكان يبدو أمام الهيكل « مركم » خشبي أعد للصلاة ، وبالقرب منه مقعد بسيط أعد للكامن المختار لتلقى سر الاعتراف . ففي هذه الغرفة الصغيرة كان يقضى العاهل شرلكان

سجادة نهاره ، وفي الحجرة الكبيرة كان يستمع للقداس جاثيا على الركع تجاه الهيكل ، وعلى الركع الخشبي كان يترقب للكاهن بخطاياه . أما الليل فكان يقضيه في الطابق الاعلى في غرفة منزلة لا تحتوى الا على سرير ضيق مستطيل يعلوه الصليب المغروس بين أضلاع غصن الزيتون

وها هو ذا شرلوكان امبراطور ألمانيا بالامس وملك اسبانيا ، جالس الى المكتب معتد رأسه بذراعه ، يسرح الطرف في أنحاء الغرفة الحارية ، ويمد بصره الزائع الى حيث الهيكل المحلل بالازهار

لم يعد له في الدنيا غير هذه المساحة المحدودة من الارض . . هنا يجب أن تهدأ نفسه وتستقر أحلامه وينتهي أفق حياته . . في هذه الرقعة النائية الساكنة يجب أن يعيش ، ومن هذا الجو الحالم الخائق المذيب يجب أن يتغذى . . هو أراد ذلك ، وهو الذي هبط الدير في طلب التجرد والعزلة ، ولكن الرغبة شيء ، والثبات عليها شيء آخر . الثبات مستحيل التحقيق بدون حب ، فعليه أن يروض النفس والعقل اذن على حب التجرد وحب العزلة أسوة بجميع من شاعدهم من الرهبان ، فهل يستطيع ؟ . . هل في مقدوره انكار ماضيه وتوديع حاضره ؟ . . أمن آثار في غضون ثلاثين سنة أكثر من عشر حروب توج معظمها بالنصر ، يرضى بمثل هذا الحزام الهامد لحياته ؟ . . أمن هزم الترك وكسر شوكة يبروسه ودوخ فرنسوا الاول واقناده أسيرا ، يستطيع أن يمتل من نفسه دعوة الدنيا ويعيش في ظلمة الدم بلا طمع ولا مجد كمن يشهد موته بعينه وهو مطمئن ؟ . . لماذا دخل الدير وماذا دهاه ؟ . . لا شيء . . مجرد احساس . . احساس طارىء قوى أحس في مثل وقع الصاعقة أن كل شيء ما خلا الله باطل وقبض ربيع ، كما يحسن بعض العشاق في مثل وقع الصاعقة أيضا ان كل شيء ما خلا حبيبهم لامرأة معينة باطل زالت الفشاوة عن عينه فجأة ، وسقط أمامه حجاب العالم . رأى فراغ المجد وعبت الحروب وعقم النصر وكذب المظاهر

رأى الانسان على حقيقته لا يبنى الا لهدم ، ولا يهدم الا لينبئ لمحض لذة شيطانية يستمرئها في الهدم والبناء على السواء

استهول ما جمعه المقادير في يده من سلطان ، واستنكر كيف يحق له وهو فرد أن يملك مثل هذا السلطان

استسلم لاحلام الهدوء وصور الفناء تضرعها في عقله وخياله تلك النار انى اندلعت في فؤاده بقعة وأحاطه والعالم الى هباء

لقد قطع أمس صلته بالدنيا ، وبعد أن نزل لاختيه الامير فرديناند عن تاج ألمانيا الامبراطورى ، ولابنه فيليب الثاني عن عرش اسبانيا ومستعمراتها في امريكا ، وعن هولندا وإيطاليا أيضا ، ودع أسدقاه ومحبيه وغادر قصره بمفرده وبم وجهه شطر هذا الدير . . دخل الدير متعبا من كل شيء ، زاهدا في كل شيء ، معتقدا في ذات نفسه أن الله قد

دعاء إليه . ولكن هل هو قد لبى نداء الله فقط ، أم أن هذا النداء قد اختلط بصوت آخر ظل يطارد حتى دفع به على الرغم منه إلى هذا المكان ؟ .

ارتجف شرلكان ، وأجال الطرف حوله مرة أخرى ، وتثلث أمامه مأساته المزدوجة : هو صادق في زهده مخلص في تجرده . ينشد من أعماق قلبه الراحة والصفاء . لكن هذه العزلة التي لم يألفها أحس أنها تجنيه وتعذبه

وهو إلى جانب صدقه وإخلاصه في الاتجاه بجمع كيانه إلى الله ، يشعر تمام الشعور أنه إنما دخل الدير لا لينقطع للصلاة والتأمل فقط ولا ليعبد الله وحده ، بل ليفر أيضا من سحر مخلوق سيطر عليه واستبد به وساقه مختارا إلى ارتكاب جريمة ما يزال يرتعد كلما تصورها . . .

فاحساسه الشديد بأن إخلاصه لله ليس إخلاصا بريئا ، وأن حبه لله قد يكون في جوهره محض رغبة خفية في الفرار من حب بشري دنس محرم ، هذا الاحساس مقترنا بالعزلة المروعة التي لا تنفك تمت في ذهنه صور الماضي المحجب البهيش ، هو الذي كان يضاعف عذابه ويملا نفسه حنقا على نفسه وحظه

أجل . ينبغي له الآن أن يروض مشاعره على احتمال أشباح العزلة ، ينبغي له أن يروض عقله وبدنه على مختلف ضروب التكفير . ينبغي له أن يروض قلبه على حب الله وحده ونسيان كل ما عداه . ولكن هل يستطيع ؟ .

انه حديث عهد بحياة الدير ، حديث عهد بحياة التجرد . وها هو ذا الصمت يثير أعصابه ، وها هي ذى العزلة تستنفر عواطفه وتستفز ذكرياته وتغلا الفضاء حوله بشتى الأشباح والرؤى

أشباح وأصوات يراها ويسمعا . . انه يسمع . . يسمع صوتا طالما ازعجه وأقضى مضجعه ، صوتا يترامى إليه من أعماق الدهور ، من أبعد أغوار الزمن ، من بين ثنايا التوراة التي لا يفتأ يطالعها ، صوت النبي ناثان يقص على الملك داود هذه القصة :

« كان بلحدي المدن وجلان أحدهما غنى والآخر فقير . وكان للفنى عدد كبير من النعاج ولم يكن للفقير سوى نعجة واحدة رباهها مع أولاده وأطعمها من خبزها وأشربها من كاسه وأرقدها على صدره وأحبها كابنته

« وحدث أن غريبا نزل ضيفا على الفنى ، فلم يشأ الفنى أن يذبح إحدى نعاجه ويطعم الضيف منها ، بل أخذ نعجة الفقير وذبحها وقدمها لضيفه . . »

هذه القصة الصغيرة كانت ترن في صمم شرلكان وهو في وحدته . وكان يذكر ما جاء في التوراة من أن الملك داود صاح بالنبي ناثان عند سماعها :

— هذا الرجل الفنى يستحق الموت !

فقال له النبي :

— أنت هذا الرجل . ولن تفلت من عقاب الله !

هو ذلك .. التماج الكثيرة كانت نساء دلود .. والرجل الفقير كان الملازم اليهودى « اودى » .. والتعجة العريضة الجميلة كانت « بيتسايه » زوجة الملازم .. وأما الضيف الغريب فهو شهوة داود .. ولقد انتهت داود تلك المرأة ولم تكفه نساؤه ، فأرسل زوجها فى مهمة ليقتل ثم استولى على المرأة بعد أن ارتكب الجريمة !

وما فعله داود بالامس هو عين ما فعله شرلكان اليوم !

كان داود ملكا وكان شرلكان أعظم من ملك ، ولكنه لم ينف ولم يفتح

لقد هام شرلكان حبا بدونيا ماريا زوجة أحد ضباطه ، فلما عادت الحرب ففتشت بينه وبين فرانسوا الاول وغزا مقاطعات البروفانس وبيكارديا ، أرسل الضابط فى مهمة زعم أنها عسكرية ، ثم أوعز بقتله سرا فى الطريق . وهكذا فازت المرأة ، ولكن على جثة الزوج !

فاز بها ثم استفاق ضميره فابنضها . بيد أن البنض علمه كيف يجبها ، فاشتد تعلقا بها وزاده الألم والندم ولها وشفا

كان يهجرها ثم لا يلبث أن يعود إليها . كان يقصصها تارة وتارة يقربها . كان يحب فيها الثمن الغالى الذى دفعه لامتلاكها !

وكان حبها أقوى وأعنف حب أصابه لأنه كان ثمة جريمة لم يرتكبها الا بعد أن تمتعت عليه المرأة فأتاعها وهو ذليل

فشموره العميق بالذلة كان يلهب كبريائه ويدفعه لاستعادة كرامته . واحساسه بتأنيب الضمير كان ينزع به الى التحرر والخلاس ، ويله الطارىء الى الزهد كان يسوقه الى الفرار لا من الدنيا فقط ، بل من الحب ومن الجريمة ، ومن المرأة التى أذاقته طعم الحب فهوت عليه الجريمة

ولقد ودع الجميع بالامس قبل أن يذهب الى الدبر ، ولكنه لم يودعها . لم يرسل فى طلبها . لم يغيبها بعزمه الاخير . أراد أن يرحل دون أن يراها ، وكان يفتنى لو أجبرها أن يصف

ولقد جرى فى روعه لحظة أن يذهب اليها ويصارحها بعزمه ويجرب أمامها قواه ، ولكن مجرد التماح هذه الفكرة فى ذهنه أوشك أن يشبط عزيمته ويفضى به الى التردد والاحجام

وهذا التردد ، هذا الضعف ، هذا الاحجام عن الذهاب اليها بالامس هو الذى كان يسومه اليوم من العذاب

كان يشعر أنه ما يزال يحبها وأنه لن يتطهر ولن يغفر ولن يحب الله حقا الا متى تمكن من اتحاد جذوة حبها . فلكى يحس القدرة على المضى فى هذا الجهاد ، جاء شرلكان الى هنا . ولكنه حتى الساعة لم يدرك تماما لخطر ما أقدم عليه . لم يدرك بعد أن عليه

أن يعتكف ويصلي ، أن يقبل ويكبت ، أن يشقى ويحتمل ، كل يوم وكل ساعة ، إلى أن يلفظ النفس الأخير

وكان قد عكف منذ الفجر عقب سماع القداس في الهيكل الصغير ، على مطالعة بعض صفحات من كتاب « منهج التقوى » للقديس « إنياس دى لويولا » وكتاب « المجموعة اللاهوتية » للقديس « توماس الاكوينى » . وكان قد أخذ منه الثوب فجعل يعبث بلحيته المستديرة النافرة وينقل بصره الشارد من الحديقة إلى الترفة وهو كالماخوذ وبعد أن طوى الكتابين ، نهض متافلا وانكا على حافة النافذة ، وطلق يرفف الريحان مستنربا هدوئهم مندهشا لصبرهم متعجبا لبشاشتهم ، حاسدا إياهم على نعمة الصفاء وموهبة الاحتمال

وسطعت الشمس ، فانصبت عليه أشعتها ، فاستبان الريحان وجهه وحيوه باجلال وهم يبرون بالرواق صامتين وكب الصلاة مفتحة في أيديهم

وكان شرلكان اذ ذاك في نحو الخامسة والخمسين من عمره ضامر الوجه متقلص التقاطيع حشمتخ الجفنين بارز العينين ذا أنف آفنى وقم صغير وشفتين دقيقتين ، يملوهما شارب رفيع وتحيط بهما لحية مستديرة نافرة

لم يكن جيلا ولكنه كان مهيبا . وكانت هيئته المنبثة من ذكاء عفيه الوقاديق وعزة أنفه الآفنى وصرامة شفبه الذبقتين هي سر جماله . على أن هذا الجمال برغم كونه جمال سلطان وقوة ، كان في نفس الوقت جمالا ذا لمحة إنسانية واضحة تتجلى في غشون الجبين وتعب الجفنين وسهوم العينين وشرودهما الحالم عند التأمل والتفكير

ولبت شرلكان لحظة وهو يتأمل رفض أغصان الشجيرات تحط عليها العصفائر ، وتفترق الماء ينبثق متصاحكا من النافورة وينصب خيطا من فضة في الخوض الكبير القائم في وسط الحديقة ، ثم نفذ صبره فالتفت إلى المكتب ، ثم جلس وهم بمعاودة المطالعة . ولكنه نهض ثانية ثم وقف برهة يفكر ، ثم راح يطوف بالترفة مصدوع الرأس منقبض الصدر ، لا يدري كيف يمكنه أن يتنفس في هذا المحيط الضيق الخانق

ولمح في منطلق بصره قتال العذراء بنوبها الأزرق وقدميها اللتين تسحقان الآفنى ، فعمشى إلى حيث باب حجرة الهيكل ودخل الحجرة وارتمى على المرحك وغشم وهو يطمر وجهه بين راحتيه : « لم أودعها ! .. كان يجب أن أراها ! .. »

وظل في غيوبته ، ثم رفع عينيه إلى العذراء يلتبس منها الرحمة . فاصفت إليه وحثت عليه وكلمته .. ولكن بصيرته كانت لم تزل عمياء ، وأذنه صماء ، ونفسه مغلفة ، فلم يصر ولم يسمع

لم يسمع غير صوته وهو يتمغم نفس العبارة : « لم أودعها ! .. كان يجب أن أراها ! » وبرحت به الحسرة ، واحتاجته الذكريات ، وأحقت الغزلة ، وأثاره الصمت وضيق المكان ، فغادر حجرة الهيكل ، وعاد فاتكأ على حافة النافذة ناظرا بقسوة إلى الريحان كأنه

يقم عليهم هذا الصفاء الذى لم يعرف سبيلا الى قلبه بعد
وفجأة ، اهتز هزة عنيفة ثم وضع يده على قلبه ، ثم حمد وتصبب جبينه بالعرق . احتلجت
اهدابه واتسعت حدقاته ورأى ..

رأى على عتبة باب الحديقة وتحت قوس من الازهار ، دونيا ماريا تستأذن الراهب بواب
الدير بالدخول وتتقدم بخطى وثيدة ورأسها مرفوع وعيناها ذاهلتان ، وتتجه برفقة
الراهب الى حجرة الانتظار الكائنة في طرف قصي من الحديقة تحت الجناح المنفصل الذى
يقم فيه الرجل الذى جاءت لتراه

وكان لا يسمح بدخول امرأة الى الدير أبدا ، ولكن شرلكان لم يكن راهبا وكان
أكبر شخصية في الدولة لجأت الى الدير لتقوم ببعض رياضات روحية قد ينتهي أجلها
في أى وقت ، كما أنها قد تدوم حتى وفاة صاحبها . فشارلكان كان حرا في استقبال
من يشاء في جناحه الخاص الذى لم يكن يصل بينه وبين الدير غير ذلك الزوايا الطويل
المطل على الحديقة

فلما أعلته بواب الدير بقدم سيدة تطلب أن تراه ، أشار اليه بأن يدعها تدخل ، ثم
أسرع الى حجرة الهيكل وجاء بالمقعد الخشبي ووضعه تجاه المكتب وانتظر
وبعد لحظة لاحت دونيا ماريا بالباب متشحة بالسواد ، ولكنها لم تكذب تدخل حتى
توقفت

هالها منظر الغرفة العارية والوجه النحاحب الذى طالعها به شرلكان ، فصاحت :

- أنت هنا ؟ .. فى هذا المكان ؟

وكانت امرأة في نحو الثلاثين من عمرها طويلة القامة مليئة البدن راسخة القدم على
الأرض ، ذات كتفين عريضين وذراعين علفتين وصدر مكنتر ومظهر قوة بدنية يتنافى ورقة
وجهها النحيل ، وضئى خديها الغائرين ، وسحر عينها السوداوين الكبيرتين اللتين تكاد
شعلتهما أن تلتهم الوجه التهاما

كان الضعف باديا في مفاصل وجهها والقوة ممثلة في أجزاء جسمها . وكان فيها مزيج
من الانوثة والرجولة هو الذى افتتن به شرلكان

ونظر اليها من كان بالامس سيد أوروبا ، وجاشت في نفسه الحسرة ، فلم يستطع الكلام
وأطرق ، وجاهد ثم قال بصوت منخفض أجش :

- هز على أنى لم أودعك .. كان يجب أن أراك ، ولكنى خشيت أن أضف ا

فقدت رأسها واهتزت جدائل شعرها الفاحم وقالت :

- كيف فعلت هذا ؟ ..

وأردفت ويدها على صدرها : « كيف كتمت عني ؟ .. »

فأجاب وهو يحدق الى أصابعها المنفرجة كلوراني الزهر :

- لم يعد في مقدوري أن أعيش بقربك ..

وسقط على المقعد الذي كان قد أعده لها ، وبسط راحتيه ، وقال في يؤسن لا حد له :

- ضميري يكتى ! ..

ثم رفع بصره اليها وألقى هذه العبارة في بطنه :

- كانت بقطة ضميري عظيمة يا ماريا بقدر عظمة تمتعي بك !

وعاد فأطرق ثم استطرد بصوت كأنه خارج من ظلمات كهف :

- الجريمة ضاعفت الشهوة ، والشهوة ضاعفت الجريمة وسمعت جينا .. ألم تشعرى بذلك يا ماريا ؟

فأجابت وعيناها تتقدان :

- لا .. بل شعرت أنك سعيد ، وكان هذا حسبي !

وخطلت خطوة فارتجع يديها الوطيد وأردفت :

- لم أحبيك يا شارل قدر ما أحبيتك بعد الجريمة !

فانتفض وقال :

- وهنا الاحساس بالذات هو الذي أيقظني

فقطبت حاجبيها وقالت ولم تحفل :

- أتؤمنى على حب أذكيت بالجريمة أنت نفسك ؟ ..

فغمغم ورأسه يرتعش :

- لم أكن أدري .. لم أكن أتصور ..

وفجأة أمسك بيديها ثم نهض وقال وهو يحملق فيها :

- عودي من حيث أتيت يا ماريا !

فلبثت شاخصة اليه كأنها لم تسمع ، فهز يدها في غف وردد : عودي من حيث أتيت !

فلم تتحرك ، وقالت في هدوء وهي لا تنفك تنفرس فيه :

- أنا أعرفك . أنت لا تنشد غير اللذة ، اللذة الطريفة الغريبة . سميت وراء لذة الحب فلما ارتويت منها وأسأمتك ، غذيتها بالجريمة لتقرنها بلذة الألم والتكفير .. أنت ملك حتى في نزواتك . ولكنك ستعود الى الحب المجرد بعد أن تزهد في الحب المتسبع بالعذاب فصاح : ه لن أعود ! .. أنت واهمة ! .. ما جئت الى هنا كي أنعم بلذة شاذة ، وإنما جئت مودعا جميع اللذات .. لقد حلت نعمة الله على ! .. ألم تشهدى البرق أبدا وهو يضرب الشجرة بالصاعقة فيحرقها ؟ .. هكذا احترقت حياتي ، حياة المجد والحب ، تحت ضربة النور الالهي العاتية ! .. لم يعد في الدنيا ما يستوقفني ! .. التكفير عن جريمتي هو احدى غاياتي ، ولكن هبة نفسي المطلقة قد هي قبلي ! .. أنا هنا يا ماريا لان الله هو الذي دعاني !

فاضطربت شملة عينيها وقالت وهى تلهث :

- اذن فقد وجدت الغزاء فى الله ؟

فاجاب منكسا رأسه : هو ذاك !..

فابتسمت نصف ابتسامة مرة ، وقالت وهى تلوى شفيتها ألما وحنقا :

- وأنا ، أين أجد الآن عزائى ؟.. لم يعد لى زوج وليس لى ولد ، فإذا فقدتك أنت

فأين أجد الغزاء ؟..

وشرف جفنلها بالدموع ، وترامت عيناها كحقيقتين يشرت منهما لآلىء ، فتمزق فؤاد

شرلكان وقاوم نفسه مخافة أن يتأثر ويرحم

ورددت ماريا فى شبه نواح : أين أجد الغزاء ؟

فتشم : فى الله اذا شئت . فهو يسع كل حب ويعزى عن كل ألم

فصرخت : حبيبى هو كل شئ عندى . ولن أستطيع أن أجد الغزاء الا فيه !

فصوب اليها من خلال أهدابه نظرة قلبية وقال :

- أنسيت افك شجعتنى على الجريمة يا ماريا ؟.. أنت أيضا يجب أن تكفرى !

فقال وقد جف دمعها :

- شجعتك على الجريمة لأميش معك ، لا لادفن نفسى حية وأنا بميدة عنك . أنا لا أريد

أن أعاقب نفسى لانى لا أثمر أنى أذنبت . اخلاصى لك قد طهرنى !

فحجب عينيها يده استغظاها وقال :

- عواطفك الوحشية هذه هى التى ردتنى الى صوابى . ليكن كنت أقل حبا وأقل

فرحا .. ليكن أظهرت الندم ولو .. ولو قويا ..

وأردف فى صرخة : ولو انك فعلت ، لما كان فى مقدورنا مع ذلك أن نقتل شبح الرجل ،

بعد أن قلنا منه اللحم والعظم .. عند ما كان زوجك حيا لم أظن لحظة لوجوده . لم

أكن أحسب له أى حساب . فلما زينت لى الحب خالسا من كل قيد ، ناعما فى بحبوحة

الراحة ، مطمئنا فى جو الأثرة والانانية ، محفوفنا بفتنة الحرية ، فافدعت على القتل ، وضحت

صورة الرجل أمامى واكتسب لفوره أهمية مروعة عندى .. أصبح وهو قتل أوفر

الف مرة حياة ونشاطا وقوة مما كان وهو حى .. أصبح غريبى .. وأصبحت أغار منه ..

كنت أجده بيننا .. دائما بيننا .. فى أفكارنا .. فى عواطفنا .. فى فراشنا .. وكأننى لم

أقتله الا لأهبه بنفسى حق امتلاكك وحبك ! هذا فظيع !.. لقد اجتاحت شخصى واستقر

منى فى الصميم . وبدل أن أنخلص منه استعبدنى وغزائى . لا .. لن أستطيع الافلات

منه !

فقال وهى تتعلق به وتضرم فيه حنى ارادتها :

- حبيبى قادر على كل شئ !

فتمزق منها برفق وقال :

— الا على الماضي ! وماضى الانسان لن يموت الا اذا مات جسمه أو تجددت روحه .
ولقد جئت الى هنا كى أموت يا ماري . أموت عن الدنيا . أموت عن حبي ومجدي وآمالى
وأبعت فى حياة جديدة لا تمت الى الماضى بصلة .. فدعيني يا ماري .. دعيني واذهبى ..
لك أنت الحياة .. كل الحياة .. انسى .. حبى .. تقضى .. تزوجى .. ألوف من
الشباب يشتهون قبلة منك .. أما أنا فقد هربت .. هربت على يد الحب يا ماري بدل أن
أجدد شبابى !.. فما نفك منى يا بنى ؟.. اذهبى .. اذهبى ..
واقصاها عنه ثم أدناها ثم ردها ثانية وهو كالمجنون ، ثم قال منما النظر فيها وصوته
يتهدج ، وحسرتة تكاد تخنقه :

— لن أراك بعد الآن يا ماري ؟.. لن أراك ؟.. آه . ما أشد ما كنت أود أن أقدمك
لله هدية شكر وفرح .. يا ويلي !.. يا بهجة روح جعلت منها فريسة جسد !.. يا اناه
ماء تقى صبت فيه قطرات سم !.. يا وردتى .. يا وردة سرية .. يا بيتا من ذهب ..
يا نجمة الصبح .. يا شفاء المرضى .. لماذا شوه حبي الدنس براءة محاسنك يا من كنت
بالامس فى عفة حمك الزوجى سلطانة حتى على العذارى ؟.. يا ويلي من الله يا ماري !..
أنت زهرة نزعته يدي من حديقة النور وكنت اقضى لو استطعت غرسها من جديد تحت
أشعة الشمس ايا أسفى عليك يا ماري . يا أسف الملائكة عليك يا ماري . اذهبى ..

وكان بعض شففيه حاسبا دموعه وهو يتأمل صرح بدننها الرائع ، وبهاء قوتها الساحر ،
وقوس ردفها الثقيل ، وحرمة نديها الناهد . وكان يشعر أنه يشتهيها ، ويتصور فى نفس
الوقت أن جسمها قد تجرد من كل مفاتيح الشهوة وأصبح رمزا لقوة العفة وجمالها الذى
لا ينال

ولم تخفل بكلماته ، بل أحسست وقع نظراته ، فاحتلجت ودب فيها الامل ، فانحنيت
عليه وقالت وهى تلفح وجهه بحرارة أضافها :

— أنت تحبني !.. ما زلت تحبني ! أنت تفر الى الله من حبك . أنت تكذب على الله !
أنت لا تحبه وحده .. عزلتك مملومة بى !.. ستحب الله فى أنا !.. لن تحبه وحده
أبدا !.. فعلام هذا النفاق ؟ عد الى قوتك .. عد الى الحياة .. حسبك أنك كفرت عن
ذنبك بالنزول عن عرشك .. حسبك هذا وتعال .. تعال معى .. لن تكون حياتك هنا
الا محض نفاق وعذاب !

فدفعها عنه ، ثم ثبت نظره فيها وقال فى بطله ارتعدت له فرائصها :

— انى أكرهك يا ماري ، فكيف تريد أن أتبعك ؟

فتلجت أعضاؤها ، وشمرت فجأة كأن الموت يحتويها . ولم يكن فيها شيء سوى غير
عينها اللتين كانتا عينا تدوران وتحاولان البحث عن عينيه وهو يلوى بوجهه ويقول :
— لم أعد أحبك لانى لم أعد أحب نفسى التى كانت بالامس تحبك .. أنت منعقة
بهذه النفس ، أما أنا فقد قضيت عليها .. ومع ذلك فأنا انسان : أريد أن أستنقذ من

الماضى ولو بعض الحطام . أريد أن أبحث من الماضى ما هو خليك بأن يصح مستقبلا بأمر الضياء . أريد أن أحب .. أن أكون محبوبا .. أريد أن أحبك يا مارييا بنفسى الجديدة ، كما ألقى من صميم فؤادى المكلوم لو أنك أحببتى بنفس جديدة أنت أيضا .. ولكن انى لى ذلك يا مارييا . لى قدرة على شخصى ، بيد انى عاجز أمامك كطفل . لقد اندجعت فيك وفنت ، ومع ذلك أشعر أنك غريبة عني ، منفصلة عن عالمي ، لا أستطيع تبديل جوهر نفسك كائن لم أحظ بك أبدا ، وكأنك لم تكونى لى .. يا لسراب الحب الخادع .. يا لتقارب الاجساد وتماكر الارواح !.. ما حيلتى فيما لست قادرا على ضمه الى صدرى وتغذيته بإيماني وابداعه بعقلي وارادتي ؟!.. كلا .. محال !.. ان روحك القديم لن يموت . الزانية والقاتلة لم تزل حية فيك . الحليضة ترتع في بدنك . الشهوة تقبض من عينك . الرذيلة تكن في قلبك . تحدى الله بملأ صوتك . الكبرياء تمج كفر من لسانك ، الشيطان يحتم على ضدك . لم تحل نعمة الله عليك بعد ، ولذلك لا أستطيع مهما حاولت ، ان أحبك !.. لا أستطيع وسأعذب .. سأعذب هنا أضاعف ما تصورين . سأعذب ليأسى من انى لم أستطع خلاص نفسك كى أحبك فى الله الحب الوحيد العظيم الباقى !.. فيا أسفى عليك يا مارييا .. لم يد فى مقدورى أن أراك أنت التى كنت فى عيني ملء الدنيا !.. اذهبى

وضاق ذرعا بألمه فاتفجر بالبكاء . بكى ومع دموعه انهارت وجولته ، وتلاشت عظمته ، واختفى مجده ، وزالت معالم شخصيته ، وبعد أن كان جبارا يشد فتح العالم ، استحل الى انسان لا يمكن أن يقنع بحب الله نفسه الا اذا اقترن بحب امرأة ونظرت اليه دونيا مارييا طويلا ، وتفرق فؤادها شفقة عليه وأنه معنى الفهر ، صاحب الوجه ، منطفيء النبت ، غائر الحدين مضمر القوى . فافقت أنه لا يحبها فقط ، بل يحبها الى حد الجنون ، الى حد الامل العجيب فى ادماجها فى حبه لربه ، بحيث لو خاب هذا الامل فلن تكون حياته فى المدير الا حلقة من عذاب أيقنت أن بطولة جديدة حلت فيه ، وأنه سيظل يصوم ويصلى ويعذب جسده المسكين حتى يبدل نفس حبيته ويظهرها ويقدمها لله هدية شكر وفرح كما قال . ولبتت تحدى اليه وهى تفكر

وكان قد حان موعد رياضة الصباح الروحية التى يعقها عادة انشاد التراتيل وتلاوة الزمائم ، وكان الرهبان قد غادروا الرواق الى كنيسة الدير وساد الصمت فى الحديقة ، ولم تعد تسمع غير زفرقة العصافير مختلطة بخفيف الاشجار وهبات النسيم فأجالت دونيا مارييا البصر حولها ، وملك قلبها هذا السكون الذى لم تعرفه أبدا أثر فيها وروعها . سحرها وأخافها . نزل عليها بعد العاصفة بردا وسلاما ، فاضطربت ودمعت ، وتذوقت لذة غريبة لا عهد لها بها . شعرت بجاذبية الراحة التى يحسها الانسان فى المقابر ، وتصل فى لحظة بينه وبين الابد

فارتشت وثابت ، ولوحت يدها تطرد هذا التأثير . ولكنها لم تكذب تلتفت وتأخذ عيناها صور الحب والتضحية والبطولة والعذاب ممثلة في وجه شرلكان مليكها وحبيبها ونبيد ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، حتى غمرت الشفقة قلبها وجددت عزيمتها ، فدنت منه ، وفي حنو عميق واردة لا تقاوم ، وقد تصلبت أعضاؤها ولمع بصرها ، أراقت من فمها هذه العبارة كأنها هي تريق معها حياتها :

- شارل . سأدخل دير سانتا لوتشيا غدا ! ..

فنظر إليها مبهوتا ، ثم صاح وقد قاض بحياه بالفرح والنور : ماذا تقولين ؟

فرددت عبارتها بنفس القوة ونفس الهدوء

فأثملها لحظة ، فألقاها مكفهرة الوجه جاهدة التقاطيع مستسلمة متواكلة منسحقة ، ولكن ثابتة عازمة متأبى ، فزايله ابتهاجه ، وأدرك الحقيقة المروعة المرة ..

أدرك أنه لم يبدل من نفسها شيئا . أدرك أن صوت روحه لم يبلغ مسمعها ، وأن دعوة الله لم تنفذ الى قلبها

أدرك أنها من أجله فقط ، من أجل سعادته ، من أجل حبه ، وفي سبيل ارضائه ، تباريه في البطولة ، وتقدم على تضحية تفوق تضحيته ، وتختار لحياتها نفس المصير

وبالرغم من أنه أدرك كل هذا ، وعلم علم اليقين أنها سوف تضحي أكثر منه ، وتبذل أكثر منه ، وتعذب أكثر منه ، فقد أبى أن يحلها من كلمتها ، أبى أن يشبها عن عزمها ، أبى أن يرحمها

وقبل أن تستفيق وتنبه وتراجع نفسها ، أمسك يدها وأقناده في قسوة وحشية الى حجرة الهيكل ، وطلب اليها أن تؤكد عزمها أمام العذراء بقسم . فأطاعته وهي في شبه حلم . ورفعت ذراعها المرتعشة وغمغمت :

- أقسم أمام العذراء أن أدخل الدير غدا !

ووقفت ذاهلة تنتظر . فلم يتحرك . فنظرت اليه ونظر اليها وارتجف كلاهما ، ولم يجسر أحد منهما على أن يقبل الآخر قبلة الوداع

فضممت دونيا مارييا طرفي معطفها الاسود الى صدرها ، وأحنت رأسها تحبى العذراء ، ثم استدارت وخرجت في هدوء

وعندئذ تصاعد في الجو الساكن صوت راهب ينلو أحد مزامير الملك داود . وترامى الصنوت وشاح في الحجرة يقول : « .. أما أنا فمثل شجرة زيتون خضراء في بيت الله . توكلت على رحمته الى الدهر والابد . أحمدك الى الدهر يا الله لأنك فعلت ، وانتظر اسمك لأنك تستجيب دعاء الاتقياء .. »

فلما سمع شرلكان هذا الكلام ، أيقن أن الله قد رضى عما فعل ، وأنه سوف ينقذ روح مارييا ، فزايله الدم على قسوته ، وخر ساجدا وقبل الارض ! ..

فنز المحاكمة

تمور حوادث هذه القصة إبان الثورة القربية وسقوط الباستيل وهي تمثل الروح الوطنية العظيمة التي كانت متسلكة من قلوب الثوار في كفاحهم ضد الملكة ماري اعلوانيت التي استعانت بالأجنبي على قمع الثورة وإخاد مبادئها كما استعانت ببعض الخوارج من أنصار الطبقة الارستقراطية لتحقيق الغاية منها ، وعلم القاريه كيف كان مصير ملهى اعلوانيت على أيدي رجال الثورة

كانت الريح تعصف في الخارج ، والمطر يهطل ، والرعد يهديرج أشقائه في السماء ، والظلمة الحالكة تجلجل باريس الراقدة ، والبرق يلعب لمعانا يلتقي الذعر في القلوب وكانت مدام « ارماتس جودار » جالسة وحدها في إحدى غرف دارها ، تمهد قدميها نحو المصطل ، وتتأمل النار وهي تستجبل شيئا فشيئا الى رماد ..

ولم يكن في البيت معها الا الخادم هنرييت ، والبستاني العجوز لوسيان وكانت الفرقة فاخرة الاثاث مزدانة ببعض صور أبطال الثورة الفرنسية ، وفي زاوية منها ينهض قتال « دانتون » على قاعدة طويلة من المرمر الخالص ، وفي زاوية أخرى امرأة كبيرة ينمكس فيها عجا ربة الدار

وربة الدار هذه كانت امرأة في الحلقة الرابعة من عمرها ، سمراء اللون ، فاحمة الشعر ، ذات عيني كليلتين غمرهما الأسى ، وجبهة ناصعة عالبة ، وفم دقيق نائي . بعض الشيء يبدو في شكل قلب صغير بائس حزين ، وذقن مستديرة جميلة يكمن فيها طابع حسن يأخذ بالالباب

وكان أروع ما في هذه المرأة سواد عينيها وشعرها ، فقد كان يلقي على جسمها النجيل ظلا من الرهبة ، يوحى بما في أخلاقها من استقامة ، وبما في طباعها من نبل على أن نظرتها المتطفة الهامدة ، كان يشع منها الوقت بعد الآخر بريق ينم عن تلك القسوة الدفينة المتصفة بها شخصيات الغالية المظلمة من السيدات الفضليات ، أولئك اللواتي قل أن يسامحن في كل ما يتعلق بالشرف ، وقل أن يفتنن للرجال والنساء سلوكا شاذا يخرج بهم عن دائرة القواعد الاخلاقية التي اصطلح عليها المجتمع وكانت أرمانس تحرق الى النار وتأمل .. تأمل فيما انتهت اليه حياتها ، وفي الكارثة التي أصابنها ، وفي بيتها الذي أصبح قفرا موحشا ، وفي نفسها التي حرمت فجأة نعمة الالة البنية وفقدت بين يوم وليلة مختلف الكنوز التي كانت تفيض بها عليها عاطفة الحب المتبادل المشترك

وطافت بها الذكريات وعادت بخيالها الى الماضي . فتمثلت زوجها المسوي جودار بوجه البسام الصبوح ، وعينه الناعستين الحاليتين ، ودمائه طبعه ، وكريم سجايه ، وحرصه الشديد على راحتها ، ووفائه العظيم لها ، وحبه الصادق العميق الذي لن يعوض أبدا وكان أعجب وأبغى ما استقر في خيالها منه ، إيمانه القوي بالله ، وتعلقه بالدين ، وقيامه اليومي بالواجبات التي تفرضها الكنيسة ، واقتراان هذه التقوى في نفسه بعواطف وطنية ملتبة واخلاص لمبادئ الثورة وتعاليمها نادر المثال

والواقع ان هذا التوفيق بين تعاليم الثورة وتعاليم الكنيسة ، كان مثار السخرية في ذلك العهد . فمعظم أقطاب الثورة كانوا أعداء الكنيسة ومعظم كبار رجال العصر كانوا ملحدين لا يؤمنون بنير العقل ولا يدينون بنير الفضائل التي تصدر عن الانسان لا خوفا من عقاب أو رغبة في ثواب بل خدمة للانسان نفسه وتحميدا للفضيلة ذاتها . بيد ان هذه النزعة لم تكن لتحول بينهم وبين الاستمتاع بمباهج الحياة ولا سيما دانتون الذي لم يعرف الحرمان والذي اشتهر بقدرة خارقة على التمتع دونها قدرته على الخطابة واثارة جماهير الشعب

أما د برتران جودار ، زوج أرمانس فكان يسرف في اتباع نظرية الحرمان اسرافا طالما لامته عليه زوجته . كان مولعا بالزهد ، مغرما بالتقشف ، كلفا بالبساطة في المأكل والملبس ، يعتقد اعتقادا راسخا أن اذلال الجسد فيه حياة للروح وانه يمكن الانسان في نفس الوقت من الانصراف الى تحقيق عظام الامور . وكانت هذه الظاهرة على ما فيها من غلو تخطب لب ارمانس ، وتضاعف اعجابها بزوجها ، وحبها له ، واطمئنانها على مستقبلها البتة وسعادتها الزوجية

ولقد كانت تمنى أن يكون لها ولد منه . ولكن القدر أبى الا أن يحرمها متعة الامومة ، ويشركها بالرغم منها في حياة الحرمان ، ويتجه بحبها كله نحو زوجها والحق أن الغيرة من امرأة أخيها لم تطرق الى قلبها أبدا . لم تحسد ، ابغون ، على

سعادتها الكاملة ، على أن لها خمسة أبناء أشبه بالزهورات النامية يملآن قلبها فرحا وأملًا ويملآن بيتها بهجة وسرورا

كلا .. لم تحسدها وإن كانت في بعض الأحيان تأخذ عليها اهتمامها الشديد بزيئها ، وشيثا من الخفة والطيش في أخلاقها ، وأثرا من الخلعة خلقت فيها والدتها التي كانت تعمل في مستهل شبابها راقصة في أحد مسارح باريس

فالحسب كان يميز أيفون وكذلك الجمال أما ارمانس فكانت الزوجة العاقر والمرأة التي لم تخلق لالهاب شهوات الرجال . ومع ذلك فقد كانت سعيدة ، سعيدة باخلاص زوجها ، سعيدة بجسمها ، سعيدة بالصفاء الرائع الذي لم تشبه شائبة والذي غمر حياتها الزوجية مدى عشر سنوات

وبما ليها ظلت عاقرا وظل زوجها على قيد الحياة . ولكن الحظ غدر بها ، ولم يمنحها ذلك القسط من السعادة الا ليسلبه منها ، وها هي ذى جالسة الى المصطفى تحديق الى النار والرماد وتعرض مخلفات ماضيها ، وتذكر زوجها المعبود الذي توفي أمس فقط بداء القلب وخلفها بين شقيقها وامرأته وأبنائه ، وكلهم شباب أصحاء سعداء ، وجيدة ذليلة لا يمكن أن تلوذ الا بالمأوى ، ولا يمكن أن تعيش الا في عالم الذكرى

وازدحت في ذهنها الحيات ، وتضاربت الاحلام والرؤى ، فأجالت الطرف حولها تبحث في أرجاء الدار عن تلك الحياة الطيبة الرحيمة التي كانت تمشاها منذ ساعات ..

لقد انصرف المزون الواحد تلو الآخر ، وكذلك انصرف شقيقها وزوجها وأبنائهم ، فلم تعد تبصر وجهها شقيقا ، ولم تعد تسمع كلمة رفيقة ، ولم تعد تدري هل ما زالت ربة بيتها ، أم أن طوائف المغيزين قد غادوته كي تغادره هي أيضا بدورها

أجل .. أحست كأن لم يعد لها بيت بعد أن أصبحت وليس لها رجل .. فهضت ، نهضت بالرغم منها ، نهضت والوحدة تدفعها ، والحنان يجذبها ، والحسرة تمسكها ، نهضت تبحث عن الرجل .. نهضت تفشد لمحة منه ، نظرة من بحياه ، صوتا من قلبه ، ابتسامة من عينيه .. أرادت أن تستعيد حياتهما ولو بالوهم ، أن تجددها ولو لحظات ، أن تبعث تلك الالفة الزوجية من مرقدها ، أن تروض النفس منذ اليوم على الحياة فيها ، أن تنال الموت وتخضعه وتقهروه

دخلت مخدع زوجها وجعلت تتحسس ملابسه وتبكي . ثم تناولت صورته وأوسعنها ضما وتقيلا . ثم مضت تاجيها وتخطبها . ثم لجج بها الألم فاضطجعت على فراشه ودثرت نفسها بأغلبته . ثم هبت مرتاعة مذعورة وقد خيل اليها أن عقلها ينحدر شيئا فشيئا الى هاوية سوداء لا قرار لها

ولم تغادر المخدع الا لتدخل حجرة العمل . هناك حيث المكتب الكبير بأوراقه المكسمة وحيث المكتبة رصت على رفوفها المجلدات الثمينة يعلوها الغبار ، وحيث المقعد الذي كان يجلس عليه زوجها ، محوفا خاويا جامدا ، يشكو فراغه وكأنه يشوق لمودة صاحبه

نظرت الى المقعد وانهمرت من عينها الدموع . وبخطى حذرة خفيفة دارت حول المكتب ، ثم جلست على المقعد ، ثم طوت ذراعيها وشردت بصرها في الفضاء الضيق المظلم وانقضت فترة زاد فيها شعور ارمانس بالوحدة ، وخوفها منها ، فمدت أصابعها تقبّل الأوراق وتعبت بها وفتحتها ثم تطويها ثم ترتبها على ذات النسق الذي كان يتبعه زوجها وفجأة خالجتها نفس الرغبة في بحث الصلات الحميمة التي كانت تربطها بفقيدها ، فأرادت أن تعيش في صحبة فكره ، أن ترى أوراقه الخاصة ، أن تنبش رسائله ، أن تفتح أدراج هذا المكتب الذي لم تلمسه أبدا يدها ، والذي باغت الموت زوجها فلم يفلقه كما دته ودست يدها في جوف الدرج الكبير فأخرجت منه بعض قطع مالية وبطاقات وقوام حساب وصورة من مقال لكامل ديولان وعدة نسخ من خطب مختارة لمرابو وداتون . ثم فتحت الأدراج الصغيرة الجانبية فلم تجد فيها غير خواطر عن السياسة العامة مدونة في مفكرات جيب . وكانت تبحث في الحقيقة عن مجموعة الرسائل التالية العزيزة التي كان يحرص عليها زوجها والتي تبادلها أيام كانا خطيبين . وعند ما وصلت الى الدرج الأخير البعيد عن الأبصار وأرادت فتحه ألقته مطلقا ، فافتت نقرها الحزين عن انفساة ملؤها الحب وعرفان الجميل ، فلم تستعمل ولم تفكر في البحث عن المفتاح ، بل نزع الدرج الأعلى ، ولشد ما بهنت اذ أبصرت رزمة من ورق أزرق معقود حولها شريط من حرير أحمر ، مطروحة في أقصى الدرج تفوح منها رائحة زكية

فمدت ارمانس يدها وأصابعها ترتش وقلبا يدق . ولم تكد تقطع الشريط الحريري وتلقى على الأوراق نظرة ، حتى جحظت عيناها وأحسّت كأن قلبها قد احترق طعنة سكين ، ثم تداعت أعضائها وشارت قواها ، فأرتمت على المكتب نجار بالبكاء وقد تحطم كل شيء لديها ، كل ما بقى لها ، وليفت أن مبعودها ، أن زوجها الصادق المخلص الموفى ، زوجها المؤمن الورع التقي ، كان منافقا مراثيا خداعا ، وكان منذ ثلاثة أعوام عشيق امرأة أخوها مدام ايون !..

وهذا بعض ما قرأته أرمانس في رسائل ايون لعشيقتها :

« لم أخلق للأفومة يا برتران وإنما خلقت للحب . ان أولادى عبء ثقیل على . أنا أحبهم ولكنى أشعر أن واجبى نحوهم يضطرني الى التضحية بنفسى في سبيلهم . وهذه التضحية لا قدرة لى عليها . فانا أريد أن أعيش . أريد أن أتمتع . أريد حتى في الحب والحياة . ولو انى لم أصادفك لذبلت كوردة حرمت شعاع الشمس .

« كيف تزوجت امرأتك يا برتران ، وكيف يمكنك أن تعيش معها ، وكيف يقسنى لرجل نافع مثلك أن يحقق نبوغه ويؤكد شخصيته بجوار امرأة كارمانس ؟ .. انها مخلوق راكد شائع ، مخلوق جامد الذهن ، ضيق أفق الحیال ، لا يسمع على شيء . ولا يمكن أن يوحى بشيء . .. كلما تصورت حياتك معها تمزق فؤادى أسفا عليك وحسرة . الواقع

أنت ضحيتها كما أنى أنا ضحية شقيقتها. كلانا يتالم ، وكلانا فى حاجة الى صاحبه ليعيش ،
فقال يا برتران ، تعال انقذ نفسك وانقذنى .. »

« يا لها من ليلة تلك التى قضيناها معا فى وكرنا البعيد الجميل .. لقد تمكنت على لقة أن
أموت بين أحضانك ولا أرجع أبدا لزوجى .. أنت وحدك الرجل الذى هدانى الى
نفسى ، وأرشدنى الى سر قلبى ، وكشف لى عن معنى وجودى فى هذا العالم .. لولاك
لرست روحى فى الفروض البينة البغضة ، وتمكنت فى الواجبات الاجتماعية المقوتة .
لولاك لاصبحت فريسة زوج أكرهه وعبدة أولاد أنبرم بهم وإن كنت أحبهم . أنبرم
بهم لانهم أرهقوا يدى ، وهدوا قواى ، وأوشكوا أن يمتصوا منى البقية الباقية من عصارة
شباب أريد أن تكون وقفا عليك .. »

وهنا قلبت أرمانس عدة رسائل أخرى وطالعت منها بضعة أسطر ، ثم مضت تقرأ فى
الرسائل الاخيرة التى لم يمس على كتابتها أكثر من أيام . قرأت فى شبه حصى وقد بدأ
يشد اهتمامها ويحل فى نفسها الذعر محل الكراهية والبغض والازدراء :

« لا .. لا يا برتران .. أنت وإن كنت عضوا فى الجمعية التشرعية ، ومن كبار
محامى فرنسا ، ومن أعظم أنصار الثورة ومبادئها ، إلا أنك رجل مستقل الفكر ، حر
الرأى ، لا يمكن أن تؤثر فىك عواطف الدهماء ونزوات الجماهير بالساذجة الطائشة ..
وانى لاستغرب كيف يتبع رجل مثلك أشباه رجال من أولئك البعابة المتطرفين دعاة
الثورات الهدامة وألد أعداء ملكتنا المحبوبة مارى انطوانيت .. يقولون انها ملكة أجنبية
وانها تؤيد سلطان القساوسة والاشراف على حساب الشعب .. ولكن هذا محض خيال .
هذه من دعايات « بريسون » و « فرنيود » و « كوندورسيه » و « دانتون » .. ان ابنة
عمى جوزفين من وصيفات الملكة ولقد قدمتى اليها فمرفقا عن كذب ، وأدركت مبلغ
ما ينطوى عليه قلبها التيل من حب وعطف على شعب فرنسا .. ألا انكم لمخبطون ولا سبعا
أنت .. فعد الى رشدك ولذ بصيرتك وعقلك ودع فريق الوطنيين المنهوسين ، واخدم
ما يستحق أن يخدم .. ان الطبقة الارستقراطية هى التى كونت فرنسا ، فواجبك أن
تخدم هذه الطبقة دون سواها . هذه الطبقة التى تركزت فيها وحدها عظمة فرنسا .. »
وقرأت ارمانس أيضا وقد تضاعف اهتمامها واستحوذ عليها السخط والاستنكار :

« نحن الآن يا برتران فى مفترق الطرق ، وأنا أريد أن أربحك لقضيتنا .. أريد أن
تكون منا .. أريد أن تستخدم نفوذك فى الدفاع عن سياستنا .. ان أوروبا بأسرها تقاومك
وتقاوم اخوانك وتقاوم الثورة .. أوروبا بأسرها أصبحت حليفة الارستقراطيين ، ولسوف
تحض جيوش النمسا وبروسيا لنصرتهم ، فيتأيد النظام ، وتتخذ فرنسا ولو على يد
الاجنبى .. »

« فأيذ أخواتك .. انفصل عن البعابة قبل فوات الوقت .. استحلفك بيجنا أن
تفصل عنهم ، وتفكر فى المستقبل المجيد الذى ينتظرك لو أسرعت .. »

« قضى الامر يا برتران ونحن في حرب مع النمسا وبروسيا . واني اصارحك بان الملكة أرسلت الى العدو الحطوط التي وضعها قوادها . ولكن الغاية تبرر الوسيلة ، وغايتنا نحن هي القضاء على الثورة .. أما الابناء الاخيرة التي تريد أن تعرفها فاليك هي : اقترح الشعب قصر التويلري ولكن القائد البروسي برنسويك سينقذنا . لقد توغلت جيوشه في أرض فرنسا ووصل البيان الذي يهدد فيه ثوار باريس .. فانا أتوسل اليك .. أتمنى منك أن تقابل دانتون وتقمعه بالعدول عن القاء أية خطبة مهيجة في الجمعية التشريعية .. يجب ألا تتجج حركة التجنيد السعي الذي يقودها دانتون وصحبه .. يجب أن يتفهم القائد الفرنسي ديموريز الى باريس ، وينبغي ألا ترسل التجنيدات الى زميله القائد كيلرمان . هذا هو مفتاح النصر .. فقابل دانتون .. أقنعه بأية وسيلة .. منه يختلف الوعود .. سيكون له ما يشاء على شرط أن يساهم ولو من طرف خفي في نجاح الجيوش المتساوية البروسية وفتح الطريق أمامها نحو باريس .. »

« آه يا برتران . أنت لا تجنبي .. ميولك الثورية أقوى من عقلك ومن حبك لي .. لم تفعل شيئا .. لم تستطع الاقدام على أى شيء .. لقد ألقى دانتون خطابه الناري ودعا الشعب الى التجنيد وشرع في تفتيش المنازل كما بلغنى ، وألقى القبض على مئات من القساوسة والارستقراطيين . ومع ذلك فكل شيء لم يضع ، وفي وسعنا أن نجاهد ونعمل .. ان جيوش برنسويك تتقدم صوب باريس ولقد اجتازت غابات الارجون وعما قريب تصل الى قلب العاصمة .. ان من يستولى على اللورين ولونجوى ثم يحاصر فردان لا يمكن أن يهزم .. أجل ان يهزم برنسويك ولا فائدة من القتال .. قل لهم هذا .. عارض حركة التجنيد .. لا تخش روسبير ومارا وأقاربهما .. أكرر عليك انه ينبغي ألا ترسل التجنيدات لا الى القائد ديموريز ولا الى زميله كيلرمان .. ما يزال في الوقت منسع .. في وسعك أن تخدمنا لو شئت .. آه كم سأحبك لو طاعتني ! .. ستكون بطل فكري وقلبي وسأجملك بعد القضاء على الثورة في المركز الجدير بك .. الملكة تحبك وتقدرك ومنصب الوزارة فاب قوسين منك . فاستمع لنصحي واصغ لصوت حبي ، وأعلم أن ليست العبرة في أن أكون عاشقة ، بل في أن يتعشقني من هو أهل لي ! »

« تقول في رسالتك الاخيرة ان على أنقاض سجن الباستيل الذي احتله الشعب التاثر ستنهض فرنسا أقوى مما كانت في أى زمن ، وسيشع منها نور العدل والمساواة والحرية فيضيء الطريق الى عالم مثالي جديد . وأنا أقول لك ان تاريخ الحضارات بأسرها هو تاريخ الجهود الجبارة التي قامت بها الطبقات الارستقراطية . هذه هي الحقيقة التي يتعamy عنها اخوانك . فجماهير الشعب في أية أمة تهدم ولا تبني ، ولهذا كان من واجب الارستقراطية أن تقوموا وتهديها سواء السبيل . لا . لا يا برتران .. ان يتفوق الشعب على غرائزه أبدا .. لن تستطيع الأمة أن تكون هي الحكومة .. فخر نفسك من تلك السموم التي نفتتها في عقلك مطالعاتك لكتب « روسو » و « فولتير » و « ديدرو » ، وأضربهم ، وتأكد ،

أن شعب باريس وإن كان قد استولى على الباستيل واتخذ من هذا العمل رمزا لسيادته في المستقبل ، إلا أننا نحن سنسترد عما قريب ما فقدناه ، وعلى أنقاض الرمز الخيالي الذي تعزرون به ، سنقيم الباستيل أقوى وأروع مما كان وسنخرج فيه أفواج الخونة منكم ، وسنجعل منه الرمز الحقيقي لخسارة عرفت كيف تدافع عن نفسها وكيف تثبت أمام فوضى الدهماء .. فعجل .. عجل باتخاذ حياتك يا صديقي ، والا فلن يستطيع حبي بالغاً ما بلغ من القوة أن يمد لك حبل النجاة ! ..

أكتفت ارمانس في تلك الساعة بما قرأت . هالها كل هذه الاسرار التي لم تكن تتوقع أن يكشف لها القدر عنها في لحظة . بهرتها الحقيقة ، وأمضها الألم ، وملكها الاستنكار والقلق والرعب ، فغمغت بين أسنانها : « غادرة وخائنة ! .. غادرة وخائنة ! .. » وأردفت كأنها تخاطب شخصا : « وتجسر أيضا على تهديد عشيقها ! .. نعم .. إلى هذا المصير انتهى حبها ! .. كانت تهدده ! .. كانت تهدده لأنها لم تعد تحبه .. لان تحبها الاستقرارى قتل حبها ! .. »

وابرقت عينا ارمانس وهفت بكبرياء : « أما هو فلم يكن على الأقل خائنا ! .. لقد خان زوجه ، ولكنه أخلص للثورة وأخلص لوطنه . أما هي فقد خانت الزوج وخانت الصديقة وخانت الوطن ! »

وجمت الرسائل وألقت بها حيث كانت ، ثم نهضت وجعلت تذرع الفرقة جيئة وذهابها مطرقة الرأس ، تفكر وتلوى يديها وتزفر .. ماذا يجب عليها أن تفعل الآن ؟ ..

لقد سلطتها تلك المرأة كل شيء حتى الذكري ! .. لوحت الماضي وسمعت الحاضر وأعدمت المستقبل ! .. قضت عليها بوحدة الروح بعد وحدة الجسد ، وجردتها من كل أمل في التعلق حتى بـطيف ! ..

ومع ذلك فالطيف ما يزال محتلا خيال ارمانس . لقد كان زوجها ولقد كانت تحبه ، فهل في مقدورها أن تعيش بدونه وإن كانت قد أصبحت في صميم نفسها تكرهه ؟ .. إلا أن هذا الكره بعينه ليبثه حيا أمامها ، ويذكرها على الدوام به ، ويلهب حبها القديم له ، ويملا فراغ وحدتها ، ويمتصها ببعض الراحة وبعض السعادة على الرغم من كل شيء . أجل . لن تغفر ارمانس لزوجها نفاقه وخداعه ، ولكنها لن تستطيع في نفس الوقت

أن تجعل من قلبها مقبرة لحبها ، وأن تحاسب الميت على جريمته وهو كل حياتها غمى بها الضعف في طريق الغفران . ولفرط ما كانت تحب وتشعر أن الحرص على ذكرى من تحب هو بالنسبة لها مسألة حياة أو موت ، راحت تنحى على نفسها باللائمة ونسب الى ذاتها التهاون والتقصير ، وتمررد أنها ربما كانت هي المسئولة عن فقدانها حب زوجها والتجائه الى أحضان امرأة أخرى ..

أجل . كان لا بد لها أن تصفح لتعيش . ولكن كيف يمكن أن تصفح عن تلك المرأة

التي لم تحترم ولم تقدر أى شيء ، لا وشائج القرى ، ولا فروض الزوجية ، ولا واجبات الامومة ، ولا حق الوطن !

وتغللتها في رفقة زوجها فيما سمته وكرهما الجميل ، فانتفض بدنها اشمزازا وحقا ، وأحست عاطفة الغيرة لأول مرة ، وامتلا صدرها بالبغضاء والحقد . . . وهي . . . هي التي لم تعرف الشر أبدا ولم تلحق أى أذى بأى مخلوق ، شعرت الآن برغبة جارفة في التار من غريبتها ، في التنهيد بها وتعذيبها ما استطاعت الى ذلك سبيلا

وكانت مدفوعة حتى الساعة بفكرة الانتقام لنفسها فقط . ولكن كيف تنتقم ، وهل من حقها أن تنتقم ؟ . كيف يمكن أن تصارح شقيقها بجريمة امراته ؟ . كيف يهون عليها أن تسلب راحته ونشيقه ؟ . كيف تقبل أن تلوث أماً في نظرها بأنها ؟ . لو فعلت لأصبحت أعرق في الشر والاجرام من المجرمة نفسها ! .

غير أن القسوة ، القسوة العاتية الباطشة ، قسوة الدفاع عن الفكر والمبدأ ، سرعان ما تطلبت عليها عند ما ذكرت خيانة ابنيها لمعتقدات الأسرة ، واثارتها في رسائلها بطبعة الارستقراطيين ، وانضمامها الى معسكرهم ، وعدائها للتوار ، وسعيها الواضح لافساد أخلاقهم بغية القضاء على الثورة

هذا ما لم تستطع ارمانس غض الطرف عنه . لقد كان والدها تلميذا للفيلسوف الثوري كوندورسيه ، وكان زوجها في اجمية التشريعية لسان الثورة الناطق بمد دانتون ، وكانت هي وما تزال حبا في أسرة أشرقيتها مبادئ الثورة وعلمتها كيف تؤثر الموت على الحياة وكيف لا ترد في التليخ عن الحونة حتى ولو كانوا من أقرب وأعز الناس اليها ! . . . ألم يقتض زوجها من ابن عماله الماوق وأسلمه دون رحمة الى دانتون ؟ . ألم يبلغ شقيقها نفسه عن ابن عمهما الذي ارتشى واستخدمته الملكة الاجنبية لمفاوضة امبراطور النمسا ؟ . هذا ما أقدمت عليه أسرته بالامس عند ما كانت فرنسا في مأمن من خطر الغزو ، أما اليوم فكيف يمكن أن تقف مكتوفة الايدي حيال امرأة تخرج على هذه الأسرة وتكرر تقاليدها ، وتهدد حياة أفرادها ، وتجلبها بالعار ، وتسمى من طرف خفي لقتل الثورة بتأييد العدو الذي يوشك أن يجتاح البلاد ؟ . . .

ان حياة شقيق ارمانس وشرفه أصبحا الآن في خطر . حياته وشرفه ومستقبل أبنائه أيضا . وبجرد شبهة تحوم حول زوجه تكفى للقضاء عليهم جميعا . أجل . ان مصلحتهم ومصلحة الوطن مشتركة فالذى يحميهم يحمي الوطن ، والذي يستر الخيانة يقضي عليهم ، ويساهم في قمع الثورة واذلال الوطن !

لقد جاوزت المسألة شخص ارمانس واتصلت بحق الوطن عليها وحق أسرته في الشرف والكرامة ، ولم تند ابنيون في نظرها امرأة تستحق العقاب لأنها سلبت منها زوجها بل أصبحت مخلوقة خطيرة طموحا يجب التخلص منها ومن أمثالها في هذه الساعة العصيبة التي تجتازها البلاد ، والتي يتوقف على التغلب عليها مستقبل الثورة

وسواء أكانت أرماس قد مزجت في حكمها على غريمتها بين عواطفها الشخصية وواجبها الوطني أم لا ، فالواقع أن فكرة الانقصاص من الحائنة كانت أشد تأثيرا عليها من فكرة الانتقام لنفسها . وتلك كانت النزعة السائدة في ذلك العصر . فانكار الذات كان قبلة أنصار الثورة . والتضحية بالعواطف الشخصية كان مبعث فخرهم ، وتقديمهم المصلحة العامة على كل شيء كان سر قوتهم ونجاحهم

لذلك تركز تفكير أرماس في هول الحيانة وفي وجوب الانقصاص من ايفون لهذه الحيانة وما يمكن أن تجره من كوارث ، اقترن فيها الدفاع عن المصلحة العامة بالدفاع عن مستقبل الأسرة .

ولم تكن أرماس تطعن لهذا الضرب من التفكير حتى اشتدت غريمتها ، وزاد في قسوتها تذكرها حبة الترف الصارخة التي تترع فيها ايفون . . أجل . . من أين لها كل هذا المال الذي تنفق على زينتها وتبتاع به أغلى الاثواب والحقى ، وتستتر في ضوءه الوهاج بده كهولتها ؟ . .

أمن زوجها الطبيب العاكف على عمله ، المشدود الى خمسة أبناء ، والذي لم يكن قط من المورسين . أم من عشيقها الذي لم يجمع في حياته غير ثروة متواضعة خلفها لامرأته ؟ كلا . . منطلق الحوادث والظواهر يؤكد أن ايفون تنقاضي من الملكة الأجنبية مرتبا مينا جزاء حياتها ! . . تباع الوطن بلذات وتفوق على زيتها ! . . تأخذ من الشعب لتخون وتستمتع ! . . ولقد أعمت زوجها الساذج ، وأعمت أولادها الطيبين ، وأعمت عينيها المدله ، وختمت على أبصار الجميع !

لا . . لن تشترك أرماس في جريمة كهذه ! لن تخطر على بالها لحظة محاولة اخفاء معالمها ! يجب أن نصل ! . . يجب أن نتكلم . . يجب أن يعرف شقيقها كل شيء ! وعلى هذه التبة استطاعت الزوجة المنكودة أن تنام بضع ساعات ممددة على المقعد المستطيل في نفس الحجرة التي شاهدت منذ لحظات انهيار مثلها الأعلى ! . .

كان جاستون مونكلار شقيق أرماس رجلا في نحو الستين من عمره بسيط القلب ، سليم الطوية ، ينحصر ذكاؤه في مهته . ولم يكن في صباه جميلا ومع ذلك فقد عشقته ايفون دى برونيل واقترنت به لانه أخذها من داء السل وهي فتاة . غير أنها ما كادت تتزوج به وتحضى معه زهاء عام حتى أحست بملطتها ، وأدركت أنها تهورت وأن من المسحيل عليها تجديد حياتها . ولما أعقبت منه الابن الاول وأردفته بالثاني والثالث وازداد شعورها بالقيد الزوجي يملها ويحول بينها وبين التمتع بلذات السباب ، بدلت أخلاقها وشاعت فيها العصية والغلظة ، فأثر زوجها الانصراف التام الى مهته ، وترك امرأته حرة في تصرفاتها على التعرض لمسلكتها والاصطدام اليومي بها وخلق منازعات يتيبة ترعجه

وتستفز غضب امرأته ، وتمرقل أعماله وتفتر منه مرضاه
 وكانت ابغون تمتاز بأصلها الارستقراطي ، وأسرة والدها النبيلة ، وذلك التفر من
 أقاربها الذي استطاع الانصال ببلاط الملكة ماري انطوانيت . بيد أنها كانت تحرس
 المحرس كله على تجنب الخوض في السياسة أمام قرينها يقينا منها أن هذا الزوج الطيب
 المطواع لا بد ينقلب وحشا ضاريا لو مست مبادئه أو أشعرته ولو بكلمة أو إشارة أو
 غمزة أنها تمنى النصر لطبقتهما ، والهزيمة للثورة ورجالها
 فجاستون كان ضعيفا حيال المرأة ، ولكنه كان مثال القوة والعناد في كل ما يتعلق
 بمبادئه . ولقد غرس هذه المبادئ في نفوس أبنائه ، وإن كان لم يقدر على بذر بذورها
 في عقل ابنه الثالث روبر.
 وكان روبر هذا قوى الشخصية ، صلب الإرادة ، مستقل الشخصية ، وافر الذكاء ،
 يميل الى الثورة وتعاليمها بعض الميل ، ولكنه لا ينفك ينتقد هذه التعاليم ، غير حافل
 باعتراضات اخوته وسخط والده
 على أن روبر كان الابن الوحيد الذي يفهم والدته حق الفهم ويدرك تمام الادراك مبلغ
 تعلقها ببلطقتها وكرهها للثورة . ولذلك كان يتبرم بها أكثر من اخوته وأبيه ، لأن أفكاره
 ومبادئه كانت أشد حثدا على الارستقراطيين وأبعد في طلب الحرية من مبادئ الثورة التي
 يدين بها والده واخوته
 غير أن روبر برغم ذكائه النقدي لم يستطع تبين العلاقة التي كانت تربط والدته بزواج
 عمته ، فظل يجهلها كالأخرين وإن كان قد لاحظ في سلوك أمه شيئا خفيا مربيا طالما
 أذهله وحيره
 فلما كان الصباح الباكر ودخلت أرماس بيت شقيقها المجاور لبيتها ، ألفت جاستون
 جالسا الى المائدة يتناول وحده طعام الإفطار ويتأهب للخروج كعادته قبل أن تستيقظ
 امرأته وأبنائهم
 ولم تعرف الاخت كيف تبدأ الحديث ، واستغرب الرجل منها مجيئها في هذه الساعة ،
 وجعل يلاطفها ويواسيها وينسب زيارتها الى شعورها المرير بالوحدة وحاجتها الى الاهل
 والاصدقاء
 وعز على أرماس ان تصد الطعنة الى قلب أحب الناس اليها ، والى الشخص العزيز
 الوحيد الذي بقي لها في هذه الدنيا ، فاضطربت وتلعنت وراجعت نفسها وأوشكت أن
 تعدل عما عزمت وتهم بالعودة الى منزلها ، ولكن الرجل لاحظ اضطرابها الشديد
 واستفسرها عن علته ، وما زال بها حتى أنعبها وأنهاك أغصابها، فضافت ذرعا بسرهما وتأقت
 الى المصارحة والحلاص ، فألقت بين يديه مجموعة الرسائل وهي ترتعش وتبكي
 وتصفح الزوج المخدوع بعض خطابات ولبت وإحما يحدق الى الوريقات الزرقاء معنى
 الظاهر متداعى الجسم كأن هما ثقيلان أخاخ عليه بقتة وسحقه

لم يفكر أبداً في امكان حدوث شيء مثل هذا .. لم يكن مثاباً قط لئلا هذه الصدمة .. فوجىء بها كمن يغاجاً بنبأ حريق شب في داره .. لم يفهم أول الامر ولم يقتنع وظل يقرأ .. ظل يقرأ وهو يخالس الابواب النظر خشية أن تستفيق امراته أو أحد أبنائه .. وفجأة مرت بخياله صور أولاده الخمسة ، فأخلى وأبعد الأوراق عنه ، وانهمرت من عينيه دموع غزيرة صامتة

وعند ما رفع رأسه وأبصر شقيقته ، أشاح بوجهه ولم يتكلم ، فنفخمت ارمانس وهي تحتضنه :

- لا تحقد على يا جاستون .. ان قلبي ليمزق .. ما كنت أود أن أفعل هذا .. ما كنت أود أبداً .. ولكنى لم أستطع السكوت لاني لم أفكر في نفسي .. أقسم لك اني لم أفكر في نفسي .. أبداً .. لم أفكر في انتقام يسعدني ويشفيك .. انما جئت مدفوعة بمايلين : استنكارى لمسلك امرأة تخون عقائدنا وهي منا ، وخوفك عليك وعلى أبنائك من نتائج هذه الحياة . فانا أضع الامر بين يديك .. ولو رأيت أن من واجبك وفي مقدورك حرصاً على مصلحة أولادك أن تخفى كل شيء وتتجاوز وتصفح ، فانا مستعدة للصفح أيضاً ، متعبة للصمت والقيان والغفران ..

فنهض جاستون كمن يقيم جسماً ليس له ، وتسمع لحظة ، ثم غلق الابواب في رفق ، وعاد فتهالك على مقعده بينما كانت يداء الضامرتان المرتجفتان تجمعان الرسائل وتدساتها في جيوب سترته

وانغضت فترة وأرمانس تلبه النظر وتض شفتيها ندماً وشفقة

كان الرجل يتألم . كان زائف البصر يجتهد في لم شتات فكره . كانت الحيرة تمثلكه . كان كأنه يلمس مستقراً ما يفك يحاوره ويغلت منه . وأخيراً قال وهو يتخبط :

- أنا .. أنا .. لا شيء .. هي .. هي .. أيضاً لا شيء .. ولكن أبنائي ؟ ألوت في نظرهم صورة أمهم ؟ .. محال .. ولكن الخطر .. الخطر يهددنا .. قد تمعن امرأتى في غيها . قد تلقى شبابها على رجل آخر من زعماء الثورة ، وقد تسرب أنبأها الى دانتون . فماذا يحدث لنا ؟ .. السجن .. العذاب .. العار .. أنا ؟ .. أنا أصبح أيضاً خائناً ؟ .. أنا الذى بلغت عن ابن عمى بنفسى أحجم الآن عن تأدية واجبى لأن المجرم الآن هو امرأتى ؟ ..

وصاح وهو يمسك يديه كمن يستجدى المعونة والرحمة :

- ولكن لى خمسة أولاد .. كيف أنزع من قلوبهم احترام الام وحبها وتقديسها ؟ .. هل يجوز لى ذلك ؟ .. هل أملك مثل هذا الحق ؟ .. ان تلك المرأة أمهم أكثر مما هي زوجتى ! ولكن . لا .. لن أستهدف لحقدهم على مدى الحياة ! .. أريد أن أحفظ بحبهم واحترامهم ! .. لا .. لا أريد أن أفقد أولادى .. لا أريد أن أفقد أولادى ! ..

وندت عنه صرخة وحشية بحث من وجهه المنقح كل معاني التسامح والطيبة :
- هذا هو واجبي !

فصاحت أرمانس : ماذا تنوي أن تفعل ؟

فلم يجيبها بل انطلق من فوره وفتح أحد الابواب واختفى . فوجدت أرمانس وهالها أنها لم تتكلم ولم تتحرك ولم تحاول اللحاق به . وأحست برودة عجيبة تسرى في بدنها وتثقل أعضائها وتخذ نشاطها وتركها عاجزة مستسلمة بالرغم منها لحكم القدر وعاد جاستون بعد برهة طويلة وقال وهو يشير إليها أن تنبيهه :

- لن تستيقظ أبغون الا في الساعة التاسعة كماداتها .. لدينا منقح من الوقت !..

وجذبها من يدها ، فبعتته بخطف آليته وهي تائهة في همودها ، ضائعة في غفوتها ، تستغرب من نفسها كيف لا تصحو ، وكيف لا تعارض ، وكيف لم تعد تقدر في هذه اللحظة حتى على التفكير

كان الصمت ثقيل الوطأة كثيفا يضغط على القلوب ويحبس الانفاس . وكان الخمسة الشبان أبناء جاستون جالسين الواحد قرب الآخر بعضهم مطرق برأسه لا يجسر على النظر الى أبيه ، والبعض شارد البصر مهموم يحس في قرارة نفسه بضيق خائق ولا يدري لماذا هو قد أخرج على هذه الصورة ، ولماذا ينبغي أن يحمل فجأة أكبر المسؤوليات وكانت الحقائق الخمسة ، الحقائق الوضيعة الباعثة على الانشغالات ، الحقائق التي كشفت لهم عنها الرسائل والخاصة بعلاقات أهم بزواج عمتهم ، قد أخجلتهم وأذلت نفوسهم وحقرت في عيونهم شخصيتي والدهم والدتهم على السواء أحسن الخمسة أنهم كانوا هم أيضا مخدوعين ، فاشتدت نفوسهم على عمتهم ولم يغفروا لها أنها كانت السبب في افساد جو حياتهم وفي وقوفهم من والدتهم هذا الموقف المروع الفظيع

لم يستطلع واحد منهم حتى الابن الاصغر فرانسوا أن يبدى عطفه على والده أو على عمة بكلمة . كان الصغار يشعرون أن الكبار ضعاف أدنياء لم يعرفوا واجبه ولم يحرسوا على شرفهم ولم يفكروا الا في أنفسهم ولم يأنهوا أبدا للصغار بيد أن الجريمة ، الجريمة الزوجية التي اقترفتها والدتهم والتي ألحقت المار بهم جميعا ، سرعان ما توارت في أطواء خيالاتهم وحلت محلها جريمة الخيانة الوطنية التي جاوزت أشخاصهم وأصاب مستقبل الثورة ومستقبل البلاد

انهم تشأوا مع الثورة ، واشتركوا في مظاهرات الشعب ، واستمعوا لخطب دانتون ، وهللو لاقتحام الباسيل ، وكان فخرهم الجهاد ، وشعارهم الاخلاص ، وعقيدتهم الحرية ، فكيف لا يثلبون الساعة في نفوسهم فكرة الثأر لمبادئهم المتهاكة على فكرة الثأر لعرضهم المسلوب ؟

ومع ذلك فالنبار لم يجرفهم جميعا . وقد ظل البعض منهم مالكا حواسه محتفظا بآثراته مبقيا على عواطفه الانسانية مستقلا في نظراته الى الامور . على أن الكل كانوا سواء في الألم والحزن والحيرة والضيق لان الجريمة أهم ، ولأن مستقبل حياتهم أصبح متوقفا على ماسوف يعترمون . المستقبل ! .. مستقبلهم ، حديث القوم عنهم ، نظرة الناس اليهم ونظراتهم الى أنفسهم ، رغبتهم في أن تظل رؤوسهم مرفوعة ، إيمانهم بقدسية الواجب ، تعصبهم لمبادئ الثورة ، شعورهم بالخطر الذي يهدد البلاد .. كل هذه العوامل كانت تسيطر على الغالبية منهم ولا سيما على الابن الأكبر أو كفاف صورة جاستون الصغيرة ورجع صدى آية في كل شيء .

وها هو ذا أو كفاف وقد أفاق من أثر الصدمة ، يتحرك في مقعده ، ويجيل في المضمعين بصره ، ثم تستقر عينه القاسية على آية تدعوه للكلام
ولما أحس الوالد الممزق القلب أن العاصفة الاولى قد هدأت ، وأن الاعصاب المتوترة قد سكنت وقرت ، وأن عقول أبنائه قد تهيأت للموازنة والتفكير ، قال :

- انما دعوتكم وأنتم رجال للنظر في أمر لا حق لي أن أقطع فيه بنفسى ! .. ولو انى كنت قد تصرفت وحدى لما استحق شخصى منكم غير اللعنات ! .. الجريمة هى زوجتى ، ولكنها أيضا والدتكم ، وليس لي أن أدishها وحدى ! .. اليه أمامكم ، فاتخذوا منى هاديا لكم فقط ، واحكموا بما عليه عليكم ضمائركم ! ..

وصمت ثم أردف بقوة لم يألها فيه أولاده من قبل :

- أريد حكما سريما وقاطعا . أريد أن أستريح . فاما عقاب عاجل واما صفح يسدل ستار النسيان على كل شيء !

وكان الأبناء الخمسة يستمعون لآبهم وأظفارهم متجهة صوب أرضاس . ولكنها لم تسعفهم بكلمة ولبت جامدة اكتمال

وأخيرا قال الابن الأكبر أو كفاف وشفتاه ترتجفان والالفاظ تباطأ وتشر كالنمل على تخشى الانطلاق من قمة العريض :

- يا والدى .. اعذرنا .. ان موقفنا رهيب .. لا تحملنا ما ليس في طاقتنا ان نحمل . أقض في الأمر بنفسك .. أنت رب الأسرة .. كان في وسعك أن تصفح لو أردت . ولكنك وقد جمتنا وأطلعتنا على ما كان يجب أن نجعل ، فهذا منك دليل على أنك ترغب في العقاب ، والا لما بحثت عمن يؤيدك ..

فصاح الابن الأصغر فرنسوا ، وكان فتى نحىلا شاحب اللون ، ضيق الكتفين ، واسع العينين غائرهما ، تؤثره أمه بالحنان والعطف لشعورها بأنه مهدد بالداء الذى كان سبقضى عليها في صباها :

- ان أو كفاف المحامى يداور بدل أن يصارح .. يفرض يا والدى أنك ترغب في

المقاب لانه هو نفسه يرغب فيه ! .. انه يقيمك بلا تبصر .. يمتنى أن يصبح في نظرك بطلا ولو كان ذلك على جثة أمنا ! ..

فنهض هنرى الابن الثانى ، وكان شابا مقتول الساعد قوى العضل متقدما حماسة وطنيه قد التحق أخيرا بجيش الثورة ، وقال فى جبروت المنصيين وهو يلوح بذراعه :

- نحن لا نعرف فى حق الوطن أبوة أو أمومة . ومنى أذنب واحد منا فقد خرج علينا . ولقد امرت تلك المرأة ذنين ، فان لم يشأ والدى أن يثار منها لنفسه فهو حر . أما الوطن فلا يعرف الفران ، لانه لا يستطيع أن يقر الضعف !

فصرخ الابن الاصغر فرنسوا :

- لا تفقدوا عقولكم ! لم تطلب الثورة منكم أن تكونوا آلهة . وإذا أنكرتم انسانيتمكم استحالتم الثورة بين أيديكم الى مجرد سحر أصيبت به وحوش !

فتطلع اليه الابن الرابع موريس وكان ملازما فى الجيش ومن أقرب المقربين الى دانتون وكيرلمان ، وقال فى صوت بارد مترن الفى الرعب فى القلوب :

- وكيف تضمن أن روبسيير لن يعلم ذات يوم بخيانة والدتك . وهل فى وسعك أن تتصور ما يمكن أن يصيبنا جميعا لو علم ؟ .. لا .. أنا لا أضحي نفسى ولا أضحيكم ولا أخون مبدئى فى سبيل امرأة علمت الآن أنها لم تكن أما ولا زوجة ولا مواطنة !

فارتفعت فرائس فرنسوا وقال وهو كالمخبول يستمطف ويتوسل ويلتمس نجدة من واحد منهم :

- ولكنها والدتكم ! .. ارحموا .. فى استطاعتكم اطلاق هذه الاوراق .. فى مقدوركم كتمان هذا السر .. لم يعرف به أحد حتى الساعة .. عاقبوا بأنفسكم .. نكلوا بها ما شئتم .. ولكن لا يظنوا عنها .. لا تسلموها للنوار ! ..

فقال الابن الأكبر :

- حتى لو لم تقع عليها أية شبهة ، فيجب أن تعاقب . يجب أن تعاقب ممن يمتيهم الامر .. ان نية الخيانة هى الخيانة بعينها !

فصاح فرنسوا : ما أنتم الا وحوش ! ..

والتفت الى أخيه روبير وأردف :

- وأنت ؟ .. أراض أنت عما تسمع ؟ .. أمستحل لنفسك أن تقضى مثلهم على والدتك ؟

وكان الابن الثالث روبير ينعم النظر فيهم جميعا ، ويتفحصهم واحدا فواحدا ، ويهز رأسه هز اليأس القاتل . فلما استفسره فرنسوا عن رأيه ، اعتدل فى جلسته ورفع سبابته الغليظة كعادته عند ما يبدأ فى القاء درس على تلاميذه فى معهد الفنون الجميلة وقال فى هدوء :

- ساكون صادقا وصريحا . وعندى أن الصراحة فضيلة ينشدها الكل ويكرهها الكل .

ومع ذلك فهى قد تنزق القلوب كالرحمة . ولكن صاحبها يعيش على الدوام فى صحراء .

وأنا شاب غشت حتى الآن في صحراء لاني لا أعد ما تعبدون ولا أؤمن بما تؤمنون
وقطب حاجبيه الكثيفين وأردف بصوت واضح الخارج خشن الثبرات ملؤه التحدي :
- أنا لا أؤمن بالتوبة !.. لا أثق بتعاليمها ولا أعتقد أن هذه التعاليم ستفضي آخر
الامر الى خلاص مجموع الشعب البائس وتحرره من ربكة الكبراء أصحاب السلطة بحيث
تحقق العدالة الاجتماعية الكاملة وتأييد المساواة على وجهها الانساني الصحيح . ان هذه
التوبة ليست من عمل الشعب ، بل من عمل الطبقة المتوسطة . وسوف تنصر هذه
الطبقة ثم تنمو وتتضخم ، ثم تبرز منها طبقة أخرى . طبقة من كبار أصحاب المال تسبب
بالطبقة المتوسطة نفسها وبمجموع الشعب أيضا . فاتهم تهدمون سلطة الارستقراطية لتقيموا
بدلا منها سلطة رأس المال . ورأس المال سوف يطش بالشعب
فقال موريس وهو يرعد : أنت من دعاة الهزيمة !
فلم يحفل به روبر واستطرد :

- هذه هي عقيدتي . فاستنادا اليها لا يسعني أن أحكم على والدتي لأنها خانت التوبة .
أما حياتها لاني فهي التي تستحق العقاب . فاقصوها عن باريس ان شئتم وجردوها من
وسائل الترف ، ولتقضي بقية حياتها في الريف معي أو مع فرنسوا . على أن أقسى عقاب
ينزل بها هو شعورها بأنها فقدت احترام أبنائها !..

لقد صارحكم برأيي . ولكن اعلّموا أنه لو طاب لوالدي أن يركب رأسه فاسلم والدتي
الى التوار ، مستعذبا الحقد ، مستمرنا التنفي ، تاركا عقله فريسة للشذوذ المستولى على
عواطفه ، فهو لن يفقد امراته وحدها . بل سيفقدني أنا أيضا ..

فصرخ فرنسوا وقد أبرقت أساريره : وأنا أتيتك يا روبر !
واسلخ عنهم وذهب فوقف بجوار أخيه منشبا به ، فنظر اليهما الوالد نظرة طويلة .
نظرة خيبة وأسى وازدراء ، ثم انسمت حدقته وتماقت أنفاه وتحول عن الجميع خفيا
المركة التي تدور في نفسه ، ولكنه لم يلبث أن نصب قامته ، ثم أقبل على أبنائه الثلاثة
المؤيدين له ، وقال وهو يلهث : « احلوا هذه الرسائل الى دانتون ! »

والتفت الى روبر وفرنسوا ، وقال : « ولتغادرا أنتما البيت في أقرب وقت ! »
وسقط على مقعده واضحا رأسه بين يديه . وفي تلك اللحظة سمع طرق على الباب ،
فوجم الكل ، ثم انقضت فترة ، ثم فتح الباب ودخلت ابفون

وكانت يقميص نومها الأبيض ، محلوقة الشعر ، عارية الصدر ، ناعدة الثديين ، يتماوج
بدنها من تحت غلاتها ، وتتألق بضرة النوم الطويل في خديها الموردين ، وعينها الوضائين
ولكنها لم تكذب تدخل الغرفة وتبصر أولادها وروجها مجتمعين وتوى ارماس منكمشة
هامة وتلمح الوريقات الزرقاء مفتحة ومشرقة على المنضدة ، حتى بهتت وخفق قلبها
ولما لم يخاطبها أحد وأحست الجميع مرتبكين حائرين يتفادون النظر اليها ، تقدمت
خطوة ، وحدقت الى ارماس ، ثم صوبت أبصارها الى الرسائل ، فمرقت خطها

ارتاعت وانعقد لسانها ، ولم تدرك ماذا يجب أن تفعل . أيجب أن تبقى أم تخرج ؟ أيجب أن تتكلم أم تصمت ؟ ولو تكلمت فماذا عساه أن تقول ؟ ..

فظلت واقفة ووجهها محترق وسداعها يظنان ، يد أن احساسها بانفصاح أمرها على هذه الصورة وأنها قد أصبحت أسيرة قوم لن يرحموها أكثر مما يرحمها القدر لو أقيمت في حفرة ذئب ، هذا الاحساس أيقظها وردها إلى صوابها وأثار فيها ما انطبعت عليه نفسها من عظمة وكرباء ، فدارت بعينها تنشد على الأقل عيني ابنها الصغير ، فالتفت أبصارهما ، وعندئذ لم يستطع فرانسوا كتمان عواطفه ، فارتقى على صدرها وانفجر بالبكاء وهو يردد : « أماء .. أماء .. لقد حكموا عليك ! .. انهم وحوش .. »

فاحتضنت ولدها وجعلت تتحسسه وتقبله وتقر يدها على شعره ووجهه ، دون أن تتكلم وفي وسط السكون التام ، في وسط الصمت المظلم الزافر ، قدمت ابنتون نحو زوجها ، ثم تنفست ، ثم رفعت رأسها الباهى وصمرت خدها الأسيل وقالت في شموخ وعزة :

— لقد أحبت سواك لأنك قط لم تحبني ! .. هذا ما يجب أن يفهمه أولادى ! .. لم تحبني لا أنا ولا هم ! .. لم تحب غير مهنتك ومبادئك ! .. ولقد أبغضت أنا هذه المبادئ منذ اليوم الذى فيه أبغضتك ! .. فلا تكلف نفسك عنا القضاء على ولا ننتظر أن نطلب منك الرحمة !

وتراجعت بضع خطوات ثم أردفت بصوت أجش :

— سأذهب من نوري وأسلم نفسي لا إلى دانتون فهو شبه إنسان . ولكن إلى « لجنة الرقابة » إلى « الفلاح » مارا ! فأمسك بها ابنها ودوى صوته الممزق الأبيح يقول :

— لن تذهبى ! .. لا أريد أن تذهبى ! ..

فمر على وجهها ظل ابتسامة وقالت في ضجر وتعب : « يا صغيرى العزيز ، حياتى هنا أصبحت مستحيلة . لو منتهى اليوم فلن تستطيع أن تمنعنى غدا . الوداع ! »

ولم تقبله . ولم تنظر إلى أحد . واتجهت بخطى ثابتة نحو الباب ، يتبعها فرنسوا وهو يئنسج ويصرخ ، وروبير وهو يركى في سهوم واستسلام

ولما اختفوا الممت عينا أرماس ، وعلى دهش منها خيل إليها أن ذهلها يتبدد شيئا فشيئا وأن الهمود يزايها والحياة تدب فيها . ثم أحست احساسا بعيدا خفيا أنها مطمئنة وأنها راضية . فأرادت أن تتحرك ، أن تعمل شيئا ، فنهضت وتقلت في الفرقة كأنها في بيتها مبتهجة بأن تكون الشخص الوحيد الحى بين جمع من المسلوبين المأخوذيين . ثم انحنت على شقيقها وشعرت بأنه أصبح لها وحدها . أصبح في مكان الزوج والحبيب والشقيق ، فطوقته بذراعيها ولاطفت وجهه بأناملها وقبلته في جبينه قبلة باردة خرساء ، وقد بدأت تعزى وتستمرى . لأول مرة في حياتها لذة الانتقام والانانية والشر !

تَبَرُّ شُرُوقِ الْإِسْلَامِ



بعد أن قبض الله اليه الرسول صل عليه وسلم حدث أن ارتدت عن الاسلام عدة قبائل . فادعى بعض زعمائها النبوة أمثال طليعة بن خويلد الأسدي وسجاح بنت الحارث التثلي ومسيلمة الحبشي الكذاب ، فلما رأى الخليفة أبو بكر أنهم تمردوا وحسوا عنه الزكاة ، سير إليهم جيشاً فربما بقيادة البطل خالد بن الوليد .
وعم حوادث هذه القصة أثناء الحرب التي نشبت بين خالد وبين طليعة الأسدي

كانت هند بنت زهاد متربعة في زاوية من خدورها تجدل صفائرها الطويلة السوداء وتفكر ونكى . وكان صاحب الدار الحارث بن الريان قد خرج ينسقط أبناء الحرب . ووالده المريض الشيخ عامر لم يستق بعد . فاستأنست هند بوحدتها ، ولطفت دموعها من حر آلامها ، فجفت ماقيها ، واستبد بها الفكر ، وشاع في نفسها هم عميق مازجه البغض والحق والرعب

وكان الصباح في صحراء نجد رائع الجمال ، ندى الهواء ، بليلا ، وأولى أشعاع الشمس توشك أن تنشق . فتطلعت هند من خيمتها الى الطاقة الصغيرة المفتوحة ، ورمقت صفحة السماء بنظرة ، وتقبلت لمسات الهواء العليل ، فجاشت عواطفها ، وفاضت مقلتاها بالدموع

عزت عليها نفسها ، وأحست أن هذا الجمال ليس لها . أحست أنها محرومة من كل شيء ، محرومة من رؤية النهار الساطع كما تستهى . محرومة من الحياة ولو لحظة في ضوء الشمس ، محرومة من السير في الارض مرحا . محرومة من نعمة الخنان ، ونعمة الحب ، ونعمة الحرية

ويا ليتها ظلت هكذا الى الابد محرومة ، يا ليتها ظلت هكذا الى الابد بالسة شقية سجيئة ،
يا ليتها حرمت جميع مباهج العالم ولم تفقد شعورها بالطمأنينة والدعة . هذا الشعور الذى
كان يلهب عواطفها ، ويزين أمامها المستقبل ، ويمدها بقوة الاحتمال والصبر ريثما يعود
من الحرب ابن عمها وحبيبها همام بن الحسين

ومثله في نشوة حلمها فنى كالرمح ، أغر الطلعة ، واضح السنة ، أزهى اللون ، مليح
القسمه ، مشرق الجبين ، يملك الطرف حسنه ، وقللاً العين نضرتة ، ويفتن القلب لحظه
الفاتر وخذه الاسيل ، كأنها هو أننى قد استكب عليها فيض من رجولة أحوالها بطلا في
صورة ملك كريم ...

ولكن أين هو همام ؟ . وكيف تصل اليه وكيف نسمعه صوته ، وكيف تستصرخه
المعونة والنجدة ؟ .

انه بعيد عنها ، وعينه لم تعد ترعاها ، وساعده القوى لم يعد يحميها ، وشجاعته الحارقة
لم تعد ملاذها وملجأها ساعة الشدة والالام
أيمكن أن تفقده ؟ .

أيمكن أن يبعد القدر الغاشم بينهما ، ويحتفر هوة سحيقة يتردى فيها جبهما العظيم ؟
كلا هذا محال . فالأمل ما يزال يلمع أمامها كنور يترامى من خلال السحب ، والسعادة
ما تزال تتألق أمام عينيها كمصباح تلمع الريح ضوءه ، فما يزداد الا يريقا وتوهجا
ان خيالها لا تقوى من الحقيقة ، وصبرها أقوى من الزمن ، وطهارتها الاصلية أقوى
وأصلب من عاديات الدهر

سوف تتم بزواجها من همام كما نعمت جاراتها الصغيرة زينب بنت رباح ، بزواجها
من الاخرى من ابن عمها خطاب بن مازن
لقد زفت زينب الى عريسها بعد أن جعلها المواسط ، وقدم لها زوجها الجلوة وشاحاً من
أغلى الحرير ، وضربت لها قبة جعل العريس ينثر منها على الحاضرين كمكاً شائفاً وخيصاً
رائفاً وقمرها شها

وكانت النساء تزغرد ، والرجال تهلل وتصبح عند ما أرسل قميص الميت في نفس
الليلة الى بيت والد زينب

ولقد رأت هند القميص ، وشهدت على طهارة زينب ، ثم غادرت العرس وقد استنفض
الفرح عزائمها ، وأذكت سعادة زينب في نفسها شعلة الكفاح والامل

وها هى ذى الآن تفكر في العرس وترتجف . تفكر فيه ، وتفكر في الوغد الزنيم ،
في الحارث بن الريان صاحب الدار التي تأويها والرجل الذى سامها الحسف والهوان ،
وظل بها يتوعددها بالموت ، ويحرمها الطعام والشراب ، ويفرض عليها الجوع والمسغبة ،
متهازاً فرصة ضعفها كى يعتدى عليها وهى محرومة عليه ، ووديعه مقدسة بين يديه

محرومة عليه لانها رضيعته تغذى من لبن أمها ، وأصبحت كأنها هى أخت له . ومع ذلك

فلم ينف عنها ، لم ينف عنها كآخت ولم يصنها كوديعة
الم يلقنه عليها والدها زياد بن مرة قبل خروجه الى قتال خالد بن الوليد في صبيعة
طلحة بن خويلد الاسدي وأنصاره ممن ارتدوا عن الاسلام وادعوا النبوة عقب وفاة
الرسول ؟

أجل ، كان زياد والدها يرى في الحارث أخا لها ، ويعتقد فيه المرومة والنخوة ، وبجبه
أخلص الحب ، وينزله من نفسه منزلة الابن والصديق . فلما قبض الله اليه أمها ،
ووسوس الشيطان لانيها أن يرتد عن الاسلام ويلحق بالرافقين أتباع طلحة الاسدي ،
دخل زياد ذات يوم على الحارث وقال له : أنت ابني وهذه أختك . فخذها وديعة
عندك . صن عرضها لانه عرضك . وإن قدر لي أن أموت فزوجها ببن هو كفاء لها .
وأوتر أن يكون بعلمها ابن عمها الهمام بن الحسين لو ارتد عن الاسلام يوما .

ولم يكده يمضي شهر واحد حتى حث الحارث بن الريان يمينه عند ما جاءه النبأ بمقتل
والدها زياد بن مرة ، ولقد جاءه النبأ ليلة أمس فبات مؤرق العين منهوب النفس ملتاثا ،
وفي فجر اليوم وقبل أن يستفيق والده الشيخ ، وقبل أن تستيقظ هند اقترح عليها خذرها
وأعلنها بمقتل والدها ، ثم شهر في وجهها خنجره ، وصارحها بأنها قد أصبحت تحت
رحته ، وأن لا مفر لها من الاختيار بين الموت أو التسليم

وكان الجوع يقطع أحشاءها ، ودوار الزرع يطوح بها . ومع ذلك فقد ناضلت
وكافحت ، وبدل أن تخور وتسلم ، استمدت من ضعفها قوة ، وتحدث الموت شائخة ،
وأفلتت من بين براثن الوحش ، وأحسّت لأول مرة في حياتها لذة البطولة والظفر
وها هو ذا الوحش أحامها ، ما تزال تراه . ها هو ذا يمينه البراقين تدوران في
محجرهما خبثا ومكرًا . ها هو ذا يأفقه الحاد ، وعفقه القباء ، وضله الكنتز ، وشفته
الغليظة المرتشة حقًا وكمدًا

لشدها نكرهه . لشدها ما نكره ذلك الرجل الحائر النفس ، الكفيف الروح ، الميت
القلب ، معجذ الاوثان ، مقدس الانصاب ، عابد الجمل الاسود ، عدو الله ورسوله
والمؤمنين . لقد حاول أن يلوث في شخصها الصورة الثقية التي يحرص عليها اسلامها .
حاول أن يثار لكفره من الاسلام فيها ، ويثار منها لحقه على ابن عمها وحبيبها ، ويثار
منها فوق هذا لعلها أنها إنما تحب هماما لا لانه جميل فقط ولا لانه شجاع فحسب ، بل
لانه انتفض على والده الكافر وانتفض على عمه المرتد ، وظل ثابتا مثلها على اسلامه ،
وانخرط في جيش ابن الوليد يحارب المرتدين في سبيل الله

فالحارث بن الريان ، الحارث المشهور بكفره وجبنه وغناه ، لم يشأ أن يلحق بجيش
طلحة الاسدي ومالك بن نويرة وأضرابها من أعداء المسلمين ، بل اكتفى بأن منحهم
بعض المال ، ثم قبع في بيته ، في صميم نجد ، بمنزل عن ساحة الوغى ، يقاتل امرأة ،
ويعذب امرأة ، ويحاول أن يثار لحقه وكفره وجبنه من امرأة !

ختمت الشهوة على بصره . أعماه حقدوه وكفروه . لم يشعر بأذى وازع من خلق أو ضمير ، في حين أنه يعيش بالقرب منه وبعج النور ، بالقرب منه رحمة الاسلام وحنانه ، بالقرب منه والده الشيخ عامر الريان الذي شاهد رسول الله وأسلم على يديه ، فبوركت حياته وكان من الخالدين

آه ، ليت والد هند كان كوالد الحارث مسلما ، اذن لزوجها ابن عمها همام ولما وقعت اليوم بين برائن الوحش . ولكن والدها كان هو الآخر عابد أصاب ، وكان يكره هماما لاسلامه ، ولكن عدل الله نفذ فيه ، وما هو يقتل جزاء عدوانه على المسلمين . فعذر الله لا بد أن يصيب الحارث في غد كما أصاب والدها بالامس . ولكن هي ، ماذا يجب عليها الآن أن تفعل ، وإلى أين تذهب وبمن تستجير ؟ .

والدها قد قتل ، وحبيبتها انخرط في جيش ابن الوليد ، وعمها في جيش طليحة ، وهي في هذه الدار أسيرة الكافر ، ضربت عليها الذلة وقضى عليها باحتمال الهوان ماذا تفعل ؟ . أنصدف عن كل طعام وشراب ؟ أمقتل نفسها ؟ . ولكن الله حرم قتل النفس ، وهي لن تكفر بنعمته تعالى ولن تعصاه

اذن فلتصبر ولتقاوم . وتحسبها الله الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، المنتقم الجبار ، الذي يأخذ ويعطي ، ويحرم ويجزل ، ويلهم الصبر عباده الانبياء

أجل . سنصبر ونجاهد وتنتظر . تنتظر مقدم حبيبتها . ومتى عاد . متى رجع من الحرب منصورا سالما - وهو لا بد راجع ولا بد منصور كما تعتقد وتؤمن وتستشعر في صميم نفسها - فسكناسفه بكل شيء ، وتطلعه على الحقيقة ، وغط اللثام عن وجه الحارث أجل سنصبر وتنتظر . ولكنها ستقاوم ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ولن تكون للحارث سقتلع من صدورنا حب الحياة . ستستحمل من نفسها جرثومة الضعف . ولجئ لها

ألف مرة أن تموت من أن تشعر بكياتها كله يمزق ويفترس بين ذراعي ذلك الوحش ولكن ضعف الطبيعة هو الذي تخشاه . تخشى نوبة الضعف الفجائي . غفوة التعب الطاريء . رخاوة العصب المباشفة . تخشى أن تخور قواها فجأة ، وأن تفقد صوابها على الرغم منها ، فيمثل بها الوغد وهي صريخة لا تمل

اذن فعليها أن تصرخ ، أن تستغيث ، أن تستنجد بوالد الحارث ، بالشيخ عامر الريان ، بالرجل الطيب الصالح النبيل ، الذي أحبها كابنته وتمهدها كفرسه وابقط روحها على النور وهداها هي وحبيبتها ، هي وابن عمها همام ، الى بركة الدين ونعمة الاسلام ولقد حاولت اليوم أن تتاديه ، أن تستصرخه المونة والرحمة ، ولكن الحارث أقسم لو استجارت بوالده أن يقتله على مشهد منها ، فأشفقت هند على الشيخ المسكين

ولكنها لن تدعن وتسلم مهما حدث . لن تموت ولن تخضع لن تكافح وحدها وستلوذ بالشيخ عامر وتعترف له بكل شيء ! من لها سواء ؟ . من غيره في هذا البيت يستطيع أن يحميها ويرد عنها عادة الوغد

أجل . الشيخ مريض ، وهو قابع في حجرته يتقلب على فراش الألم ويشن من فرط
الاجوع . لم ير شيئا . لم يحس بشئ . لم يشعر بما قد عاتته هند في بيته طوال هذا
النهر من مختلف ضروب السف والهوان . كان منصرفا الى نفسه ، رازحا تحت عبء
مرضه ، لم يظن لآلام هند ولم يشعر بأغراض ولده ، ولم تجرؤ هند على مصارحته ،
خشية أن يصنف به الداء فيرديه ، وخشية أن يذهب الحلق بلب الحارث فيورد والده لو
نار مورد التهلكة

ولكن هذا لن تستمدى الوالد على الولد . لن تعجل بموت الشيخ الكريم الطبيب
لن تكون السبب في ازهاق ذلك الروح الطاهر الذي أحبها واصطفها وانتزعها من
ظلمة الجاهلية وقدمها للإسلام غرسا ناضرا ونبتا زكيا

ستعرف للشيخ لا لينتقم لها فهو مريض وضعيف ، بل ليعاونها على الفرار والتجاة ..
قد فتق له الحيلة سبيلا للخلاص .. قد يجد لها مخرجا مما تآوى .. قد ينقذها من
الحياة في حمة الرذيلة كما قد أنقذها من الحياة في حمة الكفر ؟ ..

أليس هو الذي كان يفاخر ابنه ويفاخر والدها ويتنقى بها وبابن عمها حمام في دار
خالتها المؤمنة عائشة بنت الربيع ، ثم يجلسهما بين يديه ويعلمهما في حرارة ورفق أصول
الدين ؟ نعم . لقد أنقذها بالأمس وسوف ينقذها غدا

لقد بوركت نفسه . لقد بوركت حواسه . لقد بوركت عيناه

انه رأى المصطفى بهجة الدنيا ، رسول الله عليه الصلاة والسلام !

وعند ما فكرت هند في الرسول ، ولاح لها في شبه حالة نورانية مجاه الابلج الاغر
الصباح ، هدأت عاصفة عقلاها ، واتسق تفكيرها ، وغمرها الصفاء فجاء ، وأحست كأن
يذا كريمة شفيقة تمر على جبينها ، فانتشنت وزايلها الخوف واشتد عزمها ، فنهضت من
فورها واتجهت بخطى خفيفة صوب الغرفة الخالية التي يرقد فيها الشيخ عامر الريان

كان الشيخ منبسطا على فراشه أصفر الوجه مندلع العينين يتصبب العرق على جبينه ،
وصدره يملو ويهبط والسعال يكاد يخنقه . كانت قد فاجأته نوبة حادة من نوبات الربو ،
وكانت تساوره الحمى ، فاتخذ الوضع الذي يريحه وانبطح منكئا على مرقبيه . فلما
دخلت هند حيته قائلة : « عم صباحا يا عماء »

فلم يجبها . فلبثت واقفة تنظر اليه وهو ملقى في هذه الغرفة العارية على هذا السرير
الضيق المصنوع من جريد النخل ، وتقطعت نياط قلبها حزنا عليه ، وثارت كوامن سخطها
على الحارث الذي استبد به الحقد والكفر ، فأعرض عن العناية بأبيه المسلم ، وترك
الشيخ المريض في هذه الغرفة ، يعيش وحيدا معذبا ، بمسارع الداء ولا طبيب ولا دواء
وتحرك الشيخ بعد لحظة وهمم : « أهلا بقرّة عيني . أهلا بالحليّة هند »

وطفق يسعل سعالاً متقطعاً جافاً وهو يخالسا النظر ويجاهد ليستطيع أن يتكلم
وانفجرت شفاته بعد عشاء فقال : « هل الحارث هنا ؟ »
فأجاب : « خرج يتسقط أبناء الحرب »
فقال وهو يتفكر فيها : « ما بك يا ابنتي ؟ .. أنت اليوم على غير عادتك .. »
فأشاحت بوجهها ولم تجب
فاستلرد وهو ما يزال ينعم النظر فيها :
- أنت ضامرة هزيلة . وجهك شاحب ، وخذاك غائران وحول عينيك الجملتين حالة
زرقاء مخيفة .. لقد تبدلت يا هند منذ دخلت هذه الدار . فما بك . صارحيني
فأطرفت برأسها وقالت : « هو الفراق يا عماء ! .. »
فحدق إليها الشيخ بسبطون دخيلة نفسها وقال وهو يمسح العرق عن جبينه بكم جلبابه :
- ولكن همما لم يكن هنا وكنت برغم ذلك ناضرة كالوردة مشرقة كالصباح جذلانة
كالصفور .. لا يا هند . أنت مؤمنة . ولا يمكن أن يحزنك على هذه الصورة فراق
همام . ولو أنهم جاءوا الساعة ينونك إليك فيقيني أن الهم لن يتطرق إلى نفسك ، علما
منك أنه مات مستشهداً في سبيل الله
فهفت هند من أعماق قلبها : « جذبا لو يموت في سبيل الله ! »
فاقسم الشيخ وقال :
- أرايت ؟ .. ليس هذا ما يحزنك .. اذن فصارحيني . ما الذي أحالك هكذا ؟ ..
أنت مكروبة ، أنت مرتاعة ، أنت مهزولة . مظهرك ينم عن الخوف والجزع . والله إن
وجهك ليشب وجه مريض أكرهه على الصوم . فلا تكلمي معك عنى وتكلمي . أنا
أربك من أمد وأحس بك شيئا يتعب . ولطالما وددت أن أكانفك باضطرابي ولكن
انطواك على نفسك كأن يردني ويقل لسانى . أما اليوم فينبى أن أخاطبك وينبى أن
تفتحى لى مغالبى صدرك . لم أرك أبدا مذعورة ملتاعة كما أنت اليوم . فهل أصابك
مكروه هنا ؟ .. هل اسماء إليك ولدى ؟ .. هل أغلظ لك القول ؟ .. هل قصر فى واجبه
نحوك ؟ .. أجيبى يا هند ، فالجيرة تقض مضجعى ، وخوفى عليك يضاعف ألى
وأجهد الحديث الطويل فتعاقبت أنفاسه وتحشرج صدره وعادوه السعال ، فأنبطع
ثابة وظل يسعل ويلهث حتى تحاذلت قواه فسقط رأسه على الوسادة من فرط التعب
ولم تكن هند لتتوقع منه أن يكون بصيرا الى هذا الحد بما يدور حوله
لم تكن تتوقع أن تراه وهو طريق الفراش ، مشغولا بها عن مرضه ، يفكر فيها ،
ويهتم بها ، ويوجس خيفة من ابنه عليها . كانت قد جاءت لتصارحه بقينا منها أنه لا يعلم ،
فاذا بها حيال رجل مشرق البصرة يبدأها الكلام ويلج فى السؤال ويكاد يستبين ويعلم
هذا الحسنى الصادق أخرجها ، فاضطربت وآثرت أن تتكئ وتترتب ، وقالت وهى
تحنى على الشيخ مقدمة له الكربة التى ما تزال فيها بقية من شراب ورق الجوافه والجميز :

- اشرب يا عماء فهذا ينفضك .. هذا يشفي السعال .. اشرب ولا تفكر في .. ها ..
أنا مرآحة هنا .. ما دمت أنت بقربي ! ..

أرفع رأسه ودبت فيه الحياة فجأة، فأقصى الكوبة عنه وتحامل على نفسه جهده واستوى
على فراشه ملتصع العينين ثم قال وهو يهدر :

- لست مطمئنة هنا يا هند ولا مرآحة ! .. الشيطان وسوس لولدي أن يبحث بيمينه .
ولدى ينصص عليك عيشك . يشتبك . يربص بك . يحوم حولك . ولقد رأيت في
عينه بريق الشهوة ورأيت في عينيك صرخة الذعر . لم أخف عنه استنكارى وسخطى .
لم أكنه غضبى . ناديت أول من أمس وحذرته وقلت له : لقد انتشرت يا حارث وأنت
أضف من البغاث ، لقد استحوذ عليك حقد الكفرة الاشقياء فنكلت بوالدك وأذلته
وحرته الطيب والدواء وطرحته في هذه الغرفة منبوذاً يبالغ سكرات الموت . فانتقم من
والدك المسلم ما شئت . اثار لكفرك منى فأنا رجل ودعت الحياة وغفوت عنك . ولكن
لا تثار من امرأة . لا تبحث بيمينك . لا تلمطع بيتى بعار الحياة بعد أن وصعته بعار
الكفر ، فأياك أن تمس الوديعة بأذى . اياك واستباحة البكر التى اتمنوك عليها والى هى
أحتك ورضيعتك . واعلم أنك لو عبث بها ، فينبى لك أن تقتلى إذا لم تشأ أن أكون
أنا فأنك ! ..

وكان يتكلم وهو يرتجف ، والنفس يدوى فى صوته ، والعزم يتقد فى عينيه ، والسعال
يقطع عباراته ويهشمها ويضعف أثر العزم والسخط المنبعث منها ، وأبقت أنها لو اعترفته
فسيجن جنون الشيخ وسيحاول ولا ريب أن يقتص من ولده فيقتل بسببها شر قتلة
وتصورت الوالد حجاب الولد

ونقلت كفاحاً هائلاً يثيره الشيخ من أحلامها . ورائه رأى العين يسقط مخضبا بدمه
صريحا ، فاختلجت أوصالها بأسا وذعرا وقر قرارها على الصمت والكنمان
آثرت أن تعول على نفسها . ألا تعتمد بعد الله الا على نفسها . أن تجاهد بمفردها .
أن تلوذ بسحر جمالها ، بدهاء أنوثتها . أن تخدع الحارث وتحال عليه ولا تمكثه منها .
أن تصده كأنما هى تدنيه . أن تعرض عنه كأنما هى تقبل . أن تمنع كأنما هى قد ترضى
وتستسلم ، حتى يطعن لها ، وينزل على ارادتها ، ويتوق الى الظفر بها طامعة مخنارة ،
فكون قد ربحت وقتا ثميناً تستخدمه فى اعداد العدة لقرارها
وكانت تفكر والشيخ لا يتفك يلحفها . فلما طال صمتها قال ملاطفا رأسها بأنامله ،
مثبتا عينيه فى عينها :

- صارحيني ولا تخشى من الحارث على . ان عرضك يا هند لآلف مرة أغل من
جبانى . ولحير لى أن أموت فأنذا عنك أو متقعا لك من أن أعيش أيامى المدة كارهها
فى رازحا تحت عارى . فإذا كنت حقا تحبين الشيخ الذى أدبك وهداك فانقذه وتكلمى
وخفت صوته وهمس : « هل حاول الوغد أن يقضى منك مآرب سوء ؟ »

فصرخت هند :

- ما هذا القول يا عماء ؟ .. ان الحارث يكرهنى كما يكرهك ويكره كل مؤمنة ومؤمن . ولكنه لم يمسى . وهل هو يقدر وأنت هنا ؟ هل هو يستطيع وفى صدرى نفس يتردد ؟

وقبل ان يطالبها بقسم ، عولت ان تكذب لتطمئنه وتتقذه . فاستجمعت قواها ، واستغفرت الله ، واشهدته على نيتها الطيبة وقالت :

- أقسم بالله العظيم أن الحارث لم يحاول استباحة عرضى ولم يرهقنى أبداً فرشقها الشيخ عامر بنظرة وخالجه شعور مبهم غامض بأنها تكذب . ولكنه لم يلح عليها وأدار رأسه صوب الحائط وقد استقر فى ذهنه هو الآخر أن يعتمد على الله وعلى نفسه فى معرفة الحقيقة

ولما أبصرته يحاول عنها ويكف عن الكلام ، عز عليها غضبه وإعراضه ، فنهضت وجلست على السرير بجواره ، وقالت بصوت متهدج محاولة جهداً اخفاء همها ولوعتها :

- والله يا عماء ، ان سر عذابى هو حزنى عليك وطول فراق عماء .. لقد انقطعت أخباره عنا فما ندرى أميت هو اليوم أم حى .. فلا تسلم نفسك للخيال .. لا تدع الوسواس تستولى عليك ولا تصرف عني وانظر الى .. أنا بنت قلبك وروحك وإيمانك فلا تعرض عني يا عماء وانظر الى ..

فاستدارت ثانية ونظر اليها ومله قلبه الرحمة بها والشفقة عليها فلكى تحول مجرى تفكيره ، وتبدد ظنونه ، وتمتسه ، وتسرى عنه ، وتلطف عليه وقع الداء . ولكن تمسجح حى أيضاً ، وتقوى ، ويشد عزمها على المضي فى الكفاح . أيقظت الروح المجيدة التى يقدسها سواها . أذكت النار المباركة المشتعلة فى صدرها اشتعالاً أبدياً قالت وهى تبسم للشيخ ابتسامة متوسلة وتطوق عنقه بذراعيها :

- حدثنى .. حدثنى عن الرسول يا عماء .. زدنى عنه حديثاً وبه معرفة وبدعوته إيماناً وبشخصه الكريم حياً .. لقد نعمت برؤيته يا عماء فحدثنى عنه أيضاً .. ما أحوجنى اليوم الى هذا الحديث يا عماء ! ..

فاستضاء حيا الشيخ بفتة وتألقت وانبسبت تقاطيعه وازدهر عليه الابتسام كأنما قد سرى فيه سحر ساحر ، فابتهجت هند ، وتركت السرير ، وتربعت على الأرض وتربع الشيخ على فراشه ، وسعل طويلاً ليستريح ويتمكن من الكلام . ثم شبك أصابعه ، وأخنى رأسه على كفه ، وانتمت حديثه ، ونظر الى النور البعيد ، الى أعماق حلمه الرائع ، وهو يشعر أنه ليس بأقل من هند حاجة الى التحدث اليوم عن رسول الله ، ثم قال فى صوت هادئ ، عذب المخارج ، رقيق النبرات :

- كان عليه الصلاة والسلام ..

فتمتمت هند : « عليه الصلاة والسلام »

- كان عليه الصلاة والسلام أرفأ الناس وأعدل الناس وأحلم الناس . لم تمس يده امرأة لا يملك عصمة زواجها أو تكون ذات محرم منه
كان عليه الصلاة والسلام ...

فردت هند : « عليه الصلاة والسلام »

- كان أسخى الناس وأكرمهم ، لا يبيت عنده ديناً ولا درهم . وإن بقي شيء ولم يجد من يطبخ له وفاجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه . كان عليه الصلاة والسلام ..

فتمت هند : « عليه الصلاة والسلام »

- كان يخصف الثمل ويزرع الثوب ويخدم مهنة أهله ويقطع معهم اللحم كأنه واحد منهم

كان عليه الصلاة والسلام يؤاكل الفقراء والمساكين ويجالسهم ، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالاحسان إليهم . كان عليه الصلاة والسلام يضحك من غير تهففة ولا ينكر اللعب المباح ، وكانت الأصوات ترفع عليه بالكلام الجاف فيصبر ولا يؤاخذ.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يستكر عن حاجة الأمة والمساكين وكان أحب الطعام إليه ما كرت عليه الأيدي . وكان يصب الحجر على بطنه من الجوع ويكتم ذلك عن أصحابه حملاً للشفقة عنهم

كان عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعاً وأسكنهم من غير كبر وأبنتهم في غير تطويل ، لا يهوله شيء من أمر الدنيا مهما عظم
كان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى ويشهد الجنائز ويتفقد أصحابه إذا انقطعوا عن مجلسه

كان عليه الصلاة والسلام لا يحتقر مسكيناً لفقره ولا يهاب ملكاً لملكه ويدعو هذا وذاك إلى الله عز وجل

وكان الشيخ يتكلم وهد مشربة العنق إليه ، تنهل حديثه بعينها وأذنيها وشغاف قلبها . فلما أتم بعض ما استوضحه خياله مما لا يزال ثابتاً في ذهنه من صور الرسول ، أريد بحياه فجأة وصاح :

- هذا هو المصطفى الذي بنازعه النبوة أمثال طليحة بن خويلد الأسدي ومسيلمة الخنفي الكذاب .. وحتى سجاح .. حتى سجاح ابنة الحارث التغلبي ، تدعى النبوة هي أيضاً وتجروني على حق رسول الله . ولكن الحق واحد يا هند كما أن الشمس واحدة . وكما امتدى خالد بن الوليد إلى الاسلام فأصبح سيفه القاطع ، كذلك مسيهدى مالك وطليحة وسجاح ومسيلمة أن طوعا وإن كرها . وعندي أن خالداً رجلاً نفاذ البصر والبصيرة راجح العقل غير منهدم العزيمة ولا من التواكلين ، فاقه سيستعجل له النصر

فيفوز على المرتدين فوزا مبينا . هذا شعورى ، بل هو شعور ابنى الحارث أيضا ولو أظهر
نجر ما بطن ومضى يصغر خديه كبرا وغرورا
فقطعت اليه هند وقالت : « أنظن الحارث يتوقع النصر لابن الوليد ؟ »
فأجاب الشيخ هازا رأسه :

- بل هو فى صميم نفسه يتق بذلك . يتق به وإن كان لا يمناه . وأما هذه الثقة فهو
لا يعرف ماها . لا يدري سر شعوره العميق بأن النصر سيحالفنا . ولقد جاءنى أول
من أمس يحدثنى عن سير القتال ، مكفهر الوجه مضطربا ، فأيقنت أنه آمن بونسك
انتصارنا . بيد أنه كان يجادل ويكابر مسترسلا فى غيه ، مخفيا دهشته وقلقه
فلما أمعن فى مناوراتى لبشنى غلبه منى ويستتر خوفه على أصحابه ويقصى عن ذهنه شبح
الهزيمة الذى كان يراه ويستشعر مقدمه ، مارثا ترى فلتعت عليه بالله وجابته بقوله
نعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا » . فلم يكده يسمع الآية الكريمة حتى انعقد لسانه واصفر وجهه وتولته رعدة .
ثم غادرنى واصصرف مطرق الرأس معنى الظاهر كان كلمة الله قد حققت عليه وسحقته
هذا المنظر يا هند أشعرنى بأن الحارث لم يكن مضطربا لخوفه على أصحابه فحسب ،
بل لخوفه على نفسه أيضا من فصاص عادل ينزل به جزاء له على فعله شتاء ارتكبها أو هو
عازم على ارتكابها . ولذلك فكرت فيك يا هند . فكرت فى أنه قد يكون عقد النية على
استباحتك برغم اليمين التى أقسمها لوالدك

فمادت هند تتكر وتفسم ، وتسرب وتنفكر ، وتصطنع فى بساطة تامة مظاهر الدهش
والآباء . فرماها الشيخ بنظرة جانبية وقال : « لآخر مرة أطلب اليك أن تصارحينى ،
فقطعت حاجبيها وخفقت فى صدرها لوعة أساما ، وقالت :

- قلت لك يا عماء انك واهم وإن ما تفكر فيه محض خيال
فأيقن الشيخ أنه لن يقوى عليها ، وتظاهر بالاطمئنان ، ومد يده الى الارض وأخذ
الكوبة ثم رفعها الى شفتيه وجعل يرتشف منها فى بطنه
وقبل أن يأتى على آخرها فاجأ السعال ، فتاولها لهند ، وطلق يسمل ويلهت
وانهكه التعب فتعددت على الفراش وهو يغمغم :

- ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على
الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين

وأغمض عنه وسكنت حركته ، فخيّل الى هند أنه سينام . فهضت ودثرته بنطائه
ووقفت لحظة تتأمل الصفاء الرابع المنسكب عليه

وفجأة شعرت بالوحدة تعبط بها من كل صوب . أحست نفسها كما كانت وحيدة
سوقة . ألفت نفسها بفردا نجاه الحارث . ثملت وجهه المحنقن ، وشفته اللبلة ،

وعجبه الضاريين ، وما سيطلب منها وما سيقصرها ولا ريب عليه ان قبلت في تنفيذ خطتها .
وعجزت عن استمالته اليها وردده عنها بالكر والحيلة ريثما تعد العدة للفرار . فاختلجت
أعضاؤها وتصاعدت من صدرها موجة يأس وجزع ، ولكنها لاذت باقة وبالروح المجيدة
التي قدسها . ذكرت الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان لا يهاب الملوك ولا يهجم
من أمر الدنيا شيء مهما عظم ، فهدأ قلبها ، واشتد عزمها
وانسلت حتى الباب ورفعت الستار في رفق ثم أرخته خلفها ، دون أن تشعر بأن الشيخ
نائم يقظان وأن عينه الساحرة ترعاها وترقبها ..

كان بيت الحارث خيمة كبيرة صنعت من الصوف تنهض على أعمدة ثلاثة وتنقسم الى
غرف تفصل بينها أستار . وكانت الغرف المضروبة في مقدم الدار معدة للرجال والصيوف
والغرباء ، وأما الغرفة النائية الواقعة في مؤخر الدار فكانت الحدر مسكن النساء
فلما تركت هند غرفة الشيخ اجتازت عدة غرف حتى وصلت الى حدرها . وهناك
انطرحت على الأرض فوق بساط من جلد الماعز ، ومضت تفكر في كيف تحتال على
الحارث وتروغ منه وتقادر هذه الدار الى غير عودة

وكان من المستحيل عليها أن تفر نهارا والحيام المضروبة حولها تمنع بالناس . وكان
أخوف ما تخافه لو انسلت من خيمتها ليلا مبعدة وجهها شطر بيت خالتها المؤمنة عائشة
بنت الربيع ، أن يحبس بها القاسم بن غوث ، حارس الخيمة ، فيفتضح ويتكشف أمرها
ولكن القاسم بن غوث رجل فقي ، يوعى الأبل طوال نهاره ويحرس الخيمة في الليل
مقابل التزدد اليسير من المال ينصدق به عليه الحارث . ففى مقدورها اذن أن تجرب ، أن
تحاول ، أن تستدرج القاسم وتلوح له بالنصار ، وتمسحه من حليها وأقراطها وأساورها
ما شاء على شرط أن يفض الطرف عنها ويعاونها على الفرار الى بيت خالتها ، الى ذلك
البيت الذي أبى والدها أن يودعها فيه لان صاحبه مؤمنة مسلمة

وملكتها هذه الفكرة وعقدت النية على تنفيذها عند ما يجن الليل

وفي غفلة عنها وعلى دهنس منها ، ودون ما سبب واضح يلمستها ، تطرق تفكيرها الى
اليوم الرهيب الذي شهدت فيه وفاة أمها

سمعت كان أصواتا حولها تصيح : « واحرباه ! » ورأت ، رأت رأى العين ، أقاربها
يمشون خلف الجنازة حفاة ، والنساء وقد حللن شعورهن بيسرن ملطخات الرؤوس بالرماد
ثم سمعت الناحات يندبن الفقيده ويذكرن محاسنها . ثم خيل اليها وقد طاش حلمها
وأخذ منها الدهش مأخذه ، انها ترى الناحات بعد تنسيق الجنازة ، جالسات في بيتها
ياكلن وقد نهضت في وسطهن أمها .. أمها بعينها ، تدب فتاة .. فتاة لم تعرفها هند ولم
تسمع باسمها قط . فكفت عن الأكل وتاه عقلها ولم تستطع أن تفهم لماذا هي فكرت في

أما ، وكيف تقوت أمها ثم نبث ، ومن هو ذلك الميت الذى يندبه ميت ؟ ..
وانها لمستترقة فى أحلامها وإذا بها تشعر بالحاجة ترتج ، وتلمح ستار الغرفة يرفع ،
وتبصر الحارث بن الريان داخلا عليها مقطب الجبين عابس الوجه

كان الحارث قد سبط القوام صلب العضل متين العصب عريض المنكبين مكتنز اللحم ،
له عينان صغيرتان حادتان ، وشارب رفيع قد نهمل طرفاه ، وشفتان غليظتان ، وذقن
مستديرة ، ومظهر ينم عن قوة طافية غاشمة
يبد أن هذه القوة لم تكن خلقت أصيلا فيه . فطبعه كان لا ينفك يتأرجح بين الشدة
واللين ، بين الشجاعة واللين ، بين الرقة والغلظة ، بين الهزل والجد ، بين الاعتماد وعدم
الاعتماد ، بين الرغبة الشديدة فى اللهو والقصف ، والميل الفجائي الى العزلة والسهوم
فتزواته الطارئة هى التى كانت تتحكم فيه ، وأهواؤه العارضة هى التى كانت تملى
عليه أقواله وأفعاله ، وتسوقه فى بعض الأحيان الى ارتكاب أمور لا يكاد يفكر فى نتائجها
حتى يدعش كيف صدرت عنه ثم يعود فيرتكبها بتفيس الاعتداد بنفس المجاة
والواقع أن القسوة كانت تغتنه ، والبطش يسحره ، وغلظة القلب تستهويه ، وكل
مظاهر القوة الغاشمة تذهب بنه ، وتستر جنبه فى عين نفسه ، وتلقى فى روعه أنه شجاع
ومع ذلك فهو لم يكن خلوا من صفات الخير . كان فيه شيء كثير من فضائل النخوة
والمرورة والكرم ، ولكن طبعه الشلون كان مستقدا به ، واستسلامه لدوافع الساعة كان
يلذه ، وتأخره بالكفر كان يلهب كبريائه ، ومباهااته بظهر القوة كان يحتم على بصره
وكان لم يزل واقفا باب الحذر ، ملقبا على كنفه عيائه المنسوجة من شعر الابل ،
مغطى الرأس بكوفيته . لافا عليها عصائب من غزل الصوف المبروم ، منطلقا بحزام من
جلد يبرز منه مقبض خنجره

وكانت هند قد نهضت متراجمة الى أقصى الغرفة وهى تخالسه النظر وترتجف
ولم تكن قد رآته أبدا على هذه الصورة ، شارد البصر ، متجهم الوجه ، منهوب
الفكر ، فازداد احساسها بالقلق والخوف . ولكن اضطرابه الواضح خفض من تأثير
منظره عليها ، وأشاع فى نفسها بعض الاطمئنان ، ورد اليها شجاعتهما وعزمهما
وجلس الحارث القرفصاء ، واضحا مرفقيه على فخذه ، مسندا رأسه الى قبضته ،
وجعل يتأمل الفتاة ثم قال :

— ما أحلاك يا هند وما أشعاك . ما رأيت فتاة مثلك . ملساء القدمين ، رخصة الكفين ،
ناهدة الثديين ، وضاعة البشرة ، كحلاء العينين . ان جبهتك الناصعة لمرآة مصقولة ،
وشعرك عنقيد جلاها الوابل ، وانفك كحد السيف ، وفمك كهاتم لذيذ الميسم ، ورقبتك
بيضاء كالفضة ، وذراعك كالجدول الرقراق . أنت دمية يا هند وأما عابذك

واخى رأسه على صدره كان وفرا قد أناخ عليه ، فاستغربت منه هند هذه الرقة التى لم تألفها ، وظلت تنظر اليه تستطلع طلعه ، وتحاول أن تبين فيه صورة الوحش الذى كانه منذ ساعات . ولكنها رأت رجلا آخر ، مخلوقا منكسرا ، ذليلا مهينا ، يصف به الهوى ويكاد فرط العشق يرديه مورد الجبال . فتضامت أسنانها بنضا وحقدا ، والتتمعت عينها شماتة وظفرا ، وأيقنت أن عشقه سوف يمكنها منه ، ويطويعه لارادتها وعاد يقول رافعا إليها بصره الشارد :

— بين الحق يا هند ما عذبتك الا لاني أحبك . وما أملك الا لاكون آسى جراحك . وما اجترأت عليك الا لارد عنى عادية موت داهم أو جنون . انى لاراك يا هند أينما سرت وحينا حللت . أراك فى جلال التخيل ، فى طيران الحمام ، فى نفز الظباء ، فى فوجات شعاع القمر ، فى نفسى ، فرقا يا هند بى ، وعطفا من لدنك على ، وصفحا عن الكافر الاثيم الذى يحبك ويلثم خاشما موطنى . قدبك فقالت هند مذهولة : « أنادم أنت عما حلوت ؟ »

فأجاب محمدا إليها : « أنا نادم على ذنبى ولكنى غير نادم على رغبتي .. »
وركة شيطانه بغتة فأردف فى عنف ذاكرة صدها واعراضها ، شافيا غلبه منها :
— لاهصرن عودك يا هند ، واقطفن ثمرتك ، ستكونين لى قبل أن تكونى لآى رجل !
وارتد مستضعفا شاكيا واستطرد :

— لقد برح بى هواك فبرمت بأمرأتى وطلقتها من أجلك . آثرت الحياة وحيدا لا تقطع لعشقتك . أذلك والذى لانه يحرم على حبك ولانه بإسلامه أقرب إليك منى .. لقد رضينا يا هند من تدي واحد ، وهذاننا حشا امرأة واحدة ، فكلانا أهله للآخر ، ولا قوة فى الارض يمكن أن تفصل بيننا .. أنت لى وأنا أحق بك من سواى ، ولكنى يا هند لا أود نسرك على ما تكرهين . لا أود انتهك حرمة نفسك . لا أود اغتصابك . كفاينى ما أحل من ألم وإن كانت لذة الحب التى أنعم بها تخفف من عبء ألى . انما أشهد اللذة الحالية بقربك . أريد يا هند أن تكونى زوجتى !

ففرست فيه مراعاة ثم قالت بعد لحظة تصابره وتسميله وتطليب خاطره :
— يعجبني منك يا حارث وقد ندمت أن أراك تسلك سبيل الشرف والاستقامة . ووافه ما كان ليخطر على بالى أنى قد أسمع مثل هذا الكلام منك . وعندى يا حارث أن النخوة لم تفارق طبعك ، وأن الشهامة لم تزل سليقة فيك ، وأنت محوت بكرم أخلاقك أثر فملكك فازدهى وتهلل وجهه وقال :

— كنت على يقين من حسن تقديرك . وفى وسعى الآن أن أصارحك بكل شئ .
فاحتلجت وتطلعت اليه وقالت : « أى شئ ؟ .. »
فاطرق مقبلا ما بين عينيه ، وتقلص بشره وغاضت بشاشته ، وأجاب فى صوت أجش :
— يبدو أن التصر سيحقد للمسلمين وأن ابن الوليد على وشك أن يهزم قبائل أمد

وطىء وغطفان وكل من ناصر طليحة الاسدى ..
فكانت هند ترسل صرخة فرح ولكنها غالكت نفسها وانصت الى الحارث وهو يردف :
- كنت أنسقط الآن أبناء القتال . فبلغنى أن ابن الوليد طوق فى « يزاخته » (١) فأول
جيوشنا ، وأنه لا يفتأ يتعقبها فى غير هواده ، وأنا بين عشية وضحاها قد تلقى أنفسنا تجاه
عسكر المسلمين فاما نفر واما نموت واما نقتل فى الاسر ..
وزداد وجه الحارث جهامة واكفهرارا وأثاره الخلق والغيظ فصاح :

- ولكن مالك بن نويرة لم يميت . هو اليوم معقد الأمل . لم يقاتل بعد . لم يزل فى
البطاح يتأهب للملاقاة خالد . وكذلك مسيلمة يعد العدة فى البامة وحوله ما يربى على
الأربعين ألف رجل . ولقد أقسم مسيلمة ليلجونا أعداءنا لحو المصا ويتركن عودهم
يتسوح فى الشمس حتى يذبل . على أنى برغم ما سمعت عن هزيمة طليحة ما زلت أعتقد
أن جيشه قد يفلت من الشرك . وقد ينجو هو نفسه من غالب ابن الوليد ثم يرتد عليه
منصورا ظافرا . ومع ذلك فلا جدر بى أن أتوقف وأتنبه وأحسب حساب الهزيمة المطلقة
وأكون على استعداد . الحكمة تقتضى الحذر . والحرص على حياتك وحياتى يستوجب
منى العمل السريع قبل فوات الوقت ...

فقال هند فى لهفة : « وماذا تنوى ؟ »

فصوب إليها عينيها المتقدتين وأجاب فى هدوء وعزم : « يجب أن نفر هذا المساء سويا !
فصرخت : « ماذا تقول ؟ »
فردد وهو يتفحصها :

- سنفر هذا المساء سويا ! .. سنرحل الى مكان أمين .. ستخرج هناك ونعيش
سعيدين .. فهبى فمسك لمداودة هذه الدار وأقضى حوائجى منذ الساعة ..
فقال وقد ملكها الذعر : « ووالدك ؟ » . والدك الشيخ ؟ ..
فأجاب : « سيقبى هنا فهو مسلم ولا خوف منهم عليه »

فأظلمت الدنيا فى عين هند ، وروعها غدر القدر بها ، وسرعة انهيار آمالها ، والفشل
الفجائى الذريع الذى أصابها ، فالتأت وجن جنونها ، ولم تعد تأبه لشيء أو تنتظر شيئا
أو تعلق الأمل على شيء . فصاحت نافضة عنها غبار الذل والمسكنة . طارحة ثوب اللين
والمداينة ، ظاهرة على حقيقتها لا تافئة بغضها ، مجاهرة بعقيدتها وإسلامها :

- أنا مسلمة أيضا ولن أتبع كافرا ما حيت ! لن أتبعك . وإذا كنت تحببى فأعلم
أنى أبغضك والعن والذى المرتد الذى سلمنى اليك . لقد بت استحيى من وجهى لأنك
رأيتنى ، واكره جمالى لأنك نظرتنى ، وأنف من هذا البيت لأنك تعيش فيه . الا أنى
لا أبغضك . أبغضك بكل جوارحى . وسأظل على بغضى ما دام فى عرق يفيض !
فبسط يده مستجديا متوسلا وقال : « رحماك يا هند .. »

فاندفت تقول وهي لا تمى :

- لن أكون امرأتك ولو أعطيت ملك الدنيا . ولن استصنف ولن يخور عزمى لو
حدثك نفسك أن تقضى منى وطرا . ماصرخ ، ماملا الدنيا صياحا . ماغرر أسنانى
فى عتقك . ماثنب أظافرى فىك . ماقتلك يا حارث أو أقتل نفسى
فقال بصوت داعم متهدج وقد بهت لثورتها وأخذ بجملها المتمرده ، وضاعفت حماسها
جبه لها وتشبهت بها :

- لن أمسك بسوء يا هند فارحمينى . اشفقى على ولا تنبذينى . هو حبك الذى أضلنى
واعمانى ، ففضى الطرف عن ذنبى وتجاوزى
ونقلصت شفتاه وترجرجت فى عينيه الدموع واستطرد :

- لن أعيش يا هند بمدك . لن تهنا لى الحياة يدونك فلا تقضى على وأنا بعد فى ميعه
العمر أشد الحباة لأحبك . ليس الشر من طبعى كما تزعمين . ليست الغلظة من خلالى
كما توهمين . ليس القدر فى دمنى كما تعتدين . وانى وإن كنت أكفر بربك وأخالفك
فى معتقدك وأبعد ما كان بعده آبائى وآباؤك ، إلا أنى يا هند أكون أصفى الناس نفسا ،
وأناقم سريرة ، وأخلصهم طوية وقلبا ، عند ما أراك وأسمعك وألقى قيادى مختارا الى
حبك . فلا تنبذينى يا هند واشفقى على

فنظرت اليه شامته والتهب كبرياؤها وزهاها ضمتفه . وبالرغم منها اعترمت أن ظامر ،
أن تستغره عسى أن يقتلها فتموت ولكن طاهرة الذيل شهيدة عفاها . فتقدمت اليه وقالت
وعيناها تتألقان :

- ما هكذا تكون الرجال يا حارث . وهمام لم يسودنى أن يكون فى جبه منخوب
القلب ، منى المكسر ، أخو العود ، ذليلا !

فانتفض ولوح بذراعه ولكنها لم تعأ به وأردفت مسوقة بنشوة مظامرتها الكبرى :
- هو الرجل ! هو الفتى الثبت الجنان ، الجرىء الصدر ، الصادق البأس . أبلى من
رأيت فطرة ، وأطيب من شاهدت عنصرا ، وأخلص من عرفت جوهرأ . هو الذى أحبه
ولن أحب على الأبد سواه !

فاختلج الحارث كالجواد يلهب السوط ، ثم جحظت عيناه ، وتاه عقله ، واستحوذت عليه
غرائز البطش الكامنة فيه ، فانقض على هند وأمسك بها وصاح والحقه يخنقه والغيرة
تأكل قلبه : « أذكركه بمشهد منى ؟ اخشى يا فاجرة ! »

ودفعها فى عنف فهوت عند قدميه ، فنسبت بذراعيها وطفق يجرحها الى حيث الفراش ،
ويقول وقد علا الزيد شديقه :

- ان دمنى ليندفع الى قلبى استنكارا وبغضا . أهذا ما تقابلين به احسانى ؟ ما أنت
امرأة . ان أنت الا ذئبة صلفه تسمى . غلب الذئب اذ يصفنها وتغرر رأسها فى الثرى
لتلقى لطماته قريرة منثية . لسوف أكرس شكيمنتك واسحق رأسك سحقى الجرو

الحقير . لقد أبدت الصريح عن الرغبة وجاهرت بحبك ومقتك دون خشية . ولكن على قدر حبك لهمام وكرهك لى ، على قدر رحمتك به وقسوتك على ، سيكون حرمانك منه ونعمتي بك ، وسأخذك .. سأخذك الساعة .. الآن .. سأنقذ منك غلتي وهم بها فأقلت منه فكر عليها واجتذبا ، فصرخت : « لن تمسسنى ! »
ثم صرخت أيضا : « أعنى يا رسول الله ! »

وغرزت أسنانها في عنقه ، وأثبتت أظفارها في وجهه ، وجمعت قدميها ودفعت بهما في صدره ، وظلت تكافح مصوبة أبصارها الى الخنجر البارز من حزام الحارث ، تحاول اختطافه وطعنه به أو طعن نفسها . ولكنه فطن لفكرتها ، فانتزع الخنجر وألقاه بعيدا ، ثم لطمها بقبضته وشدها اليه ، فأقلت منه ثانية وتمكنت من العدو صوب الباب . وعندئذ رفع ستار الفرقة ودوى في أرجائها صوت هائل يقول : « يا عدو الله ! .. »

فالتفت الحارث كالخبول ، فأبصر والده الشيخ وعينه قد حان شرا ، يلوح بسكين في يده ، ثم ينقض عليه ويطعنه بها ، فصرخ ، ثم وثب الى الأرض ، ودار على نفسه ، وانتزع السكين التي كانت يد الشيخ المرتجفة لم تستطع انغمادها الا في كتفه وكبر عليه أن يجروا والده على اعتراض مشيئة ، أن يحرمه من لذته ، أن يفسد عليه المسئلة . وخيل اليه أنها مكيدة دبرت له وأن بين الاثنين تفاهما على قتله ، فثار دمه وقطعت نفسه غيظا وحقا ، وارتفعت يده بالسكين ثم هوت بها على صدر والده

ولما أبصرت هند الشيخ عامر يتهاوى ويسقط مضرجا بدمه ، طاشت صوابها ، فعدت الى الخارج وهي تصرخ : الى ... الى الجدة ! ... على القاتل ! ...
فجئن الحارث وغاب عن رشده ، فلحق بها وأمسكها من شعرها ، وفي رعدة الخفق والحبال ، في نشوة الفك والبغش ، في نورة الحقد والقشفي ، انهال عليها بالسكين طمعا وهو لا يعي . وظل يطعننها فتختلج فيمن في طعننها حتى أنخنها بالجراح ، ورآها عند قدميه سابعة في دماها

ورفت أهداب الشهيدة وغمغت : الله .. محمد ! ..

ثم أغمضت عينيها ولغلت النفس الاخير
وعندئذ استفاض الصمت حول الحارث ، فلم يدبر أين هو ولا ماذا فعل . ولبت مستغرقا في هموده ، ذاهلا عن نفسه ، الى أن أفاق شيئا فشيئا من سباته ، وحدق الى الجنتين .. ارتعدت فرائصه ولم يصدق أنه قتل ! لا .. هو لم يقتل ! .. غيره فعل هذا ! .. غيره سفك الدم البريء ! .. غيره كان الناحر السفاح ! .. ومع ذلك فلا غيره هنا ! .. لا غيره وسط هذا الظلام الحالك ! .. بلى ، هو الذي قتل ! .. قتل وأعدم وأفنى كل شيء .. والده وجهه ونفسه ، دمه وقلبه وحياته ! .. أممكن هذا ؟ .. أفى الامكان تصور هذا الفراغ ! ؟ .. يا لهول الصمت والفراغ يكتنفان نفس الحارث ! .. الى أين يذهب الحارث الآن ؟ .. لقد نسي والده ونسى العالم ونسى نفسه ، وما هو ذا يرمى على جثة حييته ،

ها هو ذا بصرخ ويكسى ، ها هو ذا يتلوى ويجأر :

- شلت يميني يا هند يا حبيبتى !.. يا أنقى النساء عرضا ، وأطهرهن ذبلا ، وأعفهن
يدا ولسانا . يا بيضة الحدر القاصرة الطرف العزوف عن الفحشاء . يا من قرأت في وجهك
نسخة الحسن . يا دمية القصور التى استوفد حبها ضلوعى وانحل مولعا جسمى وسوف
يرى فراقها منى العظام ، أين أنت ؟! .. اواه !.. اواه عليك يا هند ويا لتكد طالعى بمدك !
وشق ثيابه كالنساء ، وحنا التراب على رأسه ، ولطم خديه ، وظل يفتحب

وفجأة وهو فى غمرة الله ، فاقد الوعى ، معصر القلب ، خاوى الروح ، يتخبط كشريد
يبحث عن مأوى ، أو كخريق يتلصص حطاما ، أو كاعشى ينشد ولو لمحة من نور ، اذا به
يقنض وينكمش ، ويخيل اليه كان كل شئ . قد ماج حوله وكان الارض فى الخارج قد
زلزل زلزالها وأخرجت أمثالها . وأدخف أذنيه فسمع

سمع أصواتا تصف كالرعد ، وتهدر كاللوج ، وتصفر كالريج ، وتومض كالآمل
وتهتف : الله أكبر .. الله أكبر .. حتى على الصلاة .. حتى على الفلاح .. الله أكبر .
فرفع رأسه الى الطاقة الصغيرة المفتوحة وحقق الى السماء ، وأدرك أن ابن الوليد
قد انتصر . واذا ذاك أحسن كان نورا وهاجا يخطف بصره ، وكان شعلة رائعة تدنو
منه ، وكان قوة غير منظورة أقبلت عليه قفلا من نفسه فراغها الأليم

وجلجلت فى قلبه الآية الكريمة التى صها والده بالامس فى روحه وأبقاها حية هناك :
« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »
فارتش الحارث وكاد يهتر صقلا

واشدت الجلبة ، واختلط الهتاف ، وطرفت مسمعه أصوات جياذ تصهل ، وصيحات
فرسان ترجل ، فلم يلتفت ولم يتحرك ولبت مندوها يحدق الى السماء
وبتة اهتزت الحيمة حوله اهتزازا هيفا ، وسمع صوتا يعرفه يردد فى فناء الدار مناديا :
- هند .. يا هند ..

وصوتا آخر قويا جهيرا لا يعرفه يقول :

- أين الشيخ عامر بن الربان زينة نجد وفخرها ؟ ..

فالتفت واذا بجمع من الرجال يقتحم الفرقة ، ويندفع عليه ، ويحيط به . واذا بهمام
عده بالامس وغريمه ، همam الناصع الحفل مثله ، يشق الزحمة ويدنو منه ثم يتراجع ويقف
حبال الجنتين جامدا مروعا مذهولا

وفجأة صرخ همam وقد أخذه الرعب وطارت نفسه شعاعا :

- قتل هند وقتل الشيخ عامر !.. يا للكافر السفاح !..

وانحنى فالتقط السكين ثم انقض على الحارث وأمسك بخنقه واجتذبه الى مؤخرة
الجمع حيث كان يقف الرجل الجهمير الصوت ساكنا مراقبا ، وقال وهو يزفر :
- توبه ملطخ بالدم وها هو السكين الذى قتل بها !

فقال الحارث وقد عرف وجه خالد بن الوليد :
 - طلبت الفرار منكم فلما اعترضني الشيخ والفتاة فقدت رشدي فقتلت !
 فجائش في صدر همام مرجل حسرته وصاح :
 - قتلها يا عدو الله وقتلت والدك !.. حرمتني منها !.. سلبتني الى الابد راحتى !..
 ما أنت بشر ، ان أنت الا شيطان رجيم . ووافه لو ترك الامر لى لولت في دمك ثم
 قطعك اربا !..

واتجه صوب خالد وأردف وهو يزار :
 - يا ابن الوليد ، اليه أملك والمجرم قد اعترف فأقض بالعدل واثار للشهيدى ولى !
 وكان خالد بقاته المديدة ، ومنكيه المريضين ، وعضلاته المفتولة ، ووجهه الذى
 لوحته آثار الجدرى ، واقفا يتأمل المشهد ، ساكنا وقورا مهيا . فلما سمع كلام همام
 تقدم نحو الجثتين في بده وقال :

- ان قضاء الله لا مستقدم له ولا مستأخر . ولكل شئ بمقات مرصود فى لوحه . رحمت
 الله ابا شيخ عامر ، ورحمت الله ايا هند بنت زياد ، وأجزل لكما المغفرة !
 ثم التفت الى رجاله وأمر : اضربوا عنق الرجل !
 فأحاط الرجال بالحارث وشدوا ذراعيه الى ظهره وشرعوا يوثقون يديه ، وقبل أن
 بهم أحدهم بضرب عنقه صاح بهم وعيائهم تلمعان :
 - رويدكم أقل كلمة أو كلمتين

وتحول نحو خالد وأردف :
 - لك يا ابن الوليد ان تضرب عنق فقد أحرمت وحق على انقصاص . ولكنى استخلفك
 باقه ألا ما تركتني أبحت عن كفارة لذنى . لقد استغفرت عقتى وأشرقت روحى وأيقظتني
 اجرامى من سبات كفرى . فخذنى معك . خذنى بين رجالك فى مقدمة الصفوف ،
 ودعنى أموت ، دعنى أموت مقاتلا فى سبيل الله فقد آمنت واهتديت !
 ورفع رأسه وغمغم : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله !..
 فصرخ همام :

- كبر مقنا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . ليس الله بحاجة الى أمثالك . اضربوا
 عنق الرجل !
 فلوح خالد بذراعه وقال :

- كلا يا همام ، لا تذهبن بك ثورة الحقد فتنسى ان ربك غفور رحيم . فقاتل فى سبيل
 الله لا تكلف الا نفسك وحررض المؤمنين على الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد
 بأسا وأشد تنكيلا .

وأشار الى الحارث وقال فى هدوء :
 - حلوا وثاقه وليلحق الرجل بالجيش فى المقدمة كما أراد !

مصر والعالم المستند

تنبؤات في السياسة والعالم والفن والاجتماع

لمنشىء الهلال ، وطائفة من رجال مصر المعروفين

عثرنا في أوراق منشىء الهلال على مذكرات كتبها في سنة ١٩٠٠ وتنبأ فيها بما سيكون عليه العالم ومصر حينئذ بعد سنة ٢٠٠٠ اليلادية ، وما قد يحد في خلال القرن العشرين من مخترعات وفنون وعلوم ، وما سيقوم فيه من ظلم وأوضاع . وقد رأينا أن لعرك في هذا البحث طائفة من خبرة رجال مصر المعروفين في السياسة والعلم والفن والاجتماع

تنبؤات جبرجى زيدان

بمرر كثير من المكركن الباسين أن عهد الدول الصغيرة اعصى ، وأن المستقبل سيشهد نظام د تكتل الدول د الذى يدمج الدول الصغيرة المتطارية في أجناسها وأصولها وأصلعها في د كتلة د كبيرة ، وفي هنا ينشأ منشىء الهلال ويعول :

• ينقسم العالم للتمدين بعد مائة سنة ، حسب الأجناس ، دولا قليلة ، فدولة اللاتين تضم فرنسا وأسبانيا وإيطاليا . ودولة الجرمان تضم العناصر الألمانية البعثرة في أوروبا . ودولة الروس وتنضوى تحنها الأجناس السلافية في أوروبا ، وتكون الصين واليابان دولة واحدة ، وهكذا ..



في بداية هذا القرن كانت الجمهورية راسخة الدعائم في فرنسا ، والامبراطورية موطنه الأقدام في ألمانيا.. ولكن منشىء الهلال تنبأ حينئذ بزوالم الجمهورية الفرنسية والامبراطورية الألمانية قال :

• تنقلب جمهورية فرنسا وتصير ملكية ، وقد تصير امبراطورية وتصير لأانيا جمهورية بسبب انتشار الاشتراكية فيها

وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية تنقلب من الجمهورية الى الملكية



لم تكن فكرة الوحدة العربية منذ أربعين سنة قد خطرت لأحد من كتاب البلاد العربية أو زعمائها ، فقد كانت كل دولة عربية في شغل وم بأمورها الخاصة ، ولكن بصيرة جرجى زيدان أنبأته بأن هذه الدول للشقة للتباعدة ستتقارب وتكتل يوما ما فقال :

- تم الجامعة العربية بين الشعوب العربية ، فتتحد مصر والشام والعراق وتكون دولة عربية . ولكنها قد لا تصل الى هذا في القرن العشرين ، بل في القرن الذي يليه



مصر ، كيف يكون أمرها سنة ٢٠٠٠ . هذا بعض ما رآه فيها منفيء الحلال من الأظلة والمنشآت التي تم تحقيقها في النصف الأول من القرن العشرين :

- حكومة مصر نائية ومجلس نوابها يمثل كل ما فيها من المال والمذاهب
- الأزهر يدرس جميع العلوم العصرية واللغة الانجليزية
- للسيدات ناد اسمه نادى قاسم أمين
- السفر بين مصر والاسكندرية بالطائرة ، وبين مصر وأوروبا بالبالون
- في القاهرة مستشفى للراديوم يعالج فيه مرض السرطان
- تبغى للمساكن على الطراز الفرعونى ، وتقوم بحوار الاهرام « فيلا » من هذا الطراز تعرف « بفيللا » فرعون
- تكثر الواحات في صحارى مصر ، مثل واحة « هليوبوليس »
- تقوم في مصر مسارف « بنوك » وطنية ويقبل المسلمون على التعامل معها
- تقوم في هليوبوليس جامعة تدرس فيها جميع العلوم ويحاضر فيها أساتذة من جميع الاجناس
- تستقل سورية كما تستقل مصر وتنشأ بينهما سكة حديدية

ههل يتم في النصف الثاني من القرن العشرين تحقيق ما في نبوءات جرجى بك زيدان من نواحي النشاط ومراق الحياة في مصر ؟ ؟

- يبلغ عدد سكان مصر خمسة وعشرين مليون نسمة
- الدكتور محمد ييحث عن ميكروب الفرح وميكروب الحزن
- الدكتور مصطفى يجرى عملية نقل أعضاء الجسم البشرى من شخص الى آخر
- الدكتور ابراهيم ييحث في أعصاب النبات وقوته العاقلة
- تصدر في مصر مجلة خاصة بالعلوم باللغتين العربية والانجليزية
- وتصدر جريدة عربية يعرف المشترك فيها أخبارها لا بقراءتها بل بطريق التليفون
- يجلس المرء في بيته مع زائريه ، ويشاهد ويسمع التمثيل بالسينما توغراف الناطق

- يسافر الناس من الاسكندرية الى رأس الرجاء الصالح بالسكة الحديدية الكهربائية ومن القاهرة الى طوكيو بالبالون
- تنشأ في الخرطوم جامعة مصرية وكذلك مستشفى للبحث في أمراض السودان
- غثروا في أرض اليمن على آثار مدينة قديمة متصلة بمدينة الفراغة
- أنشئ في القاهرة مجمع علمي أطلق عليه اسم « مجمع البحث عن مفاخر الشرق القديم »



إذا تذكرنا ما كانت عليه صورة الحياة ومتجه التفكير في بداية القرن الحلى ، أدركنا كيف كان منغىء الحلال صادق الحس نافذ البصيرة ، حين رسم صورة المستقبل المحبوب فأخرجها قرية مما عليه الحال ، أو مما يجرى فيه التفكير ، في هذه الأيام...

الزواج : بالتراضى بين الزوج والزوجة . ويعقد مدنى يجوز إلغاؤه . ويجب على الشاب والفتاة أن يقدموا عند الزواج شهادة طبية تثبت خلوها من المرض ، ولا يتم الزواج دون تقديم هذه الشهادات . وتنشئ الحكومة مكتباً خاصاً لفحص الشبان والفتيات مرة في كل سنة ، وتفيد نتيجة الفحص في سجلات الحكومة ، حتى يعرف الطبيب عند إعطاء الشهادة الامراض التى تعرضوا لها

الحكومة : تتولى كل الاعمال العامة على المبدأ الاشتراكى . ويدفع كل انسان مبلغاً بنفق منه على المصلحة العامة

للمارس : يتعلم فيها التلاميذ كافة العلوم حتى الطب والقانون ، وان لم يكن القصد تخريجهم أطباء أو قانونيين

للرأة : حرية تخرج فى الأسواق ، وتعلم ، وتوظف ، وتناجر ، وتحارب كالرجل

اللغة : لغة عامة للعالم كله

النقود : مثل اللغة ، ستكون نقوداً دولية

البريد : طوابع البريد دولية . وتكون الرسائل مثل أسطوانات الفونوغراف ، فيسمع المرء صوت صاحب الرسالة

لللابس : كساء بسيط واسع . صندل فى الرجل وقبعة على الرأس للوقاية من الشمس .. ويختارون فى الألوان ما يوافق الفصول والنهار والليل

للساكن : تنام فى الهواء الطلق . وهى بسيطة التركيب قليلة الاثاث . وتغرس حولها اشجار ذات الزهور والثمار النافعة للصحة . فى كل بيت غرفة للتليفون باللاسلك . ويمكن

بواسطة عادية الناس ورؤيتهم كذلك . مطبخ البيت ومغسله يداران بالكهرباء
الطعام : الرجوع الى الطبيعة ، أى الاكثار من أكل الحضر والفاكهة والتقليل من تناول اللحم

الرياضة : لا بد من الرياضة البدنية مدة معينة فى كل يوم . ويعمل الانسان نصف النهار ، ويرقى نصفه الثانى فى التزهة والقراءة

التجارة : نمتلك دكاكين التجارة جمعيات تعاونية . يشترك فيها كل رجل وكل امرأة بسهم أو عدة أسهم . وتتصل هذه الحوانيت بالمنازل بواسطة تليفون بلاسلك
الانارة : تثار للندن بالمصابيح الكهربائية ، وذلك على نفقة الحكومة أما البيوت فتثار بالكهرباء على نفقة سكانها

معاملة المجرمين : بالتطبيب فى المستشفيات لا بالحبس فى السجون
الطب : يعمل الاطباء عن العقاقير الا قليلا . ويكشفون عن العلل الداخلية بأشعة وتنجين ، فيرون الاعضاء والاحشاء واضحة وكل ما يصيبها ظاهر . وتجرى العمليات الجراحية بكل يسر وسهولة . ويجريها الناس فى منازلهم بعضا لبعض . أما طبيب العائلة فيبقى مرتبه محسوبا طالما لم يكن فى العائلة مريض ، فإذا أصاب أحد أفرادها المرض انقطع مرتبه حتى يشفى المريض
الليكروبات : اكتشفوا لكل مرض جسمى أو نفسى ميكروبيا . فلفلرح ميكروب ، وللحزن ميكروب ، وللدكاء والنباهة ، والاخلاص والازم ، والنشاط والكدل لكل منها ميكروب . ووجدوا لكل مرض مصلا شافيا ، حتى أمراض النفس مثل الحب والبغض ، ووجدوا لكل مصلا يعالجها ويشفيها

العلم : يبحث العلماء عن وسيلة لاطالة الحياة باستبدال الأعضاء التى هزلت أو شاخت بأعضاء أخرى قوية أو شابة . وقد رضى أحد العلماء بأن يضحى بنفسه ليجرى عليه زملاؤه عملية إبدال الأعضاء . وبني تضحيته هذه على أنه لا بد من مكافأة فى الدنيا الأخرى ، وأن هذه الدنيا لم تخلق عبثا

الأدب : يقبل الناس على قراءة رواية بطلها مكتشف جديد لمادة تطيل الحياة ، استخرجت بواسطة أشعة الراديووم ووجدوا لها تأثيرا على الأحياء ، فصنعوا منها مصلا سموه « مصل الحياة »
اللاهى : تقام خارج المدن وعلى نفقة الحكومة . وتتقاضى الحكومة مقابل ذلك من كل فرد ضريبة سنوية تبسح له التفرج على جميع أنواع اللاهى
الطائرات : تبني طائرات ضخمة كالبيوت ، فيسكن فيها الانسان وهى رابضة على الأرض ،

وتطير به عند الحاجة حاملة جميع أفراد أسرته ومن يريد من الأصدقاء ، فضلا عما تحمله من معدات للنزل والسكنى . وفى هذه الطائرات أجهزة التليفون والتلغراف بلاسلك ، والراة البحرية التى يرى فيها الرأكب المشاهد البعيدة

وتخترع مادة ترمى بها الطائرة من بعد ، فتوقها عن السير لتتبع فرارها بالمخربين . . .
الرياح والشمس : فرغ القدم من الدنيا فاستخدموا حرارة الشمس بدلا منه . وكذلك استخدموا
 الرياح فى توليد القوى المحركة

هذا ما تنبأ به للرحوم جرجى بك زبدان منذ ٤٣ عاماً ، وقد تحقق بعضه ، وبقي البعض الآخر ،
 وقد يتحقق كما تنبأ سنة ٢٠٠٠

وإليك نبوءات بعض رجالنا وكتابنا اللعروفين ، وقد تناول كل منهم جانباً من الحياة العامة :

أنظمة الحكم

تنبؤات محمد على علوبة باشا

ستنزع أنظمة الديمقراطية إلى الدرجة التى
 بها تتحقق اللامركزية فى العالم كل أمة

إذا جاز لنا التنبؤ بما ستكون عليه حال الحكومات حينذاك ، كان لزاماً علينا أن نتفكر إلى
 الماضى والحاضر لنستشف منهما ما عسى أن يكون فى المستقبل ، على أن الامر فى متهمى
 الصعوبة ، فهناك فرق عظيم بين ما يجب أن يكون وبين ما نتوقع أن يكون عليه الامر فى
 سنة ٢٠٠٠

والذى يمكننا أن نتوقعه ، هو أن الانسان قد ارتقى فى عقله وثقافته ، ونشعر أن الحرية
 وكرامة الانسان متلازمان مع تعليبه وتهذيبه . وبما أن الانسان فى الوقت الحاضر قد
 ارتقى وأحس بضرورة حريته وكرامته ، فانا نتوقع أن ينتشر هذا العلم والتهذيب بفضل
 سرعة تبادل المنافع بين الأمم وتنظيمها وشيوع المؤلفات والاخبار العامة بين أفراد الناس .
 وفى هذا فال حسن فى نمو فكرة الحرية والكرامة ، وبالتالي فى منع الاستبداد ، ونمو فكرة
 الديمقراطية . وينجم عن هذا أن ترسخ فكرة الحياة الدستورية البرلمانية فى الأمم ، وأن
 تهذب حتى تتحقق الحرية الكاملة لأفراد كل شعب ، وأن تسع أنظمة الديمقراطية إلى
 الدرجة التى بها تتحقق اللامركزية فى أقاليم كل أمة ، وأن يكون كل إقليم مكللاً بشؤونه

الحاصة والأى يطلب من الدولة الا ما كان متعلقا بالشؤون العامة كحفظ الامن فى الخارج مع الارشاد والمراقبة فيما تقوم به اقالييم كل مملكة

هذا الى أن العالم يسير الآن بخطى واسعة فى سبيل العلم والاختراع ، مما ينجم عنه ايجاد وسائل الرفاهية وراحة الانسان فى حله وترحاله ، وابتكار الادوية التى تقى الانسان من امراض لا زالت مستعصية أو تشفيه من هذه الامراض . . فاذا تم ذلك كما تتوقمه كانت الحياة فى كافة مناحيها فردوسا للجنس البشرى . كانت الحياة عيشا هنيئا ، وصحة قوية فى العقل والبدن ، وتهذيبا وتقيفا وادارة حكيمة غير مركزة ، قائمة على حرية الفرد وكرامته

انما يجب ألا ننسى مفاجآت قد تكدر صفو هذا الرجاء . لا ننسى أن ارتقاء الانسان فى تلك المناهى التى تتوقمها ونرجوها ، قد يدعو الى ككرة عدد ساكنى الارض وتنوع حاجياتهم وككرة مطالبهم ، فيزداد وينضاعف سكان الارض على نحو قد يتعذر معه ارضاء مطالبنا . والارض شحيحة ان كانت واسعة الأرجاء من زمن مديد ، وتكفى لتغذيتهم وتبادل المنافع فيما بينهم ، فانها قد تضيق يوما ما عن أن تؤدى هذه المطالب وتنضب ينابيعها المختلفة بعد أن تكون غير قادرة على أن تعد الناس بأسباب الرزق وخيرات الكاملة ، فقد يقل القمح فى ناحية ما ، وينضب البترول من ناحية ما ويتلاشى الحديد فى بقعة ما . . وقد تقل المحاصيل عن أن تغذى الكثرة من الناس ، قدب فى بعضهم روح الغيرة وفكرة الاعتداء فتشرب الحروب للرزق والقوت ، بل للحياة . والانسان مهما ارتقى وتهذب وسعى الى العدل والاخاء ، فان الحيوانية لا زالت كامنة فيه ، وعند الحاجة يرجع الى حاله الاولى من الفتك والقيل والنهب والتخريب

ولطالما سعى المفكرون والحكام والفلاسفة فى منع هذه الحروب والتذكير بوجوب ارتقاء الانسانية وبعدها عن الاعتداء وبراءتها عن الوحشية . . ولكن الانسان هو الانسان ، ولم يثبت لنا التاريخ فى أى زمن من الازمان ان الانسانية قد بعثت عن هذه الوحشية التى يسمونها ضرورة للبقاء أو للمجد . ومتى كانت فكرة الحروب قائمة بين الناس من يوم الحليقة الى الآن ، وأصبح من السير بل من المستحيل منعها ، فانا نخشى أن تتكرر هذه الحروب وأن يساعد العلم على شدة الفتك والتخريب

فاذا وقعت كوارث وقامت حروب فى المستقبل بين أمم الارض ، قوامها العلم والاختراع ، انقلب نظام العالم وقبضت شعوبه وتخربت بقاعه فيقلب النظام الاجتماعى والادبى بنظام لا نعرف كنهه الآن وقد يكون ديكتاتوريا ، أو استبداديا فظيحا ، أو عبودية أمم بأسرها تحت أقدام الظافرين . فاذا قامت هذه الفوضى ، وقام القتل والتخريب ، وانحطت المرومة ، وضعفت الاخلاق الكريمة ، لم يصبح للمنطق مجال ولا للتنبؤ مجال ، ولا لسير الامور نظام مستقر ، وأصبح الظلم والقوة قاعدة بين الامم ، فتتلاشى الآمال فى تحقيق

الديمقراطية وتحقيق العدل ، ويرجع الناس بعد ذلك الى همجية تنقلب فيها الارض من فردوس الى جحيم

فعلى المسؤولين فى توجيه الانسانية البشرية ، أن يقودوها الى ما فيه خيرها ورفقها ورفاعتها . وأن يحسنوا قواعد العدل وتطبيقها بين الاقوياء والضعفاء . وبغير هذا لا يكون للانسانية وجود وينقطع كل أمل فيما نرجوه لرفعتها عن طريق العدل والضمير الانسانى السليم

حياتنا الاجتماعية

تنبؤات محمد العشماوى بك

المستشار الملكى لوزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الاشغال

فى سنة ٢٠٠٠ ستزول الامية تماماً ، وستنحل

بعض جئازة آخر أى احتفالات قومية رائمة

اذا أردنا أن نعرف الحياة المصرية فى نواحيها الاجتماعية فى سنة ٢٠٠٠ وجب أن نعرف نوع المجتمع الذى رسمته البلاد وعملت لتحقيقه ، وما اتخذت لذلك من وسائل ، وما رصدت له من أموال ، وما وفقت عليه من جهود . ويخيل الى أن برنامجاً مقرباً للوصول للمجتمع المثالى لم يوضع للآن . صحيح أن الرغبة فى الإصلاح قد قويت والدعوة اليه قد ارتفعت من كل جانب ، وإن بعض مشكلاتنا الاجتماعية الكبرى قد فكر فى الأخذ بسبب علاجها ، ولكننا لا نزال فى دور البداية أو طور التفكير ، فلم نضع خطة ثابتة وليدة دراسة شاملة . ولا نزال مشروعاتنا فى الإصلاح الاجتماعى مرتجلة ، وجهودنا متفرقة . ولذلك أخشى أن يأتى عام ٢٠٠٠ ولم نتقدم كثيراً فى الوصول الى الاهداف الاجتماعية السامية . فنصف قرن ليست شيئاً مذكوراً فى حياة الأمم . وإذا جرى التطور فيه بخطوات بطيئة ، بعد المدى بينا وبين غاياتنا فى الإصلاح الاجتماعى بما يتجاوز سنة ٢٠٠٠ بكثير على أنى اعتقد أنه سيكون للحرب وكوارثها ومعضلاتها ، ما يحفز الامة المصرية - متأثرة بالتيار الجارف الذى ينتظر أن يجتاح العالم عقب انتهاء الحرب - الى أن تقيم أسس مجتمع سليم يصمد للاحداث ويتمشى مع هذا التطور العنيف . فإن صح اعتقادى ، ولم ينسا هدوء السلم ضجيج الحرب ، أمكننا أن نصل فى النصف قرن المقبل الى نتائج بعيدة المدى فى حياة المجتمع المصرى . وأخصها تحقيق العدالة الاجتماعية فى أرووع صورها

مناثرة يبدأ التضامن والتكافل العام . فلا تكون الاغلبية الساحقة من الامة في فقر مدقع وجهل شامل ومرض قاتل ، والمثالث أو الالوف القليلة في ترف من الحياة ، والمعرفة ، والصحة ، والغنى ، بل تتقارب الفوارق بين الطبقات ليتحقق التوازن الاجتماعى ويتناسب الانتاج القومى مع عدد السكان ، فيتوافر للفرد مورد من الرزق يتناسب مع حياة انسانية كريمة ، ويمكنه أن يأخذ من الحياة بقوماتها

كما أنتظر في سنة ٢٠٠٠ أن تزول الامية تماما وأن نحتفل بتشييع جنازة آخر أمة احتفالا قوميا رائعا ، وأن يكون التعليم العام ميسرا للجميع وبالمجان ، فحاجتنا للتعليم كحاجتنا للماء والهواء . وأن تقوم الأسرة على أساس مكين من التضامن ، فيجد من فوضى الطلاق وتعدد الزوجات ، بحيث تصبح هذه الرخصة مقصورة على مواجهة ضرورة اجتماعية لا وليدة المتعة والهوى العابت

وأشغل ما يشغلنى مصر المرأة المصرية وحالتها في سنة ٢٠٠٠ ، فما تزال الى اليوم على مفترق الطرق ، قطعت شوطا بعيدا في الثقافة وأصبحت عنصرا فعالا في الحياة المصرية الاجتماعية . ولكن أغلب الظن أنها لم تنته الى رأى في رسالتها في الحياة . فقد بدأت تطالب بالمساواة ، والمساواة في الامور العامة حق من حقوقها ، وحققها في المعرفة العليا لا مرة فيه . وبقي نوع الميدان الذى يجب أن نعمل فيه . . واعتقادي أنه لن يأتى عام ٢٠٠٠ الا وقد تبين للمرأة المصرية ان مزاحمة الرجل في ميدانه أمر لا ينفعها ولا يشرفها ولا ينفع البلاد ، وأنه خير لها أن تنضم بملكها غير منازعة فيه ، وأن تعمل في ميدانها على تربية الجيل ، فذلك ما يرفعها الى مرتبة الجلود

حياتنا الاقتصادية

تنبؤات عبد الله بك أباطلة

السكرتير العام لوزارة التجارة والصناعة

نحن الآن في سنة ٢٠٠٠ وقد أنارت الكهرباء المولدة من خزان أسوان جميع الساكن النظيفه التي يغطيها العمال في المدن والقرى الصناعية المتفرعة على جانبي النيل

بلغ عدد سكان مصر في سنة ١٩٣٧ حوالى ١٦ مليون نسمة ، ولما كان متوسط الزيادة السنوية قد بلغ في الثلاثين سنة الأخيرة ١.٢ ٪ . ، فانه يتظر أن يكون عدد السكان في سنة ٢٠٠٠ حوالى ٢٧ مليونا

وإذا كانت مساحة الاراضى الزراعية لا تزيد فى الوقت الحاضر على ستة ملايين من الافدنة تقريبا ، ولا يتنظر أن تزيد فى سنة ٢٠٠٠ على ثمانية ملايين فدان ، فإن متوسط نصيب الفرد من مساحة الاراضى المزروعة سيهبط من حوالى التسعة قرايرط كما هو الآن الى الستة فقط . ومن ذلك يتبين مقدار تضاؤل ما يصيب الفرد من غلة الارض ، مهما قيل فى امكان الزيادة فى خصوبتها وانتاجها ، أو فى المساحة المزروعة منها . ويدعو ذلك حتما الى وجوب تنمية موارد البلاد صناعيا وتجاريا ، وإلى استخراج ما فى أرض مصر من الكنوز ، وما فى بحارها من ثروة مائية

نحن الآن فى سنة ٢٠٠٠ ، وقد أنارت الكهرباء المولدة من خزان اسوان جميع المساكن النظيفه التى يقطنها العمال فى المدن والقرى الصناعية المنتشرة على جانبي النيل ، الذى يحف به « كورنيش » معبد جميل ممتد على شاطئه ، تفرع منه طرق كثيرة تشق سبلها وسط الصحراء الشرقية ، منسابة الى الموانئ الكثيرة المنشأة على ساحل البحر الاحمر ، وفى كل منها صناعة بحرية راقية ، وقد اكتظت مرافئها بمئات من سفن الصيد المصرية ، وسفن النقل التى بناها صناعنا المصريون ، والحركة على أنهدا فى هذه الثغور . فهذه بضائع تتنحنح لقبضها عن حاجتنا ، وتلك مواد أولية تفرغ لتنقل الى مصانعنا ، حيث تحول الى مواد مصنوعة تنتفع بها محليا ، ونصدر الزائد منها لبلاد الشرق الاوسط

أما حركة استغلال الكنوز المعدنية المدفونة فى صحارينا فقامت على قدم وساق ، ومناجمنا تخرج أطنان الحديد والالنيوم والكروم والقصدير وغيرها وغيرها . والمصانع تحول هذه وتخلق منها الكثير مما نحتاج اليه . وقد نشطت مصانع السماد والمواد الكيماوية والاسلحة والذخيرة والآلات الميكانيكية والسيارات والطائرات وصناعات الجرانيت والخزف والفخار وغيرها ، وكلها تستمد قوتها من كهرباء خزان اسوان بتكاليف قليلة وقد أصبحنا لا نرى القطرات الحديدية والدخان يتصاعد منها ، لأنها تسمير بالكهرباء ناهية الأرض نهبا قادمة من السودان غادية اليه ، بعد أن تم مد الخط الحديدى بين الشلال ووادي حلفا . وكان من أثر ذلك أن استفادت صناعتنا وتجارتنا الى حد كبير ، فنقل البنا من السودان الكثير من المواد الخام التى تنقصنا ونشأت بسبب ذلك صناعات لها أهميتها كحفلة اللحوم والفواكه وديج الجلود وصنع الورق وغيرها ، فضلا عن استغلال الغابات السودانية بما فيها من مواد وأخشاب

.. وما هى ذى الطائرات قمتا الجو فى كل مكان ، وقد أصبح لنا أسطول تجارى جوى وبحرى كبير ، يربطنا بالحجاز واليمن والهند وشرقى الاردن وفلسطين والشام والعراق وغيرها ، ويمزج التبادل التجارى بيننا وبينها ويروج لانتاجنا الصناعى الغزير

لقد أصبحت جميع هذه المرافق المالية والتجارية والصناعية فى أيدينا نحن المصريين ، ولا بأس من أن يعاوننا مستشارون من الأجانب فى بعض الاحوال . وقد ارتفع مستوى المعيشة عندنا بسبب ما تنعم به من رخاء ، وزادت أجور العمال وسما مستواهم الاجتماعى

والتقافى والصحى ، ولم تعد نرى ما كانوا يسمونه « الجهل » منذ سنوات ! وأصبح كل فدان من المناطق الصناعية يقوم عليه مصنع يحوى آلاف العمال الذين انتقلوا من حياة الفلاحين الفطرية الفقيرة ، الى حياة عمالية راقية ينعمون فيها بالطعام الدسم المنظم ، والكساء النظيف والماء المصفى ، والصحة والعافية ، وقد زالت عنهم الامية فصاروا كلهم يقرأون ويكتبون ، ويفهمون حقوقهم وواجباتهم ، ويكونون شعبا صناعيا متعلما ناهضا قوى التكيمة منبع الحاشية ، يذود عنه جيش كامل العدة ، وافر العدد ، مرهوب الجانب ، يرفرف عليه علم « مصر » القوية المنيعة المحصنة التى أصبحت تكفى نفسها بنفسها ، وتضارع أقوى الامم صناعة وحضارة وغنى واستغلالا

حياتنا الفنية

تنبؤات احمد بك رامس

العالم إذا سار على ما هدر يكون للناس سنة ٢٠٠٠ م نظام اجتماعى واقتصادى من شأنه نوافر أسباب العيش بلبيل من الجهد ، فيحس المرء حينئذ قيمته ، تفقد احساساته وتسمو أساليب الحب عنده

كلنا نذكر كيف تأثرت الفنون اثر الحرب الماضية فرجمت بها القهقري وطلعت علينا ببعض نظريات حديثة ، فحلت الموسيقى الجديدة ، محل الانغام المنسجمة التى كانت تهز الروح وتطرب الفؤاد . ونزح بعض المصريين الى التعلل من قيود المادة والحطط « الكلاسيكية » باحثين عن تسجيل صفات الروح بأساليب كانت محل إعجاب البعض وسخرية الكثيرين

ولما كان من المنتظر أن يعقب هذه الحرب تغييرات واسعة المدى تناول جميع الانظمة الاجتماعية والاقتصادية المعارف عليها ، فإن الفنون ستأثر بهذا التطور كما تأثرت عقب الحرب الماضية . . غير أن هذه الحالة سيعقبها حالة استقرار تدعو اليها الرغبة فى نشر السلام والحرص على تجنب ويلات مثل هذه الحروب التى من شأنها تعكير صفو العالم فالمودة الى هذا الاستقرار الاجتماعى سيعود بالفنانين الى استقرار حالتهم ، مما يساعدهم على رفع مستوى الفن الى جو سحرى تحس فيه الروح هدوءا وانسجاما وسوف يتطور كل فن من الفنون الى ما يحقق مطالب الروح التى عانت من هذه الحرب دعبا واضطرابا ، فيقدم لها توازنا واستقرارا

ففى الادب مثلا سوف ترى الصحف خلوا من المقالات المطولة تورد أخبارها وتنتشر

على الناس ثقافتها في أسلوب سهل وتعب قوى . . وفي المعمار تظهر الدور الصحية المقسمة تقسيما مريحا . . وفن الزخرفة يأتي بالالوان البسيطة الهادئة التي تمس الروح المضطربة فوحى اليها الراحة والسكون . . وحتى فن الطهى تمثيا مع هذا التطور سيكون مبنا قبل كل شئ على ما يفيد الجسم من الغذاء من وفرة الفيتامينات ، وتستبعد منه أغلب المركبات الحالية التي تؤذى الصحة

سيجد هذا التطور بعد الحرب بمدة بأشكال بدائية وطرق ارتجالية تندمج تدريجيا مع ما هو قائم الآن من نظريات . والعالم اذا سار على ما نقدر يكون للناس عام ٢٠٠٠ نظام اجتماعى واقتصادى من شأنه توافر أسباب العيش بقليل من الجهد ، فيحسن المرء حينذاك بقيمته ويشعر انه لا يعيش ليكد كما هو الحال الآن ، وانما يعمل بعض الوقت ويجد متعة ليتذوق الراحة ، وتنتهي له الفرصة للعمل على تهذيب روحه ، فتدق احساساته وتسمو أساليب الحب عنده ، وتزدهر برقى الحب سائر الفنون . . وربما يبلغ التطور بغير الحب أن يسامى عن النيرة ، ويكون الحب للحب ذاته . . أى أن المحب بكفيه أن يخضع لهوى الحبيب مستعذبا لذة الهوى دون مطالبته حتى بمبادلة حبا بحب ، فضلا عن الترفع عن احساسات الحب السلبية كالغيرة وما اليها . .

وستظهر فوق ما هو معروف الآن من شتى الفنون . فنون أخرى حديثة ، كفن التماثل ، فينصف الناس بعضهم بعضا اذا لا يجدون هناك من فائدة وراء المعاملات المتوية . وفن جديد للسياسة ، ويبدو من الآن أنه سيقوم على الصراحة والاخلاص والرغبة في اسعاد الجنس البشرى . . وكذلك سيخلق حتما فن جديد للتهرب ، يتخلص به مثل من الاجابة عن سؤال رئيس التحرير في موضوع منشعب كهذا يتناول كافة الفنون

جوامع الكلم

- الرجال في جميع أنحاء العالم خمسة : الاول يخدم بلاده بالمال ، والثاني بالعمل ، والثالث بالقلم ، والرابع بعياته ، والخامس بالسكوت ، والجميع يخونون أوطانهم إذا أمهلوا فبا يجب عليهم أن يعملوه نحو بلادهم « جنسون »
- لولا انتقاد أعدائى ولومهم ، ما نجحت في كثير من أعمالى . ولولا تحقيرهم إياى ما كنت من الفائزين « ريشليو »

فما نل بحث قيم في « الوحدة العربية » للاستاذ عبد الرحمن عزام بك ، ونطو
بحث آخر للاستاذ ساسي الجريدي في « مستقبل العالم العربي في ميثاق الاطلسي »
، نفعرهما عملا بخطة الهلال في عرض آراء الكتاب دون التلبيد بما جاء فيها

الوحدة العربية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن بك عزام

الوحدة العربية كلمة محبوبة يعبر بها كل مستعرب عما يشعر به من رابطة الأخوة بينه وبين
المستعربين في الساحة الواسعة التي ضارت وطناً مشتركاً لهم بين الخليج الفارسي والمحيط الأطلسي .
ولو سألتهم جميعاً عما يقصدون من عبارة الوحدة العربية ، لاتفقوا في أنهم يريدون اعترافاً من
الناس بما بينهم من أخوة ، ويريدون تعاوناً لما بينهم من مصلحة ، ويريدون اتجاهاً الى هدف
أسمى هو غايتهم للشركة التي جعلت منهم على مر العصور أمة واحدة لها رسالة واضحة
ثم لو سألتهم بعد ذلك عن الكيفيات التي يحققون بها غرضهم أو الأشكال التي يصورون فيها
وحدتهم ، لتعددت الأجوبة ، وإبدأت الحيرة

الوحدة فائز

ذلك لأن الوحدة لأئمة موجودة فعلاً ، ورغم ذلك فإن عوامل التفريق والتشتيت أقوى من
أن تتغلب عليها الإرادة الضعيفة التي لم تبلغ بعد المستوى اللائق بمفرد نبيل ، والتي لا تزال دون
مرحلة الانفجار النفساني الذي نهون عندها الصعاب وتكتسح العقبات .
الوحدة واقعة ، وليست من عمل رجل ولا رجال ، بل ولا جيل ولا أجيال ، وإنما هي أثر
لآلاف السنين ، ونتيجة لتفاعل عشرات العوامل

فمن الناحية العنصرية نجد أن هذه الساحة الممتدة من شمال الجزيرة العربية الى جبال طورس
والهضبة الكردية الايرانية والتي يرمز لها بالهلال الحبيب ، قد تلقت موجات بشرية من الجنوب
منذ انقراض السوماريين الى ظهور الاسلام . وكذلك نجد هذه للموجات البشرية تتراسل تباعاً
حتى تصطبغ بموجات البحر للتوسط في سوريا وفلسطين ومصر وأفريقية الى قرطاجنة قبل
الاسلام بعشرات القرون . ثم نراها تمتد بعد ذلك وتقوى بدافع الدعوة المحمدية ، فتلس
شواطئ الأطلسي ، وتعبو الى الأندلس ، كما عبرت من قبل تحت راية قرطاجنة

ومن العجائب البشرية أن السهول الصحراوية الكبيرة كانت ولا تزال على عمر العصور مصدراً مثل هذه للوجات البشرية ، فمن سهول النول كما في سهول الجزيرة العربية نرى الأقوام النولية كما نرى الأقوام للتعربة ، تتدافع إلى ما وراءها من ساحات جيلا بعد جيل

مصر بلعربي قبل المسيح

ولمنا اذا دققنا النظر واستعنا بالبحث العلمي وما يكتشف من آثار ، نصل الى حقيقة استعراب بلد كعصر من الوجهة العنصرية قبل المسيح بآماد بعيدة ، فقلد كانت « قبط » في الصعيد بلعاً عربياً أو مستعرباً قبل أن يستعرب الناس بظهور عيسى عليه السلام في هذه الدنيا ولعل بين إخواننا الأقباط الذين احتفظوا بدينامهم القديمة من هواصرح عروبة من سكان مكة نفسها اليوم أو مدينة الرسول

ثم من هم الأقوام الذين سكنوا الهلال الخصيب ومصر وأفريقية قبل عشرة آلاف سنة ؟ ذلك ما لايسيل الآن للجواب عنه . أليس لنا أن نقول هم كذلك فمر تفاعل مشابه كان جارياً على نفس السنت ، التي نلاحظه في العهد التاريخي أو منذ ظهور مدنات مصر وبابل ؟

أما الحقبة الآلاف سنة الأخيرة ، لحوادثها على غموضها لا تخفى حقيقة اختلاط الأقوام النازلة في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وأفريقية اختلاطاً يجعل من المستحيل الفصل بينهم عنصرياً ، ففي القبيلة البدوية وسط الجزيرة نجد الجمجمة للتديرة وللتطيلة كما نجد في قرى العراق أو الشام أو مصر أو افريقية ، وكل ما هناك هو الخلاف في النسب العديدة بينها ولو حكمنا علم الأجناس وقمنا بفحص الشعوب والقبائل النازلة في الساحة للتعربة التي هي اليوم الوطن العربي ، لنا كدنا من وحدة العنصرية كذلك بين هذه الشعوب والقبائل للتعربة وربما أدهشنا أن نجد في مثل هذا التحقيق أقباط مصر ونصارى العراق أقوى شهاً بالعناصر السامية العربية القديمة من بعض مسلمى العرب اليوم

هذه الحقيقة هي التي توحى للناس بعلم أو غير علم وحدة الأصل ووحدة النتائج ، فهم يحنون الى الأصل للترك ، كما يسعدون بعزة الواقع التي جعلت منهم أمة كبيرة كثيفة العدد كثيرة الموارد ، لها وطن يتسع لأكثر من مائة مليون وتتنوع موارده وخيرات . هو وطن الحضارة الفرعونية والبابلية والفينيقية والقرطاجية والاسلامية

الوحدة والرسالة المحمدية

ومنذ أربعة عشر قرناً ولد في الجزيرة العربية سيد البشر من أبوين مستعربين ، لمكان مولده نوراً وهدى للناس كافة ، كما كان بصفة خاصة بشاً أقوى من كل بعث سابق للأقوام للتعربة ، فكانت رسالته بركة على الإنسانية وبركات على الشعوب التي مزجتها الدعوة المحمدية وأخرجت

منها على عمر الاجيال تلك الامة للتعربة التي أدت رسالة الاخاء والساواة على أكل وجه في الصور الوسطى ، والتي برجو للستعرون أن تكون للنقد للبشرية في الاجيال الآتية فترفع لواء الاخاء والساواة مرة أخرى

هذه الحقيقة الأدبية وللغوية التي كانت ثمرة الرسالة المحمدية وثمره الهجرات المتتالية التي صبحت أكثر من ألف سنة ، كالحقيقة العنصرية التي كانت نتيجة للوجات البشرية في القرون الأولى للتاريخ . تجعل للستعربين في ساحة الوطن العربي يعتزون بعزة واحدة يعبرون عنها بكلمة الوحدة العربية وهي التي تجعلهم في كل مكان يفخرون بالأصل للشرق ، كما يفخرون بلغة وأدب وعرف مشترك . يفخرون بالأمة التي صهرتها الرسالة المحمدية ، جعلتها أكبر عداً وأحسن وطناً من أمة من أمم أوروبا العظمى

فالوحدة العربية حقيقة واقعة لا يستطيع الجاحدون من المستعربين إنكارها

الوحدة في الشكل الدولي

والأمر هو كيف تبرز هذه الحقيقة في شكل دولي يعبر عن الإرادة للشرق ذلك هو موضوع القيل والقال في هذا القرن . وعلى أنصار الوحدة وعلى القادة والفكرين وعلى السياسيين على وجه الخصوص ، أن يعملوا لظهور وحدة هذه الأمة عن طريق إزالة العقبات الطارئة والمصطنعة

على القادة والفكرين أن يجدوا لتحقيق الوحدة السياسية ، وألا يشغلوا الناس بغيرها ، وأن يقووا إرادتهم لا كساح كل عقبة في سبيل هذه الوحدة السياسية مهما كان قدرها أو مصدرها فالوحدة العربية التي أريدها هي في نظري موجودة قائمة ، الفضل في إيجادها من قبل المسيح هو لهذا العامل الطبيعي الذي أشرت إليه والذي يرسل موجات الأقوام من مراكز تاريخية بل أبعده إلى ساحات معينة على طول الصور ، ويرجع ثانياً إلى ظهور المهادي الأعظم الرسول العربي الذي صقل هذه الأقوام وأقامها على نهج العروبة بلغة مشتركة وأدب موحد

وما نحن إلا دعاة تجديد لعهد قديم وحق ثابت ، فعلينا أن نزيل ما طرأ ، ونحى عوامل التفريق والتقسيم ، ولا يجوز للدعاة للحق أن يماروا فيه أو يداروا ، فما أصيبت دعوة إلا بالبراء والمصانة وفي الجانب الشمال الشرق من أفريقية أمة عربية سبقت للغرب والشرق في العلوم والعارف والثراء والاستثمار ، سحرتها المظاهر الغريبة ، فنسيت نفسها وجمحت وراء السراب فعلى أهل الغرب والشرق أن يستمضوا همها وألا يوالوا من لا يوالها ولا يظاهروا عداً عليها ، فإذا نهأت لها الأسباب ، وهي على وشك ذلك ، كانت دولة الوسط ، وكانت مكان القلب في دولة المستقبل العربية العظيمة

وفي للشرق عراق ناهض لنا فيه أعظم الرجاء ، يجب أن يتى دائماً فنتتين إذا انقاسم ، وكان عمود البيت لدولة في الشرق . أما الفتنة الأولى لمذهبية مقضى عليها بالزمن وحسن الرأي ، تلك هي السنة والشيعية من بقايا الجمل ، ومن آثار العجمة . ودواؤها هو تدريس التفقه والشرعية في معهد واحد إن لم يكن في العراق فليكن في الأزهر

ويحسن أن يكون الأزهر مركز العلوم الدينية للعرب كافة ، كما هو اليوم مفتوح للمسلمين كافة ليكن التعليم الديني الذي يوصل الى مركز حكومي أو اجتماعي كبير في معهد واحد . وليدرس كل طالب ما شاء من فقه مذهبه على شيخ من مذهبه ، ولكن ليشارك فيها عدا ذلك مع بقية الطلاب ، فذلك يوصلنا الى إضعاف النزعات للمذهبية دون العدوان على مذهب ما ، بل يوصل الى الاستفادة في الثغنين والتشريع من جميع المذاهب ، ويدنيها من عهد الاجتهاد الذي ذلت هذه الأمة بقفل بابيه وقد عملت على تحقيق ذلك أثناء وجودي في العراق ، وقابلت كبار المجتهدين في التجفب الأشراف ، ومررت بما رأيت فيهم من بصيرة وحية . واستعداد للتضام ، واتخاذ الأزهر معهداً لتربية الاسلامية للشركة . ولم أجد في سعيي بمصر عقبات تذكر في سبيل تدريس الفقه الجعفري أو غيره من المذاهب الاسلامية ، ولكن الحرب دهمتنا فبقى المشروع بين يدي الحكومة المصرية أما الامر الثاني الذي يجب أن تنقبه في العراق ، فهو ما يخص اخواتنا الاكراد . وهنا أشعر بنافع غريب يدفعني الى الجهر بحجة الاكراد بحجة تراحم عيني للعرب ، حتى لا أستطيع أن أقول أي العاطفتين أقوى ، فالأكراد قوم مخلصون مصابون ، لا يمكن أن يأتي الأذى من جانبهم ، فلا يجوز أن يشعروا بأن الدعوة للوحدة العربية في غير مصلحتهم . فهم المسلمون الذين صدوا عن الاسلام تيارات حارفة في كل العصور ، وهم يملكون أن الوحدة العربية يعزز بها الاسلام ، لأنها تضم أحسن أنصار هذا الدين وأهله في إطار واحد ، وآمال العراق أو مستقبله ليس في التوسع على حساب الكرد . بل ان الأمة العربية تدمج الكرد الحبار في الاتحاد معها أو الاستقلال بشؤونهم متى شاءوا دون أي ضرر أو غشاضة . فلا يجوز أن تغلق في العراق مسألة كردية . وقد كان الاكراد في الدولة العربية قواداً وأسياداً في كل العصور قبل صلاح الدين وبعده ، وكانوا دعاء التقوى وأنصار العربية . فليحذروا فنن الاجانب ، وليحذر العراقيون للراء والجلد معهم وغيظ قلوبهم ، فالأمر هين وللاكراد فيه ما شاءوا اذا قوى العراق كان نواة لدولة هذه الأمة الشرقية أما الشام فهي أقوى الشعوب العربية فكراً وأحسنها نشاطاً ، وأقدرها على الخير والشر لما في أهلها من دهاء وقوة إرادة ، وهي كنز هذه الأمة القياض بالمفكرين ورجال الاعمال والتجار فيجب أن يكون تحررها من النفوذ الصهيوني والفرنسي أو غيره هدف عرب للشرق وللغرب ومشكلة لبنان أسهل المشاكل متى اتفق العرب على جعل الخيار للبنان في الشكل الذي يريده ادارة نفسه ، وليس للعرب قبل عرب لبنان للمسيحيين إلا مطلب واحد ، أن يذكروا دائماً أنهم

في الشرق وأن آباءهم كانوا أسياداً فيه ، وأن الغرب حادث عليهم وزائل من بينهم
وقيمة الجزيرة العربية في حالة من البداوة ، كان من حسن حظ العرب أن وجد علاجها
بظهور الدولة السعودية ، فصايتها وتأكيد ما بينها وبين اليمن من روابط ، وإمدادها بما
ينقصها ، وتذليل الصعاب لها بتضامن مصر والشام والعراق ، يسهل على أنصار الوحدة تنشئة
جبل في الجزيرة يسائر الحضارة الآتية ، ويستقي منبعاً فياضاً لتغذية هذه الأمة بدماء فتية ، كما
تريدها الطبيعة ، وكما يقول أهل العراق نجد أم والعراق داية . (قابلة)

هذه البداوة في الجزيرة كنز للامة العربية يفيض عليها من حين لحين ، ويجدد ما يلي منها ،
فالهم في أمرها أن يحفظ فيها بنظام بدوي في يد قوة قادرة على مسارة الأمة كلها ، وعلى متابعة الرقي
الطوبى . وقد ينتهى الأمر في الشرق العربي بدولة واحدة فيه ، تكون الجناح الأيمن لهذه الأمة
هذه العمليات في تطورها في للغرب والوسط وللشرق يجب أن تكون من صناعة أهلها ،
لا من صناعة الأجانب . ويجب أن تتجه إلى وجهة واحدة هي وجهة التكامل والتجمع ، وعندئذ
سنرى أن الاشكال لا قيمة لها ، وأن هذه الامة سواء أقامت على أسس من التحالف أو نظام
من الاتحادات أو على دولة واحدة ، فإن الشكل الذي سينتشر هو أفضل مظهر لهذه الوحدة ،
وهو الشكل الذي يرشد اليه التطور الطبيعي وتدل عليه الحاجة والتجربة

فعلى دعاة الوحدة أن يعملوا لها ويشددوا في المطالبة بها ، ويستبشروا في تحقيقها وينبذوا
معاونة الأجانب في سبيلها . عليهم أن يؤمنوا بأنفسهم ، وأن يدعوا الناس لأيمانهم . فلو أقام لهم
الأجانب دولة لهدمها العرب لإنكارها لها ، ولو أقاموا لهم وحدتهم وربطوها بأوهن الخيوط الدولية ،
لكان من نفس مرونة هذه الخيوط ما يمنع قطعها ، وها هو نظام الدومينيون الانجليزي رغم
وهن روابطه القانونية الدولية أقوى على الحوادث من أي نظام آخر

فليست الاشكال هي التي تشغل دعاة الوحدة ، ولكن الحقائق التي تقوم على جهاد مشترك في
سبيل التحرير وغاية مشتركة هي العزة والقدرة على حمل رسالة الحق والحضارة

وأخيراً لقد سألني منذ عشر سنين صديق بريطاني عن الوحدة العربية

فلما أجبتة بأنها آتية لا محالة ، وأن العرب أمة المستقبل ، استنكر قولي ، فكثرت له إنها
ستنصع في ظرف عشر سنين مسألة للسائل في هذا الشرق الأدنى ، والغرض الاول لمصر وكل
الاقطار العربية . وكان قولي وقتئذ مبالغاً في التفاؤل ، وها هو صديقي الانجليزي رجع الى مصر
بعد تجربة طويلة في العراق والشام ، يقر ما ظننته وقتئذ

وأنى أعتقد أنه ما لم يقع ما ليس في الحسبان فلان السنين العشر الآتية سيتحقق في أثنائها أعظم
الخطوات لظهور أكبر اتحاد دولي في البحر للتوسط ، ذلك هو الاتحاد العربي

عبد الرحمن عزام

مِثَاقُ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ

فِي ظِلِّ مِثَاقِ الْأَتْلَنْتِيكِيِّ

بِقَلَمِ الرَّسَّامِ سَامِيِّ الْجَبْرِ بَرْنِي

مِثَاقُ الْأَطْلَسِ صَرِيحٌ فِي حُرِيَةِ الشُّعُوبِ وَاخْتِيَارِ شَكْلِ حُكُومَاتِهَا . وَهَذَا
الْاخْتِيَارُ حَتَّى جَاءَ عُلُوًّا وَتَلَبُّعًا مِنَ الْوَحْدَةِ الْأَقْصَادِيَّةِ وَالْإِتِّحَادِ الْإِثْنَانِيِّ ، فَانْه
يَحْمِيهِ مُطَابَقًا لِرَغْبَاتِ الَّذِينَ يَهْتَرِجُونَهُ ، لَا وَحْدًا مِنْ حَاكِمٍ أَوْ طَعْمًا فِي مَصْلَحَةِ
مَاجِلَةٍ . وَأَوَّلُ شَرْطِهِ هُوَ إِبْدَاءُ الرُّوحِ الْقَوْمِيَّةِ الْحَيَّةِ عَنْ أَنْ تَسُودَ

مَا هُوَ لِلْمِثَاقِ الَّذِي ارْتَبَطَ بِهِ تَشْرِيشٌ وَرُوزْفَلْتٌ وَاسْمُ مِثَاقِ الْأُوقْيَانُوسِ الْأَطْلَسِيِّ ؟

أَنَّهُ مِثَاقٌ يَرْتَبِطُ بِمَبَادِيءٍ وَلَمْ يَضَعْ خُطَطًا وَتَفَاصِيلَ

أَمَّا لِلْمَبَادِيءِ فَتَكَادُ تَكُونُ مِثَابَةً لَشُرُوطِ وَيَلْسَنِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ ، وَأَمَّا التَّفَاصِيلُ فَلَا تَعْلَمُ حَتَّى
تُوضَعَ الْمَبَادِيءُ مَوْضِعَ التَّنْفِذِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَدْ تَرَى الْفَرْقَ شَامِعًا بَيْنَ أَلْفَاظِ الْمَبْدَأِ وَبَيْنَ تَطْبِيقِهِ ،
أَوْ تَجِدَ الْمَبْدَأَ وَقَدْ تَفُذَّ بِرُوحِهِ وَبَلْفَظِهِ

وَهَذَا نَحْنُ أَوَّلًا نُلَخِّصُ هَذِهِ الْمَبَادِيءَ الَّتِي انطَوَى عَلَيْهَا الْمِثَاقُ وَعِدَدُهَا ثَمَانِيَةٌ :

(١) لَا يَطْمَعُ الْفَرِيقَانِ الْمُتَفَتِّحَانِ - أَعْجَلَتَا وَالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ - بَزِيَاةِ رَقْعَةِ أَمْلَاكِهِمَا . فَإِذَا
فُتِرَ هَذَا الْمَبْدَأُ تَفْصِيْرًا صَحِيْحًا مُنْطَبِقًا عَلَى السِّيَاسَةِ الْعَمَلِيَّةِ لَوْجِبَ حَتْمًا الْفَاءُ كُلُّ اسْتِدْبَابٍ . فَإِنْ
الْإِسْتِدْبَابُ كَانَ سِتَارًا أَوْ اسْمًا مُسْتَمَارًّا لِلْإِسْتِمَارِ . لَمْ يَحْتَاجْ هَذَا وَجِبَ أَنْ يَبْطُلَ ذَلِكَ

(٢) لَا يَحْصُلُ تَغْيِيرٌ أَوْ تَبَدُّلٌ فِي أَرْضٍ مَا لَا يَتَّفَقُ مَعَ مَشِيئَةِ شَعْبِهَا . وَبِحَسْبِ التَّعْيِيرِ عَنْ هَذِهِ
الشَّيْءِ بِحُرِيَّةٍ تَامَةٍ . وَهَذِهِ جَمْلَةٌ سَهْلَةٌ لِلتَّحَرُّرِ ، وَلَكِنَّهَا صَعْبَةٌ لِلتَّنْفِذِ . فَكَثِيرٌ مِنْ سَكَّانِ بِلَادِنَا
عَدِيدَةٍ فِي أَوْرِبَا وَفِي الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ يَسْكُنُونَ بِلَادًا وَاحِدًا ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْتَفِلُونَ دِينًا وَعَنْصَرًا وَمَذْهَبًا .
فَكَيْفَ تَوْفِيقُ بَيْنَ تَعْيِيرِهِمْ عَنْ آرَائِهِمْ بِحُرِيَّةٍ وَبَيْنَ حَقِّ إِسْكَانِ كُلِّ أَحَدٍ بِلَدِهِ

هَذَا يَجِبُ الْأَخْذَ بِمَبْدَأِ إِزَالَةِ الضَّرَرِ الْأَكْبَرِ بِالضَّرَرِ الْأَصْغَرِ وَتَطْبِيقَ فِكْرَةِ تَبَادُلِ السَّكَّانِ .
فَهِيَ قَدْ طُبِقَتْ فِي بَعْضِ أَنْعَاءِ أَوْرِبَا وَطُبِقَتْ فِي الْبَلْقَانِ وَفِي تَرْكِيَا فَتَالَتْ قَسْطًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ النِّجَاحِ
وَلَا يَضُرُّ عَنِ الدَّهْنِ إِنْ فِي الْأَمْرِ ظَلَمٌ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْبَعْضِ ، وَلَكِنْ الْأَخْذُ بِمَا يَخْدُمُ الْكَثِيرَ
وَيَنْتَعِ الْاضْطِرَابَ خَيْرٌ مِنْ إِبْقَاءِ حَالٍ ظَالِمَةٍ عَلَى مَا هِيَ

ويطوى هذا الباب على مبدأ الاستفتاء . وهو شوكة في جنب الحكومات . كيف يكون الاستفتاء وهل يتم في وسط حر وهل يؤخذ به اذا اصطلم باعتبارات أخرى يسمونها « مصلحة عليا » مرة ومصلحة « حرية فنية » مرة إلى آخر ما يعرف عن رجال السياسة عند ما ينزلون على حكم التقاليد والنظام العتيق ضارين بخدمة الشعب عرض الحائط

(٣) احترام حق الشعوب في اختيار شكل حكومتهم ، وإرجاع الحقوق التي اغتصبت ان أربابها . وهذه خطوة تفضل ما جاء في نطق ولسن بهذا الصدد

فانه حصل عقب الحرب للاممية أن كانت الحكومات مرتبطة بعضها مع البعض الآخر باتفاقات سرية كاتفاق لندن مع إيطاليا وكالاتفاق مع اللك حسين الهاشمي . وكان ما لا يزال عالقاً بالاذهان من خلاف ونفور بين المتعاقدين

فهذه الاتفاقات أصبحت باطلة وكل ما يشابهها أو ينسج على منوالها الآن لا يعمل به

(٤) حرية تبادل الاقتصاد والمواد الأولية سواء في ذلك الدول الكبيرة أو الصغيرة . الغالبة أو الغالوية ويطوى ما جاء في البند (٥) على نفس هذا البدأ

(٦) ضمان حرية الشعوب أن تعيش في بلادها وضمن حدودها بسلام وأمان من الخوف ومن الحاجة . وهذا البدأ يستدعي حتما إنشاء هيئة عليا تراقب وتسيطر على تنفيذه ويستدعي دخول أمريكا في عالم الاستقرار

(٧) حرية البحار . وهذا وضع في الميثاق صفة مبهمة نظراً لصعوبة الحل والتفسير عند ما تضع الحرب أوزارها ويبدأ بوضعه موضع العمل

(٨) نزع سلاح الامم المتعدية والسعى في تخفيف عبء التسليح عن الشعوب جمعاء هذه هي للبادئ التي نص عليها ميثاق الأطلسي والقاري الذي تتبع السياسة العالمية يرى أنها لا تختلف كثيراً عن شروط ولسن الأربعة عشر وقد تفضلها في بعض الوجوه . فلذا أخذنا من الميثاق روحه ومبادئه التي نهم البلاد العربية ، بسهل علينا أن نعرف توجيه خطواتنا في ظله

وأول شيء يحسن لفت النظر اليه هو هذا الابهام الذي نحاط به للطلاب التي ينسبونهم الى العالم العربي . فهم يقولون « وحدة » وهم يقولون « اتحاد » وهم لا يعددون العالم العربي تحديداً جغرافياً

فهل يقصد من العالم العربي الى جمع كلمة الدين يتكلمون العربية من مرا كش غرباً حتى أقصى العراق شرقاً وحتى أقصى الجزيرة العربية جنوباً وحتى جبال طوروس شمالاً ان كان هذا مطمئناً يرى اليه فلا يحب أن يرح الدهن أن اللغة وحدها لا تكفي لغم الناس

في اتحاد ، فهناك العامل الجغرافي يسيطر على مقومات الشعوب وهناك العامل الاقتصادي يفرق الاخ عن اخيه دع عنك عامل الثقافة والتربية

ولا يغفلنا شك في أن الذين يضعون هذه الغاية نصب أعينهم لا يريدون جمع « بابل » من الخلاف في امبراطورية لا يمكن ضم شملها . فإذا تواضعا وقصرنا للطلاب على ما كان جزءاً عربياً من الدولة العثمانية قبل ١٩١٤ وهذا ما يغفل اليأس أنه غرض القائمين بالحركة وجدنا أن الصعوبة أقل ، وإن شيئاً من التمهيد للاتفاق يمكن حدوثه

ولكننا إذا أخذنا ميثاق الاطلسي ميزاناً ، وإذا أخذنا ماضي هذه البلاد وتاريخها نبراساً يستضاء به ، أصبح لدينا شيء يصح أن يكون قاعدة اتفاق عاهد له

ولنعد الى « الوحدة » . . هذه كلمة لا يطمئن اليها كاتب هذه السطور ولا يحيا

ذلك أن فكرة الوحدة قد زالت أو كادت من القاموس السياسي في هذا العصر

فالعالم يسعى الى تقرير مبدأ الحرية في اختيار نوع الحكومة التي يريدونها المحكومون

على هذا قامت الحرب العظمى الاولى ، وعلى هذا قامت الحرب الحالية

وتأييداً لهذه الفكرة تناضل الامم المتحدة الآن

وليس معنى حرية تقرير المصير أن يسم التفكك ويتفطل هذا الحق في كل قرية وفي كل

مدينة . إنما معناه إعطاء الحرية لأهل بلد ذي كيان ذاتي حتى يختاروا شكل حكومتهم

وتقول « الشكل » متعمدين فإن الحكومة في جوهرها يجب أن تكون ذات غرض واحد

هو خدمة الاهلين . وإنما جاء « الشكل » في معظم الاحيان مخالفاً هذه الغاية ، فقد رأينا ملوكاً

تخلق وجمهوريات تنشأ تبعاً لموى أو لفرض سبيل لا علاقة لأهل البلاد به . وهذا ما يجب

التفكير منه اذا أريد بالشعوب خيراً . فان اوهاق الافراد بالضراب وتحبيلهم ميزانية لا تتفق مع

مقدرتهم الاقتصادية ارضاء لمطامع أجنبية لا يمكن أن تكون مع روح للميثاق الاطلسي في صعيد

واحد . كما ان وجود مطالب لأقلية أو لأكثرية لا يتفق مع روح للميثاق ، فضلاً عن انه لم ينفق

دهره مع روح العدل والانصاف

فالذا لم يفهم الناس أن الأقلية مهما ضوّلت يجب أن تتمتع بكل حقوق البلد مع الاكثرية -

بالحقوق كلها وتعيد الكلمة ونكرها - وتحمل جميع الأعباء ، اذا لم يفهم الناس هذا فكل نغز

بحرية ويستور وبساواة قول هراء وباطل وقبض الربع

اذا وضعا ما تقدم من النظريات الأدبية المجمع عليها موضع الاعتبار وعقدنا العزم على الأخذ

بها ، فان علينا كثير مما نظنه صعب للنال

فالعالم الذي يتكلم العربية يختلف بعضه عن البعض الآخر في معيار الثقافة وفي تفهم هذه

الثقافة وتوجيهها ثم هو لا يجمعها كله تقاليد واحدة أو عنصر واحد أو دين واحد
ولكن هذا الاختلاف لا يمنع الاتفاق والاتحاد اذا روعى الشيء الممكن واذا حست النيات
وسادت روح التسامح كل روح أخرى
خذ لبنان مثلاً

فهذا بلد ذو تقليد قديم وثقافة خاصة . وهو جزء مما اصططننا على تسميته بلداً عربية
فاتباع ميول أهله واتجاه ثقافتهم والنشئ مع ماضيتهم وعلاقتهم مع تركيا عندما كانوا يقرون
بالسيادة العثمانية ومع الدول التي سبقت حكم الأتراك - كل هذه الأمور تجعل منه بلداً ذا نظام خاص
فالذا جاء ميثاق الأطلسي وثبت هذه الليول وشجعها فلا لوم على لبنان اذا أراد أن يحافظ على
طابعه الخاص مع اعترافه بالشركة الطبيعية القائمة بينه وبين جيرانه

وهذا هو التوجيه الطبيعي السارى في جميع أنحاء العالم الآن - فلن سر بقاء الأمبراطورية
البريطانية هو في هذه الحرية تطلق على الأنحاء ، فيعيش أهل كل ناحية عيشة استقلال ذاتي
لا يمارضهم فيه معارض ، ثم يشتركون ببلد اختياري في منافع الأمبراطورية وفي تحمل أعبائها ،
فانه لو أراد أهل اسكتلندا الآن أن يستقلوا يرلمان لحكم ذاتي داخل لما تقوا معارضة من إنجلترا ،
لما بالك بالاتحاد البعيد عن مركز الأمبراطورية أو عاصمتها

ولم يكن هناك في سجل التاريخ من سبب قضى على الأمبراطوريات القديمة منها والتي ظلت
حاشية حتى البارحة ، إلا هذا التركيز وضم الناس في صعيد واحد من السياسة والاقتصاد والثقافة
ولم ينفع التعاون على الليول الحديثة التي أنشأتها معاهدة فرساي إلا هذا التسرع في ضغط
شعور الناس وهدم تقاليدهم والتعنيد على ثقافتهم بغية إلباسهم لباساً واحداً
فمن المعروف أن من أسباب ضعف الدولة اليوغوسلافية هو استئثار السريين بالأمر ،
ومحاولتهم « تزيب » الكرواتيين والسلوفانيين

وقس على هذا ما صنعه الرومانيون والمجريون والبولنديون كل في بلاده
فلن روح الاستبداد كان الغالب رغم انه كان استبداداً يقصد منه توحيد الشعوب
ولماذا التوحيد ، ولو شاء الله لخلق الناس كلهم على طراز واحد
وما هو السبب الذي تلجأ اليه الأكثرية في جعل الأقلية مثلها أو بالعكس
ان التسامح وروح الأخذ والعطاء لأكبرضمان على أن يتمكن الأخوة من التعايش في بلد واحد
وانه إن لم يفهم القانعون بالحكومات في العالم كله ان حرية الفرد مقدسة وان الأشياء ومنها
الحب لا تكون بالقوة وان غاية كل حكومة هي السعى الى رفاهية الشعب لا الى السياسة القائمة على
تقليد الماضى فلن تقوم لهم قائمة

فالذا وضعنا هذه البادى العريقة في القدم والتي جاء ميثاق الأطلسي الآن بضمها موضع التنفيذ

نصب أعيننا أمنا الخطأ وضنا الاستمرار في العالم العربي وسهل علينا أن نضع مبادئ أولية تكون حجر الزاوية في تكوين نوع من أنواع الاتحاد

(١) وأولى الخطوات في هذا السبيل هي الخطوة الاقتصادية فلبان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن والعراق يجب أن تكون وحدة اقتصادية تزول من بينها الجدار وما هو شر منها - هذه الجوازات التي اخترعوها بعد الحرب العظمى الأولى للذهاب والاياب وللدخل والخروج فالطبيعة جعلتها بحيث تكمل أجزاؤها بعضها بعضا في الحياة الاقتصادية وليس كتبادل التجارة من شيء يقرب ما بين الشعوب ولقد كانت الصية العظمى في سبيل كل تفاهم بين الأمم انهم قرنوا « القومية » بالاقتصاد غالفوا النظام الطبيعي والفرزة البشرية . هذا في أوروبا لما باللك بالبلاد التي نحن بسندها وليس لها من قومية إلا ما كان محليا صرفا واتا لا نخلجنا شك بأن عمى هذه الحرب ستكون خيرا لأن الولايات المتحدة للشعبة بالروح الديمقراطية والقائمة على الحرية في القول وفي التفكير وفي العقيدة ستكون في عداد الديموقراطيات الأخرى التي تأبى ان تسخر الجمهور لخدمة الأفراد

(٢) ان نعو الاتحاد الاقتصادي يستدعي حتما الالتقاء الثقافي في صعيد قد لا يكون واحداً ولكنه متشابه . متقارب . وهذا سهل في بلاد يتكلم أهلها لغة واحدة

فالقمة العربية ستكون عاملا أساسياً في تكوين هذه الثقافة

ولن يكون الأمر ابن يومه . فالألايم التي ذكرناها تختلف تعليمياً ودينيّاً بعضها عن البعض الآخر اختلافاً بيناً . وأول واجبات التثقيف هو تجميع الثقافة الى الناس . ولا يكون هذا بالأرقام أو بأرقام نوع من التعليم على اقله لم يألفه

انما يكون بتشجيع المدارس القائمة الآن على اتباع كل واحدة ، خطتها وبذل الاهتمام في خلق فرض واحد لشق السبل فإن فرض نوع من التعليم أو لغة واحدة للتعليم على كل الاهلين لا يتفق مع روح العصر ، ولا يتماشى مع الحضارة القائمة التي يجب علينا ان نمشها ونفهمها وتأخذ منها ، فضلا عن أنه حد من حرية ألقها بعض البلدان في أساليب تعليمهم ومناهجهم

(٣) وآخر الخطوات هي الخطوة السياسية

هذه يجب ان تأتي بعد كل ما قدمنا من تأهب واستعداد قد يستغرق سنين وأجيالا . وهي يجب ان تأتي من الشعب الذي له دون سواء أن يختار نوع حكومته وشكلها . ان أقبح ما في الحكومات القائمة في معظم أنحاء العالم هو التحكم في فرض شكل من اشكال الحكم على شعب من الشعوب

وميثاق الأطلسي الذي أذاعه روزفلت ونشرشل وبنته نحو ثلاثين دولة من دول العالم

صریح فی حرية الشعوب واختیار شكل حكوماتها . وهذا الاختیار متى جاء عفواً ونتيجة لما قدمنا من الوحدة الاقتصادية والاتجاه الثقافي فإنه يجرى مطابفاً لرغبات الدين يقترحونه ، لا وحياً من حاكم أو طمعاً في مصلحة عاجلة . وأول شروطه هو إبعاد الروح القومية المحلية عن أن تسود ولن تسود إذا رأى الناس أنهم ذوو منفعة واحدة وتقام يكاد يكون واحداً ، فتسقط عند ذلك الاختراعات المزيفة التي تلبس كل بلد لباساً قومياً قائماً على مناوأة الجار ، وحسابه عدواً يتق شره على حين أنه أخ برجي نفعه

وقد يطرأ على النظام السياسي لكي ينتصر أن يلجأ القوم الى أمر أصبح مألوفاً بعد الحرب العظمى ، ألا وهو مبدأ تبادل السكان . فهذه تسوية أخذوا بها في أوروبا الوسطى وفي البلقان وفي تركيا ، جاءت بنتيجة طيبة حقاً ، وإن كانت على شيء من المرارة في بدء العمل بها . على أن الطبيب لا يحجم عن تجميع العليل ساعة في سبيل شفائه سنين

ولكننا لا يسعنا وقد ألمعنا بمسائل كثيرة إلماماً وهي تحتاج الى شيء كثير من التشرح إلا ان نشير الى قاعدة واحدة هي الأولى والأخيرة في كل بناء سياسي أو اجتماعي ونعني روح التسامح فإن لم يكن التسامح قاعدة للعمل فلا برجي خير لهذا العمل وليس التسامح مما تفرضه الأديان والأخلاق فقط ولكنه مما تجمله المصلحة ضربة لازب

فبالتسامح ينال كل شيء وبالتسامح يعطى الناس ملكوت الأرض والسماء

سامي الجبربرني

ARCHIVE



الحضارة والثقافة وعناصرهما

بفلم الأستاذ الطوبه الجبل بك

الحضارة بمعناها الصحيح تقوم على ترقى الماديات والصناعات والادبيات : رقى مادى ، رقى صناعى ، رقى فكرى ، هذه هي العناصر الثلاثة التى تتألف منها الحضارة ، بل هذه هي الدعائم الثلاث التى يقوم عليها التمدن الحقيقى فالرقى المادى يدور على الغنى والثروة ، وعلى انتشار التجارة وامتداد السلطان ، وان هو الا نتيجة الرقى الصناعى أو الآلى الذى يرجع الى تقدم الصناعة وتحسين أساليب الزراعة لزيادة الانتاج ، ومن ثم لزيادة الثروة القومية . والرقى الادبى والفكرى مرده الى سيادة الاخلاق النبيلة والمبادئ الشريفة ، وإلى تغليب معانى العدل والاخاء والتكافل الاجتماعى ، وإلى ازدهار العلوم والفنون وانتشار العرفان وهو ما نسميه « الثقافة » . أما الرقى فقد حددوه بأنه تقدم الانسان المتواصل فى تغلبه على المادة وفى تغلبه على اهوائه هذه هي ، عناصر المدنية والحضارة فى مجملها . وكلما توفرت هذه العناصر أو هذه الشروط فى أمة أو فى بلاد ، كان التمدن فيها أكمل مظهرها ، وكانت الحضارة فيها أرفع مستوى . والعكس صحيح

ولا نرمى من وراء هذا القول الى استحالة ازدهار الحضارة فى بعض البلدان ، فان التقدم الادبى - والفكرى أيضا الى حد ما - ممكن ، لا بل واجب فى كل أرض نزلها الانسان ، ذلك الحيوان الناطق . ولكن التقدم المادى والصناعى قد يكاد يكون منسرا فى بعض الاصفاع . أى فنون وأى زراعة وأى صناعة ، ومن ثم أى ثروة ترتجى فى القطب الشمالى المكثف بالتلوج أو فى الصحراء القاحلة المغطاة بالرمال المحرقة ؟ ليس من شك أن لحصن التربة وجودة معدنها ، ولصفاء الجو واعتدال هوائه ، تأثيرا عظيما فى التقدم الصناعى والمادى ، ولقد قالوا بحق ان الانسان وحضارته من صنع اقليمه

أما الثقافة التى اشتق اسمها من تثقيب الرمح ، بمعنى تسويته وتقويمه ، فكثيرا ما تستعمل للدلالة على الرقى الفكرى والادبى - والصناعى أيضا - للأفراد والجماعات ثبت من كل ما تقدم ان العلاقة بين هذه العناصر علاقة وثيقة ، وأن القرابة بين الحضارة والثقافة قرابة عريقة ، فهى جميعا تتشابك وتتفاعل دائما أبدا فى أسبابها ونتائجها وفى عللها ومعلولاتها ، وفى عناصرها ومقوماتها . فالتقدم الفكرى ، أو الثقافة ، يساعد على الوصول من أقرب السبل الى التقدم المادى ، أى الى الثروة ، بفضل ما تبتدعه العقول

* ألفت هذه المعاصرة لى قاعة يورت بالجامعة الاميركية . ولد اخفى الهلال بنشرها

المتقفة من ضروب الاستكشاف والاختراع . ولكن هل من سبيل الى تعميم هذه الثقافة ونشرها بين طبقات الشعب الا بتوافر الثروة للدولة ؟ ويمكن أن نقيس على ما ذكرنا ما لم نذكر . على أن بعض علماء الاجتماع يحرسون على تحديد كل شيء ، وعلى تقسيم كل شيء ، وعلى إقامة حدود وفواصل وفوارق بين الأشياء المتشابهة . فالحضارة كما حددناها هي في نظرهم أعم ، والثقافة أضخ . فالإنسان المثقف متمدين بالمعنى الصحيح . ولكن المتمدين ، أو من اصطلاحنا عرفا على وصفه بالمتمدين لا يكون دائما مثقفا ، فقد جرى التقليد على حصر الحضارة أحيانا في بعض المظاهر المربية والآداب العامة . فالرجل الثرى العارف بآداب السلوك في مأكله ومشربه وهندامه ، وفي أسلوب سيره وسلامه وكلامه ، قد يسمى متمدنا وإن لم يكن مثقفا . وقد يجهل المثقف الشيء الكثير من هذه الآداب المربية التي ذكرناها ، فلا يوصف بالمتمدن ، وإن كان في معارفه ونبوغه وسمو أخلاقه أرفع بكثير من ذلك المتمدن أو المتحضر الذي لا تعدى حضارته هذا الطلاء أو تلك القشرة الخارجية ، كما سنفصل ذلك

أما والحالة كما بسطنا ، فلا بدعة أن يكون للحضارة في مظاهرها ضروب واللوان تختلف باختلاف الزمان والمكان واختلاف العقيدة والنزعات النفسية ، وإن كانت واحدة في جوهرها وعناصرها التي عدناها

وانواع الحضارات التي تعاقبت في التاريخ ، والتي تنافست وتطاحنت حتى أبادت الواحدة الأخرى ، عملا بناموس بقاء الأصلح ، كثيرة تكاد لا يحصرها عد . فالحضارة كالتهر ، يحتفظ باسمه على طول مجراه ، ولكن أمواجه وشواطئه تتغير وتبدل . فهناك حضارات منسوبة إلى الشعوب والبلدان ، كالحضارة المصرية والحضارة الفينيقية والحضارة الهندية والصينية والانسورية والفارسية واليونانية والرومانية ، ومنها الحضارة الشرقية والغربية ، والحضارة الآشورية والأمريكية

وحضارات منسوبة إلى الزمان ، كالحضارة القديمة والحضارة الحديثة وحضارات منسوبة إلى العقائد والاديان ، كالحضارة البوذية والحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية

وهناك حضارات منسوبة إلى مبادئ اجتماعية تقوم على سلطة الفرد واستثنائه بما يريد ويشتهي ، وهذا طابع الحضارات قبل الميلاد ، أو تقوم على احترام الشخصية وتغليب العدل والحرية والشورى بين الناس ، وهذا طابع الحضارة التي جاءت بها المسيحية وجاء بها الاسلام : « اجب قريك كنفسك - لا تفعل بالغير ما لا تريد أن يفعله الغير بك » متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا - إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ لحق منه »

وهل استطاع علماء الاجتماع أن يصوروا الحرية والاستبداد ، والديموقراطية والديكتاتورية بأحسن مما جاء في هذه الوصايا الإنسانية وهذه المبادئ السامية

ونحن اليوم نشهد حركة رجعية الى القديم ، في المراك الناشب بين حضارتين : الحضارة القائمة على الحرية وعلى حق الافراد في تكوين الدولة ، والحضارة القائمة على الاترة وحق الدولة في تكوين الافراد

أما حضارتنا الحالية بوجه عام فكثيرا ما يصفونها بالمادية أو الميكانيكية أو الآلية ، لان الآلة دعائنها وقوامها . والآلة كانت من أقدم عصور التاريخ صديقة الانسان ومعوانا له في رفع الأثقال وجرحا ، وفي طحن الحبوب وقصص الحيوان ، وغير ذلك من شؤون الحياة . فقديما عرف الناس الفأس والمثلة والبكرة والساقية والشادوف وحجر الرحى . ولكن مقدره هذه الآلات الأولية كانت محدودة ، وإدارتها كانت متعبة شاقة تحتاج الى قوة العضل والمجهود التواصل . ولبت هذه الآلات عشرات القرون لا يطرأ عليها الا السير من التعديل والتحسين ، الى أن جاء عهد البخار وعهد الكهرباء ، فاختلبت علاقة الانسان بالآلات التي يستخدمها انقلابا غير وجه الأشياء بإدخال المحركات الهائلة على الآلات ، فزادت قوتها وسرعتها ألوقا من المرات ، ونقص مجهود الانسان البدني الى حد أنه أصبح يكفي الضغط بأصبع يده على زر صغير أو ادارة عجلة القيادة ليحرك أضخم الآلات ، أو ليسير فطارا يجبر عشرات المركبات ، أو يدفع سيارة بقوة خمسين حصانا بسرعة مائة من الكيلومترات ، وهي جيبا أطوع له من بناته ، وهو جالس مطمئن . والآلة فوق ذلك تغطي له الطعام وتنسج له الملابس ، وتوفر له الدفء والاضاءة ، وتساعد على البناء والفلاحة والزراعة والحصاد ، بل صار لها أثر بين في الفنون والآداب ، فانها تسجل فكره وصوته وصورته وتنقلها في طرفه عين من أقصى المعمور الى أقصى . وهكذا أصبحت الآلة سيدة العالم المسيطرة على كل حياة الانسان ، بعد أن بلغت خلال المائة السنة الأخيرة من الانتائن والكمال ما لم تبلغه في ستة آلاف من السنين ، فزاد بذلك انتشار الحضارة وذبوع الثقافة حتى سهل ايصالها الى جميع طبقات الشعب

ولكن إذا كانت الآلة قد أصبحت سيدة العالم ، فإن الانسان قد بات عبدا لها ، حتى أن تعطيلها أو توقفها عن العمل يكثر مزاجنا ، بل قد يشل حركتنا ويحرمنا من الضروريات . تصوروا ماذا تكون حالنا إذا توقف المصعد في المبنى ، أو الترام في الشارع ، أو أية وسيلة من وسائل النقل المشترك ، أو إذا تعطل فقط وابور الغاز الذي نستخدمه في طهي طعامنا ؟ فهذه الحضارة الآلية تزيد إذن في أنواع احتياجنا . ولكن يجب أن نسلم في الوقت نفسه أنها توفر لنا وسائل تحقيقها ، كما أنها تساعد على نشر الرخاء بين طبقات من الأمة ما كان الرخاء ليصل اليها لولا الآلة

رأيتم فيما عرضته سريعا من أنواع الحضارات التي سجلها التاريخ أنه كان لكل عصر مدنيته ، ولكل أمة حضارتها . وإذا قالوا « كل فتاة بأبيها معجبة » فإنا نستطيع أن نقول « كل أمة بحضارتها معجبة » ، وكل شعب مزهو بمظاهر تمدنه . أما في الواقع فلا يحق لاحد أن يدعى احتكار الحضارة ، فإن ما يستمتع اليوم قد يستمتع غدا ، وما يحب هنا

قد يستكره هناك . وكلمة الامام على حقيقة قائمة في كل آن . فقد قال « ان معروف زماننا هذا منكر زمان مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت » ، كما أن كلمة لاوبروير صحيحة « ما بعد حقيقة امام جبال اليرينه بعد خطأ وراهما »

دامت حضارة القرون الوسطى في أوروبا زهاء عشرة قرون ، وكان أهل ذلك الزمن معجبين بحضارتهم وبما قامت عليه من حب الفروسية والشجاعة والتجدة . ثم جاء أهل المدينة الحديثة فنعتوا تلك العصور بالصور بالصور المظلمة

ونحن اليوم كذلك معجبون بمدنيتنا ، ونعتقد أننا أساطين الحضارة والثقافة ، وأنها قد بلغنا الأوج منها بما بلغنا اليه من العلوم والفنون وضروب العرفان والرفق والتأني والرافعية . ألا لا يأخذنا الغرور بما نحن فيه . فاني لا تخيل العالم بعد بضع مئات من السنين ، وقد كشف المنقبون في « فردون » أو « ستالينجراد » أو « الملمين » عن أنبوبة فولاذية مستطيلة فنقلوها الى مجمع علمي من مجامع هذا الزمان الآتي ، حيث عكف خبراء الآثار وعلماء العاديات على بحثها وتحليل تركيبها . وأتخيل أحدهم ، وقد وفق لكشف السر عن هذه الأنبوبة ، يقف بين زملائه يشرح ويشرح قائلا : ان هذه الأنبوبة الغريبة في صنعها ، المعجبة في تكوينها ، ليست مما كان يستعمل في الفلاحة والزراعة أو في أية حاجة من حاجات الانسان ، فهي ليست اذن من أدوات العمل والانتاج ، بل هي أداة كانت تسمى قديما « قنبل » وكان الناس في القرن العشرين ، عصر الهمجية والفظائع المنكرة ، يستعملونها للتقتيل والتخريب .

أتخيل هذا ، وأتخيل ذلك المجمع العلمي بعد بضع مئتين من السنين يستمع عقب هذا البحث الى محاضرة يلقيها بالراديو عالم آخر في أمريكا عن سفينة مصفحة بالفولاذ استخرجها المنقبون من قاع المحيط ، يسمونه وهو يقول : ان هذا النوع من السفن كان يسمى في القرن العشرين « مدرعة » وكان الناس في عهد توحشهم يستخدمونها لاستيراد المتجات والسلع ، ولا لتقل السياح والمسافرين ، بل لتقل أدوات التدمير وحمل المقاتلين

كما أن للحضارة أنواعا وتطورات ، كذلك للثقافة أنواعها وتطوراتها . فانها ، وان كانت واحدة في جوهرها ، تتنوع وتكيف مع ظروف الزمان والمكان ، وتعدل وتقلب بحسب النزعات الفكرية والاتجاهات المعنوية بين الأمم

أما اختلاف اتجاهات الثقافة فلعل أصدق صورة لها في حكاية « مباراة الفيل »

بروي أنه أقيمت منذ سنوات مباراة عامة بين كتاب العالم ، موضوعها « الفيل » فاختارت كل أمة كتابا من فطاحل كتابها للاشتراك في هذه المباراة وأخذ الكتاب المختارون يعدون الالهة لآحراز السبق والفوز بالجائزة : فعزم الكاتب الانجليزى حقايقه وسافر الى الهند مزودا بعشرين كتاب توصية الى عشرين ناديا . وقضى في تلك الاصقاع ثلاث سنوات هنية

رخية ، ثم عاد الى لندن ، وبعد بضعة اشهر نشر كتابا اتيق الطبع جميل التجليد ، برز على غلافه اسم المؤلف متبوعا بعدد من الحروف الهجائية الدالة على ألقابه . وعنوان الكتاب « كيف اصطلدت الفيل في الهند ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٨ »

أما الاديب الفرنسي فعمد الى طريقة أسهل وأقرب : قصد الى حديقة الحيوان بباريس حيث أمضى ساعة من الزمن في مشاهدة الفيل ومراقبة حركاته وسكناته ، وعاد الى غرفته يكتب فصول مؤلفه . ولم يلبث أن نشر كتابا بسيطا في مظهره ، ولكنه طريف الاسلوب ، لطيف النكتة ، جمع الى يدع الخيال دقة الشعور ، وعنوانه « الفيل والحب »

وفي غضون ذلك كان الكاتب الروسي مستترقا في التفكير والتجسس ، مسترسلا في الاستقراء والاستقصاء ، مقارنا بين المذاهب الاجتماعية ، مرجحا اليقين حيناً ، مغلبا الشك أحيانا ، ثم نشر كتابه بعنوان « الفيل ، وهل هو موجود ؟ »

أما الكاتب البولوني فظل مدة مع نفسه في حوار ونقاش يناظرها ويجادلها ، وخرج من كل ذلك برسالة عنوانها « الفيل والمشكلة البولونية »

في حين أن منافسه الايطالي كان يتقد حملة وينيه زهوا وعجبا باختياره لمباراة عالمية يرفع فيها رأس وطنه عاليا ، ويعد مجد الامبراطورية الرومانية بفضل النظام الفانستسي ، ووضع رسالة عنوانها « تجديد مملكة الفيلة على أساس النقابات التعاونية »

وبينما كان هؤلاء المؤلفون ينشرون تواليهم تباعا كان الكاتب الالماني منصرفا الى تقصى الموضوع بكل ما يقتضيه من تفصيل ، وظل متكففا ست سنوات ، بعيدا عن الحياة الاجتماعية يقضى بياض نهاده في دور الكتب بين المراجع المخطوطة والطبعة ، القديمة والحديثة ، ويحيى سواد ليله في غرفته بين التسويد والبيض ، وهو في كل سنة يغير رقم نظارته لان درجة ابصاره كانت تزداد ضعفا . وأخيرا طلع على لجنة التحكيم بمشرة مجلدات ضخمة ، بحروف دقيقة ، عنوانها « مقدمات تمهيدية لدراسة حياة الفيل »

لم تصف لنا هذه الأقصوصة الا من ذكرت لكم من كتاب الامم ، ولكنني أتحيل كتابا آخرين يشتركون في هذه المباراة ، وأتصور كيف كانوا يؤلفون في هذا الموضوع :

أُتصور الياباني مثلا وقد حشا بندقته وشحذ خنجره ، وكمن في الغابة يترصد الفيل ليرديه عند وروده الماء ، فيخطئه ، ثم يعود فيضع رسالة يقوم ورتته بكتابة الفصل الاخير منها ويذكرون كيف أن المؤلف يقر بطله ، فاتتحر ، لانه لم يوفق في أداء المهمة التي ألقاها « المبكادو » على عاتقه

وأُتصور الأمريكي وقد بدأ قبل تأليف كتابه بتأليف شركة مساعدة لتمهيد الطرق والمسالك بين الغابات والادغال وفرشها بالاسفلت ، ثم يضع تصميم سيارة خاصة مجهزة بالمؤونة والذخيرة يهديها اليه أحد المصانع الكبرى . ويعود من رحلته سالما غافيا فيضع رسالة عنوانها « الاتجار بسن الفيل وجلده »

واذا فرضنا أن كتابا عربيا قد اختير للاشتراك أيضا في هذه المباراة الطريفة ، فماذا

يكون شأنه ؟ هل يخامركم شك في أنه ستقام باديء ذي بدء حفلة تكريم لمجرد اختياره ، يخطب فيها خمسة أو ستة من الخطباء يشيدون بعقريته ، وينظم خمسة أو ستة من الشعراء يتغنون بمفاخر السلف . وينصرف الكاتب بعد ذلك الى التأليف مزودا بهذا التشجيع ، مدرعا بالصبر والجلد ، محتملا كل ضروب الشظف والحمران ويخرج بمؤلف نفيس لكنه لا يجد بعد كل ذلك من ينفق على طبع كتابه !

تبسط في عرض هذه الحكاية التي راجت منذ سنوات في أوروبا ، وأضفت اليها ما صورتها عن كتاب الامم التي لم يرد ذكرها في الاصل ، لان في هذه الحكاية دلالة على أنواع الثقافة التي امتازت بها كل أمة من الامم وعلى عناصرها واتجاهاتها النوعية وقد حاول كثيرون أن يتخذوا من بعض عادات الشعوب والامم وطباعها مقياسا على مبلغ حضارتها وثقافتها . قال لى أحد أدباء الانجليز يوما ان الشعب الذي يحب الحيوانات والازهار لشعب راقى متمدن . وهو يقصد أن حب الحيوانات دليل على شعور رقيق رحيم ، وأن حب الازهار دليل على ذوق مهذب سليم . ولكن لا يصح الغلو في هذه الاحكام التي تتناول في الغالب المظاهر والقصور دون الحقيقة واللباب

لقد أشرت فيما تقدم من كلامي الى الآداب الاجتماعية المرعية في الاكل والشرب ، وفي الزى والهندام . وهذه المظاهر الخارجية الاصطلاحية تمد في بعض الهيئات بل في المجتمعات عامة عنوان المدينة الراقية ، في حين أن العلاقة تكاد تكون مقطوعة بينها وبين الحضارة والثقافة بمناهما الصحيح . روى لى أحد الطرفاء حكاية شاب من شبانا الاغنياء المصريين وقد عرف بالاناقة و « الشباكة » ، يتختم بالملس والفروز ، ويرتدى بدلة من آخر طراز ، تبرز الزهرة من عروقه العليا ، ويتدلى منديل الحرير من جيبها ، ضمه مجلس دار الحديث فيه على الأدب والادباء وجاء ذكر « شوقي » ، شوقي أمير الشعراء ، فأبى شابنا التمدن الا أن يشترك في الحديث فقال : « شوقي ؟ أيوه ! صاحب العمارات بشارع جلال ؟ » وانتقل الحديث الى أبي الملاء المعري وأراد صاحبنا أن يهز الحاضرين بتقافته فقال : « ابو العلا ؟ صاحب الكوبرى المعروف باسمه ؟ » ألا رحم الله فيلسوف المرة وأمير الشعراء ، ووقاهم شر الجهلاء ..

ألا بالله عليكم أى ثقافة في عقل هذا الشاب الجامع ، وأى حضارة في قلبه المغلق ، مهما يتلطف ويتأنق ، ومهما يصطبغ مظهره بطلاء المدينة الكاذب .. ان للحضارة والثقافة قواعد وأركانها تكاد تكون ثابتة . أما تلك الآداب المصطلح عليها ، أما تلك التقاليد والازياء ، فانها دائمة التبدل والتغير تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال ، حتى قال المثل اللاتيني « ان الاذواق والالوان لا يصح أن تكون موضوع مناقشة » ذلك لانها في غالب الاحيان لا قاعدة لها ولا رابطة سوى شذوذ البعض وحب التشبه والمحاكاة عند البعض الآخر

ألا ترون أن الالوان الفاقمة في ملابس الرجال والنساء قد أصبحت مألوفا الآن ،

بل صارت دليل التطرف والتائق بعد أن كانت مستهجنة مستكرة تدل على قلة الذوق يذكر كثيرون منا - والعهد ليس بعيد - يوم لم تكن ياقة القميص (١) تلبس الا عالية منشة ، كيف نظر الناس في كبر من الاستغراب الى أول من ظهر في المجتمعات بياقة لينة . لم يؤلف هذا الزى في أول أمره الا بين لقيف من الشبان غواة الرياضة ، الى أن ارتضاء الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا السابق ، فراجت الياقة اللينة ، وصار الناس يؤثرونها ويظهرون بها في أرقى المجتمعات - ما عدا السهرات - ولو فعلوا قبل ذلك لعدوا غير متمدينين . ويقال مثل ذلك عن طرفي البنطلون ، فقد كان الناس يعمدون الى طيهما في الايام الممطرة اتقاء البلل ، ثم أصبح على طرفي البنطلون زيا مألوفاً حتى في أيام الصحو ، بعد أن روجه الملك الفونس نفسه

ولمناسبة ملابس السهرة وملابس النهار ، أذكر أنني في سفرتي الأخيرة الى أوروبا شاهدت على ظهر الباهرة ما يشاهده كل مسافر منكم :

في الصباح الرجال شبه عراة يلبسون « الثورط القصير » يرتفع عن الساقين وعن جانب من الفخذين ، والقميص المفتوح بلا كمين يكشف عن الصدر وعن الذراعين أما النساء فيرتدين الفساتين الطويلة تمتد من أعلى العنق الى القدمين ، بكمين يستران الذراعين حتى المصمين

وفي المساء تتمكس الآية : النساء شبه عرايا ، بفساتين تكشف عن التحوير الى ما تحت الصدور والظهور

أما الرجال فمزنفون قميص صلب كالمل في العنق ، والقيد في اليدين ، ونوقه « السموكن » الأسود يمل من أعلى الكتفين الى أخمص القدمين
بذا قضت عليهم التقاليد ! وكب علينا أن نقولهم ، لان هذه هي الحضارة ، وهذا هو التمدن

وما قلناه عن ياقة الرجال يقال عن جوارب النساء فان زى الجوارب الحريرية لم ينتشر الا بعد الحرب الماضية ، وقد ظل الجوارب يبلون ويهدق في نسجه حتى صار رقيقاً شفافاً ينسج من خيوط أدق من خيوط العنكبوت ، ويمتزج لونه بلون اللحم فلا تعرف أعارية تلك الساق أم كلسية ، وكثيرا ما زاد في الرقة حتى انقطع

وجاءت هذه الحرب واشتد الغلاء فقفز ثمن الزوج من الجوارب الى ما يساوي أجر العامل في شهر كامل . ولكن الأنسة أو السيدة التي لا تكسو ساقها بجوارب من ماركة « بيلون » تمد متأخرة غير متمدينة

وقد قرأت أخيراً أن هيدى لامار النجمة الساطعة في فلك السينما قد ظهرت في أحد أفلامها بجوارب أسود ، فلا عجب أن تشجع غدا هذه الموضة

(١) ياقه قميصها زرق ، وزيق القميص ما أحاط منه بالعنق

ولكن مالى اذهب بعيدا ، فها انذا واقف اتحدث اليكم ، وطربونى على رأسى كما تحضى بذلك تقاليدنا الشرقية ، ولو كان المحاضر الواقف أمامكم غريبا واحتفظ بقبعة على رأسه لقل انه رجل يجهل قواعد المجتمعات

فى استطاعنى وفى استطاعة كل منكم أن يأتى بالأمثلة الكثيرة فى هذا الصدد . ولكن فيما رويت ما يكفى للتدليل على أن جميع هذه المظاهر ليست من الحضارة والثقافة فى شيء . على أنى لا أنكر أنه ينبغى لنا أن نحافظ على كثير من هذه المظاهر المرعية ، فإن الكثير منها لا غنى عنه لتنظيم العادات تفاديا من البلبلة والتشذوذ ، غير أننا نضل سواء السبيل اذا حصرنا الثقافة والحضارة فى مثل هذه المظاهر الخارجية . فالحضارة الحقيقية هى حضارة القلب والعاطفة ، والثقافة الصحيحة هى ثقافة العقل والادب

ما سوف تكون الحضارة والثقافة بعد الحرب ؟ لن اذهب فى عالم التنبؤ والتخمين . ولكنى أعرب عن أمنية يطمح العالم بأسره الى تحقيقها ، فهو يرجو أن تكون حضارة ثقافة على الترقى الادبى والخلقى كما كانت قائمة حتى الآن على الترقى المادى والصناعى ، فينتج الانسان الى ثقافة ترهف مداركه وتوسع آفاقه وتقوم على حب العدل والحرية ولعل ميثاق الاطلنطى ، اذا وضع موضع التنفيذ باخلاص ، يتوصل الى تحقيق هذه الامنية العزيزة التالية . فانه قام على كفالة حريات أربع للبشر عامة وهى : حرية القول والرأى ، وحرية العبادة ، والتحرر من الظلم والاستبداد ، والتحرر من الفقر والموز الى جانب هذه الحريات الاربع للامم ، شرعت بعض الحكومات تعمل على كفالة حقوق أربعة للأفراد ، وهى : الحق فى الطعام للجائع ، والحق فى الدواء للمريض ، والحق فى العمل للعاطل ، والحق فى التعلم للجاهل

ولكن لا بد اذا شئنا أن تنفادى الفوضى والاضطراب والثورة أن تقابل هذه الحقوق والحريات بواجبات من نوعها تكون شرطها وأساسها ، فليس من حق الا ويقابله واجب فحرية الرأى وحق العاطل فى العمل يقابلهما واجب ، هو واجب الصدق والامانة وحرية العبادة وحق الجاهل فى التعليم يقابلهما واجب ، هو واجب التسامح والارشاد والتحرر من الظلم وحق الجائع فى الطعام يقابلهما واجب ، هو واجب العدل والقناعة والتحرر من الفقر وحق المريض فى الدواء يقابلهما واجب ، هو واجب الجد والعناية بالصحة

ومهما يكن من الامر ، فإن كل ما ذكرت محاولات شريفة ذات أهداف نبيلة . فليضمنوا لنا هذه الحريات الاربع وهذه الحقوق الاربعة ، وليقم الافراد بهذه الواجبات المقابلة لها ، ونحن واثقون أن عالمنا يتبدل عالما آخر ، فسيير الانسانية بخطى سريعة واسعة الى المثل الاسمى من حضارة راقية وثقافة عالية

قصة « مى »

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ محمد مصطفى الماحى

[بمناسبة مرور عامين على وفاتها فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤١]

وروح عن قلب تفتاه شائبا
طوال اللبائى بات فى الرمس شائبا
أثرت بها وجدا وأبغظن غائبا
وأستكن صوتا كأن بالامس غاليا
ترد طلام العيش ضحيان حائبا
ولم تر فيه من أذى الناس واقبا
فلم تر غير الصبر فى الحطب آسبا
ويا كوكبا ما كان أمل تساميا
مباغجه حتى يهون مجاليا
وأسطع الالفاظ فيه المعانيا
لحبه عند النداني تنائبا
وحسبك أن تلقى من الناس واقبا
وبصر من ابغائهن يئائبا
فحسبك كان الدهر عنهن راوبا
وباعت به خيلا ولبا وراوبا
وأرخصت البمع الذى كان غاليا
تعالى وجدا فى الجوانح ذاكبا
وحكمتها كنزا على الدهر باقبا
دوامى تخفى خلفهن دواوبا
وحول بأسا ما رجته أمانبا
من الصبر ما له كان قبل مؤابا
وان رفت الازعار فيه نوادبا
رداه شياى كان يا « مى » زاهبا
ويغنى لك المهدور ما كان قاضبا
وهل آمنوا ذلك الزمان للوالبا
ولكن روحا ظل فى الافق مسابا
وليفى نبوغ طفل كالسيل جاربا
وان عدت فيه الرولى الخواسبا

شفا الموت ما أسمى الطيب المداوبا
فيا لك قلبا هام بالمجد والعلا
ويا للينى كم بها من عجية
ويا لصروف الدهر كم هجن كامنا
بنفسى التى كانت ضياء ورحمة
بنفسى التى لم يحمر الحقد قلبها
ترامت لها الدنيا كأشجع ما ترى
يا دوة ما كان أسمى بهامبا
تبارك ربي أى مسحر تألفت
وأى يان جوده فرصة
وأى جمال كان يرجى وثقى
وأى وفاء عز فى الناس مثله
نحاسن يمسى الشعر دون بيانها
ألح عليها السلم والوزن فانطوت
أجبت أباهما واسطقت بظله
للمسا لفى أعتزت جوارحها أسمى
وراضت على مكروها النفس واتنت
وآيت الى أم رأت فى حنائها
فلما دحاما خطبها لقيت به
وأرقها وجد أذاب فؤادها
وغالبها الهم المضى لغائبا
وليدت الى نزل هو السجن حينه
وقيل لها هذا مكانك فاخلمي
هنا العيش حتى يبلغ العمر حده
هل أخذوا عهدا على الدهر ناجزا ؟
هم قيدوا جسما وشدوا وثاقه
وجسر ذكاه لم يزل متوقدا
فما حد ذلك السجن صرح تبوغها

وما خدعت من ذلك الدهن شطة
وعادت الى مصر تطلب ناطرا
وعاشت بمنأى عن ولى وحائد
طوت نفسها فى صدرها ونأت بها
يروعها الهس المخافت حولها
لكم .أوردت من ظامى .مختلف
والا دعاء من شباب وصحة
فضاقت بها الدنيا الرجية واغصت
وعافت لفساء الناس لا من تيرم
وخالت بصاد الناس عنها تخنينا
لبات تناجى النفس فى خلواتها
وتهتف من أصباق قلب معذب
أجبت نداء الناس ما عن حادث
فيا لعروف الدهر ما الذنب عندها
فهل وترت حتى تتجاهل قدرها
فيا .مى . والدنيا مطية عابر
ذكرتك والدنيا حواليك جنة
وصوتك فى شرق البلاد وغربها
وناديك بصور بكل مهذب
فأطلعت من نبراس فضلك كوكبا
وأعلنت فى طول البلاد وعرضها
لئن كنت ظم غلت / آياتك التى
فقتك الكبرى حياة ملائمتها
ويا .مى . هنى هاية الحى فانسى
وذكرى ترى الاجيال أنى تعاقبت
حننت الى مصر وأحببت أهلها
لهذا وفاء من بنى مصر خالص
تعاك لنا الناعى فروع أنفا
سعتا به صوتا من النيل مانعا
نعم علنا فى الشرقين وكوكبا
نمى آية فى الظهور عن منزلها
فهل وسعت تلك الفضائل حبرة
ويا .مى . ان وفى الفريم ديونه
وكم سائل ما بال شعرك طيعا
وداqq ما شعري الذى تسمونه
سلام على .مى . وألف تحية

ولا خف حلم يستخف الرواسيا
وتحمل قلبا بات حرا ن صاديا
وقرت فلم تثمت بغيضا معاديا
كطيف خيال لاح فى الافق ساريا
كأن به من جانب القبر داعيا
وما وجدت الا السدى والتجافيا
يدافع جيشا من أذى الدهر هازيا
ترى الموت للعيش السكره مساويا
ولكن حياه أن يرى الطرف داميا
وصمتهم عنها قل وتغافيا
وتذكر أياما لها ولياليا
لما يجسد القلب المظم واعيا
ولست أرى حرا يجيب نداءيا
ويا لليلالى ما لهن وما ليا
وعزما كوقع الشرقيات ماغيا
كتتك للثابا أبوسا وماآسيا
نعت بها حينا من الدهر خالبا
مدو ، مرد الحق أبلج شاكيا
يروح ويغدو فى رحابك راضيا
أنرت به جيلا من الدهر داجيا
مبادئ للانسان كن خواليا
بنا الناس منهن الطوف الدوانيا
عظمت على امر الليلالى بواليا
يجد تسمى ليس يا .مى . فانيا
مثالا من العليا لاق الدرايا
وشمت مصر موطنك لك ثانيا
وهذا ترى مصر يضك حانيا
وهز قلوبا واستثار ماآيا
بجواب صوتا فى ذرى الارز باكيا
سرى فى ظلام العيش للناس هاديا
لما اسطعبت الا المحبى والمعاليا
ولد ضاقت الدنيا بهن مغايا
لهللا وفانى مائل فى رثائيا
كرىما اذا ما كنت فى الشر راثيا
سوى الغلب يزيجه اليكم وفثيا
وقل .مى . ان اطليل سلاميا

اسكندرية في عهد الاحتلال الفرنسي

الامير عمر طوسون

لحفرة صاحب السمو الامير عمر طوسون عناية دقيقة بالبحوث التاريخية ، فيهم سموه بالكشف عن الحقائق التاريخية التي طواها التاريخ وأسدل عليها ستار النسيان ، وخاصة ما يتعلق منها بتاريخ مصر الحديث ، وما يتصل بحمد العظيم محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية والسموه عدة مؤلفات تاريخية تعتبر مرجعاً قيمياً لحقبة من تاريخ مصر الحديث ، والبطولة العسكرية المصرية ..

وقد تفضل سموه وخس « المسال » بطائفة من الصور عن الاسكندرية في عهد الاحتلال الفرنسي ، نشرها على هذه الصفحات



مسجد الطارن بالاسكندرية في مدة الاحتلال الفرنسي لمصر من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ م . قلا من كتاب (وصف مصر) للماء الحلة القرنية وري في الصورة أمام هذا المسجد ثلاثة أعمدة من حبر الجرانيت ، وكان طولها ٦٢ متراً وعرضه ٥٤ متراً إلى أن ساحتها ٣٣٤٨ متراً مربباً . وقد كان لها في كنيسة بناها القديس اتاناسيوس (الخناس) الرسول البطريرك المصري من بطاركة الاسكندرية (من سنة ٣١١ الى سنة ٣٩٠ م) . وعند ما فتح العرب مدينة الاسكندرية (سنة ٦٤١) جعلوا هذه الكنيسة مسجداً وسمى مسجد ذي القرنين أو الحضر وليل إنه عند البيعات بالقيصرية التي بناه فيها للوارث . ثم تهدم وجدده بمر الدين الجالي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في ربيع الأول سنة ٤٧٧ هـ (يولي سنة ١٠٨٤ م) كما

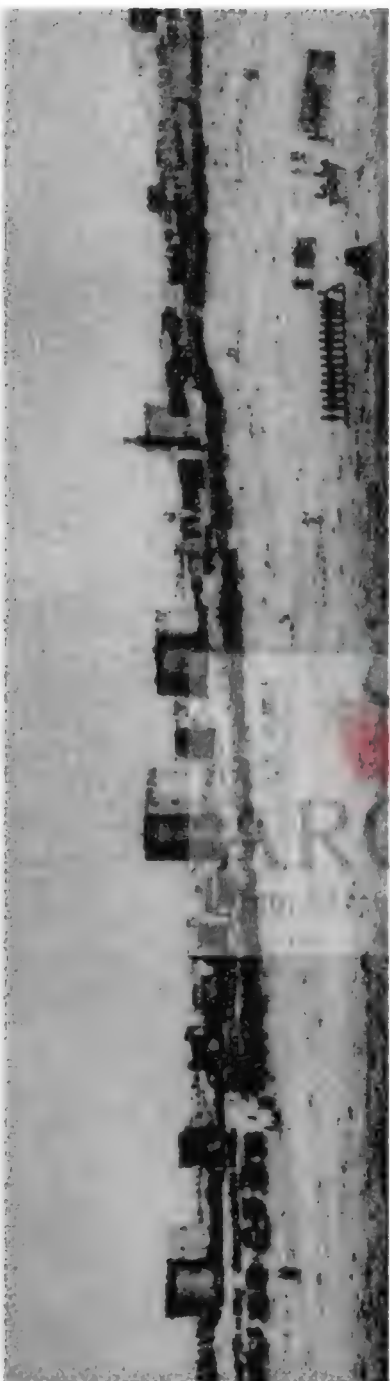
ثبت ذلك الكتابة الكوفية للتوشة على الرخامة الأثرية التي بهاخل هذا المسجد الآن . ولد أطلق الناس عليه منذ ذلك الحين اسم جامع الطارن لوجود حوائط يبع المطارة في حيه



منظر بين قصر رأس التين في عهد النفور له محمد علي باشا سنة ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) . تلا من أطلس
كتاب تاريخ محمد علي باشا لمسيو منجان الذي كان قسلا بمصر لقرنا في ذلك الحين والياني المرتفعة التي على
اليمين هي قصر الحرم - وكان موقعها بأعلى نقطة شمال القصر الحالي من ساحل البحر والبناء - وقد حرق
هذا القصر وقت غزو الأسطول الانكليزي لالاسكندرية سنة ١٨٨٢ م . وأما اللياني التي على اليسار
وساحل البناء فهي سلامك القصر القديم وهي باقية الى الآن في القصر الحالي



منظر بين مسلة كليوباترة وبرج الرومان بالاسكندرية ويرى بها موضع المستشفى الأميري
الحالي ومسلة كليوباترة وبرج الرومان والبناء الفرقي وطاية السلة في زمن الاحتلال
الفرنسي من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ م عن أطلس كتاب وصف مصر لجاه الحملة الفرنسية



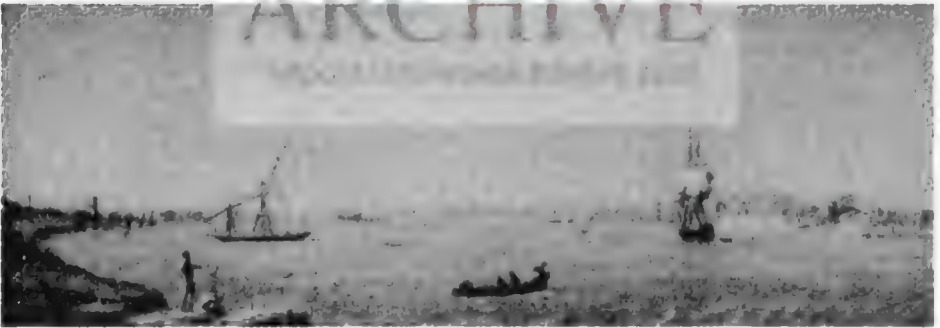
منظر بين قسما من ساحل الينا، الغربية الإسكندرية في زمن الاحتلال الفرنسي من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ م من أطلس كتاب وصف مصر للماء، الحلة الغربية



منظر بين الينا، الغربية الإسكندرية في زمن الاحتلال الفرنسي من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ م من أطلس كتاب وصف مصر للماء، الحلة الغربية



منظر بوابة باب شرق أو باب رشيد وطائيتها سنة ١٧٧٥ م . وموضعا كان في نهاية شارع فؤاد
الأول الآن عند التقائه بفارح بليكا . عن كتاب السائح كلسن ، طبع باريس سنة ١٧٩٩ م



منظر بين اليناء الغربية بالاسكندرية في زمن الاحتلال الفرنسي من سنة
١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ م ، عن أطلس كتاب وصف مصر للواء الحملة الفرنسية

السكوت

فلسفة ، وعبادة ، وجمال

بفلم الدكتور أسير بظفر

نحن في عصر السلام والدعابة بتق الطرق - بالمخبط على المتابر والاداعاء باللاسلكي
والمحاضرات في الجامعات والأندية والثرثرة في الصالونات وللكآب . ونحن في عصر
الضوضاء في أبهى صورها من ضجيج السيارات وأزيز الطائرات ، وقصف
الدافع ودوى القنابل . ولعل هذه الآونة فرصة سانحة للتحدث عن السكوت وقلقه

من أبدع ما تركه الانظمة الجامعية والمدرسية في أوروبا وأمريكا من الأثر في النفس ، ما يسمونه فترات السكوت أو الساعات الصامتة . في مستهل حياتي الجامعية في امريكا ، بل في اليوم الاول منها ، شاهدت في إحدى بنايات الجامعة قبيل العصر ، اعلانات مطبوعة بحروف كبيرة كتب عليها " Silent Hour " (الساعة الصامتة) ، فإذا بالفادي والرائع والصاعد والتازل والجالس والساثر لا يتحدث الا همسا ، ولا يترسل في القول الا اشارة بالاصابع

ثم شاهدت بعد ذلك في مدرسة ثانوية يبلغ عدد طلابها اثني عشر ألفا ظاهرة من ظاهرات السكوت أشد قرابة وأعجب ، في ساعة من ساعات الصباح يختلف الطلاب الى قاعة الاحتفالات الكبرى ، جريا على المعتاد في تلك البلاد . ولما كانت سعتها أربعة آلاف ، فإن المدرسة تعقد ثلاثة اجتماعات يتخللها عادة بضع دقائق من الخطب والانشيد والالخان الموسيقية ، عدا يوم واحد في الاسبوع يقصر الاجتماع فيه على السكوت فلا خطب ولا نصائح ولا محاضرات . سرعان ما تقرر الاجراس حتى يهرع الطلاب الى القاعة أفواجا من أبوابها المنتشرة حولها ، من أعلى ومن أسفل ، وما هي الا دقائق معدودات حتى تشغل جميع المقاعد ، ثم يعزف الأورغن ، الكبير لحنا قويا كالرعد تهتز له جوانب القاعة . وفي طرفة عين تهدأ كل حركة ، ويخمد كل صوت ، ويسود السكوت نحو عشر دقائق ، قد يعزف فيها طالب أو طالبة ، معلم أو معلمة ، لحنا هادئا عاطفيا رقيقا خافتا ، يبعث في النفوس الرجة ، ويدفع بها الى السكوت ، وينزع بالحاضرين الى لون من ألوان الصمت المقدس . وقد لا يعزف أحد شيئا ، وفي كلتا الحالتين بطرق الطلاب صامتين خاشعين وكان على رموسهم الطير . وما تمر الدقائق المخصصة للسكوت حتى

يقرع « الارغن » لحنا آخر كالرعد ، فتنتطلق الالسن من عقالها ، وتعود الحياة الى الحركة ، ويخرج الطلبة في لمح البصر كل من الباب المخصص له مهرولين الى حجر الدراسة وليس لدينا في مصر للأسف ما يقرب من هذا النظام ، اللهم الا رياض الاطفال ، فيها - أسوة برياض الاطفال في الخارج - يهرع كل طفل نحو الساعة العاشرة صباحا الى سجادة صغيرة يفرشها على أرض الحجر ، ويمدد عليها ، ويلزم الصمت ، ثم يحاول النوم اذا أمكن . وفي هذه الفترة تعزف معلمة على الكمان أو البيانو لحنا هادئا يبعث الى السكوت أو يحجب السامع الى النوم

ومن الاشياء التي استرعت أنظارى في نيويورك « يافطات » صغيرة مطبوعة بحروف سميكة تباع في المكتاب ، وقد كتب عليها « المرجو عدم ازعاجى » . يعلقها صاحبها على باب غرفته ، سواء أكان طالبا في جامعة ، أم تزيلا في فندق ، أم أحد أفراد الأسرة في منزله ، فيفهم أصدقاؤه - طالما كانت معلقة - انه لا يرغب في مقابلة أحد ، ولا يريد أن يقرع أحد بابه ، اما لانه مشغول أو نائم أو في فترة خاصة من فترات السكوت . وكما توفر هذه الوريقة من وقت ، وتهدى من فرصة للهدوء والصمت والتأمل والعمل المنتج ! وكما رافقني ما شاهدت في المدارس الشعبية في دائيركة من ساعات السكوت التي تقدر هناك بأضعاف ساعات الكلام والمناقشة والوضوء ! النظام في هذه المدارس على تقيض ما قلناه عن المعاهد الأميركية . ففى أميركا تخصص ساعات للسكوت ، في حين أن في دائيركة تخصص ساعات للكلام . توجد في كل مدرسة من المدارس الشهيرة المعروفة باسم الشعبية قاعة يطلق عليها بحق اسم « القاعة الحمراء » إشارة الى لونها والغرض الذي وضعت لأجله . يختلف اليها الطلاب في فترات معلومة للمناقشة الصاحبة والمساجلات وتبادل الآراء فيما تلقوه من الدروس أو لمجرد الحديث المعلق بغير قيد ولا شرط . أما في بقية ساعات النهار ، فالسكوت يراعى بكل دقة في حجر الدراسة ، وقاعات المطالعة ، وحجر النوم . فالمحاضر لا يقاطع ، ولا يوجه اليه أحد سؤالا ، ولا ينطق الطالب ببيت شفة ، إذ أن هذا كله يؤجل الى موعد « الغرفة الحمراء » . ولم نر في كل ما شاهدناه من معاهد التعليم (١) في أنحاء أوروبا وأميركا ما يعطو الى مستوى هذه المدارس الشعبية هدوءا وصمتا ، ونظاما وراحة بال وأعضاء ، وملائمة جو للتفكير والتأمل والعمل المنتج ولعل أشد ما بلفتته فلسفة السكوت من المبالغة والاسراف يتمثل في تلك الاديرة السحيقة ، النائية عن البشرية ، وأغنى بها الاديرة الصامتة أو أديرة السكوت ، التي أقسم رهبانها الا يتحدثوا طول حياتهم الا همسا ، ولا يمروا عما تكنه ضمائرهم الا كتابة وإشارة . منذ سنوات قليلة أشار الدليل الى إحدى هذه الاديرة في فرنسا ، فاستوقفنا السيارة ورنونا بأبصارنا الى طود شامخ يتحدى الزمن ويسخر بالانسان ، وشاهدنا بضع راهبات يتسللن بين البواسق الى مكان تكدست فيه أخشاب الوقود ، وأخريات يصنعن

(١) المدارس الشعبية لطلاب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٥ سنة

أكواما من الاوراق الذابلة المتساقطة من أشجار الغابة ، واقترينا منهن خاشعين ، وقد هالنا ذلك الصمت الرهيب ، اذ لم نسمع في خلال الساعة التى قضيناها هناك سوى همسات امتزجت بحفيف الاشجار ، واشارات اختلطت بتمايل الاغصان على الاغصان . وهنا ارتسمت بالاذهان طائفة من علام الاستفهام . ترى ما الذى دفع بهذه الفئة من بنى الانسان - وبينهم غيد فى ريعان الصبا - الى هذا اللون من ألوان الحياة ؟ أنورة على ضوضاء الآدميين وثورتهم ، أم يأس ، أم انتقام ، أم انتحار ، أم مفالة فى الزهد ؟

ومن الاماكن التى نحس فيها برهة السكوت وعظمته وجلاله وجماله ما يأتى :

(١) عرض البحر أو المحيط ، اذا ما هدأت الامواج ، ونام ركاب الباكسة ، حيث لا يسمع صوت فى ذلك المكان التامى عن كل شىء ، العلق بين زرقة الماء وزرقة السماء سوى أزيز المحرك الذى يدفع الباكسة

(٢) جوف الصحراء اذا لم يكن ثمة ربح عاصفة ، هناك فى ظلام الليل الدامس حيث ترصع رقعة السماء بالنجوم المتلألئة ، ترى الهدوء ممتلا والسكوت بأروع معانيه مجسما (٣) أعالي الجبال . يذكر كاتب هذه السطور الالب ، والتبرول ، والبرنات . يذكر لبالى قضاها فى منزل صغير أو خان على ارتفاع ألفين أو ثلاثة آلاف متر . هناك كنا نحس بذلك الصمت الرائع الذى لا يسمع فيه سوى خرير المياه يتخلل البساط السندسى الذى يكسو كل شبر من مرتفعات الأرض ومنخفضاتها ، وانسياب ماء التيارات ومساقط المياه المتدفقة من قمم الجبال الشاهقة الى بطون الوديان . واذا ما طلع النهار تخلخل هذا السكوت العميق جلجلة الاجراس المدلاة من رقاب القر ، بأنغامها الشجية المتنوعة ، وهى ترمى بين الرياض والادغال ، وقد تحجر الفلاحون لكل بقرة جرسا خاصا ذا نغمة خاصة لتعين موافقها ، فاذا ما انتشرت الحيات منها فى تلك الارجاء المترامية الاطراف زادت أنغام الاجراس وأصدائها السكوت رهبة ، وأحسن السامع بمعنى اللانهاية

(٤) اماكن العبادة فى غير أوقات العبادة خصوصا فى الجبال . ارسم فى مخيلتك كنيسة بعيدة عن المدن والقرى بمئات الاميال ، فى منحدر من منحدرات الجبال الشاهقة ، أو فوق صخرة فى قمة هذه الجبال ، ما تكاد قدمك تطأ داخلها حتى تحس بوخسة غريبة . شموع موقدة تبث أضواء ضئيلة ، ومصابيح زيتية صغيرة تبث فتائلها أنوارا خافتة ، وصور وتماثيل مقدسة ، ومقاعد مصفوفة خالية ، سوى مقعد واحد جثت أمامه منحنية على مقعد آخر امرأة فى الغالب ، تتحرك شفتاها ولا يسمع لها صوت أو همس والصلاة صامتة أبلغ منها ناطقة ، وانفرادية أبلغ منها جمعية ، وعند دقيقة تصعد الى علو لا تكاد تراه العين وتتسابق أعاليها كما تتسابق أغصان البان فى غابة فوتين بلو . فف هناك ساعة أو أكثر أو اليوم كله اذا شئت ، تدرك معنى السكوت وروعة الصمت الذى لا يعكر صفوه شىء فى الوجود

(٥) مدائن الاموات . فى كل قرية من قرى أوروبا تجد الصمت الابدى فى مدائن

الاموات . قلما تجد سوى الجنان يسقى الورود والازاهر ، أو سيدة تكلل في ثيابها السوداء ، ساجدة أمام القبر ، أو جالسة تضم زهورا بعضها الى بعض لصنع الكليل تضعه على قبر حبيب . وإذا ما أردت الجمع بين السكوت الرهيب والجمال الرائع فعليك بمدينة الاموات في جنوى (بايطاليا)

(٦) أذان الفجر . كنت في بدء حياتي المدرسية الثانوية وقد استيقظت مرة على غير عادتي ، وإذا بصوت المؤذن الرخيم يشق غمان الفضاء ، ويخترق سكوت الليل العميق فسمعت برهة السكوت ووحشة الليل . ومنذ ذلك الحين تنزع نفسي الى الاستمتاع بهذا السكوت الذي يجعله صوت المؤذن ، ويجعله لحنه العذب الذي يملأ الوجود ويشعر السامع بالانتهاء التي يمثلها سكوت الليل

(٧) زورق شراعي بين شطى النيل في ليلة غير مقمرة ، يملأ قلعه الهواء فيندفع في خفة وهدوء فخرقا التيار . منه يرى الجالس القلاع البيضاء يداعبها السيم كاجنحة الحمام ، وأشجار النخيل ينمكس خيالها في الماء وقلما تتحرك أوراقها - فتزيد هذه الجو سكوتا على سكونه وتكسب النيل رهبة تبيد للذاكرة عصور التاريخ من عهد مينا وقبل ذلك عشرات الألوف من السنين . هذه نذكرها من قبيل التمثيل لا الحصر

« لست أدري ، لعل أفضل الانشاء أجهرها صوتا وأعظمها جنة ، و « إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » و « كلام الملوك ملوك الكلام » هذه وعشرات غيرها أمثال سائرة تداولتها اللسان منذ القدم ، ولكنها أدلة ساطعة أولا على الارتباط بين الصمت أو قلة الكلام والهدوء ، وثانيا بين الصمت أو قلة الكلام والعمق والعظمة . فما كلام الملوك ملوك الكلام الاقلته ، وما معنى نظرية « الملك لا يخطئ » الا تجنبه التبسط في الحديث ، فإذا ما استدرجه محدثه الى ما لا يحل أو ما لا يريد ، حول دفة الحديث الى العفوس أو غيره من الموضوعات العامة . وعلماء سياسة الدول يفرقون بين السياسي والمهرج فيطلقون على الأول statesman وعلى الثاني politician والسواد الاعظم من السياسيين للأسف من الصنف الثاني . كذلك يفرقون بين الدبلوماسي والثرثار . ويفرق علماء التربية بين المعلم « اليداوجي » والمربي educator . فالأول يحتكر الكلام في قاعة الدرس أو المحاضرات ، والثاني يترك المسرح للطلاب ويشرف على « التمثيل » من وراء الستار . ومن أبلغ ما نشرناه مرة في مجلتنا « التربية الحديثة » نقلا عن زميلة غربية هذه العبارة : « من نعم الاله على عباده الاطفال أن يصاب والدوهم ومعلوم أحيانا بداء في الخنجرية ينمهم من الكلام ، فيترك الاطفال لذواتهم يلعبون ويمرحون دون أن تتدخل في أمورهم أصوات هستيرية مقلقة من أب يكثر من الانتهاز ، وأم لا تكف عن التصائح ، ومربية لا يقف فونوغرافها عن الدوران »

وإذا ما أردت أن تقف على نصيب محدثك من العمق ، فليكن أحد مقاييسك مقدار الكلام الذي يخرج من فيه في فترة معلومة ، اذ سرعان ما يضع الرجل السطحي كل

بضاعته تحت تصرفك . وكثير الكلام ، عدو السكوت ، لا يكتفى بلسانه ، وانما يستعين بيديه وقدميه وحاجبيه ورموش عينيه ، وبكل عضلة متحركة في جسمه . ومن أقاصيص السكوتيين عن اللاتين أن فرنسا أتهم بجريمة قتل فكبل بالسلاسل رهن التحقيق وحكم عليه بالاعدام ، ولما حان موعد التنفيذ فكت أغلاله ، فارتدلت لسانه فوراً بما فند التهمة وأوضحت برأته وأعيد الى التحقيق . فلما سأله القاضي عن سبب سكوته طيلة تلك المدة . أجاب وكيف كنت أستطيع الكلام وقدمائى مكبلتان بالحديد ؟ وهذه قصة أخرى ولكنها واقعية قصها على أميركى . قال محدنى انه كان مسافرا بقطار الصعيد وبجانبه انجليزيان لا يعرفهما وكانا زميلين كما اتضح من المجلات التى كانا يبادلانها . وانه دهش كل الدهشة أن هذين الانجليزيين لم يفتح أحدهما فمه للكلام والتحدث مع الآخر بين القاهرة واسيوط الا مرة واحدة عند ما وقف القطار على محطة قبيل اسيوط ، اذ شاهدا كلبين يتشاجران على الرصيف شجارا عنيفا فقال أحدهما لزميله *a damn good fight, isn't it?* تعليقا على الموقف

ونستطيع الحكم على ان الناس تمدينون أو أنصاف تمدينين أو دون ذلك من كميات الكلام ونوعه وشدة أصواتهم في مكان عام . فكم شاهدنا من رجال وسيدات على جانب عظيم من حسن الهندام وعلامم النعمة في الظاهر على الأقل يتحدثون في المكان المخصص للدرجة الاولى من الترام على صفوه بصوت شديد الارتفاع في موضوعات خصوصية جدا *intimes* ، تفضح أسرار الزوجية والأسرة ، وتعلق بالطلاق والحمام والحب والعمليات الجراحية في أجزاء تشريحية من الجسم لا يشير اليها المثقفون الا همسا ! في بعض فنادق أميركا اعلانات كتب عليها هذه العبارة « المرجو عدم التحدث في بهو الفندق عن آخر عملية أجريت لك » . ولا يشك أحد في أن تمدين المتعلم أو الفندق أو المحال العامة يفاس بمقدار ما يستود في أجوائها من الهدوء وسكوت الوافدين اليها

لقد كان اختراع السينما الناطقة فتحا عظيما ، ولكنه ككل اختراع سواء له عيوبه . ولن أسمى المقالات ، شديدة اللهجة ، التى طعن فيها كتابها خصوصا في انجلترا هذا الاختراع ، وهجوا أصحابه لانه قطع عليهم فترات السكون والسكوت الجميلة التى كانوا يقضونها في تلك الدور ، أمام الصور المتحركة الصامتة على الشاشة البيضاء . وفي هذا الكثير من الحق ، فكم يتألم الكثيرون من تلك الأصوات المزعجة التى تتابع بعض المناظر الطبيعية والحوادث السياسية ، ولا تحتاج الى تفسير أو الى القليل منه !! وكم يتألم الكثيرون من تلك الألحان الموسيقية الصاخبة التى تغلغل الفضاء بضجيجها في خلال العرض ، ويريدوا ازعاجا أحيانا ما يصحبها من أصوات أولئك المعلقين المقلقة للراحة ! وهل ندهش اذا سمعنا هذه العبارة التهكمية من أحد علماء الطبيعة ، اذ قال ان الطاقة *energy* التى تتولد من تربة عدد من الناس في أحد الصالونات في خلال السهرة تكفى لغليان فنجان من الشاي؟ والاشياء كالتلس تماما في هدوئها وصمتها أو في ضوضائها وضجيجها . فالأزياء والآلات

والألوان والأضواء ، قد تكون هادئة صامتة أو كثيرة الجلبة ، تملو وتشتد أو تنخفض وتخفت . أليست الأضواء القوية مزعجة كالأصوات المرتفعة ؟ ألا تجد الفهوات التي يختلف اليها العامة تسطع فيها أقوى المصابيح ، وتدمن بأزهى الألوان ؟ أوليست الفنادق والمطاعم والبيوت المتعدنية تخفف فيها أضواء المصابيح أو تظلل بظلال خفيفة هادئة ، فتكسو المكان بلباس الهدوء والسكون ، وتبث في أهلها الراحة ، والخيال أحيانا ؟ ألا تفزع الأبقار والجواميس في القرى المصرية المسجفة من رؤية رجل أو امرأة في زى أو لون بعيد عن الهدوء ؟ أليست الألوان الحمراء والصفراء والبرتقالية حارة صاخبة تدعو للتهيج وكأنها أصوات صارخة مزعجة ؟ أو ليست الألوان الزرقاء والخضراء فاترة هادئة تبث في النفس السكون والراحة ؟ أتصور انسانا متمدنا ينام في غرفة حمراء صيفا في رداء نوم قرنفلي اللون وبجانبه مصباح قوته مائة شمعة ؟

يؤدى بنا التسلسل في هذا الحديث ، وما أسهبنا فيه من أمثلة وأوردنا فيه من أقوال ، الى مغزى السكوت والصمت ، وفلسفة الهدوء والسكون . اذا جاز لنا أن نقسم حياة الفرد اليومية الى جسدية وعقلية وروحية ، تبين لنا أن لهذه كلها حاجة ملحة الى ساعات معلومة يلزم تخصيصها للصمت والحلوة والبعد عن الغير والأخلاق الى السكنية في جو يسود فيه الهدوء والراحة ، ويلزم أن تكون هذه الساعات دورية منتظمة - مرة كل اسبوع أو يوم أو أيام معدودة ، كما يلزم أن يكون لكل في منزله غرفة خاصة لا يشاركه فيها شريك - سواء أكان هذا الشريك زوجا أم ولدا أم ثقيفا - اذا كان هذا مستطاعا فالكل في حاجة الى ساعات يختل فيها بنفسه ، في مكتبه وبيته ومكان نزهته . وفي هذه الحلوة راحة لبدنه ، وفرصة سانحة لعقله يلجأ فيها الى التأمل العميق والتروى والتفكير وحل ما يعترضه في الحياة من مشاكل مالية واجتماعية ، عامة وخاصة ، وقد تؤدى الى أسس ما يلقه العقل البشرى من إنتاج ، سواء أكان هذا الانتاج فنا من الفنون الجميلة أم أدبا أم اختراعا أم اكتشافا . وفي هذه الحلوة فرصة روحية سانحة يحاسب فيها الفرد نفسه ، ويرجع فيها الى ذمته وضميره ، وينسى فيها عالم الماديات ، ويتجرد عن حاجاته اليومية الجسمانية ، ويفكر فيما يغذى الوجدان الاسمى وذلك العنصر المجهول الذي لا ندرك ماهيته ، فاطلقنا عليه ذلك الاسم الخيالى - الروح أو النفس

والناس في هذه الدنيا فريقان ، فريق ينزع الى الاسراف في الحلوة بالنفس وكرامية المجتمعات وبغض الحديث والهرب من الاصدقاء ، الا أخص الاخضاء منهم ، وحسب الوحدة والهدوء والسكوت الى درجة تكاد تكون حزنا ووجوما وضربا من الجنون . ومن هذا الفريق العلماء والمخترعون والمكتشفون والانبياء . ففي هذا الاسراف وفي هذه الحلوة ،

(البقية على صفحة ٤٩٧)

الكتب والكتاب

بفلم الوثائقي على أدهم

تروي كتب الادب أن معاوية بن ابي سفيان لما رأى يواذر الهزيمة يوم صفين ، عزم على الفرار فعا رده وأثار نخوته ، وتجاوى به عن ذلك المسلك الشائن سوى تذكره تلك الايات التي مطلعها :

أبت لى همتى وأبى بلاتى وأخذى الحمد بالثمن الربيع

وبعض الناس يتخذون لهم كتابا يديون قراءته ، ويلتزمون صحبته ، ويستعينون به على كشف مكنونات الحياة ، وتوضيح أسرارها ، ويستوحونه في حل مشكلاتهم ، وتفريج كربهم ، ويلتمسون فيه الغذاء الروحي ، والعزاء النفسى ، فإذا رايهم من الدهر الربيب ، وعرض لهم ما يعرض للناس من نوبات الضعف ، وانتلام العزم ، وانهارت دعائم مقاومتهم ومموا بالفرار ، كما هم معاوية بالفرار ، سكب ذلك الكتاب في نفوسهم الشجاعة والثبات ورد عليهم إيمانهم بأنفسهم وبالحياة كما ردت الايات التي ذكرت مطلعها على معاوية شجاعته وثباته واباءه ، ولكن الشكل هو معرفة المدى الذى تشكل فيه الكتب أخلاقنا ، وتهذيبها وصقلها وتؤثر فيها ، وتسمو بها ، فكثيرا ما نلتبس في الكتب تأثيرات خاصة ، ولكن سرعان ما تندثر تلك التأثيرات وتزول معالمها ، فقد نقرأ القصائد الحماسية في غفوات الليل وبين الجدران الاربعة ، ويخيل البنا بعد القراءة أننا نستطيع مواجهة الاخطار ، والصبر على المكاره ، وأنا صرنا لا نخشى شيئا ولا نرهب انسانا مهما سما قدره ، وعظمت قوته ، فإذا أقبل الصباح وخرجنا الى ميدان الحياة وبحال العمل ، هبطنا من تلك الاعالى الساحقة ، وسرنا في الودية والسهول المستوية ، وربما أفزعنا خفقات النسيم ، أو أزعجنا انسان ضعيف الحول لا في المير ولا في النغير ، وكثيرا ما نقرأ كتابا تملأ نفوسنا ببيل الافكار وسامى المشاعر ، ولكن سرعان ما يميل بنا الاغراء ، وتغلبنا الأهواء ، ولا نسمعا الافكار النبيلة ، ولا تنجدنا المشاعر السامية ، ويبدو لنا أننا كنا نخدع أنفسنا ونغوى عليها ، فليست ضاللتا التي نبنيها في الكتب هى المحاولة الفاشلة وانما الحافز الصادق الوعد البالغ التأثير ، ومن ثم قد يساورنا الشك أحيانا في قيمة الكتب ومدى تأثيرها ، ولكننا نعلم من ناحية أخرى أن الكثيرين من أفاضل الناس اعترفوا بأن بعض الكتب كان لها في نفوسهم تأثير كبير ، وأنها وجهت حياتهم وحملتهم على الطريق السوى والنهج الواضح ، ولا يمكن أن نقدر مدى تأثير الكتب المقدسة أمثال القرآن والاناجيل والتوراة في ارشاد الضالين ، وتهذيب النفوس ، وتقوية العزائم ، وإن كنا لا نستطيع أن ننكر أن المكوف على تلك

الكتب قد يخلق من بعض الناس متعصبين منهوسين محدودى التفكير ، ضيقى الذهن ، ولكنها ما دامت تؤثر فى أكثر الناس تأثيرا حسنا وتوجه بهم الى الطريق القويم ، فان هذا يثبت صدق تأثير الكتب فى تهذيب الاخلاق ، وصل النفس ، وكون الكتب تؤثر فى تفكيرنا من الامور التى لا سبيل الى انكارها ، ولكن الافكار لا تؤثر فى الاخلاق تأثيرا مباشرا ، والكتب التى توسع آفاق تفكيرنا وتحررنا من أسر الاوهام ، وسلطان التقاليد ، تؤثر فى اخلاقنا تأثيرا غير مباشر ، فهمى قد تلقنا حب العدالة الاجتماعية ، والتفوق من الظلم والاضطهاد ، وتزيدنا حبا للانسانية ، واثمانا بمستقبلها ، وقد لا تنهض بنا الكتب ، ولا تجعلنا نحلق فى السماوات ، وقد لا تخلق منا أبطالاً أو قديسين أو فلاسفة أو شعراء ، ولكنها مع ذلك تؤثر فىنا ، وربما تجنبنا الانحدار والتدهور ، والتردى فى الضرات ، والسقوط فى الهاويات ، وقد تكون الكتب مثل الدواء علاجا موقوتا ، وكما أنه ليس هناك دواء يحفظ علينا الصحة طوال الحياة ، فكذلك الكتب قد تنفعنا فى فترة من فترات حياتنا ، أو تخلصنا من أزمة من الازمات التى ما تنفك تتعقنا

الكتاب قوة اجتماعية

وإذا صح أن للكتب تأثيرا يفلت ضفا وقوة وكثرة ، فإنه يسوغ لنا إذن أن نعد الكتاب قوة اجتماعية عظيمة التأثير ، خطيرة الشأن ، وأنه عنصر من عناصر الحضارة لا يجوز اغفاله وإهماله أمره ، ومن الواضح أن أهم وسائل التربية المؤثرة فى العصر الحاضر هى الجرائد والمجلات والأذاعة والاشربة السينمائية والمسرح والكتب ، وجميعها من انتاج عقل الكتاب وفكرات تفكيره ومئات وجوه ، وفى مستطاع الكتاب أن يلقى عمل المعلم ويطلق وظيفة استاذ الجامعة ويشل جهود الزعيم الروحي أو السياسي ، وينسخ تأثيره ، لان جمهور الكتاب أضخم ، وصوته أعلى وأذيع ، وهو بحكم فنه أعرف بطرائق التأثير ، وأساليب الاغراء ، وهو أخب عارة ، وأرشق ممرضا ، وأوسع حيلة ، وليست البلاغة والبيان سوى فن غزو القلوب واجتياح العقول ، وهو الفن الذى يجيده الكتاب وبحرز فيه السبق ولا يباريه فيه انسان ، وقد ذكر الناقد الفرنسى الكبير تين Taine فى حديثه عن الكتاب البريطانى العظيم سوفيت أنه استطاع بقوة قلمه وسحر بلاغته أن يقاوم مشروعا نافعا كان فى طلبه مروجيه والزائدين عنه ومفسرى غوامض السير اسحق نيوتن العلامة الشهير ، وللكتاب أثر كبير فى صياغة الراى العام وتكوينه ، فهم الى حد كبير مسئولون عن توجيهه واتارة السبيل أمامه ، والعالم اليوم فى مأزق ضنك وموقف فاضل ، فنقص المعرفة وجهل الواقع وفقر الاهتمام بتميز الحق من الباطل والتقاعد عن نصرة العدالة والتفوق من الطغيان وانطفاء جذوة الحماسة الاخلاقية وعدم الغضب للحق من الاعراض والاسباب التى أدت الى هذه الازمة ، وقد غزا هذا الافلاس الاخلاقى أكثر الأمم ضعيفا وقويها وغنبا وفقيرها ، ومما أعان على ذلك أن الكتاب أعملوا رعاية

الجانب الاخلاقي في النفوس وفصروا في تعهده ، وشد أركانه ، وثبتت جوابه ، وتحسينه ووقايته ، وغمرت العالم موجة العناية بالماديات واعمال الجوانب الروحية ، والنواحي المعنوية الادبية ، ولم يجد الضمير الانساني ما يهزه من جوده ، ويوقظه من سباته ، وأصبح هم الناس الحصول على ما يريدون من أية الطرق ، وبكافة الوسائل ، فكل وسيلة مباحة ما دامت تحقق الغرض ، وقيل بين الكتاب من يؤثر الالم والعذاب على المساومة والرياء ، وخذلان المثل العليا ، أو من يقف موقف الامام احمد بن حنبل من الخليفة المأمون ، أو موقف العلامة ابن السكيت من الخليفة المتوكل

أثر التفكير العام

وطريقة تفكير الناس وأسلوب شعورهم في الاوقات الحرجة الراهنة لهما تأثير كبير في علاج الموقف وتفريغ الازمة ، فهل يقيمون تفكيرهم على الحقائق الواقعة أو على الالهام التخيلية ؟ وهل يستعينون بالشاعر السليمة الراقية أو بالشاعر المتوثبة الهادمة ؟ والمشاهد الآن أن أكثر الامم تحاول مرمة الحلل واصلاح الفساد الخارجي ، ولكنها تترك تفكير العقول التي سببت وجود هذه الاحوال نهبا للصدف ، وينجم عن ذلك فوضى التفكير ، والتفكير اذا لم يقيم على أساس ولم يوجه توجيها صحيحا ، أصبح مصدر خطر وياها من أبواب الشر ، وعند ما يقوم التفكير على ادراك الوقائع ويستند الى الحق ويتفشاء ضوء المواطن السليمة ، والميول الصحيحة غير المتكسبة ، يصبح صالحا للبناء والتوجيه ، ومن ثم تبعه الكتاب في هذه الفترة الدفيقة ، وكثير من المحلات في العصر الحاضر لا تقبل من كتابها الا الاقاصيص التي تقالني أحسن الفرائز وأدنى الشهوات ، وترفضها في صورة مكتسوفة لا جمال فيها ولا حق ، وهذا الاسفاف يعقل الجمهور في مجال الانصوفة يهبط بمسنوء في الحياة الواقعية ، ويقدم له غذاء عقليا مسموما ، والكتاب الذين يقبلون على مثل هذا الانتاج السخيف المزرى لا بد أنهم قد فقدوا ايمانهم برسالة الكتاب ، وضعت عقيدتهم في قوة الفكر وقيمه والفن ومكانته

ويتحذلق بعض الناس ويقول ان هذا الصنف من الادب انما يعبر عن روح العصر دون أن يلقى باله الى أنه من الصعب هنا أن نوضح المدى الذي يصور به مثل هذا الادب روح العصر من المدى الذي يهبط بها اليه ، وكيف يصدها عن طريق النهوض والاقتراب من الكمال والمثل العليا ، ولعل السبب في شيوع هذه الحالة المحزنة الجديرة بالنظر والعلاج أن الادب الرفيع كان فنا ، ولكنه أصبح في ملايسات العصر الحديث صناعة يتعاطاها الكتاب لتدر عليهم الريح الوفير ، أي أنهم يتأثرون في تناولها يدافع الربح والخسارة ، وعوامل العيشة وأسباب النجاح ، فلا مفر لهم من توخي كتابة ما يمكن أن يباع في السوق ، وقبل عليه الجمهور ، والذين يتقدمون للشراء هم الذين في يدهم مقاليد النفوذ والمال ، ومن ثم هم الذين يتحكمون في اختيار موضوع الكتاب وسياسته وتوجيهه

وقد كثرت في العصر الحديث طرائق تعليم الكتاب الناشئين أساليب الكتابة وكيفية تناول مختلف الموضوعات وشتى المسائل وتزويدهم بمعلومات قيمة وملحوظات طريفة مجدية ، تواتى حاجتهم وتغنمهم من الثغاف والاضطراب ، ولكن موضوع الكتابة نفسه ومكانتها وسمو غايتها يتعمد اهماله والاعراض عن مواجهته ، والكتاب يتلقى الامر والتوجيه ، ويصدع بالامر فيعمل على صبه في النفوس وادخاله في العقول ، ويصوغ الرأي العام على النمط المطلوب ، ويوجهه الى الغاية المبغاة

الكاتب أول رقيب على نفسه

ولكن الادب الحق يجب أن يسمو على الصنعة ، ومهما كان الدافع للكاتب على الكتابة وسواء كان هو الحرص على الكسب أو الرغبة في التعبير عن النفس فإن الكاتب الذي يحترم قارئه ، لا يقبل أن يقدم له قيمة معكوسة ، أو تفسيرات زائفة ، أو نزعات منحرفة ، ولست أقول بفرض رقابة أدبية على الكتاب ، فانه يحسن أن يكون الكاتب هو أول رقيب على نفسه ومن البعث مطالبته بان يقسم بين الولاء لمهنته كما يصنع الأطباء اذا لم يكن ضميره الاجتماعي يقطا

وقد يبدو شيء من التناقض بين تقدير الكاتب للتمعة الادبية الملقاة على عاتقه وبين رغبته الصادقة في التعبير عن نفسه تعبيرا تاما خاليا من التكلف والرياء ، والعلاقة بين الفن والاخلاق ليست من المضللات الهيئية ، فالى أى مدى يعبر الكاتب عن نفسه ويطلق له العنان بلا كايح ولا رقيب ؟

ربما يساعدنا على جلاء هذا المشكل معرفتنا أن كل فرد مكون من عناصر مختلفة متناقضة بعضها جيد وبعضها رديء ، وأخلاقنا لها جوانب ايجابية سليمة وجوانب سلبية سقيمة ، وأكثر الكتاب لا يفكرون في الجانب الذي يبررون عنه ويعرضونه على الانظار ، وما أحسب الفرد ولا المجتمع يستفيدان من التعبير عن الجوانب السلبية ، وأحسب أن التعبير عن تلك الجوانب الدالة على سمة الروح وعظمة القلب وهى موجودة في جميع الناس بنسب متفاوتة مما يسمو بالفرد والمجتمع على السواء ، واذا كان ذوق القراء فاسدا منحطا . فهل واجب الكاتب أن يرضى هذا الذوق الفاسد فيزيده فسادا وانحطاطا ، وأن ينحذى سخطهم ويملى لهم فيه ؟ وهل خلق الكاتب ليكون عبدا مسخرا لدور النشر وآلة صماء في أيدي أصحاب المجلات والصحف وهم في دورهم عبيد للجمهور الارعن السخيف ؟ لقد كان للكاتب مكانة سامية أكسبتهم الاحترام وأسبغت عليهم القداسة ، وفي وسع الكاتب أن يرفعوا بنيانهم بسواعدهم كطائفة تسوغ وجودها في خدمة المجتمع وتوطيد الحضارة ، وانما يكون ذلك برفض كبار الكتاب أن يؤجروا أفلامهم في خدمة الاغراض الفاضلة ، والغايات المفسدة ، والسياسات الضارة ، ولا نزاع في أن ذلك مما يعرقل سير تلك الاغراض ويصرف عنها الناس ، واذا أكبر الكتاب ففهم عن غلبق المشاعر الدينية ، وإيقاظ الاهواء الوضيعة ،

كان لذلك أثره في اجتناب الفساد ، وتصفيه الجو وابتناء الهمم الى الاغراض المثلى
ان التفكير الامين التزيه الواضح القائم على تقدير الحقائق ، وتحري الوقائع ، ودراسة
المشكلات الاجتماعية العظيمة ، التي تتحدى العالم هو الزم ما يلزم في العصر الحاضر .
والكتاب الحق هو من يزود قراءه بمعرفة اثرى وتفكير أصفى يدفع بهم الى الامام ويستنهض
همهم ، ويوقظ ضمائرهم ، واذا لم يقدم لهم الحلول المناسبة فلا أقل من أن يشرحهم
بضخامة المشكلات التي تواجههم ، وخطورة الموقف ، فلماذا لا يحفل الكتاب الا بالمال
والنجاح والشهرة والراحة الشخصية والترف ، في حين أن عمل الناس في المستقبل
متوقف على تفكيرهم وارشاداتهم في هذه اللحظة الدقيقة ، في وسع الكتاب اذا شاموا
وصحت عزيمتهم أن يكونوا القادة الذين يسرون بالناس ويتقدمونهم الى أرض الميعاد ،
ويقلونهم الى عالم خير من هذا العالم الراهن على أروهم

السكوت

(بقية للنشور عل صفة ٤٩٢)

نعت المثال أجمل التماثيل ، ورسم المصور أروع الصور ، ونظم الشاعر أبدع القصائد ،
وكتب الكتاب أنفس الكتب ، وأخرج المخترع للبشرية عجائب البخار والكهرباء والطيران
والاسلكي ، وابتدع العلماء أغرب النظريات العلمية والكيميائية والطبيعية والاحيائية
والبيكولوجية ووضعوا أصولها التطبيقية وأدخلوها في الحياة اليومية . وفي هذه الخلوة
نزل الالهام والوحي والنبوة ، فشأت الأديان والفلسفات والبحوث فيما وراء المادة والتخلف
فيما لا يدركه العقل وما لا تمسه الحواس

أما الفريق الثاني فينزح الى الاسراف في حب الاجتماع ودوام الاتصال بالنهر حديثا
ولبا ومزاحا وهرجا ومرجا ، وكثرة الكلام والترثرة أحيانا ، والمرح والانشراح الى
درجة تكاد تكون استهتارا أو هوسا أو ضربا من الجنون . وقل من ينتج من هؤلاء إنتاجا
يؤبه له ، وندر بينهم مخترع أو مكتشف أو فيلسوف أو نبى ، وقل من يكثر من القراءة
أو يميل الى التأمل أو التفكير

وبين الفريقين فريق ثالث وسط بينهما . ومن هذا الفريق يتكون السواد الاعظم من
الناس ، ومنهم نجد صغار المخترعين والكتاب والعلماء والمنتجين والعمال والسذج والذين
لا يسمون الى طبقة الفريق الاول ، ولا يسقون الى حضيض الفريق الثاني

أمير بقطر

كيف ينظر أدباؤنا الى المرأة ؟

بقلم الأناثة ابنة الشاطي .

في أدبنا المعاصر ، فراغ واسع سوف يحاسبنا عليه التاريخ الأدبي وتأخذنا به الأجيال القادمة ، فأنت تفتقد فيه صورة (المرأة) التي طبعت هذا الجيل بطابعها التميز ، وكانت حركتها أعنف حركة اجتماعية في تاريخنا الحديث ، وقد غفل أدباؤنا عن هذه المادة الغنية الزاخرة بالحياة ، وفاتهم أن يسجلوا صور المرأة ، وهي تواجه وتناضل ، وتبلى وتغير ، وتتألم وتحصل ، وتنصر أو تستشهد

من الحق أن في التحدث عن نظرة أدبائنا الى المرأة شيئاً من التجوز ، لأننا لا ندري على التحقيق كيف ينظرون إليها ، وأكثر أدبنا المعاصر لم يظهر بعد بحظه من الصدق في الترجمة عن الشعور ، والتحرر من الرياء الشخصي والنفاق الاجتماعي ، ومن ثم فهو لا يقدم لنا صورة صادقة صحيحة للمرأة كما يراها أدباؤنا ، وكل ما نملكه الآن ، هو أن نتحدث عن المرأة كما يعرضها علينا (أدب) الادياء عندما

والباحث عن صورة للمرأة في أدبنا المعاصر ، يتعبه ألا يرى لها صورة واضحة البات كاملة العناصر ظاهرة التقاسيم ، قليل من أدبائنا من عرض رأيه في المرأة في عمل أدبي مستقل ، وإنما هي آراء شتى وأقوال مبشرة في إنتاجهم الأدبي ، وعلى الباحث - اذا شاء - أن يغتنق في هذا الانتاج ، ويلتصص عناصر الصورة من بين تلك الأقوال : عنصراً من هنا وعنصراً من هناك ، حتى إذا اكتملت قدر المستطاع ، حاول أن يؤلف منها صورة واضحة . وهو هنا لا يتنجو من الزلل ولا يغلو من الخطأ ، لأنه اذا يقوم (بتأليف الصورة) من عناصر أدب الاديب ، يشترك معه في العمل ، ويحمل الصورة بعض الظلال والاكوان من شخصيته ولن يبرئه من ذلك (الاشتراك) الا أن يعرض الاديب نفسه صورة كاملة ، من غير أن يعوجج الباحث الى التماس العناصر وتأليف صورة منها

في أدبنا المعاصر ، فراغ واسع سوف يحاسبنا عليه التاريخ الأدبي وتأخذنا به الاجيال القادمة ، فأنت تفتقد فيه صورة « المرأة » التي طبعت هذا الجيل بطابعها المتميز ، وقامت بأعنف دور في تاريخنا الاجتماعي الحديث وقد شهد أدباؤنا هذه المرأة ، تعرض لثلاث حركات كبرى تهز أركانها وتزلزل كيائها ، شهدوها تواجه حركة (الخروج والسفور) ثم تندفع في حركة (التعليم) ثم تمضي إلى ميدان (العمل) مكافئة مناضلة .

شهدنا أدباؤنا تتعرض - في جبل واحد - لهذه الحركات الكبرى ، ثم وقفوا جامدين صامتين ، لم يسجلوا صور هذه الفتاة تقف على باب بيتها وترى أضواء الطريق لأول مرة ، وتخرج الى الدنيا غريرة ساذجة . ولم يتبعوا هذه الفتاة (الطفلة) وهي تندفع في الطريق زائفة البصر مبهورة الانفاس ، لما تزال في اندفاعها حتى تبلغ آخر الشوط ، ولم يلتفتوا الى هذه الحلوقة الجديدة التي خرجت الى اللبدان تواجه أخطاء الانتقال والاختلاط ، وتعمل عبء العمل المشترك شهدنا الأدباء تتعرض لذلك كله ، وتتفعل به ، فلم يصوروا لنا الصراع الذي نشب بينها وبين الناس ، ولم يسجلوا صور التئصال بين ميراثها الفطري القديم وبين ثروتها العقلية للمستعدين ، وهكذا مرت بهم هذه الحركات العنيفة لم يكادوا يلتفتون اليها ، وإن منهم من يتبع خياله في تصور دور تلعبه الأثني في قصة ، واختراع حركة تمثلها على المسرح ، وهو غافل عما تحت سمعه وبصره من مادة غنية زاخرة بالحياة

إن أدبر عيني فيما بين أيدينا من أدب ثرى ، النفس فيه صورة المرأة كما رآها أدباؤنا أو كما زارها في أدبهم ، فتلوح لي هنا صورة « امرأة في يدها رجل تلعب به كما يلعب الطفل بلعبة اليوبو » - وتلوح لي هناك صورة « امرأة تعمل للرجل صينية البطاطس وترى مثلها العالي في مباراة الطاهيات المحترفات » وتلوح لي هنالك ، صورة « امرأة عابثة راقصة ماجنة - هي ظل للمرأة التي رآها أدباؤنا في ملاهى أوروبا ومراقصها » و وراء هذا كله ، ألمح من بعيد صورة ناصلة الألوان باهتة الظلال تأتية العالم ، لامرأة غريبة عنا في حواظها وشخصيتها ، يزعم راسوها أنها (طين الأصل) من للمرأة ، ولا وجود لها إلا في خيال أصحابها وأوهامهم !

أقبلنا العبث يشغل أدباؤنا عن الفتاة المصرية التي مثلت أمامهم أعنف دور في الحركة للعاصرة ؟ أقبلنا الحبال الوام ، يستفنون عن تلك الحقائق الواقعة ، في حياة حافلة بانفعالات حادة ، مضطربة بين تيارات اجتماعية عنيفة طارئة ؟

والى جانب هؤلاء ، ترى قصصاً أخرى لمؤلفين آخرين ، تحمل أسماء نساء ، فتحسبها تعرض صورة للمرأة ، لكنك لا تكاد تتجاوز غلاف الكثير منها حتى تشهد صورة للمؤلف ، تخته في (الأوضاع) التي يختارها ، أما المرأة فلا تمدو أن تكون ظلاً من ظلال الصورة ، ونوعاً من (الماكياج) للممثل ، وفرداً في حاشية البطل ، يستكمل بها زينته قبل أن يخرج الى الناس !

ومن المحزن حقاً أن هؤلاء العابثين ، والواهمين ، هم الكثرة المطلقة منا ، أما الأقلية الباقية ،

فقد اتسم حديثها عن المرأة بطابع الجد ، وامتاز بحظ من الصدق ، لكن التوفيق خان بعضهم فمجزوا عن إتمام صورة هذه الشخصية الفنية

ففي « إبراهيم الثاني » صورة قوية كادت تتم ، تمثل نوعاً من الفتيات للتعلمات العاملات ، يسيبن مثال عزيز النال ، وصدمن واقع ضئيل قريب ! لكن المؤلف حين أوشك على الفراغ من هذه الصورة الحية الرائعة ، أدخل عليها لوناً غريباً لا ينسجم مع ملامحها الأولى ، فأفسد الصورة وهو يظن أنه إنما يزع فتاته من عالم النال ، ويردها إلى دنيا الواقع !

وانتقل المؤلف إلى صورة أخرى ، تمثل منظراً حياً من مناظر حياتنا الواقعة ، صورة « زوجة تواجه في بيتها بفتاة من هؤلاء العصريات للتعلمات » فأضاف المؤلف إلى صورة الزوجة كثيراً من عواطف الأمومة حين يجب أن تغيب الأمومة ! وجعل الزوجة تنسج الدار لفرحتها وتحيي لها بنفسها سبل اللقاء بالزوج الحبيب ، وتعد لها برامج التزهة وطعامها ، بمثلة دور الأم والصديقة والطبيبة ، في الموقف الواحد الذي يختفي فيه من الزوجة كل هؤلاء ، ويبقى زوجة لحبيب !

وفي مقدمة مجموعة القصص « الرجال مناققون » ترى المؤلف قد أحس بموقف « الفتاة المصرية التي لبست الثرى الأوربي ومارست حياة عصرية حديثة ، وفي أعماقها تكن فطرة الشرقية المحببة » ، وترقد شخصية الحريم « وهي لحة دقيقة بارعة ، كنا نرجو أن (نختم ونمثل ونجسم) لكن المؤلف النفس مثلاً في دنيا المراقص واللاهي ، وهذا أفق محدود لم تفتح من الفتيات عندنا إلا فئة قليلة (خاصة) - لا تغفل الجنس بحال ما ، ولو أنه النفس النال من صميم الحياة عندنا ، لظهرت فكرته أروع وأروع ، وأغنى بالصحة والجمال

« وزينب » قد مثلت حياة ريفية في الجبل للماضي ، ولم تذكر هذه الأحداث الكبيرة للعاصرة

« والمنقذة » تعرض علينا صورة من فتيات القصور في عهد المالك

بقيت صورة الفتاة التي عرضها الدكتور طه حسين بك في « دعاء الكروان » ولعلها الصورة الواحدة التي يقدمها إلينا النثر الفني للعاصر حين نساءه عن صورة « المرأة المصرية التي تحمل طابع العصر ومحات البيئة » بل لعلها الصورة الواحدة التي تعرض رسماً كاملاً العناصر ، لهذا النوع من الفتيات الرفيات اللاتي نشهدن مضطربات في المدينة يواجهن فيها الحياة الصاخبة المعقدة

إنها قصة نفس ، وحديث عاطفة ، وصراع أهواء ، تروها فتاة تتفعل بعاطفة الأنوثة ، في اضطرابها وتناقضها ، في ثورانها وهذونها ، في عنفها ورقها ، في جبروتها وضعفها ، في تمردها واستسلامها !

إنها صورة حية ، لفتاة منا كانت ساذجة ، أمية ، فقيرة ، ثم خرجت وتعلمت ، وواجهت ، واحتملت واثارت ، واستشهدت !

لقد هفت لها يوم قرأتها ، ورجوت خبراً كثيراً من ظهور الدكتور طه في هذا الميدان ،
تقليل من الأدباء من أتبع له مثله أن يشهد الحركة النسائية في أعنف مظاهرها ، وقليل منهم من
وقف مثله الى جانب الفتاة وهي في قاعات الدرس الجامعي ، تتعلم وتتفلس وتتفوق ، وقد تتعرض
لعبث العابثين ، وتسمع هذيان الماذنين

لقد شهد بنفسه ، ما احتملته « الفتاة » في هذا الدور العنيف ، ورآها في مهب العاصفة
الظالمة الهوجاء ، تضطرب وتلود عن كيانها ، وسمعا وهي تن من فداحة الخن الذي فرضه عليها
عهد الانتقال فدفعته من أعصابها وهنأها

فلو أنه راح يرصد هذا كله بحسه الدقيق ، لأغنى الأدب المعاصر بثروة من الصور الحية
لكنه لم يفعل . . . وما زلت أرجو أن يفعل ، فإن توفيقه في رسم الصورة الأولى ، يفرينا
بالرجاء !

وترك الثر القوي ، ونغضى الى شعر الشعراء وأغاني المغنين ، ففتقد فيه ملامح المرأة الحديثة ،
ولا نسمع حديثاً أو مقطعاً عن هذه الأحداث الكبرى التي أثرت في حياة المرأة ، على حين استطاع
الرفف الأملج الساذج ، أن يعكس صدى العصر ، فيسمعنا في أغنية مؤثرة ، صوت فتاة ريفية تخطي
عنها فتاها ، حين عرضت له واحدة من بنات المدن ، فهي تن قاعة في خية ومراة :

« وعدني . . . وخلا ييه . . . »

« لجل (لأجل) علية » المترجيلة

فانظر الى هاء الكسك يختم بها المقطع فيكون لها رنين مؤثر حزين
وانظر الى هذا الاسم المصري الذي فن صاحبنا الفلاح ، وإلى هذه الوظيفة المستحدثة التي
اشتركت مع الاسم غلبت له وأنسته هوى صباه ! ثم اعجب لهذا المقطع الصغير يروي لك قصة
القرية التي هجرها أبناؤها ، ونزحوا الى المدينة ففتوا بأضوائها ونسوا الأهل والعشيرة والصحاب !
أين ترى مثل هذا « المتنظر الحى » في الشعر (الارستقراطي) وأغاني المدينة ؟ وأين نسمع
فيها مثل هذا الصدى لما نواجه من أحداث الحياة ؟

أما القصة للرحبة ، فلها حديث طويل ، لا ينسج له المجال الآن

وبعد فقد يسأل سائل عن سر هذا النقص في أدبنا المعاصر أهو من عجز للراءة عن أن تلهم ،
أم هو من قصور الادباء واشتغالهم عنها بأدب القلوب الحديث والادب العربي القديم ؟
وهذا حديث يطول ، وليس هذا أوانه فلعل أفرغ له في غد قريب إن شاء الله

ابنة الساطي

تأول الاستاذ محمد عبد الله عنان في هذا المقال اهم قصة التنافس على سيادة
البحر الابيض المتوسط بمناسبة استيلاء الحلفاء على صقلية وعلى بعض جزره
وشواطئ وتسمي إيطاليا . وهي قصة سام المشرق في أحداثها بأعظم نصيب

قصة السيادة على البحر الأبيض المتوسط

ونصيب الدول الإسلامية منها

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

أعاد افتتاح الحلفاء لصقلية ، بعد سيطرتهم على شواطئ افريقية الشمالية الى الازعان ذكرى حقيقة جغرافية وتاريخية هامة ، هي أن البحر الابيض المتوسط كان وما يزال مدى العصور مسرحا للتنافس على السلطان والسيادة البحرية ، وأن السيادة على لجنه ما زالت عنصرًا من عناصر السيادة العالمية : ذلك لأن موقعه المتوسط بين القارات الثلاث التي يتألف منها العالم القديم ، وهي افريقية وأوربا وآسيا ، يجعله مجمعا هاما للمواصلات الامبراطورية ، كما أن السيطرة على مياهه تمهد للسيطرة على الامم والاراضي الواقعة على شواطئه . ولم تفقد هذه الحقيقة قيمتها منذ العصر القديم ، ففي عصر الرومان كان البحر الابيض المتوسط مجازا للسيطرة رومه على الامم الواقعة على شواطئه من آسيا الصغرى الى المحيط الاطلنطي ، ولما سقطت رومه ، استطاعت بيزنطية (الدولة الشرقية) أن تحتفظ بهذه السيطرة مدى حين ، حتى قامت الامبراطورية الاسلامية فانزعجت منها هذه السيادة على مياه البحر الابيض المتوسط والامم الواقعة على شواطئه من الشام الى الاندلس وقد بدأت هذه السيادة البحرية الاسلامية على مياه البحر الابيض المتوسط منذ أوائل القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) ونحن نعرف أن العرب في بداية فتوحاتهم كانوا يخشون البحر وأهواله ، ويؤثرون الفتوحات البرية . ولكن سرعان ما غدا البحر كالباسه مسرحا لغزواتهم . وخرج العرب منذ خلافة عثمان لغزو الجزر القريبة من الشواطئ الاسلامية مثل قبرص ورودس وغيرها . وفي خلافة الوليد بن عبد الملك ، حينما تدفق سيل الغزو الاسلامي من شمالي افريقية الى شواطئ الاطلنطي والاندلس غزا العرب جزائر افریطس (كريت) وصقلية وسردانية وكورسيكا ، وافتحوا جزر البليار (ميورقة ومنورقة) ، وكانت حملات قسطنطينة وما سيرته الخلافة لحصارها من الاساطيل الزاخرة من اعظم الحملات البحرية في تلك العصور

ولم تأت أواخر القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) حتى بلغت سيادة المسلمين على مياه البحر الأبيض المتوسط أوجها ، وغلبوا على سائر جنباته الشرقية والجنوبية والغربية والوسطى . أما جنباته الشمالية فكانت الغلبة فيها للبتادقة والبيزنين والفرننج . ومع أن الامبراطورية الاسلامية الكبرى كانت قد تفككت عراها يومئذ وانقسمت الى دول وامارات عدة ، تتنظم على شواطئ هذا البحر من الشام الى الاندلس ، فإن هذه الدول المتفرقة كانت تسيطر كل منها على مياه المنطقة المتاخمة لسواحلها ، فكانت أساطيل الدولة العباسية تسيطر على الناحية الشرقية من مياه البحر الأبيض المتوسط وكانت دولة الأغالة تسيطر على المنطقة الوسطى ، وتسيطر اسبانيا المسلمة (الاندلس) على المناطق الغربية فيما بين شواطئ الاندلس وكورسيكا وسرديانية

١ - افتتاح المسلمين لجزائره الكبرى .

وقد فطن المسلمون منذ البداية الى أهمية الجزر العديدة المنتشرة هنا وهناك في مياه البحر الأبيض المتوسط ، والى ان السيادة البحرية المنشودة لا تتحقق الا بالاستيلاء عليها ، وهكذا بدأت غزواتهم المتكررة لتلك الجزر ، ولم تسفر غزواتهم الاولى عن فتوحات مستقرة ، وكانت تنظم بالاختصاص لاجراء السبي والغنائم ، وفرض الجزية . فلما اشتد ساعد الأساطيل الاسلامية منذ بداية القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) تطلع المسلمون الى افتتاح هذه الجزر الغنية الضخمة وامتلاكها . وكانت افریطس (كريت) أولى الجزائر الكبرى التي اقتحموها ، وكان افتتاحها في سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) على يد يشار جرى . هو ابو عمر حفص بن عيسى الاندلسي ، وهو زعيم جماعة اندلسية مغامرة ، أخرجت من الاندلس قبل ذلك بأعوام عقب ثورة قامت بها ، وجاءت الى الاسكندرية ونزلت بها مدى حين ، واشتركت في الحرب الاهلية التي كانت تضطرم يومئذ بمصر ، فلما جاء عبد الله بن طاهر قائد المأمون الى مصر ، أرغم الاندلسيين على مغادرة الاسكندرية فأقلعوا منها في سفنهم الى افریطس ، وكانت جماعة منهم قد أغارت عليها قبل ذلك واستولت على ناحية منها ، فلم يروا خيرا من اللحاق بهم وافتتاح تلك الجزيرة الكبيرة ، والاستقرار فيها ، وكانت افریطس يومئذ من املاك الدولة الشرقية (بيزنطية) ، ولكن الحماية البيزنطية لم تقو على مقابلة البحارة المسلمين ، وسقطت الجزيرة في أيديهم دون مشقة واستقروا بها ، وأسسوا بها دولة مسلمة صغيرة استمرت زهاء قرن وثلاث ، حتى استعاد الروم الجزيرة في سنة ٩٦١ م (٣٥٠ هـ)

وافتح المسلمون صقلية في نفس الوقت ، وكانت الجزيرة الإيطالية الكبيرة تجذب أنظارهم بخصائمتها ، وموقعها الجغرافي الفذ ، وسيطرتها على المنطقة الوسطى من البحر الأبيض المتوسط ، وكانت دولة الأغالة يومئذ في تونس تسيطر بسيادتها على الشواطئ المقابلة ، وتطلع الى انتزاع الجزيرة من أيدي الروم (البيزنطيين) ، وسنحت هذه

الفرصة حينما وقعت بالجزيرة حرب أهلية ، واستغاث أحد الزعماء الخوارج ، وهو شريف من أشراف صقلية يدعى يوفيموس (أوفيمى) بأمير تونس زيادة الله بن الأغلب ودعاه الى اقتتاح الجزيرة ، فسار ابن الأغلب الى صقلية حملة بحرية بقيادة أسد بن القرات قاضى القبروان فى سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ، ونزل المسلمون فى طرف الجزيرة الشمالى الغربى ، ونسبت بينهم وبين الروم معارك طويلة الامد ، واستولوا تباعا على ثغورها وقواعدها ، واستمصم الروم مدى حين بركنها الجنوبى الشرقى ، حتى افتتح المسلمون ثغر سرقوسة آخر معاقلها فى سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) ، وبسط المسلمون سيادتهم على الجزيرة بأسرها ، وقامت فى صقلية دولة اسلامية تنصوى تحت حماية سادة تونس ، الاغالبه ، ثم الفاطميين من بعدهم ، وتعمل على توطيد سيادة المسلمين البحرية فى تلك المنطقة ، وغدت صقلية قاعدة لكثير من الحملات والبعوث البحرية التى تجوس خلال هذه المياه ، وتخن فى الثغور والشواطىء الايطالية من قلورية (كلايريا) حتى جنوه ، وكادت رومة عاصمة النصرانية نفسها أن تسقط فى يد البحارة المسلمين ، اذ غزوها خلال القرن التاسع مرتين ، واضطروا البابا الى دفع الجزية . واستمرت دولة الاسلام فى صقلية زهاء قرنين صلة الوصل بين الشرق والغرب ، تنقل آثار الحضارة الاسلامية الى الجزيرة والى جنوبى ايطاليا ، حتى أدركها الاضمحلال والوهن وعادت الجزيرة الى سلطان الفرنج على يدى الدوق روجر النورمانى فى سنة ٤٩٤ هـ (١٠٧٢ م)

وغزا المسلمون جزيرة كورسيكا لأول مرة على يد موسى بن نصير فاتح الاندلس فى سنة ٧١٣ م ثم غزاها البحارة المسلمون بعد ذلك غير مرة ، وفى سنة ٨٠٦ م استطاع المسلمون أن يستقروا فى بعض نواحيها ، واستطاعوا البقاء فيها أكثر من قرن بالرغم من الحملات الفرنجية المتوالية التى سيرت لاجراجهم منها . وكذلك غزا المسلمون جزيرة سردينيا منذ فاتحة القرن الثامن الميلادى غير مرة ، ولكنهم لم يظفروا فيها بفتوح مستقرة . وفى أيام الطوائف بالاندلس ، سحر مجاهد العامرى أمير دانية حملة بحرية الى سردينيا فى سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) فافتتحتها ، ولكنها لم تلبث ان عادت الى قبضة النصارى . واما جزائر البليار الاسبانية أو الجزائر الشرقية فقد لبث طوال الدولة الاندلسية قرونا فى يد المسلمين

٢- سيادة الدول الاسلامية لمياهه

وهكذا بسط المسلمون سيادتهم على مياه البحر الابيض المتوسط من شرقه الى غربه ، وسيطروا على شواطئه الشرقية والجنوبية والغربية كما سيطروا على جزائره العديدة ، واستمرت هذه السيادة بضعة قرون ، ولم تكن تستأثر بها دولة واحدة ، ولكنها كانت موزعة بين الدول الاسلامية التى تشرف على شواطئ هذا البحر . فكانت مصر تسيطر سيادتها على جنباته الشرقية ، وتسيطر اسبانيا المسلمة (الاندلس) سيادتها على جنباته

الغربية ، وكانت الدول البربرية التي قامت في شمالى افريقية منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) تبسط سيادتها على مياهه الوسطى . ولما اضمحلت دولة الاسلام فى الاندلس فقد المسلمون تفوقهم فى غربى البحر الابيض المتوسط منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، ولكن مصر لبثت تحتفظ بتفوقها البحرى فى شرقه زهاء ثلاثة قرون اخرى ، ومع أن البندقية كانت تنافس مصر بأساطيلها وجولاتها فى هذه المياه ، فإن هذه المنافسة كانت مقصورة على المنطقة الشمالية ، وكانت الاسكندرية فى تلك العصور أعظم نفوذ هذا البحر على الاطلاق . ولما أخذت دولة السلاطين المصرية فى الاضمحلال منذ أواخر القرن الخامس عشر أخذت مصر تفقد تفوقها البحرى ، ثم جاء اكتشاف طريق الهند الجديد من ناحية « الرأس » (الكاب) على يد فاسكو داجاما البرتغالى ، ضربة جديدة لمركز مصر البحرى والتجارى ، ولم تلبث مصر أن سقطت صرعى الغزو العثمانى بعد ذلك بقليل (١٥١٧ م) فعطيت بذلك صفحة قوتها وعظمتها واستقلالها مدى ثلاثة قرون أخرى

واحتل الترك العثمانيون مركز مصر فى شرقى البحر الابيض المتوسط ، كما احتلوا من قبل مركز الدولة البيزنطية فى المياه اليونانية ، ولم يأت القرن السادس عشر حتى امتد تفوقهم البحرى الى أواسط البحر الابيض ، وسيطروا على ساحل الجزائر وتونس ، وكان البحارة المصريون يؤلفون فى الاساطيل العثمانية وحدات قوية ، وكانوا يحتفظون بكثير من مزايا أسلافهم السابقين ، حتى أنه لما هزمت الاساطيل العثمانية فى موقعة لانتو الشهيرة فى خليج كورنت أمام الاساطيل النصرانية المتحدة (١٥٧١ م) ، كان البحارة السكندريون خير من لبث فى تلك الموقعة وأجلوا أحسن البلاء

٣- عصر المنافسة بين الدول الأوروبية

ثم كان عصر المنافسة بين الدول الاستعمارية الأوروبية على سيادة البحر الابيض المتوسط واضطربت هذه المنافسة فى البداية بين اسبانيا وفرنسا وانكلترا ، ثم اقتضرت بعد ذلك على التنافس بين انكلترا وفرنسا ، وبدأت انكلترا تبسط سيادتها على هذا البحر بالاستيلاء على جبل طارق فى سنة ١٧٠٤ ، واستولت فرنسا على كورسيكا فى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم حاول نابوليون أن يتزعزع سيادة البحر الابيض لفرنسا ، فاستولى على مالطة وافتتح مصر ، ولكن نلسون حطم مشاريعه ، وقضى على أسطولها ، وسرعان ما أخرج الفرنسيون من مصر ، وقضى نلسون على الاساطيل الفرنسية والاسبانية المتحدة فى موقعة طرف النار (١٨٠٥) ، واستولى الانكليز بعد ذلك على مالطة (١٨١٤) ، ثم على قبرص (١٨٧٨) ، وكانت السياسة الانكليزية منذ أنشئت قناة السويس بمصر ، وغدت مصر طريقا للهند وللإمبراطورية تنوق الى احتلال مصر ، وقد حققت هذه الامنية غير بعيد ، وبذلك استطاعت انكلترا أن توطد سيادتها على البحر الابيض المتوسط من شرقه الى

غربه ، ولم يحل استيلاء فرنسا على تونس والجزائر دون استئثار انكثرا بهذه السيادة وقمت فرنسا من ذلك الحين بأن تحتل في هذا البحر المحل الثاني ولكن ظهر منذ قيام الفاشية في إيطاليا عامل جديد في سيادة البحر الأبيض المتوسط، فقد حاولت إيطاليا الفاشية أن تحيي النظرية الرومانية القديمة في وجوب الاستئثار بسيادة هذا البحر ، وعكفت على إنشاء أسطول إيطالي ضخم ، وحصنت جزيرة بتلاريا الواقعة بين صقلية وشاطئ طرابلس ، وأنشأت المطارات القوية في صقلية وسردانية ، ونادت بأن البحر الأبيض المتوسط ، إنما هو بحر إيطالي (ماري نوسترا) . ولما نشبت الحرب الحاضرة ظهرت خطورة المحاولة الإيطالية في سيطرة إيطاليا على أواسط البحر الأبيض ، وشطره إلى شطرين ، ومهاجمتها لمالطة بشدة ، واضطرار انكثرا إلى التدخل عن طريق البحر الأبيض ، والاستعاضة عنه بطريق (الكاب) الطويل . ولكن انكثرا استطاعت بعد كفاح شاق أن تحطم قوى المحور في شمال أفريقية ، وأن تنقذ مالطة ، واستطاعت القوى المتحالفة أن تفتح صقلية بعد ذلك ، وأن تطهر أواسط البحر الأبيض المتوسط ، وعاد الأسطول الانكليزي يسطر سيادته المطلقة على هذا البحر من شرقه إلى غربه ، ويقوم بدوره التاريخي في حاية المواصلات الامبراطورية ، وانهارت المحاولة الفاشية في مهدها ، وانهارت دعاوى إيطاليا ، ونظرية « البحر الإيطالي »

تلك قصة التنافس على سيادة البحر الأبيض المتوسط منذ العصر القديم ، وهي قصة ساهم المشرق في أحداثها بأعظم قسط ، فقد استطاعت الدول الإسلامية مدى عصور طويلة ، أن تحتفظ بسيادتها على جنبات هذا البحر التاريخي من الشام إلى الأندلس ، وأن تجعله ميدانا لاساطيلها الزاهرة ، وسرحا لبعوثها وبعثاتها البحرية المتوالية تخن في معظم شواطئه وتنوره ، وتستولي على معظم جزائره الكبرى ، وتقيم فيها امارات إسلامية صغيرة تسطع بفنونها وحضارتها في ظلمات العصور الوسطى وقد أثارت حوادث الحرب الأفريقية ، وافتتاح صقلية التي كانت دهرا مقر دولة إسلامية زاهرة ، هذه الذكريات المتأثرة عن تلك السيادة وتلك الغزوات التي غملا فراغا كبيرا في صحف التاريخ الإسلامي محمد عبد الله غنانه

— الحلم غطاء سائر ، والعقل حسام قاطع ، فاستر خذل خلقك بعلمك ، وقاتل هوالك بعقلك
« علي بن أبي طالب »

على أثر سقوط موسوليني

ليس الذكاء سبباً من الأسباب التي تجعل الأفراد للوهوبين يقومون ببناء مجد بلاد أو تهيئة أسباب سعادتها . وليست حدة الذهن بعامل ذي قيمة في تكوين « رجل الدولة » . إنما العبرة بالأخلاق ، وبها دون سواها . فالصبر وإنكار الذات والعمل على خدمة الغرض للفروض سواء أئال حقلوة في أعين الجماهير أو نال انتقادها - هذه هي الصفات التي تكون « رجل الدولة » . وهذه هي الصفات التي تتوفر بمن يتدب نفسه لخدمة الغير

والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول . فلم تغم الأديان والمبادئ الأدبية ، ولم تبين الامبراطوريات إلا على أساس متين من هذه الأخلاق

وأما هذه الصفات للزفة - استهوا ، الجماهير بالألفاظ وقيادتهم بكلم لا بحسن السكوت عليه أو سوقهم سوق الانعام بقدره حرية تنال نجاحاً ، فهذه أمور لا تلبث أن تتكشف على مر الأيام طالت هذه الأيام أم قصرت . وهذا شأن موسوليني

ولعله أفصح برهان يقيمه هذا العصر على نجاح للشعوبين ساعة وفشلهم أبداً الدهر قد جمع الرجل كل ما يمكن أن يجتمع في انسان من فحة ، ولست نسميها إقداماً أو جرأة . لأن هذين يكونان في مواقف الخطر والتعرض لشكبة في النفس أو في النفيس . وأما صاحبنا فقد كان يؤمن من كل هذا ، فلا نفيس عنده ، وأما النفس فقد كان يضن بها كلما بدا له خطر . وهكذا فعل عندما جند في الحرب الماضية . وهكذا فعل عندما مضت الفلشبة السوواء الى روما تعاتب ملكاً اشتمل رأسه شيئاً ووهن أعظمه

يحمل انه يقصر

يقول الدين عرفوا الرجل عن قرب معرفة لا يتسرب اليها الشك - ولا يقول الذين كتبوا عنه فان معظمهم تناوله إبان جيروته - إنه بدأ اشتراكياً متطرفاً يسعى الى قلب الانظمة التي كانت تحيط به . بل كان ثورياً يقاوم الجنديية سواء في بلاده أم في غيرها حتى أنه لامعت الحكومة الإيطالية في سنة ١٩١٢ بغزو طرابلس الغرب ، أقام في وجهها العراقيين ، وخرّب السكة الحديدية في البلد الذي كان فيه حتى يمنع نقل الجنود الى الشواطئ ودعا الحرب على طرابلس جنانية ، واتهم مغرمها بالصوصية . فلما أدانتها المحاكم هرب الى سويسرا ، ثم ما لبث أن عاد محرراً في جريدة غارقة في المبادئ الاشتراكية للتطرف

وشبت نار الحرب العظمى الأولى في سنة ١٩١٤ فكان أول أمره داعياً عليها بالويل وداعياً فومه الى الحياذ . ثم انهال عليه سيل المال عن يد سفير فرنسا في إيطاليا (مسيو بارير) وعن

يد الحزب الاشتراكي نفسه في باريس ، لما لبث أن انقلب داعية للحلفاء هيب بقومه أن ينكروا توقيعهم الحلف الثلاثي وينضموا الى فرنسا . وكان ذلك وجند . وقيل إنه أصيب بجرح لم يكن نتيجة قتال أو محاولة هجوم الى أن وضعت الحرب أوزارها

فلما كان انعقاد مؤتمر فرساي ، وكانت الكلمة العليا للرئيس ولسن لم يجذ المعاهدة السرية التي كان قد ارتبط بها الحلفاء - أي انجلترا وفرنسا - مع إيطاليا

ولم يشأ أن يحرم يوغوسلافيا من مطالب رآها حقة ولا تتفق مع المطالب الإيطالية فخرج ممثل إيطاليا من المؤتمر - وهذه غلطة تفوق الجريمة ولا يقدم عليها إلا صغار النفوس فاضطربت الاحوال في إيطاليا ، وهي دولة فقيرة ، لم توفى الى رجال يحسنون سياستها ، أو الى جيش ذى قيمة حربية ، فكان جل رأسها ملكا من آلة الدست عنده أن يحرك رأسه في حالة إغواء ودعاوى طويلة عريضة يصحب بها الرجال الذين احترقوا السياسة . خلا الجو للشويعيين ، وخاف أصحاب المصانع والمصارف والاطيان على كيانتهم . فأين لهم رجل مثل موسوليني ، من عامة الشعب يفهم عقيلة العامة . جرى على الحق أو بالحق كيفما يحى . وماهى إلا عشية وضحاها حتى ترك الجريدة الاشتراكية أو تركته ، وأنشأ جريدة له من مال كبار الملاك المشار اليهم كما يقول العاملون بدخائل السياسة الإيطالية ، فكانت الفاشية . وهي في أصلها خوف من القوضى أو من الشويعية . ودعوة الى النظام تأخذ به الفولة . فهي تستهوى الناس لصحة بعض مبادئها أولا ، ولخطبتها عقول القوم وعواظهم وقد ابتلوا بالتفلفل في كل شيء وخافوا أن ينحسروا الى الهاوية . فطالقت الدعوة آذاناً مفضية من فريق كبير في الامة الإيطالية ونجحت في أوائل أيامها لاختها بأسباب القضاء على القوضى وتثبيت دعائم الاستقرار في إيطاليا

ولكن موسوليني - وقد رأى سهولة امتلاكه ناصية الحكم باستسلام العرش استسلاما رخيصاً وخضوع العامة للحكومة مهما كان شكلها - لما لبث أن انتهزها فرصة سانحة ، فثبت أقدامه بتثبيت أقدام الانصار والأقارب وابعاد المنافسين والأعداء الأقوياء بشق الوسائل البكافيلية فلما استتب له الأمر وأخضع الامة لصبيان الفاشية في الطرق وفي المدارس بوسيلة معبدة الطريق منذ القدم ، وهي نفخ روح القومية وإعلاء ذكر روما القديم والتغنى بأعجادها ، كأن إيطاليا تنحوى رجلا واحداً من أصل روماني ، أو كأنها لم تنسد الأجيال المتعاقبة على سقوط روما من استبداد وتحكم اجنبي كل ما في هذا الدم من احمرار نق

نقول لما استتب له الأمر أخذ يهدد نفسه حتى يظل السيد للطاع أبداً . فبدأ ما دعاه دعائه إصلاحاً داخلياً . كفتح طرق واسعة وتخفيف مستقنعات ونحويلها الى مزارع قبح ، وبث روح النظام في السكك الحديدية وفي الفنادق ، لجعل كرامة الخدم في ألا يستجدوا ، وكرامة السكك الحديدية في أن تصل في ميعادها . وهذه الأساليب الإصلاحية ليست في الواقع ونفس الأمر الا ذرأ

لرماد في الميون. ذلك لانها تنصب على النافه من الامور وعلى مظاهرها الخلابة، وترك الجوهر جانباً هكذا فعل جميع الحكام بأمرهم العاجزين عن مواجهة الصعاب، فكانت حيلتهم في آفة الدسّ التحويل والدعاوى. وصاحبنا موسوليني كان له من ماضيه كصحن وكياسة لونه لون الحربا ومن علمه بأخلاق الجماهير ما جعله نابغة هذا الفن - فن التدجيل - ولم يكن مقتدياً بنابليون العظيم كما زعم له المخدوعون في أمره، وأنى له هذا. انما كان مقدماً بنابليون الثالث أحد صعايك الحكام بأمرهم وغليوم الثاني وبعض أمبراطرة الرومان في عهد اغتلاهم

فنابوليون الثالث الذي أخذ عرش فرنسا نهياً واختلاسا، بدأ يجعل باريز ورشق الطرق ويوسع فيها ويبني دور الموسيقى حتى ظن الدين يفرم سرور الضفادع وانتفاخها، ان هذه العظمة في الأمور الفنية لا تضاهيها إلا العظمة السياسية والحربية. فقاده جهله وغروره الى حرب بالمكسيك وأخرى على النمسا ثم أخرى على ألمانيا جاءت بآخرته وآخرة الطلاب للزيف

وموسوليني هذا عند ما رأى نجاحه يتمشى خطوة فوق خطوة ورأى قيادة الايطاليين من السهولة بمكان ورأى رجال السياسة في انجلترا وفرنسا وألمانيا يحولونه محل الاجلال وذلك عن دهاء، أخذته العزة بالانتم فصار يحلم بأنه فيصير حقيق

وليس من شيء أدل على غفلته من أنه - وهذه ألف ياء السياسة الايطالية - سمح لألمانيا ان تحتاج النمسا مع علمه بأن مجرد وقوع الأمر يجعل إيطاليا دولة تحتلها ألمانيا. ولماذا؟

لأنهم حسنوا له فزع الحبشة وحسنوا له بناء الامبراطوريات فجاز الأمر عليه ولو تبصر لحظة لعلم ان الشعب الايطالي غير ناضج نفسياً سياسياً بعد. وانه بعيد عن تخلفه بأخلاق الممارين المجاهدين فكيف تبني الامبراطوريات على أكتاف أمثال هؤلاء. ثم نحدي سلطان البحر على أنه عرضة لكل هجوم بحري. وكانت خاتمة سخافاته ان طعن فرنسا من خلفها، ظناً منه ان انجلترا شاخت وهرمت وان الصيد أصبح كثيراً فلا يدري ما يصيد

هذا على الرغم من ان شريكه هتلر لم يطلب منه مشاركة في حرب قد كان يؤثر إيطاليا بحايده عنها محاربة لأسباب عديدة ولـكن هذا الغرور ابن الحداد ظن ان حفظه الذي سهل له أسباب النجاح على ظهور الايطاليين سيفل موانياً وأنه سيكون في عداد الفائحين الظافرين وليس للمقام الآن مقام تعداد ما أصاب إيطاليا بعد ذلك فقد ظلت تنقل من نكبة الى أخرى ومن فضيحة الى مهزلة حتى انكشفت عن ناقة هزيلة عجوز لا تصلح للنحر ولا للدر

حكم التاريخ

ان أسمى حكم صدره التاريخ سيكون على هذا الرجل موسوليني وزمرته دغ عنك أحكام عاكم الخلفاء ان انقضت. فقد كان في يده اجماع من قواد الجيش ومن أمراء البحر بأن تأهيم لم يبلغ ذروته وأنهم تنقسم الطائرات أيضاً.. وكان في علمه ان إيطاليا ينقصها الفحم والحديد.

فكيف يمكن ان تخارب أو تفوز في حرب وهي كما قدمنا . ولكنه اتكل على فوز ألمانيا الحري
وعلى تهويله الكلامي . فخر إيطاليا وأرجعها قروناً الى الوراء

فإذا قال قائل من دعاة إنه أصلح في أمور إيطاليا الداخلية ما كان قد أفسده الإهمال الإيطالي
والحكم الإيطالي السابق أجبنا أن الأمر غير صحيح . لأن هذا الإصلاح للهجوم لم يكن ذا فائدة
بل عاد على الشعب بفلاء العيشة وبكثير الضرائب وكل ذلك في سبيل ما كان يظنه «مجداً» . فإن
زرع القمح في أرض بور بعد استصلاح هذه الأرض عاد بنفقات باهظة على الخزنة ثم إن هذا
القمح الإيطالي كان أغلى من القمح الكندي الذي كان يشتريه الإيطاليون . فالعملية خطأ
اقتصادي محض ولكن روح القومية اذا نفخ فيها للشعوزون تهب وتحرق الأخضر واليابس
وهي هي نفسها التي أثارها حتى يجعل من بلد زراعي جبلي بلداً صناعياً على حين ينقصه الحديد
والقمح والمواد الأولية

وأما هذا النظام اللوث الذي فرضه على ادارة السكة الحديدية أو على ادارة السفن أو ادارة
الفنادق فلم يكن ليساوي هذه الضرائب التي زادها وأحنى لها ظهور الإيطاليين وكل هذا في سبيل
اتفاق لا حد له - اتفاق على مرتبات العائلة المالكة بكل أفرادها وعلى الموظفين الفاسدين وفساد في
الادارة الحكومية حل محل الفساد السابق باعطاء آلة الحكم للاقارب والاصهار والانصار

فما أجدى « الإصلاح » في الفنادق وفي عطبات السكة الحديدية عن رجوع الإيطاليين الى
سابق عهدهم بالفوضى الاخلاقية . وما هو الغرض من كل هذه السياسة الموسولونية

هو غرض واحد . أن يجعل الوم سيداً على عقول الإيطاليين حكاماً ومحكومين فيحملون
بامبراطورية وبأعجاد روما القديمة والبحار يتسلطون عليها وبالهوام يمتطونه ويملاين الحراب
يسددونها . وكل ذلك من فعل الفوتشي حتى اذا بدأ كابوس الحقيقة وبعد الحلم أفاق هذا الشعب
المسكين على بطون جائعة وأملاك ضائعة

هذا هو تاريخ موسوليني في قومه . وهذا هو أثره في المدمم والتخريب اللذين حلا بإيطاليا
وبقسم غير قليل من العالم . وسواء أكان معتقلاً أم أنه ذئب له في جرمه فالعاقبة واحدة .
إنه سقط سقوطاً توقعه كل من لا تأخذه زخارف الباطل وشعوذة السياسة بدعاويها . وإن الصحيح
مهما غلب على أمره لا يلبث أن يصح ذلك أن البشرية في سيرتها هذه القرون الطويلة كلها قد
تواضعت على شيء اسمه « الاخلاق » جعلته مثلاً أعلى ترى اليه . لأنها رأت المنفعة في التمسك
بهدي الاخلاق تفوق ما كانت عليه في جاهلية الفوضى . فأصبحت تؤمن وتسرك كما فاز الخلق
الرفيع على نجاح ومضيع

وأصبح الرأي العام - مهما قيل في نزوجه - يفرح لعمل ذي خلق متين ويستكر الصومسية

(البقية على صفحة ٥١٨)

الدكتاتوريون وموقف المسرحية منهم

بقلم الاستاذ زكي طلبات

المدير الفني للفرقة المصرية لتبثيل والموسيقى
ومفتش شؤون التبثيل بالمعروف

الدكتاتورية والدكتاتوريون من الألفاظ التي لها شأن في هذه الأيام، فلو كها الألسن وتلجج بها الصحف، بل إنها شغل الناس منذ أكثر من عشرين عاماً، أي منذ أن قامت « الفاشية » في إيطاليا . وعلى رأسها « موسوليني » ، والنازية في ألمانيا يحمل لواءها « هتلر » . وعلى الرغم من تصدع الفاشية بسقوط دكتاتورها فإن أثرها ما زال بادياً في صفحة الحرب القائمة ، أما النازية فما زالت في جبهتها يزجي دكتاتورهم جيوش الظلام تحت أعلام الصليب للمكوف . فالوضع الذي نضعه من أجله لم يتم فصولاً إذا قصرناه على دكتاتوري هذا الزمن لحسب، لأن التاريخ لم يحط بعد بكنهه الخفية فيها ، باعتبار أنها ما زالتا في مترك الضل . وقد دأب التاريخ على ألا يتكلم من شخص أو نظام من الأنظمة إلا بعد فوات حجة طويلة من الزمن . يمكن الدهن أثنائها من مطالعة هذه الأنظمة من كل جانب وبحيث ظروفها وملابساتها وتائجها

والتاريخ ، كما هو معلوم ، يسبق المسرحية التي تعالج شخصياته ، وهو من هذا النوع من المسرحية مصدر الإيعاء ، ومعين الخيلة ، ومقطع الحق لما يقوله المؤلف . بيد أن الليكتاتورية ليست بالأمر الجديد في تاريخ البشر ، فهي في جوهرها ومرماها قديمة قدم الانسانية ابتدعها الدهن البشرى فما ابتدعه من تنظيم شؤونه الاجتماعية وتديرأحواله وعلاقاته . وما الدكتاتوريون إلا نفر من الحكام الذين تركزت بين أيديهم السلطة المطلقة ، لعبوا أدوارهم في سياسة البشر على مسرح الحياة ، كما لعب غيورم من مستبدى الأباطرة والملوك والسلاطين والولاة وعنتهم ، ثم أسدل الستار عليهم فأصبحوا حديثاً بدم ، وقد طالت المسرحية حياة فئات من هؤلاء العتاة وتحدثت عنهم أعجب الاحديث وأطرفها . فكان لزاماً أن نتحدث أيضاً عن الدكتاتوريين باعتبار أنهم نفر من الصف الاول في التاريخ ، ولأن « الدكتاتورية » كما سبق القول ، ليست من مولدات هذا العصر ، إذ أنها في صيغتها اللفظية ومرامها الشكائية من مخلفات الدولة الرونية ومولدات « روما » القديمة ، روما الجمهورية ، نجحت في زمن أحاطت فيه أحداث خاصة بالحياة الرومانية بعد أن تمشى ملل من الحياة الديمقراطية الى الواعية الباطنة للمجتمع الروماني ، فكان

أن ابتدع هذا النظام من الحكم^(١) ، الذى انتهى بمصرع الدكتاتور يوليوس قيصر وقد يساورنا العجب - وقد اندثرت معالم هذه الدكتاتورية الرومانية ثم الامبراطورية ، ثم الملكية المستبدة عامة تحت ضربات معاول الثورة الفرنسية ، ثم قيام الحكم الديموقراطى بشعاره المعروف - كيف تأتي أن تكون رجعة الى الدكتاتورية بعد ذلك فى بعض ممالك أوروبا بعد انتهاء الحرب الماضية وأن تبقى قائمة الى الآن ! ! ولكنه عجب سرعان ما يتلاشى عند التأمل ، لأن الإنسانية دأبت على أن تعبد ما تحرق ثم تعود فتحرق ما تعبد ، وهى فى مزاجها ملول متحولة ذات بدوات ، وهى مشدودة على الرغم منها بأعراق الى الحكم الاستبدادى للطلق الذى ألقته قرونا عدة ، وواعيتها الباطنة تزخر بقدارات عنيفة متضاربة بين الماضى والحاضر ، وقد ينفلت واحد منها فتكون هذه التلكات والرجعات الى الاوتوقراطية الغاشمة

وبدورنا الآن نرجع الى صميم الموضوع بعد أن قدمناه بما فيه الكفاية ، لنقول إن المسرح ، وهو من مرآى الحياة فى كل عصر ، وقف بمسرحيات تاريخية من الدكتاتوريين مواقف لا يصعب على النقصى الاطلاع بها . ومن الملاحظ أن كتاب المسرحية التاريخية عامة ، مولعون يمت جبايرة التاريخ ، وكأنهم مسوقون الى هذا بدافع لاشعورى مأناه التشوف لارتداد المجهول ، وكشف السر عن الغامض فى هذه الشخصيات التاريخية التى تثير حولها التطلع الدائم والفضول الذى لا ينتهى ، وهم فى ذلك يجاوبون رغبات الجمهور بعد اشباع رغباتهم ، وهم يصدرون فيما يكتبون اما عن نسخ التاريخ بواقعيته ، أو حسبما تنبض به حساسيتهم ويحوله تأثرهم بحوادثه وفعاله أشخاصه ، ولهم فيما يكتبون أغراض متباينة ، وجهات نظر مختلفة ، ان انفتحت من حيث الحرص على تقوم الشخصية التاريخية - للرادتقديمها - النفوس التى ينفع فيها دفء الحياة وصدق الحقيقة ، فانها تختلف من حيث اتخاذ هذه الشخصية وسيلة للاستشهاد على ظاهرة اجتماعية عريقة فى حياة الشعوب ، أو اثبات حقيقة فلسفية ، أو اقتناص شاردة نفسية ، أو تعرية مستور مما تختلج به الواعية الباطنة للأفراد والشعوب . . الى غير ذلك

وتقصى مواقف المسرحية من الدكتاتوريين فى مختلف الزمان والمكان ، أمر يضيق به هذا البحث للعقيد بصفحات مرسومة . ونسوق لأقامة الحجة على ما نقول اتنا إذا أزمنا أن نتحدث عن كل مسرحية عالجت حياة « يوليوس قيصر » مثلا ، وهو واحد من الدكتاتوريين ، لأعوزنا الزمن فى التقصى ، ولضاق بالحديث كتاب بأسره يرصد لهذا الغرض من أجل هذا سنختار من الدكتاتوريين فى التاريخ القديم « يوليوس قيصر » فهو أعلام

(١) من المحقق ، على اختلاف الظان ، أن النظام الدكتاتورى قام فى روما الجمهورية حوالى عام ٥٠١ قبل الميلاد وكان T. Lucius Rubius أول من حمل لقب دكتاتور ، وقد تركزت بين يديه جميع السلطات التنفيذية والتنفيذية لينفذ من روما غزو جيوش الماطعات المتاخمة لها .

شأناً وأبداً صيتاً ، وفي التاريخ الحديث ندير الكلام حول « كرامويل » باعتبار أنه أول دكتور في هذا التاريخ ، لنتقل بعد ذلك الى جبهة الثورة الفرنسية وعتاتها ، مقدمين من المسرحيات أنفسها قيمة فنية وأدبية ، ثم نذيل هذا بمسرحية كتبها الدكتور « بينتو موسولين » عن الدكتور الامبراطور « نابليون بونابرت » الى غير ذلك

يوليوس قيصر ، وشكسبير

صاغ شكسبير هذه المسرحية حوالي عام ١٦٠١ ، أى في عهد الملكة اليبابا ، عهد للكلية للطلقة في إنجلترا . وإتانا تتجاوز عن ذكر مفاتيح هذه المسرحية من ناحية أنها تعالج مأساة ذهنية صفت برأس (برويس) من أجل مثل عليا يريد تحقيقها ، ومن حيث أنها درس في الأخلاق أبان أحسن إبانة عن أن الخير لا يأتي عن طريق الشر ، كما نعب سرعاً بما أورده للؤلأف خاصا بانهار الجمهورية في روما وقيام القيصرية ، وكيف تغلس جهود الأحرار العاملين على إبقاء جمهورية صورية أمام رغبة الشعب وإرادة الزمان

تتجاوز عن كل هذا لنطالع وجهة نظر شكسبير في الدكتور الفاع العظيم ...

من العجيب أن نرى شكسبير ينظر الى (قيصر) نظرة لا تتفق فحب وما أورده لانه من خير وإعجاب بهذا الرجل في رواياته الأخرى بل انها تختلف أيضاً عما سجله التاريخ والأخبار عنه من سمات العظمة النفسية والنبوغ الحربي

لقد رسمه شكسبير من زاوية نظر جديدة تبين هن صفار (قيصر) لا عن عظمته ، وتكشف عن هتاة الشخصية لا عن مجزاته الرفيعة ، وتبرز خيلاءه وغطرسته بل تألمه في غاطبة الناس . قد حرص على أن يقدمه متجرداً من البساطة الفنية ومن الزمات المادئات النافذات ، ومن الشجاعة التي لا تعلن عن نفسها . هو مقسم بين الخوف والخيلاء ، خوف من أن يظن الناس فيه أنه يخاف ، فهو يبالغ في إظهار شجاعته بالكلام ، وهو مؤمن بالخرافات ، وله أذن مشدودة الى مماع عبارات الاطراء والزلفى . بل ان شكسبير لم يتورع عن الاشارة الى مواطن الضعف والقصور الجسدى في خلقه الدكتور البطل . وهكذا نرى قيصرأ يبدو متعترأ في (عقد نفسية) تجعل منه كائناً يتجلى فيه (مركب النفس) على أروع حال ١١

والآن نساو : لم أراد شكسبير أن يرسم قيصر على هذه الصورة ؟

وهل تعد اظهار هذا الجانب الضعيف من شخصية البطل العظيم حتى يستقيم الفرض من مسرحيته (١) ، أو انه أى كل هذا ليرسم لنا قيصرأ متعترأ في ضعفه ، وهو ضعف منيت به الانسانية

(١) في هنا يقول الناقد الكبير « هدسون » : « ان سيالة هذه المسرحية ، لكن تهدف الى غرضها ، تنفى بأن يصور قيصر على ما أراده شكسبير ، وهو تصوير قد يخالف التاريخ ولكنه إنسان صميم ، منه

عامة ، ليقربه إلى أذهاننا على حقيقته العادية ، بعد أن جرده من كل ما يحمله بالعنصرية المنفردة التي قد تشارف الكمال الانساني في شخصية القائد والزعيم ؟؟

قد يكون هناك شيء من هذا وذاك ، ولكن مما لا شك فيه أن شكبير قوم شخصية (قيصر) على النحو الذي أراده باعتبار أن قيصر هذا كائن انساني له جانب التحول والضعف مهما سميت به مواهبه وأكبرته عظمائه . ومثل هذا الكائن مغلوب ولا شك على أمره . معها جاء الحظ بالسلطة المطلقة بين يديه ، معها أوتى الحكم بلا منازع ولا مراجع ، ومهما كانت غفته واصله رأيه ، لأن السلطة الواسعة من شأنها أن تولد أسباب العداوات ، وتفتن صاحبها من حيث يريد ولا يريد . وتورطه في الخطأ بعد الخطأ ، وفي هذا سخرية ١١

أوليفر كرامويل وفيككتور هيجو

ونجد بين ما خلفه (هوجو) من للمسرحيات^(١) واحدة تعالج حياة وجه من وجوه التاريخ الانجليزي ، لعب دوراً خطيراً في إنجلترا ، إذ أطاح برأس ملكه بعد أن ترغم الثورة وحاز لقب (الحامي) Protector وأتاه السلطان من كل جانب وتربع على قمة كل سلطة مع وجود البرلمان ، وهو صاحب هذه القوة العجيبة « إن البرلمان في حقيقته والملك في جيبه » ذلك هو أوليفر كرامويل^(٢)

وهو جوه من مريدى شكبير وتلاميذه وحامل لوائه الأول في الأدب الفرنسي ، نهج نهجه من حيث الصيغة الشكلية والخرج على وحدة الزمان والمكان ، والأخذ بمبدأ الانتقال بين السمو والوضاعة ، والجدد والسخرية في معالجة الموضوع وتصور الشخصيات . فلم يكن عجيباً ، وهو التبصير لا للتبصير ، أن يستلهم أيضاً من أستاذه وجهة نظره في معالجة بعض الشخصيات التاريخية لهذا ، نلمح في العين التي طالع بها هوجو شخصية كرامويل ، ومضات باهتة من نظرات عين العبقري شكبير ، بل تكاد زاويتا النظر تكونان من درجة واحدة مع الفارق البين في العمق والنفاذ إلى بواطن السرائر ، والقدرة على التنبؤ والتحليل النفسى التي هي من مميزات شكبير لم يقدم لنا (كرامويل) كما أجمعت المصادر التاريخية على تصويره ، بل طلعنا بكائن انساني فيه قليل من هذا وفيه كثير من غير هذا ، كائن معقد ، متعدد التواحي ، هو مجموعة أخلاط

الصورة التي تتراءى في عيون المتأمرين عليه ، ويجب أن يراها القارىء كما تتراءى في عيونهم وهناك آراء أخرى لنفر من كبار النقاد تدور حول هذه الظاهرة السببية في قوم شخصية قيصر على هذا النحو ، نتجاوز عن ذكرها لضيق المقام

(١) أهمها « الملك يلهو » و « هرماني » و « ماريون دي لورم » و « روى بلاس »

(٢) « أوليفر كرامويل » . . (١٥٩٩ - ١٦٠٨) حاض النظام الدستوري في إنجلترا وزعيم الثورة التي أطاحت برأس الملك شارل الأول وقد أثارت حياته وأعماله الكثير من اهتمام المؤرخين فوقفوا مواقف حائرة من شخصيته التي جمعت من التناقضات أغربها

متناقضة ، فهو للرأي ، وهو للزمن بالحرافات ، وهو للتعصب ، وهو الذى يحاور ضميره وبخاطبه ، وكأنما بالمؤلف يضرب على الأوتار الخفية لشخصية هذا الرجل في حياته الداخلية
ان هوجو يرى الدكتور الانجليزى من وشاحه المذهب وينزع عنه شارات البطولة ليرده رجلا عاديا ، وكأنى به يقول : « هذا هو كرامويل الذى يعيش مع نفسه » بل كأتى به يريد أن يصح أن هؤلاء المعتاه ، مع قيام السلطان بين أيديهم ، لا يستطيعون أن يقيموا على أنفسهم سلطانا من الرجولة الغفيفة الفاضلة التى قد يؤتاها شخص مغمور لا سلطان له ولا قدر بين أصحاب الجاه والمال . إنها لسخرية بعيدة وكفى ١١١

نابليون ورنارد شو

ويندفع (رنارد شو) الكاتب الانجليزى اللاذع في مضمار هذه السخرية محتطاً ظهر الدكتور الامبراطور العظيم « نابليون بوناپرت » فاذا هو يصوره لنا في مسرحية (رجل القدر) شخصاً موزعاً بين الحرافات والتنبؤات ، يعصف به الخوف وتنتابه الهواجس قد يكون هذا هو بوناپرت الرجل في أحد وجوه انسانيته ، ولكنه من غير شك هو غير بوناپرت مقتحم جسر (أركولا) وبطل (أوترلنز)
وقد تساءل : كيف تأتى أن رنارد شو تعتمد زاوية النظر هذه في تصوير بوناپرت ، ولماذا لم ينجح إلى غيرها ، ليصور العاهل الفرنسى في وجه من وجوه عظمته وبطولته ؟
والجواب على ما نعتقد في متناول القارىء . . . إن في هؤلاء الدكتوريين جانباً يغرى الكاتب الحر البعيد النظر بأن يستخرج منه فكاهة وسخرية ، وأن يقول : « ما كان أجدر بصاحب السلطان أن يصلح من أمر نفسه قبل أن يشرع سلطانه على المجتمع والتاريخ »
ويبدو لى أن في وجهة النظر هذه ما يراود أكثر كتاب المسرحية على الأخذ بها ، والأمثلة كثيرة ، فها هو الكاتب السرحى المعاصر (سان جورج - دى بوهليه) قد صاغ مسرحية عن لويس الرابع عشر سماها (الملك الشمس) قدم فيها الملك الفرنسى صاحب الكلمة للأثورة (الدولة هي أنا) في مدارج خور وضعف جسمانى ، إن صح للقارىء أن يستخرج منها تنقاً من مظاهر عظيمة ، وذلك في معالجة الأمور الصغيرة وفوضى البلاط وارتباكات العائلة ، فقد يطالع من ورائها دلائل ضعف وحيرة واضطراب قد تكون غير جذيرة بملك عظيم يعتبر غرماً لفرنسا
وقف المؤلف الفرنسى من ملكه الفرنسى ، هذا الموقف الذى يتهم صاحبه بالمروق في القومية ، لو لم يكن فرنسياً صاحب قدر في المجتمع الفرنسى المعاصر

دكتوريو الثورة الفرنسية

وتذهب هذه السخرية إلى أبعد من هذا لدى الكاتب الفرنسى (رومان رولان) الذى يحاول

بمسيراته أن يجعل من الثورة الفرنسية ملحمة انسانية صاخبة تؤرخ أكبر حادث في التاريخ الحديث . في مسرحياته (١٤ يوليو) و (دانتون) و (الاثاب) و (لحو الحب والموت) ترى شخصيات جيازة الثورة وأصحاب السلطان المطلق فيها في موكب تعلقوا برأياته نطاف من السماء . ترى كلامهم يلعب دوره ثم يستط تحت لفصلة التي نصبها لسابقه في السلطة المطلقة ، فاذا هو لحظة في ظل « الكيبتول » يذيه في جيروته وفي عظمته ، ثم هو بعد لحظة أخرى في قاع صخرة « ترايا » جنة هامدة . أي مصرع قاس أليم لحياة قصيرة مفعمة بجلال الأحداث ! وما هذه النار التي تلتهم موقديها ؟

يقرر « رومان رولان » أن الثورة تأكل رجالها وأن القوة الساحقة تمنح رجالها في النهاية ويدورنا نرى أن الثورة انما هي الا فورة من فورات الزمان يطلقها في ساعة يغلو له فيها القطع والبر وقلب الأوضاع وإرسال الأعاصير ، فهي والحالة هذه من الزمان أمر طارى . يزول سريعاً ، لتعقبه فترات طويلة من الهدوء والاستقرار والاعتدال والاتساق في العناصر . ومن للعلوم أن كل ما هو طارىء وسريع وصاخب ومضطرب وخارج على شرعة الاتساق مقضى عليه ، وسرعان ما يزول ، ولا يبقى منه الا آثار ترسم التطاول والتعاطم والتبطل ، وهذه كلها عناصر للسخرية في أكل معايبها

الدكتاتور (Le Dictateur)

والى القارىء مسرحية تعالج الدكتاتورية من جانب آخر ، لعلها من أطرف ما كتب عن موضوعنا حتى اليوم . في عام ١٩٢٦ أصدر الكاتب المسرحى الفرنسى الكبير « جول رومان » مسرحية جعل اسم الدكتاتور عنواناً لها ، أثارت حولها ضجة كبيرة لأن مسرح الكوميدي فرانسوي يباريس - وهو للمسرح الحكوى - اعتذر عن قبولها مع اعترافه بنفاسها الفنية والأدبية ، بدعى أن في المسرحية وعنوانها ما قد يشير لفظاً في الأحزاب السياسية الفرنسية المختلفة النزعات . فكان أن قدمها المخرج الكبير « لويس جوفيه » على مسرح « الشانزليزه » بباريس بنجاح كبير ، وتقبلها النقاد والجمهور في صمت وتأمل ، وذلك لأن موضوعها في لبابه لم يعرض لحياة شخص من الدكتاتوريين ، قدامى أو محدثين ، ولم يصف إلى أن يكون قذفاً في سلسة حزب من الأحزاب ، ديمقراطية كانت أو ذات نزعة فاشية . هي ليست بالمسرحية التاريخية ، وإنما قد تكون قصة للتاريخ نفسه ، إذ هو للوحى وللهم كتابتها

لم يحاول مؤلف هذه المسرحية أن يستخرج الفكاهة والسخرية بطريق معالجة نفس خلق في شخصية دكتاتور ما ، ولكنه عرض في خطوط إجمالية مركزة لما يذخر به المجتمع من آراء وعوامل واغلاقات ازاء النظم الحكومية القائمة قبيل هذه الحرب

بطل للسرحة رئيس حكومة ما ، وله رسوخ في الإصلاح الاجتماعي يخالطه عرق يفيض بالثورة على كل وضع اجتماعي قاسد ، فهو متبرم بنظام الحكم الذي بين يديه ، يعمل على تبديل أوضاعه . ولكن يحدث ، بعد أن يتمرس بأزمات طارئة وأحداث وهو في كرسي الرئاسة ، أن يتقلب مدافعاً عن هذا النظام الحكومي القائم ، يلود عنه في عزم شديد ، معلياً كلمته فوق كل صوت ، جازماً في الأمور بلا تردد ، ضارباً على أيدي المتراخين وللتشاكين من أصحابه وأعدائه ويجري هذا التطور على بطل السرحة في منطق سليم يؤازره عمق في التحليل والتفويض النفسي ، وتظاهره قدرة على رد مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية الى حقائق فلسفية وصن كونيّة . وسرعان ما يبدو غرض السرحة واضحاً خلال مشاهدتها التي تقدم صوراً من الأساة التي يكابدها رئيس حكومة خائفة في تكوينها للنظام الديموقراطي

والغرض الذي يرى اليه المؤلف يتلخص في أنه لا غنى لكل أمة عن أن يتولى شؤونها زعيم في معناه الكامل ، يكون للزعامة الحكومية والفكرية والسياسية من غير قسوط أو تراخ ، يصرف أمورها في حزم شديد وجزم ، دون أن يبالى بالاختلافات الحزبية والتزوات الشخصية فكأننا بالمؤلف يلوح بأن فساد أى نظام من أنظمة الحكم إنما يرجع الى ضعف القائمين به والبطورين عليه أكثر مما يرجع الى النظام نفسه ، وإصلاح هذه الحال إنما يكون أولاً باختيار أصليح من يقوم على هذا النظام ويصرف أموره ، لا بتقوضه النظام واستبداله بغيره ، يكون بأن يحس القائم عليه بأنه الرأس الحرك ، فيكون الزعيم أولاً وأخيراً في كل شيء ، من غير أن ينحرف عن طبيعة نظام الحكم نفسه ، أي كان هذا النظام ، وعليه فلنحضر قلب الأوضاع القائمة قبل أن تراجع أنفسنا ومن يهمن عليها

وههنا يكون للمؤلف قد نال من النزعة الفاشية التي كانت مغلفة في بعض الأحزاب الفرنسية قبل الحرب الحاضرة ، وكانت تنادى بقيام حكومة أوطوقراطية على أساس الجمهورية الفرنسية ، بعد أن فسد نظامها الديموقراطي بضاد القائمين عليه . وبهذا يكون للمؤلف أيضاً قد ناهض الحكم الدكتاتوري بسلاح أحد من سلاح التعبير بأبطاله

نابليون وموسولينى

وفي عام ١٩٣٥ أصدر الدكتاتور « موسولينى » مسرحية عن الدكتاتور والامبراطور (يونارت) ممها (المائى يوم) قدم فيها حاكم فرنسا للطلق بعض ثورتها للحرية والساواة والاخاء ، قدمه أثناء المائة يوم التي بدأت بأسره في جزيرة « البا » وانتهت بهزيمته في معركة (واترلو) ثم أسره الأخير

والرواية طريفة من حيث أن كاتبها فيه الكثير من طباع للكتوب عنه ، فهما يكادان يكونان - على العار في النبوغ - من معدن واحد . وقد انتقد موسولينى في مسرحيته هذه نظام الحكم

الديموقراطي وصورعيوبه ، وسجل احتقار « بونابرت » له في عبارات قاطعة أجراها على لسانه ، ولم يتورع عن أن ينتزع عن « بونابرت » رعوته الفرنسية وينسبها الى ايطاليا ، باعتبار أن كوريسكا مسقط رأسه من أعمال الامبراطورية الرومانية التي كان يحلم موسوليني بتشيدتها وهذه المسرحية ، على ما بها من دقة في الصور والصور ، لا يمكن أن تنزهها عن التشيع والفسابة ، وهاتان صفتان يتزمان عنها طابع الصدق والاعتدال ، والحكم العائب

وما دمنافي ذكر هذا النوع من المسرحيات للثمة ، فالتا تقول ان هنالك عشرات منها ظهرت في السنوات الأخيرة ، بعضها يحاليء أنظمة قاعمة أو يناهضها ، يدعو لها أو يخفف من شأنها ، ومثل هذه الروايات لا يؤبه لها في عالم الادب والفن الخالص الذي يجب أن ينتزه عن النزعات الشخصية والتأثرات القومية

بعد هذا يتضح لنا موقف المسرحية من الديكتاتورين صريحاً لا يقبل التأويل . وقد يقف البعض مفكراً من هذا الموقف متسائلاً عن أسبابه ، لاسيما وأن من بين هؤلاء الديكتاتورين من هو جدير بالاعتبار والتعظيم ، على ما قد يكون به من نفس أو هنات قلما ينتزه عنها الانسان !

زكي طليمات

على أثر سقوط موسوليني

(بقية للنزور على صفحة ٥١٥)

الاجتماعية . فكان رجال السياسة مهما ساءت بينهم يظهرون في لباس من الاخلاق جميل ، حتى يرضوا هذه العاطفة الكامنة في الشعوب . لما كان أحدهم يحمر أن يقول كذباً صراحة أو يلتوى وينافق بوقاحة وبلا عذر . حتى جاء مشعوذو هذه الايام من الحكم بأمرهم فصار الكذب مبدأ وطريقاً للسير . وصارت المجاهرة بقول في ساحة علنية ، والعمل على خلافه في غرفة ضيقة مظلمة قاعدة يفتخر بها . وصار الكذب أسلوباً لا ينجب منه . فهل تعيش مبادئ مثل هذه ؟ انها قد تنزو بعض العفول الضعيفة بعض الوقت . وقد يظن أنها فزت ونالت من خصومها في بعض الاحايين . ثم تنظر فإذا بها وبأصحابها في الخضم

واتنا لا نزال ننتظر اليوم الذي تهدر فيه البشرية الرئيس ولنسحق قدره

فقد ظلم الرجل وكان قومه أكبر ظالميه لأنه جاءهم قبل الاوان

وهكذا فعل الناس بالانبياء من قبل

« سي ... ج »

العالم ينظم لغة واحدة

للأستاذ تقولا حداد

وردت في ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٣ برقية بأن الحلفاء يدرسون مشروعاً لجعل اللغة الانكليزية لغة العالم ، ووسيلة الاتصال الدولي والتفاهم بين الشعوب ذلك أن التفاهم بين جميع الامم يقتضى أن تجعل له لغة واحدة ، والا يبقى تعدد لغاته مرفقاً ومناقضاً للمبادئ الاقتصادية

لماذا نعرّض اللغات

لولا وقاحة قبائل نوح التي أقامت في أرض شنعار مدينة وبرجا رأسه في السماء لكي يصنعوا لانفسهم اسماً ولكيلا يتبددوا على وجه الارض، لبقيت للجنس البشرى لغة واحدة كما كان ، لان الرب لما علم بعزم قبائل نوح هذا قال : « هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم . وهذا ابتداءهم بالعمل . والآن لا يمنع عنهم كل ما ينوون أن يعملوا . فلم تنزل ونبيل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك عن كل وجه الارض . فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعى اسمها بابل » (انظر الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين في التوراة)

فبحسب هذه الاسطورة كانت جسارة بنى نوح في أن يتطاولوا الى السماء ، ويطلوعوا على أسرارها بواسطة برج رأسه في السماء ، سبب بنبلة ألسنة البشر وتشتتهم في الارض ، كما أن أكل حواء وآدم من ثمرة معرفة الخير والشر في عدن ، هوى بالجنس البشرى من الفردوس الى الارض

ومفاد هذه الاسطورة أن القبائل تشتت لان لغتهم تنوعت . ولكن الحقيقة الاجتماعية والاتولوجية تناقض هذه الاسطورة ، فإن اللغات تنوعت لان القبائل تشتت ، ولم يكن الاتصال بينها سهلاً كما هو الآن . ولو حدث هذا اليوم ، وجميع وسائل الاتصال موفورة ميسرة ، لبقيت لغتها واحدة على الرغم من تبيتها وتفرقها ، لان التباعد المكاني لم يبق سبباً لانقطاع الصلات بين الشعوب كما كان في قديم الزمان ، ولان وسائل الاتصال لم تعد تعباً بالمسافات ، فاللاسلكى والراديو والسينما والطباعة والطائرات جعلت جميع الشعوب كأنهم متجمعون في أرض شنعار كما اجتمع بنو نوح . فيجب إذن أن يكون لهم لسان واحد ، والا فلا انتفاع لهم من هذا التقارب . ولا داعى الآن للبحث في هل يجب أن

يكون للعالم الآن لغة واحدة أو لا ، فهذا الموضوع أصبح مفروغا منه ، وصار موضوع البحث : أية اللغات ينبغي أن تكون لغة العالم ؟

اللغات العالمية

ان الشعور بوجود تعميم لغة واحدة لجميع الأمم المتحضرة قديم منذ شرعت الأمم القوية تنشئ إمبراطوريات . والامر الطبعي هو أن لغة الأمة الفاتحة تغلب على لغة الأمة المفتوحة ، الا اذا كانت الفاتحة أحط حضارة من المفتوحة كما حدث حين غزت أمة القوط مملكة روم.

فمنذ زمن اسكندر الكبير كانت اللغة اليونانية منتشرة في البلاد المحيطة بشرقى البحر المتوسط الى حدود فارس وإلى مصر أيضا . ثم نافستها اللغة اللاتينية بقدر اتساع الامبراطورية الرومانية ، فكانت لغة العالم المتمدن في مدة حياة هذه الامبراطورية وبعد حياتها بزمن طويل . وبقيت لغة الكنيسة الكاثوليكية حتى اليوم .

ثم فشت اللغة العربية مع الفتح الاسلامي ، فانتشرت في كل ما يحيط بالبحر المتوسط . وبقيت لغة العالم المتمدن الى أن شرع الغرب ينهض من كبوته في القرون الوسطى المظلمة ولم تزل اللاتينية الى اليوم المورد المذهب للغة العلم والسياسة والتشريع ، لانه كلما احتاج العلماء والسياسة والمشرعون الى لفظ لمعنى مشجد رجعوا الى اللاتينية يشتقون منها اللفظ المراد ، ولا سيما لأن لغات أوروبا متفرعة منها ومن اليونانية أيضا .

ولعل استعمالها في هذه الوجوه كان سبب طلاوتها أو أن طلاوتها كانت سبب استعمالها في هذه الوجوه . أو لعل كلا الأمرين مما كانا بالتأثر سببا نازعا ونتيجة أخرى ، أى أنهما تعاونتا في انتشارها وطلاوتها .

وكانت في عصرها أليق اللغات للتمميم والانتشار وخير وسط للعلم لما فيها من مزايا موموقة . فهي وجيزة البارة أى أن التعبير بها عن المعنى وجيز يطابق المعنى ويخلو من اللبس . واللفظ فيها صريح ، والنطق واضح والتهجئة مطابقة للفظ . ولم يكن فيها من عيب سوى أن قواعد النحوية معقدة .

وكانت لسان رجال الحرب والقضاء والمحامين والحطباء . وبالأجمال كانت أداة التعبير العمل . وقبلما كانت لغة العواطف والشعر والادب ، حتى قيل انها لغة الذكور لا لغة الاناث . ثم ماتت على تقادى الزمان ، فلم تبق لغة الكلام ، ولكنها بقيت لغة القلم الى عهد غير بعيد ، وهي الى اليوم لغة الفاتيكان كما يقال .

وخلفت اللاتينية اللغة الفرنسية ولا سيما في السياسة الدولية حتى غدت لغة السياسة الرسمية في القرن الماضي الى اليوم . وكانت للرسالات الدينية الكاثوليكية اليد الطولى في انتشارها في كل مكان يقوم فيه نفوذ فرنسا .

ثم قامت الانكليزية تراهما في مضمار التسوع حتى غلبتها اذ أصبح التكلمون بها أكثر

عددا من متكلمي أية لغة أخرى ، وصارت في القرن الاخير لغة المعاملات التجارية ونحوها .
ويمكنك أن تقول انه ما من بلد في الدنيا خلا من أفراد أو جماعات يتكلمونها . وربما كانت
لهذا السبب أحق من غيرها بالتعميم

اللغة المفترضة

على أن انتشار اللغة وكثرة المتكلمين بها لا يحل مشكلة اختيار لغة واحدة للعالم .
بل لا بد أن يكون للغة ، الى جانب مزية ذيوها ، مزايا أخرى تجعلها صالحة للتعميم أو
أصلح من سواها له ، كسهولة التعبير وسهولة الحفظ والمرونة والوضوح الى غير ذلك
من الاعتبارات ناهيك عن رضى جميع الأمم بها لغة عالمية . وهذا الاعتبار الاخير هو العقدة
الصعبة الحل ، لأن هناك لغات كثيرة ذات مزايا كمزايا الانكليزية جديرة مثلاً بالتعميم
كالفرنسية والالمانية والروسية والعربية حتى الصينية واليابانية اذا كانت المسألة مسألة عدد
متكلمين . فكل واحدة من هذه اللغات تعرض صدرها وتقدم لتتولى السيادة اللغوية على
العالم

ولعل الحلفاء - وكلهم تقريباً أصحاب اللغة الانكليزية - يريدون أن يفرضوا لغتهم
فرضاً على الأمم متى تم لهم النصر . فهذا الفرض الالزامي لا يضمن سيادتها الا بقدر
ما تقتضيه مصالح الأمم الاضطرابية . ولذلك لا بد أن تبقى لغات أخرى تزعجها . وقد
تفقد هذه السيادة بتطور الحوادث

وفي اللغة الانكليزية عيوب تقف في سبيل تميمها بل تنفر منها . فمع أن نحوها
بسيط قليل التعقيد الا أن عيبها الاكبر في قبول الذاكرة لمفرداتها . عليك أن تحفظ في
حافظتك لكل كلمة مضافاً ونطقها ونهجتها ، لانه ليس بين النطق والتهجئة تطابق ،
وليس ثمة قاعدة لقراءتها ، فلي القارئ أن يعود الى المحجم في قراءة كل لفظة لم يسمعها
من قبل حتى ولو كان ابن اللغة نفسها . وهذه صعوبة عظيمة في حفظها يعرفها ذوو اللغة
انفسهم . ولهذا لا تجد مصجماً للانكليزية خالفاً من ضبط النطق لكل كلمة الى جنبها .
ولضبط النطق شبه غاذج في أسفل كل صفحة . وكان تودور روزفلت رئيس الولايات
المتحدة في العقد الاول من هذا القرن قد اقترح أن تهمل التهجئة الجارية ، وأن تقوم
مقامها التهجئة الضابطة لها . فلم يعبأ الجمهور باقتراحه

في اختيار الانكليزية لغة عالمية منفعة لاهلها فقط ، اذ يعيهم من تعلم لغات أخرى
لقضاء المعاملات الاجنبية . ولكن أكثر سكان الكرة الارضية يضطر الى أن يتعلم الانكليزية
الى جانب لغته الوطنية ، ومع ذلك لا يستطيع أن يتقنها قراءة وكتابة مهما عانى في دراستها
واحتمل عناء صعوبتها

كل هذه الاسباب تقضى بأن تكون لغة العالم لغة جديدة ليست من لغاته الحالية ،
قاولا لا يبقى وجه لتنافس اللغات في احراز هذه السيادة ، ولا داعي للغيرة والحسد بين

ذوى اللغات الأخرى . وثانياً لكي يمكن أن تكون اللغة الجديدة خالية من كل صعوبة في التعبير والنطق والتهجئة . وثالثاً يمكن أن تكون صريحة في التعبير لا التباس فيها ولا ابهام . ورابعاً أن تكون لائقة للتعبير عن كل معنى وفكر طراً على العقل البشري أو سيطراً عليه من غير صعوبة في الفهم ، أى أن تكون مرنة مطاوعة تحت الألفاظ الجديدة للمعاني الجديدة

وقد تصدى غير واحد لوضع لغة تستوفي هذه الشروط بحيث يكون لكل معنى لفظ خاص به ، ولكل لفظ معنى واحد خاص بها . أى أن تكون الألفاظ على قدر المعاني لا تزيد ولا تنقص ولا يكون ثمة ألفاظ غير لازمة ولا معان محرومة من الألفاظ ، وأن تكون الألفاظ سهلة النطق ، والتهجئة والنطق متطابقين ، فإذا عرف الشخص نطق كل حرف استطاع أن يقرأ ويلفظ صحيحاً من تلقاء نفسه ، واستطاع أن يكتب ما يسمع من غير أن يخطئ . في التهجئة ، وأن تكون قواعد النحو أبسط ما يمكن أن تكون وخالية من الشواذ والاستثناء ونحو ذلك

الاسبرانتو : مزايها وزيورها

ويقال انه وضع نحو ٢٠٠ أسلوب للغة كهذه فلم يشتهر منها الا لفتان : لغة فولابوك

Volapuk ولغة اسبرنتو Esperanto

اخترع لغة فولابوك المطران النمساوى ف. شليز Rev. F. Schleyer سنة ١٨٨٠ . وقد انتقى نحو ٤٠ بالمائة من ألفاظها من اللغة الانكليزية والباقي من اللغات الأخرى . وثالثاً قواعد الصرف والاعراب التي اصطنعها لها أنسدت ألفاظها فأبدعتها عن أصولها . ولكن نجحت هذه اللغة في أول الأمر إلى أن بلغ منطمورها نحو مليون شخص ، حتى أنه كان لها في ذلك الزمن أنصار وطلاب في بيروت يدرسونها ويقرأونها . وقد عقد لها ثلاثة مؤتمرات لتتقيحها إلى أن تغير اسمها أخيراً هكذا Idium Neutral

ثم ظهرت الاسبرنتو سنة ١٨٨٧ فحازت الأسبقية ، وبقيت إلى الآن على سنة تنازع البقاء وبقاء الانسب

اخترع الاسبرنتو الدكتور ل. ل. زامنهوف L.L. Zamenhof واليك بعض ما قالته فيها دائرة المعارف البريطانية في طبعة سنة ١٩٢٩ : « هي لغة محايدة ، أى أنها لا تنتمي إلى شعب أو أمة . شعوية في عناصرها ، أى أنها مأخوذة من مختلف اللغات . منطقية في نظامها وقواعد صرفها ونحوها وتركيب ألفاظها . رنانة اللفظ لطيفته . يمكن أن تحفظ نحوها في نصف ساعة . لا شواذ في قواعدها . والتهجئة مطابقة للفظ . وقاموسها صغير (مستوف) مع ذلك لها طبيعة الأدب الجميل ، والضبط والدقة في التعبير ، مرنة مطاوعة ، قابلة للنمو والتوسع حسب ما يستجد من التصورات والمعاني والأغراض والأشياء . إلى سنة ١٩٢٩ (سنة صدور الدائرة) كان فيها ٤٠٠ مؤلف أو مترجم ومنها التورات .

وانتشر الادب فيها بسرعة . الى ذلك الحين كانت مائة مجلة وجريدة تصدر فيها بانتظام
 ونشرت عصبة الامم مذكرة عنها مستخرجة من التقارير التي وردت اليها من جميع
 انحاء العالم عن انتشارها وتعليمها في المدارس . كانت غرفة باريس التجارية ومجلس
 كوتى اف لندن يعلمان الاسيرتو في مدارسهما التجارية . وغرفة لندن التجارية كانت
 تمنح الطلاب بالاسيرتو

وفي سنة ١٩٢٥ اعترف الاتحاد التلغرافي بالاسيرتو كلغة رسمية واضحة *Clearing*
language أى كان يقبل رسائل تلغرافية بها . وفي سنة ١٩٢٧ أوصى اتحاد الراديو الدولى
 محطات الاذاعة أن تقبل الاذاعات بها . وفي ذلك العام كانت ٤٤ محطة تستعملها
 الى عام ١٩٢٩ عقد لها عشرون مؤتمرا سنويا كان يحضرها بين ألف وأربعة آلاف
 عضو

وفي سنة ١٩٠٧ أصدر كوتورات وبوفررت تنقيحا للاسيرتو دعوه الاسيرتو المبسطة
 باسم ايدو *Ido* أى « المولود » بحيث صارت ذات بناء علمى ووضع طبعى . فحذفنا منها
 الحروف التي تختلف فيها نبرات الصوت واصلحنا بعض النحوت والفروقات وغير ذلك
 مما يلبس بالاسماء . وتصدى آخرون لزيادة التنقيح فيها .

تصور لغة سهلة كهذه منتشرة في كل العالم بحيث انك حينما ذهبت وجدت الناس
 يفهمونك وتفهمهم بغير عناء . ولست مضطرا الى أن تتعلم غير هذه اللغة الى جنب لغتك
 لكى تفهم العالم كله . تصور انك لست مضطرا الى أن تتعلم الانكليزية لكى تعلم
 انكلترا واميركا ولا الفرنسية لكى تسوح في فرنسا ولا الالمانية لكى تجول في المانيا .
 تصور انك لست مضطرا أن تتعلم لغات اجنية عديدة لكى تتلقف العلم من منابعه ~
 تصور كم تكون حينئذ المعاملات ميسرة والحياة سهلة فليلا المشاق !
 هذا التصور يحفزك الى تأييد هذا المشروع الجليل الذى أصبح لازما للعالم لزوم
 البهيم له . وقد يكون من جملة اسباب تثبيت قواعد السلام العام

تقولا حداد



بشائر العبقرية في الطفولة

العباقرة لئلا ، ولكن العبقرية كثيرة . ذلك أن كثيرا من أوتوا ملكات الذكاء والنبوغ ، لم تتح لهم الفرصة الملائمة لابتداء مواهبهم وتنشيتها واستثمارها . ومرجع الخطأ في هذا ، في غالب الامر ، الى الآباء والمربين الذين يعجزون عن تبيين سمات العبقرية في أبنائهم وتلاميذهم ، فيهلون ملكاتهم تذبذب وتلوي ، بدلا من أن يعمدوها بما يذكها وتنشيتها

ولهذا كان من واجب الآباء والمربين والمدرسين أن يدرسوا العظام والعباقرة في أدوار حياتهم الأولى ، ليتبينوا ما امتازت به من بشائر العبقرية ويواظبوا . فإذا وجدوا ما يشبهها في أبنائهم وتلاميذهم عنوا بتوجيههم الى حيث تؤتي ملكاتهم ثمارها والواقع أن العبقرية ، وإن كانت غير معدودة ولا مفهومة ، إلا أن لها بشائر تبدو في سن الطفولة . وأغلب من أنجب العالم من عظام وعظيمات يشابهون تشابها كبيرا في حياتهم الأولى من حيث الميل ، والنشاط ، والقراءة ، والثقة ، والانتاج ، واختيار الأصدقاء والمعارف ، والحياة المدرسية

وقد رأيت « كاترين موريس كوكس » في فصل من فصول كتابها عن العبقرية أن تعرض هذه السمات التي تشر بالعبقرية في سن الطفولة كما تجت في نغم من عظام العالم رجالا ونساء

١ - اسحق نيوتون : مكتشف نظرية الجاذبية الذي تقدر قوته العقلية بمائة ومبعمين درجة (بالقياس الى القوة العقلية المتوسطة وقدرها مائة درجة) ، كان يميل منذ سنه الأولى الى دراسة المسائل الميكانيكية والى صنع بعض الآلات ، فصنع ساعة مائية ، وطاحونة هوائية ، وعربة ذات محرك يسيرها . وكان صيدا هادئا ، ينصرف أكثر وقته الى القراءة والدراسة ، وكذلك كان يقرض الشعر . وقد نظم لأقرانه الصبيان بعض الألعاب التي ابتكرها . أما في مدرسته فكان تلميذا عاديا ، بل كان في بعض الأحيان متأخرا عن أقرانه ، لأنه كان منصرفا الى قراءته وميوله الخاصة . ولكن نفورا وقع بينه وبين أحد زملائه دفعه الى أن يجد ليتفوق عليه ، وكانت النتيجة أن تفوق على جميع تلاميذ المدرسة بعد أن بذل في ذلك مجهودا شاقا . وكان نيوتون يؤثر صداقة البنات على صداقة الصبيان ، وقد أحب وهو في سن الرابعة عشرة صبية صغيرة ، وأراد أن يتزوجها حينذاك

٢ - جون ستوارت ميل : الفيلسوف الاقتصادي ، الذي بلغت قوته العقلية رقما قياسيا اذ قدرت بمائة ومبعمين درجة . بدأ دراسة اللغة الاغريقية وهو في سن الثالثة ، ثم راح يتعلم اللغة اللاتينية وما زال في الثامنة . وكان يبدو أنضج وأقل من أقرانه في السن ، فلم يكن يصاحب الا من يكبرونه سنا . وكان يناقش أباه كل يوم ، وما زال في الثانية

عشرة من عمره ، في مسائل المنطق والفلسفة . وبعد ذلك بعلم واحد درس عقرا كاملا في مادة الاقتصاد السياسي . وأعجب من ذلك كله أن تاريخ روما الذي كتبه وله من العمر ست سنوات فحسب يعد من الكتب المعتمدة في هذا الموضوع . بل انه استطاع قبل ذلك بسنة ، أى عند ما كان في الخامسة ، أن يتحدث الى ليدى سبنسر زوج وزير البحرية حينذاك مقارنا بين مارلبرو ولولنجتون في منطلق مرتب وتفكير بديع . ولكن أقوى ملكات الصبي بدت في دراسة المنطق ، وفي قدرته على نقد الاسس التي يقوم عليها علم الجبر

٣ - موزار الموسيقى : الذي بلغت قوته العقلية مائة وخمسا وخمسين درجة . طبع أول أعماله الموسيقية قبل أن يجاوز سبعة أعوام . وعند ما كان في العاشرة أنشأ قصة بديعة عن مملكة خيالية يتولى فيها منصب الملك . وقد أخرجت أولى أوبراته وهو في سن الرابعة عشرة ونالت نجاحا باهرا . وبدأ في هذه السن يطوف عواصم أوروبا ويعزف في دور الاوبرا الكبرى بها ، ففقر له أساتذة الموسيقى وتقادها بالتفوق والنبوغ . بل ان المجامع العلمية في إنجلترا شغلت بأمره منذ كان طفلا ، فقد ألف أربعة من أغانيه واحدى سيمفونياته وهو في سن الثامنة

٤ - لونجفلو الشاعر : الذي يقال انه كان يتذوق الغناء والموسيقى وله من العمر ثمانية اشهر . وكان في طفولته تلميذا نابها ، فكان في سن السابعة يتفوق في دروسه وتفكيره على من بلغوا من العمر خمسة عشر عاما . وكان يؤثر القراءة على الالعب الرياضية ، وقد طبع أولى قصائده وما زال في الرابعة عشرة . وكان له جمع من الاصدقاء ولكنه كان يؤثر بمودته من يشاركونه الرفقة في الاصراف الى القراءة والدراسة . وكان يكره السياسة كرها شديدا منذ صباه ، وكذلك أبدى في فترة من الوقت كرهه للدين . وقد وجد مشقة في أثناء دراسته الجامعة في فهم المسائل الرياضية الدقيقة ، ولكن موهبته الفذة في انشاء الشعر والشعر كفلت له التفوق على أقرانه في الجامعة

٥ - والتر سكوت : الكاتب القصص العظيم . دخل الجامعة وهو في الرابعة عشرة ، ولكنه كان متأخرا في أعماله المدرسية نظرا لاعتلال صحته من ناحية ، ولانجاء ميله الى الادب من ناحية أخرى . على أنه أصاب حظا كبيرا من الثقافة ، فقل ذهنه وذوقه ، قبل أن يدخل المدرسة وبدأ التعليم المنظم . ذلك أنه تعلم القراءة وما زال في الثالثة . وتعلم اللاتينية والاعريقية في سن مبكرة ، وترجم منهما فقرات دقيقة قبل أن يبلغ عامه الثاني عشر . وكان يؤثر العزلة ويحب مناظر الطبيعة . وقد استمر في التعليم حتى سن التاسعة عشرة ، فنال اجازة القانون ، واشتغل بالمحاماة . ولكن لما كان يتايم من عقد القصص ، أفسد عليه عمله هذا ، ولم يستطع أن يكتشف مواهبه الحقيقية الا بعد أن زار اسكوتلند حيث وجد في جبالها ومراعها المادة الخصبة التي استقى منها قصصه الرائعة ، وتقدر قوة سكوت العقلية بمائة وخمس وخمسين درجة ، فهو في هذا قرين الموسيقى موزار

٦ - جيمس وات : كان هذا المخترع المشهور معروفا بين مدرسيه وأقرانه بالعبادة . والظاهر أنه كان منصرفا عن دروسه الى اشباع رغبته في دراسة الرياضيات وحدها . فقد قرأ في صباه كثيرا من الكتب المهمة في الرياضة ، ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى قرأ كل كتاب فيها وصلت اليه يده . وكان خير الطبع منذ طفولته ، فتمنى أن يكون جراحا لينقذ الانسانية بمحضه . مما تعانیه من آلام المرض . وكان معروفا بين الناس بشدة تمسكه بالصدق ، ولا يبالي في ذلك بأن يعادى أى انسان . وكان الى هذا شديد الميل الى دراسة العلم ، كثير الصبر على ما تتطلبه هذه الدراسة من جهد ، وكان يقضى الساعات المتتالية يراقب اناء الشاي على النار وقد غلى فيه الماء وأخذ بخاره المتصاعد يرفع غطاءه ويخفضه . ولم تكن قوته العقلية فذة ، بل كانت تقدر بمائة وخمس واربعين درجة .

٧ - جورج صاند : الكاتبة الفرنسية المشهورة . كانت منذ طفولتها المبكرة تميل الى التجارب العقلية الفريدة ، فأخذت حينذاك تمارس بعض أعمال السحر والسحرة الملائمة لسنها . وكانت تكرر جهودها ووقتها الى القراءة ، والى نظم الشعر ، والى التجول فيما جاور بيتها من التلال والهضاب . وقد تعلمت المشي وهى في شهرها العاشر ، وتعلمت القراءة في سننها الخامسة ، وعرفت الهجاء وهى في سن الثامنة . وكانت عواطفها متجهة منذ البداية اتجاها دينيا . ولما بلغت سبعة عشر عاما كانت قد أصابت من الثقافة ما جعلها مستقلة في تفكيرها ، كما صارت حينذاك مستقلة في حياتها . وقد تزوجت وهى في الثامنة عشرة . ولم يكن الحب هو الدافع في هذا الزواج . ولما بلغت سبعة وعشرين عاما ، وكان لها حينذاك طفلان ، هجرت زوجها لتفرغ للكتابة والتفكير ، وكانت في قوتها العقلية قرينة والتر سكوت ، وموزار ، أى تبلغ مائة وخمسا وخمسين درجة .

٨ - مدام دى ستايل : وهذه الكاتبة الفرنسية الذائعة الصيت تفوق على زميلتها جورج صاند في القوة العقلية بخمس درجات . وقد بدأت تظهر براعتها ولباقتها في الحديث وما زالت طفلة في سن الثامنة . ولما بلغت العاشرة أصرت على أن تتزوج من المؤرخ الانجليزى المشهور ادوارد جيون ، وفاتحت أباهما في هذا فنهزها . وقد أخذت قواها الذهنية وال عاطفية تنمو وتزكو سريعا بفضل قراءتها المتصلة وبسبب صلاتها بنفر من الاصدقاء النابهين . ومع أن الجمال الجسمى كان ينقصها الا أنها عاشت طول حياتها محفوفة بالمحبين والمعجبين . ولما بلغت سن التاسعة عشرة أعلنت ان رغبته في الحياة أن تحب ، وأن تكون موضع الحب . ومع ذلك فقد تزوجت لا بدافع الحب ، بل « زواجا يمكنها من أن تستمتع بالحرية التى ينكرها الناس على المرأة » .

٩ - توماس جيفرسون : ثالث من تولوا رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الامريكية . حفظ جزءا كبيرا من الكتاب المقدس ولما تمتع سن الخامسة . ثم أكب على مكتبة أبيه الكبيرة ، فطالع جميع ما فيها من مؤلفات قبل أن يبلغ خمسة عشر عاما . ومع أنه كان صيدا

خجولا الا انه كان يمارس الالعاب الرياضية وينازل اقرانه فيها . وقد بدأ يدرس القانون في سن التاسعة عشرة ، وبعد ثلاث سنوات اشتغل بالمحاماة فنجح فيها نجاحا كبيرا . وتقدر قوته العقلية بمائة وخمسين درجة ، وكانت رغبته في الاطلاع والتفكير شديدة ، ومع ذلك كان يقضى شغلها من وقته في الصيد وركوب الخيل

١٠ - فولتير : الكاتب الفرنسي الاشهر . اُنشد الشعر وما زال طفلا ، ففي سن الثالثة حفظ قصيدة طويلة من نظم روسو . وكتب تراجيديا شعرية وما زال في عامه الثاني عشر ، ولكنها لم ترقه فأحرق مسودتها . وقد تجلت مواهبه الادبية وهو في طور الدراسة ، حتى كان يتفوق على كثير ممن يدرسون له مادة الادب واللغة . ولما بلغ السابعة عشرة أخذ يدرس القانون في باريس ، حيث كان يجا حبا ابيقورية ، فيعاقب الحمر ويلعب البيسر ، وينشئ شعرا اباحيا ، وفولتير من حيث القوة العقلية هو تانى رجال هذه القلقة من العظماء ، اذ تبلغ مائة وثمانين درجة ، ولا يتفوق عليه سوى جون سنوارت بمئتين درجاة

١١ - ابراهام لنكولن : الزعيم الامريكى الذى ألغى الرق . أمضى طفولته وصباها منصرفا الى القراءة ، وكان مما قرأه في بدء حياته الانجيل . وعند ما كان يتعذر عليه الحصول على كتب جديدة يقضى وقته في قراتها ، كان ينكب على قاموس اللغة يستظهر مفرداته . وكان تلميذا نابها محبا ، وقد كتب فصولا امتازت بجدها وعبقها وما زال في الرابعة عشرة من عمره . وكان معروفا بين اقرانه الطلاب باستقامة الفكر والحلق ، فكانوا يختارونه حكما يفصل بينهم فيما يجد من الخلاف . وكان بارزا بين اخوانه ومدرسيه لما عرف عنه من ذكاء ولباقة ، ومن براعة في الحديث والرواية . ومع أنه كان رجل كتب وتفكير ، الا أنه كان جديرا بشؤون الزراعة خبرة من يمارسها بيده ، وكانت ثقافته العامة واسعة شاملة ، وتقدر قوته العقلية بمائة واربعين درجة

١٢ - دانيال ويبستر : السياسى الامريكى العظيم . نشأ في حجر أب مفكر في امور السياسة ، فكان في سن الثامنة يحضر مجلسه ويسمع الى احاديثه السياسية . وقد دخل المدرسة وهو في عامه الثالث ، ولم يكن يتذكر الوقت الذى كان لا يعرف فيه كيف يقرأ الانجيل ، فكأنما ولد يعرف القراءة ! وقد اشترى وهو في سن الثامنة منديلا كتبت عليه نصوص الدستور الامريكى بحروف دقيقة ، فقرأ واستظهره كله . وقد حفظ عن ظهر قلب في يوم واحد قصيدة الشاعر الانجليزى بوب « مقال فى الانسان » وهى قصيدة طويلة جدا ، وكان حينذاك فى العاشرة من عمره . وكذلك قرأ في عامه الخامس عشر قصة دون كيشوت مترجمة فى خمسة أجزاء ، وذلك فى جلسة واحدة لم يغير فيها مقعده . وكان متازا طول حياته بقوته العقلية الغنة ، وكان يؤثر العزلة والانفراد ، واذا اراد ان يترضى ركب جواده ساعة من الزمن ، أو جلس الى النهر يصطاد السمك

عقدُ الجوهَر

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

هذه قصة من التاريخ الاسلاي تصور جانباً من الصراع بين الأمويين والباسيين كما تصور الرياء السياسي في حياة قائد بين دولتين سقطت إحداها ونامت الأخرى ، تطلع رداء الأول ، وتعظم في الثانية ، ولكنه في النهاية راح ضحية السياسة

وخرج معن بن زائدة من باب حرب ببغداد متكرراً ، غافقة القبض عليه ، وقد خفف عارضيه ولحيته وأحنى شاربه ، وتعرض للشمس حتى لوحت وجهه ، وتزيا بزى أعراب البادية ، وامتنطى جملاً ذلولاً لضرب به في الصحراء ، ويقع في مجاهلها بعيداً عن تهمة أبي جعفر للنصور ، وفراراً من عيونه الذين يترقبونه ، ويحشدون في طلبه وإنه بين اليأس والأمل ، وبين الخوف والحذر ، وقد جمع الليل وعمد القوم وأخذ يتسلل في رفق ، إذ طلع عليه رجل أسود متقلداً سيفاً ، فأهوى إلى خطام الجمل ، وتعلق به ، ثم أوقفه وأناخه في ثاقل وجراءة ، فنظر إليه معن في توجس وإشفاق ، وقال :

— مالك يا هذا . . ١٢

فلم يجب الأسود ، وأسرع معن لينفض سيفه ، فعاجله الأسود وأمسك بيده ، وقال :

— أتريد قتلى . . . ١٣

فقال معن :

— ولماذا تنيخ بعيري ، وتقبض على يدي ؟

فسكت الأسود سكوتاً ثقيلاً ، فقال معن :

— دعني في سبيلي برحمتك الله ، فما أعرف بيني وبينك شيئاً

فنظر إليه الأسود في هدوء ، وقال في نهيم :

— أأنت الرجل الذي يطلبه أمير المؤمنين للنصور ؟

— ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين للنصور . . . فما أنا بملك أو أمير أو وزير ، ولا أراه

يطلب رجلاً مثلي لا خطر له ، ولا مطمع فيه ، وإنى لأعرابي غريب عن هذه الدار . . . ١٤

— أنتكر يا هذا ، أولست معن بن زائدة صاحب يزيد بن هيرة عامل الأمويين ، وعدو أمير المؤمنين بواسط ؟ . . . (١)

— يا هذا ابق الله .. فأين أنا من معن بن زائدة ، وأين هو من بخداد ، بل أين هو من العراق ، وقد فر أصحاب ابن هيرة الى مصر والشام واليمن
— دع هذا عنك يا معن ، والله إني لأعرف بك منك ...

وسكت معن بن زائدة ، وقد أيقن أن الرجل مجد في قوله . وأنه وقع في يده ، ورأى أن لا حيلة له من الخلاص إلا إذا اقتدى نفسه بأعز ما عنده ، فعمد الى رحله ، فانزع منه عقداً من الجواهر النفيس ، وقال له :

— اليك هذا العقد ، فقد حملته معي وهو أعز شيء عندي ، وني بأضعاف ما بله المنصور لمن جاء به اليه ، نغذه هدية مني ، ولا تسفك دمي يرحمك الله
فتأوله الأسود ، ونظر اليه ، وقلبه ملياً ، ثم قال :

— صدقت في قيمته ، إنه لعقد نفيس ، لكني لا أقبله حتى أسألك عن شيء ، فان صدقتني أطلقته

— سل ما تريد

— إن الناس قد وصفوك يا معن بالجود ، وامتدحوك بالعطاء الجزيل ، وضربوا الأمثال بشهامتك ، وأكبروا معروفك ونجديتك ، فأخبرني : هل جدت بمالك كله ؟

فقال معن : « لا » . قال : « فنصفه » فقال : « لا » قال : فثلثه « فقال : « لا » قال : « فبريعه » فقال : « لا » حتى بلغ الضرع ، فاستجيا معن ، وقال :

— أظن أنني فعلت ذلك

فقال الأسود :

— ما أراك فعلته ، ولا أعلم أنك فعلته ، وما ذاك إن كنت فعلته بعظيم .. إني والله لرجل فقير ولي عيال صغار ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجواهر قيمته ألوف دنائير ، وهو الآن في يدي ، وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ، لتعلم أن في الدنيا من هو أكرم منك بداراً ، وأسحق منك نفساً ، وأجمل منك معروفاً

ثم رى بالعقد اليه ، وخلى سبيله ، وانصرف . . فتاداه معن بن زائدة :

— يا هذا .. يا هذا .. أجبني يرحمك الله .. من أنت يا أخي .. قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون عندي مما فعلت ، غفد ما دفعتك اليك ، فأني غني عنه ، وأنت أحق به لنفسك وعيالك
فالتفت اليه الرجل ، وضحك في استهزاء وقال :

— أردت أن تكذبني في مقالى هذا . . والله لا أقبله ، ولا آخذ ثمنًا لمعروف أبدًا
ومضى في سبيله . .

كان معن بن زائدة من قواد الدولة الأموية ، وكان معروفًا بالشجاعة والكرم مشهورًا
بالمروءة والتجدة وعلو الهمة ، وكان في عهد مروان بن محمد متقلًا في الولايات ثم اختص بصحبة
يزيد بن هبيرة عامل الأمويين ، وأميرهم بالعراقين^(١) ، وأبلى في محاربة الباسيين بلاء حسنًا .
وكان أبو العباس السفاح قد وجه أخاه أبا جعفر إلى مدينة واسط في جيش لمحاربة ابن هبيرة ،
فتحصن بها ، وجمع الجوع ، ونصب الجسور ، فلما كان يوم المعركة اختلف البجانية والقيسية في
جيشه على القتال ، فقالت البجانية :

— والله لا نقاتل على دعوة بن أمية لسوء رأيهم فينا ، وبغضهم لنا . . .
وقالت القيسية :

— والله لا نقاتل حتى يقاتل البجانية . .

وكفت القبيلتان عن القتال مع ابن هبيرة ، ولم يقاتل معه إلا صماليك القوم وأهل العطاء ،
فانهزم وفر كثير من أصحابه . فبعث إلى أبي جعفر بالصلح ، فأجابه ، وأمنه ، واستعداء لمقابلته ،
فسار إليه في ألف وثلثمائة رجل ، وكان يطوف بدار أبي جعفر عشرة آلاف رجل من أهل
خراسان مستلكنين بالسلاح ، وعبودهم تزهو من تحت المغافر

فلما دخل على أبي جعفر قال له :

— مرحبًا بك أبا خالد ، أنزل راشداً

ثم أجلسه على وسادة وضعت له وأكرمه وجعل يحدّثه طويلاً ، ثم نهض ابن هبيرة وركب ،
واتبعه أبو جعفر يبصره حتى انصرف

لم تكن هزيمة ابن هبيرة سنة ١٣٢ هـ بكافية للقضاء على سلطانه ، ولم تكن مصادر أمواله
وإعطائه الأمان بدافعة عنه للصير الذي كان يخفيه له أبو جعفر ، وبلغ فيه أبو العباس السفاح ،
ويغري به أبو مسلم الخراساني ، فقد كان أبو مسلم كثيرًا ما كتب إلى أبي العباس يقول :

« والله لا يصلح طريق سهل فيه حجارة إلا ضر ذلك بأهله . ولا والله لا يصلح طريق فيه
ابن هبيرة وأصحابه »

وبعث أبو العباس إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة ، فاطله وأضجره ، فكتب إليه يقول :

— والله لتقتلنه ، أو لأبعثن إليك من يخرجك من عندك ، ويثولى ذلك عنك

(١) العراق يطلق على شاطئيه النهر ، وسميت البلاد التي بين دجلة والفرات بالعراقين لأنها بين شاطئيهما

فرد عليه أبو جعفر « إني لفاعل إن شاء الله » وأخذ ياتمر بابن هبيرة في مدينة واسط ، وكان ابن هبيرة إذا ركب اليه صجبه ثلثائة فارس ، وخمسمائة راجل ، فدخل يزيد بن حاتم على أبي جعفر وقال له :

— أصلح الله الأمير ما ذهب من سلطان ابن هبيرة شيء بأيتنا في ركبته ، فيضع به المسكر

فنادى أبو جعفر أحد رجاله ، وقال له :

— قل لابن هبيرة لا يركب في مثل هذه الجماعة إذا حضر إلى ، وليأت في حاشيته

فذهب الرسول ، وقال له :

— ما هذه الجماعة التي تقبل معك ، كأنك تأتي إلى الأمير مبايعاً ، أو كأنك تأتي مهدداً ..

فقال ابن هبيرة :

— ان أحببتم أن نحمل وحدنا فعلنا ، وإن شئتم أن تأتي على أقدامنا أتينا ، فنحن في أمركم ،

ولكن أن تفعلوا بنا ما تشاءون

فأجاب الرسول :

— ما يزيد بك استخفافاً أباً خالك ، ولكن أهل المسكر إذا رأوا هذه الجماعة غمهم ذلك ،

فأراد الأمير ألا يفضب القوم

فتوجس ابن هبيرة شراً ، وأخذ يحال للخلاص من أسرهِ والفرار من مصيره ، واجتمع

رأى القوم على القدر به وقتله ، وكان فواد أبا جعفر يخافون عليه ويستعجلونه ، ويقولون ماذا

نتنظر بهذا الأموي عدو أمير المؤمنين ؟ .. هلا بشت إليه من يرهننا منه

فأرسل أبو جعفر إلى الحسين بن قحطبة ، وخاطبه في شأنه ، وطلب إليه ان يأتي برأسه ،

فاعتذر الحسين ، وقال :

— ليس الرأي أن أتولى أنا ذلك ، ولكن ابعت إليه رجلاً مريضاً من قومه ليقتله ،

فتفرق كلتهم ...

فقال أبو جعفر :

— صدقت .. وأصبت ، فمن الخير لنا أن نقتلهم بأنفسهم ، لا أن نقتلهم بنا .. !

ودعا أبو جعفر مائة رجل من الضرية ، وعلى رأسهم حازم بن حزيمة ، وبعث بهم إلى ابن

هبيرة ، وكان وقتئذ جالساً في رجة قصره ، وعليه قميص مصري ، ومعه أبناءه ومواليه ، وفي

حجرة طفل منهم صغير . ففاجأهم القوم في الساء ، وهم يسكرون ويتضحكون

فقالوا لابن هبيرة :

— إننا نريد حمل ما بين عندك من الخزائن ...

— وهل أبى أبو جعفر عندي فأمننا من المال تحملونه إليه ؟
 — لقد علم الأمير أنك تدخر كثيراً ، فبعث بنا لثاى بكل ما تدخر ..
 — إنا لم أدخر شيئاً فوق ما أحتاج لنفسي وأبنائى ، فأدخلوا وخدوا الأميركم ما تريدون ..
 ودخل حازم وصحبه ، فطافوا فى حجر القصر وغرقه ساعة حملوا فيها ما حملوا ، وبعد
 ما توثقوا من كل شيء توجهوا نحو ابن هيرة ، فنظر إليهم ، وقال :
 — والله إن فى وجوه القوم لشرأ ...
 وانبرى إليهم حاجبه أبو عثمان فقال لهم :
 — ما وراءكم أيها القوم بعد ما أخذتم ما أخذتم ، وحملت ما حملتم ، تريدون الغدر بمن أمناه
 أميركم ، وأقسم له الإيمان ؟
 فقالوا :

— نتح يا هذا لما كان لنا أن نغدر إلا بمن غدر بنا . ولقد بلغ أبو جعفر أن صاحبك
 يترقب به ، ويعمل للفرار من وجهه بعد ما أمناه ، وأكرمه ..
 وتقدم بعض القوم ، فاعترضهم أبو عثمان ، فنصحه أحدهم بسيفه ، فصرعه ، فقام داود ابنه
 فقاتلهم ، ففترقوا عليه ، وقتلوه هو ومواليه ، ثم مضوا إلى ابن هيرة وقد شهبوا سيوفهم ، فقال :
 — وعجكم نحوا عني هذا الصبي حق لا يرى مصرعي ..
 فنحوه عنه ، وخر ساجداً ، فقتلوه ... وأخذوا رأسه إلى أبى جعفر ، فأمر برقعها على
 خشبة فى المدينة ، ومعه رؤوس غيره من عمال الأمويين

قتل ابن هيرة ، وخرق أصحابه فى البلاد ، وفر معن بن زائدة فيمن فر منهم ، وأخذ
 يشغل بين البدو والحضر ، ضارباً فى القفلة تارة ، متنكراً فى المدن تارة أخرى ، وظل كذلك
 حتى توفى أبو العباس وتولى الخلافة بعده أبو جعفر المنصور ، فجد فى طلبه لمكائته وخطره ،
 ووعد بعتاء جزيل لمن يأتى به أو برأسه ، إذ كان من سياسة العباسيين أن يقضوا على مناديد
 بنى أمية ، ورجال دولتهم أينما كانوا . وأيقن معن بمصيره للشوم ، فتخفى وجد فى التخفى ،
 واحتال لذلك ما وسعته الحيلة

وكان قد نزل بغداد ، وأقام بها متنكراً ، فلما ضيقت عليه عيون أبى جعفر خرج فى جنح
 الليل من باب حرب ، وقد خفف عارضيه ولحيته ، وأحنى شاربته ، وتعرض للشمس حتى لوح
 وجهه ، وتربا بزى أعراب البادية ، وامتنطى جملاً ذلولاً ، فلقيه رجل أسود من رجال أبى جعفر
 فأمسك به ، وأناخ بعيره ، فقدم له عقداً من الجوهر ليطلقه ، فردّه إليه ، وأطلقه وقد وهبه
 نفسه والجوده ..

بلى معن ابن زائدة عتقاً ، فلما متخفياً ، ينتقل من مضرب الى مضرب ومن مذهب الى مذهب ، ويقع في يد حنركا متردداً ثم لا يلبث أن يرحل عنها خائفاً مترقباً ، حتى كان يوم الهاشمية (١) من سنة ١٣٧ هـ فانهزه فرصة للخلاص من رقعة أبي جعفر ، والفوز برضاه وأمانه . وكان الراوندية (٢) في ذلك اليوم قد ثاروا في المدينة وصاروا يطوفون بقصر أبي جعفر ، ويقولون « هذا قصر ربنا » ، فجلس منهم المنصور مائتين ، فغضبوا ، وأنوا بنمش وحملوه وليس به أحد ، وطارفوا بالمدينة حتى جاءوا الى باب السجن ، فرموا بالنمش ، وشدوا على الحراس ، فقتلواهم ، وأخرجوا منه أصحابهم ، فتنادى الناس بالمدينة ، وضجوا بها ، وتددعت الأصوات ، واستورى زناد الفتنة ، وحسى وطيس القتال

ونزل المنصور من قصره ، وركب دابة ، وقد اختلط القوم ، واشتبكت الجنود بالناثرين ، وم بعض الراوندية بقتل المنصور ، فانبرى لهم رجل ملثم . وقتلهم دونه قتلا شديداً . وصرع منهم كثيرين ، وانكشف القوم ، وهدأت المدينة ، فاستداه المنصور ، وقال له :

— من أنت لله أبوك ؟ . .

— أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . . .

— أنت معن ؟ . .

— نعم يا أمير المؤمنين . ولقد ادخرت نفسى لئلا هذا اليوم ، ولو شاء أمير المؤمنين كنت

في خدمته

— مثلك يدخر ويصطنع ، وقد أمنتك على نفسك ومالك

ثم اصطلمه معه أبو جعفر ، وخلع عليه وأكرمه . . .

وبعد أيام دعاه لقايلته ، فغض معن ، فقال له :

— يا معن ، إني سأعهد اليك في أمر ، فكيف تكون فيه ؟

— أكون كما يحب أمير المؤمنين ، وكما يكره أعداؤه . . .

— إني قد وليتك اليمن ، فأبسط السيف فيهم ما شئت حتى تنفض حلف ربيعة واليمن وتشت

مثل أعدائى ، وأعداء بنى العباس

— أبلغ من ذلك ما يريد أمير المؤمنين

وذهب الى اليمن ، وتولى أمره ، وقتل وأسرف . . .

(١) الهاشمية مدينة بالمرأى بناها ابو العباس السفاح لتكون عاصمة للخلافة بدل الأنبار والكوفة

(٢) الراوندية قوم من غلاة الدعوة العباسية قالو بتناسخ الارواح ، وزعموا ان أبا جعفر ربههم ، وان المهدي بن معاوية جبرائيل

وكان لعن بن زائدة شاعر قد اختص بمدحه ، وأغدق عليه العطايا ، هو مروان بن أبي حفصة ، فلما تولى الجين نظم قصيدة نونية تحدث فيها عن نجده وشهامته وشجاعته وكرمه ، فبلغ للنصور أمر هذه القصيدة ، فلما وفد من على أبي جـ : بعدها ، قال له :

— قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ، ورأيه فيك لغضب عليك
— وماذا يا أمير المؤمنين ، فوالله ما تعرضت لثقتك ، ولا اقترفت مخالفتك ، وما أظن أنني أتيت أمراً يضربك

— بل سمعت أنك أعطيت مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله :
معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيان
إنت عد أيام الفعّال فأنما يوماء يوم ندى ويوم طعان
فقال معن :

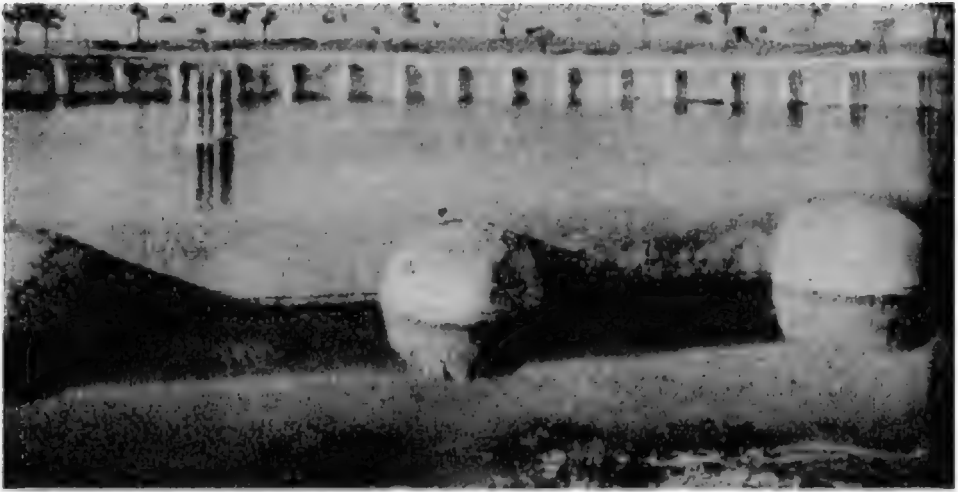
— واقه يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر ، بل أعطيته لقوله :
ما زلت يوم الهاشمية معلماً بالسيف دون خليفة الرحمن
فلمعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهتد وسان
فأبسم للنصور ، وقال :

— قد درك يا ابن زائدة ، إنما أعطيته لهذا القول . . .
— نعم يا أمير المؤمنين . ولولا مخافة النقص عندك ، لأمكنته من مفاتيح بيوت المال ، وأجته إياها

— ما أهون عليك يا معن ما يعز على الرجال
— ذلك من فضل أمير المؤمنين . . .

ظل معن بن زائدة في طاعة العباسيين وخدمتهم ، وقد وثقوا به ، وتنفل في الولايات ، وكان في أواخر أمره والياً لسجستان ، وكان الخوارج ينفذونه لخدلاته لهم ، فبينما كان في أحد أيام سنة ١٥٢ هـ دعا بعض الصناع ليعملوا له عملاً في داره فاندس بينهم بعض الخوارج ، ففاجأوه وهو محتجم وقتلوه

طاهر الطنّاحي



عشية الأمانة بالفيروان وفي عازلة عن صهرج كبير تجمع فيه ليلاء العذبة لمعرب منها أهل الفيروان

الفن الإسلامي في تونس

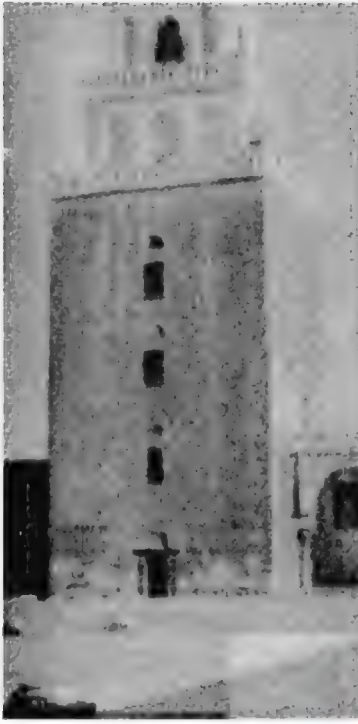
بفلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الأثر العربية

لعل من حسنات هذه الحرب - وللحرب حسنات - أنها تجرى على أسسنا وألسنتنا أسماء بلاد
لنا تخطر لنا على بال فتذكروا بها ، وتدلنا إلى التفكير فيها والاعتناء بجزائريتها وتلويحتها .
وبلاد تونس من تلك البلاد التي حلتها الحرب على أن نغنى بأمورها اليوم على الرغم من وجود
الأسباب المختلفة التي كانت تحملنا على هذه العناية من قبل . قال ما بيننا وبينها من روابط اللغة
والدين والعادات ، فإن أوجه التشابه بيننا وبينهم كثيرة ، فكلانا له ماضٍ مجيد قبل الإسلام ،
وكلانا له شأن عظيم في الإسلام ، وكلانا خضع للحكم التركي فترة من الزمان ، وكلانا قاسى من
مساوى الاحتلال أشكالاً وألواناً

ولقد تطلب الفن الإسلامى في تونس في أدوار مختلفة سنلخصها فيما يلى ، تأثر فيها بعثرات
شعبية ، وخرج منها وله شخصية واضحة لا ينطئها مؤرخو الفن

الدور الأول (٢٧ - ١٨٤ هـ)

كانت تونس ولاية رومانية فتحها المسلمون سنة سبع وعشرين بعد الهجرة بأمر الخليفة عثمان بن
عفان ، ثم أعادوا فتحها أيام الخليفة الاموى معاوية بن أبى سفيان على يدى عقبة بن نافع الذى
خطت مدينة الفيروان أقدم المواسم الاسلامية في ذلك القطر ، وأقام فى وسطها مسجده الشهير



مئذنة مسجد القيروان

أجزاء من زخرفة
مئذنة مسجد القيروان



الذي لم يكن عند تسيده أكثر من بناء غاية في السذاجة ، يتفق مع ما كان عليه المسلمون في ذلك
الحين من البساطة

وخرجت تونس من جديد من يد المسلمين ، ثم استرجعوها أيام عبد الملك بن مروان بواسطة
قائده حسان بن النعمان النخعي الذي نفى على شوكة البربر - سكان البلاد الأصليين - والروم ،
ودمر مدينة قرطاجنة عاصمة البلاد ، وأقام بالقرب منها قرية صغيرة بها قاعدة بحرية يحتمي فيها
المسلمون من مهابطة الروم لهم ، وشيدوا بها دار الصناعة لبناء السفن ، مستعينين في ذلك بألف من
مهرة الصناع الأقباط الذين جلبوا من مصر لهذا الغرض . ومنذ ذلك الوقت بدأ نجم هذه المدينة
الصغيرة في الصعود ، وعرفت باسم تونس ، وخطط لها ابن الحبحاب - أحد عمال بني أمية -
مسجد الزيتونة سنة ١١٤ هـ

وإذا كان مسجد عقبة بالقيروان قد اكتسب نوعا من التقديس لدى مسلمي المغرب جميعا بسبب
بناء عقبة بن نافع أحد صحابة الرسول صلوات الله وسلامه عليه له ، والذي كان كما يقول «البلاذري»
رجلا صالحا مستجاب الدعوة ، فإن مسجد الزيتونة قد اكتسب صفة أخرى لازمة ولا تزال تلازمه
حتى اليوم ، هي صفة الجامعة ، فأصبح كالجوامع الأخرى عندما

عرايب مسجد القيروان ،
تحفة منقطعة النظير من
تحف الفن الاسلامي ،
يشكل الجمال الفني
بأروع صوره في تجويده
وواجهته



الدور الثاني (١٨٤ - ٢٩٦ هـ)

حكم البلاد في هذا الدور أمراء بني الأغلب ، فسقطوا في تاريخها صلحات ذهبية تسع من بين سلطوهم آيات المجد والحكمة ، وارتقوا بها درجة عالية من التقدم المادي تنطلق بها تلك الآثار التي خلّفوها وراءهم ، والتي تكشف عن مدى ما بلغت من الحيرة الواسعة بطرق البناء والتصميم ، وتشهد بسمو الذوق الفني عندهم ، ويكفي أن نذكر أن أجمل ما في تونس اليوم من الآثار الاسلامية اما ردوا اليه الحياة في أجمل صورها ، واما أنشأوه وتفتنوا في انشائه ما شاء لهم خيالهم الفني الحبيب ، فمسجد عتبة القيروان قد خرج من سذاجته القليلة ولبس على أيديهم حلة رائعة من الجمال ، وهو في تخطيطه يتكون من صحن مكشوف بسيط به من جوانبه الاربعة مئذنتان مسقوفة أكبرهما ما كان جهة القبلة ، وأهم ما يسترعى النظر فيه أمور ثلاثة مئذنته ومحرابه ومبيرة . أما المئذنة فهي أقدم ما في المسجد ، وأقدم ما وصل اليها من المآذن ، شكلها مربع ويشكل فيها أثر العمارة الاموية واضحة ، ولا عجب فقد أنشئت بأمر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وانضمت مثالا يحتذى في بناء المسامع في مساجد بلاد المغرب والاندلس . وأما العرايب لتحفة منقطعة النظير من تحف

الفن الاسلامي . يتجلى الجمال الفني بأروع صورته في تجويفه وواجهته ، فيزدان التجويف بحشوات من الرخام يخالها الانسان قطعا من النسيج تقفن ناصبها في صحنها فزينتها بالتقويم بأشكال شتى تتم عن البراعة ، وقد أوجد من خلفها فراغ حتى تظهر نقوشها المخزفة ، ولنا سبيل هنا للدخول في النقاش القائم حول تأريخ هذا المحراب هل هو من أيام عقبة بن نافع وأضيفت اليه تلك الحشوات الرخامية فيما بعد أم هو بتجويفه وحشواته من عهد الاغالبة ؟ ويزين واجهته تزيينات من الخزف ذي البريق المزدني عليها زخارف هندسية ونباتية مختلفة ، وتبدو للتأثر كأنها للغة في موضعها يعوزها الانسجام مع ما يحيط بها ، والواقع كذلك فقد صنعت في بغداد لكي تزين جدران أحد قصور الاغالبة في تونس ، ولكنها وجدت طريقها الى محراب المسجد الجامع ، فاستقرت على جدار محرابه . وبعد متبر هذا الجامع من أجمل ما أخرجه رجال الفن من المسلمين

وأصبح الاغالبة على مسجد الزيتونة بتونس أبواب الجمال الفني بعد أن جدوه ، وهو في تصميمه يشبه صفة عامة مسجد القيروان ولكنه أصغر منه حجما . ولصلاة الجمعة فيه مظاهر لم أشاهدتها في أي بلد اسلامي آخر : ذلك أنها تؤدي على مرتين مرة عند الظهر في مثل الوقت الذي تؤدي فيه عندنا ، ومرة قبل صلاة العصر بنحو ساعة ، ومتبره يختلف عن التابر الأخرى إذ به عجالات صغيرة تجرى على خصيين من حديد ينتهيان الى غرفة صغيرة مجاورة للمحراب حيث يحفظ المنبر ولا يخرج الا يوم الجمعة . وقيل الصلاة يخرج الامام من غرفته في موكب صغير يسير أمامه فيه خدم المسجد في نظام ونزوة حتى ينتهي الى مكانه في المحراب . فإذا حان وقت الصلاة انتقل الى المنبر في نفس النظام السابق ، فإذا انتهت من الخطبة نزل الى المحراب ليؤم الناس في الصلاة ، وتختلف عن موكبه خادمان يدفعان بالمنبر للتحرك الى غرفته لتلتئم صفوف المسلمين

ولم تفل عناية الاغالبة عند حد تجديد حدين المسجدين العظيمين ، ولكنها حددتهما الى منشآت أخرى كثيرة ، من أهمها المسجد الجامع بسوسة ومسجد أبي فتحة ، وأسوار المدن الساحلية التي لا تزال بقاياها في مدينتي سوسة وسفاس . ثم رباط سوسة أو قصر الرباط كما يسمى هناك ، الذي يعد من أحسن أمثلة الاربطة في الصارة الاسلامية . والرباط من ابتداء المسلمين ، أوجدوه لكي يكون سكنا لأولئك الذين وقفوا أنفسهم على الدفاع عن بلادهم والجهاد في سبيل الله ضد أعداء الاسلام ، أو ليكون مقرا لمن طرغوا للعبادة ، فيدفعون بدعائهم البلاء عن البلاد ولعل خير ما نختم به هذا الدور هو ذلك المايل العظيم الذي أنشأه الاغالبة بالقيروان ، والذي يعرف بـ (لسقة الاغالبة) وهو صهريج كبير مستدير الشكل ، قطره ١٥٠ مترا ، تتجمع فيه المياه العذبة لشرب منها أهل القيروان

الدور الثالث (٢٩٧ - ٨٣٦٢)

شهدت تونس في هذا الدور قيام الدولة الفاطمية التي اعتصمت في تكوينها على البربر سكان البلاد الاصليين ، ولم تكن تونس في الحقيقة في نظر الفاطميين الا همزة الوصل للاستيلاء على مصر ، تلك البلاد التي كانوا يمدون أجسادهم اليها من أول الامر ، ويتولون الى الانتفاع بغيراتها ويوصلها الجفرالى في نشر مذهبهم الديني ، وخير ما يذكرنا بسند الفاطميين في تونس هو مدينة المهديّة التي يدل تأسيسها على ما كان لاسلافنا المسلمين من حد النظر في اختيار مواضع المدن ، لهذا أبو عبيد الله الملقب بالمهدي مؤسس الدولة الفاطمية ما كاد يستقر به المقام في افريقية حتى رغب في تأسيس مدينة منية يتحصن فيها من أعدائه ، فخرج يرتاد ساحل البحر ، فوجد - على حد وصف ابن الأثير -

المسجد الجامع بسوسة من
الداخل تحت القبة الأولى



جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل برتد فيس إليها مدبته ، وخلق عليها اسمه ، وجعلها دارا
لللكه ، واتخذ من ساحلها ميناء بحريا كأحسن وأمنع ما تكون الموانئ ، حمرة في الصخر بعرض
سبعة وخمسين مترا وطول ستة وعشرين ومائة متر ، وجعله بحيث يملك لأبراء ثلاثين سفينة .
وبعد أن انتهى من تخطيط مدينته ، أنشأ مسجدها الجامع الذي كانت واجهته تمت الوحي للهنتمس
الذي أشرف على إنشاء مسجد الحاكم بأمر الله في القاهرة

الدور الرابع (٣٦٢ - ٥٩٨)

وعاد المر لدين الله الحليفة الفاطمي الرابع تونس الى مصر . وعهد بحكمها الى أسرة بني زيري
من قبيلة صنهاجة البربرية . ومن أشهر رجالها المرز بن باديس الذي وصلت البلاد في عهده الى
درجة عظيمة في الحصار المادية ، فتقدمت الزراعة وازدهت الصناعة ، واشتهرت تونس بمسوحاتها
الحريرية والصوفية وأوانيها الزجاجية وسلعها الخزفية وطنائسها الجيلة ومصنوعاتها المدنية
والخشبية . ولم يصل اليه من هذه الاشياء الا القليل النادر ، تذكر منها التتور النحاسي العلق
بمسجد القيروان والذي يحمل اسم المرز بن باديس . ثم باب مكتبة ذلك المسجد . ومقصوده وهي
جيمنا تنطق بهراة تونسى ذلك العصر

وخلق المرز بن باديس طاعة الفاطميين . وتوجه بولاه الى الخلفاء العباسيين في بغداد . وانظم

(البقية على صفحة ٥٩٠)

رحلة الى صقلية

جزيرة البساتين ، والبراكين والآثار

بفلم الأستاذ راشد رستم



مغارة الأذن ، وقد
معبت بنفك لمقابها
الأذن في تجويفها

هذا المسجد ما يزال
قائما في بلرمو



إذا لم تنزل الى (صقلية) فادما من أفريقيا كما قدم منها الحلفاء ، فقد تنزل اليها بالقطار
يحملك من روما الى نهاية الشط الايطالى حيث تجد زورقا بخاريا كبيرا يدخل اليه القطار
بعرباته وركابه ، يعبر بهم جيما البوغاز الضيق عند (ميسينا) في نصف ساعة ، حتى اذا
وصل الى شط الجزيرة خرج منها ثاية الى البر بالراكين الى حيث يشاهدون من انحاء
الجزيرة الواسعة العجيبة

أما جنوب ايطاليا (كالابريا) فهي بلاد قاحلة ، تربتها ناصعة البياض ، أهلها فقراء ،
أغلبهم حفاة ، على أنهم برغم ذلك مضيافون كرماء - يتلقون الوفود في قراهم بالموسيقى
والطبل والاحتشاد وأنصان الزينون ، ثم يخطب الترحيب ثم بتقديم الشاي أو الشربات -
وكل ذلك في حال تسمر ك ، لولا السخنة واللقة والهندام ، بأنك في بعض ريف مصر
حيث السباحة والراحة والبجعة ...

وقد جئت الى هذه المناطق ثلاثة زملاء في وفد رسمى مصرى يتنقد في روما للزيت
والزيتون يرأسه مدير قسم البساتين (المرحوم محمود سليمان ابانطه) ينضم اليه ممثل من
البلدك الخارجى في روما (حسن بك مختار رسمى وكيل المالية الآن) ينضم اليهما ممثل

ذراع الزيتون بمصر . وقضينا نحن الثلاثة أيام المؤتمر الثلاثة في روما العظيمة وهي بلدة لا تزار الا للآثار . ثم قام المؤتمر برحلة رسمية عملية زار فيها أعضاؤه جميعا مناطق زراعة الزيتون في الجنوب

أما المؤتمر فقد كان عجبا ، فمع أن مادته هي الزيت والزيتون ، أى السهولة والسلام ، فقد كان مؤتمرا صاخبا في جلساته وفي جولاته - خطب محامية وإشارات وصياح وتصفيق والموضوع هو هو الزيت والزيتون . وهكذا تسمع جمعة ولا نرى زيتا . . .
ولاول مرة في المؤتمرات كانت للوفود الحرة في استعمال لغاتها . ومن يريد أن يفهم من الأعضاء الآخرين أن يسأل من المترجمين الرسميين فيما يشاء . . . وإذا كنت في روما فافعل مثل ما يفعل أهل روما . هكذا قبل قديما . ولكن ما هو القول حديثا ؟ . . .

فإذا صرت في جزيرة صقلية رأيت خرافات كنت قد تركتها وراءك في الشط الايطالى ، ولكنها تبسط هناك ثم تزداد غمكينا ويقينا ، ونرى وسط شظف العيش مباحج للحياة تزداد كذلك بين القوم ظهورا وتنظيما ، حتى إذا عاشرتهم قليلا تبينت قفرا وقناعة وهمدوا وأهم مدن الجزيرة يقع على سواحلها . وهي مدن قديمة بأثارها الرومانية ولكنها حديثة بتنظيماتها السياحية . وهذه (توارينا) الجميلة ، حيث كان مركز قيادة المحور ، ذات مناظر بحرية ساحلية يديعة ، وذات آثار كثيرة ، يطل عليها من بعد بركان (اتنا) العظيم - تراه رابضا في مسكون ورهبة ، يخرج من جوفه لهيب وردى خفيف يصعد دائما باستمرار ، هو بالليل أوضح منه بالنهار ، وكأنه الدليل القائم على وجود البركان ، يحيط الثلج فوهته طول العام من كل الجهات ، فيريد يباضه البللورى من لهيه الوردى هبة وجلالا

وجيران البركان من فقراء السكان يصنعون من حننه المسنون تماثيل ذات اقطان وابداع ورحم لله حافظ ابراهيم حين ينور البركان ويحدث الزلزال سنة ١٩٠٨ ويهلك السكان ، فيثور الشاعر بدوره على البركان وللشكان ويقول :

فاكتبوا في سماء (ريجو) و (مسيه) و (سنا) و (كلايريا) بكل لسان
ها هنا مصرع الصناعة والتصو ير والحظق والحجاء والاعاني
خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت قضى الامر كله في ثوان

فإذا كنت في (بالرمو) عاصمة الجزيرة رأيت ثغرا أهلا عامرا ، هو في عيشة راضية ، ورأيت المدينة قد أبقت للعرب بعض آثارهم - فهذا مسجد لا يزال قائما ، تجاوره كنيسة وصومعة ، تراه يثبذته المربعة وقبابه الحمراء الجميلة ، تقرأ على جدرانها الداخلية بعض الخطوط العربية على الرغم مما ملأ صحته من رمال الاهمال

أما (قطانية) فهي بلدة فسيحة الرجات ، ذات سوق وحركة ، غنية بحدائقها وجنتاتها ، حيلة بنات حوائها ، وكانهن لا عمل لهن ، فتراهن يخطرن كثيرا في الطرقات بهندام قومي بهيج الاوضاع والالوان .. ولعل ابن حمديس لم يخطئ ، حين قال :

ذكرت صقلية والهوى بهيج في النفس تذكاريها
فان كنت أخرجت من جنة فاني أحدث أخبارها

وفي السهول المحيطة بقطانية مشاتل البساتين ذات الشهرة العالية في دنيا الزهر والنبات حيث يعمل رجال فنيون ماهرون لاستنبات أجود بذور الأزهار وفصائل مختلف الاشجار للفاكهة أو للزينة أو للاستثمار ، يستحضرونها من مختلف مناطق البحر الابيض المتوسط يساعدهم في ذلك توسطهم بين المناطق ، كما أنهم يستعينون بالفن وطرق الابنات واصطناع الاجواء ، وللقطر المصري اتصال وثيق بهذه المسائل على الدوام ، تظهر آثار ذلك في الحدائق العامة والخاصة وفي المسائل التجارية والفردية

أما (سيرا قوسه) ففيها مغارة الاذن . سميت بذلك لمشايتها الاذن في تجويفها . يكبر فيها صدى الصوت آلاف المرات . تأتي حركة بسيطة ترن فيها رنيناً عالياً ، فلا يصلح فيها الهمس اذ يتقلب ضجيجا . حتى قيل انها كانت معتقلا لمن يراد معرفة أسرارهم من الاشرار أو رجال المؤامرات . فقد يتركون فيها ليمسوا بما يريدون واذا بالحرس الحقى عن أنظارهم ، القائم عند صمامة « الاذن » يسمع همسهم وهم لا يشعرون

كذلك في سيرا قوسه مغارة تسكنها عائلة عدة قرون ، يتوارثها أفرادها ، كما يتوارثون صناعة يدوية هي صنع الحبال الرقيقة والفليضة التي تستعمل في المراكب وشباك الصيد في البحار وهي حبال في غاية الدقة والمتانة
ويقال ان سيرا قوسه هي منقط رأس جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي الذي فتح مصر وأسس القاهرة

وبالقرب من سيرا قوسه مستنقع واسع كبير ينمو فيه نبات البردى المصري غموا عظيمة في النوع وفي الشكل ، وهم يصنعون منه أجود أنواع الورق المتين الذي يستعمل عادة في تدوين المعاهدات والصكوك والخود . وكانت وزارة الخارجية المصرية الى عهد قريب تستورد منه ما تحتاج اليه في ذلك

على أن من خرافات القوم هناك أن إحدى بنات الجن تسكن هذا المستنقع العظيم ، وانها توقع بمن يزوره من الزائرات والزائرين . ولذلك لا يذهب اليه الا من آمن بالجن أو آمن من الجن .. والواقع أن بالمستنقع الواسع العظيم جرنومة الملاريا في كثرة ، بحيث لا ينجو منها زائر ، ولعلها هي بنت الجن التي عنها يتحدثون ..

رأسد رستم

كيف نقر السلام ؟

للفيلسوف السياسي الإنجليزي « برتراند رسل »

كلنا نرجو أن نهنئ ، غداة أن نضع الحرب الدائرة أثقالها ، الى طريق يجب العالم قيام حرب هائلة أخرى مدى حين طويل . ومن الواضح أننا اذا كنا نرغب في بقاء الحضارة وغايتها ، فانا لا نستطيع أن نجيا في عالم تنسب في أرجائه جميعا نيران الحرب مرة في كل خمس وعشرين سنة . وفي الوقت ذاته فانا نعرف أن ثمة سيئات وشرودا أمر وأدهى من الحرب ذاتها على ما في الحرب من فواجع ونكبات . فقد آثرنا أن نحمل عبء الحرب على أن نخضع أنفسنا لهتلر ، لان الذلة والخضوع أثقل على المرء وأقسى من سفح الدم اذن فالمشكلة التي نواجهها هي أن نجد الطريق الذي يقر سلام العالم ويجنبنا أذى الحرب ، دون أن يؤدي بنا هذا الطريق الى تضحية أمر من تلك الامور التي يرى العقلاء أن الحفاظ عليها يقتضيهم الكفاح والقتال

سلطة دولية مسلمة

ان الحرية أمر مفضل ماثور ، ولكنها لا تصلح على اطلاقها كبداً من مبادئ السياسة الدولية . فيجب أن تقيد الحرية الممنوحة للدولة ، فتباح لها الحرية في أداء بعض الامور ، ويفرض عليها القيد الذي يمنحها من اداء أمور أخرى . وأولى ما يجب أن يحرم على الدولة من الحريات ، حرية اثارة حروب الفتح والعدوان . ولا سبيل الى هذا الا باقامة سلطة دولية تفوق سلطات الدول المنفردة ، وتؤيدها قوة مسلحة يخشى بأسها ويعتد بأمرها ، والى جانبها هيئة قضائية تفصل فيما اذا كانت الحرب الماثرة حرب عدوان أم حرب دفاع . ويقتضى هذا أن تجمع الدول الكبرى كلمتها على مناهضة العدوان ، وعلى ازالة العقاب من ينخذ طريق العدوان ، ولو كان الامر لا يتعلق بهذه الدول مباشرة . ولكن هذه القوة المسلحة وهذه الهيئة القضائية لا يكفيان لاقرار السلم في عالم تقوم في جميع نظمه وفي شتى ارجائه اسباب التنازع ودواعي القتال . واذن فلا بد من اجراء تغييرات كثيرة نجعلها فيما يلي :

اولا - توضع مناطق الاستعمار التي لم تصل بعد الى ما يؤهلها الى الاستقلال بنفسها تحت نظام دولي ، ويطبق هذا على الاخص على مناطق الاستعمار في القارة الافريقية . ولكن لا يصح أن تظل هذه الاقاليم مناطق استعمارية الى ابد الابد ، بل يجب أن يكون هدفها الماثل المباشر أن تستقل بأمرها وتحكم نفسها . ويجب أن يبدل كل ما يمكن من الجهد لتصل هذه الاقاليم الى هدفها في اوجز وقت ومن أقصر طريق . ويدعو أن

الطريق الممهدة لهذه الغاية هي اشتراك الشعوب المتدينة في ادارة هذه المستعمرات ادارة مشربة بروح العدالة والاصلاح

ثانيا - يجب أن تباح لكل دولة الحرية الكاملة في الحصول على ما تشاء من المواد الخام المهمة . وهذا ميسور اذا أنشأنا نظام المستعمرات الدولية وقررنا فيها عدم تفضيل دولة على أخرى في الحصول على ما يلزمها من المادة الخام ، وكذلك في استثمار أموالها في أراضيها ومرافقها البكر

ثالثا - ويجب أن تتولى سلطة دولية حراسة المواقع الاستراتيجية المهمة ، مثل قناة السويس وقناة بنما ، وجبل طارق ، وسنغافورة ، وتكون هذه المواقع تابعة لهذه السلطة الدولية بطريق مباشر

من يشرف على العالم ؟

من تتألف هذه السلطة الدولية ؟ تتألف بادئ ذي بدء من الحلفاء الأربع الكبرى : من الولايات المتحدة ، ومن مجموعة الامم البريطانية (بريطانيا وممتلكاتها المستقلة) ومن اتحاد الجمهوريات السوفيتية ومن الصين . فتؤلف هذه الدول اتحادا مبدئيا يدعو اليه الدول الاخرى لمشاركته في عمله ومسئوليته . ولكن يشترط في الدولة التي تنضم الى هذا الاتحاد اما أن تكون دولة ديموقراطية واما أن تكون ذات دستور قبله أغلبية الشعب في انتخاب حر يجري تحت اشراف هذا الاتحاد الدولي . ويضاف الى هذا الشرط شرط آخر ، هو ألا تشمل أرض هذه الدولة على أقلية من السكان تريد الانفصال عنها ، لأن سيطرة الدولة على أقلية من الناس برغم أوفهم ، دليل على أن هذه الدولة لا تأخذ مبدأ الديمقراطية ولا تريد مؤازرة قضية الحرية

فإذا توافرت هذه الشروط دعت الدولة للانضمام الى الاتحاد الدولي الذي يشرف على مناطق الاستعمار والمواضع الاستراتيجية في العالم . ولا يصح تغيير دستور الدولة المنضمة بالقوة ، بل يجب ألا يتم هذا التغيير الا عن طريق انتخاب حر يجري بناء على طلب أغلبية الشعب ، أو في فترات محددة ، أي كلما انقضى خمسة وعشرون عاما مثلا

وبهذه . هذا الاتحاد الدولي للدول المنضوية تحت لوائه مزايا جمة . فمنها حمايتها من الهجوم والعدوان ، فإن العدوان على فرد من افراد الاتحاد ، يعتبر ويقابل كما لو انه اعتداء على الاتحاد جملة واحدة . ومنها أن مناطق الاستعمار ستكون مباحة المرافق لدول الاتحاد وحدها ، تال من موادها الخام وتستثمر فيها أموالها ، دون أن تشاركها أو تراحمها الدول الاخرى . ومنها تخفيض المكوس الجمركية على السلع المنقولة بين دول الاتحاد لتكون أدنى من المكوس المقررة على السلع المستوردة من دول غير منضمة الى الاتحاد . وكذلك تفضل هذه الدول عند عقد القروض وما الى ذلك من المزايا التي ترغب سائر الدول في أن تؤهل نفسها لعضوية الاتحاد الدولي

ولا شك أن هذا التحالف ، بما يتحقق له من القوة على اثر النصر في هذه الحرب ، وبما يقوم بين أعضائه من عوامل التعاون والتساند ، سيتمكن من اقرار السلام في ربوع العالم جينا طويلا ، يستطيع في خلاله أن يؤلف حوله من الدول ما يتوافر فيه الشروط التي تدعم الحرية والمعادلة ، وتقصى عن العالم شبح الخوف والظلم والحرب

العزلة والكبرياء

ولكن ثمة عقبتين تضرسان الطريق المؤدية الى اقامة هذا الاتحاد الدولي : أولاهما عقبة « العزلة » وثانيتهما « الكبرياء »

أما « العزلة » فاعنى بها عدم الرغبة في احتمال أى عبء يفرضه التدخل في المشاكل السياسية ما لم تكن هذه المشاكل تمس المصالح القومية مسا مباشرا . ولكن الحقائق التي سوف تعلمها الامم في بطنه وتدرج تلك الحقيقة التي ذكرها لينغفون في كلمته : « ان السلم كل لا يتجزأ » . فلن تتوقف الى اقامة الحكومة الدولية المنشودة حتى تقتنع جميع الحكومات القومية ، ويقتنع معها شطر كبير من سكان البلاد الديموقراطية الكبرى ، بأن الطريق الوحيد الذي يجنب الدولة خطر الحرب ويولها هو أن تساهم مع سائر الدول في اقامة « الجيش الدولي » الذي يخدم فترة الحرب أيضا

وأما « الكبرياء » فمعنى أضخم وأقوى . فمن الصير أن تصور امريكا أو بريطانيا أو روسيا تخوض غمار الحرب وتصلى نار القتال ، استجابة وخضوعا لقرار تصدره أغلبية مجلس دولي ، ما لم يؤيد هذا القرار شعور قومي مشرب بروح العزم والاخلاص . ولا يمكن أن تقوم سلطة دولية الا بالحد من السلطات المحلية ، ولهذا فاني أرى أن خير طريق لاقامة هذه السلطة الدولية هو الاستمرار بعد الحرب في « التحالف » الراهن بين الامم المتحدة

دور « آسيا » في العالم المقبل

ان النصر في الحرب القائمة ليس نصرا انجليزيا امريكيا فحسب ، ولن تساهم روسيا وحدها في هذا النصر ، بل ستساهم فيه ، من وراء روسيا ، قارة آسيا بأسرها . ولكن ادخال آسيا في نطاق العمل الدولي ليس أمرا هينا ، بل يقتضى كبرا من التغير في أوضاعها السياسية والاجتماعية

واذا أضفنا الى نتائج الحرب هزيمة اليابان ، تبين أن النصر لن يكون غربيا فحسب ، بل سيساهم فيه الشرق ممثلا في الصين التي قاومت اليابان مدى سنين طوال ، معتمدة على نفسها وحدها

ولا شك في أن آسيا المتصرة متطالب بأن يحقق لها كبر من جوانب المساواة مع أوروبا . فإن أقاليم هذه القارة الترامية تمسكو كثيرا من السبائك التي يقتضى علاجها الحيلة

والاخلاص والتحرر من ربة العقائد والتقاليد القديمة ، فناديا لشوب أكبر نزاع وأخطر حرب في التاريخ ، بين آسيا من جانب وأوروبا وأمريكا من جانب فالهند والصين واليابان تشكو ازدهارهما وتكدسها بالسكان ، كما تشكو فقر أهلها وانخفاض مستوى حياتهم . وهى في الوقت ذاته محرومة من التفريغ عن نفسها بالهجرة الى استراليا أو أمريكا . واذ لم يكن من المحتمل أن تعدل استراليا أو أمريكا عن سياستها في أمر الهجرة إليها ، فإن من واجب هذه الاقاليم الاسيوية أن تبحث عن علاج آخر لمشاكلها الاجتماعية هذه . وغير علاج هو أن تعنى بالصناعة فيها ، وتحويل حياتها الاقتصادية من الزراعة الى الصناعة . ولكن قيام الصناعة في هذه البلاد التى تتوافر فيها الايدى العاملة الرخيصة سيكون مصدر الخطر الأكبر على الحياة الاقتصادية في بلاد أوروبا وأمريكا حيث تقل اليد العاملة ويكثر أجرها . واذن فأنى أرغب أن نحور - نحن الغربيين - من أنفسنا ومن نظامنا لمواجهة هذا الموقف الجديد ، لتفادى النتائج . وهذا في رأى هو أقدح خطر يهدد سلم العالم في نصف القرن التالى . فضلا عن كونه أكبر عقبة تعترض انشاء السلطة الدولية التى سينظر اليها في الهند والصين على أنها مجرد وسيلة لإطالة أمد سيطرة الجنس الأبيض وتوسيع أفقها

الدول المهزومة

هناك قوتان متنافستان تؤيدان الى قيام الحروب الكبرى : قوة « الجشع » من جانب الأقوياء الظافرين ، وقوة « الضيق » من جانب الضعفاء المحرومين . ولن يخرج من هذه الحرب قوى ظافر واحد ، بل ستكون القوة والظفر من نصيب أربع من الدول الكبرى . وهذا من شأنه أن يقلل من خطر الاستعمار وينضد من شوكته . نعم ان التسوية عاجلة ستكون صعبة ، ولكنها على أى حال لن تترك دولة واحدة تنفرد بالسلطة والنفوذ على ربوع العالم جميعها

هذا ما يتعلق بالظافر ، أما ما يتعلق بضيق الضعيف المحروم ، فنبدأ بالكلام عن الأمم المهزومة . ان العالم لن يكون عالما آمنا متسامحا حتى تغلظ ألمانيا واليابان ببعض المطالب التى تهدى نائرتها وتطفئ غلتها ، دون أن يتبع لها ذلك من القوة ما تهدد به الآخرين وتصلبهم به نيران الحروب . وكذلك تحتاج هاتان الامتان الى جيل جديد يتربى تربية مشربة بروح الحرية والتسامح ، ليكون أقدر على مواجهة العالم الجديد من الجيل الراهن الذى تربى على كراهة الشعوب الاخرى ، والانثرة المفرطة الخطرة ، وتقبيد الحرب وتعددها ضرورة من ضرورات الحياة ..

ولكن قمة مشكلة عاجلة أخرى ، وهى مشكلة الشعوب التى قهرتها ألمانيا وأذلتها . فبولندا - وأمرها أقسى من أمر سائر الأمم المهزومة - قد عانت شتى صنوف التكال والمذاب تحت النير الألماني ، حتى امتلأت صدورهم بالحقد العنيف والكره الاسود

للسحب الألماني . ولكن مهما يكن من عطفنا على مأساة الشعب البولندي ، فليس من الحكمة والتبصر أن نسمح لمواطننا أن تتحكم في الموقف ، فنطلق لها عنان الثأر والانتقام . فإن كثيرا من البولنديين يقولون بضرورة ضم بروسيا الشرقية الى بولندة ، ولكن أية نتيجة لهذا الا أن تقوم مشكلة دانزيغ - التي كانت شرارة الحرب كلها - على نطاق أوسع وبصورة أدعى للنفمة وأحفز على الثأر ؟

أما الدول الصغيرة ، فلا بد لها من قيود . وأول هذه القيود أن تقل النسويات الإقليمية التي يقررها سياسة الدول الكبرى مجتمعين في مؤتمر الصلح القادم ، حيث ستعود روح تناقض الروح التي سادت ما سبقه من المؤتمرات . ويجب عليها أن تجبر على أن تؤلف مع جيرانها اتحادا تلغى فيه المكوس الجمركية ويعاون على تحقيق الرخاء في أجزائه المختلفة . وأهم من ذلك وأعسر ، أن يطلب الى هذه الدول الصغيرة أن تقبل وضع نفسها تحت حماية « حامية عسكرية أجنبية » مؤلفة من جيوش عدة دول مختلفة ، إذا قررت « السلطة الدولية » المشرفة على العالم أن وجود هذه الحامية لازم للمحافظة على السلام . وبذلك تنفادي ما وقع في هذه الحرب ، من تحطم الدول الصغيرة واحدة اثر واحدة ، بينما اكرهت الدول الكبرى التي أرادت انقاذها على أن تقف موقف المشاهد الذي لا يملك من الامر شيئا

وعلى أي حال فإنه اذا لم يكن ثمة أمل كبير في عقد صلح بعد هذه الحرب يعالج مشكلة الحروب المستقبلية علاجاً حاسماً يفضى على بذرتها قضاء مبرما ، فإن هناك آملا قويا في أن يتوفق سياسة العالم في عقد صلح يجنب العالم هول الحرب ردحا طويلا . وذلك يحل مشاكل الامبراطوريات الخاصة ، والشعوب الصغيرة المستقلة ، وباقامة العدالة الاجتماعية في أقطار آسيا ، وإزالة ما تعانيه شعوبها من قيود السيادة الأجنبية الا ما تقرر « السلطة الدولية » ضرورة قرصنة من هذه القيود

(خلاصة مقال لبرتراند رسل في صحيفة « العالم الحر » الأمريكية)

كلمات لأفلاطون

— لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، فكيف بك إذا لم يأمنك صديقك ؟

— من مدحك بما ليس فيك من الجليل وهو راض عنك ، ذلك بما ليس فيك

من القبيح وهو ساخط عليك . .

إيطاليا بين العرب والألمان

بقلم الأستاذ محمد أمين حسونة

إيطاليا الآن بين الحقاء والألمان ، وقد كانت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بين العرب والألمان ، قد فتح المسلمون صقلية ، ثم وثبوا منها إلى إيطاليا كما يفعل الحقاء الآن . وقد وفقت إيطاليا في أيديهم ، ونشبت مباركة بينهم وبين الألمان فيها

لم تنقطع الغزوات الإسلامية البحرية عن ممتلكات الروم في البحر الأبيض المتوسط وسواحل القسطنطينية منذ فجر القرن الثامن الميلادي ، فاستطاع الأسطول العربي الإفريقي الاستيلاء على جزر أفرطش ، كريت ، ورودمس ومالطة ، وكان قد استولى قبل ذلك بعدة قرون على قبرص . وعند ما أخذت قوة الإسلام البحرية تتضاعف وتنبسط في حوض البحر المتوسط لحماية ثغور الأندلس وتونس ،

صارت جزر شرق الأندلس ، البليار ، وقورسقة وسردانية وقوصرة ، بانتلاريا ، عرضة لغزوات المسلمين ، فكانت سفنهم لا تفتأ تجوس خلال مياه هذه الجزر يستخدمونها قواعد بحرية ، يثيرون منها على بلاد الفرنجة ، ويجد فيها القرصان مرائف آمنة يسهل اللجوء إليها والحصول على الزاد والنفخة

والواقع أن المسلمين بعد أن فتحوا أفريقيا واستولوا على هذه الجزر ، شغفوا بركوب البحر ، وأكثروا من بناء الأساطيل الضخمة ، واستخدموا الجوارى المنشآت ، ودرّبوا رجالهم على شؤون الملاحة وفنون القتال في البحر ، وعزّوا إلى الرسول الكريم أنه قال : « الجهاد في البحر فيه عشرة أمثال الجهاد في البر »

وكانت دور الصناعة البحرية في المربة وقرطجنة واتنيلية وغيرها من ثغور أفريقيا تهيم طوائف من السفن التي تصلح للمساجلات البحرية ، مستعينة بنحو ثلاثة آلاف تجار قبطنى استقدموا من مصر ، وكانت هذه الدور تحت إشراف قائد بحرى يطلق عليه عادة لقب « أمير الماء »

فتح صقلية

لم تكن تخفى على المسلمين بعد أن انتزعوا معظم ممتلكات الروم في البحر المتوسط قيمة صقلية الجغرافية وخصب أراضيها وما تمتاز به من قاعدة بحرية فريدة تهدد شواطئ الأفرونج شرقا وغربا

وكان العرب قد أغاروا على هذه الجزيرة منذ عام ٨٣٢ . وكروا عليها عدة كرات دون أن يوففوا إلى امتلاكها . وكانت صقلية إذ ذاك واقعة تحت حكم الروم ، وقد زادت حالة أهلها بؤسا عقب ظهور الاسلام وفتح العرب سوريا ومصر وانتزاع أراضيها الحصنة

من الامبراطورية البيزنطية . فلم يجد الروم بدا من الاسراف في استغلال الجزيرة واستنزاف مواردها ، ليعوضوا عما فقدوه من دخل سوريا ومصر . وكان أهل صقلية يلقون سنوفا من الجور والفساد ويتمنون الخلاص من رقة الروم . ومما زاد الطين بلة أنه عند ما تقدمت الجيوش الاسلامية الظافرة الى قلب أفريقيا وشواطئها الشمالية ، انتقل قيصر القسطنطينية ببلاطه الى صقلية متخذاً مدينة سرقوسة « سيراكوزا » عاصمة ملكه ، بيد أن هذا النظام لم يدم طويلاً ، اذ عاد بعدها مقر العرش الى القسطنطينية

وعند ما تولى عبد الرحمن النافقي امانة الاندلس عقب ذلك ، راح يفكر في تجهيز حملة عسكرية يقودها ضد فرنسا ، ويدوخ بها هذه الملكة ، ويأخذ بالثار للمسلمين عن الغزوات التي سحقت فيها قواتهم في أرض الأفرنج ، ثم يجتاز فرنسا الى ايطاليا فيستولي عليها ، ويمدوها الى ألمانيا والقسطنطينية ، ويدخل جميع هذه الامم في حكم الاسلام وكانت الحامية الدينية في ابان فورتمها ، والاندلس وفرنسا الجنوبية بحضب أراضيها واعتدال مناخها قد أصبحتا مقصدا للعرب والبربر الذين يهبطون عليها من جبال أطلس على أن حروب النافقي مع شارل مارتيل الملقب عند العرب «بقارلة» ثم انكسار جيوش المسلمين في واقعة « بلاط الشهداء » شغلت جهودهم ، فلم تمكنه من تنفيذ ما اتواء من بسط السيادة الاسلامية على ربوع الأفرنج

وفي عام ٧٤١ م جهز الأمير حبيب بن أبي عبيدة الفهري أسطولاً قوياً تولى قيادته بنفسه ونزل يشواطىء صقلية ، وكاد فتح الجزيرة يتم على يده لو لم تحدث ثورة البربر ضد حكم المسلمين في تونس . وكان هؤلاء البربر سلالة أمة نازلت القرطاجنيين وقامت الرومانيين ، واشتهرت بصعوبة المراس وطلب الكفاح ونمطق الحرية والاستقلال ، فاضطر الفهري الى العودة وشيكا الى تونس لقمع هذه الفتنة قبل أن تستفحل ويظم خطرهما وأخيراً أتاحت الفرصة أن يتم فتح صقلية على يد أسد بن الفرات ، وأن تنقل هذه الجزيرة تحت ظلال السيوف الاسلامية زهاء قرنين ونصف قرن . فانه في عام ٨٢٧ م . ثار أهل الجزيرة على الحكومة البيزنطية وعلى قيصر الروم ميخائيل الثاني ، وقيل ان الذي ثار هو حاكم الجزيرة المولى من قبل القيصر . وخرج عن طاعته . وعلى كل حال فإن الرسل أسرع الى القيروان ، واستعانوا بأميرها زيادة الله بن الأغلب ، ودعوه الى نصرتهم واعدن في مقابل ذلك بتوليته عليهم . فشاور الأمير أعوانه ، وكان متردداً في تلبية الدعوة ، يوحس خيفة من مكر الروم ودعائهم ، فأشار عليه قاضي القيروان أسد بن الفرات بانتهاز هذه الفرصة الفذة لادخال الجزيرة في حكم المسلمين . وكان ابن الفرات هذا عالماً فذا وجندياً بأسلاً وبحاراً مفاصراً ، فقبل الأمير مشورته ، وجهاز أسطولاً ضخماً مؤلفاً من سبعين مركباً وعشرة آلاف محارب وتسعمائة فارس غير النواتية ، وأسند قيادة الحملة الى ابن الفرات

وخرج الأسطول العربي الى عرض البحر في شهر ربيع الاول عام ٢١٢ هـ . (٨٢٧ م)

متجها صوب صقلية ، ورست السرايا المجاهدة في ثغر مازدة (مازارا) على الطرف الشمالي الغربي للجزيرة ، فأنزل العرب جيوشهم بها ، ثم ولوا وجوههم شطر الشرق ، وسرعان ما وجد ابن الفرات أمامه جيشا جرارا يبادل عشرة أضعاف جيشه عدا ، فلا سورة « يس » ثم كبر ، وهجم على العدو وشتت شمله وغنم غنائم نفيسة . واتجهت طلائع الجيش الفاتح الى سرقوسة « سيراكوزا » فاستخذت له قلعتها بعد حصار عنيف ، ونفشت الاوثى بين رجال الجيش ، وأدركت الامام ابن الفرات الشهادة ، فتولى القيادة صاحب أسطول الاندلس القائد أصبغ

وهنا بحث قيصر القسطنطينية بالمدد تلو المدد ، ووقعت بين الطرفين معارك طاحنة هلك فيها ألوف المحاربين ، وفك الطاعون بجند المسلمين ، لكنهم استطاعوا برغم هذه الأحوال الجسام أن يشبوا أقدامهم في الجزيرة الى أن أمدتهم ابن الأغلب بجيش جرار يهزم شوقا الى القتال ، وبأسطول من السرايا المجاهدة ، فأعاد المسلمون الكرة ، وسقطت عاصمة الجزيرة بلم « باليرمو » في أيديهم ، ثم ساروا الى صيربانية « كسترو جيوفاني » وقطانية ومسينى « مسينا » فاحتلوها ، وصارت بقية المدن والتور تساقط في أيديهم وما أنت سنة ٨٧٨ م . حتى كانت الجزيرة برمتها في قبضتهم ، وأصبحت جزما من دار الاسلام ، واستطاعوا أن يجعلوا منها أعظم قاعدة بحرية تهدد الشواطئ الإيطالية

دخول إيطاليا

لما رسخت أقدام المسلمين في صقلية ، لم يبق أمامهم سوى مضيق مسيني للدخول الى الأرض الكبيرة ، وكانوا يحنون بها المقاطعات الإيطالية نفسها ، فتمكن الأسطول الأفريقي من عبور المضيق ، واستطاع الجيش الفاتح أن يقطع امداد قلووية « كالابريا » واقامة حاكم من قبل الخليفة الفاطمي عليها . ثم استولوا على طارنط « نارتو » ورابطت جنودهم في بارة « باري » ، وسيروا حملة بحرية أثخن الشواطئ القريبة من نابل « نابولي » الى مصب نهر طفرى « التير » ثم صعدت الى ضواحي رومية وعاث رجالها فسادا في المدينة فنهبوا كنائس القديسين بطرس وبولس ، وألزموا البابا يوحنا الثامن بأن يؤدي الجزية للمسلمين ، وأخيرا نفذوا الى جنوة وعطلوا سدود نهرها ، وتوغلت جماعة منهم في المقاطعات الشمالية حتى وصلوا الى جبال الالب واحتلوا معايرها ، وقطعوا المواصلات بين فرنسا وإيطاليا ، وصاروا يجيئون المكوس على البضائع ويضطرون المسافرين الى دفع ضريبة اجتياز المعابر

ومما شجع المسلمين على دخول إيطاليا وتوطيد أقدامهم في أراضيها ، أن أمراء المقاطعات كثيرا ما كانوا يتنازعون فيما بينهم ويثرون الفتن والشجاء ، وكان البعض منهم يستجبد بحاكم صقلية ليخذل خصمه ، فلما دخل المسلمون هذه المقاطعات وجدوا أمورها في فوضى ، لا تجمع حكامها رابطة قومية ، ولا تضمهم وشيجة من الوطنية الصارخة ،

فصاروا يحاربونهم ويحلونهم عن ممتلكاتهم حتى دخلت مقاطعات برمتها في حوزتهم في ذلك الحين ارتفعت بيزنطة من هول الاحداث التي لحقت بممتلكاتها ، فقد فقدت كريت ، وفقدت صقلية ، وضاعت منها مقاطعات برمتها في أرض ايطالية ، ولم يبق أمام الاسطول العربى سوى تهديد شواطئ بحر ايجه ، وانتزاع كيليكية وأطراف سوريا وكان الاسطول الرومى حتى القرن الثامن من القوة بحيث رد المسلمين مرتين عن القسطنطينية ، وحمل كريت وجزر البحر المتوسط من غارات الاساطيل والجيوش الاسلامية . لكن القياصرة اليزوريين أصبحوا يهابون قوة هذا الاسطول البيزنطى لتدخل قواده في السياسة ، فقد خلعوا القيصر ليونس عام ٦٩٨ م . وأقاموا مكانه أمير البحار ايشمار ، ثم خلعوا فيما بعد القيصر يوستينيانوس الثانى عام ٧١١ م . لذلك اتفقت كلمة الاسرة المالكة على الغاء اماره البحر وانقاص الحاميات وعدد سفن الاسطول وحرافانه على أن ظهور قوة الاسلام البحرية جعلت قيصر الروم يعيد التفكير في بعث أسطوله واحياء مجده السالف ، وتجديد حامياته وتعزيزه بقطع بحرية جديدة . وما تم ذلك حتى سبرت بيزنطة حملتين بحريتين الاولى عام ٩٠٢ م . والثانية عام ٩٤٩ م . لاسترداد كريت وصقلية ، لكنهما باءتا بالفشل . فجهزت حملة ثالثة عام ٩٦١ م . على رأسها نيسيفور المعروف عند مؤرخى العرب باسم « نففور بن القفاس الدمستق » فاستطاع أن يسترد اقرطش من أيدي العرب

وكان الروم قبل ذلك قد اضطروا الى عقد محالفة مع أعدائهم العرب تقضى بأن يؤدوا للخليفة الفاطمى جزية سنوية ، في مقابل أن يؤمن الخليفة شواطئهم وما بقى في حوزتهم من ممتلكات وكثيرا ما كان الروم يتأنون عن تسديد الجزية في مواعيدها ، فيعود الاسطول العربى ويشن الشواطئ والممتلكات البيزنطية ، ويمنصرخ أهل هذه الممتلكات طالعين الى القيصر أن ينفس عنهم ببذل المال للفرقة . فلما تبوأ عرش القسطنطينية نففور الثانى ، وكانت بداية حكمه سلسلة من الفتوحات والانتصارات التى توجهها باسترداد كريت ، عاهد شعبه كما عاهد سلفه رومانس على أن يعيد اليه صقلية وسوريا والأراضى المقدسة . فامتنع أولا عن دفع الجزية وخرق حرمة المعاهدة التى عقدها أسلافه مع الخليفة ، وتاهب لمحاربة المسلمين حربا لا هوادة فيها ، وسير حملة عسكرية بقيادة الحصى نسيئاس ، سارت الى شواطئ صقلية في شهر مبتمبر عام ٩٦٤ م

تقدم نسيئاس بأسطوله صوب صقلية في الوقت الذى يهاجم فيه مولاه اقطاعات سيف الدولة في سوريا الشمالية

وشهدت أرض صقلية مواقع حاسمة بين الروم والمسلمين ، واستطاع الاسطول العربى الافريقى في بادئ الامر أن يضيق الخناق على الاسطول البيزنطى ، وجرت بينهما موقعة بحرية هلكت فيها ألوف الأرواح . وكان الاسطول العربى بقيادة حاكم صقلية احمد بن الحسن بن على ، وسقطت قلعة رمطة الحصينة « روميتى » بعد أن لبث الروم معتصمين

بها زهاء واحد وعشرين شهرا . وأمر قائد سلاح الفرسان فوكاس وأركان حربه ، وكانوا قد اجتازوا مضيق ميسني وصعدوا الى اليابسة لانتقاذ مواطنيهم وفك اسارهم من الحصار الذى ضربه المسلمون عليهم ، أما فلول الجيش الرومى فوقعت فى الاسر ، اذ أطبق العرب عليهم من كل صوب واستماتوا فى قتالهم حتى فنوا على بكرة أبيهم ، وغصت بلرم بالأسرى والغنائم والعتاد الحربى ، وكان من بينهم ألف رجل من عظماء الروم ومائة بطريق أخذوا بصفة رعاثن . ويطلق مؤرخو العرب على هذه الموقعة التاريخية « وقعة المجاز » . أشار إليها ابن خلدون فى تاريخه ، وقال عنها ابن الأثير : ان حاكم صقلية ضيق الحناق على مدينة ميسني وكن للروم فى بعض المواقع فوقموا فى الكمين ، ولم ينبج منهم الا القليل ، ثم بث السرايا فغنموا غنائم كثيرة ، ثم استأمن أهل نابل « نابولى » وأقام المسلمون بمدينة طارنط « تارنتو » من أرض انكبوده « كالابرا » وسكنوها

ويضيف المستشرق الايطالى ميشيل أمارى الاستاذ بجامعة بالرمو فى كتابه « حكم المسلمين فى صقلية » الى ذلك قوله : « وفيما كان الاسطول البيزنطى يقفل متقهقرا من هذه الموقعة ، اذ أرسل العرب عددا وافرا من السفن لمطاردته ، فانسحب الروم الى الوداء ، فتعقبهم العرب . وكان الروم يملكون نفاطات حارقة تسمى « النار الاغريقية » وكانت ميزتها أنها تحرق المراكب بمجرد أن تصيبها . فما ان اشتبك الاسطولان فى هذه الموقعة الفاصلة حتى خفت بقايا السفن البيزنطية الى الاسطول العربى الأفرقى ، وأحرقت منه مراكب كثيرة ، وأصيب المسلمون اصابة لا تموض »

العرب والاطال وجرها لوم

كان لانكسار الروم فى هذه الموقعة صدق عميق فى القسطنطينية ، فسادها الوجع ، وخيم اليأس على النفوس ولبن البلاط ثوب الحداد ، وصار من الصير على تقفور أن يجد الكرة لانشغاله بحروبه مع سيف الدولة فى سوريا الشمالية . وعقد مجلس التاج فاقترح طلب الصلح من الفاطميين ، ومما زاد سبيل التفاهم بين الامتين المتعاديتين ظهور خصم قوى جبار فى سماء أوربا ، أخذ يضيق الحناق على الروم والمسلمين معا ، ويقتلع ممتلكاتهما الواحدة تلو الاخرى ، فمقدت مهادنة بين تقفور وبين المعز عام ٩٦٧ م . ونسى العاهلان ما بينهما من الشحنة والضغائن فى سبيل دفع ذلك العدو المشترك

ولم يكن ذلك الحضم القوى السكينة سوى أوتون الاول ملك جرمانية الذى عرف فيما بعد بالامبراطور الكبير . فانه ما كاد يتوج ملكا على جرمانية حتى جرى على سنة أسلافه من اتباع سياسة الغزو وسلب جيرانه أقواتهم والتكبل بهم . وقد اختط لنفسه طريق التوسع فى الفتح ، ففهر المجر وملك لمبارديا وهبط الولايات الايطالية فاستولى على الاطراف الشمالية منها ، ثم بوع فى بافيا فصار يلقب بامبراطور ألمانيا وملك ايطالية . ولكى يصرف أبصار المسلمين عن حقيقة نواياه ، دخل فى علاقات مع خليفة قرطبة

عبد الرحمن الناصر ، وبعث اليه بسفارة مؤلفة من راهب يحظى العربية وموظفين رسميين لكنه كان يعمل في الواقع على أن يقلص ظل المسلمين من أوروبا . فاتحدر بجيشه الى أواسط ايطالية وحاصر مدينة رومية ، وأجبر البابا على توجيهه بتاج الامبراطورية ، فلما رفض البابا يوحنا الثاني عشر طلبه وبعث يستنثى بغيراته المسلمين سلحه ، وأقام مكانه لاوون الثامن ، ثم مات هذا الأخير ، فأقام يوحنا الثالث عشر . وظل أوتون يرتكب الفظائع والحوادث الجسام في الاراضي الايطالية حتى ضج منه الاهلون ، وتوسلوا الى أعدائهم العرب أن يدفعوا عنهم بني وعدوان المنبرين المحجين

ووقع الروم بين نارين ، وتولت القسطنطينية الذعر ، فأرسلت وفدا يعرض الصلح على الفاتح الألماني ، فاشتراط لكي يضمن سلامة المقاطعات البيزنطية أن يتزوج ولي عهد ألمانيا الأميرة تيوفانو ابنة قيصر الروم ، وأن يدخل روما حاملا لقب الامبراطور . وكان من الطبيعي أن يرفض طلب المصاهرة هذا ، لأن معناه أن تزف ابنة القيصرية الى أمير ليس من جنسها ولا من دم أجدادها ، وأن يحمل هذا الأمير لقباً يعنى به على حقوق بيزنطة

فلما رجع الوفد من القسطنطينية يحمل الرفض ، لم يجد أوتون مناصاً من استئناف الحرب ، فنهيا لحوض غمار القتال ، وعلم تقفون ان الحرب واقعة لا محالة ، فلستأنثا بخصمه المعز الفاطمي طالبا اليه عقد محالفة عسكرية ، ونأهب الجيشان للدفاع العارم . وكان الشعب الايطالي قد تيقظ من غفلة ، ورأى أن مصلحته تقضى بالتعاون مع العرب على دفع المغير الألماني ، فلما شرع أوتون زحفه نحو الجنوب ، أدركه أن يجد الجيوش الاسلامية والرومية متحدة على قتاله في البر ، وألقى الاسطولين العربي والبيزنطي يؤلفان أسطولا واحدا ، فامتزجت دماء العرب بدماء أعدائهم الروم ، وتضاف الشبان على أخوة السلاح . واندفع الجيش الاسلامي مندلفا من كلايريا اندلاق السبول من الجبال لا تقف في وجهه عقة ولا يخل شيء من عزيمة رجاله ، فأكسح الجيش الألماني ، وامتلأت أيدي المسلمين بالغنائم ، واستطاع جيش المسلمين أن يخضع شوكة أعدائه ، وأن يجلوهم عن أماكنه ، فارتد الألمان عن جنوب ايطالية ، ولكن بنية الرجوع اليها عند سنوان الفرصة

ومات أوتون الاول عام ٩٦٨ م . قبل أن يستأصل شائفة المسلمين ويحقق الوعد الذي قطعته لأمته ، فخلفه على العرش أوتون الثاني ، وكان شابا مغامرا أراد أن يتهج على سياسة سلفه ويترسم خطاه ، فبدأ بتقوية أوامر الصداقة مع الامبراطورية البيزنطية ، وأسرع بعقد معاهدة معها بنية أن يفرق بينها وبين حليفاتها الدولة الفاطمية ليتفرغ هو لمحاربة المسلمين ، وأفلح في الاقتران بالأميرة تيوفانو كريمة القيصر ليقوى وشيعة التحالف بينه وبين الروم . وفي عام ٩٨٢ م . نشب الصراع بينه وبين المسلمين ، وكان قد جعل طارنط قاعدة يثب منها على قلورية ويدير منها دفة الحرب . ولم تكن تخفى على ابي القاسم قائد الجيوش الاسلامية ما انتواء خصمه اللدود فأعد المدة ، وتلافى الجمعان عند مدينة روسانو

واحتل صليب السلاح بين الكتاب الألمانية المؤلفة من فيان شقر يرتدون الزرد من قمة الرأس الى أخمص القدم وبين فرسان العرب الذين يتجلبون بالبرانس البيضاء . وظل القتال دائرا النهار الاول بأكمله وتوجس أبو القاسم خيفة أن يكسر عدوه جناحه ففتر عزائم جنوده وتوهم نفوسهم ، فلما أرخى الليل سدوله انسحبت جيوش المسلمين الى حيث وارتهم التلال الجنوبية ، فقطع أوتون الثاني الجبال يتعقبهم دون أن يظن الى أن انكفاء المسلمين الى الوراء لم يكن سوى خدعة ومكيدة يقصدون بها صرف نظره عن وجهتهم الحقيقية وهي استدراج عدوهم الى داخل الجبال . وفي الوقت ذاته أمر أبو القاسم السرايا المجاهدة بضرب حصار على الشواطىء وحماية جناحه الايمن ريثما يعيد تنظيم جحافلهم وجنوده ، فأخذت السرايا ترداد الشواطىء وتجوس خلال المياه وتحول دون أى مدد يحتمل أن يتلقاه العدو من البحر . ولم يكن أوتون الثاني يملك أسطولا يستطيع أن ينازل به الاسطول العربى أو أن يتترع منه السيادة فى البحر المتوسط ، فأرسل يستجد بحبيه قيصر القسطنطينية ليمده ببعض السفن والحراقات

وبدأت الواقعة الفاصلة فى اليوم الثالث عشر من شهر مايو عام ٩٨٢ م . فتدفقت الجحافل الجرمانية عند ساحل ستيلو عند الموقع المعروف بالعمود ، وكانت تضم عشرات من أشرف الالمان ، بينهم دوق كونراد نجل أمير مقاطعة متز فى اللورين الذى وهب جميع أملاكه لينفق منها الامبراطور على هذه الحرب . واستطاعت كتيبة ألمانية أن تشق طريقها بين جيش المسلمين حتى بلغت نجيم ابي القاسم وقتل هو فى المعركة ، فهلل الالمان ، وحسبوا أن النصر مواتيهم بعد أن قتل القائد الباسل وسط جنوده . بيد أن موت القائد ذكى فى نفوس هؤلاء الشباب الذين تفور صدورهم بالحماصة الدينية المقرونة بموامل المجد والشرف والجهاد فى سبيل الله ، شعلة الانتقام ، فاندفعوا بين الصفوف ، غير مكترئين للموت الذى كان يحصدهم حصداً ، على حين صعدت كثائب منهم صياصي الجبال ، فما أن ارتد الالمان الى الوراء قليلا حتى تساقطوا من القنن والهضاب وحملوا عليهم حملة شعواء

ويبدو أن الجرمان كانوا لا يفقهون شيئا من أساليب القتال عند العرب ، فتولاهم الذعر وركبوا الى الفرار صوب الشاطىء ورموا بأنفسهم فى البحر ، فمنهم من طوتهم لجة الماء ومنهم من تلقاهم رجال الاسطول العربى وأخذوا أسرى

وكان بين الذين أدرکہم الموت فى هذه المعركة الدامية من الامراء : كونراد وارنولد وارمفريد ولاندولف أمير مقاطعة كابو والدوق رينالدو ، ومن الاشراف والنبلاء : دوق ريشارد حامل سلاح الامبراطور والكونت أوتو زعيم المحاربين والمركيز برتولد

أما الاسرى فسيقوا الى بلرم ومنها أرسلوا الى المهدي ، واضطر الامبراطور الى دفع فدية لفك اسار بعض الاشراف ، وليست ألمانيا بأسرها لباس الحداد شهورا على هذه المعركة التى هلكت فيها ألوف الارواح من زهرة شبابها

محمد امين حسونة

من ذكرياتي عن الشيخ محمد عبده

بفلم الأستاذ احمد حافظ عوصه بك

هذه كلة موجزة عن سبب نشر هذه الرسالة عن المرحوم الامام الشيخ محمد عبده . كنت من زمن طويل أفكر في وضع كتاب يجمع بين ذكرياتي في حياتي الصحفية والسياسية والأدبية . وكان اشتغال بإصدار الصحف معطلا لي عن تنفيذ هذه المهمة التي تشغل بالي وتغتك في صدرى ، فلما تغيرت الأحوال وفشت الظروف ألا أسمر ولا أحرر جريدة ما ، عاد لى ذلك الحاضر فأخذت أجمع وأرتب أوراقى فعثرت على نسخة « بنية » (١) من كتاب تاريخى وضعته ، عن رحلة سمو الخديو السابق في الوجه البحرى سنة ١٩١٤ ، فأودعتها دار الكتب وكتبت لها مقدمة ملوطة بخط يدى وجعلتها جزءاً من ذكرياتى التي اخترت لها عنوان (آثار أقدام في رمال الزمان) Foot Prints in the Sands of Time لا أتعبد فيها كما يعبد كتاب المذكرات بالأيام والأعوام بل أدوس فيها على رمال الزمان ، وأكتب ما أريد أن أكتب عن الأشخاص والحوادث التي كان لى فيها اشتراك أو اتصال . فذاع خبر هذه النسخة القيمة التي أودعتها دار الكتب ، وظن القس أنى وضعت كتاباً كاملاً . فانضطرت أن أشرح ذلك للقراء وأن أشتغل بانتخاب هذه الذكريات ونصن ما جنى ببسرى ذلك . فهذه الرسالة التي ينشرها « الهلال » عن المرحوم الشيخ محمد عبده إنما هي قطعة اخترتها بناء على رغبة المحاضر المحترم رئيس تحرير « الهلال » أميل زمان بك ، وإلى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمد لى من العمر ويصنى بالصحة حتى أستطيع أن أتم ما بدأت ، وأنجز ما به وعدت

شرحت في هذه المذكرات ، أو الذكريات ، كيف تركت مدرسة اللطيف العليا واندمجت في تحرير جريدة الزيد في شهر مايو سنة ١٨٩٨ ، وكيف كان ذلك الانتقال نقطة الدوران أو التحول في حياتى التي أدت الى ما أدت اليه

وحدث حادث اطلاق الأمير سيف الدين الرصاص على الأمير أحمد فؤاد (صاحب العظمة والجلالة سلطان مصر وملسكها) . وبدى في محاكمة الأمير سيف الدين وكان المرحوم الشيخ محمد عبده قاضياً في محكمة الجنائيات ، مع المرحوم أحمد فتحي زغلول شقيق المرحوم سعد زغلول ، وقد صار فيها بعد وكيل وزارة الحفانية في العهد الكرومرى الأخير

(١) استولت السلطة العسكرية الانجليزية سنة ١٩١٤ بعد عزل الخديو عباس على نسخ هذه الرحلة لأنها كانت مطبوعة في مطبعة الحامسة الخديوية ولم تكن قد جمت ملازمها لتقليف والتجديد

وانعقدت الجلسة في السراي التي صارت بعد ذلك ادارة لجريدة « الأخبار » محررها للرحوم أمين الرافعي بشارع الحديوياسماعيل . وقد بنيت اليوم مدرسة يونانية ، فانتدبني للرحوم الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد لحضور تلك الجلسة لتلخيص ما يدور فيها من الراءات والملاحظات فوقع نظري لأول مرة على الشيخ محمد عبده ، وهو القاضي الأهل الوحيد الذي كان يلبس العمامة . وكان ذلك قبل أن يتولى وظيفة الاتناء

أما موضوع هذه القضية وما دار فيها من الراءات وما كان فيها من نكات من الهلأوى فما لا يدخل في هذه الذكرات

مضى على تلك الرؤية الأولى للشيخ محمد عبده نحو عام ، ثم نقل الأستاذ الامام الى وظيفة الاتناء ، وكان يلقي دروس التفسير في الرواق العباسي الجديد ، وأنا ما زلت محرراً في جريدة المؤيد أكتب للقلات بأمنأى - ١ . حافظ عوض - كما عرف الناس

وصادف أن كنت أقيم في منزل صغير بجهة عابدين مع للرحومة والدتي وهي من بلدة « لقانة » في مركز شبراخيت . وكان والدي قد توفي في بلدنا دمشق سنة ١٨٩٦ ، فلما تركت المدرسة كما فصلت في هذه الذكرات ، ووظفت محرراً في المؤيد ، واستأجرت منزلاً في عابدين جئت بوالدتي للاقامة معي في القاهرة . ولقانة هذه قرية مجاورة لحة نصر ، مسقط رأس الشيخ محمد عبده . وكان لوالدتي ابن عم اسمه الشيخ عبد الهادي زيد وهو من زملاء الشيخ محمد عبده في أثناء طلبهما العلم بالأزهر ، وكانت بينهما مصاهرة إذ كان شقيق الشيخ عبده زوجاً لأخت الشيخ عبد الهادي زيد ابن عم والدتي وأخطبه بلقب الحال

وقيل لي إنه لما جاء جمال الدين الأفغاني لمصر وألقى دروسه بالأزهر ، كان الشيخ عبد الهادي من الشيوخ القدماء الذين أساءوا الظن بجمال الدين لاعتقادهم بحرية فكره أو بزندقته فترك لذلك الأزهر وعاد الى بلدة لقانة

ودلرت دورة الفلك ، وحصلت الثورة العرابية ، ونفى الشيخ محمد عبده وسافر الى باريس ولندن مع جمال الدين وعاد لسوريا ، ثم لمصر ، ثم صار قاضياً ومفتياً وسكن الشيخ محمد عبده في عين شمس . فكان خالي للرحوم الشيخ عبد الهادي زيد حين حضر للقاهرة لحاجاته وزيارته ، ينزل ضيفاً على الشيخ عبده الذي كان يكرمه ويحبه كثيراً لقرايتهما وزمالتيهما وذكراتهما

فلما جاءت والدتي معي في القاهرة جاء الشيخ عبد الهادي واتخذ منزلاً محطاً لرحاله ، وفي اليوم التالي تقدموه ذهب الى الرواق العباسي للسلام على الشيخ للفتي ، فلما أبصره الشيخ سأله : « أين أنت يا شيخ عبد الهادي ؟ وهل ذهبت الى عين شمس ؟ » فأجاب : « أنا هنا منذ يومين وقد ذهبت الى منزل ابن أختي » - وفي الأرياف تلقب بنت العم بالأخت - وذكر امي . فاعلم الشيخ الامام ، وقال : وهل حافظ عوض الذي يكتب للقلات في المؤيد ابن أختك ؟.. ده صحيح

الولد لحاله . . اذهب فأتني به الليلة في عين شمس فاني أحب أن أراه ، وإما تبئت عندنا أو تذهب مع ابن أختك . . »

في ذلك اليوم عدت الى منزلي قبيل للغرب فوجدت الشيخ عبد الهادي منتظراً لنذهب معاً الى الشيخ الامام ، فقلت غداً نذهب . قال بل الليلة لأن الشيخ في انتظارنا وقد وعدته بمجيئك وذهبتا الى عين شمس وقابلت الشيخ محمد عبده فكان فتحاً جديداً في حياتي ، واتساعاً في أفق تصويري وتفهيمي ، وعاملاً من عوامل التاريخ والحفظ في هذه الحياة التي دارت دورتها ، ومثلت روايتها

أحبني الشيخ وأحبته ، وقربنى اليه بعد هذه الزيارة سنوات طويلة ، وعرفني بالمستر بلنت فكان لهذا وغيره أثر في حياتي وحركاتي السياسية ، وعلاقاتي بالكثيرين من الأجانب العلماء والزعماء ، الذين كانوا متى حضروا ، لمصر لا يعتبرون أن زيارتهم لها تتم دون أن يقابلوا الشيخ محمد عبده مفتي الديار ، الذي ملا ذكره الاذهان والأمصار ، شرقية وغربية

ومن هنا تبنت في ذكرياتي الحقيقية عن علاقة المرحوم الشيخ محمد عبده بالمستر بلنت المعروف الذي كان يقيم في منزل ذي حديقة كبيرة بعزبة النخل على مقربة من منزل الشيخ محمد عبده ، وتاريخ العلاقات بينهما طويل ، حتى لقد خصص للمستر بلنت في كتابه « التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر » ، ثم في مذكراته الاخيرة ، جزءاً كبيراً من كتابيه هذين عن للمرحوم الشيخ محمد عبده

وعندى أن علاقة الشيخ الامام بالمستر بلنت ، ومقابلته لزعهاء الارلنديين ، سواء للقيمين منهم في بريطانيا أو في أمريكا ، والذين كانوا يذهبون لمقابلة بلنت في عزبة النخل فيبحث بهم الى الشيخ عبده في دار الافتاء أو في الازهر ، كانت من الوسائل التي مهدت للشيخ محمد عبده الاتصال الوثيق بالورد كرومر ، ذلك الاتصال الذي كان له ما كان من الاثر في تاريخ مصر السياسي

كان للمرحوم الشيخ محمد عبده يتكلم الفرنسية أو العربية مع المستر بلنت ، فلما كان بلنت يمتد لزيارته بالارلنديين أو الانجليز ، وهؤلاء لا يتكلمون غير الانجليزية ، ولما وثقت علاقاتي واتصلت مودتي بالشيخ محمد عبده ، كنت واسطة الحديث بالترجمة بينه وبين زائريه الذين أشرت اليهم ، ويرى القاري صورة لخطاب بخط المرحوم الشيخ الامام ، نشرته لقيمته الأثرية من خط الشيخ ولما ورد فيه من دعوتي لترجمة بينه وبين كبار الارلنديين والانجليز

وخشية أن تصعب قراءته من الصورة أنشر نصه :

« ولدنا العزيز

كتب اليك المستر بلنت يقدم اليك صديقه للمستر ديالون من رؤساء الحزب الارلندي ورغب

الى في أن أعرفه فوعده أن أراه يوم الثلاثاء الآتي الساعة أربعة بعد الظهر فأرجو أن تنهّب
إليه في اللوكاندة التي يقيم فيها وتصحبه الى الأزهر وأكون شاكرًا

محمد عبده

الأحد ٢٢ مارس سنة ١٩٠٣

وعادت على من هذه الترجمة ، بين الشيخ والزعماء والعلماء والتواب الانجليز ، فوائد كثيرة
فعرفتهم وعرفوني وفيهم الستر ديون ، وكان من زعماء الارلنديين في مجلس العموم البريطاني ،
استفدت منها كثيرًا فيما كنت به للحركة الوطنية والستورية من العناية في إنجلترا حين ذهبت الى
لندن في صيف ١٩٠٧ كما سأشرحه في الجزء الخاص بهذه الفترة في مكان آخر من هذه الذكريات

والآن أرجع الى تصوراتى الشخصية أو الى نظراتى الخاصة في الشيخ محمد عبده ، وما أدهى
الحكمة وإصابة الحق فيها ذهبت اليه ، وانما أقرر هنا انى انما أريد أن أشرح ناحية من هذه
التصورات فأقول :

ان الكلام عن الشيخ الامام والصلح الاسلامى العظيم ، للرحوم الشيخ محمد عبده ، والمهمة
التي قام بها في مصر في عهده ، والخدمة التي أداها للوطن والاسلام ، ليست مما أطمح اليه أو
أؤمل أن أوفيه حقه منها ، وانما أريد أن يكون حكمى في هذه الذكريات حكمًا نزيهاً مقصوراً على
بعض التقديرات الشخصية ، وعلى ما اعتقد أن يكون أثرًا نافعاً لأبنائنا وأحفادنا من بعدنا ، وبعبارة
أخرى أريد أن أكتب وأن أضع الأمور والحقائق في نصايها اللائق بها

كانت ملامح وجه الشيخ محمد عبده وتصوره وتفكيره وحققه وعبقريته وأنفته وكبرياؤه
مما يؤيد نظرية أن الشيخ محمد عبده كان من عنصر قوى القصيلة أى أنه لم يكن من عنصر مصرى
بحت ، بل كان من عنصر تركانى كردى ، كما روى هو نفسه فيها كتبه ، أو فيما كان يريد أن يكتبه
من تاريخ حياته ولم ينسه ، فقال :

« كنت أسمع المزارعين من أهل بلدتنا يلعبون بيتا بيت « التركان » فسألت والدى عن
ذلك فأخبرنى أن نسبنا ينتهى الى جد تركانى جاء من بلاد التركان في جماعة من أهله وسكنوا في
الحيام بمديرية البحيرة مدة من الزمن » وقال أيضاً « وقد أخبرنى المرحوم على باشا مبارك أنه
اطلع على رحلة لعبد اللطيف البغدادى الشهير ، تعرف بالرحلة الكبرى ، ورأى اسم علقى نصر
ومرزوق ، وأنه نزل ضيفاً في بيت خير الدين التركانى . وقال ان البيوت الكبيرة في البلدة ثانت
ثلاثة : بيت الشيخ وبيت خير الله وبيت الفرنوانى » اهـ

فمن هذه الرواية تأيد عندى ما ذهبت اليه من التصور في أن أصل الشيخ محمد عبده من
عنصر غير مصرى ، تركانى أو كردى أو غير ذلك . وكان ذلك ظاهراً في ملامح وجهه واتساع
جهته وفي نظراته ، وفي تصوراته ونفسيته وشجاعته وجراته ، لأنه لو كان مجرد طالب أزهري

فلاح ، ما وجدت فيه تلك الأخلاق في مجموعها ، ولا نشأ على الشدة والصلابة والشجاعة والعناد فيها بصورة ويستقد أنه فيه على حق

كان مرة بشكهم معي عن الصحافة وعن جريدة اللؤيد وصاحبها فقال بما أذكره « أنا أحب أن أقول لك كلمة خاصة لأنك من الشبان الذين أحببتهم ووثقت بهم ولأنك تمت البنا بقراءة مصاهرة مع أخوالك ، وإن كنت أحب أن لا تنقل هذا الكلام عن الآن .. انني لا أحب الاتراك » أو من جاء من فصائلهم للقذونية وغيرها ، من الحكم والممالك ، أو من تأسل منهم ، وذلك لما علموا به المسلمين المصريين ، وغير المصريين من الظلم والاستبداد فيما مضى وفيما هو حاضر .. وأنا أميل لصاحب اللؤيد ولكني لا أحب فيه ما أراه من التذلل والخضوع لما يصدر عن السراى ، أو عن « عباس » ... وبهذا اللفظ كان دائماً يذكر الحديبو

كان هذا التصريح منه بعد أن اختلف مع الحديبو واشتدت أسباب الخلاف بين الرجلين ، إلا أنه يجب أن يقال إنه في أوائل تولية الشيخ وظيفة الاتقاء كان الحديبو عباس في ذلك الوقت يحبه ويلجأ إليه ، ويستعين به في حل بعض المشاكل . ثم حصل بعد ذلك ما حصل من وقوفه موقف المعارضة والقاومة لأغراض الحديبو في الأوقاف والأزهر ، ودس بينهم من دس من خصوم الشيخ ، فوصلت الحال بينهما الى الكراهية الشديدة والحقد والرغبة من جانبه الحديبو ، بنوع خاص ، في القضاء على الشيخ الامام واخراجه من الاتقاء والأزهر . فلم يكن في وسع الشيخ احتفاظاً بما يعمل له من ترقية الأزهر والإصلاح الاسلامي ، وما يقوم به فيما يلزم لوطنه ، إلا أن يعتمد على من يكون في مقدوره صد اعتداء الحديبو وغزو مشيخته في الشيخ محمد عبده . ومن ذا الذي كان في مصر يستطيع هذا إلا اللورد كرومر ؟ وبذلك توطدت دعائمهم مودة ، وتقدير متبادل بين الرجلين ، وصار في استطاعة الشيخ أن يؤثر على مثل الدولة البريطانية ويدفعه الى مساعدته فيما يراه حقاً ، وفيما يعتمد عليه الشيخ من أبواب الإصلاح . وكثيراً ما كان الشيخ يعارض اللورد كرومر ، ويعمل بلباقة ولباقة على استغلال مركزه الاسلامي فيغير اللورد فكره وينفذ أغراض الشيخ

وأنا أعتقد شخصياً انه قد كان للشيخ محمد عبده سلطة كبيرة أو غريبة على اللورد كرومر آتية من طريق الثقة التي كان اللورد قد وضعها فيه ، ولما آمن به من اعتقاده في إخلاص الامام ونزاهته وبعد نظره وحسن تقديره ، ولما كان يراه في الشيخ من الاخلاص والكفاءة والرجولة والترفع عن الغايات والامور الضئيلة . وتلك الصفات التي يحبها الانجليز في كل الأمور ، ولو لم يظهروا هذا التقدير إذا كانت لهم مآرب سياسية خطيرة

وأعود فأقول خدمة للحقيقة والتاريخ إن الحديبو كان في أول أمره شديد الميل الى الشيخ

محمد عبده . والذي يدلنا على ذلك انه طلب بنفسه أن يضع الشيخ محمد عبده تاريخاً للثورة العراقية ، مع أن الشيخ كان متهماً بضلعه فيها وعداوة توفيق باشا والد عباس ، حتى لا تضيع الحقائق عن تلك الثورة لما كان للشيخ من معرفة بأصولها وفروعها . وقد بدأ الشيخ بكتابة جزء ابتدائي للثورة العراقية

ووضع في أول ما كتب صورة خطاب ، لا أدري ان كان قد بث به للخطيب أو أعدده ليكون في مقدمة الكتاب الذي وجده الشيخ رشيد في أوراق الشيخ بعد وفاته ، فنشره بنفسه في تاريخ حياته

وأنا أكتفي هنا بنقل عبارات موجزة تبين نفسية الشيخ وميوله الصادقة نحو الحديبو عباس في تلك الفترة . قال :

« مولاي . هذا مقام الناكر لثمتك ، العارف بقدر منتك .. طوقني احساناً لم أكن أتأمله ، إذ أمرتني أمراً لم أكن أتخيله .. أمرت أن أكتب ما شهدت وما سمعت وما علمت وما اعتقدت . في الحوادث العراقية في عهد نشأتها الى نهايتها مع بيان أسبابها ، وإسناد الأعمال الى أربابها .. بعد أن نسجت عليها العناكب حتى أنكرها من شهدها ، وخطب فيها من سمع خبرها ، ولم يقف على سرها ، ولم يميز خلها من خمرها ، فأى إحسان أجل وأوفى من رغبة ملك في كشف الغطاء عن حادثة أملت بعرض المولة ، واضطربت لها أركان الحكومة .. »

واستمر الشيخ بعد ذلك يقول ، في خطابه هذا الطويل :

« أرفع الى سدةك السنية ما وقعت عليه نفسي ، غير ناظر في كتاب ولا راجع الى مقال صنفى به غيري ، اللهم الا في بعض الاوامر الرسمية ، أو شيئاً من المغالطات السياسية .. أرفع الى كرم مولانا العظيم ما استطعت أن أعرضه على مقامه الفخيم ، امتثالاً لأمره الكريم .. الخ الخ ومن الأسف للؤلؤ أن هذا الكتاب عن الثورة العراقية الذي بدأ فيه الشيخ وتوجد منه بضع ملازم تبلغ الحسين صحيفة في تاريخ صاحب المنار - لأن كتاباً كهذا ، ولو كان مختصراً أو مقصوراً على معلومات الامام وحده ، يعتبر حجة من شاهد عيان عن الحوادث العظيمة لدى المؤرخين المحققين . وللرحوم الشيخ رشيد رضا بأسف كما أسفنا عند ذكره وصف الاسباب ، التي دعت الى تعطيل إتمام ذلك الكتاب . قال ما ملخصه :

« ومن سوء حظ مصر والمصريين ، بل الشرق الأدنى والشرقيين ، وعلى حقائق التاريخ أجمعين ، ان الاستاذ الامام لم يتم تأليف هذا الكتاب . ولكن لم يكده يتم القسم الاول من الكتاب ، وهو ما تقدم عهد الثورة من اللقدمات والاسباب ، ففتح لها اللقطة والباب ، حتى تجمت نواجم التدمير بين الامير والاستاذ ، وانهت الى اللغاضبة الشديدة للعروفة . وكان مفسدو ذات البين قد أقروا الى الامير ان الاستاذ الامام عدو لبيت محمد علي . لهذا كان تأليف الكتاب

مشكلا لان الاستاذ الامام كان يلقي تبعة الثورة على الحديو توفيق مباشرة ، وجعل لما كان من إسراف الحديو اسماعيل وسوء إدارته للبلاد أسبابا بمهدة لها «
اشتد النفور والعداء بين الحديو واللفق ، فكان له ما كان من الأثر الخطير في تاريخ مصر في الماضي والحاضر

ولا شك أنه سيستمر أثره الى عهد غير قريب في المستقبل المحبوب
الكلام في هذا الموضوع يفتح أبوابا بقيت على ظواهرها مغلفة مفككة غير مقررة ، وليس في استطاعتي ، وقد عرفت ، أو اتصلت بأثر هذا الاضطراب بين رجلين كانا هما وحدهما في ذلك العهد للمثنيين للأمة المصرية . الاول الحديو بما له من السيادة الشرعية وخلافاته ومانزلاته مع الانجليز المحتلين ، والثاني صاحب السيادة العقلية أو العلمية أو النفسية على الطبقة الناشئة من التعللين والتقفين وعند أعيان البلاد وكبرائها ممن كانت لهم اتصالات وارتباطات بالشيخ محمد عبده في وظيفتي الافتاء والتدريس في الأزهر ، وما كان لصاحب هذه السيادة الفكرية من التأثير على الجو السياسي ، لاتصاله بالانجليز وتتهم به وثقتهم بهم ، بل وحاجته - كما ذكرت - اليهم . . .

وقد سبق أن شرحت أن عداء الحديو للشيخ عبده كان مصدره من التماسين والوشاة ، وكان من أسبابه أيضا غيرة الحديو من ازدياد عظمة الشيخ وكبر مركزه وثقة الناس به . فلو أن عباسا أراد الله به خيرا ، وأراد لمصر تركيزا وسيركا في طريق غير التي سارت فيها في الحرب الساجدة وبعدها ، لكان من الممكن والمقول أن يكون الشيخ محمد عبده مرشد الحديو وناصحه ومؤيده ، وكان في استطاعته أن يجذب الانجليز الى الثقة بالحديو والسير معا في طريق هدوء دون أن تحصل تلك العاصفة عاصفة عزل الحديو وإعلان الحماية ، وما كان لهذا وذلك من الأثر

ولولا ذلك الخلاف بين الحديو واللفق ما وجد الفريق الذي تألف منه حزب الأمة ، ولا كانت العداوة المريرة التي اشتدت بين الانجليز والحديو ، وفكك اللورد كتنشر لما تولى وزارة الحرية وزعامة الحرب الأوربية بالحديو وعزله ، وما تبع ذلك من الأعاصير . . . كأن روح الشيخ محمد عبده ، بعد وفاته ، بقيت فعالة في آثارها ، أي فيما أصاب الحديو من غصاصته له

ولقد كان الشيخ محمد عبده كثيرا ما يتمثل بالكلمة الشهيرة التي وضعها الرحوم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي في مقدمة رسائله عن الاستبداد وطوائمه فقال :

« هذه كلمة حق ، وصرخة في واد . إن ذهبت اليوم مع الريح ، فقد تذهب غدا بالأوتاد »
وكان الشيخ الامام ، وهو يعمل على عباس ، كان ينظر بعين الغيب الى ما أصاب الحديو من خسرانه عرشه وملسه وما جرى عليه بعد ذلك . . .

وهنا كلمة موجزة عن رجل علم فاضل عظيم وأعنى به للستر ادوارد براون للشرق الشهير الذي كان يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية وله قصة طويلة عن قدومه لمصر وزياراته الشيخ محمد عبده . ورأيت أن أنشر ترجمة الخطاب ، بعد أن أذكر أن ذلك العالم الفاضل الذي يصف الشيخ محمد عبده وزيارته له في جامعة كامبردج هو اللستر ادوارد براون مؤلف تاريخ الآداب الفارسية ، وناشر كتب البهائية بصور مخطوطة ، والذي بدأ فكرة تعليم اللغة العربية في جامعات إنجلترا وحضر لمصر واختار للرحوم حسن افندي توفيق (شقيق علي جمال الدين باشا أحد الوزراء السابقين) . . . وكان هذا العمل منه مقدمة لانتخاب للرحوم الشيخ عبد العزيز جابيش مدرسا للغة العربية في جامعة اكسفورد ، قبل أن يعود ويستغل بالسياسة وتحرير اللواء بعد وفاة للرحوم مصطفى باشا كامل . وكان ما كان من الحكم عليه وسفره الى الاسنانة واشتغاله فيها ، وما كان من علاقته بالانجليز والشاب الذي أطلق الرصاص على الحديو عباس . . ذلك الرصاص الذي قضى على الحديو بالبقاء في الاسنانة وكان تأخير من أسباب عزله وقذفه عرشه . . . وكأما كانت يد الاقدار أيضا قد لعبت دورها من روح الشيخ الامام . . . وهذا تعريب نص ذلك الخطاب

صديق العزيز

أكتب لك هذه الكلمات على هذه الصورة وأضع معها قطعة من جريدة الموريتج بوسنت ١٤ أغسطس سنة ١٩٠٣ عن زيارة المحقق لانجلترا ومنها زيارته لسكبرديج وما أنا في حاجة لأن أشرح لك كيف كان في وجوده هنا شرف لي ، إذ كان من حظي أن احتفل برجل عاقل حكيم لم يلقه أحد هنا إلا وبلغ منه الاعجاب به والسرور بزيارته مبلغا عظيما ، وكنت أرجو أن تطول مدة إقامته هنا لأنني واثق بأن هذه الزيارة ستعود بفوائد عظيمة ومع تحياتي أرجوك أن تذكرني عند أصغائي ومن بينهم الشيخ علي يوسف ومحمد مسعود

صديقك الخاص

ادوارد ج . براون

وفي مذكراتي هذه فصل طويل ذو قيمة تاريخية عن هذا العالم المحقق العظيم وإلى هنا تقف بالقلم ، راجين أن تولى هذه الذكريات حقها من العناية والانتقان والتحقيق ، والله ولي التوفيق

احمد حافظ عوصه

الموعِدُ الأوَّلُ والأخيرُ

للكاتب النمساوي الكبير آرثر شنتزل

قصة ملخصة

هذه قصة برسم فيها المؤلف حالة نفسية
طريفة تتمثل في شخص امرأة فاضلة تولاهما
شعف جلالى فاستهوواها الحب المحرم فتلبث
عليه ، ومع ذلك عند أن القدر إلا أن
يألبها على مجرد نبئها الأبيبة عقاباً أعظمها
ويبتها من هلاك محنوم

كيف يمكن أن يحدث هذا لمادلين وهي
المرأة العاقلة الرشيدة التي لم ترتكب هفوة
قط ، والتي أخضعت عواطفها لسلطان عقلها ،
فكانت مثال الام والزوجة الوفية المخلصة
الكاملة ؟

انها الآن نهب عاطفة طارئة تتحكم فيها
وتستبد بهاء وتكاد تختم على أبحارها وتضلها
سواء السبيل

الواقع انها لم تحس أبداً ، هذا الاحساس
القوى الجارف ، الذي تغفل في أطواء نفسها منذ أيام ، وأحالتها شبه هيكل مروع لمختلف
عوامل الخوف والخند ، والقلق والحيرة والعذاب

لقد كانت امرأة منزنة العقل ، صافية الفرائز ، هادئة الاعصاب ، تحب زوجها ، وتحب
ابنها ، وتؤمن بالسعادة في دائرة الأسرة ، وبالهناء في ظل الفضيلة ، فما بالها اليوم تنسى
عقلها وتنسى فضيلتها وتنكر ماضيها وتطلع فجأة الى عالم غامض مبهم يشيع في نفسها
منذ الآن تنسى الهواجس والآلام ؟

أجل . ان غريزة الشر الكامنة في كل انسان ، استعالت فيها بقية ، واستحوذت عليها ،
وقمكت منها ، وشردتها في حجرات بيتها ، وابتكتها بضرب من الهوس والجناب
ومع ذلك فهي لم تفقد بعد سلطانها على نفسها ، وعصر الخير لم يزل أصيلاً فيها ، وفي
وسمها أن تقاوم وتكافح وتتصر وتغور . بيد أن العاطفة المجتاحة كانت تمصف بها ،
وتطوح بعقلها ، وتلهب خيالها ، وتمثل أمامها نعيم الحب المحرم الانيم في صور جميلة وأشكال
فاتنة ، تملك عليها مشاعرهما وتستأثر بقلبها وتدفعها من حيث لا تشعر الى حافة الهاوية
ومضت تفكر في فرائز ، في الشاب الذي أحبته بالرغم منها ، والذي أرسلت اليه
بالامس خطاباً تضرب له فيه موعد غرام

كيف فعلت هذا ؟ . كيف اجترأت على مثل هذا ؟ . كيف أقدمت على كتابة ذلك
الخطاب ؟ . انها لترتعد لمجرد التفكير في تلك الهفوة . ترتعد خوفاً وقلقا وندما ، وترتعد
في نفس الوقت ، رغبة وأملا وفرحاً ، وتود أن تنهض وترتدى ثيابها ، وتجمل وتبرج
وتذهب الى الموعد المضروب

ولكن لا .. لن نذهب .. لن نزل عن كبرياتها ، ولن تهتك ، ولن تغدر ولن تافق ولن تخون

سنخلق جها في صدرها ، ولا نغفر أبدا في عرضها ، ونظل وفية لقرينها ، وفية لابنتها ، خليفة بحياة الشرف والاستقامة التي استحققت عليها تقدير جميع الناس ولكن ما العمل وفرائز لا ينفك يلاحقها ويطاردها ويضيق عليها المسالك ويأبى الا أن يظفر بها .. انه مدير الشركة التي يعمل فيها زوجها . انه ولي نعمته انه صديقه ، وصديق العائلة ، والرجل الساحر الغائب الجميل الذي تبصره كل يوم ، وتحدث اليه كل يوم ، وتشعر بحبه واغرائه وتأثيره في كل يوم .. لو عدلت عن الذهاب الى الموعد الذي ضربته له ، فسيصرح بنفسه اليها ، ويقتحم كعادته بيتها ، وما يزال بها حتى يطوعها ويخضعها ان لم يكن اليوم فغدا ثم هو فوق ذلك كله يحمل خطابا منها .. رسالة غرام .. أول رسالة غرامية كتبها الى رجل غير زوجها ..

آه من تلك اللحظة المشؤمة التي خطت فيها أصابعها المرنضة تلك العبارات الحارة الفاضحة !

كلا .. يجب أن نذهب .. يجب أن تراه .. ولكن لا تبادل له الحب ، بل لتسترد منه خطاياها ، وتحرم عليه دخول البيت في غيبة زوجها ، وتقطع كل صلة عاطفية تربطها به نعم . لم يعد في مقدورها احتمال هذه الحياة القلقة المضطربة المظلمة ذات الجو الخائف انعاصف الثقيل

ستكافح حتى تفوز ، وستناضل حتى تتحرر ، وتعيش كما كانت مطمئنة النفس ، مرتاحة الضمير ، ناعمة البال

وانطلقت من فورها صوب مكتب زوجها ، ثم فتحت درجا صغيرا وأخرجت منه مسدسا دسسته في حقيبتها ، ثم اتجهت نحو مخدعها ، ولكنها لم تحدد الى وجهها في المرأة ، ولم تجعل ، بل ارتدت أحد أثوابها العادية ، وأرخت على محباها قناعا أسود كئيفا ، وخرجت وقلبا يخفق ونفسها تحدثها بشر مستطير

وفيا كانت تجتاز شوارع مدينة فينا ، والابصار تخطفها ، وأضواء المساء تهر عينها ، ودعوات بعض الشباب الماجن تثير أعصابها وتستفز مسخطها ، كان خيالها المتقد يصور لها هفوتها بصورة مروعة ، وكانت تذكر الخطاب ، وتذكر فرائز ، وتشعر في صميم نفسها شعورا عميقا بأنها وان لم تكن عشيقة فرائز ، الا انها ستعاقب عقابا هائلا فقليما ، لانها أرادت في لحظة من اللحظات أن تكون عشيقته ، واجترأت في لحظة من اللحظات على الكتابة اليه ، وأقدمت في لحظة من اللحظات على التفكير في البعث بواجبها وخيانة زوجها الذي أحبها الحب كله ، وأخلص لها الاخلاص كله ، ولم يعرف طوال حياته الزوجية امرأة غيرها !

« ستعاقب مادلين لا على الحياة بل على نية الحياة !... » . هذا هو الصوت الذي كان يهتف بها ويصم أذنها ويزعزع كيائها ، وهي سائرة تصطدم بالمارة ، وتجتاز الشوارع الرجة ، وتضرب في الطرقات البعيدة ، وتجه صوب الضواحي الهادئة الساكنة المنبسطة أمامها كنهر طويل تحفه الاشجار

وكان البرد قارصا ، والجو مكفهر ، والسماء ملبدة بالغيوم ، والرياح تصفر صفيرا حادا مزعجا يصم الآذان . فشرعت مادلين أن رطوبة الليل تسرى في عظامها . وبدأت أسنانها تصطك وأوصالها ترتعد ، فلم تستطع مواصلة السير ، فاستقلت أول سيارة صادفتها ، وأمرت السائق أن يتجه بها الى الضاحية القصية حيث ينتظرها فرانز ولما أشرقت عليها أوقفت السائق ونزلت من السيارة ونقدته أجرته . ثم وجدت في مكانها وجعلت تتطلع الى الفضاء الصامت تبحث عن فرانز ، وعيناها المختلجتان تدوران في محجريهما وتبشان الظلام الحالك المحيط بها

وانها لتجاهد لتستشف ما حولها ، واذا بها تلمح عن بعد شبه نور أحمر خفيف ، وتستبين هيكل سيارة أخرى قائمة هناك في زاوية الطريق . فتقدمت حائرة أنفاسها ، ضامة يديها على قلبها النخلع ، تجر قدميها جرا ، وتود بعد فوات الوقت أن تعود من حيث أتت ..

وعندئذ لاح لها في جوف السيارة محيا فرانز ، يتعكس عليه الضوء الأحمر الترافس ، ويرز وجهته العالية ، وشمرة الموج ، وعييه الزرقاوين الواسعتين ، وفمه الصغير الدقيق ترفرف عليه ابتسامة غريبة خفيفة بتألق فيها الفرح مشوبا بلذة النصر وما ان رأها فرانز مقبلة عليه حتى أسرع ففتح باب السيارة ودعاهما للجلوس بجواره ، فاضطربت وتولاهما الخوف ، وأعربت عن رغبتها في أن يقوموا بهذه التزمة على الاقدام ، فتجههم وجه الرجل ، وتقبضت تقاطيعه ، وكبر عليه أن تسمى الظن به ، وأقسم لها بشرفه أنه لن يمسا بسوء ، فاطمأنت للهجة ، وصعدت وجلست بالقرب منه وهي تذكره بقسمه وتستجمع قواها لمصارحته بما اعترمت عليه

والحق أن البرد كان شديدا ، وكان من المتعذر عليهما السير على الاقدام في مثل هذا الجو العاصف المنذر بالمطر . فجلس كل منهما بجوار الآخر ، وساد بينهما فترة صمت عميق ثقيل

وكانت مادلين تعلم حق العلم أن فرانز رجل مهذب لا يمكن أن يقصر امرأة على غير ما تريد ، ولا يمكن أن يندر بامرأة أمنها على نفسها وأقسم على حمايتها واحترامها وراعه منها اضطرابها وصمتها ، واستغرب مظهرها المتحفظ القلق ، فتحول اليها ، وقال وهو يرمقها بعينه الفاحصتين :

« ما بك يا مادلين ؟ . أحدث في البيت شيء ؟ . أيكون ابنك مريضا ؟ . ما معنى هذا الحوف وزوجك لن يعود الى البيت الا بعد منتصف الليل ؟ . تعلمين أنني كلفته في

الشركة بعمل اضافى وانه يشتغل الآن ولا يفكر الا فى عمله .. فاهدنى ، أرجوك ،
واطردى عنك وساوسك .. ولتنعم بهذه اللحظة التى حبانا بها القدر ، اذ من يدري ،
فقد يموت اليوم بل الساعة ..

فارتعشت مادلين وانطوت على نفسها ، وانكمشت فى زاوية المقعد ، وقالت بصوت غائر
أجش :

- فرائز ، ان ضميرى يؤنبى ..

واحتلجت فجأة وترقرقت من عينيها الدموع ، وأردفت :

- يجب أن ينتهى بيننا كل شئ !

فصاح الرجل :

- ماذا تقولين ؟ .. لا أفهمك ..

فأجاب وقد استعاد صوتها انزاته وعزمه وقوته :

- لم يعد فى وسمى احتمال هذه الحياة ! .. ليس فى مقدورى أن أكذب وأنافق وأكون
لزوجى ، ثم أكون لولدى ، ثم أكون لك أنت أيضا ! .. الهواجس تمزقنى . المخاوف
تحيط بى . المستقبل يتوعدنى . لا . ما ألت قط هذا . وما اعتدت الحياة والتفاق ،
وأنت تعرفنى . أنا امرأة كانت على وشك السقوط ، ولكنها فى اللحظة الأخيرة ، ثابت
الى رشدها ، وعرفت واجبها ، وآثرت تضحية قلبها على تضحية أعز الناس عليها ! ..
لا تنظر الى هذه النظرة الحافدة يا فرائز .. لقد أحبيتك . لقد أحسست أن عواطفى
تصرف بجمعها اليك . ولكنى وإن كنت غير مسئولة عن عواطفى ، الا أنى ولا ريب
مسئولة عن أعمالى .. وهذه المسئولية العظيمة تجلت اليوم أمامى ، فابغلت ضميرى
وأحييتى وردتلى الى سواء السبيل . فارحم يا فرائز ضفى ، وليقدر بلك استمساكى
بواجبى ، ولنظلل كما كنا أصدقاء ، ولكن على مرأى ومسمع من زوجى !

وصمت وهى تلهث ، فقطب فرائز جبينه ، واستفترته عواهل الاستنكار والسخط ،
وقال :

- ولماذا أحييتى اذن ، ومنيتى بالسعادة ، وكبت لى ذلك الخطاب ، وضربت لى هذا
الموعد ؟ ..

فغممت :

- تلك هفوتى . هفوتى التى أرتعد لمجرد تصورها ، والتى ندمت اليوم عليها ، والتى
أناشدك بلك أن تغفرها وتتناساها حرصا على راحتى . ألت تحبنى . اذن فانكر ذاتك
من أجل . وكما قبلت التضحية أنا فأقبلها أنت ، وكن الرجل النبل العظيم الذى يعرف
كيف يخلص وكيف يصمت وكيف يضحى وكيف يحب !

- ورشقته بنظرة جانبية ، فألفته بعض شففيه حنقا وكمدا ، فاستطردت بصوت لين
المخارج عذب رخيم :

- أعرف أنك ستألم . ولكني أعرف أيضا أنك ستسنى . فكن كريما وابعد عني وتجنب زيارتنا في غيبة زوجي ، ورد الى الخطاب الذي أرسلته اليك ..
فانتفض فرانز وحلق فيها مبهوتا وتغم : « تريدني الخطاب ؟ .. »
فأرسلت أنه قصيرة ممزقة ، وأجاب :

- لو تعلم كم يكتنى ضميري بعد أن كتبه ويشت به اليك ! .. لقد تصورت زوجي المخلص المحب الوفي ، متبوا غمدوعا مسلوب الشرف والعرض ، فريسة الوحدة والنفاق والغدر ، فقطع قلبي شفقة عليه ، وأحسنت أنه من المستحيل على أن أجدد فضله وأطعمه هذه الطعنة التي قد تقضي عليه في يوم من الايام
فصرخ فرانز وقد جحطت عيناه ونهشت الفيرة صدره :

- اذن فانت تحين زوجك ! .. أجل تؤذين زوجك على وعلى ولدك وعلى كل انسان . هذه هي الحقيقة . هذه هي حقيقة نفسك التي كنت تجهلنها فكشف لك عنها حبي ! .. يا للسخرية ! .. انك يوم أحببتني ، شرحت بمقدار حبك العظيم لزوجك فبذتني وتعلقت به ! ..

وكف عن الكلام لحظة وهو يهدر ، ثم أردف بصوت خشن جاف غليظ لم تألفه منه مادلين ، وملا قلبها رعبا :

- اصنى الى .. لو أنك منذ اللحظة الاولى أعرضت عني وألزمتمني حدى ، لما أحببتك وتعلقت بك . ولكنك يا مادلين أجيتني الى عواطفى ، وشجمتني عليها ، وأردت أن أحبك فاحببتك . فكيف تطلين الى الآن أن أخنق العاطفة التي ألبتها أنت نفسك في صدري ، وكيف تطلين الى أن أصفح وأمسى وأنا أشعر أبلغ الشعور وأعظمه انك أصبحت تحين غيري ؟ .. أجل . ما كنت الا الحافز النفسى الذى دفعك لحب زوجك .. أنت أصبحت تحين زوجك وأنا . أنا أَرْضِي بأن أصفح عنك أنت .. أغفر لك أنت .. أنتخلى عنك أنت . لكنى لن أنتخلى عن غريمى ، لن أصفح عن خصمى .. لن أدعه ينم ويسعد ويهنا بينا أتردى أنا في هوة اليأس والشقاء !

فتشبث به مادلين وندت عنها صرخة : « ماذا توى أن تفعل ؟ .. »

فحدق اليها تحديقا هائلا وأجاب :

- لقد أقسمت ألا أمسك بسوء ، وسأبر بقسمي . ولكنى سأعاقبك فيه هو ! .. سأناثر لك في شخصه هو ! .. سأفصله عن عمله في الشركة وألقى به في ظلمات الفاقة والبؤس . ويقتنى أنه مهما حاول فلن يفلح أبدا بمثل المنصب الكبير الذى يشغله عندي ، والذى لم يصل اليه بكفأته بل بإرادتي .. ارادة الحب الذى كنت أحملها لك أنت ! .. فأذهبي ووطنى النفس على التزول عن كل أسباب الترف التي أعقدتها عليك ، وانضى الحياة كما تقضيها نساء الشعب الناعسات في ظلمات الفاقة والبؤس والعمل اليومي المنهك الشاق . اليك رسالتك ..

وأخرج الرسالة من جيبه ، ودفع بها إليها ، فتناولتها وهي ترتعش ، وقد حالها ما بدا لها منه ، وما انكشف لها من حقيقة أخلاقه
وفجأة استار خيالها ، وتبدد ذعولها ، وثقل أمامها المستقبل الفظيع الذى ينتظرها ، فامسكت يده ورفعتها الى شفيتها وطفقت تقبلها وتردد :
- لا تفعل هذا يا فرانز !.. لا تفعل هذا !.. ارحمنى !.. أشفق على ولدى !.. كن نبىلا !..

ولكنه لم يحفل بها ، وجذب يده ، وصاح بالسائق :
- عد بنا الى المدينة وأسرع !

وانطلقت السيارة . وساد في جوفها الصمت . وكانت مادلين تحنق الى فرانز من خلال نقابها ، ويدها المرتجفة تتحسس حقيبتها ، وسخطها يوسوس لها أن تترزع السدس وتطلقه عليه وتنقذ من شره زوجها وابنها ونفسها
وتملكها هذه الفكرة ، واستحوذت عليها ، وجمعت بتنفيذها . ولكن في تلك اللحظة ، في تلك اللحظة التى لن تنساها مادلين أبدا ، وقع شيء لم يكن في الحسبان
هبت العاصفة فجأة . ولمع البرق ، وقصف الرعد ، وهطل المطر ، وتساقط البرد ، ونكاثف الضباب ، فكانت السيارة تهتز وتمايل وكأنها تشق بحرا عابيا ، وكان السائق يصيح ويصخب ، وكان فرانز يترنج كالنارب الثمل ، وكانت مادلين وقد استولى عليها خوف مبهم ، تهب بالسائق أن يسرع ما استطاع ، وملء نفسها الأمل بأن تصل الى البيت قبل قدوم زوجها

وصدع السائق بالامر ، وأطلق السيارة في عنف ، وهدنته خيل الى مادلين أن الارض توجج بها ، وأصبحت في مثل لمح الطرف أن السيارة تدور على نفسها ثم تصطدم بكتلة صلبة هائلة ثم تتحطم عليها في دوى مفرزع رهيب ، فصرخت بأعلى صوتها وحقت النظر فيما يحيط بها ، فأبصرت فرانز منظرها أمامها ورأسه مدلى خارج باب السيارة ، يشخص اليها بعينين خامدتين ، والدم ينزف من رأسه وصدغيه وفمه
وترجلت ونادت السائق وهي مذعورة ملثاعة ، فرأته واقفا بالقرب منها يندب حنقه ويلعن هذه الليلة الليلية ، ويكسى سيارته الثمينة التى لا يملك غيرها والتى هى قوام حياته وحياة امرأته وأطفاله المساكين

صاحت به أن يماونها في اسفاف فرانز ، فتقدم وحمل الرجل ومدده على الارض ، ولما أبصر دماءه تسيل وأعضائه تفضفض ، وأحس وقد الحمى يتمشى في أطرافه ، تلفت حوله كالخبول ، وتلثم وارثك وجد ولم يعد يدري ماذا يجب عليه أن يفعل . فامسكت به مادلين وجعلت تهزه هزا عنيفا وتتوسل اليه أن يسرع فيجوب الضاحية بخنا عن طبيب ومضى السائق يتخبط في الضلال الدامس ، وبقيت مادلين بمفردها بجوار فرانز .
وكانت الريح تعصف ، والمطر ينهمر ، والبرد يتساقط ويتجمع اكواما حول الجريخ

الذى كان يتقلب ويتلوى ويثن أنينا حادا يرن في ظلمة الليل ويلا' الضاحية الصامتة رهبة وذعرا

وانقضت بضغ دقات ، ثم انقضت لحظات ، ثم تعاقب الزمن في بطن مروع ، ومادلين تنظر ، والسائق يأبى أن يعود ..

وبنت حولت بصرها الى فرانز ، وانحنى عليه ، فخلل اليها والرعب يكاد يخفق أنفاسها ، أن رأسه قد مال الى كتفه ، وأن عينيه قد أغمضتا ، وأن تقاطيعه قد استدفت وبرزت ، وأن فمه قد التوى ، وأن صفة مشوبة بالأخضر ، قد طفت على وجهه ونكرت بحياه وأشاعت فيه برودة الموت وجهاته

لم تصدق بصرها وارتمت عليه وجعلت تحسسه ، وتخابله وتوصل اليه . ولكن لم يجبها غير صغير الريح ، ولم البرق ، وانهمار المطر ، وتساقت البرد يلطم السيارة ، ويتكسر عليها ، ويحدث شبه زئيف تنخلع له القلوب

وتصورت مادلين أنها في هذه الضاحية المظلمة القصية ، وفي مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ، تقف بجوار ميت ، وتسهر على ميت ، فجن جنونها واستهولت هذا الحتام الفاجع ، وراحت تتخيل ما سوف يحدث لها من كوارث وأهوال ..

أجل . سيفد السائق الآن مصحوبا بالطبيب ، وسيفد أيضا رجال الشرطة ، ويدأ التحقيق ، وتساقي مادلين الى المخفر ، ويفضح أمرها ، ويبلغ النبا زوجها ، ويؤكد الجميع أن فرانز كان عشيقها !

هذا ما سوف يحدث ولا ريب .. سيقبلها زوجها أو يطلقها فتحرم من ابنها ، وتبقى البقية الباقية من حياتها شقية مشردة موصومة الى الأبد بوصمة الخزي والعار آه . لماذا فكرت في خيانة زوجها ، ولماذا تركت الحب اللين يعند الى قلبها ، ولماذا تورطت فكتبت تلك الرسالة المشنومة التي كانت وبالا عليها ؟ ..

نعم .. انها لم تكن عشيقة فرانز . لم ترنكب الجريمة بالفعل . ولكنها قد ارتكبتها بالنية واقه يعاقبها الساعة على هذه النية اللئيمة المنكرة ! ..

ومع ذلك فالامر لا يتعلق بها وحدها ، بل يتعلق أيضا بشرف زوجها ، وشرف بيتها ، وسمعة ابنها ومستقبله .. لا . يجب أن تهرب . يجب أن تفر . يجب أن تخفى قبل عودة السائق . يجب أن تدع الميت يدفن بين الأمطار والثلوج وتسرع ما استطاعت الى البيت . وفجأة سرت في أعضائها قوة غريبة ، ونشطت أعصابها المسترخية نشاطا خارقا ، فالتفت على حيا فرانز نظرة أخيرة ، وعضت على منديلها بأسناتها ، وانطلقت تعدو وتضرب في بطن الظلام والرياح تصدها ، والمطر يسكب عليها ، والبرد المنهمر يكاد يعمي أبصارها واجتازت نصف الطريق وهي تلهث

وفيما هي تقطع النصف الآخر ، عاد الخوف فتمكن منها وارتعدت فرائصها لمجرد فكرة طرأت عليها

خطر لها أن فرانسز ربما كان قد أغشى عليه فقط .. ربما كان لم يمض .. ربما كان في غفوة عارضة لن يلبث حتى يستيقظ منها فيجهر أمام البوليس بكل شيء ، ويعترف بكل شيء ، ويصارع بكل شيء ..

أجل . قد ينقذه الطبيب فيعود الى التفكير في الانتقام . وقد لا ينتقم منها في شخص زوجها فقط ، بل قد تدفعه غيرته الى الجنون فينتقم منها هي أيضا ويضجها ويشر بها غير مكترث لزوجها ، ولما يمكن أن ينشب بينهما من صراع ..

وتضاربت الافكار واحتللت في ذهن مادلين ، فكالت تمثل الفضيحة والعار تارة ، وشقاء زوجها بعد فصله عن العمل تارة أخرى . ثم تصور فرانسز صحيحا سليما يصب عليها جام غضبه ونقمته ، فترجف وتزفر وتحت الحطى وهي تمنى لو استطاعت أن تهب عشر سنوات من عمرها لتأكد على الأقل ما اذا كان فرانسز قد مات ، أم أن المقادير عشت بها وأنه لم يزل على قيد الحياة ..

وأدهقتها هذه الحيرة وسامتها مر العذاب ، ولما بلغت باب بيتها ، وصعدت الدرج ، واجتازت الغرف المظلمة ، وأيقنت أن زوجها لم يعد بعد ، اندفعت كالمتوهمة الى حجرة ولدها التام ، وجثت عند سريره وطفقت تبتهل الى الله وتضرع وتصلي ، مقسمة على توبتها ، مستغفرة عن ذنبها ، ملتزمة انقاذ نفسها وانقاذ بيتها وانقاذ طفلها

وأشاعت الصلاة في صدرها بعض الهدوء ، فمضت الى نضدها ، وأوصدت بابه عليها ، وعندئذ عاودتها الهواجس ، واتابها الريب ، وألهبتها الشكوك . فلم تخرج لاستقبال زوجها ، ولم تهيب له الطعام كما دأبت ، واستلقت على فراشها وتظاهرت بالنوم العميق تظاهرت بالنوم فقط . أما فكروها فكان يسبح في أرجاء الفاحشة المظلمة ، وخيالها كان يمثل الزوابع والبروق والأمطار ، وعينها كانت تحديق الى الدم ينزف من جراح فرانسز ، ولا تستطيع أن تبين ما اذا كان حقا قد اهترد وجد ومات ..

وظلت هكذا مؤرقة معذبة حتى الصباح

ولما نهضت ملبدة الذهن ، مصدوعة الرأس ، متافلة الحطى ، ومغنت تأمر الخادمة بإعداد طعام الإفطار ، دق جرس التليفون فجأة ، فاحتلجت احتلاجا عنيفا ، وأسهرت في صحبة ابنتها الى البهو الكبير وأصغت ، فطرق مسمعها صوت زوجها يرسل صرخة ممزقة ويردد : « مات فرانسز .. مات فرانسز ! .. »

عندئذ تداعت أعصاب مادلين ، وسحقها الفرح ، فمضت ابنتها الى صدرها في عنف ، وقبلته قبالات تائهة مجنونة ، وغمغمت لنفسها وهي تجهش بالبكاء :

— الله عاقبنى ، ثم رأى ندمي ، فأشفق على !

وعلى دهش منها أحسنت كان شفتيها تنفرجان عن ابتسامة خفيفة ، وكان وجهها يزهر ويضيء ، فهدأت ثورتها ، واطمأن فؤادها ، ولاح لها المستقبل السعيد ، ونسيت بقية كل شقائها ، وكل عذابها ، وكل ما حدث بالأمس في ذلك الموعد الغرامي الاول والاخير ! ..



جنود الجيش الثامن يهتفون لقاتلهم الجنرال موتجورى بعد أن خطب فيهم مهشاً لإلام بالقوز في معركة صقلية ،
حائاً لهم في السكيل لعدو في الرحلة التالية . . وذلك قبيل الزحف على إيطاليا

الهجوم على قلعة هتلر الأوربية

كيف عجزت « القارة » بأسرها ، لسياسة الارحاء حاشية السكان ، مولودة القوي معبأة الجيوش ،
عن غزو « جزيرة » كانت - ال صيق مساحتها وقلعة سكانها - ناصية الاية من الجند والسلاح
والذخيرة والفلاح . . . ثم كيف استطاعت هذه « الجزيرة » الضئيلة بعد سنتين اثنتين أن تسير
جنودها تغزو بهم تلك القارة الهائلة . فنزلهم كذاب وجبال على سواحلها ، ثم ينفذون الى
أرجائها ، ثم يسيطرون على أقاليمها ، بينما تطف « القارة » - وما تزال ذات جيوش غاية أكتل
لها السلاح وتوافرت الذخيرة - موقف المدافع الذي لا يكاد يصمد قليلا حتى يرتد مقهورا ؟
هذه ظاهرة من ظواهر الحرب العاتية ، ومن ظواهر كل حرب قامت ليسا طي ، لمن حق الناس
أن يتدبروها طويلا . . . فقد عجزت قارة أوروبا - وهي في عتقوان قوتها وأهبتها - عن غزو الجزيرة
البريطانية التي لم تكن قد عبات جيوشها وأصنت أسلحتها ، ثم لم تنض سستان ، حتى كانت هذه
الجزيرة لا تقنع بغزو القارة في جبهة واحدة ، بل تريد أن تفتح فيها ثغرات وجبهات شتى تلقى
لها بجنودها الغزاة

ان تفسير هذه الظاهرة يسير على من تتبع تاريخ ما نشب بين الامم من الحروب قديما وحديثا ،
فأدرك صحة تلك الكلمة الوجيزة التي تقول : ان سيد الماء سيد اليابسة . فالامة التي تحتط بسفنها
بحار العالم وتسيطر فوقها ألويتها المرفوعة ، والتي تنهيا لها في أرجاء الدنيا جزر وموانئ صغيرة
تخضع السفن قاعدة لموئنتها أو للاحتواء بها ، يجسر لها أن تسيطر سيادتها على أفاق اليابسة
وعنه هي القاعدة التي يمكن أن نفسر عليها سير الحرب الدائرة . منذ عام مضى ولقت ككتاب
المود على أبواب الاسكندرية تريد أن تحتاح مصر وما يليها من الاقطار شرقا وجنوبا . ووجفت
حينذاك بعض القلوب خشية أن تسيطر على أعناقهم قبضة المود ، وهي قبضة عاتية قاسية
وشاء الله أن يرتد جيش المود قبل أن تطل أقدامه أرض مصر ، وارتد اثر مزينة منكرو
وقد قسم ظهر العدو لعلا في يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ حين شن الجيش البريطاني الثامن

مجموعه الخالد على قوات المحور في العلبين ، هذا الهجوم الذي لم يقف حتى لم يبق في شمال
 افريقية كله مكان تأوى اليه لفلل الالمان والاطالين . وفي الوقت ذاته كانت امريكا - شريكة
 بريطانيا في السيادة على بحار العالم - قد سيرت في البحر ألتي سفينة حاشدة بالرجال والسلاح ،
 قاصدة بهم الى شمال افريقية فنزلوها عقب ابتداء معركة العلبين بأسبوعين اثنين . وهكذا تعاونت
 الدولتان المسيطرتان على البحر ، على حرب قوات المحور الهائلة في صحارى افريقية محصورة
 سجيبة ، لا يأتيها الا مدد ضئيل في قوارب يفرق أكثرها ، أو من طائرات قل ما يهبط منها سالما
 وانسحب ما بقي من قوات المحور من افريقية ، وزالت الامبراطورية الايطالية التي طلت سنين
 طويلة قلا العالم بدعاويها ومشروعاتها ، وانتقلت ساحة الحرب من افريقية الى أوروبا التي اعتصم
 بها هتلر وزعمها القلعة النبعة التي لا منفذ اليها ولا سبيل . ولكن الحلفاء ، أو قوة الحلفاء البحرية
 على وجه أصح ، خبت طنه وخطأت رأيه ، فلم تكف جيوشهم تستجيب من غناء الحرب الافريقية قليلا ،
 حتى حملتهم سفنهم وألقت بهم على جزر ايطاليا الجنوبية ، فاحتلوا بانتلاريا وليبيدورا في يسر
 وسهولة ، وكانت ايطاليا تزمها لعتين متبعتين تظنان في وسط المحور كما تقف معلقة الباسلة
 أو جيل طارق العتيد

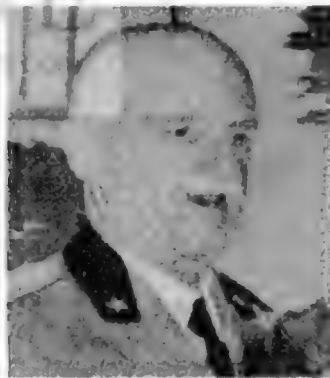
ثم انتقلت الحرب الى جزيرة صقلية ، فنزلتها قوات الحلفاء في اليوم العاشر من شهر يوليو
 الماضي . وتملك جزيرة خصها التاريخ بكثير من سماركه ووقائمه الفاصلة ، وبكثير من فواده وإبطاله
 الخالدين . ففي رقعته الضيقة تصارع الفينيقيون والافريق ، ثم الفينيقيون والرومان ، ثم العرب
 والرومان . واقرن اسمها باسماء نفر من أعظم القواد ، اساء هانيبال وشيبيو الافريقى وأسد بن
 الفرات . وما هي اليوم مجال الصراع بين الحلفاء والمحور ، وقد تأهب كل بالجيش اللجب
 والسلاح الرهيب . ولكن بدا في الموقف أمر جديد ، بدا أن الايطالين قد شتموا الحرب وتغفروا
 على الفاشستية . وانهم يريدون الخلاص من رغبة موسوليني على أبدي قوات الحلفاء . فلذا بأهل
 صقلية يقابلون جيوش الحلفاء أهلا وسهلا ، واذا بالحلفاء يريدون أمامهم الطريق - الا أنه - ميسرا
 سهلا . فلم تطل المعركة أكثر من ثمانية وثلاثين يوما ، أسر فيها الحلفاء زهاء مائة وخمسة وعشرين
 ألف أسير



موسوليني



المارشال بادوليو



الملك عمانويل

ملك ايطاليا الذي أطلع أخيراً في إقصاء وقد تولى زمام الحكم في إيطاليا بعد أضعافه وشبهه عندما ركب رأسه
 الفاشستية ، ولكنه اضطر مع إقصاء موسوليني وقبل التسليم بلا ودخل هذه الحرب ، وقد استطاع
 حكومته الى الانتقال الى صقلية شرط ولا قيد

الألمان أن يتفقدوا من الأسر



تحت هذه الخريطة ملحق الأوربية التي كان يرسم أبنا ابن تال . وقد بينا عليها خطوط الحدود التي
أقامها الألمان والتي أحدثت الملقاة. ثمرة فيها في إيطاليا ونيماون لأحداث تورات أخرى في عدة جهات منها

سبل التجمعات الذي
لا يقطع لقوات الحلفاء
في إيطاليا، أواسة التقدم
وقهر الألمان . . . وقد
التقطت هذه الصورة إبان
معركة ساليرنو ، التي
استطاع بها الحلفاء تثبيت
أقدامهم ضد أعنف هجوم
قام به الألمان



وانسحب ما بقي من قوات المحور عبر مضيق صيبيا ، والحلفاء في اترنم يستمرونها ويطاردونها ، حتى نزلوا وراهما أرض إيطاليا . وكان اخفاق الفاشستية في توجيه سياسة إيطاليا منذ بدأت الحرب ، دافعا للشعب الايطالي على التآلب والثورة عليها ، ساعيا الى القاء زمامه الى رجل يستطيع انقاذ ما جرته عليه من فواجع ونكبات . والفلت الثورة قليلا ، فتول الامر بادوليو ، وهو جندي قديم ناضى الفاشستية وعادها طويلا ، فاحتفل موسوليني وفكر من أعوانه ، وطوردت الفاشستية وألهمت منشأتها وشاعها . وبدأ بادوليو بتصل بالحلفاء ليهادهم ، وكانت قواهم حينذاك تتقدم في أرض الوطن قسما ، ولا قبل للجيش الايطالي بل ولا رغبة به في حريمهم ومفاومتهم ، فقبل بادوليو التسليم بلا شرط ولا قيد كما أراد الحلفاء

وأُسرع الألمان واحتلوا شمال إيطاليا ثم حبطوا الى جنوبها ، وأطلقوا سراح موسوليني لينفذوه اداة لهم ينفذ ما تريد في بقاء عمود المحور متصلا بين برلين وروما . فاحتفل ملك إيطاليا ، الملك الحظي للشعب الايطالي ، وبادوليو ، القائد الاول للجيش الايطالي ، الى أرض صقلية ، وأقيمت الحكومة التي تسعى الى اغاذا الوطن من براثن هتلر وجيوشه . وهكذا غنمت أرض إيطاليا مسرحا للحرب متصلا من ناحيتين : فتمت الحرب الاعلية بين فلول الفاشستية والجيش الايطالي يؤيده الرأي العام ، وثمة الحرب الدائرة بين جيوش الحلفاء وجيوش ألمانيا

على أن قلعة هتلر لا تتعرض للهجوم عليها من هذه الجهة وحدها ، فتم جبهة أو جيهاة أخرى تتأهب لقوات الحلفاء لغتها والنفاد منها ، وانه ليوم قريب جدا هذا اليوم الذي تزحف فيه قوات الحرية قادمة من شواطئ أوروبا الجنوبية والغربية لتتلاقى في قلب ألمانيا ، في برلين ذاتها ، مع قوات الحرية القادمة من سهول روسيا ، حيث ترمد جيوش المحور في كل يوم حاملة وذر الحرب وخزي الهزيمة مما

وهكذا تندو أوروبا التي زعمها هتلر حصنا لا سبيل الى اقتحامه ، سجننا لا سبيل الى الفرار منه ، وهكذا ثبت التاريخ مرة أخرى ان سيد الماء سيد اليابسة !

الغذاء والعالم

أثر الحرب في الطعام

ركن من اركان الارض . وليس لديهم من السفن ما يكفي لنقل كل ما يجب من البحار . فلا بد من تركيز ما ينقل في أضيق مساحة من هذه السفن . وهذا يقتضى تجفيف الطعام من الماء .

« والماء يكون الجزء الأكبر من الطعام . فتلاثة أرباع البيضة الطازجة ماء . وثلاثة أرباع اللحم ماء . وسبعة أثمان أكثر الفواكه والخضروات واللبن ماء . فلماذا تكلف السفن أن تأتى من أقصى الأرض محملة بالماء مع أنه موجود فى كل مكان فى الأرض ، حتى صحراء إفريقيا ، حيث يكون ماء النيل أسير مثالا من ماء أمريكا . والواقع أن السببية تستطيع أن تعمل ثلاثة أو أربعة أمثال ما تحصل من الطعام اذا أمكن تجفيفه »

وقد نجحت التجارب التى أجراها العلماء لتجفيف أكثر ألوان الطعام من الماء ، وختم مستر ويكارد بحثه بجدول عن الكميات التى يتغنى إرسالها فى بحر العالم القادم الى شتى الاقطار . ومنها يبين ان كمية أخرى تقدر بشرات الملايين من الاطبال من البيض واللبن واللحم والفاكهة والخضر ، سيتيسر نقلها من أمريكا الى أرجاء العالم على نفس السفن المخصصة الآن لنقل الطعام

الأمهات والسجائر

من العادات المردولة التى شاعت فى المجتمع الحديث ، وصحت جميع طبقاته العليا والوسطى والدنيا ، عادة اقبال النساء على التدخين . واذا كان تدخين الرجل سيئة ، فان تدخين المرأة سيئتان . لان الضرر لا يقتصر على ما يصيب

أدت الحروب الماضية الى تغيير كبير فى «الطعام» ، فاجتكرت ألوانا جديدة منه ، وهدت العلماء الى طرق جديدة فى اعداده وتهيته

فالحروب النابليونية علمت الناس « حفظ الاطعمة » فى أوعية من الصفيح تفرغ من الهواء ليبقى فيها الطعام سليما من التلف أمدا طويلا . وفى الحرب العالمية الماضية ابتكر العلماء « اللبن المتبخر » الذى يحول بعملية التصعيد الى سائل يشرب

أما الحرب العالمية الحالية فيكون أكبر آثارها فى الطعام تجفيفه من الماء . فان انتشار الجيوش المقاتلة فى قارات الأرض ، وتنصيب أكثر السفن لنقل الجنود وما يلزمهم من السلاح والذخيرة ، أوجبت ضرورة تجفيف الاطعمة التى ترسل الى هؤلاء الجنود من الماء ، ليخف ثقلها ويتيسر نقل أكبر كمية منها فى أضيق مساحة من السفن

وقد كتب مستر كلود ويكارد سكرتير وزارة الزراعة الأمريكية بحثا فى أثر هذا الكشف العالمى قال فيه :

« ان تجفيف الطعام سيخلق أمام منظر مشكلة كبرى . وسيكون له أثر كبير فى توجيه مجرى الحرب القائمة . فان كل طن من الماء ينزع من اللبن أو اللحم أو الفاكهة أو الخضروات ، يعادل تماما طنا من القنابل يلقى على مدن المحور . وكل طن من الماء نجس من تجفيفه قد يؤدى الى اجاعة فريق كبير من جنودنا ومن حلفائنا . ذلك أن الشعوب المتحدة تساهم فى حرب تحصل الأرض كلها ، وتنقل رجالها وعتادها الى كل

أن يقال بدون مبالغة واسراف أن الذكاء يوجد أو يتعمد نتيجة هذه الغدة وحدها . فإسرافه هذه الغدة في الإفراز يؤدي إلى الجنون المحسوب بالذكاء ، وخمولها في الإفراز يؤدي إلى الفباوة والبلاهة ، مصحوبتين بأعراض جسمانية منها سقوط الشعر وتشنج بعض سائر الوجه أو اليد .

ولكن مهمة هذه الغدة تقتصر على سن الطفولة والصبا والشباب إلى منتصف العمر ، أما بعد ذلك فلا يكون لافرازها أثر مهم . وعلى كل من المعروف أن الذكاء يقلب نموه في سن مبكرة ، تتراوح بين الخامسة عشرة والعشرين وأما ما ينمو بعد ذلك فمظاهر الذكاء المكتسبة من الخبرة والتجربة ومن الدراسة والثقافة ومن التمرن على التفكير

قيمة الحشائش الغذائية

في الأساطير القديمة أن ملك فارس «نوخز نصر» كان يزحف على سائيه وقديه ليسعى في الأرض يأكل حشائشها التي كان يسبقها ويؤثرها على سائر ألوان الطعام . وقد أثبتت بعض البحوث العلمية الحديثة أن ملك هذه الأسطورة لم يكن مغبولا ، فإن في حشائش الأرض التي تألف من تناولها من القيمة الغذائية ما يفوق مثلها في كثير من ألوان الخضار والفاكهة التي نأكلها

وأهم هذه الحشائش من هذه الوجهة هو البرسيم . فقد وجد أنه يحتوي على جميع أنواع الفيتامين . بل إن ما فيه من الفيتامين يوازي ما في اللواكه والخضار المجففة ثمانى وعشرين مرة ، وما في الحذر ثلاثا وعشرين مرة ، وفيه من فيتامين ب ٢ مثل ما في الحيار اثنتين وعشرين مرة ، ومن فيتامين ج مثل ما في العلياسم أربع عشرة مرة

ولا تقتصر فائدة البرسيم على هذا ، بل أنه خير غذاء يقدم للجرحى من الجنود وغيرهم

جسمها وجيبها لحسب ، بل يتعداها إلى أولادها فقد أدلى الدكتور هاريس رلمان الأستاذ بجامعة فيلدلفيا الأمريكية أمام « الجمعية الطبية الأمريكية » بحث أثبت فيه أن أطفال الامهات اللاتي يدخلن السجائر يولدون وبهم استعداد جسماني للتدخين ، ذلك أن دمهم يتنصص - وما زالوا أجنة في بطون أمهاتهم ، ثم وهم رضع يرشغون ألبانهم - بعض النيكوتين الذي يسرى في دم الامهات

وأجرى هذا العالم بحثه على خمس وخمسين سيدة ، بضعهن يدخلن بين سيجارة وأربع في اليوم ، وبضعهن ما بين خمس وعشر سيجارة ، وبضعهن ما بين إحدى عشرة وعشرين سيجارة أو أكثر في اليوم ، فثبت له أن الأطفال الذين حملوا أو وضعوا في فترة التدخين ، خرجوا إلى الحياة وفي دمهم كمية من النيكوتين ، تجعلهم متى شبوا في حاجة إلى التدخين لتسوين دمهم بهذه المادة التي اعتصها وما زال جنينا أو رضيعا فلعل في هذا البحث ما يصرف السيدات عن هذه العادة الرذولة . وإذا كان قد قيل أن الحر أم الكياثر ، فإنه يمكن أن يقال أن الدخان كثيرا ما يكون تمهيدا لبعض الكيثر . والواقع أن كثيرا من الثبائن التعريف عن جادة الخلق القويم ، بدأوا انحرالهم بجادة التدخين

غدة الذكاء

عرف « لورنوف » وجوده في الغدد وعلاقتها بالطاقة العمر وتجديد الشباب ومع أن هذه البحوث لم يجمع العلماء على صحتها بل ما تزال موضع الرية منهم ، إلا أنها أحدثت في عالم الطب حركة كبيرة ، وفتحت أمام العلماء أفقا واسعا للبحث والكشف في علاقة الغدد بالحالة الجسمانية ، والحالة الخلوية كذلك

وقد كشف لورنوف عن فدة لها صلة بالذكاء الشخص وحياته . وموضع هذه الغدة في مقدمة لعنق أسفل « قفاصة آدم » . وقال فيها : ويمكن

لبناء اجسام قوية متينة تقاوم المرض وتبقى على العمل . والصحة والنشاط هما العنصران اللذان للانسان الذي يريد ان ينشئ حضارة حقيقية ، وما يلقيه عليه هذا الانشاء من أعباء العمل الثقيلة . وكذلك الامر في نباتات المنطقة الباردة ، فهي فضلا عن قلتها لا تحتوي على الفيتامينات التي تمد الجسم بما يلزمه من الغذاء . وذلك على عكس نباتات المنطقة المبلولة التي تؤمن الانسان أصلاح الشار لتغذيته وتمينه

ومرة نقطة أخرى في اثر المناخ وهي ما ينشأ عن بعض الاجواء من امراض متوطنة أو من اوبئة فتاكة . فانسحاط مستوى الشعب الهندي يرجع اولا وقبل كل شيء الى مرض الملايا المتوطن هناك ، والذي يجتاح ملايين من الهنود في كل عام . وكذلك الامر في الصين التي ثبت ان كل جندي يقتل منها في حربها مع اليابان يقابله عشرة اشخاص يموتون من مرض الملايا ومرض الدوسنتاريا

فاذا أضفنا الى مرض الملايا في الهند ما يعانيه ملايين من الهنود من نقص الغذاء ، بسبب الفقر من ناحية ، وبسبب نقص الوان الفيتامين في غذائهم ، فمكن ان نملل انسحاط المستوى الاجتماعي في هذه البلاد التي يقدر ان فيها مائة مليون نسمة يعيشون ويموتون دون ان يصيبوا في يوم واحد من ايام حياتهم القوت اللازم لبناء جسم صحيح قوى

وبلغ هذا الاستاذ انه كلما كان جو الاقليم جوا عاصفا كان أهله اكثر نشاطا وأوفر انتاجا . وهو الجو الذي ينجب بناء العائز الضاحقة وناطحات السحاب ، والسفن الفخمة والمصانع الحافلة ، والسدود والخزانات ، والجيش الجرارة والاساطيل الهائلة . وذلك لان أهل هذا الاقليم أهل نشاط وحركة وسرعة ، لهم من حيوتهم وجهدهم ما يمكنهم اولا من تلبية مطالب اجسامهم ، ثم من انشاء مرافق الحضارة المتشعبة

لاحتوائه على فيتامين الذي يلزم لمن استنزف بعض دمه ، ولا شك ان لهذا النبات الذي لا يأكله الآن سوى البهائم الغنسل في انحاء حياة عشرات الآلاف من الجنود الجرحى الذين يتناولونه بعد تجفيفه وسحقه

وبنيت في الولايات المتحدة الامريكية وفي كندا نوع معين من البرسيم يطف ويسحق ، ويؤخذ غذاء ودواء . ورطل واحد من هذا المسحق يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين « ا » تكفي جسم الانسان العادي مدة خمسة اشايح . ولد انشئ في مدينة اوتتريو مصنع خاص لتحضير هذا المسحق الذي شاع استعماله في صيدليات امريكا ومستشفياتها . ويقدر ما يصدر منه الى خارج امريكا في كل عام بألفين وخمسمائة طن . ولا تزال ابعاث العلماء جارية في استنباط ما يحتويه هذا النبات من الفبة الغذائية الكبيرة

تأثير المناخ في الحضارة

طرق هذا الموضوع كثير من كتاب علم الجغرافيا وعلم الاجناس ، ولكن يونهم لم تعد بيان ما للمناخ من اثر في تشاط الجسم وخموله . فقالوا ان الحضارة الانسانية تنبأت في المنطقة المعتدلة ، اما المنطقة الحارة والمنطقة الباردة فلم تنشأ فيها اية حضارة كبرى ، وذلك لما يتجم عن الجو الحار من خمول في الجسم ، وعن الجو البارد من انصراف الى تلبية مطالب الجسم وحماها من قوت وكسائه ، بينما يهيى الجو المعتدل للانسان ان يعمل ويبعد دون أن يركز كل جهده في امر الطعام واللباس ، بل يلقى منه ما يصرفه لانشاء مرافق الحضارة الاخرى

ولكن الاستاذ « كلاركس ميلز » يعرض للموضوع من وجهة أخرى . فهو يتناول أثر المناخ في نباتات الارض ومساوها مما يتناوله الانسان طعاما له . فيرى ان نباتات المنطقة الحارة ينقصها كثير من انواع الفيتامين اللازمة

الحركة الفكرية

تاريخ التعليم الأمريكي

لاهمية المدرسة ولعمل المدرس . وكان يعتقد ان المدرسة الحقيقية هي الدنيا التي تعيش فيها . وان المدرس الحقيقي هو الكتاب المفيد المتبع . وقد أعلن فرانكلين ان الغرض من التعليم ليس حشو الرأس بالعلم ، كلا ، وانما هو اضافة اكبر كمية ممكنة الى ثروة الحياة ومنعتها . وهو خلق افراد اكثر ذكاء ، واصبح تفكيراً ، واجدى لغاً مما كانوا من قبل . وكذلك قرر ان المدرسة أو الجامعة ليست نهاية مرحلة التعليم ، بل هي بدايتها ، لانها لا تشمل أكثر من ان تشوقنا الى المعرفة ، وترويضنا على التفكير والاطلاع

وتجنيء بعد فرانكلين مرحلة أخرى من مراحل التعليم ، تقوم على أساس المبادئ التي وضعها **المربي السويسري المشهور بستانالوزي** الذي طبق الأداة التي رآها جان جاك روسو في كتابه « اميل » . انشأ روسو تلميذه « اميل » في الدنيا لا في المدرسة ، فكانت كتبه هي الاحجار والاشجار والشمس والنجوم والحيوان والطيور . وقام بستانالوزي لمربي جميعاً من التلاميذ على هذا الأساس ، وفتح بذلك فتحاً جديداً في نظم التربية . وقد نقل « هوراس مان » هذه الطريقة الى امريكا ، وانشأ فيها مدارس على هذا الغرار كانت لها أعظم النتائج . وقد لقيت هذه المدارس معونة سخية من حكومات الولايات ، واطلن أحد رؤسائها ان التعليم يجب ان يصل الى أفقر طفل لاقر والد في القر كوخ . وقبل الناس عليها اقبالا شديداً اذ كان الغرض منها ان « يقضى فيها الطفل وقتاً شائعاً سعيداً من يومه ، يعمل ويلعب فيه مع اقرانه » . وهكذا خرجت المدرسة الأمريكية في صورتها المشرقة ، التي

كيف صار الشعب الأمريكي شعباً حراً ، يؤثر الحرية في حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية على كل ما عداه ، ولو أدت هذه الحرية الى كثير من المساوي والاختلاف ؟

هذا هو السؤال الذي طرحته الآتية اجنس بنديكت في مقدمة كتابها من « تاريخ التعليم الأمريكي » ، وأجابته عنه بأن مرجع هذه الحرية الى الارتقاء العظيم الذي شهدته مدارس امريكا وجامعاتها خلال القرون الثلاثة الاخيرة

فقط ثلاثمائة عام لم تكن امريكا تحرف من نظم التعليم سوى هذه المدارس الصغيرة التي تشبه « الكتائب » المصرية . كانت هذه المدارس ملحقة بالكنائس ، يقوم بالتعليم فيها رجال الكنييسة ومن اليهم « مثل القسيس ومرسل الاناشيد وعامل الجرس وخفار القبور » وكان الغرض من هذا التعليم تنمية الناس على طاعة الكنييسة واحلال رجالها ، فكان يعمل بطبيعة الامر لقتل روح الطفل وحيوته ، حتى لا يخرج به عن نطاق ما يلقى اليه من الاوامر والتعاليم وظل الامر هكذا ردها طويلاً حتى قام نبي التعليم في امريكا ، بنيامين فرانكلين ، وأعلن في سنة ١٧٤٩ مناهجه التعليمي الجديد . هذا المنهاج الذي لا يقل أثراً وخطورة عن « اعلان الاستقلال الأمريكي » ذاته . فاذا كان هذا الاعلان قد قرر حرية امريكا السياسية ، فان هذا المنهاج هو الذي أقر حريتها الاجتماعية ، وهو الذي دعم حرياتها المختلفة بأقوى الدعام لم يكن فرانكلين مديناً بثقافته اللثة الى المدارس والمدرسين . ولهذا كان شديد الانكار

ظفرت من التجديد بما لم تظفر به إحدى بنات الفن - كيف ولدت ، وكيف نشأت ، وكيف ظهرت على مسرح الحياة ، ثم كيف أصابت كل هذا المجد والتكريم ، لقد كانت في بدء حياتها صبية مكشوفة مدفونة ، أمهاتها أمها وهجرتها لتفرغ لشؤون عشائها ، واضطرت الصبية لأن تكسب حياتها بمرق يديها فاشتغلت بأثمة ملابس في بعض الدكاكين ، فلما لمست في نفسها موجة التشيل التحقت « بالكونسرتوار » بعد أن توسط لها عشيق أمها الدوق دي مورفي . ثم دخلت الكوميدي فرانسيز حيث بدأت تمثل بعض الادوار الثانوية الثانية

وفي سن العشرين حضرت حفلة أقامها نابليون الثالث في قصره ، ونهضت في هذه الحفلة فألفت قصيدة من شعر ليكتور هوجو . وكان هوجو أحد أعداء الإمبراطور ، وقد ترك وطنه فرارا من صله ، وآل على نفسه ألا يعود إلى فرنسا إلا أن يسلط عرش نابليون . فلما بدأت الفتاة سارة في الغناء هذه القصيدة ، قام نابليون - وكان رجلا سريع الغضب - حانقا وموجزا ، واضطرب زوجه يوجيني ومن وراءها المدعوون والحاضيات ، عاركا بهو الحفلة صفرا إلا من الفتاة وفرقة الويسيلي ، وتقدم إليها منظم الحفلة ، وقد أشفق على نفسه من أذى الإمبراطور ينف سارة ويدفعها خارج البهو ، ولم يحشم عنها إلا الأمير دي لين ، الذي تقاضى عنه وبين سارة منذ ذلك صلة وثيقة من الود والحب . فأراد أن يتزوجها ، ولكنها أبته حتى لا يفسد هذا الزواج ما بينه وبين أسرته ، وإن ظلت العلاقة بينهما قائمة مدى العمر يولفها ابنهما وانصرفت سارة إلى المسرح حيث بقيت سبعة أعوام مجهولة مدفونة ، إلى أن اتيج لها في سنة ١٨٧٤ أن تمثل دور « فيدر » في رواية راسين الخالدة ، فإذا بها تحدث في فن التشيل حدثا رائعا جعلها محور كلام الباريسيين روحا طويلا . وبدأت منذ ذلك الحين تتقن طريقها

تجذب إليها التلبد اجتذابا ، بينما اقترانه في البلاد الأخرى لا يدفعون إلى المدارس الا مكرهين وتندرج المؤلفة في بسط مراحل التعليم الأمريكي حتى تصل إلى المرحلة الأخيرة التي يتزعمها « جون ديوي » فيلسوف أمريكا المعاصر فقد أعلن هذا الرجل في أواخر القرن الماضي أن الغاية من الفلسفة هي التعليم ، وأن التعليم عملية اجتماعية ، لأن التعليم ضرورة من ضرورات الحياة ، لأنه الوسيلة التي يجدد بها المجتمع نفسه ، ويحميها من خطر الموت والفساد . وإذا كان العالم يشهد الآن رسوخ المبادئ الديمقراطية في أمريكا ، ومدى آثارها الخطيرة في حياة هذا الشعب وسياسته - فإن من حق جون ديوي أن يذكر الكتاب أنه هو الذي دهم هذه الديمقراطية وإذا ما بين تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات ، بما وضع من مبادئ في التربية والتعليم تقوم على أساس ديمقراطي صرف ، أي على أساس التعاون التام بين التلميذ والمدرس ، في مجتمعها الحر الصغير ، أي في المدرسة أو في الجامعة

سارة برنار

مشاهد من حياتها الخالدة

ما زال في حياة المثلة الخالدة سارة برنار متسع لافلام الكتاب ، إذ كانت حياتها الخالدة بألوان المجد والشهرة والتعظيم والآلام أشبه بالأسطورة الحياتية منها بالحقيقة الواقعة وأحدث كتاب وضع عن سارة برنار الكتاب الذي أصدره الكاتب الفرنسي « لويس فيرلي » الذي مثلت ساره في أخريات حياتها بعض مسرحياته ، والذي تزوج فيما بعد من حفيدتها لاه لأن من الصلة الوثيقة بسارة ما أهله لأن يكتب اصح وأولى ترجمة لحياتها فهذه المثلة التي طبلت شهرتها الآفاق ، والذي ما يرح صوتها يرن في الآذان ، والتي

جميل سارة بأن زارها بعد ذلك بأربعين سنة
في مستشفى بورديو حيث بترت ساقيها . ويرغم
هذه العادة التي أصابت المثلة الكبرى لم تترك
فن التشيل حتى قتلت نفسها وقد بلغت من المجد
- كما يقول الكاتب الفرنسي الكبير جول لستر -
- مثلما بلغ الغزاة والقباصرة .

آراء غاندى

بقلم أحد أصدقائه الهنود

ما من زعيم من زعماء العصر الحديث حير
خاصة المفكرين ، كما حير عامة الجماهير ، مثلما
فعل المهاتما غاندى . ومرجع هذا الى ان الصوفية
الهندية التي هي لباب سياسة غاندى ومبادئه
تكاد تكون مجهولة لعامة المثقفين في العالم .
ثم ان اكثر من كتبوا عن غاندى لا تربطهم بغاندى
أية صلة وثيقة ، بل منهم من لم يرو من غاندى
سوى صورته المنشورة في الصحف . فكانت
كتاباتهم بطيئة الحال غامضة ، ناقصة ، لا تنفذ
الى الصميم من قلب الرجل

والواقع ان في العالم اليوم ذميين غامضين:
هتلر وغاندى . اما غموض هتلر فيرجع الى
هذا الجو الغريب الذي احيط به حياته واعماله
عن قصد وعمد ، ليبدو امام الشعب الالمانى من
ناحية ، وامام العالم جميعه من ناحية أخرى ،
في صورة رائعة مروعة ، هي - كما يقول دعاة
الالمان - صورة يد القدر التي ستفصل في أمر
العالم ومستقبله فصلا حاسما . اما غموض
غاندى فلا يرجع الى شيء من هذا . فليست من
حوله وزارة دعاية توهم الناس بأموال لا حقيقة
لها ، ولا من طبع الرجل ان يظهر في هذه
المشاهد المسرحية التي ألفها هتلر واجادها -
كلا ، وانما مرجع الغموض فيه الى النفس فيما
كتب عنه ، لا يستثنى من ذلك ما كتب عنه قدحا
وتبليها ، وما كتب ثناء وتمجيدا
ونحن الآن في صدد كتاب عن غاندى من

الى الجيد بما مثله من مآس ومهازل ، قامت
لها بأدوار النساء والرجال ، دون ان تهبط
عن الذروة العليا في أى دور منها

وداعت شهرتها في ارجاء العالم ، فدعتها
دور الاوبرا الكبرى في اوربا وامريكا . فطلوت
في عواصم الغارتين حيث كانت تستقبل كما
يستقبل الملوك والعاثون . وجمعت من ذلك
ثروة طائلة قدرت بمليونين من الجنيهات ، وان
كانت قد ماتت غارقة في الديون

ولما عادت من رحلتها الطويلة الى فرنسا
وجدت قلوب أهل باريس منصرفة عنها . فحل
انتهى امرها ؟ كلا ، ففي يوم ١٤ يوليو سنة
١٨٧١ دجيت المثلة الفرنسية منام أجاز لالقاء
تشيد المارسلين في الحفلة الكبرى التي اقامها
رئيس الجمهورية في دار الاوبرا . وكان لهذه
الحفلة عشيق من الضباط يقم في بلد ناه عن
باريس . فبدرت سارة أمرا ليخلو لها الجو ،
اذ ارسلت الى المثلة قبيل الحفلة تنبهها بمرض
عنيفها مرضا خطيرا ورغبته في ان يراها قبل
ان يموت . واسرعت المثلة الى بلد عشيقها ،

ولم يجد منتظم الحفلة من حل سوى ان يستنسى
ساعة لالقاء التشيد ، وتهبط ساعة ، وفن
صوتها في ارجاء الحفلة ، حتى اذ بلغت قلوبها ،
الى السلاح ايها المواطنين ، بكى كل من في
الحفل رجالا ونساء . ولما انتهت من نفيدها
وهي راقدة يدعى الى أعلى ، جاثية امام العلم
الفرنسي المثلث الالوان ، تنف كل من في الحفلة
ومهم رئيس الجمهورية ، باسمها هنالكا عاليا
مدويا . وهكذا استصادت اسمها ومجدها
ولم تخلص مثلة لغتها مثلما أخلصت ساعة .

طلما حوصرت باريس في سنة ١٨٧٠ وعبرتها
حكومتها واكثر أهلها ، ابت سارة ان تغارلها ،
بل اقامت مسرحها في احد مستشفياتها وكان
من الجنود المرحى حينذاك جندى بسيط اسمه
غوش ، وهو الذى صار فيما بعد قائد جيوش
الحلفاء في الحرب الكبرى الماضية ، والذى رد

وما يسميه غاندى بقوة الروح ، هو ذات ما عبر عنه لوكس بالضوء الداخلى . وهذا وجه جديد من وجوه المقارنة بين غاندى وغيره من المفلسين لا تعرف أحدا سبقه اليه ، فقد كانت أكثر المقارنات تعقد بين غاندى وتولستوى ، أو بين غاندى والكاتب الأمريكى هنرى ثورو مبتكر سياسة العصيان المدني

وبين الكاتب أثر غاندى فى سياسة الهند ، وكيف انه هو الذى يكسر من حدة رجال المؤتمر الوطنى ، سواء من كان منهم معتدلا مثل نهرو ، أو متطرفا مثل بوزا ، وذلك انه لا يريد - كما يريدون - ان يكون للسلح عدل ما فى سياسة الهند . بل هو يريد حين تظهر الهند باستقلالها ان تتخلص من قوتها للسلح ، وتبتعد كل الاجساد عن سياسة الحرب والمقاومة العنيفة . ويدفع الكاتب التهمة الوجهة الى غاندى من انه يؤثر اليابان على الانجليز ، او انه يريد ان يغرس على الانجليز خصلتهم فى حماية الهند من الغزو اليابانى ، وذلك كله بما يورده من اقوال غاندى وكتابات

تتبع جديد . كتبه صحفى هندى اسمه « رامان » تربطه بغاندى صلة وثيقة من الصداقة والمودة ولهذا يؤثر غاندى صحيفته الدائمة فى ارجاء الهند بكثير من مقالاته التى يشرح فيها سياسته ويشرح فيها فلسفته . وهذا الصحفى يدين بأفواه غاندى الوطنية ، ويريد ان يشرح هذه المبادئ للعالم عامة ، وللشعوب الانجليزية خاصة ليوضح حقيقة الامر الذى السدته الدعابة السياسية من ناحية ، والمسدته اعمال بعض الوطنيين الهنود من ناحية أخرى

ومؤلف الكتاب لا يريد ان يشرح آراء غاندى او يدافع عنها ، بل هو يقتنع بأن يحرض مجرد أقواله فى شؤون الهند وسياسة العالم ، تاركا القارى يحكم لها او عليها كما يشاء . ولكنه يريد من حين الى حين ان يوضح وجوه القسب بين فلسفة غاندى وبعض المذاهب الدينية التى ابتكرها المفكرون الانجليز . وهو يقارن هنا بالذات بين أقوال « جورج لوكس » وأقوال غاندى ، فنرى ما يسميه غاندى بسياسة عدم العنف ، هو ما سماه لوكس بالمقاومة السلبية .

من الحكمة الصين

كان معلم الصين الاكبر كونفوشيوس يتروى ذات يوم فى احدى المناطق الجبلية ومعه جمع من تلاميذه ومريديه يستمعون قوله ويظفون عنه الحكمة . همروا بامرأة جالسة أمام قبر بنى حديثا وهى تبكى بكاء شديدا . فأرسل كونفوشيوس أحد تلاميذه يسأل المرأة ما خطبها . فأمسكت المرأة عن البكاء وأخذت تلصص على التلميذ قصتها . فقالت : « ابنى أعيش الآن مفردة فى هذا المكان القفر وراء هذا الجبل الثانى . ذلك أن نمرا اقترس منذ ستين أبى ، ثم عاد فاقترس زوجى ، ثم انقض على ابنى منذ أيام فاقترسه ، فتركنى يتيم ، أرملة ، ثكل ، ثم عادت تبكى وتتصب بما أصابها

فسألها الحكيم : ولم تؤثرون العيش فى هذا المكان الوحش ، بجوار هذا النمر الضارى ؟ فقالت المرأة : لان هذا المكان القفر خلو من الوطنيين الاشرار الذين يسبون معاملة الناس ويرمقونهم بالضرائب والمكوس

فلما سمع الحكيم هذه الكلمات التفت الى تلاميذه قائلا : « اصغوا يا أبنائى الى قول هذه المرأة ، فان الموظف الشرير لاقى وأضرى من الوحش الكاسر »

الكتب الجديدة

العقريات الثلاث : لمؤلف عباس العقاد

نقد وتحليل بقلم الأستاذ تقولا حداد

ترسل أشعة الإيمان الساطعة الى الآفاق الأربعة ويريك في حياة عمر قوة الحق التي جذبت الشخصيات العالية العصر الى مركز دائرة الحقيقة

وكان عمر أول من بايع ابا بكر وقال له : أنت أفضل مني . فقال ابو بكر : أنت أقوى مني . فعاد عمر يقول : وان قومي لك مع فصلك فاصب بشخصيتين تتنازعان الاحتراف الواحدة بأفضلية الأخرى

ومكثا اجتمع الحق والفضيلة والقوة في مركز واحد توجت منه أشعة الإيمان الى جميع الأنظار

الحبيب أنه في ذلك الجو الوثني الذي طمست فيه الحرافات والتقاليد السخيفة المتحجرة عقول الأعراب وغيرهم من الأمم المحيطة بهم ، تبرز ذاتية متنازلة في ادراك الحق وفي فهمها شعلة الحقيقة الروحية - وحدانية الله - ثم تظهر الى جانبيها ذاتيتان أخريان متنازلتان في قبول الحق فتقيسان من الشعلة متعالين لآبادة ذلك العالم الفريق في بحر من الجهل

حقا انه لغريب أن يبرز النور من صميم الظلمة . وغريب أن تولد تلك الجهالة العظيمة تلك العقليات النيرة - أيسكن أن تبرز الشمس من كهف وأن تصدر الحكمة من سخب ؟ كلا - ما ذلك الا الهام . حقا انه لالهام

لم تلم في نيويورك بنسابة أمير ستايت ، ذات المائة طبقة والطينين ، والتي تسع ٢٥ ألف نسمة في مكاتبهم وإدارات أعمالهم ، لو لم يكن تحتها أساس عظيم قوى راسخ ولم تثبت العقيدة الروحية التي استوعبت نحو ٤٠٠ مليون نفس والتي طوت ١٣ قرنا لو لم تكن قائمة على أركان أرسخ من الجبال قامت الإسلامية على ثلاثة أركان لا تقوم عقيدة روحية أو اجتماعية أو سياسية الا بثلاثها وهي .

١ - الروحية النقية

٢ - الفضيلة النفسية

٣ - القوة الحثائية

محمد . وأبو بكر وعمر

هذه هي العقريات الثلاث التي حلها الأستاذ عباس محمود العقاد تحليلا فلسفيا

إذا درست سير هؤلاء العلماء الثلاثة وكنت حاد البصيرة ، فقد تتخيل هذه الأركان أشباحا متغلطة في غابات التاريخ الغضة ولكن العقاد أراكمها أركاننا بأسفة باذخة في غامات التاريخ يقوم عليها البناء العظيم الضخم الشامخ الشاهق

يريك في حياة محمد صلى الله عليه وسلم روح النبوة الصادقة التي برزت فيها شمس وحدانية الله في آخر ليل الوهمية الأليل التخبط بالجهل وطموس التعقل حيث توارت رموز الحق في ترهات الباطل

ويريك في حياة أبي بكر شعلة الفضيلة التي

فلا يردده عنه حب ذات أو عوى نفساني أو خوف عدوان أو غرور أو افتراء أو زعم أو اعتداد باعتقاد

٢ - رفه قسطاس العدل بين النفس والناس ثم بين المحكمين ، ثم بين الحكوميين ، بلا تشيع ولا تحيز ولى حكمته قوة تحفظ القسطاس متوازياً

٣ - طيبة القلب . فهو الى الرحمة في موضعها أميل والى صل المروف في محله أشوق والى المروءة أسرع ، وبالتفحصة أجود حتى كان وراءها خير عام هذه رئيسيات أخلاقى هؤلاء العباقرة كما يستخلصها القارى مستبحراً ومستخرجاً من معادنها فلسفة العقل وفلسفة الاخلاق ، وفلسفة السياسة



في الأدب المصرى

تأليف الاستاذ أمين الحولى

من العسير علينا أن نلخص هذا الكتاب ، أو نلجئه الى القراء الى أسطر قليلة ، لأن كل كلمة منه قد وزنت ، ولدت ، ثم وضعت فى مكانها بحيث لا تستطيع أن تستغنى عنها أو تبدلها بكلمة سواها

أما صاحب الكتاب ، فهو الاستاذ الكبير أمين الحولى الذى يرى أن يكون شعار العلماء قول الشافعى : « وددت أن ينتفع الناس بهذا العلم دون أن ينسب الى منه شئ » ورأيه فى نشر الكتب وبيعها ، رأى مثالى نرجو أن تنهياً له الحياة العلمية فى مصر ، لذلك لم يطبع من آثار الاستاذ الا ما نشرته الدوائر العلمية ، أو ينشره تلاميذه . وهذا الكتاب الجديد قد نشره الاستاذ عبد الحميد يونس أحد تلاميذ الاستاذ ،

وهو ترجمة دائرة المعارف الاسلامية وأما الكتاب فهو فكرة ومنهج ، وأصل الفكرة أن تدرس مصر نفسها فى كل شئ ومبطل

وهكذا تجلت الالوهية مرة أخرى للبشر لتخرجهم من مجاهل الضلال

ليس فى دعوة محمد (صلم) الى عقيدة شاذة عن عقائده عصره وآله ما يستهوى الشهوات الجسدية لجر مقنم أو دفع مفرم . ليس فيها شئ من هذا حتى يجنح اليه اثنان يكادان يكونان نبيين . وإنما فى دعوتهم الحلقة ما يستهوى النفس الصالحة لاعتناق الحق

أما أبو بكر فقد سحرته أخلاق سامية شهدها فى النبي (صلم) لم يشهد ما يثانيها فى أحد من الناس : جاء محمد الى المسجد للدعوة العامة فأنصل خبرها بأبى بكر فجاءه يسأله :

— يا أبا القاسم . ما بلفنى عنك ؟ فسأله النبي : ما بلفنى عنى يا أبا بكر ؟ قال : بلفنى أنك تدعو الى توحيد الله وتزعم أنك رسول الله .

قال : نعم يا أبا بكر . ان ربي جعلنى بشيراً ونذيراً وجعلنى دعوة ابراهيم وأرسلنى الى الناس فما أظن أبوك يرى أن قال : والله ما جرت عليك كذبا . والله خليل الرسالة لعظيم أمانتك ، وصلتك لرحمتك ، وحسن الصلوة . مد يدك فانى مهابتك

كانت تلك الكلمات المدودات التى سمعها أبو بكر من النبي أمراً ملهماً من الله فأمن وكان عمر يقاوم دعوة النبي بشدة . فلما قرأ الآيات التى شج رأس أخته لأنها كانت تقرأها ، تقدم على ما فعل وارتوى وأسرع الى محمد يؤمن عليه اسلامه

وهذا أيضاً سحرته كلمة الله كلا الصالحين أسلموا لا لهوى شهوانى ، بل لالهام ربانى والقتناع نفسانى

استاذ كل من هؤلاء العباقرة الثلاثة بين أقوام العرب بثلاث خصال :

١ - ادراك الحق بحدائقه واعلانه بأنواره

والاستاذ الجليل ، الدكتور حل مصطفى مشرفة - عبيد كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول - هو أحد علمائنا البارزين ، الذين أدركوا ما يوزنا من هذه الثقافة ، فجدوا في سبيل تزويدنا بها - وكتابه الجديد ، مطالعات علمية ، هو مجموعة من الرسائل والاحاديث العلمية ، تحدث فيها عما يجب للمثقف معرفته عن الارض والكون والطبيعة ، والايثار ، والمادة ، والاشعاع ، ثم عالج الدكتور بعد ذلك طائفة من المسائل العلمية التي تحصل بنا اتصالا مباشرا ، كاليبحث في صلة العلم والعمران ، واللغة العربية كأداة علمية ، والحياة العلمية في مصر ، وختم كتابه ببيان الوسائل لتوجيه العلم والعلماء ، الى تحقيق تعاون عالى

وأسلوب الكتاب علمي مبسط ، يجمع بين دقة البحث ، وسلامة المنهج ، وسهولة التعبير ، وفيه مجموعة من اللوحات والصور

وهو مطبوع طبعا متقنا في نحو ١٦٠ صفحة كبيرة وتمن النسخة منه خمسون قرشا

روابط الفكر والروح

بين العرب والفرنجة

تأليف الأستاذ الياس أبو شبكة

أعدت البنا « دار المكشوف » في بيروت ، نسخة من كتابها الحديث « روابط الفكر والروح - بين العرب والفرنجة » للأديب المروف ، الأستاذ الياس أبو شبكة

وهذا الكتاب ، بحث أدبي نقدي ، يؤرخ حركة الاتصال الفكري بين العرب والفرنجة ، ويرصد التيارات الادبية والروحية بين الشرق والغرب ، ويكشف عن الاحداث الفكرية التي مهدت السبل للاتصال الثقافي بينهما ، مع ترجمة دقيقة موجزة ، لاعلام الكتاب والشعراء الذين كانوا رسل الثقافة بيننا وبين العالم الغربي ، وبخاصة فرنسا وأمريكا

كل شيء ، اذ تضي بذلك اعتبارات كثيرة ، أهمها الاعتبار الفني الادبي ، الذي صحح به الاستاذ خطأ ماديا شائعا ، مضى معه مؤرخو الآداب ، يدرسونها قطعة واحدة ، غافلين عن أثر البيئة الذي يقرره العلم قويا فعلا عتيقا ، كأن من السهل على العقل أن يسلم بهذه الوحدة المدعاة لآداب اللغة العربية ، وقد عاشت في أقطار مترامية البعد ، وبين أمزجة متباينة الخصائص ، وأجناس مختلفة الألوان ، وحضارات متفاوتة الاعيار

وعلى هذا الاساس العلمي ، نهض الاستاذ يدعو الى « الاثلية في الادب » وينادي بدراسة الادب المصري دراسة مفردة متميزة مستقلة تصححها للنهج ، وإيماننا بالشخصية المصرية

وأما حديثه عن المنهج ، فعنده أن خطوات الدراسة الادبية يجب أن تكون ثلاثا : ما حول الادب ، والادب ، ثم تاريخ الادب . وقد مضى الاستاذ بفصل كل مرحلة منها ، وبين ما يجب أن نعد لها ، مما لم توجه العناية اليه ، مع دعوى النهضة الادبية الشاملة

وما بنا الآن أن تبسط هذا المنهج ، فإن كل كلمة فيه تستحق أن نقرأ ، وحسب أنه قد برىء من الاستهواء الخطابي واللغة الصناعية ، فكان له من قوة الحجة ، ودقة التفكير ، ونصوح البيان ، ما يستهوى العقل الكبير والنفس الشاعرة

مطالعات علمية

تأليف الدكتور على مصطفى مشرفة

صدر هذا الكتاب في وقت اشتدت حاجتنا فيه الى غذاء من الثقافة العلمية ، يعين على تكوين العقلية الحديثة ، ويؤيد نهضتنا الثقافية المرجوة ويساعد شبابنا الثلق على مواجهة الحياة الجديدة المعاملة

وما تشك في أن رجال العلم والأدب سوف يقدرون هذا المجهود حق قدره ، وضوئه في المكان الجدير به ، بين أنتاج عصرنا الحديث .

الخطايا السبع

تأليف الأستاذ عل أدهم

وهذا كتاب جديد للأديب الكبير الأستاذ عل أدهم ، وقراء الهلال يعرفونه بكتابات الشائقة في هذه المجلة ، وهو يستل بالذلة والاعتزان ومثانة التفكير وقوة التعبير ، وقد اختار من الآداب الأوروبية المختلفة طائفة من القصص لاشهر الادباء والروائيين الغربيين ، وتحرى في اختياره ان تكون هذه القصص جامعة للفكرة وأدب المتعة في آن واحد بحيث تمتزج فيها الفكرة بالصورة امتزاج الروح بالجسد . وقد سعى هذا الكتاب بأولى القصص وعلى « الخطايا السبع » للرواية السويدية ، سلس لايميرليف واتبعها بقصة « حارس الخسارة » للكاتب البولوني سنيركرز . ثم « الفار » للكاتب الألماني استيفان زفايج ، و « أهرحسوف ملك آشور » للكاتب الروسي الكبير تولستوي ، و « الحن الشيطان » للروائي النمساوي فيليكس دومان ، و « أزيمة الاثراء » للكاتب الجري كوزستولاني . و قصة بلا عنوان » للروائي الروسي انطون تشيخوف ، و « في العسومة » للكاتب الفرنسي انتول فرانس ، و « الفلام الأبهك » للروائي الإسباني سيندالودي لافنت

وهكذا من كل أدب قصة أو بعض القصص مما ملأ مائتي صفحة بأسلوب رائع ، وعرض متنوع ، واختيار يخلق وما عرف به المؤلف من اقتدار أدبي ، وذوق فني ، وتلد صيرفي ، واصابة لأهداف التفكير الناضج والأدب الصحيح وقد طبع الكتاب بطبعة المعارف على ورق جيد وازدان بالصور والرسوم

وكتاب الأستاذ أبو شبكة يدل على خبرة نقدية واسعة ، ولقدرة غنية مواتية ، مع التنبه الدقيق اللفظ ، للأحداث الفكرية والتيارات الثقافية

قصة الأدب في العالم

تأليف الأستاذ أحمد أمين بك وزكي نجيب

يروي هذه القصة حضرننا الأستاذين الفاضلين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود ، ولهما شهرة معروفة في هذا النوع من القصص والتأليف فقد عرضا من قبل « قصة الفلسفة اليونانية » ثم « قصة الفلسفة الحديثة »

وقصة اليوم ، يقول عنها حضرة الأستاذ أحمد أمين بك في المقدمة : « اننا عرضنا للأدب العالية ، قديمها وحديثها ، شرقها وغربها ، في أسلوب أرب ما يكون إلى القصص - وعرفنا بأشهر رجالها ، ولخصنا أشهر تاجهم ، وقدمنا بعض نماذج من آدابهم »

وفي عزم المؤلفين الفاضلين ، أن يشتروا هذه القصة الطويلة في ثلاثة أجزاء تعرض الأدب في عصوره المختلفة : (قديمه ووسطه وحديثه) والجزء الذي تقدمه اليوم إلى القراء ، فيه حديث عن الأدب القديم على مصر ، والصين ، والهند ، وفارس واليونان ، والرومان . يتلو حديث عن الأدب في العصور الوسطى ، مع عرض نماذج من هذه الآداب المختلفة ، بعضها بلغته الأصلية ، مع الترجمة العربية ، وبعض آخر ، مترجم إلى العربية

ويقع هذا الجزء من قصة الأدب في ميلاد ضخم جاوزت صلعته خسمائة « وهذا جهد كبير من المؤلفين الفاضلين ، إذ راحا يتبعان الآداب في شتى البلاد ، من أقدم العصور إلى يومنا الحاضر ، ثم حاولا أن يقصا هذه الرحلة الطويلة في قصة واحدة ، ويجمعاً آثارها بين دفتي كتاب

بين الهلاليين قرائن

قصة اضطهاد اليهود

(الخرطوم - السودان) ١٠ ع . ٢٠١٠
لماذا اضطهد اليهود ؟ وما تاريخ ما لحقهم
من الاضطهاد ؟

(الهلال) قصة اضطهاد اليهود قصة قديمة
جدا . منذ اربعة وثلاثين قرنا خرجوا من مصر
وراء موسى فرارا من اضطهاد الفراعنة الذين
كانوا يسبون نسائهم وقتلون اطفالهم وصادروا
أموالهم

ومرجع هذا الاضطهاد الى ان اليهود لا وطن
لهم ، فهم مضطرون الى ان يشتتوا في اقطار
العالم ، يعيشون فيها كما تعيش الاقليات ،
يحملون كثيرا من الاذى والاضطهاد ، ويزيد
في اذلالهم هذا ان اليهودي لا يستطيع ان يندمج
في الشعوب التي يعيش بينها ، بل يظل محتفظا
بعادات دينية وقومية تفرق بينهم وبين الناس ،
ولهذا يزداد اضطهادهم كلما كان تسكنهم هذه
العادات شديدا ، كما هو شأنهم في روسيا
وشرق أوروبا ، ومنذ خلف اضطهادهم
بظالمتهم هذه ، كما هو شأنهم في إنجلترا
وألمانيا ، فلما اندمجوا في بقية الشعب اندمجا
تماما كما فعلوا في أمريكا زال عنهم الاضطهاد

بأنا ، وصاروا كسائر الشعب في حقوقه
ثم هم يلبأون في كسب رزقهم الى مرافق
تدر عليهم كثيرا من الربح والمال ، فأكثروا
بحرف التجارة ولا سيما تجارة المال ، وقل
لهم من يزاول الزراعة وهي من أقل الاعمال
ربحا ، كما انهم متكونون على الاعمال الفنية
والدعنية كالصناعة والتشيل والموسيقى والطب
والحجامة والتأليف . وهم لهذا موضع الغيرة
من الشعوب الأخرى اذ يجدونهم منافسا خطيرا

في مناحي العمل التي تدر أكثر الربح ، والتي
لها الشأن الأول في حياة المجتمع
وقد فقد اليهود وطنهم قبل الميلاد بعدة
قرون . فقد كانوا يعيشون في فلسطين التي
كانت تنقسم الى دولتين ، احدهما في الشمال
وتسكنها قبائل إسرائيل ، والاخرى في الجنوب
وتسكنها قبائل يهود . فأغار الآشوريون على
قبائل الشمال ، ونزحوا منهم ارضهم ، وشتتوهم
في الآفاق . وفي فلسطين نذر قليل لا يزيد
عن الالفين من نسل إسرائيل ، وهم المعروفون
بالسامريين نسبة الى سامر عاصمة إسرائيل .
ثم أغار الفرس على قبائل الجنود وهم اليهود ،
وغربوا بيت المقدس ، وأسروا كبارهم ونفوعهم
الى بابل . ومنذ ذلك الحين لم يجد لليهود وطن
يلجأون اليه ، الى ان تجدده مطلبهم في أواخر
القرن الماضي بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين
أو في الأدغيتين . وقصة هذا الوطن ، وما جرى
بشأنها ، معروفة . بل ان اليهود لم يخسروا
كثيرا بلقده وطنهم ، فكثير من الأمم القوية ذات
الأوطان الكبيرة بادت ، مثل الفرس والرومان
واليونان ، اما اليهود لما زالوا الى الآن
يسيطرون على كثير من مرافق المال والعلم
والنشاط الانساني

الجنس الآري

(القاهرة - مصر) ١٠ ع . ٢٠١٠
ما هو الجنس الآري ؟ وهل اثبت العلماء
تفوقه على الاجناس الأخرى ؟
(الهلال) « آري » كلمة سنسكريتية معناها
« السيد » ، كانت تطلق منذ أقدم العصور على
بعض القبائل التي تعيش في شمال الهند ،
والتي عرفت بالأقدام على الحرب والبراعة في

الحديثة ذاتها قامت دعائها في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا ، وشعوبها ليسوا من هذا الجنس الآري وقد دخلت هذه النظرية في ميدان السياسة ، فصارت دعامة من دعائم الفلسفة النازية . وأكثر كتاب « كفاي » يدور حول تأييد هذه النظرية والدعاية لها ، ويتجسّس هتلر في هذا أقوال هوستن تشمبرلين دون تحفظ أو تردد . بل هو ينسب هذه الأقوال لنفسه بغير مبالاة بما فيها من خطأ ظاهر . وقد انضمت النظرية الآرية سلاحا لمحاربة اليهود الساميين ، وتسلية حضارتهم ووصلها بأنها « حضارة عدمة » أما البحث العلمي التزهي فلا يعترف بالوراثة الجنسية ، ولا يفلح جنسا على غيره من الأجناس وينكر ان الحضارة التي انشأها ما يسمى بالشعوب السامية كانت أقل - بل يؤكد انها كانت أعظم اثرا وأطول أمدا - من الحضارة التي انشأها ما يسمى بالأجناس الآرية

وراثية الأمراض والماعاات

(مصر - القاهرة) قارى .

لاحظت أن بعض المجلات تنشر فيها عامات الصمم ، والبكم ، والعمى ، ومرض السل ، وغيره من الأمراض ، فهل هذه الماعاات والأمراض وراثية ؟

(الهلال) أكثر الأمراض والماعاات لا يورث ولكن بعضها ينتقل بطريق الوراثة . فهناك العمى الوراثي الذي لا يصيب البصر وصاحبه جنين أو وليد ، وإنما يصيب الطفل في عامه الثاني أو الثالث . ذلك أنه يولد حاملا لجراثيم هذا المرض التي تذهب ببصره بعد ذلك . ويعرف هذا المرض في الطب باسم « نيوناتورم » . ويقترح بعض الأطباء تعقيم المصاين به لمنعهم من التناسل ، ورحمة لحملهم من عامة العمى أما الصمم فيصيب الابن غالبا إذا كان أبواه أصميين . أما إذا كان أحدهما سليما فغالبا أن

قوتوها . ولكن هذه الكلمة لم تعرف في أوروبا إلا منذ قرن من الزمان ، وكانت لا تستعمل إلا في علم اللغات « الفيلولوجي » ، فكانت تطلق على مجموعة من اللغات تتدرج من الهندوستانية إلى الإنجليزية

أما أول من استعملها بالمعنى الجنسي المعروف الآن فهو العالم الألماني فريدريك ماكس مولر المتوفى في سنة ١٩٠٠ ، فقد أطلقها على تلك الأجناس التي يقال انها عبطت في الأزمان الغابرة من جبال البامير وانتشرت في شمال الهند وإيران ، ثم عبرت سهول آسيا الغربية وصلت إلى قارة أوروبا ، حيث انشأوا جميع الحضارات القديمة

وقد تناول هذه النظرية كثير من الكتاب بالتأييد والتنفيد . وكان في مقدمة من نادى بها الكاتب الفرنسي جوزيف دي جويينو في رسالته عن عدم المساواة بين الأجناس البشرية وكذلك الكاتب الألماني كريستيان لاش في منتصف القرن الماضي ، وأكد حقوق الأجناس الآرية على الأجناس السامية عللا وجسا .

ومن قالوا بها المؤرخ الفرنسي رينان الذي كان من أشد أعداء الجنس السامي . وتيسط في شرح النظرية الكاتب الإنجليزي هوستن تشمبرلين الذي زعم أن كل شعوب العالم من الجنس الآري ، ومنهم للمسيح عيسى عليه السلام ولكن أكثر هؤلاء الكتاب كانوا مدفوعين في تأييد النظرية بدوافع التعصب الجنسي التي تغفل الحقائق العلمية . أما العلماء المخلصون لعلمهم فلا يفرقون أبدا تلو جنس على جنس . وشواهد التاريخ تؤيدهم في ذلك . فحضارة مصر وفينيقية وبابل والعين والغرب من أعظم الحضارات التي شهدتها التاريخ مع انه لا علاقة لشعوب هذه البلاد بالجنس الآري . وبلاد السود والترويج التي يد أهلها مثل الأمل لهذا الجنس لم ينشئوا حضارة ما . والحضارة

من الطبقات ، عل التراض ان هؤلاء هم أفضل الناس وأحقهم بالمحب والسيطرة
وكان أرسطو يقسم الحكومات من حيث عدد الأشخاص القاضين عل زمام الحكم الى ملكية وهي التي يديرها فرد واحد ، وارشوقراطية وهي التي يديرها جماعة قليلة ، وجمهورية ويديرها جمهور أو عدد كبير من الأمة . هذا اذا كانت الحكومة صالحة ترمي مصالح الأمة . فاذا تفرقت اليها الفساد وأصبح هم الحاكم تحقيق مصالحه الشخصية ، تحولت الملكية الى استبدادية والارشوقراطية الى اوليجارشية ، والجمهورية الى ديموقراطية

ونلاحظ أن أرسطو استعمل كلمة الديموقراطية في غير ما نستعمله الآن ، فنحن نعبر بها عن حكومة الاغلبية ، أما ارسطو فعبر بها عن حكومة السوية والغواها . ولا توجد الآن حكومة اوليجارشية بالمعنى الحرفي . ولكن اذا عرفنا ان الحكومات الفاشية كالمانيا واليابان وإيطاليا تنحصر مراكز الحكم والسلطة في رجال الحزب الوحيد فيها استطعنا أن نقول انها حكومات اوليجارشية من نوع جديد

يأتي الابن سليما من هذه العادة . وهذا ما يثبت نظرية « تعزيز الصفات » التي نقول بأنه اذا كانت صفات الزوجين متشابهة ، سواء كانت طيبة أو سيئة ، ظهرت في نسلهما معززة مؤكدة . ويحذر الأطباء من الزواج بين الرجل الاصم والمرأة الصماء ، اذ يأتي نسلهما عادة مصابا بالصمم

أما مرض السل فغير وراثي عل خلاف ما هو شائع بين الناس . ولكنه سريع العدوى . واذا كان قليل من الناس من يستطيع أن يعزل الوليد عن أمه ، فإن الام السلولة تصدى وليدها غالباً

الاوليجارشية

(بغداد - العراق) دمرى النمام

ما معنى حكومة الاوليجارشية ؟ وهل توجد الآن حكومة من هذا الطراز ؟

(الهلال) حكومة الاوليجارشية هي حكومة الاقلية . وهي مشتقة من الكلمة الاغريقية *Oligos* ومعناها عدد قليل . وفي هذه الحكومة تتركز السلطة في أيدي لفة قليلة من الناس . أو في أيدي بعض العائلات . أو في أيدي طبقة معينة

الفن الاسلامي في تونس

(بقية المنشور على صفحة ٥٣٩)

الحفيدة الفاطمية في مصر - المستنصر بالله - لذلك شر انتقام بأن أطلق عل تونس جماعات كثيرة من أعراب بني هلال الذين كانوا ينزلون في الصعيد شرقي النيل ، فعاثوا في البلاد فسادا واستباحوا القيروان ، ونشروا الفوضى في كل مكان ، وطبع فيها الاجانب ، وسرعان ما أصبحت تونس نهبا منسبا بين النورمان في المدن الساحلية والاعراب في الجهات الداخلية ، ولم تلبث أن وقعت بيد ذلك في يد دولة الموحدين بالمغرب الاقصى عند ما استعبد بها آخر أمراء بني صنهاجة ، وانتقلت العاصمة الى مدينة تونس حيث لا تزال الى اليوم ، ونشأ لهذه الدولة فرع في تونس عرف بالدولة الحفصية التي استقلت عن الدولة الموحدية وحكمت البلاد مدة طويلة تنشطت فيها حركة البناء نشاطا عظيما ، لحسن بنو حفص مسجدي القيروان والزيتونة ، وأضافوا الى هذا الاخير تلك السقيفة التي تحيط به من الخارج ، كما أنشأوا كثيرا من المساجد والمدارس والزوايا والاسواق ، وخزائن

التعاون العربي

آراء الأساتذة :

خليل مطران بك

احمد أمين بك

محمد فريز وعبدى

ما هي المشاكل التي تواجه العرب في العمل لتعاونهم الثقافي ، وما هي الأسس التي يقوم عليها هذا التعاون ، وما هو السبل إليه - ذلك ما يتناوله كتابنا الثلاثة في هذا المجال

رأى الأستاذ خليل مطران بك

التعاون العربي كان وما زال واجبا في كل حين وسيكون غدا أوجب
الامة العربية جماء على اختلاف أقطارها ترى ضرورة هذا التعاون ، ولكنها رأتها الى
اليوم بمعنى قلبها ، ويؤلمني المصارحة بأنها لم تره الى اليوم بمعنى رأسها
القطرة ، البيئة ، اللغة ، دين الكثرة الكبرى وأثره في القلة وان اختلفت دينا ، كل
أولئك يدعو الى تحقيق الوحدة العربية الى التعاون فيما بين أجزائها
نعم اننا أجمعنا على هذه الأمنية وعلى نشدان تحقيقها ، وقد آن فيما أعفده ، ويعتقده كل
مخلص الولاء لقوميه ، أن نهيب الأسباب ونفهد السبل لادراك تلك الغاية
ما من عربي لا يرى في الصبح من قلبه صور المجاهدين المعاصرين - من بقى منهم
ومن استشهد - في سبيل الوحدة العربية ، وما من عربي الا وهو اليوم معنى القلب
فخرا وسرورا بما تفضل به حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المقدي من على التأييد لهذه
الحركة المباركة ، وتطلق كل جوائحه بالشكر لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى
التحس بأنا رئيس وزراء الحكومة المصرية الذي وجه هذه الحركة بحكمته وصدق
إيمانه توجيهها لا يد أن يؤتي ثمراته

أما ما يكون من أمر التعاون العربي بعد الحرب ، فجوابي عنه بقدر ما تسمح به حالي
من الضعف هو ما يلي :

ليس من السهل على الباحث المحقق وهو يفكر في موضوع الوحدة العربية أن يقرر
وجهة نظره فيما يختص بكيفية التعاون بين الأقطار العربية بعد أن تضع الحرب أوزارها.
فان الامر يتوقف على ما يقرر في مؤتمر الصلح ، فإذا جاءت شروطه ملائمة كما هو مأمول
لاستقلال الامم العربية في معنى الاستقلال الصحيح ، ففي هذه الحالة يتوقف شأن الوحدة
العربية على ما تكون صورة الحكم عند كل حكومة من الحكومات العربية ، وعلى ما ينسب
تأليفه من تلك الصور في شكل حلف سياسي أو قومي أو اندماج بين بعضها والآخر

على أن هناك وسائل يمكن التفاهم عليها من الآن بين الحكومات العربية لينسج عليها صرح التعاون المقبل ، وهي تلخص في وسيلتين كبيرتين :

أحدهما أقرب الى التنفيذ على تشعب فروعها وهي الخاصة بالتعاون الاقتصادي ، ولتحقيق هذا التعاون الاقتصادي لم يدرس بتفصيله الى الآن في بلد واحد من بلدان العرب دراسة مستوفاة يبدو منها بالتدقيق ما يملكه من موارد داخلية وما يحتاج الى جلبه من جيرانه ، واذا وضعت هذه الدراسة في كل بلد عربي بالعناية والدقة وعلى الأوضاع العلمية السائدة عند أمم الغرب ، تيسر الاتجاه في مسألة التعاون بالتفضيل والايثار الى أى بلد عربي يمكن الاصدار اليه والاستيراد منه . وعندئذ تعقد المجتمعات والمؤتمرات المتبادلة للتفاهم في هذه النقاط . ولعل الحريات التي تكون الحكومات قد كسبتها عقب أن تضع الحرب أوزارها وتحقق فعلا ، تساعد على أن هذه الشعوب العربية المختلفة يتسنى لها الاتجاه الذي تنشد في أمورها الاقتصادية أكثر مما كان يتسنى لها من قبل

أما الوسيلة الثانية التي ينهض عليها صرح التعاون العربي ، فأعنى بها المسألة الثقافية . فقد بدأت الحكومة المصرية لبضع سنوات خلت تعنى بها عناية جديرة بما يحمله هذا الاسم من تجلة واحترام . وفي هذا العهد منحتها وزارة المعارف العناية الواسعة النطاق التي هي قديمة به ، وذلك على أثر ما بدا من التحول في أمر الحكومات التي تتولى أزمة هذه الشعوب وقد كان من حسن التوفيق وبين الطالع أن بدت في سبيل هذا التعاون الثقافي دراسات وعقدت اجتماعات ووضعت أوليات لمبادئ ملهمة بين مصر وبين بعض البلاد العربية ، ومثل هذه الدراسات والاجتماعات والمؤتمرات العلمية ستؤتي حتما يسدو من النيات التي أعربت عنها جهات متعددة من الأنظار الشقيقة

وعند ما يتم التفاهم على الصور النهائية الشاملة لهذا التعاون الثقافي ، لا أدري أننا سنحرز منه على الفور نتائج ذات بال ، ولكن من البين أن التوافق في الرأي والاتجاه وتسيير برامج التعليم في مدارس هذه الأنظار ومعاهدها العلمية المختلفة ، سيكون له من الأثر في وقت غير بعيد ، ما يمكن حكومات البلدان العربية من مواجهة أى حل عام شامل توجه اليه عواطف الأمم العربية ، وتؤديها عند ذلك بصائرهم ومعارفهم وثقافتهم أبنائهم على نحو خاص

والخلاصة أنني في دخلة نفسي أرى أن العرب أمة واحدة من حيث الفطرة والعاطفة والنزعة الى التآلف فيما بينها ، ولكن دون اجتماعها في جسم واحد عقبات شاقة لا بد من تذليلها واجتيازها بآدى ذى بدء ، وذلك في مدى قد يطول . أما الذى أراه ممكنا فهو تحالف ممالكها ودولها بعد الحرب على شكل يؤمنها من الخارج ، ويضمن سلامتها وحرياتها في الداخل ، وهذا ما ستساعد على تحقيقه رغبات الشعوب بأكثر مما ستساعد عليه طوايا الحكومات ، ولا بد له في النهاية من النجاح

خليل مطران

رأى الأستاذ أحمد أمين بك

أمام الأمم العربية الآن مشاكل ثقافية معقدة قد لا يواجه مثلها غيرهم من الأمم ، فالأمم العربية تواجه مشاكل ، ولكن ليست من جنس مشاكلنا ، وإن كانت تتصل بها . لقد حددت الأمم الأوروبية مسلكها في التعليم وأوضحت غايتها إلى حد ما ، ولكنها في طريقها المرسوم تجد بعض المشاكل كالرغبة في تعميم التعليم غير الأولى ونشر الثقافة وتعديل المناهج وإصلاح بعض الخطط

أما الأمم العربية فمشاكلها أعقد من ذلك لأنها إلى الآن لم ترسم خططها واضحة ، ولم تضع التعريف للتربية الذي يتفق وأغراضها وآمالها ، ولذلك مزقت أساليب التربية المختلفة وحدتها ، هذا تعليم ديني بحث ، وهذا تعليم مدني بحث ، وهذا تعليم خدمة فرنسا ، وهذا تعليم لخدمة إنجلترا ، وهذا تعليم لخدمة أمريكا ، وهذا تعليم لخدمة التبشير ونحو ذلك . وكل هذا لا يقيد بقيود قومية مما ليس له نظير في أية أمة حية ترعى مصالحها ولا تسمح بتمزيق وحدتها ، ونشأ عن ذلك اختلاف النزعات الأساسية بين الأمة العربية الواحدة ، فكيف بالأمم العربية مجتمعة ، ونشأ عن هذا أيضا اختلاف المنطق واختلاف التفكير ، هذا في منتهى الرجعية ، وهذا في منتهى الحرية ، وهذا في منتهى العصية الدينية ، وهذا في منتهى العصية اللادينية ، وهذا في منتهى العصية لأمة أوروبية ، وهذا في منتهى العصية ضد كل نزعة أوروبية ، حتى لكأننا في برج بابل

قد تجد شيئا من هذه النزعات المختلفة في الأمم الأوروبية ، ولكنك لا تجدها بهذه الحدة وبهذا التناقض كما تجدها في الأمم العربية بل في الأمة الواحدة العربية ، وشبه الخلاف بيننا وبينهم الخلاف بيننا في الملابس والخلاف بينهم في الملابس ، فكلهم يلبسون على نمط أساسي واحد ، وإن اختلفوا ففي قيمة ما يلبسون لا في شكل ما يلبسون ، أما نحن فنختلف في الأساس وفي الأشكال اختلافا لا حد له

اذن ، نحن في أشد الحاجة إلى الإجابة عن هذين السؤالين :

(١) كيف نوحّد أسس التعليم ولا نسمح بهذه النزعات المتباينة الضارة ولا نجيز الاختلاف إلا في العرض لا في الجوهر ؟

(٢) ما تعريف التربية الذي يجب أن ينشده العرب ، ما الجملة التي تركز فيها كله أغراض الأمم العربية في التربية والتي يجعلها زجال التربية نصب أعينهم لا ينحرفون عنها بمئة ولا بمسرة ؟

هذه إحدى المشاكل التي تواجه العرب

والمشكلة الثانية - ان العرب يختلفون عن أوروبا في شيء جوهري ، وهي أن الامم الاوربية والامريكية حددت نوع مدنيتهما وثقافتها ، عمدت الى الثقافة اليونانية والرومانية وغيرهما فربلتها ، واتخذت خيرها ، وامتصت عصاريتها ، وبنت عليها حضارتها وثقافتها ، وخلصت من ذلك كله ، ورسمت لمدنيتها منهجاً تسير عليه في كل شأن من شؤون الحياة ومنها الثقافة

أما العرب فلم يوقفوا آخر ، هم بين ثروة قديمة من الثقافة العربية ، فيها الخير والشر والثلث والسمين وحبات الدر وحبات الحصى ، وثقافة غربية فيها الضار والنافع كذلك ولا غنى لنا عنها ، تحكمنا بطبيعتها وكيميائها وما تنتج من آلات وصناعات ، فإن كان على الاوربيين عيب واحد ، فعلى الامم العربية عيبان

ماذا نأخذ من تراثنا القديم وماذا ندع ؟ ماذا نأخذ من الغرب وماذا ندع ؟ ان لنا ديناً ولنا لغة ولنا أدباً لا بد أن نستمد منه وحى آباءنا ، وان للغرب علوماً وفنوناً وصناعات لا بد أن نستمد منها لتجاري الزمن

كيف نوفق بين المدينيتين ونمزج بين الحضارتين ، ونكون لنا شخصية ممتازة لا هي كل الشرق القديم ولا هي كل الغرب الحديث ؟ كيف ننقى قديمنا ونأخذ زبدته ونفرغ منه ، وكيف نحدد ما ينفعنا من الجديد ونرسم خريطته ، وننتهي من ذلك ولا يكون علينا إلا ملء الحانات الفارغة منه ؟

ثم مشكلة ثالثة

قد خلقت لنا المدنية الحديثة علومها لا عهد لنا بها ، وفي هذه العلوم مصطلحات فرعية لا تحصى في الطبيعة والكيمياء والفلك والاجتماع والفن والعمارة والصيدية ، وخلقت لنا ألوفاً وألوف الألوف من الادوات والصناعات والمقايير ومركباتها ونحو ذلك ، ولا غنى للعرب عن استعمالها ، فكيف نتفق على تعريبها وتوحيد مصطلحاتها والاتفاق على الالفاظ الصالحة لها ، فليس يليق أن تفرد كل أمة عربية بوضع مصطلحاتها ما دامت اللغة العربية ملكاً لجميع الامم العربية وقدراً مشتركاً للتفاهم بينهم ؟ ما وسائل التعريب ؟ ما قواعد التعريب ؟ كيف ينظم التعريب ؟ كيف يبذل الجهد للفراغ من كل المصطلحات الاوربية حتى تقف مع الاوربيين على قدم المساواة ، وننتهي من الماضي ، ولا نواجه في الحاضر إلا ما اخترع حديثاً واكتشف حديثاً

ثم مشكلة رابعة

لكل أمة من الامم الحية دائرة معارفها ، بل دوائر معارفها ، تكتب بلغتها وتساير العلم في مراحلها ويعاد طبعها بين حين وآخر ويزاد في الطبعة الجديدة ما وصل اليه العلم الحديث بين الطبعتين ، وكل أمة تعنى في دائرة معارفها بنوعين ، القدر المشترك بين جميع الامم ،

والعناية الخاصة بموضوعاتها الخاصة من جغرافيتها وتاريخها وأعلامها، هذا ما عملته إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرها

فماذا فعلت الأمم العربية في هذا السبيل ؟ دائرة معارف للبستاني لم تكمل وأكل عليها الدهر وشرب وتقدم العلم عليها حتى أصبحت في عداد التاريخ ، ثم لم تجد من يكملها ويقدمها مع الزمن ، ويطبعها طبعة جديدة تتفق والنهضة العربية يكون فيها خير التراث العربي وخير التراث الغربي ؟

ومشكلة خاصة

إذا وحدت الأمم العربية تعريف تربيتها ورسمت خططها في التعليم ، فلا بد من الفصل بين مسألتين ، قدر أساسى مشترك تساوى فيه الأمم العربية من حيث المناهج والخطط والغرض ، وقدر خاص غير مشترك تحافظ فيه كل أمة عربية على شخصيتها فتوسع في جغرافية بلادها وتاريخ رجالها ، وتسير كل أمة في المستوى الذى يناسب استعدادها ومقدرتها المالية

فما هو هذا القدر المشترك ، وما هو هذا القدر الخاص وكيف يحدد وكيف يرسم ؟

هذه في نظرى أهم المشاكل التى تواجه العرب من الناحية الثقافية ، وهذه هى الاسئلة التى يجب أن تطرح ويجب عليها

فكيف يكون ذلك ؟

لهذا جملة وسائل :

(١) أن يكون هناك مكتب للتعاون الثقافى مختار كل حكومة عربية من يمثلها فيه ، وهؤلاء يتبادلون الرأى فى هذه المشاكل وأمثالها ، ويضمنون الاسس اللازمة للسير عليها ، وهذا هو ما يبدى به فعلا حسبما أعلم ، ولا ينقصه الا التعميم واشتراك الأمم العربية كلها فيه ، والنشاط فى عمله

ولكن هذا وحده - فى نظرى - لا يكفى فالممثلون الرسميون عادة - يضطرون الى تقدير اعتبارات سياسية قد تحد من نشاطهم وتلون بحوثهم وتفكيرهم

ومن أجل هذا ينبغى أن تكون بجانب هذه الهيئة الرسمية هيئة أخرى غير رسمية ، فيؤلفون جمعية تعاونية تبحث الموضوعات بحثا حرا طليقا مجردا عن الاعتبارات السياسية ، وهذه - فضلا - عن خدمتها للفكرة تفيد فائدة كبرى الهيئة الرسمية ، وهذه الجمعية يختار أعضاؤها ممن عرفوا بالاخلاص والجد وعدم الاستهواء السياسى والغيرة على مصلحة

الأمم العربية الثقافية ، وتعاون هذه الجمعية في غرضها ، وتصل في وضع النهار ، ولا يكون لها غرض الا خدمة الثقافة ومعالجة المشاكل التي أسلفنا الاشارة اليها

وهذه الجمعية تعقد مؤتمرا كل سنة على مثال المؤتمر الطبي ، كل سنة في قطر من الاقطار العربية ، سنة في القاهرة وسنة في دمشق وسنة في بغداد وسنة في مكة وهكذا

ويكون للجمعية سكرتيريتها تحدد أغراض الاجتماع وموضوعات البحث ، ويتعاون أولو الخير والبر على امدادها بالمال اللازم لها ، ويكون لهذه الجمعية مجلة بل مجلات ، فمجلة لنشر أعمال المؤتمر وأخباره . واختيار لجانه الفرعية ومبلغ نشاط الاعضاء واللجان في نواحيها الثقافية المختلفة ، ومجلة تكون على غط « المختار من ريدرز دييجست » تعنى بخلاصة خير المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات العربية بل والاسلامية من غير العربية ، فمثل هذه المجلة تقرب من أفكار الشرق ، وتؤلف بين ثقافته وترقى تفكيره ، وفي هذا خدمة للوحدة العربية الثقافية وهكذا

ثم بجانب هذا وذاك ضروب أخرى من التعاون الثقافي لا بد منها ، مثال ذلك ، تبادل كبار الاساتذة والعلماء والادباء في الاقطار العربية المختلفة ، فاساتذة الشام في مصر والعراق واساتذة العراق في مصر والشام واساتذة مصر في الشام والعراق وهكذا في الاجازات المدرسية وفي المسامحات الصيفية ، فهذا يخلق جوا علميا يديما وتعاوننا ثقافيا جليلا ثم انتهز الفرص العلمية والادبية لذلك ، فمهرجان لذكرى أبي العلاء في الشام تلقى فيه البحوث الادبية من اساتذة الاقطار العربية ، ومهرجان للامام الشافعي في مصر تلقى فيه البحوث التشريعية والقانونية ، ومهرجان للنخيل بن احمد في العراق تبحث فيه البحوث اللغوية ، ولعمرو بن الخطاب في المدينة ، ولأبي الطيب المتنبي في حلب ، وللإمام الاوزاعي في بيروت ، وهكذا لا ينفض مهرجان حتى يمد مهرجان آخر ، وفي هذه المهرجانات تتلاقى الافكار وتوالد الآراء ، وسيكون من نتيجة ذلك حتما التفكير في الاصلاح من جميع نواحيه اللغوي والادبي والنحوي والتشريعي ونحو ذلك

اذا تم ذلك كله - وهو ما أرجو أن يكون بعد الحرب مباشرة - فنحن امام نهضة عربية وثابة واصلاح عربي شامل ووضع أسس لبناء العرب في هيكل الثقافة ، وبذلك يساهمون في بناء صرح الثقافة العالية مع الباقين ، ويشيدون مع المشيدين

والله ولي التوفيق

احمد امين

رأى الأستاذ محمد فريد وجدي

الوحدة العربية حقيقة اجتماعية موجودة بين جميع الشعوب التي تتكلم بالعربية ، وانما هي بالخطوة المزمع اتخاذها لتقريبها رسميا ، تتطور الى شكل دولي لا بد منه في دور الانقلابات الاجتماعية التي يتوقع أن تلي الحرب الحاضرة . والظواهر الاجتماعية كالظواهر الطبيعية تحدث عند ما تصلح العوامل المحيطة بالجماعات لاحداثها ، ولا تستطيع أية قوة معارضة أن تمنع حدوثها

لم يكن العالم في يوم من الايام على مثل ما هو عليه اليوم من النزاع والتناحر ، حتى ليخيل للرأى أنه ارتكس الى عهد الجاهلية الاولى ، لولا ان الرؤوس المفكرة لم تفقد رشادها ، فاعلنت ان ليس القصد من هذا النزاع العدوان على المبادئ الانسانية العليا التي وصل اليها الاجتماع بعد تقلبه في ادوار شتى ، ولكن القصد تثبيتها ، والوصول بها الى ارقى مدلولاتها ، فكان هذا حافزا للامم والجماعات التي تربطها روابط قوية ، على أن تثبت وجودها قبل أن يحين وقت التسويات الاجتماعية المنتظرة . فنحنز الشعوب العربية اليوم الى طبع الوحدة الموجودة بينها بالفعل ، بطابع تعاقد دولي ، هو من القطة السياسية بمكان عظيم

بقى علينا أن نبحث في المزايا التي يستفيد بها بعض هذه الشعوب من بعض من وراء قيام هذه الوحدة

فاما من الناحيتين الثقافية والاقتصادية ، فقد كان التعاون بينهما بين الشعوب العربية جاريا في مجرى الطبيعي قبل حدوث الحلف المتوقع حدوثه بينهما ، ولا مشاحة في أنهما بعده يبلغان أقصى ما يمكن أن يبلغاه من التوسع فيه

ولكن الانثر العظيم لهذه الوحدة سيظهر في الناحية السياسية ، والشعوب العربية أحوج ما تكون اليها في حالتها الراهنة والمستقبلية . فقد حدثت أحداث كانت على جانب عظيم من الخطورة في اليمن وسورية وغيرها ، قضت عليها فيها الاوضاع السياسية أن تكون منفردة أمام قوى لا قبل لها بها ، فلو كانت الوحدة المراد تحقيقها موجودة اذ ذاك ، كانت تلك الشعوب لا تشعر بالانفراد أمام تلك القوى ، وكان لتدخل سائر الشعوب العربية في شد أزرها ، مبرر سياسي لا يمكن تجاهله ، فكانت تلك الشعوب المتهمضة تستفيد من هذه النجدة فوائد قيمة

هذا ويتوقع من وراء هذه الوحدة ما هو أدق من هذا وأدخل في حياة تلك الشعوب . ذلك ان منها من هو في حاجة ماسة الى نظم أقوم مما هي عليه ، وتوجيهات لا بد منها

لجعل حياتها الاجتماعية أصلح لانتاج ثمراتها العظيمة ، فيكون لبعضها حق في اسداء النصح لها فيما يتعلق بما ذكرنا

نعم ان اسداء النصح ليس يتمتعد بينها على كل حال حتى ولو كانت الوحدة بينها غير مطبوعة بطابع رسمي ، ذلك بسبب التعاطف التقليدي الموجود بين تلك الشعوب ، ولكن بين اسدائى اياك النصح وأنا شريكك في الربح والخسارة ، وبين اسدائك ونحن غير مترابطين سياسيا ، يون بعيد

هذه أظهر النواحي وأجلها خطرا ، ولكن هناك نواحي بسببولوجية خفية لا يجوز لباحث اجتماعى أن يغفلها من حسابه :

منها ما تحدثه هذه الوحدة من بث روح النهوض في تلك الشعوب،فان أثر شعورها بالنصره والمؤيدين،يكون وهى تقطع أشواط الحياة الاجتماعية،وتجتاز حوائلها وعقباتها، غير أثر شعورها بأفرادها بذلك ، فانها في الحالة الاولى تندفع غير هياة ولا وجله ، تسرع في خطواتها للبلوغ أغراضها ، وفي الثانية تشد وتكثر من الاحتياط ، وترتد لاول صدمة

ومنها ما تحدثه هذه الوحدة من روح التغاير المحمود بين أعضائها ، فتهم بأزالة أسباب التفاضل بينها وبين أخواتها،وتتوئب الى التكمل لتصل الى المستوى الذى لا تحتاج معه لمعونة غيرها . هذا شعور غريزى شديد الفعل في النفسية الانسانية ، ولا يصح الاستخفاف به لدى الباحثين في **عوامل نهوض الأمم**

ومنها شعور تلك الشعوب بأن هنالك رقابة أدبية على أعمالها ، واعتمادا شديدا من حلفائها باستقامة طريقتها. هذا الشعور وحده يحدث في ثأيا الصدور وسويداوات القلوب من آثار التقويم والتعديل،وان لم يؤبه له،لا تحدثه الرقابة التأديبية للحكومات القوية الخلاصة ان ما الشعوب العربية بسيله اليوم من اعلان الوحدة بينها دوليا ، له من الآثار الادبية والمادية عليها ، ما هى في أشد الحاجة اليه في حالتها الراهنة والمستقبله

محمد فريد ومجربى



الحلق الرعاعي إبان الحرب والسلام

بفلم الركنور امير بفلم

الحلق الرعاعي تتبعه لازمة لعقبة الرعاع ، والرعاع في هذا البحث يتناول أوسع معاني الكلمة ، إذ يقصد به الجماعات والجماعات مهما سست منزلتها الاجتماعية والثقافية . وهذا التوسع في معنى الكلمة وإن شذ عن الاستعمال المألوف ، يعزى الى الاصطلاح السيكولوجي ، الذي يعتبر الأفراد بوجه عام أرقى خلقا من الجماعات ، إذ أنهم أكثر استئناسا بالمتعلق والعقل في حياتهم اليومية ، في حين أن الجماعات أكثر التجاه الى الميل والفرية والعاطفة . وبما نرى الأفراد يذلون أقصى الجهد أو بعضه في ضبط النفس والمحافظة على العادات والتقاليد والسرّات والقوانين والآداب العامة ، وإن كانوا من عامة الناس ، فانا نرى الجماعات تجمع نفوسهم وتدفع ميولهم فتدوس هذه التقاليد ، وتكسر أسس قواعد الآداب الحلقية ، وإن كانت هذه الجماعات من أرقى الیونات ومن حملة الاجازات العلمية من اكسفورد وكمبريدج وهارفرد

والحلق الرعاعي لا يقتصر وجوده على زمن الحرب ، إذ أنه هناك في كل زمان ومكان . ومن الخطأ الزعم بأن قضى الحلق الرعاعي بين الجنود إبان الحرب واستهتارهم بالتقاليد والآداب ، يرجع الى توقع الموت ورغبتهم في تذوق أطيب الحياة ولذاتها ، قبل أن يقضى عليهم في ساحات القتال . إن أشد الجنود تمردا لمخالبة الموت وإن كانوا من الفدائيين (كوندو) ، يملكون أنفسهم بالحياة ، وقلما تخبو في نفوسهم نار الأمل . وشأنهم في ذلك شأن سائر الناس . فالرجل السليم العقل يرى في شوارع القاهرة يوما عشرات من التعوش محمولة على الاعناق ، ومع ذلك لا يسمح لنفسه أن تفكر أنه سيكون أحد هؤلاء يوما ما ، بلغ من العمر ما بلغ ، وبلغ من الوهن والضعف والمرض والشيخوخة ما بلغ . ولهذه الظاهرة تعليل نفسي ، وذلك أن الموت عقدة أو مركب (complex) كسائر العقدة والمركبات النفسية . ومن خصائص المركب أن يكون مكبوتا دفينا في العقل الباطن . ومعنى هذا أن فكرة الموت كلما طرأت على بال إنسان سليم العقل ، تناسعا وكبتها ولم يسمح لها بالبقاء طويلا في العقل الواعي ، فتنبط الى أسفل في العقل الباطن ويحمل صاحبها نفسه على الاعتقاد بأن هؤلاء الموتى الذين يراهم محمولين على الاعناق يوما ما هم غيره من الناس ، ولن يكون هو أحدهم يوما ما . ومن هذا يتبين أن الأمل بالحياة لا تخبو ناره بين المتحاربين كما لا تخبو ناره بين المدنيين حتى في أشد الاوقات خطورة وحرجا والفرق الوحيد بين المدني والمحارب أن الثاني أقرب الى العقل الرعاعي والحلق الرعاعي

الذى يرجع به الى الفطرة ، أو كما يقول العلماء « يرتد » أو « يتقهقر » (régression) كالحيوان فلا يهتم في الحياة في كثير من الاحوال سوى بطنه ورغبته الجنسية . وسبب ذلك واضح وهو شعوره بالانتماء الى هذه الجماعة الكبيرة المكونة من ملايين « الرعاى » . والزى الموحد (يونيفورم) من اكبر العوامل التى تقوى هذا الشعور المشترك والمدنيون مولعون بتقليد الجنود ومحاكاتهم . ويأتى هذا الولع عن طريق الايحاء والاستهواء ، وسيبه ميل فطرى الى « الارتداد » و « التحلى » بالخلق الرعاى والانتماء الى الجماعة . وتبدو هذه الظاهرة واضحة في نزوع الأفراد الى تقليد الأزياء الحربية ، والاستهانة بالاخلاق ، وسعى الفتيات الى الجنود ، وتامس الآداب المرعية في شتى النواحي . فلا عجب اذا علت الشكوى من تدهور الاخلاق ابان الحرب ، وما هذا التدهور في الواقع سوى نتيجة لازمة للخلق الرعاى الذى يسطع نجمه وتشتد وطائنه بانشداد الحروب وطول أزمائها

ومهما قيل من أن بعض الدول تنتهك حرمة القوانين الدولية فيما يتعلق بمعاملة الأسرى والمدنيين والصليب الأحمر وغيرها ، فإن الرعاى ابان الحرب في الدولة الواحدة أشد انتهاكا لحرمة الآداب العامة من هذه الدول . فنظرة واحدة الى المجلات والكبب التى ترد من البلدان المحاربة ترسم لنا صورة جلية لبلغ ما وصل اليه الخلق الرعاى من التدهور . فبينما نقرأ عن سرقات وجرائم جنسية ترتكب من غلمان وفتيات بين الحادية عشرة والخامسة عشرة من أعمارهم ، اذا بنا نقرأ عن أطفال دون الرابعة عشرة من أعمارهم من الجنسين يقبض عليهم ثألى فيستيقظون واذا هم في مراكز البوليس ، وبينما نقرأ عن نشوء طبقة جديدة تتألف من ألوف الفتيات المصريات اللاتي انتحلن لانفسهن لقب « الارتيست » اذا بنا نرى في البلدان المتحاربة والمحاربة وكل بلد يكثر فيه الجنود والبحارة ألوف من النساء والفتيات يخرجن من كل صوب كما تخرج الحشرات من جحورها سيما نحو هؤلاء الجنود والبحارة ، خروجا عن كل ما عرف عن أهلن من التقاليد المرعية والآداب العامة ، اذا بنا نسمع عن اختفاء جيش جرار من فتيات في الحادية عشرة والثانية عشرة في البلدان المتحاربة في الفنادق والحانات في صحبة الجنود جريا وراء التيار وتطبعا بالخلق الرعاى

ولا تسع صفحات هذا المقال الى الكلام عن الخلق الرعاى ابان الحرب فيما يتعلق بالجنس المالى والفسخ والسرقة في السوق الاسود وتفكك الأسرة ومآسى الاطفال الذين تهملهم أمهاتهم لاشتغالهن بالحرب ، فيعمدون الى الهرب من مدارسهم والعمل فيما يعود عليهم بالربح المالى برغم القوانين التى تحرم ذلك ، فضلا عن الاتجار بأعراضهم رغم صغرهم ، اندفاعا وراء التيار ، وتلبية للايحاء الرعاى الذى يكتسح كالريح الزعزع كل شئ أمامه

وشأن الحلق الرعاعى إبان السلم شأنه إبان الحرب ، وإن كان أقل ظهورا . ويدور فى كل جماعة متجانسة ، تضعها مقتضيات الاحوال فى مواضع شبيهة بما تقتضيه الحرب من اندفاع جماعات منظمة وراء تيارات خاصة . والامثلة على هذا كثيرة . ونذكر مؤلفا لاحد كبار الانجليز عنوانه « غريبون فى أخلاق شرقية » (ولا نذكر اسم مؤلفه) ، بسط فيه كتابه أغرب ما قرأنا فى هذه الناحية ، وإن كنا لا نقره على ما اتخذته عنوانا لكتابه . وقد خصص نصف الكتاب على كبر حجمه وصفا لابناء اللوردات والاسر السكرية الانجليزية ، الذين يبعثون الى الهند لاشغال مراكز حكومية واقتصادية ، اثر تفرجهم فى أكبر الجامعات ، وكيف أنهم يرحلون الى تلك البلدان الشرقية ، ورؤسهم ملائى بأرقى العلوم والمبادئ المنطقية ، وقلوبهم مفعمة بأسمى ما تلقوه فى بيوتاتهم الريفية وأسره الراقية وجامعاتهم الكبرى من المثل العليا ، ثم لا يلبثون فى تلك البلاد طويلا حتى تطفئ عليهم موجة من الحلق الرعاعى من بنى جنسهم هناك لا من الوطنيين ، فيتحذ ذلك الشاب الغض البالغ حد الثقافة والرقى وسمو الحلق عددا من الحيللات يقمن على خدمته والترفيه عنه ، ويحذو زملاؤه حذوه ، وما هى الا سنوات معدودات ، حتى تمتلئ الدار بذرية جديدة من المولدين ، فيحمل أفرادها الى مستعمرة خاصة فى الريف لتربيتهم والعناية بهم ، حتى اذا كبرت الفتيات منهم وترعرعن ، عدن الى المدن لخدمة طائفة أخرى من أفراد هذه الفئات الراقية ، وهكذا دواليك

أما النصف الآخر من الكتاب فقد خصصه المؤلف لفئة أخرى من النشبة الراقية تبث من ولايات اميركا المتحدة الى جزائر الفلبين مثل ما تبث له الفئة الانجليزية الى بلاد الهند ، وهناك يمثل الدور بعينه . وهناك وصف قوى مؤثر ليوم الوداع الذى يصور لنا الكاتب البواخر على رصيف الموانئ قيل رحيلها نقل أولئك الثمانيات المنفولين الى بلادهم وتعلق أولئك الفتيات بخلائهن وبكاهن ساعة الفراق بكاء يمزق القلوب

وإن نسي كاتب هذه السطور أن ينسى سنوات وذكريات جميلة قضاه فى معهد كبير فى الصعيد ، كان أساتذته الاجانب والمصريون من أرقى الاساتذة خلقا وعلماء وأشدهم تمسكا بالمثل العليا ، وكان الطلبة بوجه عام من أشد الطلبة تعلقا بمبادئ أساتذتهم ومثل ذلك المعهد العليا . غير أن هناك ما كان يدفع بهم الى الحلق الرعاعى فى مناسبات خاصة . وذلك أن ٩٥ ٪ من التلاميذ كانوا داخليين مؤلفين من مجموعات كبيرة من قرى معلومة ، تتألف كل مجموعة منها من أكثر من مئة أو مئة وعشرين طالبا . وكان من الطبع أن يتنافس الجيش الذى يؤلف مجموعة واحدة وجيش آخر يؤلف مجموعة أخرى ، وقد يكون مصدر هذا التنافس علميا أو رياضيا أو سببا آخر تأفها . فإذا ما تصادم الفريقان مرع أفرادهما الى شجر النخيل المتشتر فى حديقة المعهد الواسعة الاطراف ، فيجردونه عن اقصائه ، وتشب بينهما حرب طاحنة تقف الادارة امامها مكتوفة اليدين حتى تضع أوزارها

وكان من الطبيعي أن تخرج هذه الجماعات في شم النسيم بعد منتصف الليل ، كل بمصيها الفليضة تخترق الشوارع المعدة للترهه ، وكان من الطبيعي أن تلقى واحدة أو أكثر من هذه المجموعات بطائفة كبيرة من « الاوباش » المعروفين في تلك الناحية من الصيد ، ثم لا تلبث أن يصطدم الاوباش الاجلاف بالطلبة المتقفين ، وتدور معركة قلما استطاعت « أورطة » من رجال الشرطة هناك التدخل فيها

ومثال آخر على الظروف التي تمهد للخلق الرعاعي ، نتخذ من أرقى بلدان العالم وأكثرها مدنية وثقافة ، وأسماها خلقا ، ونقصد بها اسوج . قضت ظروف تلك البلاد أن يكون ٢٥ ٪ من نساها في سن الأربعين غير متزوجات ، وتنتج عن هذا تقليد ، هو في الحقيقة خلق رعاعي ، أغمض عيون الأمة عن مساوي كثيرة ، منها أن الرأي العام وإن كان لا يرحب بالفتيات اللاتي يحملن سفاحا ، فإنه لا يزجر فتاة عازبة تريد أن تكون أما ، وقلما يؤنب رجل بنته «البكر» إذا ما عادت يوما من مستشفى تحمل بين يديها مولودها . وقد بلغ عدد الاطفال غير الشرعيين هناك واحدا في كل سبعة مواليد ، ولولا وسائل منع الحمل ، لكان هذا العدد أضاعف ما هو عليه الآن

والحروب كما ذكرنا تقوى الخلق الرعاعي وتشر ألويته ، فقد زاد عدد النساء على الرجال في نهاية الحرب العالمية الكبرى الأولى في البلدان المتحاربة بمقدار ٣٨ ٪ ، وبلغ عدد الذين تزوجوا سرا في فرنسا فوق زوجاتهم الشرعيات واحدا في كل عشرة . وما هذا الاستهتار بالتقاليد سوى موجة أو ربيع عاصفة تدفع جماعة متجانسة من الناس الى ذلك الخلق الرعاعي

وإذا راجعنا الصفات التي تشمل في الخلق الرعاعي ، في الحرب والسلام على السواء ، لوجدنا أنها تلخص فيما يتعلق بأمرين : المال والمرأة ، أو المحافظة على النفس وحفظ النسل . ومن الغريب أن ذوي الشأن ، وإن حاربوا الخلق الرعاعي فيما يختص بالمال ، فاتهم قلما يحاربونه فيما يختص بالمرأة ، ففي إبان الحرب مثلا يشنون الغارة على رجال السوق السوداء ، ولكنهم ينشئون المواخير للجنود ويراقبونها ، ويغمضون عيونهم عما يجري في الظلام في الطرقات العامة . كذلك الحال في زمن السلم يكاد يعترف المجتمع بالخلق الرعاعي في البحارة الذين يتخذون زوجة في كل ميناء . ولعل أبرز الاخلاق الرعاعية الميل الجنسي ، خصوصا في زمن الحرب . والسبب واضح وهو أن الجندي لا هم له بالمال ، فلم يبق لديه الا المرأة يلهو بها . وفي الحرب الحاضرة ظاهرة لم يكن لها وجود في الحروب السالفة تقريبا وهو العنصر النسائي في الجيش . وقد أصبح الجندي إذا ما رأى شبحا من بعيد اختلط عليه الامر ، فقد يكون ذلك الشبح ضابطا أو جنديا من الجنس اللطيف ، ولذا يتسائل في هذه الحالة إذا كان عليه أن يضرب سلاما ، أو يصفر على رأى أحد الرفقاء

امير بطر

» ... لقد كنا جديرين بأن تزيد حياتنا المثوبة غنى وقوة وجمالا ، لو جعلنا
مادة الفن عندنا من صميم الحياة ، فحررنا لحظات من سحر الأدب العربي
القديم ، وفننا الأدب العربي الحديث ، لسكن ثوب لدى هوسنا ونعيش في
ديانا فنزق هذه المخلوقات الأدبية الريفية ، وهي تخرج من (مقصورات
الحرم) غررة ساذجة ، ونواجه الأضواء والأنواء والأطلسير ... »

صوت المرأة في أدبنا

بقلم الأنسة ابنة الشامل

تحدثت في العدد الماضي من الهلال الاغر ، عن الفراغ الواسع العريض في أدبنا
المعاصر ، اذ نفتقد فيه صورة (المرأة) التي طبعت هذا الجيل بطابعها المتميز ، وكانت
حركتها أعنف حركة اجتماعية في تاريخنا الحديث

وقد سألت عن سر هذا النقص : أهو من عجز المرأة عن أن تلهم ؟ أم هو من قصور
الادباء ؟ فكان الجواب الذي سمعته من بعض شيوخ الادب عندنا : « ان الاديب يكتب
ما يلقى اليه ، وقد عجزت المرأة عن الهامه في هذا الدور من حياتها ، ولم تستطع أن
تثير انتباهه الى تلك الاحداث العنيفة التي أثرت اليها »

وما يعني أن أدفع عن المرأة هذا الاتهام ، بقدر ما يعني أن أنبه الى وجه الخطأ فيه .
فالذين يزعمون أن المرأة لا تلهم ، ينسون أن من عظماء رجال الفن ، من اتخذ مادة فنه
من الحجر الاصم ، فخلق منه روائع فنية بهرت الدنيا وحسبت على الموت والفناء ، أفلا
تبلغ المرأة ما تبلغ البحارة الحرساء ؟ وهل يعجز أدباؤنا أن يخلقوا شيئا من هذه
المادة الفنية الزاخرة بالحياة ؟

ولست أنكر أن المرأة الحديثة قد شغلت بالاحداث الكبرى الطارئة على حياتها ، فلم
يعنها أن تلهم أو تثير ، ولكن الاديب الموهوب ، قادر على أن يرصد حركاتها ويسجل
مظاهر انفعالها وان شغلت عنه ولم تلتفت اليه ، وكلما دفعت حاسته الفنية ، لادت قدرته
على التبه لكل دقيق وخافت وخفى ، لا يموزه في ذلك أن تعنى المرأة نفسها بالهامه أو
تتجه الى إثارة انتباهه . وهل يموز الشاعر أن نهتم به الطبيعة لكي يفعل بمظاهر روعتها
ويتننى بها في فجرها الوليد ، وصباحها المشرق ، ومسائها الحالم ، وليلها الساجي ؟ هل
يموزة أن تتجه الطبيعة الى إثارة انتباهه ، ليشهد موكبها وينقل صورها الرائعات ، في
البر والبحر ، في الريف والحضر ، في السهل والجبل ، في الارض والسماء ؟

الهم لا ، فما تحس الطبيعة به وما يعنىها من أمره كبر ولا قليل، وهى مع ذلك ملهمة أبداً وإن لم تمن بالهام ، مثيرة أبداً وإن لم تعد الى إثارة ، موحية أبداً وإن لم تنجبه الى إيهام ، حية أبداً وإن ظن بها الجمود والموت ، ناطقة أبداً وإن لفها الصمت ، واستغرقها النوم ، وسكنت من جهد وإعياء ...

ولست أنهم الحاسة الفنية لأدبائنا وأرميها بالعجز والقصور، لكننى أرى الكثرة المطلقة منهم قد شغلوا عن أحداث حياتنا ، لأنهم لم يبرأوا من فتنة قديمة وأخرى حديثة طارئة. فاما الفتنة القديمة فهى الادب العربى القديم يعيش بعضنا فيه وينسى نفسه فى ظل قداسة القدم ، وأما الفتنة الأخرى الطارئة ، فهى الادب الغربى الحديث ، يستهتر به الكثيرون منا ويعيشون فى ظله ويولعون بما حوله من أضواء

وما أرى. نفسى من الولع بالادب العربى ، والأعجاب بالادب الغربى الحديث ، ولا أدرى كيف تغدو حياتنا لو خلت من هذا المتاع العقل، لكننى أكره - مع ذلك - أن نغنى فيهما ونشغل بهما عن حياتنا الخاصة ودنيانا التى نعيش فيها، فما يجوز لكائن حى ، يؤمن بشخصيته ويشعر بحياته ، أن يجعل هدفه الأول ، أن يعيش فى غير زمانه ومكانه . وإنما ندرس هذا الادب أو ذاك ، لنستخدم بهما حياتنا الخاصة ، ونزداد فهما لها

ويدولى أحيانا ، أن الشاعر البدوى الساذج ، كان أكثر منا تقديرا لمعانى الحياة وانفعالا بها ، فإن منهم من كان يلتفت الى أعمق المعانى الإنسانية وينتبه الى أدق مشاعر الطبيعة البشرية

لقد كنا نسمع أدباءنا المعلمين ، يسيون على الشاعر العربى فى الجاهلية ، أنه لم يهتم بغير الظاهر المادى للمرأة ، فهو يصفها كما يصف فرسه وناقته : يتحدث عن شعرها وعينها وقوامها ، لا يكاد يتجاوز ذلك الى ما وراءه من معنى وروح ،

وكانوا يقولون لنا ان افتتاح القصيدة العربية بالفرز ، لم يكن سوى صناعة شكلية بحتة ، يمد اليها الشاعر لأنها تقليد فرض عليه لا لأنه يهتم بالمرأة . وربما لم يجد فبمن يعرف ، امرأة تغنى بها ، فيخترع له اسم امرأة لا وجود لها ، يستهل بها قصيدته لتتم له صناعة النظم

وكانت هذه الأوهام ، تلقى إلينا فى فاعات الدرس ، على أنها حقائق مقررة ، هدى إليها البحث الصحيح ، وأيدها الاستقراء الدقيق . ثم نظرنا فى الأمر فإذا هذا التقليد الفنى - الذى سموه صناعة شكلية - ينبىء عن اهتمام صادق بالمرأة وعناية خاصة بها ، وإحساس قوى بقدرتها على الهام الشاعر وإثارة انتباه السامع . ثم رأينا تدفق الاماء فى الجزيرة العربية - اثر حركة الفتح - ينير شعورا قويا بالعنصر المعنوى فى المرأة الحرة

ويدفع الى صادق التقدير لها ، على ما بها من سذاجة الفطرة ، وخشونة البداوة .
وما بهي الآن أن أسوق الشواهد على ما أقول ، فانه من الوضوح والصدق بحيث
لا يوزنه بيان ، وحسبى اليوم أن أعرض صورة للمرأة ، وجدتها في تراثنا الادبي الذي
انحدر اليها من صميم البادية :

حدثوا : أن توبة الحفاجي مر بنى عذرة ، فرأته بشينة فجعلت تنظر اليه ، فشق ذلك
على جميل - ولم يكن بعد قد أظهر حبه لها - فتعرض لتوبة وقال له : هل لك في
الصراع ؟ قال : ذلك لك . فجزعزت بشينة ، ورمت الى جبل ملحقة فاتزر بها ، ثم تصارعا
فصرعه جميل . على أنه عاد يقول لتوبة : هل لك في النضال ؟ قال نعم . ففعلا ، ونضله
جميل . ثم قال له : هل لك في السباق ؟ قال نعم . فتسابقا ، فسبق جميل
« هنالك نظر توبة الى بشينة ، ثم الى جميل ، وقال له : يا هذا ! انك انما تفعل ذلك
بريح هذه الجلالة الى جانبك ، ولكن اعبط بنا الى الوادي ! وعاد الصراع والسباق
والنضال ، فصرعه توبة ، ونضله ، وسبقه ! »

فهذا البدوي الساذج ، قد اعتدى منذ ثلاثة عشر قرنا الى هذا العصر المعنوي في
المرأة ، وفتن الى قوتها الروحية القاهرة ، فهل في مثل هؤلاء يقال : : انهم وقفوا عند
الظاهر المادي للمرأة ، ووصفوها كما يصفون الفرس والباقة ؟
انا اليوم على قمة القرن العشرين ، وفي صميم الحياة المتحضرة ، نفتقد مثل هذه
الصورة في أدبنا ، وقد زاد حقلنا من الثقافة والعرفان ، وأضيفت الى ثروتنا ، ثمرات
الجهاد الانساني المتصل في ذلك العمر الطويل . . .

أخشى أن يكون انصرافنا الى رسم صور الحياة القديمة في بلاد العرب ، ونقل صور
الحياة الحديثة في بلاد الغرب ، قد أضف قدرتنا على فهم حياتنا وتذوقنا لها وتقديرنا
ايها ، فلم نعد نفعل بها أو نهتز لما يميز بها من أحداث كبار . وقد كنا جديرين بأن نزيد
حياتنا غنى وقوة وجمالا ، لو جعلنا مادة الفن عندنا من صميم هذه الحياة ، وتحررنا لحظات
من سحر الماضي ، وفتنة البعد ، كي ثوب الى نفوسنا ونعيش في دنيانا . فنرقب هذه
المخلوقات الالدية الرقيقة وهي تخرج من (مقصورات الحرير) غريزة جاهلة ، وتواجه
الاضواء والانواء والاعاصير . . .

ابنة السالمى

الريف المصري

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم

هذه القصيدة من ميون الشعر العربي ، وقد فازت بالجائزة الأولى في المسابقة التي أقامها مجمع
فؤاد الأول لثقافة العربية للشعر . وكانت حضرة السيدة الجليلة هدى شعراوي قد عدت أنه
يبلغ مائة جنيه لتوزيعها على الفائزين الأول والثاني في هذه المسابقة ، وفي مسابقة أخرى للقصيدة

قم للصلاة على هدى وصلاح
سبحانه أعطاك ميراث الألى
وأراك من نور الحقائق مارأى
(النيل) بين يديك تملك أمره
والأرض أرضك أنت . . . أنت وليها
أولما رأيت الكون أشرق وجهه
قم فاسق زودك . وارفع ضرمك . وارقب
واحشد بناتك والبنين وأهمهم
(القطن) وهو سلاح (مصر) مدجج
لولا فضائل دونه لرأيتها
كم من شق وفاق ، ووزق واسع
الوزق باب لو عييت به لما

واسجد لربك فائق الاصباح
شهدوا زمان (رع) وعصر (فتاح)
(موسى كليم الله) في (الاوج)
وتريه كيف يدين (للفلاح)
مادمت فوق أديمها يا صاح
وبدت عليه بشاشة للرتاح ؟
خيرك ، فميك مؤذن بنجاح
نهم جنودك عند كل كفاح
من عزمك للماضي يغير سلاح
في ظهيرة الميخام ذات جراح
لبن البلاد اعطى يديك متاع
ألقى اليك الله بالفتاح

(الريف) يشرع للحياة سبلها
دنيا بدائع حننا مجلوة
هي إن كشفت عن العيون غطاءها
تلك (الطبيعة) ما لمن يقضى لها
طلعت على عشائها في موكب
على الجلال ، يهب أعطاف إلى
جفت للأنتم في الحواضر كلها
سكنت على الوادي البلاد ، وهذه

وبربك نور جمالها الوضاح
في منظر بهج وجو صاح
شغف القلوب ، وفتنة الأرواح
حق الهوى من لائم أو لاح
يصل الزمان غدوه بروج
وبهيج شوق العاشق الطراح
ومضت تقيم معالم الأفراح
في ضجبة ما تنفسي وصباح

فيم الضجيج ؟ أطائف من جنة ؟ أم راجف متابع الالحاح ؟

هذا (الجمال الأخضر) انتظم القرى
كجناس (جبريل) يظل مرفرفاً
تلك الحياة لمن يريد لنفسه
ما العمر تقطعه بعيش ضاحك
لا يخدمك ما ترى من زخرف
العيش عيش النازلين من القرى
قرأوا (كتاب الكائنات) ونحن في
وارحمنا للخرس ، في أفواههم
نعم الكتاب ، توارثوه : فإلهم
سلم عن اللعن الدقيق ، فإلهم
صحت من القوم العقول ، ولا أرى
ألفوا حياة الجدد في أوطانهم
عمل بالأمال ، وكدح دائم
منعوا حمى الأخلاق ، فاستعصى على
ولقد يساح دم الفنى في قومه
كم نظرة هوجاء من متولم
دلف الشيوخ الى الشيوخ حمية
وتوثب الفتيان : لو قدروا مضوا

أرأيت يا ذات القناع سواده
أكذلك أنت إذا تسرع ناظر
ها إن قومك كاد يهلك جمعهم
ما أنت من (بكر) ولا من (تغلب)
ما كان خطبك في ذؤيك برائع
يلقى على وجه النهار الضاحى ؟
فأصاب جانب وجهك اللعاح ؟
لولا الهوادة من ذوى الإصلاح
لكنه الشرف للنيع الساح
لو كنت ذات غلالة ووشاح
أحمد محرم

[البقية على صفحة ٦٢٠]

التفكير في شؤون السّلم أثناء الحرب

بقلم الأستاذ محمد عوصه محمد

من الدروس القاسية التي تعلمتها الشعوب في هذه الحرب ، ودفعت ثمن هذا العلم من أرواحها وأموالها وطمايئيتها ، أن التفكير البعيد ، والاستعداد الطويل خير وسيلة لالتقاء الكوارث ، أو للتخفيف من وقعها إذا نزلت . وحينما بدأت هذه الحرب كان أحد المصنكرين مستعدا لها استعدادا طويلا دقيقا ، قاعد الرجال والعتاد ، ورسم خطة الغزو بجميع تدبيراتها وتفصيلها ، وأرسل أمام الجيوش المبون من أبنائه ، والحوثة من أبناء البلاد المراد غزوها ، لكي يمهّدوا للغزو ويساعدوه ، حتى إذا أذنت الساعة ، أخذ يكتسح الأقطار قطرا بعد قطر ، لا يترضى سيرة سوى عقبات كان يعرفها ، وقد حسب لها حسابها ، وأعد المدة لازالتها . ولهذا أحرز نصرا سريعا خاطفا ، أو شك أن يكون كاملا ، لولا أن المقادير وقفته عند حده ، وأنزمته أن يتعلم الدفاع بعد الهجوم والفر بعد الكر . وأكر الناس يسلم بأن استعداد ألمانيا الطويل هو سر فوز جيوشها في أول الحرب ، بل ينهب الكثير إلى أبعد من هذا ، فيؤكدون أن المسكر الآخر كان قادرا على منع هذه الحرب ، ووقف كل عدوان ، لو أنه حسب للخطر الألماني حسابا ، وأعد المدة اللازمة لمكافحته . ولقد كان أمام الحلفاء إحدى خطتين : إما أن ينعروا ألمانيا من التسليح ، فيخمدوا النار قبل أن يستفحل شرها ، ويمتد أذاها ، أو أن يعدوا الشر لمكافحة الشر ، والنار لدفع النار . ولكنهم لم يختاروا واحدة من الخطتين . فأصلوا الاستعداد وتركوا المسكر الآخر يد عدته الكاملة ، ويحرز انتصاراته السريعة .

ولكن أكر الناس - إذا سلم بضرورة الاستعداد الطويل للحرب ، إذا لم يكن بد من الحرب - فإنه لا يكاد يدرك ضرورة الاستعداد للسلم - مع أن السلم آت لا ريب فيه - وكان هؤلاء الناس يظنون أن من المقول الاستعداد لحرب قد تحدث أو لا تحدث ، أما الاستعداد للسلم بعد الحرب ، فلا يرون أن لا داعي للاستعجال بالنظر في أمره . ولهذا فهم يعجبون من أن الدول المحاربة تنفق شطرا غير قليل من مجهود ، وتكرس نشاط عدد كبير من أبنائها لدراسة شؤون السلم ، مع أن الواجب في نظرهم أن ينصرف الجميع إلى أمر واحد ، وهو احراز النصر .

غير أن قليلا من التأمل سيرينا من غير شك أن التفكير في شؤون السلم لا يقل خطرا - أثناء الحرب - عن التفكير في شؤون الحرب . وحسبنا أن نذكر أن الدول الغربية في

الحرب الماضية قد كسبت الحرب ، وخسرت السلم ، فجرها هذا الى حرب أخرى أشد هولاً وعذاباً ، وأحوالها أوسع انتشاراً فوق سطح الأرض . كان انتصار الحلفاء في الحرب الماضية ، انتصاراً كاملاً شاملاً . ولم يكن من الممكن أن يمتنى الحلفاء انتصاراً أكمل منه وأنهم . ومع ذلك انقضت بعد هذا النصر أشهر طويلة ، قضاها رجال السياسة العظماء في حوار وجدال ، وأخذ ورد ، وخطب ومذكرات ، ودار بين قادة الدول الصغيرة - مثل بولنده وتشيكوسلوفاكيا - جدال حاد كاد يقضى الى حرب بين دولتين حليقتين - ولقد مرت هذه الأشهر الطوال والعالم متشوق متلهف للسلم وللحياة في ظل السلم - ولكن لم يكن بد من مضي هذه الأشهر لكي يتمكن قادة الحلفاء من وضع شروط الصلح مع ألمانيا ، وهي الشروط التي أطلق عليها بعد ذلك اسم معاهدة فرساي . ذلك أن الحلفاء في تلك الحرب ، قد جاءهم النصر فجأة ، كما جاءتهم الحرب نفسها فجأة ، ولم يكونوا قد أعدوا للحرب كل عدتهم . أما الصلح الذي أتى بعد النصر فلم يعدوا له شيئاً جدياً - إذا صرفنا النظر عن بعض المعاهدات السرية التي أريد بها سد حاجة عاجلة - اللهم الا شروط ولسن الأربعة عشر ، التي كانت لا تخلو من الإبهام ، وكانت قابلة للتأويل والمط والتحوير ، ولم تكن نتيجة مداولات جدية بين حكومات الأمم المتحالفة . لذلك لاستطيع أن نقول ان شروط الرئيس ولسن الأربعة عشر ، كانت بمثابة العدة اللازمة لتثبيت قواعد السلم ، ولو أنها كانت كذلك ، لما كان هنالك داع الى كل هذا الأخذ والرد ، والجدال الطويل العنيف ، عدة أشهر ، قبل أن توضع معاهدة فرساي

ان المرء إذا تذكر صلح باريس والظروف التي أحاطت به ، وحوادث السنين التي جاءت بعده ، يخيّل إليه ان فرح الحلفاء بالنصر كان عظيمًا جسيمًا ، الى درجة انه صرفهم عن الانتفاع بالنصر على الوجه اللازم . بل لعل هذا الفرح الشديد قد أساعهم تمامًا ذكرى الكوارث التي اتت الشعوب في تلك الحرب ، فألباهم عن اخذ العدة لمنع تكرار تلك الكوارث . مع علمهم أن الحرب العالمية الثانية ستكون أقظع هولاً وأعم ويلًا من الأولى . لهذا كان السلم الذي جاء بعد الحرب العالمية الأولى سلمًا عجيبيًا ، خرج منه الغالب وهو لا يمتاز على المغلوب في الثروة والجاه ، والقوة والعدة الحربية . بل لم يلبث المغلوب أن أصبح يتصرف في أكبر عدة حربية عرفها تاريخ الانسان

ان النصر ليس بالشيء الذي يبعث الفرح لنفسه ، بل لما يمهّد له من عهد سعادة وسلم ورخاء . والنصر مهما يكن باهراً ، فإنه لا قيمة له الا كوسيلة الى غاية ، وهذه الغاية يجب أن يكون أهم عنصر فيها أن يزال من العالم كل سبب يدعو الى الحرب . وإذا لم يحقق النصر هذه الغاية فإنه ضرب من العبث ، بل هو أقبح من العبث ، لانه لا يبدو أن يكون تمهيداً لحروب أخرى تغمر هذا الكوكب جيلاً بعد جيل ، وتزداد هولاً وويلًا على مدى الزمان

ومن حسن الحظ أننا نشهد في هذه الحرب استعدادات للسلم تشغل أذهان قادة

الشعوب ، ولا تشمل على مجرد شروط مبهمة تكتب في صفحة واحدة ، بل تشمل خلطاً واسعة النطاق ، بمدة المدى ، تتناول جميع التفاصيل ، وتستغرق جهود الآلاف من المفكرين

النظام الجديد

وكلا العسكريين قد أعد لجهود ما بعد الحرب العدة التي رأها وارتضاها ، فاما العصبة الالمانية فقد وضعت ما سمته « النظام الجديد » وهو نظام لا نعرف عنه في مجلته وتفاصيله الشيء الكثير ، ولا نستطيع أن نحكم عليه الا بما نعرفه عن الدولة صاحبة الرأي الاعلى فيه وهي دولة الريخ الثالث ، التي ينادى قادتها بتميز الجنس الجرمانى ، ورفعوا أصواتهم بالنعرة الجنسية في القرن العشرين ، ثم شنوا هذه الحرب الشعواء متذرعين بحجة ضرورة الاستيلاء على مدينة دنزج الحرة ، ففمروا هذا الكوكب بالدم وأشاعوا فيه الويل والتبور ، بدعوى تحرير مدينة حرة ، أهلها خلقون بأن يعيشوا في نعيم ورخاء لو تركوا وشأنهم . ثم مضوا في هذه الحرب ، يوسمون رفعتها ، ويضخمون مبادئها ، فلم يكتفوا بأن تكون الحرب بينهم من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، بل رأى قادتهم ضرورة عجيبة في أن يكسحوا دانمارقة ونروج وهولنده وبلجيكا ولكسمبورج ، تمهيدا لحربهم مع فرنسا وبريطانيا ، وأن يسطوا على دول البلقان ، تمهيدا لحربهم مع روسيا . ان هذه الاعمال وأمثالها - وان زعم أصحابها ، وهم يدافعون عنها ، أنها من ضرورات الحرب - قد نفرت الناس من « النظام الجديد » المذكور ، وجعلتهم يوجسون خيفة منه ، ويشفقون من أن يقدر للعالم أن يعيش تحت ظله ، اذا كان له ظل

اننا لم نعد نسمع كثيراً عن « النظام الجديد » . وانقضى الوقت الذي كان لا يمضى فيه أسبوع دون أن تحمل لنا الأنباء شيئاً عنه ، وعما يعده للناس من عهد ومن حفلة ، فان ألمانيا اليوم قد اضطرت الى الدفاع بعد الهجوم ، وقد فقدت حليفها الكبرى في أوروبا ، وليس هذا أوان التحدث عن النظام الجديد

أما الامم المتحدة التي بينا وبينها عهود ومواثيق ، والتي رضينا ، منذ أول هذه الحرب ، برغم حيادنا ، أن نبذل ما في وسعنا لمساعدتهم وتأييدهم ، فان هنالك أدلة واضحة على أنها تبذل اليوم جهوداً لتدبير شؤون السلم ، مدركة أن هذه الشؤون لا تقل خطراً عن المجهود الحربي نفسه ، وان انتصار الدول المتحدة لن يكون نهاية المجهود الكبير الذي يبذل من أجله فصيح ، بل بذابة مجهود أكبر لتنظيم شؤون السلم ، ووضعها على أسس متينة ، ودعائم قوية . وقد أدركت الامم المتحدة أن من الضروري ألا يفاجئهم النصر ولم يعدوا له العدة بعد . ولذلك فهم قد أخذوا يستعدون لعهد السلم منذ زمن بعيد . وكأنا شعاعهم : « اعمل للحرب فانها تدوم أبداً ، واعمل للسلم كأنه آت غداً » . وهذه الظاهرة شيء جديد ، لم يكن له وجود أثناء الحرب الماضية

وقد تناول هذا الاستعداد للسلم كل ناحية من النواحي ، لا يريد أن يترك صغيرة ولا كبيرة ، على أن يكون الهدف المنشود انشاء عالم تسوده الحرية والعدل والرخاء . وغاية العاملين في هذا الميدان أنه لا يكاد النصر يأتي ، حتى يكونوا قد أعدوا شروط الصلح التي سبق الاتفاق عليها ، وهي جامعة شاملة لكل التفاصيل ، فلا يترك العالم فترة من الزمن يتخبط بين الصلح والحرب . وإذا كان المراد انشاء نظام عالمي مثل عصبة الأمم ولكن من طراز أرقى وأجدي ، فإن هذا النظام يجب أن يت فيه من الآن . وهناك ما يزيد على الأربعين دولة من الأمم المتحدة والمتضامنة معها ، وفيها الكفاية التامة لأن تكون نواة لهذا النظام العالمي ، الذي يجب ألا ينتظر حتى تنتهي الحرب ، وتنفى بعدها الشهور الطوال ، قبل أن توضع قواعد ذلك النظام ، بل الأمر المقول أن يت في هذا النظام منذ الآن ، وترسم جميع خططه وقواعده ، وإن يكمل انشاؤه بمجرد الفراغ من وضع أسسه . ولو تم هذا انشاء الحرب لما كان هنالك ضير ، بل لعل في هذا الخير كل الخير ، إذ تكون لدينا في بدء عهد السلم الاداة العالية اللازمة للمحافظة على السلم

ميثاق الاطلنطي ومجهود الدول المتحدة

لقد أصدرت الأمم المتحدة وثيقة تضمن دستور السلم ، وهي الميثاق الاطلنطي ، الذي صدر في شهر أغسطس عام ١٩٤١ . ولا شك أن هذا يذكرنا بدستور الصلح الذي سنه الرئيس ولسن بشروطه الاربعة عشر . ولكن هنالك فروق جوهرية بين الوثيقتين : اولها أن الميثاق الجديد قد وافقت عليه جميع الأمم المتحدة . والأمر الثاني ، أن أمريكا اليوم تعمل بالاشتراك مع جميع الحلفاء كواحدة من الأمم المتحدة . أما في الحرب الماضية فانها كانت لا ترضى أن تعد إحدى دول الحلفاء . والأمر الثالث والآخر أننا في هذه المرة لا نشهد دستوراً يسن فقط ، بل نرى الى جانبه اجراءات جديّة لتنظيم شؤون السلم منذ الآن على أساس ذلك الدستور . وهذا أكبر فرق بين الحالة في الحرب الماضية ، وبين الحالة اليوم

ويجوز لنا أن تسأل : الى أي حد وصل المجهود المشترك للدول المتحدة في تنظيم شؤون السلم ؟ وهل قطعت تلك المجهود مرحلة عظيمة حتى اليوم ؟ ان المسرح الأكبر لهذه المجهود اليوم هو عواصم الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولكن يجب علينا ألا ننسى أن في كلا البلدين عددا عظيما من أبناء الأمم المتحدة ، يستطيعون أن يدلوا بأرائهم ، وأن يبذلوا ما يستطيعونه من معاونة . والتفكير في شؤون السلم أمر يتطلب بطبعه الروية والتؤدة ، لهذا لم يكن بد من أن تتقدم الشاربع المختلفة ، التي تعالج نواحي عديدة من شؤون السلم في شيء من البعد . ولكن الراجح أن الأمور تسير اليوم بسرعة أعظم ، وذلك خوفاً - إذا صح هذا التعبير - من أن يأتي الصلح فجأة ، والأمم المتحدة لم تعد له كل عدته

وفي بلد ديمقراطي مثل الولايات المتحدة لم يكن بد من أن يشترك الرأي العام في الادلاء بفكره في شؤون السلم . ولا شك أن الحكومة ترحب بهذا ، ولعلها تسجعه ، ومن الاثلة على هذا ما دار من الجدل ، بين كثير من اعلام الكتاب هناك ، حول موضوع المانيا ، وكيف تعامل بعد الحرب ، فان من البديهي أن مجرد هزيمة المانيا ليس بالأمر الذي يرضيه الحلفاء المتصرون ، بل لا بد من بذل مجهود آخر للقضاء على العقيلة الحربية ، والروح العدوانية . واتخاذ كل ما يمكن من اجراء لتأمين الشعوب على كيانها ، والقضاء على الحرب كوسيلة لمعالجة المشاكل التي تنشأ بين الدول

وقد انقسم الكتاب في أمريكا فرقتين على النحو الذي حدث بعد الحرب العالمية الاولى ، ففريق يرى أن لا بد من معاقبة الشعب الالمانى على الجرائم التي اقترفها ، وأن يكون العقاب معادلا للكوارث التي انزلت بشعوب كانت آمنة مطمئة . ويقول أصحاب هذا الرأي ان من البعث أن يقال ان المجرمين الوحيدين في هذه الحرب هم قادة المانيا ، فاذا سقط الحكم النازي ، فلا داعى الى أى اجراء آخر . بل من اللازم أن يشعر الشعب الالمانى انه قد ارتكب أمرا يستحق عليه العقاب الصارم

وهناك الفريق المعتدل ، الى درجة الاسراف ، يريد أن يترفق الحلفاء بالمانيا ، وأن يتخذوا منها درعا ونصيرا ، وعونا في التمسير بعد الحرب ، وسورا منيما يحول دون نفوذ البلشفية الى غرب أوروبا

هذه الآراء وغيرها قد نادى بها كثير من الكتاب في الدول الحرة . وعلى الاخص في أمريكا . ومن حسن الحظ أن ينود هذا الجدل ، قبل عقد الصلح بزمن ، لكي تستطيع الحكومات أن تسترشد باتجاهات الرأي العلم فيما قد ترسم من خطة للبت في مصير المانيا ، وقد استطاعت الدول الكبرى من بين الامم المتحدة أن تجتمع فعلا في عاصمة روسيا ، وأن تضع الاسس لكثير من شؤون الصلح والسلم ، بما في ذلك موضوع المانيا ومصيها . وأن تنشئ منذ الآن لجنة دائمة في لندن لدراسة التفاصيل والبت في أى مشكلة تعرض بمجرد ظهورها

الأمم الصغيرة ومشروعات السلم

ونحن - أبناء الامم التي تدعى الدول الصغيرة - يهمنا بوجه خاص ما يرسمه قادة الشعوب من مشاريع للسلم ، تنطوى على العدل والانصاف ، ورفع الظلم عن الشعوب والقضاء على ذلك الاستغلال ، الذي استحلته بعض الدول ، وكادت تتوهمه حقا شرعيا . وايجاد نظام عالمي يجعل من العالم كله أسرة واحدة ، لا فرق بين جنس وجنس أو لون ولون

لقد كان بين دول أوروبا من قبل فريق يرى أن من الجائز أدبيا أن يكال للامم بكليتين

مختلفين ، فيكالم لشعوب أوربا بمكيال خاص ، وللأمم غير الاوربية بمكيال آخر . تلك هي العقلية الاستعمارية القديمة ، التي كانت تظن أن من الممكن أن يتمسك المرء بالصدق في أوربا ، ولا يألف من الكذب في آسيا أو افريقية ، وينهج منهج العدل في الشعوب الاوربية ، ولا يجد بأسا في ظلم غيرهم من الشعوب

واليوم أدرك قادة الشعوب الحرة - بعد لا شيء - أن المرء لا يمكن أن يكون صادقا في أوربا وكاذبا في آسيا ، عادلا في الغرب ، وظالما في الشرق . مستمسكا بالفضيلة عند طائفة من الشعوب ، ومرتكبا للخنا جهارا عند طائفة أخرى . أدرك قادة الشعوب هذا ، ولئن كان هنالك فريق من الطراز القديم لا يزال قويا نافذ الكلمة ، فإن الذي نرجوه أن الرأي العام سيضطره الى الكف من غلوائه ، وإلى مجاراة التيارات الحديثة . ولقد كان حادث لبنان نذيرا لكثير من الناس ، ولقادة الأمم الغربية أنفسهم ، بأن يدركوا ان السنن الجديدة التي يريدون أن يسنوها في العالم ، القائمة على الحريات الأربع ، لن تكون الطريق أمامها سهلة معبدة . وأن للسنن القديمة البالية ، القائمة على القهر والاستغلال ، أنصارا تدفعهم المآرب الشخصية والشهوات الفردية الى التغاضي في المدافعة عنها ، وإلى محاربة هذا النظام العالمي الكريم القائم على حرية الشعوب ورخاء الجميع ، الذي يراد انشاؤه اليوم ، والذي لا بد من انشاؤه ، اذا أريد للنوع البشرى أن يعيش وأن يبقى

لقد أثار حادث لبنان سخطا صريحا ، صادرا عن إيمان و يقين ، من الرأي العام في كل قطر من الاقطار . فأدرك أنصار القديم أن الشعوب جادة لا هائلة . وأن القادة اذا قصروا فإن الأمم لن تتوانى عن تذكرهم بواجبهم

كذلك أتاح لبنان للذين يفكرون اليوم في شؤون السلم ويمدون له عدته . أن الطريق له ليست سهلة مبسورة ، وأنه ليس عليهم أن يحاربوا التازيين وحدهم ، بل ان هنالك عدوا أقوى مراسا ، وهو الرجعيون الذين يعيشون وسط الأمم المتحدة نفسها

محمد عزمه محمد



السبب المصري بعد الحرب

بقلم ماريت غالى بك

ساهم الشباب بلا شك ولا يزال يساهم في نهضتنا المباركة ، فكان من بينه الأبطال والشهداء وجنود الوطن المخلصون ، وأمر جهاده تحت راية القادة والزعماء الثمار الطيبة ، وإذا ما ذكرنا استقلالنا السياسى ونقلنا النياية فانا لا محالة ذاكرون ما كان للشباب من يد في تكوين هذا كله . على أن الشباب في نشاطه الزائد لم يقتنع بتلك النواحي السياسية وأبى الا أن يساهم في نهضاتنا الاجتماعية والاقتصادية ، فدعا دون تردد الى انشاء بنك مصر وحمل على عاتقه كثيرا من المشروعات الاقتصادية والوطنية ، ونظم جولات متابعة ورحلات متعددة في سبيل بث فضيلة أو محاربة وذيلة وتعميم دواء أو التخلص من داء

كل تلك جهود يلد الى أن أسجلها باسم الماضى والحاضر قبل أن أقول كلمة عن المستقبل . بيد أن مصر التي خطت ما خطت في سبيل النهوض السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، لا يزال الطريق أمامها طويلا والمجال فسيحا ، ولا بد لها أن تتابع الخطى لكي تصل الى المستوى اللائق بها . فهى في حاجة ماسة الى أن تدعم استقلالها السياسى وتؤيد نظامها النيابى ، وأمامها فوق كل هذا واجب هام وخطير في الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

فما أحوجتنا الى جهود جبارة لا يصرفنا عنها صارف ولا يشغلنا عنها شاغل ، جهود ترمى الى رفع مستوى المعيشة وتحقيق مرافق الحياة لامة الشعب ، فان مستواه الحالى أدنى من مستوى بعض البلاد الشرقية مثل سوريا ولبنان وفلسطين ، ولا يتفق مطلقا مع ما وصلنا اليه من تقدم في مظاهر الحياة القومية الأخرى . وعلينا أن نزود الامة بالثقافة الصحيحة التي تمكنها من تمييز الحق والباطل ، والنافع والضار ، لان سلامة الدولة في لحظة الشعب أولا وقبل كل شئ . ولا بد لنا من تربية اجتماعية ووطنية تعزز في كل مصرى حب مصر ممثلة في أرضها وشعبها ، وتجعله يشعر بأن مصلحته الخاصة لا تتعارض مع المصلحة القومية ، وأن في رخاء الجميع خير ضمان لسعادته الشخصية ، فيعترف الثرى بحقوق الفقير على الدولة وعليه ، ويؤاخى الحاكم المحكوم ولا يستهين بأمره ، ولا يظن صاحب الارض أو المصنع على الفلاح والعامل بشمرة عمله ومستلزمات معيشة كريمة

وهذه معان نفقتر الى انتشارها بيننا ، وإن أدركناها وفهمناها فانا في الغالب لا نؤمن بها الإيمان الكافى ولا نعمل بمقتضاها في حياتنا العامة والخاصة . وقد شغلنا في الماضى

القضية الخارجية الى حد أنا نسينا أحيانا أو أرجأنا النظر في القضية الداخلية وما تتطلبه من تضحية وعمل وغاية . ولا شك في أن هذا الجهاد - الذى أسميه جهادنا الوطنى الثانى - يتطلب منا جهودا وتضحية لا تقل عما بذلناه فى الجهاد الاول ، بل ربما كان أشق وأصعب لانه يعتمد على الثابرة والتواصل فى العمل والتفكير ، والدقة والعناية يوما بعد يوم بمظاهر الحياة المادية والأدبية على اختلافها . وقد تنقصه فى نظر البعض روعة الكفاح والنضال فى سبيل الاستقلال والحرية ، الا أنه الآن هو النضال الذى ينبغي والكفاح الذى يأخذ بيدنا

ذلك لان الاستقلال السياسى مظهر أجوف ان لم يعتمد على شعب يقظ مثقف ، أخذ برسالة التربية القومية والتعاون الاجتماعى وآمن بها ، والانظمة والقوانين بل والحرية نفسها ليست الا مظاهر لا تقوى على البقاء والنماء ما لم ترتكن على العدالة الاجتماعية وتحقيق حاجات المعيشة للجميع . هذا الى أن التغيير فى النظام الاجتماعى حاصل لا محال فهل لم يكن من الحكمة أن نجعله تطورا محكما بدل أن ندعه سيلبا طائفا لا تقوى على توجيهه الى ما فيه خير الوطن ؟

وفى هذه المشاكل التى تواجهنا وهذا الكفاح الجديد الذى ينتظروننا انما نول مصر على شبابها ، لانه بطبيعته يدرك التطور الاجتماعى الحديث ومستلزمات العالم الجديد أكثر ممن سبقوه فى مضمار الحياة وطبعوا على نظام وتركيب للأسرة الاجتماعية لم يعد يناسب العالم بعد هذه الحرب ، والشباب فوق هذا يتحمس للأفكار الجديدة ويضحى فى سبيلها ما لا يضحيه أحيانا من ذاقوا من الحياة قسما أطول . واذا كان بين الشيوخ رجال تحرروا من قيود التفكير القديم والنظم العتيقة ورفضوا صروتهم لمناصرة الحرية الحقة والاعتراف بالحقوق الاجتماعية - فاستحقوا بذلك أن يقودوا النهضة الجديدة بما لهم من تجارب سابقة وعزم قوى - فعلى من يعتمدون ان لم يكن على الشباب والنشأة الجديدة ؟ ومع من يشتركون ويتعاونون ان لم يكن شبان مصر فى جيلنا هذا الذين نأمل أن تذكرهم الأجيال القادمة كأبطال النهضة المصرية ؟

ولكى يقوم الشباب بالدور المنتظر منه ويؤدى الخدمة المفروضة عليه لا بد له من سلاح ودرع . فالسلاح فى أن ينهى لعمله ويستمد له ، يستمد بالتعليم أولا كى يتسع أفقه ويكسب المعارف الثقافية والفنية اللازمة ، وبهذه المناسبة نرجو ألا نسمع أبدا فى المستقبل عن ذلك الرجاء المخجل وتلك المطالب المخزية لتسهيل الحصول على الشهادات الدراسية ، فلا نرى وفودا من الطلبة يتقدمون مرة أخرى الى ولاية الامور بطلب تسهيل الامتحانات واتقاص حد الدرجات اللازم للنجاح ، فكل روح خبيثة لا ندرى كيف تسربت يوما ما الى قلوب الشباب ، ولا ندرى كيف غاب عن عقولهم أن لا نجاح فى الحياة بغير دراسة مثقفة وجهد وعمل متواصل ، ولا كرامة للانسان ما لم يشعر بأنه نال شهادته وأتم دراسته فى مستوى لا يقل عن مستوى بلاد أخرى

وينها ثانيا بأن يقف على حالة البلاد الصحيحة ، دون أن تصرفه خبرته الوطنية عن فهم الاحوال كما هي ، ودون أن يفضض عيونه عن حقيقة مهما كانت مرة . ويتبها أخيرا بروح المساواة والأخوة الصادقة ، والعزم القوى على النهوض بهذه الأمة الجديرة حقا بأن يعمل لها دون حساب للمشقة والتضحية

وأما الدرج ، ففي ألا يسلم نفسه للتيارات المفسدة والتأثيرات المثبطة التي تنتزعه ، وألا يسمح لحب الوصول أن يصرفه عن العمل الصابر ، وألا يتأثر بتيار الجشع والطمع الذي انزلق فيه الناس أثناء هذه الحرب ، يفقدوا كثيرا من حكمهم السليم وتأسوا الأقبية الصحيحة والقيم الوطنية التي لا تزول

كل هذه شروط ضرورية ومستلزمات أساسية ان شئنا أن نعلق على المستقبل أملا ، ونوطد على ما نخشيه لنا الاعوام المقبلة رجاء . الا أن هناك شرطا آخر أهم وأقوى ، ألا وهو الايمان بمصر ومستقبل مصر ، ايمان لا يقتصر على فرد ولا يتوقف على طائفة ، بل لا بد أن يشمل البلاد بأسرها ويملا القلوب على اختلافها حتى نسير سير قدم واحدة وتحرك جركة رجل واحد . والشباب هو المبعث الاول لهذا الايمان الراسخ والثور الفياض الذي لا تحتجب أمامه ظلمة ولا توقف صعوبة ، وفي مقدوره أن يحارب كل تواكل ويقضي على كل تراجع لانه يعمل بقلبه ويملا الجو بمضاء عزيمته

ماريت بطرس غالى

الريف المصرى [هبة المنشور على صفحة ٦١١]

باموردا تلب اللبنة دونه
أنت الشحيح ، تلوذ إن خفت الأذى
قوم إذا غمزوا فرصة جامع
ثم استقام على الطريقة وارعوى
قل (لعدائى) هل سمعت ؟ وهل هفت
هجروا البيار ، فأى إثم قارفوا
سلمهم : أما حان الاياب ؟ وقل لهم :
وسل الخائل : هل طربت ؟ وهل رعى
أرأيتها نشوى ، وما شربت سوى
للغبقرية فى فمي من نشوة
فتح من الله الكريم ونعمة

ماذا صنعت بمهجة للتساح ؟
بعدافيرت عن الدمار شجاع
ألقى القادة بعد طول جماع
فنجا ، وفاز بنعمة وفلاح
(للريف) فيك جوانح التزاح ؟
بغراق أهليهم ، وأى جناح ؟
أوليس فيكم مؤذن يراح ؟
واديك حق (البلب الصداح ؟)
خمرى ، ولا عرفت سوى أقداحى ؟
ماليس يوجد فى كؤوس الراح
سبحانه من منعم فتاح

احمد محرم

مدام كورنى على فراش الموت

للدكتور مصطفى الديوانى

[مقتبسة من كتاب مدام كورنى تأليف ايف كورى]

شعرت ماري كورنى - مكتشفة الراديوم - بدنو أجلها ، وكانت تحدث عن النهاية المحتومة بلهجة هادئة . فأحيانا تقول : « من البديهي ان العمر لن يطول بى غير سنوات قلائل » . وتارة تقول : « ان ما يشغل بالى هو مصير معهد الراديوم بعد موتى » . ولكنها كانت تتجاهل بقدر استطاعتها نهايتها المتوقعة ، فتحدث الاقدار وعملت كأنها تعيش أبدا وأحاطت نفسها بسياج هائل من المشروعات والمحاولات الجديدة ، آملة أن تكسر سهام القدر عند جدران هذا الحائط المنيع ، فتتمهلها الايام من العمر طولا جديدا تنفذ فيه برنامجها . ولكن القدر لا يرحم ! إذ أخذ ضفها يتزايد . وتضاعفت الاعراض التي كثيرا ما أزعجتها ، وهي ضعف البصر والالام الروماتيزية ، وانحطاط القوى . فتأكدت أن الشفاعة لا تجدى أمام قسوة المصير المحتوم ، وأخذت تتجز ما بقى من أعمالها في سرعة غير عابئة بأخطار التعرض للراديوم كمادتھا ، إذ كان المعروف عنها أنها لم تكن تنال باتخاذ الاحتياطات التي طالما شددت على تلاميذھا بإتباعھا أثناء العمل كالامساك بأنايب الراديوم بكتابة خاصة أو بعد لبسقفارات مصنوعة من الرصاص ، تقى اليدين من اشعاعات هذا المعدن القاتل الشافى . وكانت ترفض دائما أن يجري على دما بعض التحاليل اللازمة لمعرفة مقدار تأثير الجسم بهذه الاشعاعات فما كان لهما أن تصاب بحروق في اليدين لا تلبث أن تجف أو تتقيح وما كانت لتبال بهبوط في كرويات دما ، فما قيمة هذه الحوادث التافهة ازاء الاحوال التي لاقتها خلال خمسة وثلاثين عاما قضتها في جهاد مستمر ، أمام جهازها العتيق تستشقى ما ينبعث منه من بخار عدوها الصديق وهو الراديوم . وسيدرك القارىء فيما بعد كيف غدر هذا المعدن النفيس بصاحبته ، ولماذا سميت القاتل الشافى والعدو الصديق

في ديسمبر ١٩٣٣ اتت ماري آلام جديدة استدعت فحصها بأشعة اكس ، فأثبت الفحص وجود حصوة كبيرة في حويصلة المرارة ، فزاد ذلك من قلقها على حياتھا ، لأن والدها مات بنفس المرض ، ورفضت فكرة اجراء عملية جراحية لازالتها ، وفضلت أن تتبع نظاما قاسيا في مأكلاھا ومعيشتها وبدأت لأول مرة في العناية برفاقيتها ، فدرست بالتفصيل مشروع بناء منزل جديد في قرية (صو) ، حيث يرقى زوجها تمهيدا للانتقال نهائيا من

باريس صاحبة ، ولما شعرت ببعض الحمول في قواها العامة جربت أن تمارس الانزلاق على الثلج ، فشعرت بانتعاش عجيب وجرى الدم حارا في عروقها من جديد ولما جلت اجازة عيد الفصح ، انتهزت فرصة محي . أحبتها الكبرى (برونيا) من وارسو لقضاء العيد معها ، وقامت برحلة بالسيارة في جنوب فرنسا . وقد انهكتها مضائق السفر فأصيبت ببرد مصحوب بحرارة اضطرها أن تلزم الفراش ، وهي في أشد حالات الضعف ، وكانت تبكي بين ذراعي شقيقها في عجز الطفل الصغير ، وتعرّب عن خوفها من أن تقضى النزلة الشعية التي أصابتها على حياتها قبل أن تنتهي من كتابها الذي يعز عليها أن تموت قبل اجتازها . وأخيرا تمكنت البقية الباقية من مقاومتها من التغلب على المرض ، فعادت الى باريس . وبعد انتهاء الاجازة اضطرت (برونيا) الى العودة الى بولندة وفي محطة القطار اليمع شطر وارسو تبادلت الشقيقتان قبلات الوداع للمرة الاخيرة

أخذ المرض الغامض يسيطر في سرعة قاسية على ماري ، فاشتدت نوبات الحمى والقشعريرة التي كانت تسبب لها عذابا كبيرا ، وحاولت كرميتها (إيف) جهدها أن تحصل على موافقتها لاستدعاء طبيب لزيارتها ، فكانت تستبعد الفكرة بعناد قائلة أحيانا : ان الأطباء يعثون السام والملل الى نفسي ، وأحيانا أخرى : « لاداعي لازعاجهم فهم يرفضون تقاضي أى أصاب مني » . والغريب ان هذه المالة الكبيرة كانت تنفر من الأطباء كئلى فلاحه ريفية ساذجة ، ولما جاء الاستاذ ريجو - وهو يدها اليمنى في العمل - لزيارتها اقترح استدعاء الاستاذ بولان لفحصها ، ولما أتم هذا فحصه وراعه فقر الدم الشديد البادى على وجهها قال في حزم وتأكيد : يجب أن نلزمى الفراش ، وأن نمتنى بساتا عن الحركة ، فهزت ماري كنفها في استخفاف إذ أنها سمعت نفس الكلمات من عشرات الأطباء قبله ، ولم تبالي بأنذارهم لها ، فاستمرت على نظامها اليومي . وكانت تذهب الى العمل يوميا وهي في أشد حالات الضعف . حتى حل أحد الايام المشمسة الساطعة من شهر مايو ١٩٣٤ فذهبت كعادتها وبقيت هناك حتى منتصف الساعة الرابعة تنقل بين الاجهزة والانابيب تلمسها في حنان وضعف وكانها تودعها الوداع الاخير ، وأخيرا تمتمت في صوت خافت للذين حولها « ان الحمى تتمدنى عن العمل ويجب أن أعود الآن الى المنزل »

وقبل خروجها جالت في أنحاء الحديقة وتفقدت أزهارها واحدة بواحدة واستلفتت نظرها شجرة ورد ذابلة ، فوقفت عندها ونادت على مساعدتها قائلة له : « يجب العناية بهذه الشجيرة يا جورج . يجب العناية بها حالا . حالا » وطلب اليها أحد تلاميذها أن ترجع الى منزلها لان البقاء طويلا في المراء قد يضر صحتها فأطاعت في استسلام ومشت في خطى متافلة نحو سيارتها وقبل أن تصعد اليها التفتت الى مساعدتها مرة ثانية وقالت « لا تس يا جورج .. شجرة الورد »

وهكذا ألت نظرتها الاخيرة على معملها المحبوب

لازمت ماري الفراش تكافح مرضها الغامض الذي حار فيه أطباؤها بالرغم من الابحاث

الى اجريت لها ولما اظهرت صورة الاشعة وجود اصابة درنية قديمة بالرتين عالجها الاطباء على هذا الاساس ، ولما لم تحسن حالتها اقترحوا نقلها الى مصحة . فرددت ابنتها (ايف) في عرض الفكرة عليها في أول الامر ولكن ما كان أشد دهشتها عندما وجدت أمها ترحب في طاعة عياد بفكرة الاطباء فقد خيل لها ان الهواء النقي والبعد عن ضوضاء المدينة وغيرها كفيلاان بالتسجيل في شفاها . وقبل نقلها الى المصحة فكرت ايف في استشارة أربعة من كبار أساتذة كلية الطب في باريس - فاجتمعوا حول فراش المريضة المنهكة وأخذوا يفحصونها بدقة مدة نصف ساعة ووصلوا الى قرار أخير وهو أن المرض مسبب عن الاصابة الرئوية القديمة ، وان هواء الجبال يفيدعا كثيرا .. وتقول ايف كورى في كتابها بلوحة الابنة التي رزئت في والدتها - وهو شعور يقاسى منه الاطباء كثيرا : « يوسفنى أن أقول ان قرارهم كان خاطئا .. وأفضل الا اذكر أسماء هؤلاء القضاة المبرزين في فهم ، والا رمانى الناس بالليل الى التشهير بالغير ونكران الجميل .. »

وحق يتم الاستعداد للرحيل حرم الاطباء على ماري أن تقابل أى زائر في غرفتها ولكنها مع ذلك كانت تستدعى سرا زميلتها في العمل مدام كوتيلو وتقول لها : « يجب أن تحتفظي (بالمدن) حتى عودتي وانى أعتمد عليك الاعتماد كله لحين عودتي حيث نستأنف العمل سويا ... »

وبالرغم من أن حالتها أخذت تسوء بسرعة فان الاطباء صمموا على ترحيلها الى الجبال ونمت الرحلة وكانت قاسية على المريضة . اذ أغشى عليها بين ذراعى ابنتها ايف وممرضتها عندما وصل القطار الى بلدة (سان جرفي) وأخيرا وصلوا الى مصحة (سالمور) حيث رقدت في أفخر غرفة وفحصت بالاشعة في دقة زائدة ولما انتهى أطباء المصحة من دراساتهم قررروا أن الرتين سليمتان ، وأن الرحلة المضنية المرهقة هبت وضياح وقت ا

ارتفعت درجة حرارة المريضة الى الاربعين درجة مئوية . وكانت ماري تنزعج لارتفاعها فكانت تصمم على أن ترى مقياس الحرارة . ولم تكن ماري تقوى على الكلام في ذلك الوقت فكانت عينها الرائتان في وجهها المصفر تعبران عن انزعاجها عندما يحصل زئبق مقياس الحرارة الى هذا المستوى المخيف ..

ولما سمع الاستاذ روك بجامعة جنيف بوجودها جاء على عجل وفحص دمها بدقة ، وأحصى عدد كرويات دمها الحمراء والبيضاء فوجدعا في هبوط مستمر وشخص للمرة الاولى مرضها على حقيقته وهو « أنيميا خيثة نتيجة التعرض للراديو » . وكانت ماري في ذلك الوقت لا تزال تخيفها فكرة عملية حصوة المرارة فأكد لها الاستاذ روك أن لا عملية هناك وطمانها بقدر ما سمح له الموقف ..

وجلس (ايف) بجوار فراش أمها تنتظر في صبر وأناة النتيجة المخومة . وأدهشها أن أمها كانت تفكر في كل شيء الا الموت . وهذا من فضل الله على المريض المخضر ، فان الشعور بالأمان حتى اللحظة الأخيرة هو الذى يسهل عليه ألم مفارقة الروح للجسد

وكانت المصححة بإطاعتها ومساعدتها وحجارتها يخيم عليها سكون رهيب واحترام عميق وهي تنتظر اللحظة التي تنتقل فيها المريضة العظيمة الى دار الابدية. وكان الاطباء يتأولون العناية بها ويخففون من آلامها الاخيرة بأعطائها في سحاء الجرعات المسكنة والحفقات التي تجلب النوم

وفي صباح اليوم الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٣٤ تمكنت ماري كورى للمرة الاخيرة أن تمسك يديها المرتعشتين بقياس الحرارة ولما رأت أن درجة حرارتها فريت من المستوى الطبيعى - وهو الهبوط الذى يسبقه الموت عادة - ابتسمت بفرح ظاهر ولم تشأ ايف الا ان تشجعها وتطمئنها قائلة : ان هذا علامة الشفاء وبده التحسن . فحولت ماري نظرها الى الشباك المفتوح وأخذت تنأمل فى الشمس المشرقة والجبال العالية وتمتمت فى ضف : « ليس الدواء هو الذى أدى الى هذا التحسن .. الشكر للهواء النقي والاتفاق العالية .. »

وأخذت ماري تهذى وهي فى سكرة الموت بأفكار غريبة . وسمعت وهي تقول : « ربه لقد نسبت كل شئ . اننى لا أقدر على التعبير عما يخالجنى .. » ولوحظ أنها لم تذكر أسماء حتى المقربين اليها .. ويظهر أنها نسبتها جميعا حتى اسم شقيقها الكبرى (برونيا) وابنتها ايف. وفكرت هنيهة فى كتابها الاخير فقالت : يجب أن تسقى جميع فصول الكتاب على منوال واحد .. ان هذا الامر يشغل بالى كثيرا . »

وظلت هكذا تهذى فى هدوء حتى دخل الطبيب غرفتها ولما حفرها بالمسكن انطلقت من جسمها الداوى صرخة احتجاج خافتة وأعقبتها بقولها : « لماذا لا تركونى وحدى اياكم أن تمودوا الى ... »

وكانت ساعاتها الاخيرة أكبر دليل على شدة مقاومة هذا الجسم الذى بدا ضعيفا ذابلا ايان حياتها . وأمسكت ابنتها ايف بأحدى يديها والدكتور لويز باليد الاخرى مدة ست عشرة ساعة ظل قلبها ينبض أنماها بقوة حتى اذا ما بزغ الفجر وظهرت أشعة الشمس من وراء الافق وانتشر فى أرجاء الغرفة نور الصباح المبكر وقف القلب فجأة وفارقت الروح الجسد

اذن لقد ماتت ماري كورى . ويبد من ؟ بيد ربها الذى أخرجته من عالم الظلمات الى النور . وتمهدته طفلا ونما وترعرع فى كفها ، وبينما كان يصل الى القمة كانت هي تهوى بقواها وصحتها الى الخضم .. كتب مدير المصححة تقريراً عن وفاتها يقول فيه : « توفيت مدام بير كورى بمصححة سائز سلمور فى ٤ يوليو ١٩٣٤ وكانت الوفاة نتيجة اصابتها بفقر دم حيث سببه تعرضها لاشعاعات الراديوم »

مصطفى الربواتى

موقف الرجل من المرأة في فن التمثيل

لدؤساند زكي طليمات

المدير الفني لفرقة المسرحية للتمثيل والموسيقى
ومفلس شؤون التمثيل بالمعارف

يذهب بعض الاجتماعيين الى أن المرأة في مجال نشاطها الحديث تنحرف تدريجاً عن مهمتها الأساسية في الحياة المنزلية الى الاشتغال بهام لم تكن لها في سابق الأزمان . فهي تزاوم الرجل في ميادين الأعمال المدنية المختلفة ، بل انها تتجاوزها الى ساحات القتال ، وهم يرون في هذا تطرفاً قد تنقلب معه أوضاع الحياة العالمية كما يرى فريق آخر انه استعداد صريح على مهام الرجل وتنافس له ما بعده من اضطراب الأحوال . لهم ما يذهبون اليه قلنا هنا للمناقشة في هذا ولكننا نقرر ، ما داموا يذكرون استعداد المرأة على الرجل ، أنه جاء حين من الدهر أبعد منذ ثلاثة قرون في اسبانيا وأقرب منذ نصف قرن في مصر ، كان الرجل فيه يستعدى على المرأة استعداداً غريباً مضحكاً اذا كان يسلبها حقاً صريحاً من حقوقها في تولي العمل في حاجة من للمرأة . ومن المرأة

هو استعداد عجيب في نوعه يثير ضحكنا اليوم ، وكان ميدانه مسرح التمثيل ، فقد نحى الرجل المرأة عن اعتلاء المسرح ثمثل فوقه أدوار جنسها ليقيم هو مكانها بتمثيل هذه الأدوار في مختلف المسرحيات بعد أن يتزيا بزيتها ويتحلل صوتها ويقلد حركاتها مخططاً وجهه بالمساحيق والاصباغ ، مغطياً رأسه بجداول الشعر المستعار !
الرجل فوق المسرح يمثل دور المرأة أمام جماهير من الناس يصفقون له ويسحبون به !
أى استعداد من جانب الرجل وأى استكانة من جانب المرأة وخضوع ، وأى مزاج كان الجمهور عليه ؟

ظاهرة اجتماعية تبدو لنا اليوم على غرابة لا تنتهي لمخالفاتها المألوف ومخالفاتها المزاج السائد ، فانا اليوم مهما قلبنا هذه الظاهرة على وجوهها المختلفة فلن نجد فيها موضعاً للاستساعة والقبول ، بل ان مجتمعنا المعاصر ليشتد ويتبرم اذ يرى رجلاً ، كانت مآكاته سنه ووسامته وموهبته ، يتلوى فوق المسرح متكلفاً أنوثة المرأة بعد أن يقوم شخصيتها ويرتدى لباسها مؤدياً دورها في إحدى المسرحيات . بيد أن هذه الظاهرة كانت تبدو

للرجل الانجليزى حتى أواسط القرن السابع عشر وليس فيها موضع للتأمل ولا مثار للدهشة ، بل كان يعبر بها من غير أن يعيرها التفاتا . لهذا فإن أول ما تجره فينا هذه الظاهرة من تأملات : كيف تأتى ان أصبحنا اليوم ننكر ما كان يقره الأقدمون ولا نجد مذاقا لما كانوا يستسيغونه ؟ ولكن سرعان ما نجد الجواب باعتبار أن المزاج العام للمجتمع لا يقيم على حال ، وأن البشرية فطرت على التحول والتقلب تغير من نظرتها الى الأشياء بتغير الأزمان

ثم ترى تأملات أخرى يحلق الخيال بعضها الى آفاق الفكاهة والسخرية ، فنحاول أن تمثل كيف كانت « جوليت » مثلا تطارح « روميو » الغرام الملهب وتبادلته العناق الرقيق . وذلك فى مناسبة شكسبير الخالدة وفى زمنه - وجوليت هذه يؤدى دورها رجل سبط الموسى على طيته وشاربيه ، يتكلف أنوثة ليست فى طبعه ورقة ينكرها جنسه ، ويعمل صوتا لين المكسر ليس فيه شيء من النبر النسوى الدافئ ، وقد نبشتم وقد تضحك اذا تخيلنا ماذا يكون حاله لو سقطت من فوق رأسه جدائل الشعر المستعار ؟

بيد أن أمرا واحدا يظل يراود خاطرنا وقد يستبد به ، مآته التشوف الى المعرفة ، أين الأصول فى هذه الظاهرة ؟ وكيف نشأ هذا التقليد العجيب فى ان يقوم 'الرجال' بأدوار النساء فوق المسرح ؟

المرأة فى المسرح الاغريقى والمسرح الفرعونى

الاغريق ، أو قدماء اليونان ، هم بناء المسرح ، وهم أول من رفع العرض التمثيلى المرتجل الى مرتبة الفن الكامل ، ومن مسرحهم خرجت أول أوضاع الفن المسرحى وتقاليد ، وهى أوضاع وتقاليد ما زال بعضها تخلفا طابعا على مسرحنا حتى اليوم

لدى هؤلاء الاغريق الاساتذة الفنانين نجد الاصل لتلك الظاهرة الغريبة ، قيام الرجال بأدوار النساء فوق المسرح ، كما نجدها أيضا فى المسرح الفرعونى الذى سبق المسرح الاغريقى فى معالجة شؤون أرباب العقيدة المصرية القديمة

وقد تعجب كيف تأتى أن الاغريق تورطوا فى هذا وقلبوا رأسا على عقب وضعا طبيعيا منحرفين كل الانحراف عن شريعة انزال الامور منازلها الصحيحة ، وهم أهل فن عريق مجيد ، وبناء مدينة زاهرة ، يمتاز فهم بالمنطق والمقول والوضوح والاعتدال والاتساق ، وينزع نزعة مثالية نحو الجمال ؟

فى الحق انهم تورطوا فى هذا على الرغم مما ذكرنا من سمات فهم الرفيع فى النحت والزخرفة والبناء ، ومرجع هذا أن فن التمثيل فى نشأته ومرحلته الاولى كان موقوفا لديهم على شؤون الالهة ومناسك الدين ، يقوم بأعبائه الكهان دون سواهم من طبقات الشعب ، فكان أمرا واجبا ألا تتدخل النساء فى شؤون هذه الناحية من المراسم الدينية الرفيعة ، لا سيما وأن الحوار فى تلك المشاهد التمثيلية كان خاليا من أدوار النساء

ونجد نفس الحال في المسرح الفرعوني الذي كان لشؤون الآلهة فحسب في هذين المسرحين اللذين يعتبر كل منهما مظهرا من مظاهر مدينة عظيمة نجحت هذه الظاهرة الفرعية ، ولم يجرؤ أحد على انتقادها ومناقضتها نظرا لالتصاقها بشؤون الدين . بيد أن المسرح الاغريقي ترك معالجة احوال الآلهة الى شؤون الدنيا والناس ، ووضع الشعراء ادوارا للمرأة في مسرحياتهم ، ومات المسرح الفرعوني بين جدران الهياكل ولم يخرج الى العالم الارضى ، ولكن هذه الظاهرة لم تمت .

اجل اصبح المسرح الاغريقي منقل الوان الحياة ومראה صورها ، ومن المعلوم أننا لا نرى الرجل في الحياة الواقعية يتشكل بشكل المرأة ويقوم بدور لها يستمد معنيته مما ركب فيها من أنوثة ورقة ودلال . كذلك تخلى رجال الدين عن أداء الادوار التمثيلية وتركوا هذا لعامة الناس ، وفي هذا كله الكفاء لان تختفى هذه الظاهرة من المسرح ، ولكن على الرغم من هذا لم تفارقه بل بقيت لاصقة به !

والسبب في هذا أن هذه الظاهرة أصبحت تقليدا امتدت جذوره مع الالام في تربة المزاج الاغريقي ، كما أنه يبدو لي أن الاغريق - وقد سمعت نظراتهم الى فن التمثيل وعظم اعتبارهم للثقمين به باعتبار أنه فن له قداسه ، اذ أنه منحدر من الهيكل ومناسك الدين - كانوا ينفسون به على النساء اذ يرون فيهن عنصرا متحولا طائشا لا يتكافأ مع الرجل في الجسد والرياسة والتقوى ، ولا شك في أن المرأة كانت ترمق من المجتمع بنظرة ظنينة تباليغ في تجسيم ما منيت به من ضعف ، فكان على الرجل أن يصونها عن مزلق الهوى ويحدها عن مواطن الاستمالة مهما سمعت أغراضها ، فلم ينحها عن الظهور فوق المسرح فحسب ، بل سلها حق التمتع في غشيان المسارح مع الجمهور المتفرج . وهناك سبب آخر متشابه ضرورات فنية تصل بين المسرح ومكان النظارة فيه ، لا شك في انها صرفتهم عن مراجعة هذا التقليد الخاص بإبعاد المرأة عن الظهور فوق المسرح كان الممثلون لا يبدون على المسرح بوجوههم الطبيعية ، بل كانوا يلبسون أقنعة (masks) كبيرة من الكتان المشدود أو الورق السميك المضغوط تغطي الرأس والوجه والعنق ، وقد ركزت في بعضها - وذلك بالقطع والتخطيط والتصوير - ملامح وجه الرجل في أهم مراحل الحياة ، وفي بعضها الآخر سمات وجه المرأة في أبرز أدوار العمر ، بقصد أن تزيد هذه الأقنعة في قامة الممثل وفي حجم رأسه ووجهه حتى تيسر رؤيته للنظارة بحال يعظم التأثير باجتلائه (١)

(١) مكان النظارة في المسرح الاغريقي مدرج كبير مترامي الاطراف بحيث يسع ما لا يقل عن خمسة آلاف شخص ، فكان الممثل ، بحكم هذا الاتساع بعيدا عن النظارة . ولهذا عند ممثل الاغريق الى الالفة كما صعدوا الى الاحدية ذات النعال المرتفعة السميكة (cothurne) التي كان يبلغ ارتفاع بعضها ١٥ سنتيمترا ، واتخذوا الثياب الغضائفة الطويلة . كل هذا ليزيد في حجم الممثل . أضف الى ما تقدم أن حلات التمثيل كانت تجري في وضع النهار من غير استعانة بالاضواء الصناعية.

ولا شك في أن وجود هذه الآفة قد أغرى الرجل الممثل بأن يبقى مثلاً دور المرأة، إذ ما كان أسير عليه أن يقوم بدورها ما دام الأمر لا يتطلب منه غير التخفى بقناع يحمل في رسمه ملامح وجهها وزى يشاكل زيها

المسرح الروماني

أما الرومان فكان حالهم من فن التمثيل غير حال الاغريق ، وان تعرفوا الى فنهم في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ثم أخذوا عنهم الكثير من أوضاعه وتقاليده . لم يتصل المسرح لدى الرومان بشؤون الآلهة ولم يعالج مناسك الذين كما كان الحال لدى الاغريق . ولهذا لم تكن لديهم نحوه قداسة واجلال . كذلك كان الرومان ينجذبون ميل الى المجون والرقص والموسيقى . وقد طغى حبهم لالعب الفروسية والمصارعة والمبارزة على كل شيء سواه . كان الملعب أحب اليهم من المسرح ، ولهذا كانت نظرتهم الى التمثيل والممثلين يجافيا الاحترام والتقدير ، بدليل أن ممثلي مسارحهم كانوا كلهم من الرقيق والعنوقين والأوشاب الذين لا مؤونة لهم من التقيف والحلق الطيب المتين ، وقد تألفوا فرقا ثابتة يتولى أمر كل منها رئيس ليس حفله من الاصل والحلق بأرفع من مروضيه ، هذا في حين أن الممثلين لدى الاغريق كانوا موضع التجله والاحترام ، فقد كان الشاعر مؤلف المسرحية يشكل فرقته بنفسه كلما دعت الحاجة من صفوة المتأدين ، وقد يقوم بتمثيل أحد أدوار المسرحية

أول ظهور المرأة فوق المسرح

يبد أنه على الرغم من هذه الحال فقد عمل المسرح الروماني مدة طويلة بالتقليد الاغريقي الخاص بإبعاد النساء عن التمثيل فوق المسرح ، ولا سيما في المآسي الرفيعة والفكاهيات الاخلاقية للشاعرين « سينيك » و « تيرانس » ونهجوا نهج أساتذتهم الاغريق في استعمال الآفة

غير أن الرومان كان يسعهم طبع الى الرقص والموسيقى كما أشرنا ، فابتدعوا رقص الجماعة ، ورفعوه الى مرتبة العرض المسرحي ، في حين أنه يجمع بين الايماء والاشارة السادرة mime وبين الحركات الايقاعية المثيرة للحس (١)

في هذا المجال يسجل التاريخ أول ظهور للمرأة فوق المسرح ، وهو ظهور لا يشرفها ويا لقسوة الرجل . فقد حجزها باسم التقليد عن العمل بالمسرح ممثلة تؤدي رسالة خلقية سامية ، ثم أطلقها فوق المسرح راقصة عربية الجسد تغري وتغوى وتلهب الحواس

(١) كان في روما وحدها ثلاثة آلاف امرأة يمثلن في هذا الرقص . وفي الوقت الذي كان يطرد فيه العلماء والمفكرون من العاصمة ويحاشى السكان آلام المبيعات ، كانت هانيك الرافعات يستمتعن بالبقاء والعيش الهين . وفي هذا اكبر دليل على خبل غشت روما براقصاتها

وهذه بادرة لا شعورية من جانب الرجل في تلك العصور تتم ولا شك عما يستهويه أن تكون المرأة عليه وأن تؤديه من وظيفة في الحياة ، سواء أكانت تحت سقف البيت أم في ظل المسرح . وهي بادرة جذيرة بالتسجيل في تاريخ موقف الرجل من المرأة

المرأة فوق المسرح

ومن ذلك الوقت امتدت قدم للمرأة الى المسرح ، فكانت تارة تستقر وتارة أخرى تقتلع ، وهي في الحالتين تتطوح بين التقليد القديم الذي حرمها العمل بالمسرح قرونا عدة ، وبين الحق الذي اكتسبه بظهورها في العرض الروماني الرافض ، وأخيرا رسخت قدمها في عصر النهضة Renaissance وهو وإن كان عصر رجعة الى حياة الذهن والعلم والادب بعد عصور الظلام في القرون الوسطى حيث سيطر رجال الكنيسة سلطانهم على المجتمع فخلعوا عليه مسحة التقشف وأقنعة الوقار والزهد ، فانه أيضا عصر فرح بالحياة وعهد اطلاق للحواس التي كانت تكابد مرارة الكبت ، وعصر حرية نسبية للوجدان فكان أن أخذت المرأة حلقها المشروع في اعتلاء المسرح ، ولا سيما في أوروبا اللاتينية . بيد ان مجالها في فن التمثيل لم يتجاوز نطاق فن الاداء التمثيل فقط واحتفت بالاقنعة من عالم المسرح

المسرح الانجليزي والتقليد القديم

ونفرد المسرح الانجليزي بالمحافظة على التقليد القديم في ابعاد المرأة عن القيام بدورها فوق المسرح . وهو موقف ينم عن الحب حقاً ، فان هذا المسرح الزاهر الذي سبق مسارح أوروبا كلها الى الخروج على أحرق تهايد الاغريق في صياغة المسرحية محطما قيود وحدتي الزمان والمكان (١) على يد العقري « ولیم شکسپیر » كما خالف شعراؤه المسرحيون الكتاب القدماء من الاغريق والرومان ومن نلى تلوحها بأن كتبوا المسرحية « بالشعر المرسل » Blank Verse بدلا من الشعر المقفى ، هذا المسرح المجدد في أخطر دعائم المسرحية وفي أهم أسس العرض التمثيل ، مما يضيق المقام بسرده ، وقف جامدا أمام ما خلفه الاغريق من تقليد شاذ في جعل الرجل يمثل دور المرأة حتى منتصف القرن السابع عشر

وأسماء الممثلين « ولیم أوستلر » و « روبرت جوش » و « جون أندروود » و « اسكندر كوك » يأتون في رأس قائمة طويلة بأسماء رجال ممثلين كانوا يقومون بتمثيل الادوار النسوية في روايات « ولیم شکسپیر » وغيره . والى الممثل الأخير يعزى فخر تأدية دور « كليوباترة وجوليت » على المسرح الانجليزي للمرة الاولى

(١) وحدة الزمان في صياغة المسرحية الاغريقية تقضى بأن تجري حوادث الرواية في يوم واحد . ووحدة المكان أن تقع هذه الحوادث في مكان واحد لا يتغير

وأعجب من هذا أن أدباء المسرح الانجليزى فى ذلك الوقت كانوا يزعمون بهذا الوضع ويخبرون به رجال المسرح الفرنسى ، ففى رسالة نشرها الناقد الانكليزى « ناث » عام ١٥٩٢ مفاخرا بالمسرح الانجليزى ، جاء فيها : « ان ممثلى المسرح الانجليزى ليسوا كممثلى المسرح الفرنسى جماعة من القوادين يستأجرون البغايا وأنصاف الحرائر ليقوموا بأدوار النساء على المسرح » !

بأى نظرة يرمى بها هؤلاء الانجليز المرأة المثلة وبأى مقياس يصدر عنهم فى تقدير العفة والشرف لدى المشتغلين بالمسرح فى غير بلادهم ؟ لا شك فى أن النزعة الطهرية Puritanisme كانت المعين الاول لهذه النظرة القاسية ، فان الطهرين بمخالاتهم فى أن يلقحوا العرف السائد ومثلث الحياة الواقعية بالحد والصلابة الخلقية قد انحرفوا الى المباداة بتقشف الصادف عن محاسن الدنيا وزهد التبرم بمفاتنها ، فطبعوا المجتمع الانجليزى بطابع من الصرامة والميوس كان له أكبر الاثر فى تخلف المسرح الانجليزى عن مجارة المسارح الاوربية الاخرى فى القضاء على ذلك العرف الشاذ ، كما نحى المرأة الانجليزية عن مجالة النشاط الذهنى والعملى التى كانت تضرب فيها المرأة الاوربية . وفوق هذا فان فى طبيعة الانجليز عنادا موروثا فى تمسكهم بأذيال التقليد ، ولا سيما من الناحية الشكلية . وقد ترجع تمسك الانجليز بتحية المرأة عن المسرح ومجارة الاغريق فى هذا الى أنهم ، وقد أصرغوا فى القضاء على اكثر التقاليد الاغريقية الخاصة بصياغة المسرحية وحرية المسرح ، أخذتهم أخيرا نكسة الى الماضى ما تاهوا رد الفعل الذى يقب كل انطلاق وتطرف ، فتعلقوا بهذا التقليد النافذ

فصل عييب ١١

وتاريخ اعتلاء المرأة الانجليزية أرض المسرح تؤدى عليه أدوار جنسها حادث مثالى للنضال الذى يستمر بين تقليد قديم مناصل يقتحمه تقليد جديد ناثى ، سجلت عنه أعجب النوادر . ففى سنة ١٦٢٩ هبطت مدينة لندن فرقة فرنسية قدمت بعض مسرحياتها فثار المحافظون وكب « برين Pryze » رسالة تمث فيها المثلثات الفرنسيات بأنهن « عاهرات فواجر ذوات حذق فى تصيد الرجال » فغضب الملك والمملكة وأثيرت هذه المسألة فى البرلمان وحكم على الناقد بالسجن وحرفى كل ما طبع من رسالته !

وجاءت فرقة فرنسية أخرى بعد ست سنوات ، ثم تلتها فرق أخرى لم تلق القبول والتشجيع الا من الملكة ، بيد أن الجمهور الانجليزى أخذ يروقه الامر ، ولكنه لم يسمح للمرأة الانجليزية بأن تغنى المسرح . وأخيرا فى سنة ١٦٥٤ ظهرت على المسرح أول امرأة انجليزية واسمها « مدام كولن » فى مسرحية « حصار رودس » وكان دورها ناثيا وكانت تتمش فى تمثله خجلا !

وفى عام ١٦٦٣ رأى الجمهور الانجليزى ممثلة انجليزية تمثل دور « ديدامونة » فى

مسرحية « عليل » وقد مهد لظهورها بقصيدة صاغها أديب شاعر وقف بقلعها على المسرح قبل رفع الستار يستأذن فيها الجمهور بلسان المعنلة ويستجدي عطفه ويلتمس رحمته ، جاء في نهايتها : « أنسميه جريمة ما يعدونه شرفا في فرنسا ؟ ان الأزواج في كل الممالك الأخرى لا يحسون ما يخذش الادب اذ يرون امرأة فوق المسرح ، صدقوني ليس في الامر ما يعيب وانما العيب يرجع الى العادة فحسب »

ولكن هذا الشاعر تناسى ولا شك أن العادة أقوى من المنطق والمعقول ! أجل العادة وسيطرتها فانه على الرغم مما تقدم ، عاودت المسرح الانجليزي نكسة الى التقليد القديم ، واستمر هذا النضال حتى انتهى بفوز المرأة ، فرسخت قدمها على المسرح نهائيا ، وأخرج المسرح الانجليزي أشهر الممثلات وأقدرهن بعد أن كان العقل الاخير في أوروبا لهذا التقليد العجيب

في المسرح المصري

وليس عجيبا ، بعد ما تقدم ذكره عن موقف المرأة من المسرح في بلاد هي مهد للمسرح ومدارج لشأنه وازدهاره أن نرى المسرح المصري يجتاز نفس الطريق . أجل كانت أدوار النساء نهبا للرجال يمثلونها ولكن من غير استعانة بأقنعة الاغريق يفلتون بها وجوههم وما زال يعاصرنا ممثلان (١) ممن كانوا يقومون بأدوار النساء في مختلف المسرحيات ، اذ لا يخفى أن تاريخ المسرح باللسان العربي لم يتجاوز سبعين عاما

ولا شك في أن الاخذ بهذا التقليد لم يكن لتأصله في المسرح المصري الحديث لانتا محدثين فيه باللسان العربي ، لا تقاليد لنا ولا وراثه ، وانما يرجع الى شؤون الدين ، والى الحجاب ، والى مركز المرأة هامة في الشرق من حياة العمل خارج بيتها . وقد وجد أصحاب الفرق السيل الى تركه اذ استقدموا من سوريا ولبنان سيدات من غير الدين الاسلامي احترفن التمثيل وفمن بالادوار النسوية في مختلف الروايات

ويسجل مسرحنا الثاني اسم « هانم كوكب » كأول مصرية مسلمة احترفت التمثيل في وقت أحجمت فيه الفتيات المسلمات عن الاشتغال فيه وكان ذلك منذ نصف قرن تقريبا ولا شك في أن العرف القومي قبل قيام « قاسم أمين » بدعوته الى تحرير المرأة من الحجاب ومن الجهل ومن الركود ، لم يكن يقبل بأى حال أن تعمل المصرية في المسرح . وقد كان للحرب العظمى الماضية أثر ملموس في نظرية هذا العرف ، كما أن تعليم البنات وقد أخذ دورا جديا ، ساعد على أن تقتحم المرأة المصرية ميادين العمل الى جانب الرجل ، وأصبح المسرح المصري اليوم مجال عمل للمرأة المصرية مسلمة كانت أو مسيحية . فهي فيه ممثلة وناقدة وصاحبة فرقة يعمل بأمرها رجال ورجال !

زكي طليمات

(١) هما الاستاذان عمر وصفي الممثل الكبير وعبد العزيز الجاعلي الذي يعمل الآن في الفرقة المصرية

الوحدة الأوربية

للكونت كودنر هوفن بايرجى

مفتى حركة « توحيد أوروبا »

أوروبا اليوم أصغر من بريطانيا منذ قرن . لا أعنى أنها أضيق مساحة وأقل حجماً ، وإنما أعنى أن أطرافها النائية غدا بعضها أقرب الى بعض مما كانت فيما مضى . فالوقت الذى يتقل فيه المرء من لندن الى روما الآن ، أقصر مما كان يكفى للسفر من لندن الى جلاسجو القريبة منها

وهكذا أدى التقدم العلمى فى العصر الحديث الى تغير الظروف التى وجهت سياسة العالم فيما مضى ، والتى ما تزال تحكم قسراً فى هذه السياسة الى يومنا هذا

بل ان أوروبا غدت فعلاً وواقعاً أصغر مما كانت منذ ربع قرن فحسب ، وذلك منذ قامت فى روسيا - التى تشغل نصف القارة تقريباً - دولة شيوعية لها من النظم والامور الاقتصادية والسياسية والثقافية ما يبعد بينها وبين سائر أوروبا ، فلم تعد كلمتا « أوروبا » و « أوربي » تطلقان الا على ما لى حدود روسيا الى الغرب . أما فيما مضى فكانت روسيا إحدى دول أوروبا ، وكانت سبيلها مستعمرة لها فى قارة آسيا ، فصارنا اليوم وحدتين فى « الاتحاد السوفيتى » الذى يصح ، بل يجب ، أن يعتبر قارة قائمة بين آسيا وأوروبا : وكيف لا ومساحة هذا الاتحاد قدر مساحة جاراته أوروبا أربع مرات ؟

ثم اننا اذ تلقى أبصارنا عبر المحيط الاطلنطى على شواطئ أمريكا ، نرى قوة حركة قوية ناشطة تعمل لجمع القارتين الأمريكيتين فى وحدة واحدة تضم جميع ما فيها من جمهوريات تحت زعامة الولايات المتحدة التى تزيد مساحتها وحدها عن مساحة أوروبا بأسرها

وظاهرة أخرى يجب أن نذكرها ونقدرها فى بحثنا هذا ، وهى تلك الجهود التى تبذلها اليابان لتوحد « الاقوام الصفراء » جميعاً فيما تسميه « اتحاد الشرق الأقصى » الذى يضم ستمائة مليون نسمة من سكان الصين واليابان . ولو قدر لهذه الجهود أن تؤتى نتائجها لقامت هناك كتلة صفراء تستطيع فى مدى جيلين اثنين أن تكون أعظم وأضخم قوات العالم طراً من الوجهتين الصناعية والحربية

والى جانب هذه الوحدات الكبرى التى تبذل الجهود فى سبيل انشائها ، نجد وحدات اقتصادية وسياسية ضخمة قامت فعلاً خارج أوروبا . وأهمها وأكبرها هو تلك الوحدة التى تسمى الامبراطورية البريطانية ، مشتملة على كندا التى تكبر أوروبا فى مساحتها ، وعلى استراليا التى تضاهي رقعتها رقعة أوروبا ، وعلى الهند وهى قدر أوروبا فى مساحة أرضها وفى عدد سكانها أيضاً

وبين هذه الوحدات الكبرى وقف قارة أوروبا مقسمة ، بل ممزقة ، الى اثنين وثلاثين دولة سياسية ، والى عدد كبير من الوحدات الاقتصادية التى لا يربطها بعضا ببعض أى رباط أو نظام . وهكذا يقضى هذا الجزء من العالم عائسا فى فوضى مطلقة ، فكل دولة من دوله تسعى الى أن تحطم وتخرّب ما يجاورها ، وكلها جميعا تسلح وتتأهب للقتال والاضراب ، وكلها تندفع طوال عهود السلام القصير ، الى الدخول فى حروب كبيرة تنتهى بالويل عليها جميعا

ومن المحقق أن هذه الحروب الأوروبية لن تقف رحاها أبدا ما بقيت أوروبا مقسمة ممزقة ، عاجزة عن توحيد أجزائها جميعا فى اتحاد قوى يضع حدا لما بينها من فوارق وخلافات فى السياسة والاقتصاد والثقافة

وقد أرادت عصبة الأمم أن تقيم شيئا من التآلف والانتظام بين دول العالم جميعا . فأخفقت ، وكان اخفاؤها محتوما ، لأنها لم تسر وفق قانون التطور ومنطق الامر الواقع . اذ أرادت أن توحد العالم قبل أن تبدأ بتوحيد أوروبا . وهكذا رسمت المثل الأعلى للمستقبل وأخذت تسعى اليه ، وكان عليها أن تبدأ بأدراك مشكلة الحاضر وتعمل لحلها ان عصبة الأمم ، العالمية ، التى تضم أمم العالم جميعا يجب أن تبقى مثلا وهدفا تسعى اليه فى مستقبل الأيام . أما الآن فيجب أن نتعلم من الاخفاق درسا بلينا ، خلاسته أننا لا نستطيع أن ننظم العالم الا بعد أن نتجبع فى تنظيم تلك المناطق التى ما تزال تصير وفق شريعة الغاب وقانون الادغال : وفى مقدمتها جميعا قارة أوروبا

وهكذا تكون فكرة توحيد أوروبا جزءا لا يتفصل من فكرة توحيد العالم كله . وما هى الا الخطوة الاولى التى يجب أن تخطوها فى ذلك السيل الطويل ، وما هى الا الخطوة الاولى التى يجب أن تثبت عليها أقدامنا أن أردنا أن نجتاز ما يلها من الدرجات ، سعيًا الى هدفنا الأقصى

مهمة بريطانيا فى الوحدة الأوروبية

كيف السيل الى هذه الوحدة الأوروبية المنشودة ؟

اذا أطلقت يد ألمانيا فى أوروبا دون أن تبها قوة بريطانيا ، ففى وسع هذه القوة الحربية الهائلة أن تجعل من القارة الأوروبية كتلة واحدة خاضعة للسيادة النازية ، دون أن تقوى أية دولة أوروبية على أن تحول بينها وبين أن تقوم فى أوروبا فى عهد هتلر ، بالدور الذى قامت به بروسيا فى ألمانيا فى عهد بسمارك ، فكما نشأ الاتحاد الالماني تحت امره بروسيا فيما مضى ، ينشأ الاتحاد الأوروبى تحت سيطرة ألمانيا غدا

والقوة الوحيدة التى تستطيع أن تحول دون فرض ديكتاتورية ألمانيا على القارة الأوروبية ، والتى تستطيع أن تقيم اتحادا أوروبا على أساس المساواة بين شعوب أوروبا كبيرها وصغيرها ، هى قوة بريطانيا العظمى

واذا قررت بريطانيا أن تأخذ على عاتقها زعامة أوروبا الادبية ، فإن ثلاثة أرباع هذه القارة سينقاد لها عن طيب خاطر ، بل سينقاد لها مخلصا متحمسا . بل انى على يقين من أن الربع الباقي من أوروبا سينضم في القريب العاجل الى هذا الاتحاد الاوربي العظيم ، وسيطرح عن نفسه كل هذه القوات والعناصر الرجعية التى تقاوم هذا المشروع السياسى الاقتصادى الهائل

ولا غربة في هذا ، فإن مثل هذا الاتحاد الاوربي يتيح لشعوب أوروبا من المزايا ، ويجنبها من الاخطار ، ما يكفل اقبالها على انشائه ، واخلاصها في تدعيمه . فسيحقق في أرجائها سلما دائما ، وسيخفف عن كاملها أعباء التسلح الثقيل . وليس هذا فحسب ، بل انه سيحقق لشعوب أوروبا مستوى عاليا من الحياة ، تتم فيه الطبقات العاملة بكثير من عناصر الرخاء ، بأن يجعل من أوروبا بأسرها سوقا فيسحة رائجة

انظر ماذا يحدث اليوم في حياة أوروبا الاقتصادية ، تر صناعات دولها المختلفة تتنافس بل تتحارب ، معا في عنف وهوس . فتضطر جميع هذه الدول الى أن تبحث لمصنوعاتها عن اسواق تبيعها فيها بأرخص مما يبيع جيرانها ومنافسوها . فتطرق بها هذه المنافسة الى تخفيض أجور عمالها والهبوط بمسوى حياتها ، وارهاق طبقاتها العاملة بما لا قبل لهم من ضروب الحرمان . وهكذا ينشأ التنافس والتضارب بين السياسة الاجتماعية والسياسة الاقتصادية في أوروبا ، وهكذا تور فيها روح القلق والتعرد والعصيان ظاهرة حيناً وخفية في أكثر الأحيان ، ولكنها على كل حال روح يندّر بكثير من الوبال

وستظل هذه الحال السيئة فجة ما بقيت أوروبا مقسمة الى تلك الوحدات التى تفصل بينها أسوار ضخمة شاهقة تسمى الحواجز الجمركية . ولن يستطيع أى اصلاح اجتماعى في داخل هذه الوحدات أن يرفع من مستوى الحياة فيها . وإنما الطريق الوحيد الى رفع هذا المستوى هو تنظيم أوروبا الى وحدة اقتصادية ونقدية متوائمة الاجزاء ، فلا تضطر الى أن تعيش على خلفة تصدير منتجاتها ، بل تستطيع ان تبيع كل ما تنتج أرضها ومصانعها مضافا الى ما يأتيها من مستعمراتها في آسيا وأفريقيا ، في السوق الاوربية الكبرى . وبذلك تتلافى سيئات المنافسة بين أجزائها ، وبذلك توفر لأوروبا سائر مطالبها الاقتصادية

وحالما يتيسر انشاء هذا الاتحاد الاوربي ، تغدو السياسة الاقتصادية والسياسة الاجتماعية متفتحتين غير متضاربتين : بمعنى أنه كلما ارتفع مستوى الحياة التى تنجها الطبقات العاملة ، تيسر لها أن تزيد من قوتها الشرائية التى تستهلك منتجات أوروبا الصناعية والزراعية واذن فإن كل سياسة اجتماعية اصلاحية في أوروبا يجب أن تطالب أول ما تطالب بتحقيق فكرة الاتحاد الاوربي ، هذا الاتحاد الذى يجب أن يتهيا له من القوة والغنى ما يمكنه من الوقوف جنبا الى جنب مع الاتحادات الكبرى في أمريكا ، وفي الشرق الأقصى ، وفي روسيا

تاريخ حركة «توحيد أوروبا»

بدأت هذه الحركة منذ عشرين سنة تقريبا . فعند ما قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن تسحب من عصبة الأمم ، بدأت هذه الحركة تبذل جهودها . واتخذت مدينة فينا مركزا لادارتها ، وفيها عقدت أول مؤتمر لها في سنة ١٩٢٦ . ولما ظفرت بتأييد نفر كبير من القادة والساسة في جميع بيئات أوروبا الديمقراطية ، دعت السباسب الفرنسي الكبير اراسبب بريان في سنة ١٩٢٧ الى رباسبتها . وقبل بريان هذه الدعوة ، وظل حتى وفاته في سنة ١٩٣٢ عاملا لتحقيق فكرتها سابعا الى تعزيز مكائتها

وقد دعا بريان في سنة ١٩٢٩ جميع حكومات أوروبا الى بحث مسألة «الاتحاد الاوربي» . والى التفكير في أسبب السبل الى انشاء هذا الاتحاد

ثم طبع في مايو سنة ١٩٣٠ . مذكرته . المشهورة اللى ضمنها رأبه في توحيد أوروبا ، وخطته في تحقيق هذا الاتحاد . وفي اليوم الذى نشرت فيه هذه المذكرة على ملاء الاوربيين عقدت الحركة مؤتمرها الئامى في برلين

على أن جهود بريان اخفقت ، لان التربة اللى ألقيت فيها هذه البذور لم تكن أعدت بعد لانبائها . فلم تكن سماء أوروبا غامت بعد بسحاب الازمات الاقتصادية والسباسة اللى انتشرت وبراكمت فيها بعد ذلك بقليل ، واللى لم تلبث أن أثبتت للناس جميعا ضرورة تحقيق الوحدة الأوروبية عاجلا . وهكذا مات بريان ، هذا السباسب الانسانى العظيم ، قبل أن يرى فكرته تتجاوز اذان المفكرين والمصلحين الى عقول الساسة ودور الحكم

وتابعت حركة «توحيد أوروبا» جهدها بعد موت بريان . تابعت دون أن تظفر بتأييد أحد من دول أوروبا الكبرى ، ففصرت جهدها هذا على المباحين الأوروبية والاقتصادية وحدها . وعقدت مؤتمرها الثالث في بال سنة ١٩٣٢ ، ومؤتمرها الرابع في فينا في سنة ١٩٣٥ وأخذت آفاق أوروبا تظلم شبا فشيئا ، وأخذت مشاكل أوروبا تتعاقم يوما فيوما ، فبدت في اذان المفكرين الحاجة الى الوحدة الأوروبية أمس والزم مما كانت في أى يوم مضى . نعم ، ضعفت الحركة من الوجهة العملية ، ولكن تأثيرها المعنوى ازداد قوة وعمقا . وانى على ثقة بأنه لو أجرى حينذاك تصويت حر بين شعوب القارة الأوروبية لصوتت بأغلبية ساحقة تأييدا لفكرة «الولايات المتحدة الأوروبية» اللى تضمن لكل دولة استقلالها القومى ، وتضمن للدول جميعا اتحادها في سياستها الخارجية ، وسياستها الحربية ، وسياستها الاقتصادية

ولكن مفتاح المشكلة الأوروبية لبس في يد أية دولة من دول القارة ، بل في يد دولة يفصلها عن القارة بحر عريض : في يد بريطانيا ، فلو رضيت بريطانيا بأن تتولى الزعامة الادبية لهذا الاتحاد الاوربي لسارت القارة ورامعا ، واثقة من أن هذا هو السبيل الى حريتها ، والى أمنها ، والى رخائها

هناك عقبة كبيرة تبدو حائلة بين بريطانيا وبين قيامها بهذه المهمة . تلك هي حيرة بريطانيا بين العناية بشؤون امبراطوريتها وبين تدعيم مكانتها في القارة الاوربية ، فكثير من السياسيين البريطانيين يخشون أن يؤدي توثيق الصلة بين بريطانيا وأوروبا الى اضعاف الصلة بينها وبين امبراطوريتها . ولكنى أراهم مخطئين فيما يرون . فبريطانيا في حاجة الى أن يكون الى جانبها قارة آمنة هادئة ، ورخية رائجة ، لتأمين ما وراء ظهرها حين تريد الانصراف الى شؤون امبراطوريتها المترامية في أرجاء العالم . انها في حاجة الى جوار آمن مسالم لا يضطرها الى ابقاء قواتها الحربية معبأة في جزيرتها ، لتستطيع أن توجه أساطيلها البحرية والجوية الى حيث تشاء من أرجاء العالم

أما ان ظلت أوروبا فيما هي فيه من الفوضى ، فستضطر بريطانيا الى تركيز اسطولها وطائراتها الى جانب أوروبا ، وبذلك تفقد في يوم ما بعض مناطق قاراتها المهمة . واذا انسحبت بريطانيا من القارة الاوربية تركت ألمانيا قادرة على أن تسودها يوما ما قد لا يكون بعيداً . وانسحاب بريطانيا من شؤون أوروبا بعد هذه الحرب لن يمنع ألمانيا من النهوض مرة أخرى واستئناف عدوانها بعد عشرين عاما . . . وبذلك يأتى اليوم الذى نخشاه بريطانيا ، يوم تقع أوروبا في قبضة احدى دولها ، تنفرد بها وتجعل منها خطرا رهيبا على بريطانيا ، وهو اليوم الذى كاد أن يأتى يوم أشرف هتلر على تحقيق غايته في جعل أوروبا دولة واحدة ينسبط عليها جميعا لواء الصليب المعقوف . واحقاق هتلر اليوم ، لا يحول دون نجاح سواء غدا ، ان أثرت بريطانيا بعد الحرب أن تنصرف الى أملاكها فيما وراء البحار ، تاركة فكرة « توحيد أوروبا » تتولاها احدى دول القارة الطامعة الى بسط لوائها أو اذاعة نظامها

(ملخص مقال في مجلة لايفر الانجليزية)

ماذا قالوا عن الضحك

- ينبكي مما يضافض رغائبنا اذا كان الامر جدا خطيرا ، ونضحك مما يخيب ظننا اذا كان الامر هزلا يسيرا
- « وليم هازلت في ١٨١٨ »
- ينبت الضحك من فطر ما فينا من طاقة ونشاط
- « هيربرت سبنسر في ١٨٦٣ »
- سر الضحك من العودة الى الطبيعة : ذلك ان الضحك تعبير عن الماطلة المكبوتة عند انطلاقها فجأة ، كما كانت تنطلق حرة جريئة قبل قيام الحضارة
- « سيلفيا بليس في ١٩١٥ »
- الضحك علامة المرح كما أن الدموع علامة الألم . وكل من يسرف في هذا أو ذاك غافل . يعمل نفسه أكثر مما تطبيق
- « فولثير في ١٧٦٤ »
- الضحك دليل على أن المرء تجرد من طهارته . فان أبسط ضحكة لا يمكن ان تنطلق الا بعد أن يبدو المرء مجردا من كل براعة وطهارة . . . ذلك ان الضحك دليل على شعور المرء بتفوقه على سواء وسيادته على الآخرين
- « شارل بودلير في ١٨٦٩ »

أغنى أسرة في العالم

أسرة دي بونت هي أعلى الاسرات الامريكية شأنا ، ومعنى أوفر أسرة في العالم نراء . فثروتها تفوق ثروة أسرة روكفلر ذاتها ، فان شركتين اثنتين من الشركات العديدة التي تملكها تأتي بدخل سنوى قدره مائة وخمسون مليون دولار . ويرجع الفضل في تضخم ثروتها وتكديسها الى انها أسرة متماسكة بعضها ببعض ، يتزوج ابناؤها من بناتها ، فظل ثروتها فيها لا تسرب منها الى الاسر الاخرى

نشأت هذه الاسرة من بارود المدافع التي كانت تحارب بها أمريكا دفعا عن حريتها حين كانت مستعمرة خاضعة لبريطانيا . فظلت أدوات الحرب وذخايرها أهم صناعات الاسرة وتجاراتها ، فهي تملك اليوم عددا من أعظم المصانع الامريكية التي تنتج أسلحة الحرب ومفرقاتها ، الى جانب المصانع الضخمة التي تنتج السيارات ، والاصباغ ، والحرير الصناعي ، ثم هي تكاد تمد يدها الى كل عمل صناعى في أمريكا ، بما لها من نفوذ عظيم في سوق الصناعة وسوق المال على السواء

وتتصدر أسرة دي بونت الجبهة التي سماها روزفلت « أعدائى ذور الدم الازرق » . أى أعداؤه ذور الثروات والاملاك الضخمة الذين ألحق عليهم تيمة ما أصاب أمريكا في السنوات الاخيرة من أزمات اقتصادية عنيفة . كادت تقوض هيكل الحضارة . وقد انفتحت الاسرة خمسمائة ألف دولار في جهود ودعايات شتى أرادت بها اسقاط روزفلت في انتخابه الثانى لرئاسة الجمهورية ، لان مشروعه المعروف بنظام التعامل الجديد New Deal كان ضربة قلبية للجبهة الرأسمالية العاتية التي تزعمها أسرة دي بونت . ولكن هذه الخصومة الحادة لم تحل دون التصاهر بين أسرة دي بونت وأسرة روزفلت ، فتزوج الابن الثالث للرئيس بالانسة « ايثل » كريمة يوجين دي بونت الذى يعد أحد أفراد « المركز الرئيسى » في مجلس العائلة

وقد أحدث هذا الزواج دهشة وضجة في الاوساط الامريكية . أولا لما بين الاسرتين من خلاف وخصومة ، وثانيا لما عهد في أسرة دي بونت من الرغبة في إبقاء بناتها ازواجا لايائتها . ولكن الذين يعرفون منشأ الاسرة وتاريخها لم يعجبوا من هذا الزواج الذى تم على ما فى طوايا الاسرة من اسباب الفرقة في المسائل الخاصة . فمئذ مائتى سنة حلت هربت القتلة « أنا دى موتشان » من قصر أبويها اللذين كانا من ثروة الطبقة الارستوقراطية فى باريس ، لتتزوج من شاب فقير يعمل فى صناعة الساعات اسمه « دى

بونت . . وكان هذا الزواج هو مبعث تلك الأسرة التي تفوق أية أسرة في العالم غنى وثراء

ذلك أن تلك الفتاة أصرت على أن تجعل من ابنها شيئا مذكورا . وكان هذا الابن فتى نشيطا ذكيا ، وقد جهدت أمه كثيرا لتمكنه من أن ينزل إلى الحياة مؤهلا بنصيب كبير من التعليم والثقافة ، وضحت في سبيل ذلك بأشياء لا قبل بها لأكثر الامهات . ولكن آمالها في هذا الولد صدمت صدمة عنيفة ، حين أصيب بمرض الجدري اصابة بالغة ، ظل يقاسمها عدة أيام حتى قرر أطباؤه أنه فارق الحياة . . وبينما هم في شغل بالطقوس التي تقام قبل دفن الميت ، اذا بالأم الكسيرة القلب تقول من حولها اني أظن أن ابني ما زال حيا . . وما هي الا دقائق حتى دبت في ذلك الجسد رعدة الحياة . وعاش ذلك الفتى ، وعاشت أمه طويلا ، فلم تمت الا بعد ان رأت ابنها شابا مزدهر المستقبل ، فكان لها من الراحة في ختام حياتها ما عوض عليها ما لقيت من الشدة والعت في بدايتها ولم يجد هذا الفتى ، وكان اسمه بير صمويل ، فرصته ولا راحته في وطنه فرنسا ، فهجره إلى امريكا ومعه ابنه فيكتور وايرنى فوجد في وطنه الجديد مرادا فسيحا ينشوء فيه تلك الأسرة

وحدث أن خرج ايرنى في رحلة للصيد فتفد ما كان معه من بارود البندقية ، فاشتري بعض البارود الذي يصنع في امريكا ، فوجده أغلى ثمنا وأقل جودة من البارود المستورد من إنجلترا . . فسرعان ما وجد الشاب في هذا فرصته الذهبية ، وسرعان ما انشا أعظم مصنع في امريكا لانتاج البارود . ومن ذلك الحين يزعم اسم « دى بونت » صناعة المفرقات في العالم الجديد

ووجد ايرنى كثيرا من التأييد والتشجيع عند ما عاد إلى وطنه فرنسا مسلحا إلى تدعيم مصنعه الكبير بالاجهزة والخيلاء . ووجدت الحكومة الفرنسية أن لا سبيل لها إلى منافسة تجارة البارود الانجليزية في امريكا ، فعملت لتمكين دى بونت من مزاحمتها باتنتاج مصنعه في السوق الأمريكية ، فأمدته بما يلزمه من الآلات والاجهزة بأسعار انتاجها ، وأطلعته على ما في مصانعها من أسرار قيمة تمكنه من انتاج أجود أصناف البارود ، وقدمت له كل ما لها من خبرة ونصيحة

ونجح مصنع دى بونت نجاحا عظيما مطردا ، ففي سنواته الست الأولى كانت أرباحه ٢٠ ٪ . من مبيعاته ، فمما رأس ماله نحو عظيم . وكان تزايد سكان امريكا واتساع آفاقها يوما فيوما مدعاة للأقبال والتهافت على منتجات مصنع دى بونت حتى في أوقات السلم . ثم جاءت الحرب الأهلية الأمريكية فقفز المصنع إلى الامام ففزة نشيطة فسيحة ، وانشئت على عجل إلى جانبه مصانع أخرى ، لتسد حاجة الجيوش المتحاربة إلى العناد والذخيرة . فتكدست الأرباح في خزائن دى بونت تكدسا هائلا ، شهدت مثله مرة أخرى عند ما قامت الحرب الكبرى الماضية

وتولت أسرة دى بونت ادارة مصانعها ومشآتها المختلفة بنفسها ، ولم تعهد الى أجنبى عنها بالمراكز الرئيسية فى هذه الادارة . ودلت على أنها انجبت فى كل جيل من بين الاخوة وأبناء الاعمام فردا أو عدة أفراد لهم من الكفاية والقدرة ما يمكنهم من ادارة هذه الاعمال الضخمة ادارة ناجحة موفقة تطرد بها الى الامام

وكان من أبرز أسماء هذه الاسرة « هنرى دى بونت » الذى تولى أمرها أربعين سنة انتهت فى سنة ١٨٨٩ . وتعد هذه الفترة العصر الذهبى فى تاريخ الاسرة ، ففيها أنشئت أضخم مصانعها ، وفيها دعمت أكبر مشآتها

وكان هنرى هذا رجلا غريب الأطوار . فكذب كل ما كتب من الرسائل بريشة قديمة منتزعة من جناح طائر ، وأبى أن يتخذ فى كتابته الأفلام الحديثة . بل أبى أن يركب القطار ، وأصر على أن يسافر فى عربته أو على ظهر جواده . بل كان يسخر من المفرقات الجديدة مثل الديناميت ، ويراهها عديمة الجدوى . ومع أن الناس جبا تبينوا أن هذه المفرقات ستقضى قضاء تاما على مادة البارود القديمة ، فإن هنرى رفض أن يغير رأيه ويحور مصانعه وفق الظروف الجديدة . الا أنه كان بعيد النظر واسع الحيلة ، فأنشأ اتحادا من جميع المصانع التى تنتج الذخائر والمفرقات ، وكان مصنعه بطبيعة الحال هو رأس هذا الاتحاد ، وبذلك أمن المنافسين الخطيرين ، بل عمل لاضفاف نفوذهم وتضييق سوق البيع عليهم

ولم تخل أسرة دى بونت من الفضائح العائلية . ففى بداية هذا القرن وقعت فى الاسرة أزمة عائلية كادت تفسخها كما يفسف البارود الذى تتبجبه كل ما يصادفه عند انفذافه كان يتولى أمر الاسرة حينذاك ثلاثة من أبناء الاعمام ، هم الفرد وبير وكوليمان . ولم يوفق الفرد فى زواجه ولم يسكن الى زوجته ، وتعلق بحب فتاة من قرياته . واجتمع مجلس العائلة وبحث فى المشكلة ، وقرر بعد مناقشات ومجادلات ، أن تزوج هذه الفتاة واسمها اليسا ، من أحد موظفى الاسرة ، وأن يتم هذا الزواج على عجل

ولكن الامر لم يقف عند هذا ، وذاعت الأقاويل هنا وهناك . فرأى الفرد أن يحسم الامر ويتحمل المسئولية . فطلق زوجته ، وطلقت اليسا زوجها ولم يمس على قرانهما بضعة أيام ، وبعد اسبوعين اثنين تم زواج الحيين

وقاطعت الاسرة بأسرها هذين الزوجين ، وحرم الآباء على أولادهم وبناتهم زيارتهما وظلت الأقاويل تساق وتذاع عن علاقتهما السابقة . ولكنهما لم يأبها لهذا العداء الذى أعلته الاسرة جميعها . بل أقاما على بعض أقاربهما دعاوى قضائية بشأن ما يذمه عنهما من أقاويل مفتراة

وأقام الزوجان نصرا باذخا يضمهما سعيدين بجبهما الذى زادته مكائد الاقارب

ووشايتهم قوة ووثوقاً . وعملت معارض الفنانين في ارجاء أوروبا لتزويد هذا القصر بأبدع التحف واغلاها

وكاد الامر يؤدي الى انقسام في صفوف العائلة ، وينفذ منها الى مؤسساتها ومشروعاتها . ولم يحسم الامر الا استقالة الفريد من ادارة العمل في سنة ١٩٢٦ حيث التأم الأسرة مرة أخرى

وبلغت أرباح أسرة دى بونت رقما فلكيا في أثناء الحرب الكبرى الماضية . فامكنها ان تشتري شركة « جنرال موتورز » وهي أقوى منافس لمصانع هنرى فورد ، وأن تشتري كذلك بضع عشرات من المصانع الأمريكية الكبيرة

ويتولى أمر هذه المشروعات الضخمة بير دى بونت ، على أن من ورثته جيلا من النشأ يستطيع كل واحد منهم أن يتولى ما يوكل اليه من الأعمال عند ما يأتي دوره . وقد تزوج أكثر هؤلاء النشأ من قريباتهم اللاتي يمتزجن غالبا بما امتازت به جدتهن الأولى « آنا دى موتشاشن » من الجرأة والحيلة والبراعة

(من مجلة دى نيو كرت دايجست)

الآرى واليهودى

من الفكاهات التي يروى عن ألمانيا النازية أن شاخست وجورنج أخذتا بتجسّد لادن ذات مرة في أيهما أذكى : الآرى أم اليهودى ، فراح جورنج يسوق الآراء النازية المروّفة عن نفوق الجنس الآرى على سائر الاجناس ، ولكن شاخست أحب أن يوافقه على رأيها قائلة : ان جولة قصيرة في السوق كفيلة بأن تربك خطأ هذا الرأي ، فنزلا معا الى السوق وقعدا الى متجر يديره رجل ألماني ، فسألاه : أعندك أقداح للقهوة يمكن للشارب أن يتناولها بيده اليسرى بدلا من يده اليمنى . فقال التاجر معتذرا ان ليس في متجره مثل هذه الاقداح

فلجبا الى ثان وثالث ورابع من المتاجر الألمانية يسألان أصحابها عن هذه الاقداح ، فيعترف أصحابها اليهما ويقولون انهم لم يروا أقداحا من هذا القبيل

فقال شاخست لزميله : اذن ميا بنا الى تاجر يهودى ، فلما سألاه عن هذه الاقداح عثر وبش وقال : انكما أيها السيدان ، سيدان حقا ، فقد كان عندي مئات من هذه الاقداح التي تمسك باليد اليسرى فتهافت عليها المشترون فلم يبق منها سوى القليل . ومع شدة رواجها في السوق لقد آيت أن أرفع سعرها ، بل أبيعته كما كان مكنتها ببيع زهيد

فالتفت شاخست الى جورنج وقال : والان ما رأيك ؟

فأجاب جورنج : وأنى شيء لي هذا يدل على ذكاء اليهودى وبغاوة الالاني ؟

ألا يمكن أن يكون التاجر الالمانى ذكيسا الا اذا تاجر في أقداح تمسك باليد اليسرى بدلا من اليد اليمنى ؟

الأمير بدر الدين بيلىك

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو عبد

هو منظر من مناظر التاريخ المصرى ، يعرضه الأستاذ الكبير محمد فريد
أبو حديد عرضاً لنيا جيلاً ، ويصور فيه حادث وفاة السلطان بيبرس ،
وعودة جيشه الظافر بعد دفته لى دمشق ، وكيف أخفى نائب
السلطنة الأمير بدر الدين وفاته حتى وصل الموكب الى مصر ،
ونودى بولى عهده محمد بركة بيبرس سلطاناً على مصر خلفاً لآبيه

سار الموكب العظيم عائداً من بلاد الشام وقد بلغت أولاء حدود سيناء ، وكانت أخراه
لا تزال فى غزة حيث كان فرسان المؤخرة يسوقون الانتقال من غنام أرمينية وأذربيجان
وآسيا الصغرى والقوقاز . ولكن السلطان العظيم بيبرس الذى عاد بتلك الغنائم من
حروبه الموقفة ، لم يكن على رأس الجيش فى صدر الموكب ، فهناك كانت المحفة
البدية المزركشة بالانوس والعاج والصدف تدير مشددة فوق أعناق الابل القوية ،
مشدودة بأربطتها الغليظة الى جوانب الرحال . وكان الفرسان يرفعون نعوها أعينهم
فى خشوع ، ويتمثلون قائدهم العظيم مستلقيا وراء متووها وقد صرعه المرض واضعه ،
وحجبه عن المنهور لهم والطلوع عليهم بطلمته المهيبة المحبوبة . وكان الأمير بدر الدين
بيلىك نائب السلطنة يسير مطرفاً على ظهر جواده الأبيض ، يكاد يلمس بعمامة أستاذ
المحفة ، ويرفع رأسه بين حين وآخر ، فيرمقها بحزن ، ثم يسرع فيتلفت حوله نحو
فرسان الحلقة المحيطين بالمحفة ، ويكسو وجهه بالجد والصرامة خوف أن يلمح أحدهم
شيئاً مما بدا عليه من الحزن والوجوم

كان الصمت يلف الصحراء الا وقع أخفاف الابل على الرمال الناعمة ، وأصداء فقعة
الدروع والسلاح وحوافر الخيل . وكانت الالوية الملونة تحفك فوق الرماح فى الهواء
المهادى كأنها تادى وحدها بالبشر وسط لجة من الوجوم . فما كان لاعلام بيبرس الا أن
تحفك بالبشر بعد الانتصار الرائع الذى صعب جيوشه ، وإن كان السلطان العظيم
لا يسير كمعادته فى صدر جيشه المظفر

واشتد حر الظهيرة ، وبدا الكلال على الخيل فى اطرافها بأعناقها ، فقد بدأت السير منذ

السحر قبل أن يطلع الفجر . فأمر بدر الدين بدق الكؤوس ، ووقف الموكب للراحة ، وأنزلت المحفة في رفق ، فوضعت فوق الرمل على قوائمها ، وأشار نائب السلطنة الى الفرسان المحيطين بها أن يذهبوا ليهيئوا لانفسهم طعاما ، وليذوقوا من الماء ويؤدوا الفريضة جماعة ، ثم وقف لحظة وهو واجم ينظر في أعقابهم ، حتى اذا ما بعدوا عنه رفع الستار عن المحفة ، وبقي لحظة يطل من ورائها الى داخلها الخالي الذي لم يكن به شيء . ثم عاد الى مكانه مطرقا ، واتخذ مقعده على أريكة ألقيت له على الأرض على بضع خطوات من المحفة . ولم يطل به الجلوس حتى أتى اليه صديقه الامير قلاوون صهر السلطان ومعه الطبيب ، فقام نحوهما ولا يزال واجبا ، ثم سار متهما الى المحفة ، فرفع جانب الستار عنها ، وأشار الى الطبيب أن يتقدم ، فأقبل الطبيب وأدخل رأسه من فرجة الستار الى المحفة الجوفاء ، وبعد حين رجع الى الوراء ، فقبل الأرض منحيًا بالتحية . وأرغم بدر الدين الستار ، وتراجع الى الوراء مع صديقه قلاوون ، فقبل الأرض بالتحية ، ثم ساروا جميعا الى حيث يراهم الصيكر ، وتكلموا جميعا أن يظهروا البشر . وأمر بدر الدين أحد فرسانه أن يسرع لكي يعلن في الجيش أن السلطان العظيم يمانل للشقاء .

وسار الموكب يوما بعد يوم ، والمحفة الحالية محمولة في وسطه كأنها المحمل في وسط ركب الحج ، وكان بدر الدين يرفع عنها الستار في كل يوم مرتين ، ويدعو الطبيب الى زيارتها ، ثم يذيع في الجيش البشري أن الملك الظاهر يتنسم في هذا السفر نسيم العافية حتى بلغ الموكب أرباض القاهرة ، وخرج التلس اليه ألوقا ليستقبلوا بظلمهم بيرس الحبيب ، وان كان لا يزال محجوبا عنهم في تلك المحفة المزركشة

كان الامير محمد بركة بن بيرس جالسا في الايوان الكبير في قلعة صلاح الدين ينتظر موكب والده السلطان العظيم ، واجتمع حوله أمراء الدولة على رسمهم وعاداتهم ، وكانت الشمس تطل في الايوان فائرة من خلال النوافذ التي يغطيها الزجاج الملون ، فشاغ الضوء الرفيق في جنباته يكسو أرضه الرخامية بألوان متناسقة مختلفة بين الاحمر والازرق والاخضر والبرتقالى . وكان الامير محمد ولى العهد جالسا فوق كرسي عال من الابنوس المطعم بالعاج والصدف ، موضوع الى جانب كرسي الملكة الرخامي القائم في صدر الايوان على هيئة المنبر

وجلس الى يمينه ويساره أهل الدولة في ترتيبهم المرسوم ، فجلس عن يمينه قضاء مصر الاربعة ، أولهم الشافعى ثم المالكى ثم الحنفى فالحنبلية ، ومن بعدهم وكيل بيت المال ووالى الحسبة في القاهرة ، وجلس عن يساره الوزير وكاتب السر منحرفين في قوس ينحني الى الامام ، ووقف من ورائه كبار الامراء أصحاب المشورة ، وتفرق الحجاب والماليك في جوانب الايوان الفسيح في ملابسهم المختلفة الالوان وأقيتهم الصفراء الحريرية

وبعد حين دقت كؤوس الموسيقى تحت نوافذ الايوان مؤذنة باقتراب طلائع الموكب ،
ثم سمعت ضجة الموكب ، فتحرك من في المجلس ، وتناولوا بأعناقهم ليروا نائب السلطنة
الامير بدر الدين بيليك الذي جاء عند ذلك مع الركب وحده . فقد شاع نسا تخلف
السلطان العظيم في خارج القاهرة ليستريح في محفته هناك تلك الليلة قبل عودته الى القصر
ودخل نائب السلطنة مطرقا يسير في بطنه ، ووجهه الشاحب يختلج بين حين وحين ،
حتى اذا ماصار على بضع خطوات من الامير انحنى بالتجبة ، وقبل الأرض بأن لمس بأطراف
أصابعه بساط الايوان ثم رفع يده الى فمه فقبلها ووضعها على رأسه ، وتقدم خطوة أخرى
وانحنى بالتجبة ، وقبل الأرض مرة أخرى ، وتقدم خطوة ثالثة وأعاد تحيته ، ووقف
متجها الى الامير خاشعا ، فساد الصمت ، وفتح الحاضرون أعينهم من الدهشة ، اذ رأوا
نائب السلطنة يحني ولى العهد مثل تجبة السلطان العظيم ، وثارت في نفوسهم شكوك
وغواف ، ولكن ولى العهد كان هادىء العين ينظر الى الامير الكبير في شيء من التحدي ،
ولمح بعينه لمحة سريعة نحو الاميرين الشابين كوندك ولاجين اللذين كانا واقفين وراء
نائب السلطنة

ورفع بدر الدين يديه بعد حين ، وبدأ الحديث بالدعاء للامير ، وبالح في دعائه ثم قال :
« والآن يا مولاي أقدم عزائى وعزاء مصر والاسلام في مولانا العظيم ! »

ووقف مطرقا وساد الصمت لحظة ثم ضج المجلس بالبكاء . وشاعت الانباء مرعبة في
القاهرة أن السلطان الفاتح قد دفن في دمشق ، وأن الموكب الرائع الذى اقبل الى مصر
لما كان يحيط بمحنة خالية ، وأن ذلك كله كان من تدبير نائب السلطنة الوفى واسع
الحيلة ، الذى لولاه لاضطربت الامور للسلطان الصغير

اعتكف الامير بدر الدين بعد ذلك في داره لكى يذوق الراحة بعد أن أجهده مشقة
الجسم ، وكد القلب في تلك الرحلة الطويلة ، فلم يذهب الى دار النيابة ، ولم يكر الى
خدمة السلطان الجديد ، ولم يذهب لمزاء السيدة الوالدة في زوجها العظيم ، ولم يشعر
بالراحة الا بعد أيام ، فاستطاع أن ينزل من دار الحرم ليجلس في البهو الفسيح من دار
الرجال ، وكان ذلك المكان آية من آيات الفن تحليه النقوش الدقيقة باللوان متداخلة
يمازجها الذهبى والقرمزى ، وكان حول الجدران من أعلاها اطار ذهبى كتبت فيه آيات
من القرآن بأقلام نوابغ فن الخط الذين أبرزهم عصر بيبرس ، ووزعت حول البهو تحف
مختلفة لا ترابط بينها ولا يتصل بعضها ببعض بسبب من شبه ، فأنها لم تكن سوى ذكريات
من أحداث شتى مرت بصاحب الدار في حياته المضطربة . وقد علق بعضها فوق الجدران
مشدودا بمسامير غليظة من الفضة أو النحاس ، ووضع بعضها على قوائم من الخشب
المخروط . وكان اثاث البهو يغطى كل جوانبه وأركانها ، حتى لم يكن فيه موضع

تظهر منه أرضه الرخامية التي كانت تحليها نقوش من الفسيفساء والاحجار الملونة . وكان في وسط البهو فسقية ، من الرخام الابيض رسمت في قاعها أنواع من الاسماك فاذا ما امتلأت بالماء في فصل الصيف خيل الى من ينظر اليها أن الرسوم أحياء تتلاعب في مسرحها . وقد صفت حولها مقاعد وطينة يستطيع من يجلس عليها أن يتردد في الماء برجليه اذا اشتد حر النهار . وقد غطيت تلك المقاعد بوسائد لينة مخشوة بربش النعام أو القطن اللين المنقوش ، وكسيت بأثواب من الحرير المزركش بخيوط الذهب

جلس الأمير بدر الدين في هذا البهو على مقعد في الصدر ، وجعل يجيل بصره في التحف التي تحيط به ، وكان بين حين وآخر يقف بنظره عند احداها ، وتمثل له ذكرى قديمة علفت بقلبه ، ولكن شواغل الحياة أفسدت إياها فلما رآها عند ذلك عادت اليه الذكرى كأنها مرت به في الامس القريب . فهناك ستارة من الحرير المذهب كانت بعض نصيبه من غنائم انطاكية بعد أن فتحها مع سيده العظيم ، وإلى جانبها جوشن أهدها إليه السلطان اعترافا ببسالته في حرب التار عند حلب ، وذلك سيف عبيد اليه ذكرى قاسية اذ كان يحارب الارمن في (سيس) على نهر الفرات ، فوقف له « ليفون » الشاب ابن ملك الارمن ، وجاوله ساعة ، ثم وجد الشاب منه فرصة فاهوى اليه بسيفه الثقيل ، فكاد يقضى عليه لولا أن عثر الجواد بالفتى فأوقفه على الارض وأحاط السيف فلم يصب سوى مؤخر الجواد الذي كان هو يركبه ، ففقد قدا كما يقطع المنجل حودا دقيقا من حشيش الارض . فوقف حيناً أمام الفتى الصريع متردداً ، أيتها الفرصة فيقضى عليه بضربة من سيفه ، أم يكظم خفيظته ويتغف عن النصر الحسيس . ولم يطل به التردد وأبى أن يمس خصمه الصريع بسوء ، واكتفى بأمره ، ثم أكرمه وأنزله بداره ، واستهداه سيفه الذي كاد يقضى عليه لكي يجعله تذكراً لتصرف الأقدار العجيبة . وهناك إلى جانب السيف الثقيل كانت أثواب حمراء زاهية اللون مزركشة بالذهب علفت إلى جانبها منطلقاً من الذهب الخالص ، وهي من هدايا السلطان الكثيرة في أيام المواكب ومباريات القبي ولعب الكرة بالصولجان

جلس الأمير بدر الدين يستعيد أحداث ذلك الماضي الملىء ، ثم تنفس نفساً طويلاً عميقاً كأنه عاد من رحلة طويلة ، وتحرك في مكانه في شئ من الاضطراب ، ثم قام يستعد للذهاب إلى مولاه الملك السعيد الذي طال غيابه عن حضرته . وخطرت له خطرة من انقباض وهو قائم ، اذ تذكر أن السلطان لم يرسل في طلبه ، ولم يبعث إليه رسولا في هذه الايام التي قضاها في داره يستريح . ولكنه لم يقف طويلاً عند هذه الوسواس ، اذ كانت الشمس قد علت في السماء واقترب الوقت الذي يبدأ فيه الموكب العظيم . اذ كان ذلك اليوم ميعادا لأول موكب يركب فيه السلطان الجديد و (يشق) في عاصمة ملكه

استعدت القاهرة للقاء الملك السعيد في موكبه الاول على عادة الملوك القدماء ، اذ يسهرون

في الطريق الاعظم من المدينة لتلقوا تحيات الشعب ، ويشعروا عاصمة الملك أن العرش لا يزال حاليًا بطل جديد بعد موت البطل الداعب

ونشر التجار الاعلام فوق الحوائط ، وغطوا الجدران بالطنافس الثمينة الايرانية ، واستمد بعضهم بأثواب الحرير لكى يسطوها تحت جوافر الجواد الكريم الذى يخطبه السلطان اذا مامر أمام متاجرهم ، وازدحم الناس على جانبي الطريق بعضهم يقف على الارض ، وبعضهم يتناول فوق منصات ضيقة أقيمت وراء الصف الاول ، وبعضهم يتسلق الجدران أو يتعلق بالأشجار أو يطل من نوافذ المساجد والمنازل ، أو يشرف من أعالي المنازل المظلة على الطريق . ووقفوا جميعا في مواضعهم منذ أول الصباح ، وقد امتلأت قلوبهم حماسة للملك السعيد ، وثاب سلطنته البطل بدر الدين بيليك الذى كان مدار حديث الجمع الزاخر لما آداء لولاه وصديقه السلطان العظيم بيرس بعد موته ، فحفظ عرشه على ولده بسمة حبلته وصديق ولاته . ولكن الشمس علت في كبد السماء ولما يطلع الموكب . ثم ترامت الأنباء أن الملك السعيد أمر على حين فجأة أن يسير موكبه من القلعة الى الجبل الأحمر من خارج المدينة عن طريق الصحراء بغير أن يمر في الطريق الاعظم من القاهرة كما جرت العادة في مواكب السلاطين . فاضطرب الناس وتفرقوا خائفين ، وأسرع القليل منهم الى خارج المدينة ليدركوا نظرة من الموكب عن بعد ، وطوى التجار طنائفهم وأعلامهم ، وأعادوا أثواب الحرير الى رفوفها وهم يدمدمون في حقن

وعاد الموكب الى القلعة ، وسار بدر الدين يحمل فوق رأس السلطان المظلة الصفراء التى كانت منذ قرون شعار السلطنة ، وكانت صورة الطير الفضي في أعلاها تبرى في ضوء شمس الظهيرة ، وكان الملك السعيد يلبس الحلة التى أهداها الخليفة العباسى الى أبيه عند ما انتقلت الخلافة من بغداد الى القاهرة ، وهى الحلة البنفسجية والعلوق الذهبى والسيف البدوى المقنوس والعمامة السوداء . فلما اقترب الموكب من سلم القصر ، ترجل السلطان ، ونزل الامير بيليك وراءه ، وتناول المظلة الى بعض فرسانه ليطووها ، واتجه الى الملك السعيد لكى يؤدي له التحية ، فاتحنى قبل الارض على ما جرت به العادة من عصور ، ولكن السلطان لم يلتفت اليه ، وأسرع داخلا الى قصره ، وسار وراءه الاميران الشابان كوندك الساقى ولاجين في خفة يكادان يشان فوق درجات السلم الرخامى وثبا . فلما رفع الامير بيليك رأسه ، ورأى السلطان داخلا بغير أن يلتفت اليه ، نظر حوله مرتبكا ، ولم يدرك في ارتبائه ماذا ينهى له أن يصنع ، وشعر بقلبه ينفوس في صدره ، ثم جال بعصره فيما حوله فرأى بعض الامراء والفرسان عن بعد يتظاهرون بأنهم في شغل عن رؤية ما كان ، فدار رأسه وكاد يقع على الارض منهالكا ، ثم تماسك واتجه الى جواده فركبه وعاد الى بيته وهو لا يكاد يرى أين يسير

بعد اسبوعين من ذلك اليوم خرج الامير بدر الدين الى حديقة قصره يتمشى في مسالكها الضيقة المنحرجة بين أحواض الورد الأصفر والأحمر وغصا البان والعتر والبنام وبين الأشجار النادرة التي نقلها من بلاد الشام من شمش وبرتقال وفساح، وكانت رجلاه تضطربان تحته من اثر المرض الذي اعتراه منذ يوم الموكب ، وكان هواء الاصيل يهب باردا على غير عادة تلك الايام من شهر اغسطس ، فبعث فيه برد الهواء نشاطا أزال عنه كثيرا مما خيم على نفسه من الانقباض والغم

ومال في ركن من الحدائق الى أريكة تظللها فروع غزيرة من الياسمين ، فاضطجع يستريح ويتمتع بالهواء الوديع ، فخلبه السلام الذي كان يشمل ذلك الركن الظليل ، فأغفلت عينه اغفاءة خفيفة لم تلبث أن نقلته الى عالم الحلم ، فرأى نفسه في موكب عظيم والاعلام مرفوعة فوق رأسه ومن خلفه ومن أمامه ، والناس مصطفون عن يمين وشمال يرفعون أكفهم له بالدعاء ، وهو يلقي عليهم السلام ، ويسمع لهم اذ يسمع منهم التناء عليه لما كان منه من أداء واجبه نحو مولاه . ثم تبدل الحلم فجأة ، فإذا مولاه السلطان يأتي لاستقباله ويفتح له ذراعيه ويكفي بين يديه معذرا ، ثم يدخل به الى القصر وقد اجتمع فيه الامراء جميعا لكي يستقبلوه بالتحية ، فقاموا عند ما أقبل عليهم فقبلوا الارض بين يديه وجاء الامير كوندك الساقى نحوه يحمل كوبا من الشراب المثلج وهو ينحن ويتأدب في حضرته . ثم اصطف الجميع وقدموه لكي يصلى بهم جماعة ، وأذن للصلاة ، فافاق من اغفائه على صوت المؤذن في أقصى بيته ينادى **لصلاة الغرب** في دار الرجال . فقام عن الاربكة فأترا ولا يزال في دهشة النوم ، وأحس الانقباض يزداد في صدره . فأتجه الى دار الرجال ليؤدي الصلاة ويلتصم فيها السلام . وما كاد ينتهي من صلاته حتى أتاه خادمه مسرعا بنبأ بزيارة الامير الشاب كوندك الساقى ، فكانت تلك مفاجأة من مفاجات الاحلام

حاول الامير بيليك في اليوم التالي أن يملأ نفسه استبشارا ويزيل عنها الغم الذي ملأها وجعل يراجعها ويقنعها بأن جفوة مولاه السلطان يوم الموكب لم تكن سوى نبوة غير مقصودة في أول يوم ركب فيه الامير في شعار السلطنة مع ما كان يحيط بالموكب العظيم من فيود ورسوم ومع حداثة عهده بمصابه في فقد أبيه . وكاد انقباضه يزول من اثر هذه المراجعة ، لولا خطرات كانت تعود اليه وتومض في خياله كلما تذكر اللمة التي كانت تبرق في عيني الامير كوندك الساقى وهو يحدثه بالامس ويلفغه تحية السلطان ويدعوه باسمه الى العودة الى مكانه في دار التباية على عادته في أيام بيبرس . لقد كانت تلك اللمة تبدو في عيني الامير كوندك كلما وقعت عيناه في عينيّه ، وكان بريقها مثل بريق السيف حتى كان يضطر الى تحويل عينيه عنها ، وتداخله منها رعدة تشبه قسرية الحرف . ولكنه تمكن مع طول المراجعة أن يستشعر الصفاء والبشر ، وذهب الى القلعة

في الصباح ، ففضى صدر النهار في دار النيابة يصرف أمور الدولة والجيش ، وتقرأ عليه قصص الشكوى ويأمر فيها بما يرى ، ثم مد السباط المعتاد لأكال الامراء والقواد ومن كان عنده من الاعيان . وبعد صلاة العصر ذهب الى القصر ، فلقى فيه ترحابا ، واستقبله الملك السعيد باسمه وبالغ في اكرامه حتى تارت الدموع في عينيه وجاهد نفسه في كتبها . ولما انصرف من حضرة مولاه ، رأى أن يقصد قصر السيدة الوالدة ليعزيها في وفاة زوجها العظيم ، فأبى الاميران كوندك ولاجين الا أن يكونا في خدمته . حتى اذا بلغ موضع الستارة من القصر ، جاءت اليه السيدة العظيمة فرحنت به من ورائها ، وشكرته على ما كان من ولائه وحسن بلائه . وتقدم نحوه الامير كوندك يحمل صحيفة ذهبية رائحة الحسن في نقوشها ورسمها وصفا لونها وعليها كأس ذهبية جميلة رشيقة فيها شراب ملج ، وقالت السيدة من وراء الستار :

• هذا شراب صنعته يدي أيها الامير العظيم يحمله اليك ولدك الامير كوندك ايضاً بحقك وآية منى على شكرك ،

فدعا الامير ييليك لها ، وقبل الارض في موضعه من الستار ، ثم شرب الكأس

بعد أيام قلائل ارتجت القاهرة رجّة عنيفة عندما ذاع فيها أن الامير بدر الدين قد مات ، بعد أن قضى أياما من العذاب في آلام كانت تمزق أحشائه تمزيقا ، ولم يجد في دائه طلب الاطباء لان الآلام كانت لا تزاد على الادوية الا تبريحا . وكان حزن مصر عليه لا يقل عن حزنها على سيده وصديقه بيرس ، فافلقت التاجر وعطلت الدراسة في المساجد ، وخرج الألوف من فرسان وتجار وعلماء ليشيعوا بطل انطاكية وحلب وحمص الذي أوفى بالعهود ، وكان مثلاً في الولاء . وكان في طلبه الموكب الاميران الشابان كوندك ولاجين ، يسيران مطرقين ساهمين يكاد الحزن يقطر من عرقيهما . ولم يعودا من المشهد حتى نزلا الى القبر ، وحللا على أيديهما البطل العظيم الى مقبره الأخير

محمد فريد الوعدبر



التنجيم

ينفق آلاف الآلاف من سدج الرجال والنساء جزءا كبيرا من أموالهم في أضحوكة بلهاء : تلك هي أضحوكة التنجيم

ولا يكاد يصدق المرء ان هذه الخرافة التي انحدرت اليها من أيام الظلام حين كان العقل الانساني طفلا غريبا ما تزال الى عصرنا هذا ، عصر العلم ، تلقى آلافا مؤلفة من البسطاء تخدعهم فيؤمنون بها اسدق الايمان . ففى كل مدينة مهما كان حظ أهلها من العلم والرقى ، جمع من المنجمين يدعون أن في وسعهم أن ينبؤوا عن المستقبل ، وأن يقرأوا ذات الصدور ، وأن يفسروا أخلاق الناس ويستطلعوا سرائرهم ، بمجرد دراستهم مواقع الكواكب والنجوم في أبراجها وأفلاكها . . وفى كل مدينة ، ولكن مدينة نيويورك ذاتها حيث ينبغي أن يكون مستوى التفكير أرفع منه في سواها آلاف من الناس مستثمرون هؤلاء المنجمين ويستصحونهم في كل ما يقومون به من أعمال وفى كل ما يعرض لهم من مشاكل وأزمات . .

ولكن ما هو أغرب من هذا وأدهى أن كثيرا من هؤلاء المنجمين يزاولون هذه الخرافة وهذا الاحتيال داخل نطاق القانون ، الذى يرخّص لهم أن يفرروا بالناس ، ويبيع لهم أن يرتزقوا أو أن ينفروا عن طريق النصب والاحتيال . بل ان الامر لا يقتصر على هذا ، فتحة مؤسسات لها مكانتها وسمعتها تيسر لهؤلاء المنجمين وسائل الشهرة وسبل الدعاية ، فتشاطرهم وزر ما يشارفون من الخداع والابتزاز . ففى الولايات المتحدة الامريكية ما لا يقل عن مائتين وخمسين جريدة ، منها ثلاث تصدر في نيويورك نفسها ، تنشر فى كل يوم بعض نبوءات هؤلاء المنجمين . وفيها بضع عشرة مجلة مخصصة لاذاعة هذه الخرافات ونرويجها ، وبلغ مجموع ما توزعه أكثر من خمسمائة ألف نسخة ، يقرأها أكثر من مليون نسمة من الرجال والنساء . وساهمت محطات الاذاعة اللاسلكية فى ترويع هذه الخرافة ، فدعت المنجمين الى التحدث الى مستمعيها . وتصدر فى أمريكا نشرات عن التنجيم تباع بأثمان زهيدة ، فتقبل عليها الجماهير أيما اقبال ، حتى أن مؤلفا لاحد مشاهير المنجمين تولت طبعه احدى دور النشر الكبرى ، وكان من أروج ما ظهر فى السوق الامريكية من المؤلفات !

يحدث هذا كله بينما لم يظهر فى خلال العصر الحديث عالم واحد ، فى أية بقعة من

الارض ، يعترف بأن ثمة أية صلة بين مواقع النجوم وحياة الانسان . وفي حين ظهر علماء يترفون بالقوى الروحية وعلماء آخرون لا يجزمون بأنكارها ، لم يظهر منهم من يتحدث عن التنجيم الا بحديث واحد : هو حديث التعجب من أن يظل الى اليوم أناس يؤمنون بهذه الخرافة السخيفة

بدأت هذه الخرافة في أقدم العصور : بدأها منجمو بابل وآشور ثم انتقلت الى خلفائهم في بلاد العرب وفي مصر وفي بلاد اليونان والرومان . وكانوا يطلقون على النجوم أسماء أوائلهم التي يعبدها ، فآمن الناس شيئا فشيئا بأن لهذه النجوم من الصفات والقوى مثل ما للآلهة التي تشاركها في الاسم . فآمنوا بأن للكوكب الذي يحمل اسم عطارد ما لسميه من القوة والبأس ، ولذلك الذي يحمل اسم فينوس ما لها من صفات الجمال والحب . أما اليوم فان أكثر هؤلاء المنجمين جهلا يعلم أنه لم تكن ثمة آلهة لسمي عطارد وفينوس والمرينغ الا في أساطير الغابرين ، ومع ذلك فما زالوا يريدوننا على أن نؤمن بأن تلك الكتل الضخمة من المواد الصخرية أو من المواد الغازية ، التي تسبح في أفلاك تبعد عنا ملايين الاميال ، تؤثر في حياتنا وتوجه خطانا وتكيف أخلاقنا ، لا شيء الا لانها تحمل أسماء لم ترد الا في تلك القصص الخرافية التي نقرأها - أكثر ما نقرأها - للترويح عن النفس وقطع وقت الفراغ ! ولو صح هذا لكان أصح منه أن تسمية سيارتك باسم « سيارة الحب » كفيل بتوفيقك في الحب وتسمية الثكنة التي يسكنها الجند « بثكنة عطارد » ضمان لها بالانتصار في الحرب !

يقول الاستاذ « بارت بوك » عالم الفلك في مرصد هارفارد : « لو أن لنا أن نؤمن بأن الكتل الضخمة من الصخور تؤثر في حياتنا وأخلاقنا وميائنا ، لكان من المؤكد أن تأثير مبنى « الامبير » على سكان نيويورك ، وتأثير الاهرام على سكان القاهرة « أعظم من تأثير كوكب يبعد عن هاتين المدينتين ملايين الاميال »

وناقش الاستاذ « جون ستوارت » ، من علماء قسم الفلك بجامعة برنستون الامريكية ، خرافة التنجيم فقال : « من المثير أن تناقش المنجمين علماء ، فليس لهؤلاء القوم صلة بالعلم ، ولا هم يستندون الى رأى علمي يفحص ويناقش . فحسبنا ان تناقشهم من الوجهة النظرية . انهم يقولون ان أخلاق كل فرد وحفظه متأثرة بكوكب من الكواكب ، يعنيونه حسب الساعة التي ولد فيها هذا الفرد . فكيف يكون هذا وآلاف من الناس يولدون في كل يوم وفي ساعة واحدة ، ومع ذلك فليس فيهم اثنان متشابهان كل التشابه في أخلاقهم ومقدراتهم ، ولا متساويان فيما يهيان في الحياة من نجاح واخفاق . بل ان التوأمين : وقد ولدا في حجر واحد في لحظة واحدة ، ليعتلفان غالبا في كثير من أمورهما : في مقدرتهما العقلية واتجاههما الخلقى وفي نصيبهما من الحياة . فآين الكوكب الذي كان مثاقفا ساعة ولادتهما ؟ ولو كان الامر كذلك لكان في وسع الطبيب أن يبدل الانسان انسانا آخر ، في خلقه وعقله

وحظه ، اذ هو عجل بتوليد الام بضع ساعات أو بضعة أيام ، كما يحدث في كثير من حالات الولادة اراحة للام مما تعانيه من آلام .. !

وأكثر الناس لا يعلم الساعة التي ولد فيها على وجه الدقة ، فيستغل المتجمون هذا النقص فيما يقدم اليهم من معلومات حين يثبت عليهم ان نبوءاتهم كانت باطلا وهراء . ولكن حدث ذات مرة ان أرسل أحد المنجمين الى الأستاذ فراتك شليسنجر مدير مرصد جامعة بيل ، وكان قد أعلن حربا على التنجيم والمنجمين ، يطلب اليه ان يختبر قدرته وكفائته بأن يعين له اليوم والساعة والدقيقة التي ولد فيها أى شخص ، فيبين له بالتفصيل تاريخ حياته وما جرى فيها ، وكان الأستاذ يعلم الثانية ، لا الدقيقة فحسب ، التي صاح فيها ابنه صبيحته الاولى عند ولادته ، فأرسل ذلك المنجم ما أراد من معلومات .. بل أرسل اليه فضلا عن ذلك بياناً بمواقع النجوم والكواكب في تلك اللحظة في نيويورك وغيرها من مدن العالم ، فماذا كانت النتيجة ؟ يقول الأستاذ : « ما من كلمة واحدة من الاقوال الطويلة التي ذكرها ذلك المنجم عن ابني كانت صحيحة » !

وفي تاريخ الفلك حادثان يثبتان لاكثر العقول بساطة وسذاجة خرافة التنجيم ودجل المنجمين . فبينما كان علماء الفلك يفتنون أنهم عرفوا جميع الكواكب والانفلاك والابراج ، وأن المجموعة الشمسية التي كشفوها كاملة الاجزاء متسقة الاوضاع ، اذ بالفلكي الكبير « هيرشل » يكشف عن « اورانوس » . وتلا ذلك انكشف عن « نبتون » في سنة ١٨٤٦ وكان هذان الكوكبان يطوفان في الفضاء منذ آلاف السنين دون أن يكون لاحد منهما أى تأثير في شؤون الناس ، مع أن الواحد منهما أكبر حجما من المريخ وعطارد وفينوس مجتمعة معا ! ولكن ما كاد يكشف الفلكيون عنهما ، حتى أسرع المنجمون يبحثون عن أعمال وظوائف لهما ، وكان من الطبيعي ان تكون هذه الوظائف مناسبة لهما ملتزمة مع العصر الذي كشفوا فيه ! فقالت مسز « اينجلين آدمز » تلك السيدة التي أثرت من حرفة التنجيم ، في كتاب لها أن اورانوس يؤثر في السكك الحديدية ، ونبتون يؤثر في الطائرات . فالانتقال بهذه الوسائل يكون محدودا أو منحوسا حسب الاوضاع التي يكون فيها هذان الكوكبان .. !

أرأيت الى المهارة في التدجيل كيف تكون ؟

ثم انظر الى ذلك الصحف الذي تشمره بعض الصحف في أعمدها اليومية المخصصة للتنجيم ، تجد فيها ما يدعو المرء الى العجب والدعشة من عقول أولئك الناس الذي يحملون الامر على عمل الجد والاهتمام .. فهذا منجم يقول : « ان يومنا هذا يوم ملائم لانشاء علاقات وثيقة مع أقاربك وأصحابك » . وذلك منجم آخر يقول : « في هذا اليوم يجب أن يستفيد الانسان من تجاربه الماضية فيما يؤمق القيام به من أعمال مستقبلية » . ولعل في ذلك شك ؟ ولكن لماذا يحض على توثيق العلاقات مع الاهل والاصحاب ، ولماذا يحض على الافادة والاتعاظ بالتجارب الماضية في هذا اليوم دون سواء من الايام ؟ أتصبح

العلاقة بالاقارب والاصدقاء وبالا ، أصبح الافادة بتجارب الماضى خطأ ، ان كانت في يوم الاثنين بدلا من يوم الاربعاء ؟

وهكذا الشأن في كل ما يذيعه المنجمون من باطل وخداع ، لا يملون اعادته وتكراره ، حتى يقع السذج في شباكههم ، وحتى تقع أموالهم في أيديهم وقد قام الاستاذ «شليسنجر» منذ سنوات بحملة قوية على الصحف التي تفتح صفحاتها للمنجمين . فكان يكتب اليها مسائلا : كيف تقول هذه الصحف انها تقوم بإداء رسالة الحقيقة واداء مهمة التثقيف ، في حين انها تعاون على نشر الدجل والخرافة . فكانت أكثر هذه الصحف ترد عليه قائلة ان ما تنشره يسبب الجبهة والعامة ، ويفرهم بشراء الجريدة وقراءتها ، وفي الوقت ذاته لا يؤدي الى ضرر ما ... ولكن الواقع ان هذا يؤدي الى اضرار خلقية وعقلية فادحة : انها تعمل للابقاء على خرافة يجمع منها الدجالون ثروات ضخمة ، ثم انها تحجب وجه الحقيقة عن عامة الناس وأوساطهم ، وتحول بين عقولهم وبين التفكير الرشيد الذي يهديهم سواء السبيل

وقد زادت محطات الاذاعة اللاسلكية الامر ضغنا على ابالة ، وفاتت الجرائد والمجلات في ترويج هذه الخرافة واذاعة حديث أولئك المنجمين . فبعد ما بدأت مسز ايضجلين آدمز اذاعاتها في التنجيم في سنة ١٩٣٠ ورد اليها في الشهور الثلاثة الاولى مائة وخمسون ألف رسالة يطلب فيها كاتبوها معرفة « طوالهم » وبعد سنة من ذلك كان متوسط ما يرد اليها من الرسائل في كل يوم أربعة آلاف رسالة ! ولم تقف اذاعات هذه النجمة الا بعد احتجاجات شديدة قدمتها « الجمعية الفلكية الامريكية » ، وكذلك « الجمعية الامريكية للمسحرة » . . . اما الاولى فاحتجت باسم العلم ، واما الثانية فقالت في احتجاجها : انه عند ما يراد خداع الناس يجب أن يقال لهم ذلك ، كما يفعل المسحرة الشرفاء !

وفي أمريكا الآن ما لا يقل عن خمسين محطة من محطات الاذاعة اللاسلكية تلقى في آذان مستمعيها أقاويل المنجمين وثرهات المنجمات . وقد استغل بعض المنشآت التجارية والصناعية سذاجة الجماهير وأقبالها على استماع محاضرات المنجمين فاستأجرت بعضا منهم ليدبوا فيما يذيعونه اعلانات عنها . ومنذ عهد حديث كانت امرأة امريكية تعلن عن نفسها بأنها « اعظم منجمة في العصر الحديث » تذيع لحساب إحدى المؤسسات التجارية الكبرى خمس مرات في الاسبوع ، وكانت ترسل اذاعاتها على الموجة القصيرة لسمعها الناس في شتى أرجاء العالم . ولم تقف هذه الاذاعات الا بعد احتجاجات قوية وجهها الى المحطة نفر كبير من السمعين ، والواقع أن لاسبيل الى مقاومة هذا التيار - تيار مساهمة الصحافة والاذاعة في ترويج خرافة التنجيم - الا بقيام عقلاء الناس في كل بلد باستتكار هذا المورد الذي تلجأ اليه بعض الصحف وبعض محطات الاذاعة في كسب المال

ولكن يجب أن نذكر أنه مهما يكن من موقف العلم والعلماء تجاه التنجيم والمنجمين ، ومهما يكن من رأى العقل المتزن في هذه الخرافة السخيفة ، فيستظل في الناس من يصدق

ويؤمن بأن ثمة صلة بين حياته وبين ما في الكون من نجوم . . فقد أثبت أطباء الامراض العصبية ان تصديق الحرافات لا يرجع الى الجهل فقد ما يرجع الى ضعف الاعصاب ، ولهذا وجدوا بعضا من الناس الذين أصابوا من العلم والثقافة حظا عظيما يؤمن بهذا النوع أو ذاك من الحرافات ، بينما من هم دونهم علما وثقافة ينكرونها ويزدرونها ، ذلك ان هؤلاء من قوة الاعصاب ما حرم منه أولئك ، فلم تغتهم رؤوسهم وما حفلت به عما فقدوه حين وهنت أعصابهم

وثمة نفر آخر يؤمن بخرافة التنجيم : أولئك هم المصابون بمرض « خداع الكبرياء » ، فان غرورهم بأنفسهم يخيل اليهم ان كواكب الكون وأفلاكه لا بد معنية بأمره ، لا بد متدخلة في شأنه ، لا بد مهتمة بتقرير مصيره! والفكرة السطحية في أمر هؤلاء التكبرين المفرورين تحملنا على أن نظن أنهم أرفع شأننا من أن يهتموا بهذه الحرافات التي لا تؤثر الا في عقول البسطاء والدعهاء . ولكن الواقع أنهم أكثر الناس ايمانا وانخداعا بها ، لان كبريائهم وغرورهم يدفعانهم الى الظن بأنهم وان كانوا يعيشون على سطح الارض بين ملايين الخلائق ، الا ان الأفلاك والابرار توليهم من العناية والاهتمام ما يحسبون أنهم جديرون به !

والكسل مدعاة الى الايمان بخرافة التنجيم . . فالرجل الحامل الكسول يريد أن يوفر على نفسه ما تقتضيه الحياة من جهاد وكفاح ، وما يقتضيه بناء المستقبل من مشقة وعناء ، فيذهب الى النجم ليرسم له طريق المستقبل ، وبين له ما استكن في خفاياه ، وعندئذ يوفر على نفسه ما كان مفروضا عليه أداءه ، وعندئذ يتنكب طريق السعي التي كان عليه ان يسلكها ويجتازها (خلاصة مقال في صحيفة ذي كوتنير بقلم فريد كيل)

٣ عوامل

[بية للتصور على صفحة ٦٥٥]

المتحدة تسمح بالهجرة لملايين من المهاجرين من آسيا وأوروبا وأكثرهم من طبقة المزارعين تغلب عليهم الامية . وبالرغم من هذا فقد بلغت نسبة الامية في سنة ١٩٣٠ بين من يزيد عمرهم عن عشر سنوات ٤٥ ٪ . ولا يخفى أن المخترعات الحديثة ليست كلها دائما تعمل لمصلحة هذه الحركة . فالراديو مثلا مكن الناس من الحصول على ما يحتاجون اليه من المعلومات عن طريق الاستماع لا عن طريق القراءة ، وعليه يقع اعتماد فريق كبير من الناس . وكذلك السينما الناطقة أغنت الناس عن قراءة الشروح التي تظهر على الافلام . وأصبح الناس رجالا ونساء واطفالا ينشدون لذهنهم في الاطلاع عن طريق الاستماع لا عن طريق القراءة ، ومع كل هذا فما زالت القراءة من أهم عوامل التربية التي بدونها لا تستطيع أمة أن تعيش

أسلحة وخطط غيرت مجرى التاريخ

بلم الأستاذ

محمد محمد توفيق

في تاريخ معترك الشعوب معارك حاسمة كان النصر فيها الطريق للبشر في الأسلحة والخطط الحربية . وبعض هذه المبكرات من البساطة يمكن . ولكن عنصر المفاجأة بالقيء الجديد عند اشتداد المعركة هو الذي أفضى غالباً إلى النصر . وفي المقال التالي عرض لبعض هذه المبكرات

لقت نظري في مجلة « الهلال » منذ بضعة أعداد مقال ممنع مترجم عن الإنجليزية عن جنكيز خان وأسلوبه للمبتكرة وخططه الطريفة في الحرب ، وكيف أنه كان إلى حد كبير مبتكراً للأساليب الحربية الحديثة ، كفكرة الحرب الشاملة والحرب الخاطفة وحرب الدعاية والطابور الخامس وما إليه مما جال بالأذهان أنه محدث ومستولد من الحرب العالمية الثانية وهذا المقال الدروس علمياً وتاريخياً ذكرني ببعض الدراسات التي لقت بها منذ حين على أساس

محاولة استنباط أسباب الانتصارات والانكسارات البارزة في التاريخ . وهي دراسات حرصت على أن أفرد لها بطلاقات خاصة فهي من المسائل التفصيلية التي إذا لم يبادر المرء إلى تدوينها تعذر عليه الوصول إليها عند الحاجة في صفحات متباعدة من كتب متعددة في نواح مختلفة من التاريخ

أسباب الانتصارات بعفء عامر

للعروف عن الحروب أنها بصفة عامة تنسب عن مشاحنات أو مطامع دولية يكون للواقع الجغرافي وطبيعة الأرض ونظم الحكم السائدة والأديان والمعتقدات والظروف السياسية والاقتصادية دخل معين فيها . وقد اصطاح للزورخون إلى أوائل هذا القرن على أن يجعلوا للسكنة أو لوفرة السلاح المقام الأول في أسباب الانتصارات . مع أن الآخرين - أو أهل اسبرطة على وجه التدقيق - هزموا الفرس على كثرة عددهم . والعرب دحروا الفرس والرومان برغم وفرة أسلحتهم ، فالعبرة إذن ليست دائماً بالقوة العددية ولا بوفرة العتاد . وإلا فكيف نعلل زوال أمبراطوريات كبيرة لم تكن قط مفتقرة إلى هذين العنصرين اللذين ذكرناهما ، وكيف بعلل ظهور دول لم يكن حظها منها كبيراً في أول أمرها ومستهل نشاطها الحربي ؟

أبرز أسباب الانتصارات الكبرى في العصر الفرعوني

والصور القديمة - على بعدها وندرة المعلومات الدقيقة عنها - تظهرنا على ابتكارات فذة في الفن العسكري . وسنحاول جعل هذا المقال منصبا على الابتكارات التي أحدثت انقلابات مفاجئة في التاريخ وفي معترك الشعوب . أما المخترعات والتنظيمات المادية التي استغرق إعدادها ووضعها موضع التنفيذ أزمانا طويلة ، فلا شأن لنا بها بل إن المؤرخين كثيرا ما يعجزون عن التغلغل إليها لعدم تواترها في النصوص التاريخية المختلفة . فالمعروف أن الشيء البارز هو الذي توردته النصوص أما الشيء المألوف فلا تكثر به إلا نادرا

ولكن نضرب المثل على ذلك ، نذكر أن النظام الحربي لمصر الفرعونية قبل الغزو الهكسوسي لم يكن فيه شيء بارز بالمعنى الذي نقصده . وإنما هي إمبراطورية قوية ، غنية ، فنية ، لهاها استخدمت الأسلحة المعدنية أو صنعتها صناعة ممتازة أفنت بها إلى النصر في معظم المعارك التي دخلتها في منطقة الشرق الأوسط . إنما الشيء البارز ، والسلاح الجديد الذي يفاجئ هذه الإمبراطورية فيبقى عليها ، هو استخدام الهكسوس للخيول والعربات الحربية في ميدان القتال

وبدئنا أن هجوم الخيل خاطف وصاعق . وهجوم العربات الحربية كان كهجوم الهبابات في الحرب الحديثة لا يكاد يقف أمامه شيء مما اصطلاح للفن العسكري على وضعه على هيئة خطوط الدفاع . ولا شك أن مشاة الجيش المصري القديم الذي فوجئ به وهو في ميدان القتال بهجوم خاطف من العربات الحربية وللفرسان لم يطق الوقوف أمام العدو إلا ربنا يبادر إلى التقهقر والفرار ومن ثم غزيت مصر وخضعت للهكسوس زمنا طويلا . ولم تقدر على طردهم إلا بعد استخدام الخيل والعربات الحربية على ما نحدثنا بعض كتب التاريخ المصري القديم

وعند ظهور الاسكندر المقدوني كانت الإمبراطورية الفارسية قوية ومتمسكة على الشرق الأوسط وقسم من الشرق الأقصى ، ولا شك في أن قوتها الحربية كانت كبيرة جدا ، وأسلحتها كانت وفيرة . فكيف تأتى للاسكندر وهو على رأس جيش مقدوني أغريقي لا يزيد كثيرا على الثلاثين ألف مقاتل أن يفهر جحافل ملك الفرس التي كانت تعد بمئات الألوف ؟

إن الأمر لم يكن مجرد خطط حربية محكمة . فتتظيم الجيوش على هيئة القلب والجناحين ، وتركيز الحياة في الطليعة ، ووضع الرماة بالنهال وراء الجيش ، وما أشبه ذلك من أوجه التنظيم . ثم البدء بالهجوم على هيئة خاصة أو بقسم معين من الجيش وتعقبه بأقسام أخرى . كل هذا مما يعرفه القواد وتقنونه . فإذا صنع الاسكندر غير ذلك ليقضى على قوة خصمه العسكرية ؟

إنه لم يصنع شيئا أكثر مما توحى به البيئة الاغريقية والرياضة اليونانية . فالاسكندر وجيشه كانوا قوما رياضيين خفاف الاجساد في مرونة ورشاقة وخفة ، ضمرأ على متون الخيل ، يملجون

الطعن بالرمح كما علمتهم رياضة قذف الحراب في الألعاب الاولمبية ، ومثل هذا الجيش الرياضي يعول على رشاقة الرياضة وخفتها في الحركات أكثر مما يعول على تركيز القوات وحشد الصفوف وتمكين الآلات الحربية . مثله كمثل الرجل الضامر القوي اللولبي الحركة اذ تعارك مع رجل بدين أشحم ثقيل في حركاته . فهذه « الحطة الرياضية » ان صح هذا التعبير ، هي التي أدت الى انتصار الاسكندر المقدوني وانهزام ملك الفرس برغم حشوده وعتاده الكثير . وهي خطة ما تزال صالحة في بعض المعارك الى الآن . وقد استخدمها الالمان والبريطانيون في بعض الجهات معولين على طائفة من ذوى الاجسام الرشيفة كجنود الباراشوت والكوماندو وغيرهم . ونجاح هذه الحطة يقوم على اللزوجة المتناهية التي لا تحطم الجيش الذي أمامها ، وانما تراوغه وتنفذ من خلاله أو تلتف حوله ، والعبارة فيها دائماً بالحفة والرشاقة للتناهيين

فلما ظهر الرومان على مسرح الحرب في العالم القديم ، كانت طريقهم للشكوة الغلبة تركيز القوة المعدنية كالسيوف والرمح والتروس والدروع للجند والحيل تركيزاً مبالغاً فيه ، لدرجة تشعر العدو أنه أمام قوة معدنية مصفحة خارقة للعادة . وقد اشتهروا بأن جحافلهم كانت تلتصق أسلحتها المعدنية من بعيد فتلقى الرعب في القلوب . واستعمال الأسلحة المعدنية في حد ذاته أمر مألوف . أما الشيء الفريد هو المبالغة المتناهية في استخدامها بحيث تلفت الانظار وتخيف الاعداء . كما صنع الالمان في مستهل هذه الحرب . فالبابا أمرها معروف . والحلفاء كان لديهم الكثير منها . أما مبالغة الالمان في أحجام الدبابات ، ثم حشدها في المعارك بالآلاف وبشكل مفاجيء سريع حاسم ، هو الذي أذهل البولنديين والفرنسيين ، وهو الذي حطم خط ماجينو والخطوط الروسية في أوائل الحملة الروسية . وهذا ما صنعه الرومان في العصر القديم . وبه سادوا حوض البحر الأبيض وعمقوا قرطاجنة وظفروا بالشرق الاوسط بعد ذلك

في القرون الوسطى

فلما آذنت شمس الرومان بالزوال وتسلط عليهم البرابرة الذين نزحوا من أواسط آسيا وشرقي أوروبا كالهون والوندال ومن اليهم ، كان الرومان ما يزالون معتمدين بالكثير من قوتهم العسكرية . ولو أن البرابرة قاتلهم بنفس أساليبهم الحربية لما ظفروا بهم اذ ذاك هي ما نعتقد . وأذكر أن أحد المؤرخين في تاريخ القرون الوسطى - وهو الاستاذ كويلاند الذي كان يدرس هذه المادة في جامعة ليفربول - كان مهتما بهذه الناحية من التاريخ الروماني اهتماماً خاصاً . وقد أدلى اليها معاشراً تلاميذه برأى له طريف . فقال انه قرأ فقرة في بعض النصوص اللاتينية القديمة جعلته يوجه دراساته في أسباب انهيار الامبراطورية الرومانية وجهة خاصة . وهذه الفقرة تنصب على أن البرابرة الذين غزوا روما أتوا معهم بطريقة استعمال الركاب وهم على متون الخيل . وصحيح أن بعض الصور

المنقوشة على الآثار والتي تسجل بعض المشاهد الحربية القديمة ، نجد فيها الفارس ممتطياً جواده وليس في قدمه ركاب . فكان فرسان الجيش الروماني كانوا يركبون الخيل على السروج فقط . وأرجلهم في هذه الحالة كانت مدلاة على جنبي الفرس دون أن تتكئ على شيء ثابت . والذين يتقنون فنون الفروسية يقولون ان ركوب الفرس بدون ركاب يجعل الجالس على ظهره غير مستقر في موضعه تماماً . ثم انه يجعله حال القتال عرضة للجذب والسقوط اذا ضربه خصمه بهراوة أو مال عليه أو وجه الى درعه ضربة قوية برمح . أما الفارس الذي يتكئ بقدميه على الركاب فانه يكون ثابتاً على السرج لا يتقلقل ، ولا يميل ولا يسقط الا نادراً . ثم انه اذا هم بالضرب بسيفه أو الطعن برمح يستطيع أن يميل الى الامام ضاعطاً على الركاب بقدميه ، كما انه يستطيع الوقوف على الركاب عند اشتداد القتال ، وتكون قوة ضربه أو طعنته ضعف قوة غريمه على أقل تقدير .

فهذه الآلة البسيطة التي لا تكاد تكلف شيئاً - الركاب - كانت من أبرز أسلحة البرابرة الذين قضوا على الامبراطورية الرومانية على حد قول الاستاذ كوبلاند . اذ فوجيء فرسان الرومان الاقوياء بفرسان لا يتزعزعون ولا يشكثون ولا يسقطون من ظهور أفراسهم . وفوجئوا أيضاً بضربات من السيوف وطعنات بالرمح ، فيها قوى خارقة للعادة نتيجة تركيز القوة العضلية عند الوقوف على الركاب . وهل الحرب الا طاقة جبانية تظهر طاقة أقل منها ؟ ثم هناك عنصر المفاجأة الذي يحسم كل أمر تافه لدرجة يغفل الى الجندي معها أن عدوه جبار لا يقهر . وكل هذه عناصر انتصار أحسن البرابرة استخدامها ، فقضوا على امبراطورية كان يصح أن تظل باقية عشرات أخرى من السنين ، رغم ما كان يثقلها اذ ذاك من ضعف وانحلال تدريجي

في العصر الحديث

فاذا انتقلنا الى العصر الحديث ، وأبرز حدث في مسنله كما نعلم هو فتح القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ على يدى السلطان محمد الفاتح ، نجد في هذا الحادث بالذات استخداماً معيناً لصلاح فتاك كان جديداً اذ ذاك - وهو للدفع والترب أن الدفع كان معروفاً لدى بيزنطة ولدى بعض الشعوب المتبقطة في هذا الزمان ، انما استعماله كان مقصوراً على بعض العمليات الحربية الارهاية . وأول استخدام له في حصار المدن - على حد علمنا - كان في حصار القسطنطينية . اذ كثر السلطان محمد الفاتح من للدفاع ونصبها على أبعاد قريبة من أسوار العاصمة البيزنطية العتيقة . وكان لتركيزها ودقة قنابلها الحجوية - فقد كانت القنابل من أحجار صلبة تنقذف بانفجار البارود - أثرها البالغ في ذلك الاسوار وتوهين القوة المعنوية لدى جيش امبراطور بيزنطة

وكأنما احتكر الترك العثمانيون كل تجديد حربي بعد ذلك لبضعة قرون . فتلا استخدام المدافع

بهذا الشكل للمركز في حصار المدن نعيم الأسلحة النارية على جميع جنود الجيش العثماني بعد أن كان استعمالها في أوروبا في أواخر القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث مقصوراً على النبلاء والقواد وأمراء المائة والعشرة من الضباط . وقد أجمعت مراجع التاريخ العسكري على أن الإمبراطورية العثمانية بلغت ما بلغته من قوة وسلطان بفضل هذا التعميم للسلاح الناري ، حتى غدا جيشهم يلقى الرعب في أقوى الجيوش الأوروبية مجتمعة معاً

والى ما بعد فتح القسطنطينية بأكثر من نصف قرن من الزمان - في سنة ١٥١٧ م - كانت الدول القوية ما تزال غافلة - أو عاجزة - عن مسايرة السلطنة العثمانية في مبتكراتها الحربية . وأبرز مثال لهذه الغفلة أو ذلك المعجز ما وقع في مصر للملوكية على عهد آخر سلاطين المماليك الجراكسة . فقد التقى الجيش المملوكي بالجيش العثماني في معركة مرج دابق للعروفة . وانفقد إجماع المؤرخين على أن قوة للدفع العثمانية كانت السبب الأكبر في ظفر السلطان سليم العثماني . وقد كان لي حظ الاهتمام بهذه المعركة بصفة خاصة لما لها من الأهمية التاريخية الفريدة ، ولما تلاها من ضياع السلطنة المملوكية وسيادة العثمانيين على الشرق الأدنى . فلاحظت أن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئاً عن للدفع للملوكية إلا الدفاع عن الحصون الساحلية . فكان استخدام للدافع في المعارك لم يكن قد فطن للمماليك إلى أهميته القصوى رغم براعتهم للشهودة وبغفلة لمستخدمات الفن العسكري . وهذه غفلة عجيبة يصعب تعليلها إلا بما يصيب الشعوب عادة من انغلاق وشيخوخة

أخف إلى تلك أن العثمانيين استخدموا في هذه المعركة أسلحة جديدة مبتكرة كان لها تأثيرها الفاجيء في سير القتال . فابن أبياس - وهو مؤرخ معاصر - يصف على أنهم استعملوا رماحاً طويلة لها « كالليب » في أطرافها ، بحيث يرسيها الفارس على غريمه فيطوقه بها ويجذبه جذبة تقتلعه من سرجه وتطرده أرضاً . وفكرة « الكلايب » في حد ذاتها كفكرة الركاب بسيطة جداً . وانتفاؤها أبسط . إنما للعول فيها على عنصر المفاجأة . إذ ينهمل الفرسان المماليك عند ما يرون فريقاً منهم يقتلعون اقتلاعاً من سروجهم برماح عادية وأساليب قتال عادية . ويظنون أن الأمر أخطر مما هو في الواقع . وليس أدعى إلى المزعمة من مفاجآت ميدان القتال

والأبرز من ذلك أن الترك ابتدعوا آلة حرب لعلها كانت إلى حد ما نواة استخدام الدبابات أو السيارات المصفحة في الحروب . فابن أبياس يحدثنا كذلك أن جيش السلطان سليم كان يحتوي على عربات خشبية طويلة تجرها الثيران وتعمل كل عربة منها عدداً من الجنود المسلحين بالبنادق . وإن هذه العربات كانت تهرع إلى جيش المماليك حتى إذا ما توسطت برز منها الجنود وأصلوا من حولهم ناراً حامية من بنادقهم . وهذه الفكرة أيضاً بسيطة . إنما الخطورة فيها أن هذه العربات استخدمت كوقاء للجنود ريثما يتوسلون ميدان القتال . ثم يبرزون فجأة فيكون لبروزهم وطلقاتهم

أثرها البالغ في نتيجة المعركة . وقد فوجئ جيش السلطان النورى بهذين السلاحين الجديدين - علاوة على تركيز للدفعية في الجناحين العنانيين - فكانت النتيجة ما سجل التاريخ من نصر حاسم سريع جداً للجيش العناني . وكان تهويل الفلول للردة من الممالك في أثر هذه الأسلحة الفتاك ، مما خذل ممالك طومانباي في معركة الرينانية وجعلهم يدخلون للمعركة وهم شبه مؤمنين بانهمزاهم . ولولا هذه الابتكارات لما انتصر سليم الاول ، أو لكن نصره عززاً شاقاً لقوة الممالك وبراعتهم في المأثوف إذ ذاك من أساليب القتال والكر والفر وإجادة استعمال السيوف والرماح

فلما تراخى الزمن بالسلطنة العنانية ودب فيها ديب الاعلال ، فقدت ميزة الابتكار والاختراع في الأسلحة ، فضاع ملكها ولاية ولاية . وانتقلت ملكة الابتكار الى الدول الغربية ولا نود أن نختم هذا المقال قبل أن نشير الى الخطة المبكرة التي هزم بها نابليون جيش الممالك . وهي خطة تنظيم المشاة في هيئة مربعات بحيث تفتح كرات العدو نفرة في ضلعها الامامية ، حتى اذا ما توسطت المربع انقطع الجنود وفتكوا بها بالرصاص . ولولا هذه الخطة المبكرة لانهمز نابليون قتيلاً أمام الجيش المملوكي المصري ، لجيشه كما تعلم كان من المشاة وكانت الفرسان فيه قلة . والجيش المملوكي كان كله تقريباً من الفرسان . والممالك في الهجوم الحاطف لم يكن يارهم أحد من المعاصرين . وقد فطن نابليون الى ذلك ودرخضته قبل سفره الى مصر . وفوجئ الممالك بهيئة المربعات في جيشه وأثرها الفتاك في حملاتهم المتوالية على جيشه مما كان له عميق الاثر في تبليل أفكارهم ودهن قواهم المعنوية . فلما فطنوا الى تدبيره كان ملكهم قد زال عملياً ، وبقيت منهم في أطراف البلاد فلول أثبتت منتهى الجسارة في مناوشاتها وجهماً لوجه للقوات الصغيرة التي كان نابليون يوفدها الى هنا وإلى هناك . ودهش الفرنسيون أنفسهم من صدق حملات فرسان الممالك وحدة سيوفهم وبراعتهم في فنون المباراة ، وأطنب أطباء الجيش الفرنسي بصفة خاصة في تعجبهم من ضربات المملوكية التي تفصل الضو عن الجسد بمحبة بالغة في السيوف وخفة بحية في البتر . بيد أن ذلك كله ضاع سدى أمام فكرة بسيطة استنبطها بونابرت المجدد المبتكر

وغير هذا الذي ذكرت من الأسلحة أو الخطط كثير . وهو كله كما رأينا يقوم على عنصر المفاجأة التي لا يتوقعها العدو . ويمكننا أن نقول ان الشعب الذي يعجز عن متابعة الابتكارات في سلاحه وخططه لا يلبث أن ينهار عسكرياً . كما نستطيع أن نقول إن الفرق كان مصدرها لمعظم الابتكارات والخطط التي غيرت مجرى التاريخ . فالأمبراطورية المصرية القديمة ، والأمبراطورية الفارسية ، والدولة القرطاجنية ، وملك البرابرة ، والأمبراطوريات التتارية والمملوكية والعنانية ،

[البقية على صفحة ٦٧٦]

العارية

للكاتب المسرحي بيراندللو

الحائز جائزة نوبل في الأدب

لويجي بيراندللو من ألمع الشخصيات في الادب الحديث ، ومن أقدر كتاب المسرح في هذا العصر ، ومن الادباء القلائل الذين تأثروا الى مدى بعيد بنظريات العلامة النفساني سيجموند فرويد ، وقد استطاع ان يجسم هذه النظريات ويفسرها في مسرحياته التي تدور حول رسم وتصوير العواطف الخفية التي تسبح في العقل الباطن ، وتطفو الآونة بعد الاخرى فوق سطح العقل الواعي فتضطرم بالتقاليد الاجتماعية والنواحي الطبيعية . أما فنه فيدور حول الشعور بالحياة ، ويؤدي الى فكرة مبهمة عامة ، أساسها ما يتعلق بالدين والاخلاق والقوانين . وهو يقسم الشخصية في فنه الى عشرة ومائة وأكثر ، فانا مثلا لست سوى الشخص الذي يراه معارف ويراه سواهم ، ويراه أقاربي ولكنهم جميعا لا يدركون حقيقة نفسي ، وقد يدعى واحد من هؤلاء أن الحق في جانبه ، ولكن أين برهانه ؟ فانا نفسي لا أعرف من أنا ، وكيف أكون ، ولكني أعرف عن نفسي بعض تصورات لا أكثر ولا أقل ، ومن يدريني شيء على حق فيما تصوره ؟

ولبيراندللو مسرحية عنوانها « ستر الرايا » وهي ليست أقوى رواياته ، وإنما تعد أجمل فرائده ، وقد كتبها مدفوعا بذكريات خاصة وانفعالات وقعت في محيط أسرته والمسرحية في حد ذاتها مؤلمة وخفيفة ، مؤلمة لأنها تمثل لنا فاجعة فتاة مثقفة ، فيها جمال وسحر يجذبان كل مخلوق اليها ، بيد أنها تسمى الظن دائما بالحياة ، فهي لا تؤمن بوجود شيء اسمه الامل أو السعادة أو الحظ ، وهي مصابة بنوع من التهاافت العصبي يجعلها متشائمة كل التشاؤم ، مسرفة في الشك الى أبعد مداه ، الى حد أنها شرعت في الانتحار ولكنها أنقذت في آخر لحظة بأعجوبة ، وقد تألب على هذه الفتاة العشاق والاصدقاء ، فهناك غدومها التري الذي يرغبها على أن تظل محتفلة ، ثم خطيبها الضابط البحري الذي يبنى الاقتران بها ولكنه لا يهواها أو يخيل اليه أحيانا أنه يهواها ، وهناك أيضا الصحفي الذي يتخذ من حادث انتحارها مادة يسود بها صفحات جريدته ، والكاتب القصصي الذي يأورها الى داره لانه وجد في مأساة حياتها موضوع رواية طريفة يزرعها الى الجمهور ، وهي خفيفة أيضا لان الكاتب أراد ان يصور لنا ما تلقاه الفتاة المصرية من ضروب الانتم

والجور ومن شقاء دون الرجل حيث يستأثر لنفسه بكل الملذات والطيبات على حين يتخذها أداة لتفعله وسيلا يصل به الى ارواء ظمئه الروحي والجسدي

الانسانية في حاجة الى الكذب لتجاء ، أو لتعيش عيشا رغدا - هذه هي الحكمة التي يجريها بيراندللو على لسان بطلته - فالبعض منا يشعر في بعض ظروف الحياة بحاجة ماسة الى الكذب ، والاخر مجرد من كل شيء كالعرابا ، فيحاول التستر بذلك الجلباب الفضفاض - أى الكذب - لينجمل به ويظهر بمظهر يسمو به على حقيقته

وهذه البطلة حاولت ان تقلد الآخرين، وان تستر عريها بثوب فيه شيء من الحشمة، لكنها ما ظفرت يوما بثوب أنيق ، يجلوها في مظهر حسن ، الا وأمنت الكلاب البشرية تمزيقا فيه ، ولم يتركوا لها رداؤا الا لطخوه بأقذر المايب وأحطها ، فهي ليست الا ظلالا للشقاء الذى تخبط فيه المرأة المصرية ، وصورة من البؤس الانسانى الذى تلقاه فتاة وحيدة في العالم ، لا أسرة تأويها ولا قلب أم حنون يطفئ عليها

* * *

ارزيبا دارى فتاة في العشرين ربيعا، حادة المزاج، مضطربة الفكر، محطمة الاعصاب، بادية الشحوب ، مشتتة كل التأؤم ، حاولت الانتحار بسبب أن ربة الأسرة ضبطتها في حالة مريبة مع زوجها ، حيث كانت تعمل مدرسة لطفلة ، وفي أثناء ضبطها هوت الطفلة التي عهد اليها بتربيتها من الشرفة وقضت نجبا

وقد نشرت الصحف نبأ حادث انتحار ارزيبا ، وكان في جملة الذين طالعوه الكاتب القصصى لودفيكو نونا ، وهو رجل جاوز الحلقة الخامسة من عمره ، رزين ، مفكر ، جميل المنظر، على الرغم من أن الطبيعة لم تنبهه أية مسحة تثير المحبة والشفقة في النفوس . وقد وجد في حادث الانتحار مادة طريفة لقصة يزجها لقرائه أو موضوع مسرحية غريبة يقدمها للجمهور . فمضى الى المستشفى وقد دفعه فضول الفنان الى أن يتعرف ببطلة الحادث، وبعد أيام استطاع أن يقنعه بالانتقال الى داره يستضيفها ويقف منها على معلومات أدق وأجدى

واستهل لودفيكو حديثه معها بأن خاطبها في رزانة قائلا :

- ذكرت لك أن عاطفة جاثمة تولت كيائى وسيطرت على مشاعرى حين قرأت في الصحف نبأ فاجعتك ، لكننى ما شعرت بتلك العاطفة لأكبتها بل لأحيائها . فالقصة يا صغيرتى تقوم على أحد أمرين : اما أن يكتبها المرء أو يحيهاها . ومع كل فانه مجرد اطلاعى على حكايتك في الصحف كنت قد تخيلتها بنفسى من البداية الى النهاية فدعشت الفتاة وسألته على الفور : « تخيلتها كيف ذلك ؟ »

- بأسرع من لمح البصر ، في أدق تفاصيلها ووقائعها العجيبة ، يا له من موضوع قصة طريفة، فهناك في مدينة أزميز ، في ذلك القصر المشرف على شاطئ البحر، قصر القنصل

جروتي ، حيث كنت تعملين فيه معلمة للطفلة ميمينا ، ثم في الشرفة التي هوت منها هذه الطفلة على صخور الشاطئ ، وقضت نجها ، ثم في طردك من القصر ، وسفرك الى روما . ثم اكتشافك خيانة خطيك الضابط البحري فرانكو لاسييجا ، وتابعه للاقتران بأخرى - في كل هذا اكتشاف مروع . لقد تخيلت كل شيء بنفسى قبل أن أدركه ، وقبل أن أعرفك كنت قد أعددت بناء قصتك بأكملها

فابتسمت أرزبيليا ابتسامة صفراء من هذه المفاجأة غير المتظرة ، ثم سألتني : في أية صورة كان يتخيلها ، فأخذ يراوغها ويجيب :

- ولماذا تريدني معرفة ذلك ؟ اتنى أفضلك الآن ألف مرة كما أنت على تلك المرأة التي تخيلتها بطلقة لقصتي

فعدت الى سؤاله : اذن هذه القصة ليست قصتي وإنما هي قصة امرأة أخرى

- بالطبع ، إنها قصة المرأة التي تخيلتها !

- وهل هي تختلف عنى كثيرا ؟

- ان المرأة التي تخيلتها بطلقة للقصة ، تمر بمخيلتي وقد عصفت بها مرارة اليأس من فرط ما تعاني وهول ما تلقى من ضيق ويؤس . فتسج بهنظرها ذات ليلة نحو المرأة التي تزين غرفتها في الفندق ، وهي متهافتة الاعصاب ، وعندئذ تومض في رأسها فكرة هوجاء تدفعها الى الانتحار ، فقد عضتها الفاقة بنابها الأزرق ، وهي لم تعد تغلظ من طعام الدنيا سوى دراهم معدودات بينا صاحب الفندق يلح في دفع متأخر الحساب ، فقد أضحت حياتها سلسلة اخفاق ، وأخيرا استولى اليأس عليها ونسرت نملأ في الانتحار فذعرت أرزبيليا وصاحت :

- ولكن هذه النقطة لم تذكر في سياق البيا الذي نشرته الصحيفة عن حادث انتحاري

- لقد تخيلت ذلك ! ألم يكن ما تخيلته قد وقع حقا ؟

ثم التفت إليها واستطرد :

- اصنى الى ! لقد تعاهدنا على العيش معا . على تأليف قصة طريفة هي الآن حلمنا

الجميل . أتصورين اذا أنا انطلقت الى الشارع بعد لحظة ثم دامتني سيارة بطريق المصادفة يكون الشارع قد خلق ذلك الحلم في مخيلتك ؟ ومع كل فقد سبق أن ألقيت حياتك تبديل وتقلب رأسا على عقب بتأثير مصادفة طارئة ، وأعنى بها سقوط الطفلة من الشرفة

فنفست أرزبيليا عن صدرها بأن قالت :

- ما أقسى أن يخدم المرء وأن يطيع ، والا يكون بين الناس شيئا مذكورا ، بل ثوبا

خلق للعمل ، يعلق كل مساء الى مسمار في الحائط

ولكن الكاتب القصصي راح يصحح لها خطأها بأن ذكر لها أنها لم تصبح بعد ذلك نكرة بل أضحت تلك المخلوقة التي تستدر الشفقة والرثاء والتي هزت أوتار القلوب ، قلوب ألوف القراء الذين طالعوا حادث انتحارها منشورا في الصحف

ولم يكذ لوڊفيكو بفرغ من حديثه حتى استأذن الصحفي الفريڊو كانتاللى فى الدخول، فهو قد جاء ليتعرف الى بطلة الحادث التى نشر عنها ثلاثة أنهر من صحيفته ، ويلغضى اليها بأن القنصل جروتى قدم من أزمير وانه زار ادارة الصحيفة عشية الامس وهو يطالب بتكذيب لزج اسمه فيه والا اضطر الى رفع الدعوى على الصحيفة بتهمة القذف والتشهير، وعلاوة على ذلك فان خطيبة الضابط البحرى الجديدة بعد اطلاعها على شناعة الحادث قتلها الاشتراز من خيانه فصرحت بعزمها على فسخ الخطبة

* * *

ويبدو أن نشر الحادث فى الصحيفة حرك فى نفس الضابط عوامل توبيخ الضمير ، فقدم لمقابله أروڤيليا بنية أن يكفر عن خطئه الشنيع ونكته بالعهد الذى سبق أن قطعه لها. لكن أروڤيليا رفضت أن تراه وأصررت فى كبرياء على الرفض . فقد أضحت تثقت ذلك الحطيب الغادر شر المقت بسبب خيانه . ولكن فرانكو راح يوضح للكاتب القصصى موقفه وأخذ يصرح له بأن قرينة القنصل مضت الى دار خطيبته الجديدة وأفضت الى أمرتها بأن أروڤيليا لم تكن سوى عشيقة للقنصل وأنها اكتشفت خيانتها فى نفس اللحظة التى موت فيها الطفلة من الشرفة، فطردت أروڤيليا من خدمتها ولم تمنحها حتى أجر السفر الى روما. وهى الآن - أى المتحررة - تتظاهر بمظهر العذراء الشهيدة كى تستدر عطفنا وشفتنا عليها ، على أن النوى الوحيد الذى قدم من أجله الساعة هو أن يقف عما اذا كانت أروڤيليا قد أصبحت عشيقه القنصل قبل أن يطلبها للزواج أو بعد ذلك

أصغى القصصى لوڊفيكو الى هذا الحديث، ثم احتج على اللهجة التى بدرت من فرانكو، وأجابه بأن أروڤيليا لم تشرع فى الانتحار الا من أجله ، فلا حق له اذن فى اتهامها بأنها كانت فى يوم ما عشيقة للقنصل جروتى . وراح فرانكو يتخبط فى الرد عليه بأن أجابه - ان أروڤيليا قد غرما أن يستضيفها كاتب عظيم مثله ينقل الى عالم الفن تلك القصة الخيالية ، قصة انتحارها فى سبيل الحب ، فهى تتشدد بالاكاذيب وهو الذى يسجلها ويكتبها للناس فقال لوڊفيكو :

- ليس هناك من باعث يدفع تلك الفتاة الى الكذب فى لحظة كانت فيها مشرفة على الموت . فالكذب قد يقيد فى الحياة ، أما بعد الموت فما الفائدة التى تجنيها منه . ومع كل فلنكن القصة حقيقة أو مختلقة ، ماذا يهم ؟ قد نسوء القصة بالنسبة اليها بيد أنها جذابة فيما يختص بقلمى . على أن هذه القصة كما هى فى اضطراب وقائعها واختلاف تحليلها النفسانية زادت فى عيني جمالا ، وأراني أشد ما أكون فرحا بوضوح كل شئ. فى خاتمتها ، فان فى مكنة أى كاتب ملهم أن يتخيل لقصته ختاماً حتى لو خلت هذه القصة فى الحياة من ختام

بيد ان فرانكو ذعر وراح يستوضحه في لهفة عما اذا كان يزعم أن يحشره هو أيضا في زمرة أبطال قصته

فسخر منه لودفيكو وأجابه: بالطبع وأرجو أن تلمن أيضا من هذه الناحية فان طائفة النقاد سوف يتكفلون بالدفاع عنك ويدعون بأن كل ما سردته ورسمته زائف ودلفت أرزبيليا الى حيث كان الرجلان يتأقنان في حمية وحملية ، واتجهت من فورها الى لودفيكو تشكو اليه وتتالم باكية :

— ماذا ترى في لو كنت اختلفت عن المرأة التي صورتها بطله لمسرحيتك ؟ لكم غنيت أن أكون امرأة خيالك وأحلامك ، أو أكون تلك الضحية التي تجا بعد موتها في قصة من قصصك ، بيد أن هذا الحلم أصبح الآن بيد التحقيق ، فالحياة لا تريد مفارقتي والجميع هنا في أعقابى يطاردون الفريسة

وعندما وقع نظرها على فرانكو قابعا في زاوية من زوايا الغرفة استفاق في نفسها شعور خفى غامض فوقت أمامه لتعرف له في لجة من تريد أن تعذبه :

— مادمت تجهل تفاصيل بناء الانتحار فسأحملك الآن على الامام بكل شيء ومصارحتك بكل ما تشوق للوصول اليه . فانه حدث قبيل خروجي من الفندق بروما ، في ذلك اليوم المشؤم ، يوم اقدمى على الانتحار ، ان خلوت الى نفس لحظة ، وازلت بين الاستمزاز الذى نالني ليلة سقوطى ساعة أن هبطت الى الشارع ووهبت جسدى لأول عابر سبيل وبين حياتي الراهنة . ولكن هل كان ثمة فائدة أجنيها من معاودة الكرة فانزل الى الشارع ؟ لم تسعنى ذاكرتى بالجواب ، بل نهضت الى المرأة وبشرت على وجهي شيئا من البودرة ودست فاخل حقيبي أنبوبة زجاجية تحوى نوتا من السم . وأخيرا هبطت الى الشارع الصاخب وجعلت أسير على غير هدئ وأنا عمومة حيرى ، الى ان صادفت مقعدا حجرييا في أحد المادين فتهاكت عليه ، الى تلك الساعة ، لم يكن فكرى المضطرب قد استقر على رأى ما . فقد كان في وسعى أن أعاود المحاولة فأبيع جسدى وأقبض عن ذلك . ولو أن المصادفات سافت الى عابر سبيل في تلك الآونة فرقت في عينيه أو راقى هو لى ، فما أدرى هل كنت أمضى معه أو أرفض له طلبا . وكما سبق أن ذكرت كنت قد جلست وجهى بقليل من البودرة ونفقت شفتى بالخضاب ، وارتديت ثوبا أزرق سماويا ، وفي النهاية لحقنى نائب الضمير فقهرت استمزازى من العار وآثرت الموت فتأطلعها فرانكو وقد صعق من هول هذا الاعتراف الذى لم يكن ينتظره وجعل يسألها :

— اذا كنت ترومين الاعتراف بأنك كنت ضحية قسوة الآخرين ، فلماذا تأبين على أحد هؤلاء القساة وقد أضناه تقريع الضمير أن يكفر عن قسوته نحوك ؟
فكررت أرزبيليا القول أمامه بأنها لم تحاول الانتحار من أجله ، فكل ما ذكرته للصحف كان محض اختلاق ، وانما هى شرعت في الانتحار بسبب قسوة الحياة عليها

وكان القنصل جرونى الذى قدم خصيصا من أزمير ، قد انطلق الى المستشفى يزور ضحيته ، يد أنهم قالوا له ان أرزبيليا قد نقلت الى مسكن الكاتب القصصى لودفيكو نوتا . وهو لا يكاد يلتقى بها ويخلو اليها بعض الوقت ، حتى راح يلومها على تزويدها الصحف بهذه الأنباء التى تلوث سمعته كرجل من رجال السلك الدبلوماسى وتضر بمركز أسرته ، لا سيما بزوجه . وأخيرا استوضحها حقيقة الباعث لها على الانتحار ، وهل كان لوخر الضمير دخل فى ذلك

فتشجعت أرزبيليا وأخذت تطمئنه من هذه الناحية فقالت :

- ان من كان على طرازك ، ففى وسعه ألا يتحمل وزر ضميره لان لديه من المال ما يئنه على احتقار ذلك ، أما أنا فقد ألفيت نفسى ذات يوم فى الشارع ، مطرودة من الفندق الذى أسكنه بسبب عجزى عن دفع متأخر الحساب ، ووجدت نفسى عارية ، لا أملك درهما واحدا ، تظللنى سحابة من اليأس والكمد ، وفى هذه اللحظة راودتنى ذكرى الطفلة التى راحت ضحية غرامنا الاثم فاستيقظ ضميرى ودفعنى الى فكرة الانتحار ولكن جرونى جعل يستدرجها فى الحديث ، ويصارحها بأنها اذا كانت تهواه فيما مضى وتستير ما كمن من عواطفه ، فلماذا تفر منه الساعة وتزور عنه . فاحتجت أرزبيليا بشدة على ذلك التصريح المشين ، وصرخت تدافع عن نفسها :

- كنت أبغضك بقدر ما كنت تهمرنى بالقبل . لكم قنيت لو مزقت جسدى . انك لم تفر بقلبى فى يوم ما ، اذ أن هذا القلب كان يدمى كلما أقبل على اللذة معك . فجسدى هو الذى كان يتسللم اليك دائما ، أما قلبى فكان ولا يزال ملكى وحدى وراح جرونى يناجها مناجاة حارة ، ووركع عند قدميها مخاطبا إياها فى لهجة تشف عما يعاين من وجد وصباة :

- أنا فى حاجة اليك . نحن شقيان حطمتها الحياة ، فلنن نفسينا غراما ، ولندفن حطينا العائرين معا . تعالى الى صدرى فأنى لا زلت أشتيك

يد أن أرزبيليا أعرضت عنه وقد بلغت أزميتها النفسية أقصى مداها ، فهى تروم أن تحتفى وتوارى عن عيون الذين يلاحقونها ويرمقونها بما ليس فى وسعها أن تتحملة . وكان الضابط البحرى فرانكو لا يزال بدوره يتردد عليها بقية أن يعيد اليها صوابها ، فقد سبق أن خافها ونكت بعهد خطبته لها ، ولكنه أصبح ينشد أن تصفع عن زلته وتتأسى الماضى . لقد هجر البحر ، البحر الحضم المتراعى الاطراف لينوص فى مستنقع حياة تافهة انه ضحى بحلمه وارضى الواقع . هجر الطهارة والسعادة والحب ، يد أنه يريد أن يسترد قسا من ذلك الضياء ، فيمضى بعيدا بأرزيليا الى شاطئ البحر ، هناك فى أزمير ، حيث كانت تعيش فى مناة وسعادة ، ترتقب أوبته ، وهى واثقة بأخلاصه رافلة فى نعمة حبها

أما القصصى لودفيكو فقد بات حائرا مشدوها ، فهو لم يهتم بهذه القصة الا لما تصوره

من شبه بينها وبين موضوع القصة الخيالية التي نسجتها تخيلته أى من حيث شخصيتها ووقائعها . ولكنه مضطرب ، مزعزع ، فقد أفسدت عليه هذه التعقيدات والنتائج غير المتوقعة جميع ما كان يتخيله

وتسلل أرزبيليا بخفة إلى غرفتها بعد أن عادت من الفندق حيث كانت قد مضت لتسترد حقيبتها ، ويلمحها فرانكو فيهرع إليها ويناجيها بأعذب الالفاظ ، سائلا إياها الصفع والغفران ، لكنها تنهره بشدة وتكرر عليه تحفه في أن يلمسها فيجيبها في صوت خفيض :
- اننى على استعداد لان أقبلك من عثرتك ، وأنظف من ثوبك وحل آثامك

- هل أنت قرانكو الذى عرفته فيما مضى ؟ كلا ! فليس الصوت صوتك ولا العينان عينك

- انك تعددنى عنك ، تحميتنى على الشك فى نفسى وفيك أيضا
- ذلك لانيك لا تستطيع أن تفهمنى حق الفهم . فان هذه الحياة التي عادت الى عقب انقاضي أصبحت فى نظرى كذكرى لم تثبق من أعماق نفسى بل هى فرضت على فرضا . اننى أكاد أنكر وجود الماضى وأشعر بأننى تبدلت كل التبدل . أحاول أن أمحى نفسى أعيش على هامش الذكرى ، فلا أراهم الا كخففة ، مع يقينى بأن هذه الذكرى ان هى الا مرآة حياتى المنصرفة

- ولكننى لم أنتهر ولم أبتدل . اننى لا أزال ذات العاشق الذى كنته فيما مضى .
وسأكون بقربك وأبتك كظللك الى الابد

- ليس فى وسعك أن تفعل ذلك . عند ما وقع نظرى عليك شعرت بغضب ووحشة خاسرة ، برغم وثوقى من أنك لم تعد بعد ذلك العائق الذى كنته فيما مضى . وداعا ! ولم تكده أرزبيليا تفرغ من عبارتها الأخيرة حتى ترنحت فى وقفها وهوت فوق عتبة الغرفة وأنفاسها تلاحق ، اذن فقد شرعت فى الانحمار للمرة الثانية وتناولت أقراسا من السم ، بعد أن أخفقت فى أن تستعيد مكانتها السابقة كمذراء شريفة ، نقية كل النقاء . وعندما رآها فرانكو على هذه الصورة خائنه الجلد وصاح مولولا ، وأقبل لودفيكو وجرونى فى أثره وقد ذعروا جميعا من هول الحادث ، وبدت أرزبيليا فى شحوب الموتى ، فصرخ جرونى بها : ماذا فعلت بنفسك ؟ وما لودفيكو محاولا انقاذها بشتى السبل صارخا : انقلوها الى المستشفى . أما فرانكو فقد عقدت الدعشة لسانه فالتوى عليه القصد ولزم جانب الصمت

وحركت أرزبيليا رأسها وتطلعت اليهم كأنها هى تنهرهم ، ثم وضعت أصبعها على شفتيها وأخيرا نطقت فى صوت مكلوم :

- هذه المرة . أرجو منكم الصمت . كفى تظاهرا بالتشفقة على والرحمة بى . لم تعد هناك فائدة ترجى . فقد استفحل الداء وعز الدواء

ثم تريت برهة وأردفت :

- لو لم أعاد الانتحار لما صدقني أحدكم . كان يجب أن تصدقوا في بادئ الأمر أنني لم أكذب لأحيا . ولكن هل تدري يا فرانكو لم كذبت عند ما تحدثت إلى البارحة عما يطوف بقلبك من عواطف جياشة وكيف مررت إلى هنا في سبيل أن تكفر عن خيانتك نحوي ؟ وهل تعلم يا جروني لم كذبت وبادرت بتكذيب بنا علاقتنا الائمة على صفحات الصحف ؟ ذلك أن الإنسانية قاطبة تحاول أن تتجمل وأن تبدو في مظهر يسمو بها على حقيقتها ، ويقدر ما تكون النفوس منحللة والسريرة قذرة ، قدر ما تحاول أن تتسم ذروات النبل والشرف والجمال ... أجل ! أنا جميعا عرايا ، نحاول أن نستريح عريضا بثوب فيه شيء من الحشمة ، فنكذب . ولم أكن أملك مثل هذا الثوب لابدو طاهرة نقية ، فاصطمت تلك الاكذوبة ، اكذوبة الفتاة التي تتحرر بسبب خيانة خطيها . لقد أردت أن أحول في ساعة موثى ثوبا يكون جيلا بعض الشيء ، ثوب خطية ، لكن هذا الثوب أمعنت الكلاب تمزيقا فيه ، وحرمني ، حتى هذه التمزية البسيطة . ثوب أحلامي الجميل انتزع مني ، ثوب خطي قد مرق ولطخ ، وأضافوا إليه وحلا على وحل وقبل أن تسلم الروح لفلت شفتاها هذه الكلمات متقطعة :

- دعوني أمت مجردة في سكوت وسلام . من حتى الآن ألا أرى وألا أسمع . انهبنا فقل أنت لحطيتك وأنت لقربتك ، أن التي انتحرت . ماتت عارية محمد أمين مسونة

أسلحة وخطط غيرت مجرى التاريخ

[بية للنشور على صفحة ٦٦٨]

كلها شرقية . وإذا جمعنا ثرات هذه الامبراطوريات العسكرية لم نكد نجد في الفن العسكري شيئا مستحدثا ذا بال - سوي الطائفة

فالحرب الشاملة وحرب الاعصاب والطاير الخامس وما إلى ذلك من مبتكرات جنكيز خان كما ذكر كاتب المقال الذي أشرت إليه أولا . والحيل والفروسة من آثار المحكوس والبرابرة والعرب وسكان أواسط آسيا . وإجسار البارود أثر لعبقريه الشعوب الصينية . واتقان استخدامه في للدفعية والأسلحة النارية من أعمال الترك . وخطوط الدفاع على هيئة السور العظيم ذي الحصون المقامة على أبعاد متساوية - كخط ماجينو مثلا - نجد لها مثلا بارزا في سور الصين العظيم بل لقد عثرت في بعض كتب التاريخ التركية على نصوص تثبت استخدام الفرسان التتار والممالك المشاعل القوية الذهب في حملات صادقة تسبق الحملة الكشيفة للجيش الرئيسي بفكرة تشويش خط دفاع العدو وتخوينه بالنار . ولعل هذا كان أصل فكرة الدبابات فاذاقات الذهب التي استخدمها الألمان في حروبهم الأخيرة محمد محمد توفيق

طنافس تتركيا

بإعلاء الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

إن صح للفريقين أن يباهوا بتلك اللوحات الفنية الرائعة التي خلفها لهم أسلافهم من أعلام المصورين ، فإن لنا معشر الشرقيين أن نفاخرهم بتلك الطنافس الشرقية التي ابتدعها أسلافنا ، وإذا كانت اللوحة الفنية تتحدث بألوانها إلى عيوتنا ، وبصميمها وفكرتها إلى عقولنا فإن طنافس الشرق لتضيف إلى متعة النظر والعقل متعة اللمس كذلك ، فهي تحفة فنية بكل ما يجعله هذا التعبير من معنى : فيها الفكرة الكامنة ، وفيها التوازن والانسجام ، وفيها التنوع بين الألوان ، وفيها يد الصانع الماهرة

ولم تكن الطنافس - أى الأبسطة ذات الحقل - معروفة في الصور القديمة ، وأغلب الظن أن قبائل التركان في أواسط آسيا قد اهتموا إلى صنعها في القرن الأول للميلاد ، ولا تزال هذه القبائل حتى اليوم تنسج الطنافس وتحفظ بتقاليدها القديمة في الرسم والنولين ودخلت هذه الصناعة إلى آسيا الصغرى على يد الأتراك السلاجقة في القرن السادس الهجري ، وكان في طبيعة البلاد هناك معاوون على نضوجها وتقديمها ، لمراعى الأغنام وللأغز للتشجرة على سفوح مرتفعات الأناضول قريبا من ساحل البحر الأبيض المتوسط قد أمدت السكان بكيات وفيرة من أحسن أنواع الصوف ، وسهلت عليهم - لآسيا النساء والفتيات - مزاوله هذه الصناعة في منازلهم . ولقد زار الرحالة الشهير (ماركو بولو) هذه البلاد في القرن السابع الهجري (١٣ م) وذكر في رحلته أن أرق وأجمل طنافس العالم هي ما تخرجه مناسج تركيا ، وفي متحف الأوقاف باستنبول ثلاث قطع من طنافس قديمة ترجع إلى ذلك العصر ، كانت في الأصل مفروشة بمسجد علاء الدين بقونية ، وهي تتأزر بزخارفها الهندسية وإطارها الذي يتضمن ما يشبه الخط الكوفي ، وتعتبر هذه أقدم الطنافس الإسلامية إذا استثنينا القطع الصغيرة التي عثر عليها في القسطنطينية والتي يظن أنها من القرن الرابع الهجري

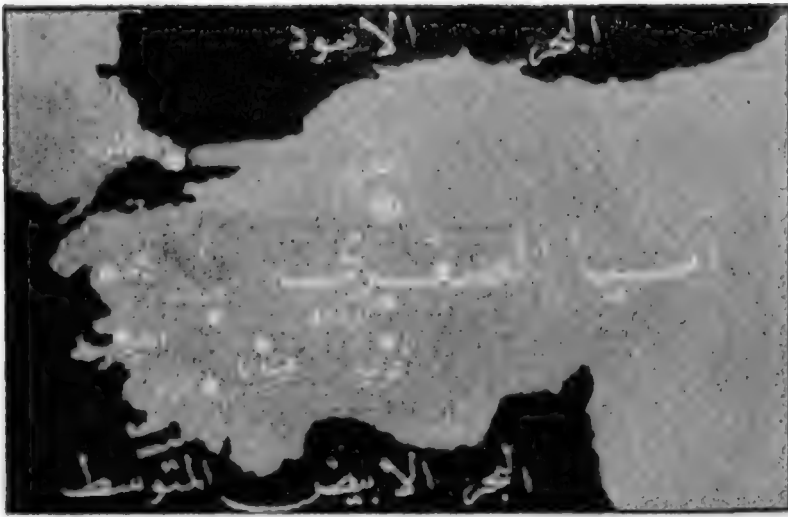
وفي القرن الثامن الهجري (١٤ م) زالت دولة الأتراك السلاجقة من آسيا الصغرى ، وحل محلهم الاتراك العثمانيون ، وشغل هؤلاء في أول حكمهم بتثبيت قواعد ملكهم الجديد ، وقنعوا

بما وجدوه بين يديهم من الطنافس السلجوقية التي تغلب عليها الزخارف الهندسية أو المتشابكة Arabesque وتبدو في حوافها تلك الزخارف السكوفية . ولقد كانت هذه الطنافس محيية الى الغريين فأقبلوا على شرائها كما أقبل فنانونهم على تصويرها في لوحاتهم ، ولعل أشهر هؤلاء هو المصور الألماني هالبين Holbein الذي كان يعيش في النصف الاول من القرن العاشر الهجري (١٦ م) ، واشد عنايته برسم هذه الطنافس ، وشغفه بنقلها في لوحاته نقلا صحيحا أطلق علماء الآثار اسمه عليها ، ومن أخص مميزاتها صغر مساحتها واشتغال رقعتها على جامات كبيرة أو صغيرة ، وشيوع اللون الاحمر فيها

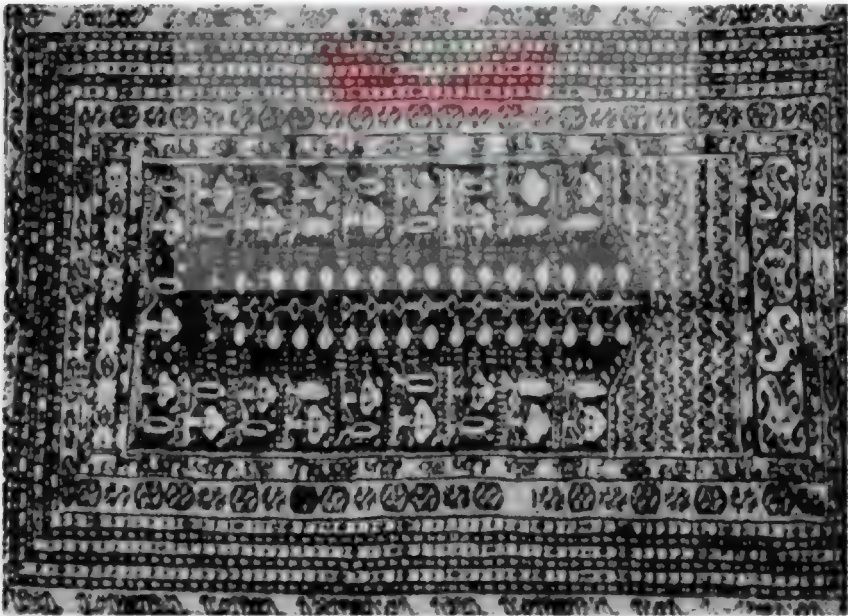
وما كاد يستولى الاتراك على القسطنطينية في القرن التاسع الهجري (١٥ م) ، وبطمتون على ملكهم الجديد ، حتى بدأوا يفكرون في الفنون الجميلة ، فأنشأوا في قصورهم مناسج لعمل الطنافس ، جلبوا لها العمال من مصر وإيران ، وفرضوا عليهم من الزخارف ما كان محبباً الى قلوبهم ، فأبدعوا ذلك النوع للسمى « طنافس البلاط التركي » ، وأخص ما يمتاز به غلبة الاشكال النباتية على عناصره الزخرفية ، ورسم هذه العناصر كما هي في الطبيعة : أزهار الزنبق والسوسن ، والزنجبيل والقرنفل تراها ممثلة أحسن تمثيل في هذه الطنافس كما تراها على الحرف التركي للنسوب الى رودس . ولقد كان من الطبيعي أن نلاحظ في هذا النوع تأثيرات الفن للمصري الملوك والفن الإيراني الصفوي ، على أن أثر هذا الفن الأخير تراه أوضح في « طنافس عشاق » تلك المدينة التي تعد أهم مركز لنسج الطنافس في تركيا ، وتمتاز هذه الطنافس بكبر مساحتها ، وبما يتوسطها عادة من جامات كبيرة ملونة بزخارف جميلة ، وبما يزين جوانب رقعتها وزواياها بأقسام أو أرباع جامات صغيرة تشبه الجمامة الكبيرة في كل شيء ، أما الألوان الناقية في هذا النوع فهي الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر . ولقد وفق معالي الدكتور علي إبراهيم باشا الى اقتناء سجادة صلالة من هذا النوع ترجع الى أوائل القرن العاشر الهجري (١٦ م) وليس في العالم كله نظير لها إلا واحدة موجودة بالقسم الاسلامي بمتحف برلين تماثلها تماماً

وينسب الى هذه المدينة نوع من الطنافس أرضيته بيضاء مخططة كأنها جلد الفهر ، وفيها كرات صغيرة كل ثلاث منها مرسومة على شكل مثلث . وهذه الكرات - كما فسرها العالم الأثرى مارتن - يعبر بها عند التتار عن الحظ الحسن ، وقد كانت تمثل شعار تيمورلنك ، ولعلها وصلت الى تركيا على يديه عند ما غزا تلك البلاد وهزم الاتراك عند أنقرة عام ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) ثم ذهب الزمن بأصلها وأصبحت مجرد عنصر زخرفي ، ويتصل بهذا النوع أيضاً الطنافس البيضاء التي تزدان بما يشبه الطيور

ولقد وجد في كنائس بفسلفانيا عدد كبير من الطنافس الشرقية لها مميزات تجمع بينها ، وتعمل من اليسير على الحير معرفتها ، ولعل أوضح ميزة فيها هي أنها إذا ما قورنت ياتي طنافس تركيا ،



مراكز صناعة الطائف في زكيا



سجادة صلاة من صناعة «كولا» من القرن الحادي عشر الهجري



سجادة صلاة من صناعة « عشاق » من مجموعة الدكتور علي ابراهيم باشا

لوحة نيشل الناجر
جورج جيزري ترى
فيها صورة طفلة
تركية فوق المائدة من
تصوير للصور الألاف
ميلان



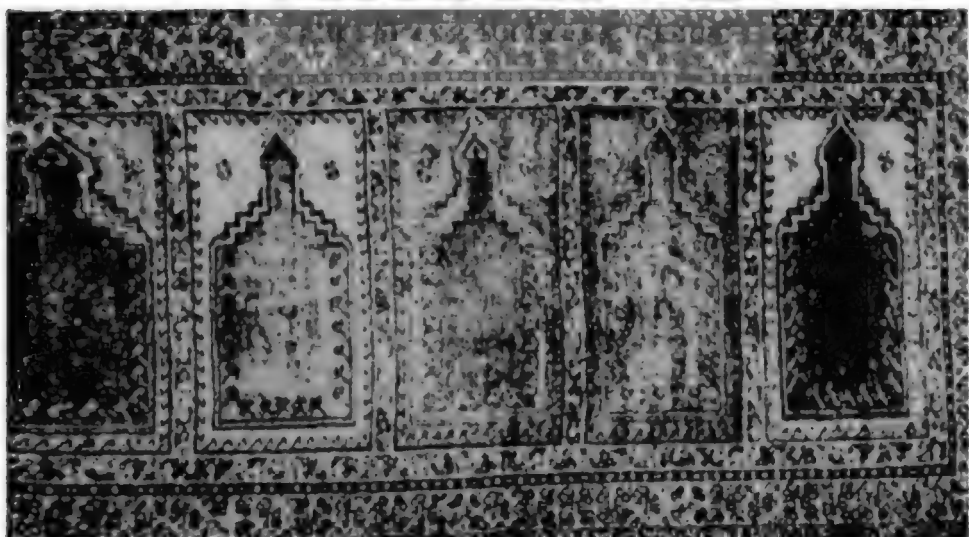
وجدت أقرب ما تكون إلى المربع منها إلى المستطيل ، ثم إن إطارها يتضمن عادة جامات متعددة
الاضلاع بعضها مستطيل وبعضها نجمي الشكل ، وكلها ملونة بخاروف بألوان منسقة . وقد عرفت
هذه الطنافس باسم « طنافس بنسلقانيا » مع أنها تركية الأصل ، منسوجة في مدينة برغمة
Bergama . ولا تزال هذه المدينة تنتج حتى اليوم طنافس تحمل اسمها ، وتعت بصلة وثيقة في
زخارفها إلى « طنافس هليين » سالقة الذكر

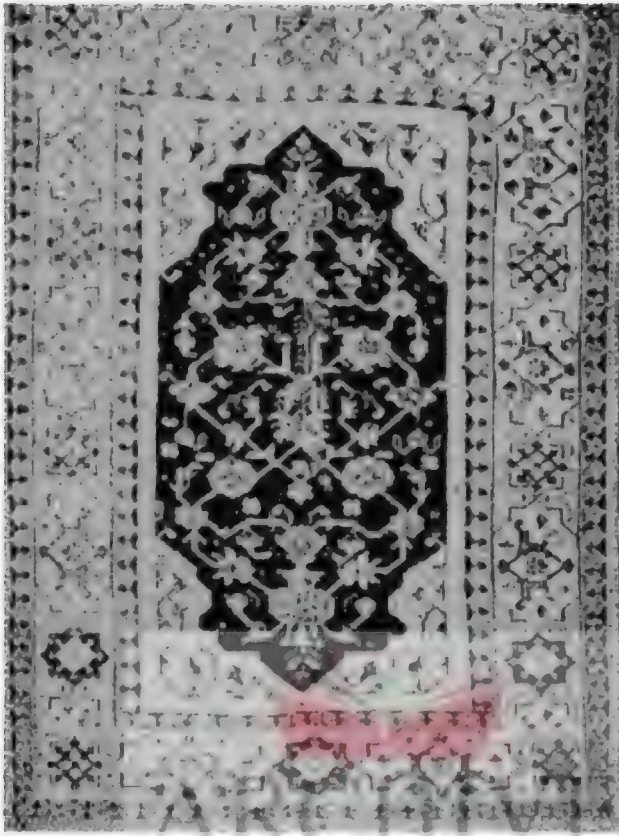
ومنذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (١٨ م) بدأ الانحطاط يتسرب إلى صناعة
الطنافس في تركيا ، وظهرت في الأسواق أنواع كثيرة يبلغ عددها نحو خمسة عشر صنفاً يطلق
عليها التجار أسماء شتى مستمدة من أسماء المراكز التي تنسجها ، ومعظمها من سجاجيد الصلاة ،
ولا يتسع المجال للكلام على كل صنف منها على حدة إنما يكفي أن نقول إن أكثرها من حيث
النسج والزخرفة والتلون أقل في الجودة والافتان من الطنافس التركية التي أشرنا إليها من قبل .
على أن لسجاجيد الصلاة التركية شهرة عظيمة ولعل أحسنها وأجملها ما كان منسوجاً منها في
جوردز وكولا ولاذق . ولقد وصلت إلينا أمثلة من سجاجيد هذه المدن التي ترجع إلى القرن

→
سجادة صلاة من
صناعة «جوردز»
من القرن الحادي
عشر الهجري



سجادة صلاة عائلية
من صناعة
«جوجور» من
القرن الثالث عشر
الهجري ↓



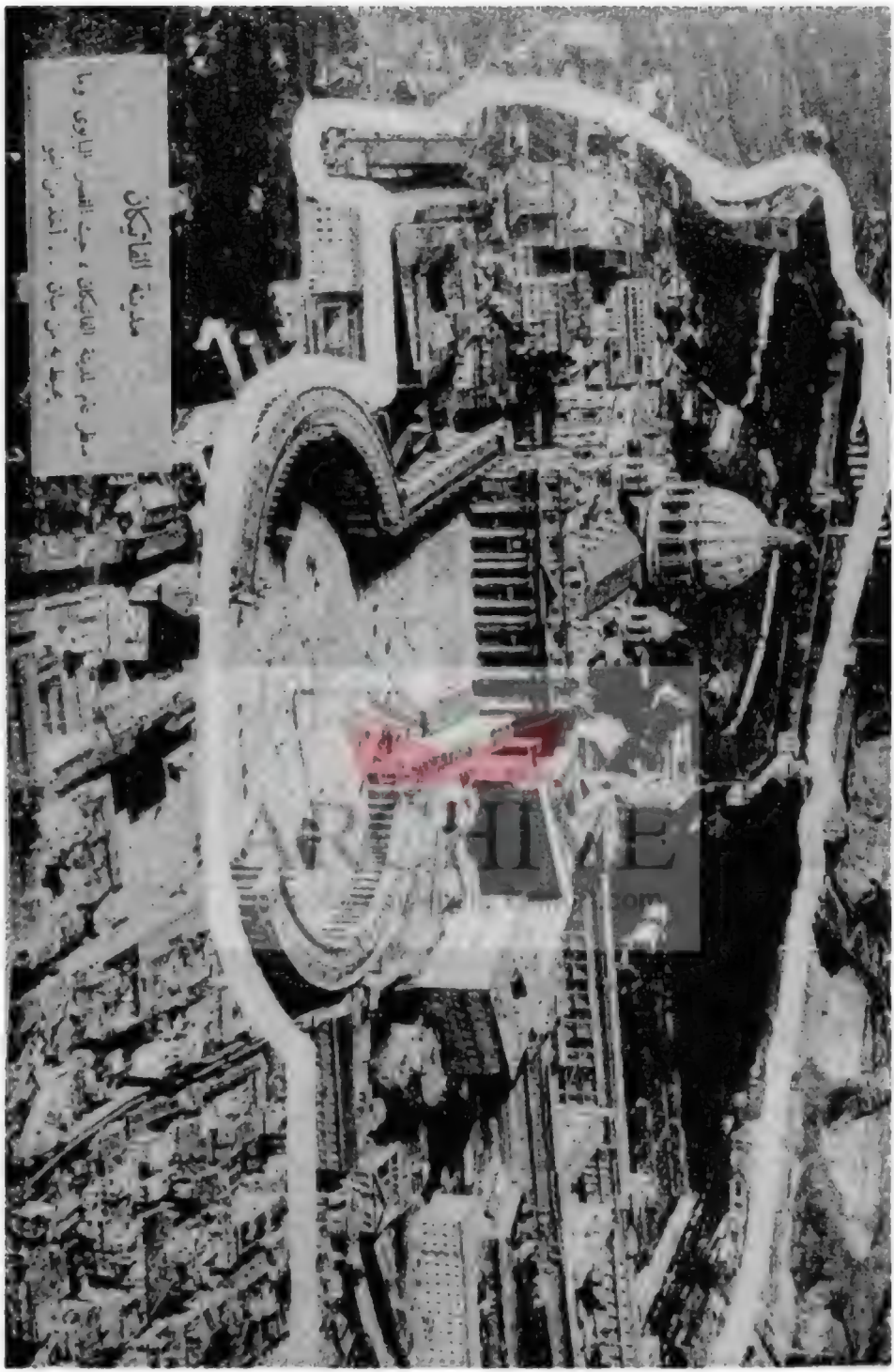


مثال من طنافس
بنسقانيا ، آخسر
القرن العاشر الهجرى

الحادى عشر الهجرى (١٧ م) فلذا هى آية فى الروعة والرونق
أما سجاجيد جوردرز (Ghiordes) فتذكرنا زخارفها بطنافس البلاط التركى القديمة التى كانت
تنسج فى القرن العاشر الهجرى (١٦ م) . وخير ما يميزها هو المهراب للرسوم فى رقعتها ، العاقل
من الزخرف ، ثم العقد للتمعد الاشكال الذى يتدل من رأسه ما يشبه الثريا أو للشكاة . ويمتد فوق
المهراب وأسفله شريط مستعرض به زخارف نباتية مختلفة
وتختلف السجاجيد التى تنسج فى كولا (Kula) عن السجاجيد السابقة فى أن مهرابها يزدان
برسوم نباتية جميلة ، وترى فى أعلى المهراب شريطاً مستعرضاً يتضمن أشكالاً شتى
وأخص ما يميز سجاجيد الصلاة المنسوجة فى مدينة لاذق (Latak) - تلك المدينة التى وصفها ابن
بطوطه فى رحلته وصفاً جميلاً - هو تلك الأعمدة للتمعدة التى ترى على سطحها ثم ما تزدان به
رقعتها من سيقان الزنبق وعيدان السوسن

قمر عبر العزيز مرزوق

مدينة القبايقان
مطعم المدينة القبايقان و حيث القصر الجاوي وما
يحيط به من جدران . أخذ من الجيو



مدينة الفاتيكان صروحها ونظامها الدولي

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

في الوقت الذي تقترب فيه رحى الحرب من رومة ، تخالطنا ضروب من الاشفاق والجزع على مصير مدينة القياصرة والبابوات ، ففي رومة وفي صروحها الانثوية تمثل أحقاب عديدة من تاريخ العالم القديم وتاريخ المدينة ، وفيها يتوى أعظم قسط من التراث الفني للمصور الماضية ، ولا سيما عصر ، الاحياء ، الزاهر وليس في رومة من آثار القياصرة سوى بعض الهياكل القليلة الدارسة التي تمثل مع ذلك على عظمة رومة في تلك المصور، ولكن أعظم الآثار والذخائر الفنية تمثل في صروح مدينة الفاتيكان أو مدينة البابوات ، وهي تكون وحدها في قلب رومة مدينة خاصة، ودولة مستقلة ذات سيادة

وقد قضت تطورات الحرب الحاضرة أن تقع رومة ومدينة الفاتيكان تحت رحمة الغزاة الالمان ، حلفاء الشعب الايطالي بالاس ، ونحن نكتب هذه السطور وهم يحتلون رومة ، ويحاصرون مدينة الفاتيكان الصغيرة . وفي أثناء ذلك يساور العالم المتمدين ما يساور من قلق على مصير رومة ومصير صروحها وذاخيرها الفنية ، خصوصاً بعد الذي ارتكبه الالمان من التدمير المروع في نهر نابل

ويخشى البعض أن يصب الالمان جام نعمتهم على مدينة القياصرة . ولو تحقق مثل هذا الفطن لكانت أعظم حثاية يرتكبها جيش منهزم ، وأعظم كارثة تصيب تراث المدينة الاوربية ، وتراث عصر الاحياء . ولكننا نرجو أن ينحصر ما جاء في الأنباء الاخيرة من أن الالمان سوف يعتبرون رومة مدينة مفتوحة ، وبذلك تنجو من وبيلات التدمير . وعلى أي حال ، فما زلنا نؤمل أن تعرض رومة بجلال تاريخها ، وروعة تراثها ، وقدم آثارها ، احترامها على الغزاة الالمان متى أرغموا على الجلاء عنها

مدينة الفاتيكان

وقد قلنا ان أنفس ما في رومة من صروح وذاخير يجتمع في مدينة الفاتيكان ، وهي مدينة البابوات تمثل في مدينة القياصرة ، بل هي فوق ذلك تعتبر من الناحية الدولية دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي بذلك أصغر دول العالم المستقلة والواقع ان مدينة الفاتيكان ليست مدينة بالمضى المعروف ذات أحياء وشوارع فسيحة، ولكنها مدينة رمزية فقط ، تتألف من عدة صروح تاريخية لا يجمعها موقع واحد ، فمنها

ما هو داخل رومة ومنها ما هو خارجها ، ويطلق عليها مما اسم «مدينة الفاتيكان» ، وتتمتع جميعا بحقوق الصون والسيادة التي يسبغها الاستقلال على اراضي دولة مستقلة فلا تدخلها الجنود الايطالية ، أو البوليس الايطالى بأية صفة رسمية ، ولا يدخلها دون اذن سوى العلماء والزوار الذين يأتون للدرس أو المساعدة من سائر الأقطار

وأهم صروح مدينة الفاتيكان هو قصر الفاتيكان نفسه ، وهو قصر البابوات المنيف ، وقد ارتبط اسم القصر العظيم الى الابد باسم البابوية والكنيسة الرومانية حتى غدا لهما علما يطلق عليهما في اللغة الدولية . فالفاتيكان هو البابوية ، وهو الكنيسة الرومانية ، وهو منوى عظمة الكرسي الرسولى الذائعة وبذخه القديم . والفاتيكان أعظم قصور العالم بلا ريب سواء بضخامته أو بما أودع فيه وأسبغ عليه من كنوز الفن الرائع ، وهو عبارة عن عدة قصور كبيرة تجتمع في بناء واحد . ويقع القصر العظيم في شمال غربى رومة على مقربة من الضفة اليمنى لنهر التير ، ويشرف مع كنيسة القديس بطرس التى تقوم الى جانبه من الجنوب والتى هى ثانية الصروح الهامة في مدينة الفاتيكان ، على ميدان شاسع هو ميدان القديس بطرس ، وهو من توابع المدينة البابوية ، وحدها من الشرق ، ويحيط بهذا الميدان الضخم صفان من العمد الهائلة ، تنتهى من ناحية باب القصر ، وتمتد من الناحية الاخرى الى غرب الكنيسة ، ويحجب القصر والكنيسة عن الاعين لاول وهلة طائفة من الشوارع والازقة الضيقة ، ويشرف الساحل منها فجأة على الميدان ، فتبهره روعة المنظر الذى يواجهه فجأة ، ولا تبدو من القصر المنيف سوى زاوية صغيرة لان الكنيسة تحجبه عن الاعين ، ولا يكاد الناظر يتصور أن هذه اللوحة الصغيرة التى تبدو من الفاتيكان تبنى عن مدينة بأسرها من القصور الباذخة

وكان الفاتيكان منذ خاتمة العصور الوسطى مقر الكرسي الرسولى ومقر البابا ولا يزال كذلك الى يومنا . وكان مقر الكرسي الرسولى قبل ذلك في قصر لاتران ، ولكن البابوات عبدلوا عن سكنتى «لاتران» منذ أواخر القرن الرابع عشر ، واتخذوا متواهم الى جانب «القديس بطرس» في قصر متواضع هو «الفاتيكان» . وفي منتصف القرن الخامس عشر اعترم البابا نيقولا الخامس أن يتشأ قصرا عظيميا يضم البطانة البابوية كلها فانجز منه قبل وفاته قسما كبيرا ، ومضى في العمل فيه بعد وفاته خلفه سكستوس الرابع ، وأنشأ به المصلى الشهير المعروف باسمه «المصلى السكستية» (كابيلا سستا) ، وهى التى خلف ميكال أنجلو فوق جدرانها من ريشته آثار خالدة من الجمال والروعة ، ثم جاء من بعده البابا اسكندر السادس (بورجيا) ، فأنشأ الجناح التاسع المعروف بجناح آل بورجيا وأفاض عليه أبدع ما تمخض عنه عصر «الاحياء» من بذخ وبهاء ، وأنشأ خلفه جوليوس الثانى جناحه المشهور (لوجى) وهو الذى زينه رافائيل بآيات خالديات من ريشته . ولبت البابوات خلال القرن السادس عشر يزيدون في أبنية الفاتيكان وفي زخرفته حتى غدا مجموعة شاسعة من القصور الباذخة . ويبلغ طول القصر العظيم نحو اربعمائة متر

وعرضه نحو مائتين وخمسين ويضم نحو أربعة آلاف غرفة ، وعشرين ساحة كبيرة وصغيرة وعشرات من الأبنية والأروقة النادرة

وان القلم ليعجز عن أن يقدم للقارى صورة واضحة من روعة الفن الحالد الذى يتجلى فى معظم أروقة الفاتيكان وأبنائه ، ويكفى أن نقول انه أعظم مستودع لمبقرية عصر الاحياء كله ، وفيه تمثل طائفة من ابداع ما خلف اقطاب الفن من الآثار والرسوم والتحف ، امثال ميكال أنجلو ، ورافائيل ، وجرلاندايو ، وبوتشلى ، وبيروجينو ، وتسانو وغيرهم

ويوجد بالطابق الاول من الفاتيكان عدة متاحف زاخرة منها المتحف الرومانى واليونانى ، وهو يضم أعظم وأجل مجموعة من التماثيل الرومانية واليونانية ، ومتحف الصور القديمة ، ويضم مجموعات عديدة من الصور الدينية تمثل أساطير القديسين ، ثم متحف الصور ، وفيه أروع كنوز عصر الاحياء ، ويضم عدة من المجموعات والصور النادرة التى لا توجد فى غيره ، وقد خصصت فيه لصور رافائيل بهو شاسع ، تائق على جدرانه آثار الصور الشهير كأنها لآلى منيرة تخطف الابصار بروعتها

وكذلك يضم الفاتيكان مكتبة عظيمة تحتوى على ذخائر نادرة من العلوم والآداب وبها مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية ، ولكنها ما تزال محجوبة فى أقية القصر القديم لأنها لم تنظم بعد ، ولم تعرض ذخايرها للباحثين والقارئ

وتأمنى بعد القصر النيف كنيسة القديس بطرس ، التى سبقت الانارة اليها ، وهما يكونان معا مع ما يجاورهما من الميادين والساحات والحدائق مدينة الفاتيكان الاصلية ، وتقع الكنيسة بجوار القصر من الجنوب ، وتعتبر اعظم كنائس النصرانية على الاطلاق ، وقد بنيت خلال القرن السادس عشر ، واشترك فى تصميمها وفى زخرفتها أعظم مهندسى العصر وفنانيه ، وقد أقيمت على هيئة صليب ضخم طوله ١٨٧ مترا ، وعرضه ١٣٥ مترا ، وارتفاع قبتها العظمى ١٣٥ مترا . وتحت القبة العظمى يقع الهيكل الاعظم الذى ينولى البابا دون سواء القاء القداس منه ، ويقال ان قبر القديس بطرس يقع تحت هذا الهيكل وتشمل مدينة الفاتيكان عدا هذين الصرحين العظيمين الابنية الآتية :

(١) كنيسة القديس بولس ، وهى تقع فى ضاحية رومة فى طريق أوستيا ، وهى كالقديس بطرس ، من أعظم آثار النصرانية وافخمها ، بنيت لأول مرة فى القرن السادس ولكن النار التهمتھا فى سنة ١٨٢٣ ، فأعيد بناؤها على نفس طرازها القديم فى منتصف القرن الماضى ، فجاءت آية من ابداع آيات الفن

(٢) كنيسة القديس لورنزو ، وهى تقع فى شرقى رومة على مقربة من محطتها الرئيسية

(٣) كنيسة وقصر القديس يوحنا (جوفانى) دى ليران الواقعين جنوب شرقى رومة

(٤) قصر كاستل جندلفو ، الواقع فى ضاحية رومة ، فى جنوب شرقها بالقرب من

بحيرة الباتو ، وهو مصيف البابا

تلك هي الصروح التي تتألف منها مدينة الفاتيكان ، التي تعتبر من الناحية الدولية دولة مستقلة ذات سيادة

دولة الفاتيكان

ولقيام الدولة البابوية في عصرنا قصة طريفة ، فنحن نعرف أن البابوية كانت منذ العصور الوسطى الى العصر الاخير تتخذ رومة عاصمة لها ، وتبسط سلطتها الزمنية على الولايات المجاورة لها ، وتعرف بالولايات البابوية ، فلما تمّت وحدة إيطاليا ودخلت الجنود الإيطالية رومة في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ ، اتخذ الملك فكتور امانويل الثاني ملك إيطاليا المتحدة ، من مدينة القيصرية والبابوات عاصمة لمملكته ، وبذلك انتهت الدولة البابوية وانتهى سلطانها الزمني . وأرادت إيطاليا الجديدة ان تطمئن العالم الكاثوليكي على مصير الكرسي الرسولي ، فأصدرت قانون الضمانات البابوية في مايو سنة ١٨٧١ ، وخلاصته أن يحتفظ البابا بألقابه وامتيازاته الملوكية ، ويمنح كل ضروب الاعفاء السياسي ، ويحتفظ بتنظيم البعثات السياسية ، ويعتمد الوزراء المفوضين لديه وغير ذلك . ولكن البابا بيوس التاسع ، وهو خليفة الكرسي الرسولي يومئذ ، رفض قانون الضمانات ، وقدم احتجاجا رسميا على ما وقع من اغتصاب أملاك الكنيسة وسلطانها ، وهو احتجاج كان يجنده خلفاؤه كلما ارتقى أحدهم كرسي البابوية ، وهم على التوالي حتى عصرنا : ليون الثالث عشر ، بيوس العاشر ، بنوا الخامس عشر ، وبيوس الحادي عشر

ولبت البابوية محتفظة بموقفها ، والتزم البابا قصر الفاتيكان لا يبادره قط مبالغة في الاحتجاج على اغتصاب سلطانه ، ولم تنظم الملائق الروسية خلال ذلك بين حكومة رومة وبين الفاتيكان ، وإن كانت العلاقات العملية قائمة بينهما ، وبذلك السياسة الإيطالية جهودا عديدة لأرضاء البابا ، وحل المسألة الرومانية ولكنها لم توفق الى تحقيق غايتها فلما ارتقى بيوس الحادي عشر كرسي البابوية ، بذلت السياسة الإيطالية في ذلك جهدا جديدا ، وأبدى السنيور موسوليني رئيس الحكومة الفاشستية يومئذ استعدادا طيبا لحل المسألة الرومانية على قواعد سخية مرضية ، وانتهت المفاوضات بين حكومة رومة وبين الكرسي الرسولي الى النتيجة المنشودة ، وعقدت بذلك معاهدة « لاتران » الشهيرة في يناير سنة ١٩٢٩

وتنص معاهدة « لاتران » على الاعتراف بالملكية المطلقة والسلطة الكاملة والقضاء الاعلى للكرسي الرسولي على قصر الفاتيكان ، وتعترف بإنشاء « مدينة الفاتيكان » Cité du Vatican (وهي التي تقدم وصفها) مصرحة بأنه لا يسوغ للحكومة الإيطالية أن تقوم بأي تدخل في هذه المدينة ، ولا يعترف فيها بأية سلطة غير سلطة الكرسي الرسولي ، أما ميدان القديس بطرس ، فمع أنه من أراضي مدينة الفاتيكان ، فإنه يسمح بافتتاحه للجمهور ، والسلطات الإيطالية

ولمدينة الفاتيكان وفقا لنصوص المعاهدة ، خط حديدي خاص يصلها بالدول الاخرى ، ومحطة تلفرافية وتليفونية ولاسلكية خاصة ، ومركز خاص للبريد ، ولها أن تصدر عملة خاصة يسمح بتداولها

وتتعهد الحكومة الإيطالية بأن تسمح بمرور وسائل النقل والمواصلات الخاصة بمدينة الفاتيكان في أراضيها ، وتتزم بضروب مختلفة من الاعفاء نحو الاراضي الكنسية ونحو رعايا الكرسي الرسولي وموظفيه المقيمين خارج مدينة الفاتيكان

ويتبادل الطرفان تعيين الممثلين المعتمدين ، وقد نص من جهة أخرى على ان يحتفظ الكرسي الرسولي بحيدته بعيدا عن كل المناقشات الزمنية والمؤثرات الدولية ، واعتبار مدينة الفاتيكان دائما وفي جميع الاحوال منطقة محايدة لا يجوز انتهاكها ويصرح الكرسي الرسولي من جانبه بأنه يشعر أن المسألة الرومانية قد سويت بصورة نهائية ، ويصرف بقيام الملوكة الإيطالية ، وبأن رومة هي عاصمة إيطاليا

وأخيرا تنص المعاهدة على حق الكرسي الرسولي في الاشتراك في وضع برامج التعليم الديني للمدارس المتوسطة ، كما تعهد الحكومة الإيطالية بأن تؤدي للبابا تموينا قدره سبعمائة وخمسون مليون ليرة ايطالية مقابل مخصصاته التي رفض أن يتناولها منذ سنة ١٨٧٠ وهكذا حلت المسألة الرومانية وفقا لنصوص معاهدة « لاتران » واسترد الكرسي الرسولي سلطته الزمنية التي فقدتها منذ سنة ١٨٧٠ ، وهي سلطة رمزية لا تمدى الصروح البابوية ذاتها ، ولكنها كافية لان تسبغ صفة الاستقلال والسيادة على الدولة البابوية الجديدة ، وعلى اثر عقد المعاهدة غادر البابا قصر الفاتيكان لأول مرة منذ سنة ١٨٧٠ وخرج في موكبه الحافل ليتولى القداس في كنيسة القديس بطرس ، فكان يوما مشهودا وتوفي البابا بيوس الحادي عشر في سنة ١٩٣٨ ، فخلفه أمينه وسكرتيره السابق الكردينال باتشيلي في فبراير سنة ١٩٣٩ ، باسم البابا بيوس الثاني عشر . وقداسة البابا الجديد كسلفه حبر متوقد الذهن واسع الثقافة ، خبير بشارات السياسة الدولية ، وقد لمسنا فيه هذه الحلال الرفيعة عن كتب يوم أنسنا بقلائه في قصر الفاتيكان قبل ارتقائه عرش البابوية بضممة أعوام

ونحن نكتب اليوم هذه السطور ، وما زالت مناظر القصر المتيف ، وذخائره وتحفه ، تمثل أمام أعيننا بكل بهائها وروعها ، وهي مناظر لا يمكن أن يحوها كرايا الأعوام فهل تنجو مدينة القياصرة والبابوات مما يحيق بها اليوم من أخطار الحرب والدمار ، وهل ينجو تراثها الفني الزاخر ، ميراث عصور وعصور من المدينة الزاهرة ؟ هذا ما نرجو محمد عبد الله عنان

هل يجب عقاب الشعب الألماني

هل يمكن أن نرسم خطا فاصلا بين النازي والالمان ؟ هل الشعب الالمانى مسئول عن الجرائم التى قارتها أبداى زعمائه ؟ أم هل هناك ألمانيا أخرى يمكنها ان تتخذ مكانها فى أوروبا الآمنة القادمة ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة احدى المشاكل الكبرى التى تشغل أذهان الساسة والفكرين الذين يريدون أن يجعلوا الحرب الفاتحة خاتمة الحروب ، فيديروا الامر للقضاء على البفرة التى تنبت منها شجرة السوء والفسادة التى تتدلع منها الحرب . ولكنهم ينقسمون فريقين متناقضين ، فريقا يرى انزال العقاب بالشعب الالمانى على اعتبار أنه مسئول عن الحرب وما فيها من جرائم وأوزار ، وفريقا يرى أن جبهة الشعب الالمانى تنكر الحرب وتأمى جرائمها ، وأنها لا تسأل عن أوزار متلر وأعضاره . فلنسمع حجة الفريقين يدلى بها اثنان من كبار المشتغلين بالامور العامة فى بريطانيا

رأى اللورد فليتارت

نعم :

المستشار الدبلوماسى لوزارة الخارجية البريطانية ساهما

طلب الى ان أجيب فى المؤتمر السنوى لحزب العمال البريطانى عن هذا السؤال : هل يجب أن نعد الشعب الالمانى بأسره مسئولا عن الحرب ، فنزل به جميعا العقاب الاوفق عن جريمة الحرب وما تنطوى عليه من جرائم أخرى ؟

إذا كان المقصود بكلمة « الشعب الالمانى بأسره » كل فرد ألمانى بلا استثناء ، فالجواب الواضح عن هذا السؤال هو : لا . ولكن هذا تلاعب بالالفاظ ، والواقع أن المقصود بهذه الكلمة هو « الاغلبية الساحقة من الشعب الالمانى » . وجوابى حينئذ هو : نعم

ان هذه الاغلبية الساحقة كانت تستطيع أن تمنع « الحروب الالمانية العالمية » بدلا من أن تلقى بنفسها فى غمارها لتوقد نارها وتؤجج سعيها . ولكنها أبت فى الحرب الدائرة والحرب السابقة أن تبذل شيئا من الجهد يحول دون نشوب القتال . فاضطرت الحضارة الاسانية أن تنفق فى المرة الاولى أربع سنوات فى اخاد جذوة الشر المنبعث من ألمانيا ، ومستضطر فى هذه المرة الى أن تنفق أكثر من هذه السنين حتى تجث شجرة الشر من جذورها . لماذا ؟ لان الشعب الالمانى أكثر اتحادا وتصميما على الحرب فى هذه المرة منه

في المرة الاولى ، ولأن هتلر يمثل الشعب الألماني اصدق مما كان يمثل ذلك القيصر المزعور . وأن الجيش الامبراطوري السابق كان خليقا بالتمرد والمصيان لو انه تعرض لمثل ما تعرض له الجيش الهتلري الحالي من الانتحار في شتاء روسيا ، وكذلك كان الشعب الألماني في عهد قيصر خليقا بالثورة والتحطم لو انه استهدف لمثل ما استهدف له في عهد هتلر من الغارات الجوية الرهيبة . وهكذا ثبتت الحوادث أن الشعب الألماني يزداد على الايام صلابة وعنادا ، وتصبا واسرافا ، ورغبة جشعة في سيادة العالم واذلال شعوبه

مبدأ الفسيئارية

يقوم مبدأ الفسيئارية على دعامتين لا تقبلان الشك والجدال : (١) ان جميع الشعوب تقدمت تقدما أخلاقيا وسياسيا فيما عدا الشعب الألماني (٢) ان مرجع تفهقر الشعب الألماني في أخلاقه وسياسته الى انه أساء تعليمه وأمبثت تربيته في خلال المائة والخمسين سنة الماضية

ان المترفين على تعليم الشعب الألماني وتربيته هم المسئولون عن سيئاته وأوزاره وجرائمه . لقد قيل في سنة ١٨٦٦ ان معركة سادوا قد كسبها المدرس البروسي ، وهذا حق ، فإن المدرس البروسي هو الذي خلق في الشعب الألماني روح التعصب والعناد والاثرة وتوهم نفسه سيذا يسخر الشعوب الاخرى تسخير العبيد . وان ٣٥ ٪ من النازيين البارزين كانوا من مدرسي المدارس الأولية . فمن كان تلاميذهم ؟ كان الشعب الألماني الذي صاغ هؤلاء المدرسون النازيون تفكيره وشعوره . وهكذا تأخر الشعب الألماني في خلقه وسياسته بينما تقدمت الشعوب الاخرى

وتعدل حوادث الحرب الجارية على أن ملايين الجنود الذين يؤلفون الجيش النازي قد اقترفوا من الاثام المنكرة أكثر مما اقترف جنود الجيش الامبراطوري . ومع هذا لم يرتفع اصبع واحد من الكنائس الالمانية باستنكار هذه الجرائم

ويتفق الالمان جميعا ، سواء من كان متطرفا من أهل اليسار أو معتدلا من أهل اليمين ، على أن الجيش الألماني والشعب الألماني شيء واحد . وأنا أوافق الالمان على هذا الرأي كل الموافقة ، فإن الروح العسكرية التي تغلب قلب الالمان هي - لا النازية التي لا تعدو أن تكون زبدا طافيا - العدو الحقيقي الذي يثير الحروب ويهدد بني الانسان

ان الروح الالمانية قد صبغ بالصبغة العسكرية المشرقة . وليس أدل على ذلك من أن اعادة التجنيد الاجباري عقب قيام هتلر بالامر قبول من الاغلبية الساحقة من الانهات الالمانية بكل ترحاب وتأيد . انهن يرغبن في أن ينشئن أطفالهن جنودا ، جنودا مهمتهم خوض الحرب وامتشاق السلاح . وهذا الاستغراق في الروح العسكرية هو ما يتطرق بالمانيا يوما في اثر يوم من سوء الى أسوأ ، في حيايتها الخلقية وفي اتجاهاها السياسي أماه ألمانيا الاخرى ، التي تستنكر الحرب وتناوى دعائها ، فلا وجود لها الا في أذهان

المخدوعين . فما يمكن إثارة حرب في بلد ما ، ولو كان هذا البلد ألمانيا ذاتها ، لو أن أغلبية الشعب تأيى الحرب وتناهى مثريها . فكيف تكون ثمة « ألمانيا أخرى » مسألة متساحة ، وهذه الحروب تثار من جانب ألمانيا جيلا تلو جيل ؟

ان خصوم « مبدأ الفئسيارية » ينعون به بالمبدأ الرجعى ، لانه يأبى أن يترفق ويستلين فيما يشير به من دواء وعلاج لألمانيا المريضة . ولكنى لست أرى أكثر رجعية من الرجل الذى يرجع بعقرب الساعة الى الوراء ، بتعكيته ألمانيا من الفرصة التى تثير فيها الحرب فتؤجل سير الحضارة ، مرة أخرى

ولست أعرف أحدا من انصار سياسة التهادن والتهذبة مع ألمانيا ، سواء من ظهر منهم في ايام الحرب الماضية ، ومن يقوم منهم في أثناء الحرب الدائرة ، ومن عرفاه فيما بين الحربين من سنى الغفوة والاستقامة - لست أعرف أحدا من هؤلاء يعرف حقيقة أمر ألمانيا معرفة كاملة . وهذا هو ما أدى بنا الى اصطلاح تار الحرب الالمانية المروعة مرتين في خلال ربع قرن من الزمان . ويرجع جهلنا أو خطانا في فهم السياسة الالمانية الى أن نفرا كبيرا من رجالنا ينظرون الى الامر من خلال منظار الحزبية . فيقول المنضوون تحت لواء حزب العمال مثلا ان الطبقة العاملة في ألمانيا بريئة من جريمة الحرب . ولكن ليس ثمة ادعى الى الضلال من أن تتخذ الحزبية طريقا الى فهم السياسة الدولية ، هذه السياسة التى تقتضى التنزه عن التحيز والانحراف ، والتى لا تعرف الا واجبا واحدا هو أن تكون صائبة مديدة ، ولا تعرف سوى جريمة واحدة هى أن تكون مخطئة مخففة

ولو كان ولاء الامر فيما يعرفون ألمانيا على حقيقتها معرفة دقيقة ، لما استهدفنا لكل ما استهدفنا له من نكبات وأخطار . فمتد ما تحول هتلر زعيم الحكم في ألمانيا ، قلت ان «الحرب العالمية الثانية» صارت لا مفر منها ولا محيص . بل نشأت في تلك السنة ، سنة ١٩٣٣ ، بالسنة التى سيبدأ فيها الشعب الالماني يسلم قياده لمن يريدون القيام بمغامرة الحرب مرة أخرى . وقد استطعت أن أكون دقيقا في نبؤتى هذه ، لا لانى أعرف « النازى » ففى وسع كل امرء أن يعرف النازى ، بل لانى أعرف « الشعب الالماني » الذى أزعج أن أكثر ساستا يجهلون أمره ، ويتخطلون في تناول سياسته

الاشتراكيون الألمان

دعونا ننظر الى الحقائق مرة ثانية : فلتنفض النظر عن « الجبهة اليمنى » في ألمانيا ، فالرأى مجمع على أن هؤلاء الغلاة المسرفين لا يمكن أن يمثلوا الشعب الالماني ، كما أن الكل متفق على أن هذا الفريق يجب أن يحصى من السياسة الالمانية محوا ولكن ما القول في « الجبهة اليسرى » ، في أولئك الاشتراكيين والديموقراطيين الالمان ؟ هاكم بعض ما قيل فيهم :

قال « بروثو » مندوب الشيوعية الدولية في ألمانيا سنة ١٨٨٥ « ان الاشتراكيين الالمان

هم طلاب الفرق العسكرية في ألمانيا ، وقال كابرني في سنة ١٨٩٢ : انك لتجد في دوائر الاشتراكيين الديموقراطيين الرجل المشرب بروح الجندي التائق الى ساحة الحرب بارزا مرموقا . وأكد بيسل زعيم اليسار الألماني هذا الرأي بقوله : ان الاشتراكية الديموقراطية القائمة اليوم في ألمانيا ليست الا مدرسة اعدادية للعسكرية الألمانية . وأعاد الفيلسوف شبنجلر هذا القول مؤيدا مفصلا

وهذا ما أدى الى أن يذهب الاشتراكيون الديموقراطيون الى ساحة الحرب في سنة ١٩١٤ رجالا ونساء ، وكانهم رجل واحد وكانوا يسمون « اشتراكيو القصر » !

ولما انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا كانت مهمة « الاشتراكيين الديموقراطيين » التستر على ما قارفت العسكرية الألمانية من الجرائم ، ثم تمهيد الطريق أمام العدوان الألماني المنحدر مرة أخرى . فخدعوا روسيا وأوهموها أن ألمانيا تريد منها « سلما لا ينطوى على دفع غرامات ولا على اقتطاع أراض منها » ، فجروها بذلك الى الاحولة التي نصبوها في معاهدة بريست ليتوفسك التي انتزعت من روسيا خمسة وستين مليون نسمة من أهلها يقطنون أغنى مناطق روسيا بالقمع والحديد . وكذلك كان الامر في معاهدة بوخارست التي ازدردت رومانيا بأسرها . وهكذا كانت سياسة الاشتراكيين الديموقراطيين سياسة استعمار واستغلال ، ترضى بها جشع الشعب الألماني ، النصب السيد الذي يريد ان يحيا على ما يتحس من دماء الشعوب المستذلة المهودنة

ومن ذا الذي احترع تلك الاسطورة التي تزعم أن الجيش الألماني لا يقهر أبدا ، وهي الاسطورة التي تنحرف أول مسئول عن الحرب القائمة؟ إنه الرئيس الاشتراكي ايبرت! ومن ذا الذي مكن لألمانيا من أن تستأنف تسليحها وتبث قوتها الحربية ، قبل ان يحف المداد الذي كُتبت به هدنة الحرب الماضية ؟ انهم زعماء ألمانيا الاشتراكيون ، وعلى رأسهم ايبرت ، الذين ادعوا انهم يريدون بذلك تهدئة النفوس تفاديا للثورة ..

أما نقابات العمال فأبت ان تخطط خطة النقابات في سائر الدول ، فتنشد السلم وتستنكر الحرب ، وتؤيد دعاة السلام وتناهض مثيرى الفتنة ، بل أبدت هتلر ونازيته كل التأييد ، فاشتراك في مظاهرات النازي التي أقيمت في أول مايو سنة ١٩٣٣ ، وفي اليوم السابع عشر من ذلك الشهر صوتت في الاقتراع العام تأييدا لسياسة هتلر الخارجية ، القائمة على حطم معاهدة فرساي ، وتسليح ألمانيا تأميا لاثارة حرب أخرى ، يخرج منها الشعب الألماني سيدا على سائر الشعوب

هذا هو موقف « الجبهة اليسرى » في ألمانيا ، وهو دليل بين على أن ألمانيا ليست الا كتلة واحدة ، يساوى اليمين واليسار في أمرها القائم على كراهة الشعوب الأخرى ، والتفريع عن هذه الكراهة في ساحة القتال

أين كان الشعب الألماني ؟

الى الذين يدافعون عن الشعب الألماني توجه هذه الاسئلة : أين كان هذا الشعب حينما قفز عدد ممثل النازي في الريشتاغ من ١٢ عضوا في سنة ١٩٢٨ ، الى ١٠٧ أعضاء في سنة ١٩٣٠ الى ٢٣٠ عضوا في سنة ١٩٣٢ ؟ أين كان هذا الشعب ، وأين كانت طبقته العاملة على الاخص ، حينما نظمت المصانع الألمانية في الحفاء بقصد تخصيصها للانتاج الحربي تأهباً للحرب التي كانت شباكها تحاك سرا ؟

يقول الأستاذ جيسوب : « ان الشعب الألماني لم يتعلم من الدروس ما يمكنه من أن يتحول الى شعب أوربي طيب . وهذا هو مآثر مأساة ألمانيا ومأساة أوروبا بأسرها ، وهذا هو التفسير السيكلوجي لهذه الحرب التي اثبتت عجز الألمان في مجال البصيرة الخلقية وفي ميدان التفكير السياسي على السواء »

ان أنصار سياسة التهدئة والمسألة يزعمون أن انشاء جمهورية اشتراكية في ألمانيا ، من شأنه أن يبدل الامر فيها تبديلا ، فلا يخشى بدمئذ شرها ، ولكن هذه خديعة آثمة ، أو جهالة بريئة ، يذيعها أولئك الذين يتحدثون عن « الاعمال السرية في ألمانيا » ، و « الحلفاء المستترون وسط الشعب الألماني » وما الى ذلك من الترهات التي ابن صحت - وما أظنها تصح - فما تعدل شيئا مما قارف الألمان ، جيشنا ونشما ، من آثام وأوزار . وسأكرس جهدي لارى الناس حقيقة الامر في هذه الخديعة أو في تلك الجهالة ، ولا يبن لهم أن القيصر أو الزعيم الألماني ما هو الا معبر صادق عن رغائب الشعب الألماني ونزواته التي تطوح به ، وبالعالم كله ، الى أثون الحرب حينما بعد حين

رأى أنورين ييفان

عضو مجلس العموم من حزب العمال

قالوا لنا ان النازي يمثلون الألمان حق التمثيل ، وأن سيرة النازي في خلال السنين العشر التي قبضوا فيها على زمام الامر في ألمانيا ، كانت ملائمة لروح الشعب الألماني جارية في مجرى تاريخه . ويرتبون على هذه المقدمة نتيجة منطقية هي أن جبهة الشعب الألماني يجب أن تتحمل من أوزار جريمة الحرب ما تتحمل عصاة النازي سواء بسواء . ويقولون ان أية محاولة لقسمة الألمان قسمين ، يضم أحدهما الاخيار ويؤوى ثانيهما الاشرار ، لن تجعل في الجانب الاول الا أقلية ضئيلة لا يعتد بها . واذا فان سياسة الحلفاء المقبلة تجاه ألمانيا يجب أن توجه وفق ما تقرر هذه الحقائق . ومن هنا نشأ المبدأ الذي سماه صاحبه ، أو سماه الناس مبدأ « النفسيتارية »

ومن الغريب أن يقع في مثل هذا الخطأ المتبذل رجل واسع الثقافة ، جم التجارب ،

ناصح الشخصية كاللورد فستيات . ولكن من الواضح أن الثقافة الفنية قلما تقي الإنسان وتجنبه مثل هذه الأخطاء . واذكر على سبيل المثال أن الأسقف « انج » ، وهو من يعلم الناس مدى علمه وتفكيره ، قال لي منذ بضع سنين أن ليس بين الشعب اليوناني الحديث وأسلافه القدامى أية مشابهة ، واستنتج من ذلك أنه لا يرتجى من هذا الشعب أى عمل يدل على القوة والبطولة . ولكن لم تنقضى على ذلك سنون حتى أبدى هذا الشعب من البأس والقوة والبطولة ما أعاد الى كل ذهن حديث المجد الاغريقى القديم والواقع أن عادة التفكير على أساس من التعميم المطلق دلالة على أنه تفكير محصور الأفق ضحل القرار . ومن ذا الذى يستطيع أن ينسى تلك الأقوال التى كانت تلقى مطلقة مؤكدة جازمة بأن الروس ليسوا إلا شعبا من الشعراء والروائيين والحالمين الذين لا يمكن أن يتعلموا ادارة الآلات واتخاذ الصناعات الحديثة ؟ وهل ضحى مثل نفسه وشعبه ، إلا لانه آمن بفكرة معممة مطلقة عن تفوق الجنس الألماني على سائر الاجناس ، ولم يغلن للحقيقة القاسية الا عند ما وقف جنوده على أبواب ستالينجراد يصطلون نيرانها المؤسدة وتردد القول منذ سنوات قلائل بأن اليابانيين لا يمكن أن يجيدوا فن الطيران الحربى ، لأن ثمة نقصا جسيما في مراكزهم العصبية ، يجعلهم عاجزين عما يقتضيه هذا العمل من جرأة ومهارة ومخيلة . ولم تتجلب هذه الفكرة عن الأذهان الا بعد أن دفننا ثغنا غاليا : ميناء بيرل وجزءا كبيرا من الاسطول الأمريكى

وهكذا شأن كل فكرة معممة شاملة ، فإن جانب الخطأ فيها يرجع جانب الصواب ، ولكن ما العمل وثمة أناس يؤثرون هذا الطراز من التفكير ، ويجنون أن يجعلوا من القبة الكبيرة حبة صغيرة !

من هم أنصار الفستيات ؟

لو قبلنا هذا المنطق الذى ينطوى عليه مبدأ الفستياتية ، لبدت لنا الدنيا خالية من الأمل مجردة من المعنى لا يرجى كمال نقصها أو صلاح فليدعها . إذ معناه أن النازية ، وما ترمى اليه من عدوان على الأفراد والشعوب ، هى خصيصة من خصائص الشعب الألماني ، تجرى في كيانه مجرى الدم ، وأن الفاشستية ، وما تقوم عليه من انتهاك حرمان الأمم وحرمان الأفراد ، لا تفسر الا بأنها إحدى طباع الشعب الايطالى . وهكذا تقوم نظرية خصائص الشعوب وطبائعها حائلا منيعا دون أى اصلاح في حياة هذه الشعوب السياسية والاجتماعية . وماذا يكون الامر لو اعتقدنا أن هذه الحرب لم تنشأ بسبب ما يعانيه العالم من المساوىء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، بل نارت نتيجة الخصائص القومية في بعض الشعوب مما لا سبيل الى تغييره وتبديله ؟ لن يكون الامر الا ترك العالم غارقا في سيئاته وأخطائه ، مستهدفا للحرب مرة في كل جيل أو جيلين ، ما دامت الحرب تثبت من فطرة بعض الأمم وجبلتها الاولى ..

هتلر بشهلى

أريد فى هذه القضية الكبرى أن استشهد برجل واحد يؤيد رأى فى أن الشعب الالماني لم يعاون النازى معاونة صادقة متحمسة فيما اتخذه من وسائل القسوة وأعمال العدوان فى خلال السنوات العشر الماضية . هذا الشاهد هو هتلر ذاته . وما من أحد يستطيع أن ينكر أن هتلر أول من يعرف نفسية الشعب الالماني كل المعرفة ، وإذا أثبت عليه التاريخ انه فشل فى كل أمر ، فسيثبت له أنه نجح فى هذا الأمر وحده !

لما أخذ هتلر يعد العدة لفرض ارادته على العالم بأسره ، ماذا كان أول قرار اتخذه ؟ قرر أن يمنع الشعب الالماني من مقاومته ، فحرم عليه كل حرية تتعلق به الى تسفيه رأيه أو مناهضة مشروعه . ذلك أنه يعلم أن هذا الشعب لا بد ناكص على عقبيه متخلف عن متابعه يوما ما ، ان هو أطلق له حرية الاختيار فى تأييد مشروعه أو انكاره . وما كان هتلر بحاجة الى تحريم الحرية على شعبه ، لو كان هذا الشعب كما يزعم اللورد فنسيلاتر شريرا ، معديا ، مؤثرا للحرب على السلم ، ساعيا الى فرض سيادته على الشعوب جميعا

ولكن هتلر يعرف الالماني . يعرف أنه يوم ينحصر عن وجهه لثام الخداع ، وتبدو للاملاء مشاريعه الاثمة ونزواته العائشة ، يوم تنكر له أغلبية الشعب الالماني وتقلب عليه مناوئة مناهضة . وقد كان على حق فى ذلك ، فعند ما بدت للناس بعض الاعيه وعلازيه قيل توليه الحكم ، بدأ فريق منهم ينصرف عنه ويولى وجهه شطر الاحزاب الاخرى ، فعجز فى الانتخاب الذى سبق حريق الريخستاغ مباشرة عن أن يظفر بأغلبية مطلقة ، تدل على أن الشعب كله فى قبضة يده . وهكذا تبين هتلر منذ البداية أن هذا الشعب لا يعتمد عليه ان هو ترك حرا ، وأن ليس من المستبعد عليه أن يتخلف عنه وهو فى وسط الطريق فيتركه فى التيه ضالا سائرا ، فقرر أن يسلب هذا الشعب كل حرية واختيار . ففعل جميع نقابات العمال وصادر أموالها . وحل جميع الاحزاب المعارضة ، وأعمل فى رجالها القتل والسجن والنفى . وحرق جميع الكتب التى وضعها رجال أحرار سواء فى ذلك اليهود والمسيحيون . وفرض الاغلال على الصحافة ففدت نشرات للدعاية . وحرم الاستماع الى الاذاعات الاجنبية ، وقرن ذلك كله بهذه الدعاية الشيعة الحبيبة التى بنىها الدكتور جوبلز فى آذان الشعب . فاذا قيل لى : ولكن الالماني لم يقاوموا أى عمل من هذه الاعمال التى سلبتهم الحرية والكرامة ، قلت : ان ليس فى وسعك أن تقاوم رجلا متأها بالحديد والنار اذا كنت خالى اليدين من كل سلاح

ان سيرة النازى فى الحكم خير شاهد على ان الاغلبية الساحقة من الشعب الالماني لم تؤيد هتلر تأييدا صادقا ، وانه لو ترك لها الامر لثابت عليه وأقصته عنها بعيدا ، وانها لم تركز الى السكوت الارهبة واشفاقا . فكيف تأخذ هذا الشعب بجزيرة عصابة من المفامرين ؟

(خلاصة مقالين فى صحيفة بيكتشر بوست الانجليزية)

خمسون سنة في كفاح المرض

الفان من رجال البحث العلمي ونسائه عملوا وجاهدوا في جنات معهد باستير في باريس منذ انشائه. ففيه كشف «مشتينيكوف» عن تلك الذرات أو الحليات الاكالة للميكروبات (١) وتلك الحرب الدائرة أبدا بين الميكروبات وكرات الدم البيضاء. وفيه صنع العالمان «درو» و «كاليت» هذا اللقاح الثمين B.C.B. الذي يمكن أن يطعم به الاطفال وقاية من مرض السل، وفيه أخرج «مارتن» مصله المضاد لحمى الديفتريا. وفيه قهر «فرنو» البذور السبجية التي تسبب الالتهاب السحائي أو الحمى الشوكية. وفيه عالج «وينرج» حالة الغنرينا، وعالج «لاكاساني» و «بيرون» مشكلة السرطان كما هاجم «بومتر» وباء الطاعون. وفي الحجرة التي مات فيها باستير كشف رامون عن ذلك الترياق الذي يحمي جسم الانسان من حمى الديفتريا ومن مرض التيتوس الذي يقبض المضلات

كانت إحدى سيدات الطبقة الثرية في باريس منفردة ذات مساء في حجرة الاستقبال بقصرها الباذخ تروح عن نفسها بمداغبة ابنتها في حياكة بض الملابس، فدخل عليها خادمها يقول :

— ان بالباب يا سيدتي رجلا اسمه «مسيو باستير» يريد مقابلتك فاجابته السيدة العجوز :

— لا أعرف رجلا اسمه باستير... ولكن لعله ذلك الرجل الذي يعالج مرض الكلب؟ فذهب الخادم وعاد يقول : «انه هو يا سيدتي»

ودخل باستير الى حجرة تلك السيدة الثرية التي أنشأت أكبر متاجر باريس، متجر البون مارشييه. ووقف الرجل والسيدة وجها لوجه وفي عيونهما كثير من التهيّب والاحجام. فقد أبت الحكومة أن تمد يدها الى باستير بما يريد من المال لانشاء معهد للبحوث العلمية، فأهاب بنى وطنه أن يكتبوا ويترعوا للعلم وللانسانية بهذا المال. وها هو قادم الى مدام «بوسيكو» لعلها تجود بهبة تضاف الى تلك الآلاف من الهبات الصغيرة التي جادت بها جموع من الرجال والنساء

وفضبت السيدة الى مكتبها وأمضت شيكا قدمته الى باستير، فتناوله دون أن ينظر فيه. ثم

(١) رجونا في ترجمة الكلمات والمصطلحات العلمية الواردة في المقال الى القاموس الطبى الذى وضعه الدكتور محمد شرف

سنوات خالدة

في تاريخ معهد باستير

١٨٥٤ - كشف باستير عن الميكروبات

في خماثر البيرة والنيذ

١٨٦٠ - عزل الميكروبات

١٨٨١ - أثبت ان الامراض المعدية

تنشأ من الميكروبات

١٨٨٥ - صنع أول مصل يقتل

الميكروبات

١٨٩٤ - صنع العالم رو مصل

الديفتريا

١٩٢٣ - كشف رامون عن اللقاح

الواقى من الديفتريا وطعم نفسه به لينبت

أن لا خطر منه

١٩٣٨ - كشف رادون عن اللقاح

« المتصد » الذى يحمى الجسم من عدة

أمراض مرة واحدة . فيلقح به الشبان

عند التحاقهم بالخدمة العسكرية لجعلهم

سائقين من الديفتريا والتيفود والباراتيفويد

والتيفوس معا

ودعها شاكرا . وبعد دقائق عاد اليها مفروق
الصين جيس اللسان . فقد سطرت في هذه
الورقة تلك الكلمات : « ادفعوا المسبو لويس
باستير مبلغ مليون فرنك - مرجريت بوسيكو »

يعرف عامة الناس أن باستير هو الرجل
الذى قهر داء الكلب . ففي أثناء بحوثه
الكيمائية هدته احدى الصدق العلمية
المجردة الى دراسة تخمر المواد . فاتهت من
هذه الدراسة الطويلة الى أن كلا من التخمر
والمرض ينشأ من أجاء ضئيلة لا ترى بالعين
هى الميكروبات التى تفرز من السموم ما يعطل
أو يقتل الجسم البشرى

واستطرد باستير من هذا الى البحث في
مرض الكلب ، ولم يستطع بادئ ذي بدء
أن يعزل ميكروب هذا الداء ، لانه يمر خلال
الشعيرات الدموية الدقيقة . ولكنه وجد أنه
إذا لقحت الحيوانات السليمة بالنخاع الشموى
المستخرج من كلب كلب فانها تصاب بهذا
الداء وتندو حيوانات مسمومة . أما اذا عرض
هذا النخاع للهواء فترة من الوقت ، فانه يفقد
ما فيه من خبث وسمومة فلا يصيب الحيوان الذى يطعم به بداء الكلب ، بل يصبح هذا
الحيوان « مطعما » ضد الداء

ولكن تجارب باستير الاولى ظلت مقصورة على الحيوان ، وظل لا يجرؤ على الانتقال
بها الى دائرة الانسان . فكتب في سنة ١٨٨٤ فى رسالة الى امبراطور البرازيل يقول :
« ان يدى ترتجف وتومض حين يأتى اليوم الذى يصير فيه من الضرورى أن أجرى
تجاربى على الجنس البشرى . وقد جاء هذا اليوم ، وكان ذلك فى شهر يوليو سنة
١٨٨٥ ، حين جاءت احدى السيدات الى العمل الصغير الذى يقيم فيه باستير فى احدى
جوانب باريس ومعها طفلها جوزيف مايستر مصابا فى جسمه بعدة عضات من كلب مكلوب
وأمنى باستير يوما كاملا فى أزمة ، بل فى محنة نفسية قاسية ، يتردد بين واجبه العلمى
وواجبه الانسانى ، وبين ما يترقبه من عواقب ان مات هذا الطفل من جراء تجربته العلمية .
ثم انه لم يكن واقفا من أن الطفل أصيب بداء الكلب ، وليس فى الوسع تبين الحقيقة الا

بعد مدة طويلة تم فيها حضانة ميكروب المرض ، وحينئذ يقدو علاج المريض مستجيلا .
وأخيرا تغلب واجبه وتغلب ضميره على كل نازع سواههما ، وحقن الطفل بالمصل الذي
صنعه من نخاع الكلاب الكلبة .. وكلنا يعرف ماذا كانت النتيجة ، فقد شفى الطفل
مايستر الذي ما زال الى اليوم يعمل حارسا في معهد باستير !

وذاعت أنباء نجاح باستير في شفاء أول انسان من مرض الكلب ، فوفدت عليه وفود
المرضى من سائر أرجاء العالم ، وأرسل اليه قيصر روسيا تسعة من أبناء سمولنسك غضتهم
الذئاب المسعورة ، وأرسلت اليه جريدة « نيويورك ديلي هيرالد » أربعة أطفال مرضى
ليعالجوا على نفقتها .. وأخذ العالم يقرأ أبناء هذه التجربة العلمية الخطيرة مندهشا مأخوذا

سألت في معهد باستير عن الطريقة التي صنع بها اللقاح المشهور B.C.S. الذي يتخذ في
مقاومة مرض السل ، فقبل لي :

- أترى هذه القطعة الطويلة من « البسكوت » ؟ انها شريحة من البطاطس غمست
ونبتت في حساء من الصفراء المرة التي يفرزها الكبد . وهذه هي التربة الحسبة التي
نزرع فيها هذا الميكروب القيم الذي يقاوم المرض الخطير

وقد لاحظ الدكتور مارفان ان الاطفال والشبان الذين أصيبوا بمرض الغدد الدرقية
المعروفة بالغدد الخنزيرية ، وهو نوع من السل يسبب الغنى بأذاه ، قلما يصابون فيما بعد
بمرض السل . ذلك أن الاصابة الخفيفة بهذا المرض تغطي الجسم مناعة من الاصابة
الشديدة به فيما بعد . وهذا هو الشأن في كثير من الامراض ، مثل السعال الديكي والحسبة
والتيفود فان الاصابة الأولى بها تحصن الجسم من هجماتها التالية

ومن هنا جاءت الفكرة بتلقيح الاطفال ضد السل باعطائهم ميكروبات هذا المرض عن
طريق الفم . ولكنه وجد أن هذه الطريقة تتطوى على أخطار جمة قاسية ، فجد معهد
باستير في البحث حتى توفى الى انقاص ما في هذه الميكروبات من خبث وسمومة الى حد
بميد ، وبذلك يحصل الجسم منها على ما يلزمه من مناعة ومقاومة دون أن يتعرض لما
تحمله معها من أخطار . وبدى في توزيع هذا « الباشلس » الجديد في أنابيب مغلقة منذ
سنة ١٩٢٤ ، فماذا كانت النتيجة ؟ دلت الاحصاءات الدقيقة على أنه من بين ملايين
الاصابات بمرض السل نقص عدد الموتى من الاطفال المطعمين بهذا اللقاح وهم فيما بين
الشهر الاول والسنة الثامنة من أعمارهم الى نصف ما كان عليه من قبل . هذا الى سهولة
تناول هذا اللقاح ، فهو يعطى للطفل في الايام العشرة الأولى من حياته ، بمعدل ثلاث
ملاعق صغيرة في كل ثمان وأربعين ساعة ، على شريطة التأكد من أن جسم الطفل خال
من كل ميكروب خطر آخر ، وأن هذا اللقاح هو الميكروب الوحيد الذي يشتمل عليه
الجسم . وتكرر هذه العملية عند ما يكون سن الطفل سنة ، ثلاث سنوات ، فسمع

سنوات ، فخمسة عشرة سنة . وبذلك تولد في الجسم مناعة قوية تؤمنه الى حد بعيد من الإصابة بهذا المرض الحيث

وقال لي الاستاذ وينرج ان « الغنغرينا » أحدثت رقما مخيفاً من عدد الوفيات الناجمة عن الجروح في بداية الحرب الماضية . وكان باستير قد أثبت أن جميع أنواع الغنغرينا المختلفة تنشأ من الميكروبات الانبوية ، وهي تلك التي تستطيع أن تحيا بدون اوكسجين الهواء . فلما جاءت الحرب وحدثت معارك الخنادق ، وجدنا أن الجنود الذين يصابون بجروح من جراء ما يصيبهم من شظايا القنابل والمقذوفات ، والذين تصل جراحهم بما في هذه الخنادق من تراب وغبار ، لا يلبثون أن يصابوا بضروب عنيفة من البكتريا المتفجرة ، والاوزيا الحية ، وحالات التفجح الاليمية . فقررت أن أصل الى طريقة تقضي على جميع أنواع الميكروبات بما فيها تلك الأنواع التي يمكنها أن تحيا دون هواء ودون اوكسجين .

فصنعت هذا المصل « المتعدد » القاتل لحمسة من الميكروبات التي تسبب الغنغرينا وسألت أخيراً الاستاذ مينيكيوف عن بحثه في تحقيق مناعة الجسم بواسطة جهازه العصبي ، فتناول هذا العالم اثناء زجاجيا أراني في داخله دودة كبيرة من دود النعرج مربوط من وسطها بخيط حريري دقيق . وقال :

« ان هذه الدودة منقسمة بواسطة هذا الخيط قسمين ، باستثناء سلسلتها العصبية التي يقابلها في جسم الانسان عموده الفقري ، فهي متصلة لا يمسه الخيط الحريري . والآن ، فاني اذا أحدثت المناعة في الجزء الاعلى من جسم هذه الدودة ، فإن الجزء الادنى منه يكتسب هذه المناعة تماما . واذا كسرت سلسلتها العصبية بواسطة ابرة محمأة في النار فإنه يقف انتقال المناعة من جزء الى جزء . ومعنى ذلك أن المناعة تنتقل من خلال الاعصاب وحدها . وهذه حقيقة قاطعة ، ذلك أن الاعصاب تؤثر في كرات الدم البيضاء ، هذه الكرات التي أثبت مينيكيوف في معهدنا هنا أنها تقتل وتقتل ما ينفذ الى الجسم من الميكروبات

« ولا شك في أن الاعصاب تؤدي دورا هاما في كياننا وفي صحتنا . وأن الرجل الهادي المكتمل الاعصاب أقدر على مقاومة الامراض المعدية من الرجل العصبي المضطرب

قال باستير ذات مرة : « ما من أحد يسأل الرجل المريض : من أي بلد أنت ؟ وبأي دين تدين ؟ بل كل ما يقال له : أنت تتألم وتعاني ، وهذا حسبي منك ، وقد جئت الى ، وسأعمل لأعينك واشفيك »

وتلك هي القاعدة الذهنية ، القاعدة العقلية التي تقام عليها الاخوة الانسانية ، فأي مكان نرى فيه هذه القاعدة تتخذ كما تتخذ في ذلك المكان المقدس الذي يسمى « معهد باستير » ؟

(خلاصة مقال بقلم بير ديغو لي صحيفة وولده دايجست)

تصنيف اللغة العربية

بقلم الأستاذ تقولا الحداد

بني الحقاء بمثل اللغة الانكليزية لغة العالم ،
ونالت لجنة لتبسيط هذه اللغة حتى تسهل
على الأمم المتعددة . وقد كتب الأستاذ تقولا
الحداد يقول بصيغة اللغة العربية أيضاً على
هذا النحو . ونحن نشر لخبرته هذا المقال
ولأن لم نكن مواقعين على بعض ما جاء فيه

علم القراء من الانباء الاخيرة أن الحلفاء
أعلنوا أنه تقرر جعل اللغة الانكليزية لغة
العالم ، وذكروا من أسباب اختيارها لهذا
الفرض أن المتكلمين بها أكثر عدداً من
متكلمي أية لغة . وقد بسطت في مقال في
العدد الاخير من «الهلال» الصعوبات العظيمة
القائمة في سبيل نشر هذه اللغة . والقاهر أن
كثيرين من متكلميها لم ينفلوا عن هذه
الصعوبات ، فألف القارئ بالامر لجنة خاصة

لإزالة تلك العقبات ، وجعل اللغة أبسط ما يمكن أن تبسط ، بحيث لا تفقد شيئاً من قوة
التعبير وسلاطته من الغموض . وسما بسطها The Basic English أي «الانكليزية
الاساسية» . وقبل انهم صفوها من جميع الالفاظ الزائدة والحوشية والمستغنى عنها بما
يرادفها ، وصفا منها نحو ٨٥٠ لفظة كافية في رأيهم للتعبير التام . وبالطبع لا تدخل في
هذه الصفوة الالفاظ العلمية البحتة ، والالفاظ الفنية ، كقولك : فيسامين كافين ، فولات ،
أمير ، دفتيريا ، سترينوكوك ، الكرون ، الى غير ذلك من ألوف الالفاظ التي تعتبر من لغة
العلم الشائعة في جميع لغات العالم المتحدن بحروفها ونطقها تقريباً . هذه الالفاظ لا تحسب
من الالفاظ الاساسية العامة المشار اليها آنفاً . وليس على أحد من غير المختصين بالعلوم
والفنون أن يستعملها ، ولا ترد الا في الكتب والمجلات المختصة بها ولها قواميس خاصة
بها . اما لغة التفاهم العام في الكلام والجرائد والمجلات والمراسلات السياسية والتجارية
ونحو ذلك ، فكفيها صفوة الكلمات التي أشرنا اليها

وبالطبع تلك الصفوة تشمل على الالفاظ المعبرة عن جميع المعاني المتداولة . وان كان
غمة معنى ليست له لفظة خاصة ، فيمكن أن تؤلف له من تلك الالفاظ جملة تعبر عنه .
وكذلك تقتصر كل لفظة على معنى واحد اشتهرت به تقاديا للإلتباس . هذا ما نظنه في
تصنيف اللغة

وقد يرى المحققون أن ال ٨٥٠ لفظة غير كافية ، فلا حرج في أن يضيفوا اليها ما يلزم
للبيان . ومهما أضافوا من اللوازم فلا تزيد الالفاظ على الالفين . وبذلك يطرحون عن
عائق أذهان الكاتنين والقارئين عشرات الألوف من الالفاظ المستغنى عنها ، فضلاً عن
الالفاظ النافرة والحوشية

ولا ريب أن اللجنة حسب حساب صعوبة التهجئة وللنطق باللغة الانكليزية لعدم

التطابق بينهما . فلا بد اذن ان تصفى التهجئة أيضا بحيث لا يبقى من أحرف الكلمة الا ما يكفى لنطقها ، أى أن ينقصوها لكى تنطق كما تكتب . وبذلك تزول عقبة عظيمة لدى هذه اللغة الثالثة ، ويسهل تعلمها واستعمالها

بقى أن يعنى مصفوها برد جميع الالفاظ الشاذة عن القواعد الصرفية الى قواعدها العامة لكيلا يتضجر متعلموها حتى أهلها من شواذها العديدة ويعتمدوا على القياس فى تصريفها . فمأذا يمنع أن تستعمل Comed بدل Caze و Childs بدل Children مثلا . والغريب أن شواذ هذه اللغة هى من ضمن ألفاظها الثالثة ، وهى أيضا جانب كبير منها

أما نحوها فلا غبار عليه ، فلعله أبسط من نحو أية لغة . ويضاف الى هذه البساطة أن كثيرا من الاسماء تصاغ أفعلا أيضا ، مثل يد ورأس وقدم وفارورة وجليد أو تلج وهواء وماء وكثير غيرها مما لا يحصى

فإذا نقحت اللغة الانكليزية على هذا النحو ، أشبهت لغة الاسيراتو وأغنت عن استعمالها ، وإن كانت هذه لا تزال ذات مزايا تمتاز بها على منقح الانكليزية ، وأما يبقى للانكليزية مزية شيوعها فى هذا الجبل . وبعد هذا الجبل تصبح والاسيراتو سواء ، لأن أطفال الجبل القادم لا فرق عندهم فى تلقن هذه أو تلك من حيث السهولة والحدق

ما الذى حدا أصحاب الانكليزية أن يصفوها وينقصوها ويشذوا منها المجهور ، ويفرضوا على ألفاظها أن تخضع للقواعد الصرفية على الاطلاق ، لا ريب أن ما يحدوهم الى هذا هو الاقتصاد فى الوقت والاقتصاد فى المجهود العقل الذى يبذلها طلاب اللغات المختلفة ، ومنها اللغة الانكليزية نفسها ، وهم غرباء عنها ، والجهد فى تنازع البقاء فى هذا الزمن يقتضى هذا الاقتصاد كما لا يخفى

لا يد حفظ اللغات المختلفة تاجا علميا ، لأن اللغة ليست إلا الأداة الذى تتناول به المعارف . وهو معلوم أن المعارف قد تفاقمت والعلوم اتسع نطاقها اتساعا عظيما ، والتفاهم الأسمى تشعب جدا لاشتراك الأمم بعضها ببعض . فبدل أن ينفق الفرد مجهوده ووقته فى تعلم اللغات المتعددة ، ينفقه فى تعلم لغة واحدة بسيطة لكى يحول سائر مجهوده الى حذق المعلومات والحقائق والعلوم الأخرى العديدة

تصفية اللغة العربية

بناء على هذا ، كم هو جدير بلفتنا العربية أن تصفى وتنقح وتهذب لكى يسهل على أحداثنا تعلمها وفهمها ، وعلى كتابنا حسن التميز بها وفصاحتها ، وعلى قرائنا فهمها بلا أعينات ذهن

ولعل بعض الناس يشيرون لمناهضة هذا الإصلاح بقولهم ان اللغة العربية هى لغة القرآن الشريف ، فلا يجوز أن تمس بتنقيح أو تصفية الة

فرد عليهم بأنه لا مانع أن تبقى للقرآن لغته ، وإن حافظه يحفظونه بلغته . ولا بأس

أن تبقى اللغة كما هي للشعر وسائر الكتب المقدسة أيضا كما هي للقرآن . ولا بدع في هذا التخصيص ففي اللغة الانكليزية أسلوب من التعبير خاص بالشعر والكتب المقدسة حتى الوثائق الرسمية القديمة ، وأما نحن نشد لغة عربية بسيطة سهلة الحفظ والتعبير ، لكي تكون في متناول الأعلام والأفهام

وإذا أصررنا على أن نجعل لغتنا مستمدة من لغة القرآن ، فلينا أن نسقط من معجمنا كل لفظة ليست في القرآن . فإذا كان ما بقي منها كافيا للتعبير في المعاملات والعلوم والتفاهم فأنعم به تقيحا للغة ، والا فضرورة الاقتصاد في المجهود والوقت وسهولة التفاهم والتفهم تقتضيان علينا بأن تصفى لغتنا تصفية اقتصادية ونقح قواعدنا . والا أضعا أوقات الطلبة ومجهوداتهم فيما لا فائدة عظيمة منه أو لا طائل تحته ، وأبقنا عشرات وعشرات أمام الأفهام قد يتشر بها المتفاهمون ويسوء تفاهمهم

ومن منا لا يعلم أن الطلبة يكرهون اللغة العربية بين سائر العلوم للصعوبات الجمة في دراستها وحذقها ، فضلا عن أنها تستنفد من وقتهم وجهدهم ما هم أحوج إليه لدرس العلوم الأخرى التي ازدحمت بها مناهج التعليم بمقتضى هذا العصر

ربما عدت اللغة العربية أغنى لغات العالم بالألفاظ ، ومعظمها مترادفات ، لأنها مجموعة لغات قبائل عديدة مختلفة . على أن ما هو لازم من ألفاظها للتعبير ليس الا القدر القليل منها . وأما القدر الأكبر فمجهور أو حوشى وبضه نافر ، ولكن الكتاب ولا سيما كتاب هذا العصر لا يقتصرون على استعمال الفصح الشائع منها واللازم للتعبير السليم ، بل هم يوغلون متحذلقين ومنظرين في استعمال أى لفظ عثروا عليه في قراءات المصنفات القديمة وأستعار الجاهلية ، من غير أن يميزوا أى اعتبار لفصاحة اللفظ وتجانس غرابته وهجته أو نفوره ، على الرغم من أن أدباء العرب الذين سبقوهم بعد الاسلام حذروا طلاب اليان والبلاغة من الألفاظ الحوشية والوحشية والنافرة . وفي يقين بعض كتابنا أنه كلما كثرت هذه الألفاظ الغريبة في كتاباتهم عدت كتابتهم بليغة وكانت أدبا رائعا ، ولا يهمهم أن يفهم القراء كتاباتهم أو كيف يفهمونها ، أو ماذا يفهمون منها . إذن فلنم يتكبرون ؟ ألا أنفسهم ؟ كأنهم وحدهم يقرأون ؟!

وأغرب ما روى من هذا القليل أن بعضهم قبل أن يشرع في كتابة مقاله ، يسطر أمامه بعض كتب اللغة ومعجماتها ، ويتفنى الألفاظ التي يظنها تلائم موضوعه ، ويدونها أمامه . ثم يشرع يكتب وينزل تلك الألفاظ في عباراته تنزيل قطع الحاج أو الاصداف في الفسيفساء سواء اقتضاها سياق الموضوع أو لم يقتضها . ولا يتورع عن أن يضحي بالمعنى أعجابا بفسيفساء عبارته . فكأنه يفتنى أن يطرز ديباجته بأسلاك من ذهب ، وما هي الا أسلاك من نحاس أو رصاص تصدأ قبل أن تعرض للنظر ، أو هي نقوش تتآفر حين تقرأ ، ويسقط بناء اليان من تحتها فلا يبقى للقارىء الا معان متلاحقة غير متعاقبة أو سخافات مبهمه

وكثيرا ما تضلل الالفاظ الغربية القارىء عن المعنى المقصود ، اذ ليس القاموس في يده ليتحقق معنى اللفظ الغريب ، فيعتمد على القرينة في تفهم المعنى المراد . ولكن لا يندر أن تخونه القرينة فترسم في تخيلته معنى آخر غير معنى العبادة . وقد يغويه التاكيس في الكتابة أو الكلام أن يحذو حذو ذاك الكاتب فيستعمل تلك الالفاظ في كلامه أو كتابته ، فيعز عليه بيان ما يعنى ، أو يفهم الفاهمون غير ما يعنى . وقد يتواتر هذا الضلال بين القراء والكاتب بسبب فهم الالفاظ واستعمالها لتبر معناها

مثال ذلك قولهم : « هذه موسم تعيش بمال السحت » ففهم بعضهم السحت الدعارة ، لاعتقاده أن مال الموسم ثمن فحشها . وأخذها عنه بهذا المعنى واستعملها بهذا المعنى فضل بها قراء آخرين كما أضلهم الغائل الاول ، لأن معنى السحت المال الحرام كمال اللص ومال المحتال ونحوهما

وكذلك قولهم : « اذله الاملاق » فظنه بعضهم يعنى التملق لأن اللفظين مشتقان من مادة واحدة ، في حين أن الاملاق هو الاسراف حتى الفقر . فهل يا ترى قولهم « اذله الاملاق » أبلغ وأصح من قولهم « اذله الفقر »

وقولهم : « خدعنا بيلمعته » فظن بعضهم أنهم يريدون : « خدعنا بالمعينة » أى بذكائه لما بين اللفظين من التقارب . على أن اليلمى هو من يخلط الصدق بالكذب . فهل ذلك القول أصح من قولهم خدعنا بخليط الصدق والكذب

وهل يا ترى قولنا : « ان أعداءنا لا يتركون فرصة لقص أطراف البلاد الا احتبلوها » أصح من قولنا : « الا اغتصموها » . وهل قولنا : « لا يزال سادرا في لذاته » أصح وأبلغ من قولنا : « معنا في لغاته أو متباديا بها » . وهل اذا قلنا : « أسبغت أثينا » كان أصح من قولنا حلت بجاعة بأثينا . أليس الجوع أصح وأبلغ من الطوى والسغب . وهل « تفيق في حديثه » أصح من « توسع في حديثه » . أو « تفيق في مشيته » أصح من تبختر . وهل الضرعغام والضيغم أصح من الاسد والسبع ؟ وهل الفرضاب أصح من السيف أو الحسام ، وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ التى يتهاافت اليها الكتاب وهى اذا لم تفسر في الحاشية فقد يفهمها القراء خلاف معناها . فلماذا يتهافون الى هذه الالفاظ النافرة والغريبة ويندون عن الالفاظ المألوفة ؟ لعلهم يحسبون البلاغة هى في تنسيق الالفاظ الغريبة والمهجورة والنافرة . فلا بدع اذن أن يقوم في ظن السذج من القراء أن الكتابة كلما كانت غامضة بسبب غرابة الفاظها كانت أبلغ

رأيت يوما شخصا يقرأ بصوت مسموع مقالا في مجلة تنسوق المقالات التى من ذلك الطراز من الانتشاء المنقوش بالالفاظ المقررة . فقلت له : « ماذا فهمت يا صاحبى من هذا المقال ؟ » فغظر الى شزرا وقال : « هل تنتظر ممن هو مثلى أن يفهم هذا الكلام البليغ ؟ » قلت : « اذا كنت لا تفهم ما تقرأ فلماذا تقرأ ؟ »

قال : « لكى أتلذذ بهذا الكلام العظيم »

قلت : « وماذا تستفيد منه اذا كنت لا تفهمه »

قال : « هل يجب أن أستفيد ؟ »

قلت : « طبعاً . ان الغرض من الكتابة منح القارئ فائدة والا فعبثاً يكتب الكتاب ويقرأ القراء »

ففكر حينئذ في نفسي : « حقيقة . ماذا أستفيد من كتابة لا أفهمها . ولكنني أحب يا صاحبي أن أقرأ كتابات بليغة كهذه »

قلت : « لو كنت تقرأ كتاباً ككتاب كليله ودمنة مثلاً أو مقالا من طراز لفته لحصلت على البليغ المفهوم »

فتأمل ماذا يفهم القراء مما يكتبه بعض الكتاب . ألا تأسف على مطبوع الورق المضاعف في هذا البعث ؟

لو كان كتابنا يتحون عن اعنات قرائهم في تلك البلاغة الصيفية ، واجهاد اذعان قرائهم في تفهمها ، لصابوا كبد البلاغة الحقيقية التي من أول شروطها فصاحة اللفظ المأنوس وسلامته من الغرابة والتفوق

واذا شئت أن نصفى لغتنا لنحصل على صفوة الالفاظ الفصيحة المأنوسة المألوفة ، وجدنا هذه الصفوة لا تزيد على الألفى لفظة ، وانها تكفي للتعبير عن كل معنى يلوح في الذهن (ما عدا المعاني الفنية البحتة) . وأما ما يبقى بعدها من الالفاظ غير اللازمة فتركه في المعجمات كمتحف الآثار اللغوية القديمة فعود إليها في تفسير تراثنا الادبي عند اللزوم . ثم تقدم لطلاب اللغة معجم الصفوة الصغير لتحديد ما ينبغي استعماله في الكتب والمكاتبات والمخاطبات العمومية . وهكذا نجعل لغتنا سهلة صالحة للتفاهم التام ، ونرفع عن عائق طلابها معظم أثقالها

تنقيح قواعد اللغة

بقيت عتبة أخرى في أداة تفاهمنا صعبة المرحى ناحية الهم وهي قواعد لغتنا الصرفية والنحوية . وجميع المثقفين عندنا يعلمون جيداً أن قواعد لغتنا أعقد قواعد لغات الأمم المتعدنة وأصعبها وأكثرها تفرعاً وأحوالها شواذ بحيث يقضى دارسوها السنين الطوال في درسها من غير أن يزكوها كلها بتفاصيلها . وسبب ذلك أنها مجموعة أساليب لغات قديمة مختلفة في التعبير . وكلنا يلاحظ أن الجانب الأكبر منها لا لزوم له في التبيان ، بل بعضه يؤدي إلى اللبس ، والاقتصاد عنه أصلح للأفصاح والإيضاح

ولا أدرى لماذا نحن مرغمون على أن نخضع لدستور نطق به عنوا وبلا ترو سائق اظمان أو راعي برمان أو غازي جيران الخ . ولماذا لا نهذب هذا الدستور بحيث يتشبه مع حضارتنا من غير تشو ويجري فيها من غير جران

في النحو علامة النصب الفتحة وعلامة الحذف الكسرة . ولكن يستثنى جمع المؤنث

السالم فينصب بالكسرة والمنوع من الصرف فيخفض بالفتحة . فلماذا هذا الاستثناء ؟
الكى تزيد القواعد تعقيدا والبيان تعقيدا ؟ اذا أطلقت القاعدة على هذين الامرين فهل
يطمس المعنى ؟ اذا قلت رأيت السيدات ومررت بابرهم وبأفضل منه فهل يتعلق المعنى
على القارىء .

ولماذا المنع من الصرف ؟ يقال ان سببه ثقل المنوع اذا صرف . فهل ثينب أثقل لفظا
من سراقى ؟ وتلك ممنوعة وهذه مصروفة بحكم القاعدة

ولماذا نونا التوكيد المشددة والمخففة ؟ وأحكامهما مختلفة مع الافعال الخمسة ولا سيما
فى الافعال الناقصة (المتلة الآخر) . ولا أظن أحدا من حافظى قواعد اللغة يستطيع أن
يذكر تلك الاحكام من غير أن يعود الى الكتاب مهما اجتهد فى حفظها . بل لماذا التوكيد
بالنون وعندنا له ان واللام وواو القسم . بل ما لزوم التوكيد اذا كان القائل معروفا
بالصدق ؟ وما فائدته اذا كان هذا موصوفا بالكذب ؟ والملاحظ جيدا ان الكتاب لا يستعملون
نون التوكيد بتاتا . فلماذا يرهق طلاب اللغة بحفظ أحكامها وهى معقدة صعبة وهم لن
يستعملوها

ولماذا يختلف العدد والممدود فى التذكير والتأنيث بشروط ؟

ولماذا لا تلحق ياء النسبة جميع الاسماء كما هى - المفرد والجمع . فنقول الدولى للمفرد
والدولى للجمع كما نقول الحقوى . واذا رددنا الجمع للمفرد ونسبنا له ، فكيف نميز
النسبة لكليهما ؟ لماذا لا تطرد النسبة لصيغة فصيحة كما هى لسانر الصيغ فيقال فعيل لكل
فعيلة ؟ أم نريد أن نزيد العبء على الطالب عبئا لا طائل تحته ؟

ولماذا يستوى المذكر والمؤنث فى صيغى فعول بمعنى الفاعل وفعل بمعنى المفعول مع ذكر
الموصوف ؟ فهل يغمض المعنى اذا قلت جاءتنى امرأة جهولة وجريحة ؟ وقد بلغ من
حرص بعضهم على هذه القاعدة أن أطلقوها على كل لفظ على وزن فعول حتى ولو كان
اسم مفعول من الأجوف فقالوا « السيدة المصون » . هذه جنابة من جنابات بعض القواعد
الفضولية فى اللغة

ولا يتسع المجال لسرد جميع قواعد اللغة التى لا لزوم لها فى التعبير ، ولا يتلم المعنى
اذا عدل عنها ، بل بالأحرى يخفف عبء اللغة ويفتر الحق عليها ويقل كره الاحداث
لها بسبب هذه الصعوبات المكتنفة لها ، ويتوفر كثير من وقتهم وجهدهم لتحصيل العلوم
الأخرى التى هى أهم وأقيد

فاذا فوض الى لجنة حرة أن تشذب قواعد اللغة من غير أن تمس جوهرها وتردها الى
أبسط ما يمكن بحيث تبقى صالحة تمام الصلاح للتعبير من غير وقوع التباس أو غموض
يسهل تعلمها والتجبر فيها بكل وضوح ، وكانت خير أداة للتفاهم بين جميع الامم العربية،
وعادت محبوبة عند طلابها من أهلها ومن الأجانب أيضا

نقولا الحداد

مستقبل اللغة الإنجليزية في تفاهم الشعوب

يقول المفكر الإنجليزي الكبير « هربرت جورج ويلز » إن من العوامل القوية التي تكفل تحقيق السلام بين شعوب العالم ، إنشاء لغة عالمية تقرب بين أذهان الناس وأفكارهم ، وتيسر سبل التفارب والتفارب بينهم جميعا . واذ كانت المحاولة في جعل « الاسبرانتو » لغة عالمية تأخذ مكان اللغات القائسة قد أخفقت برغم ما بذل لها من جهود ، فلعل المحاولة التي يريد الحلفاء أن يقوموا بها فيما يقومون به من مشروعات ما بعد الحرب ، الراراء للسلام وتدعيمها لاركانه ، وهي محاولة جعل اللغة الإنجليزية لغة عالمية لكافة الشعوب ، تكون أدنى الـ النجاح والتوفيق ، لما تمتاز به هذه اللغة على سائر اللغات من مزايا شتى أوضـعها كاتب هذا المقال

« اللغة الإنجليزية ضيقة النطاق قليلة الانتشار ، لا تتجاوز شواطئ هذه الجزيرة التي نسكنها ، ولا يرجى أن تزدحم فيها وراءها يوما ما »

كتب هذه الكلمة في سنة ١٥٨٢ ، وكاتبها هو « وينسارد مولكاستر » أحد التحويين الانجليز الاوائل . ففي ذلك العهد كان لا يتكلم الإنجليزية أكثر من أربعة أو خمسة ملايين من الالسن ، وكان تربتها بين اللغات الأوروبية في المرتبة الخامسة ، ونسبتها الفرنسية فاللمانية فالإيطالية فالاسبانية على الترتيب . ولكن لم يتصف القرن التاسع عشر حتى شقت الإنجليزية طريقها الى المرتبة الأولى ، وعدت اليوم أعظم اللغات الأوروبية انتشارا ، اذ يبلغ عدد المتكلمين بها قدر عدد من يتكلمون اللغتين الأوربيتين الكبيرتين ، الروسية والالمانية ، مجتمعين

ولست الإنجليزية اللغة الأولى - وفي غالب الامر اللغة الوحيدة - لأعظم امبراطوريتين في العالم فحسب ، بل هي الى ذلك اللغة الثانية في أقاليم أخرى فسيحة الارحاء حاشدة بالسكان خارج حدود الامبراطوريتين البريطانية والامريكية . وتكتب بالانجليزية ثلاثة أرباع البريد في العالم ، ويطبع بها أكثر من نصف جرائد العالم ، وهي اللغة التي تزدحم ثلاثة أخماس ما في العالم من محطات الاذاعة اللاسلكية . وما يستطيع قائد سفينة أن يمر بها محطات العالم الا بعد أن يلم بكثير أو قليل من الإنجليزية

وسائر اللغات التي ما تزال تشق طريقها وتأخذ مكانها خارج موطنها - كالاسبانية في أمريكا اللاتينية ، والاطالية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، واليابانية في أرجاء الشرق الأقصى - لم تستطع أن تصمد أمام تيار اللغة الإنجليزية ، الا بعد أن طعمت نفسها بكثير ،

وكثير جدا ، من المفردات والتراكيب الانجليزية . فجميع هذه اللغات قد أدخلت في منها من الكلمات والعبارات الانجليزية ما دعا - كما هو الشأن في اليابانية - الى انشاء قواميس بأكملها تشمل على ما أضفته الانجليزية على هذه اللغات وقد أخذت الانجليزية ، في العهد الاخير ، تفرض نفسها على الفرنسية في لغة العلاقات الدبلوماسية ، وعلى الالمانية في لغة البحوث العلمية

ومن الواضح أن ليس ثمة لغة أخرى يتكلمها من الناس قدر من يتكلم اللغة الانجليزية . فالروسية لا يتكلمها من أبناء الاتحاد السوفيتي ، ويبلغ عددهم مائة وثمانين مليون نسمة ، سوى ثمانين مليون نسمة فحسب ، أما الباقون فيتكلمون لغاتهم المحلية التي تعد بالعشرات . أما في خارج روسيا فلا يكاد يذكر عدد من يتكلم الروسية ، لأن جميع وحدات الاتحاد السوفيتي واقعة في اقليم واحد متصل الاجزاء

وتلى الالمانية الروسية في مدى ذبوعها . فيتكلمها خمسة وستون مليون لسان في ألمانيا ، يضاف اليهم سبعة ملايين في النمسا ، وثلاثة ملايين في سويسرا الالمانية ، وخمسة ملايين من السن الاقليات الالمانية الموزعة هنا وهناك ، وخمسة ملايين أخرى في بعض مناطق روسيا والبلقان والبلطيق وأمريكا الجنوبية . أي أن مجموع من يتكلمون الالمانية لا يتجاوز خمسة وثمانين مليوناً من الانفس

وتأمن الفرنسية والاسبانية بعد هذا ، ولا يتجاوز عدد من يتكلم كلا منهما خمسة وخمسين مليوناً من اللسان

وليس ثمة ما ينافس الانجليزية في آسيا ، فمع ان اللغة الصينية هي لغة ثلاثمائة مليون نسمة ، الا أنها تنقسم الى عدد من اللهجات المتباعدة في نطقها ، ونحوها ، وكثير من مفرداتها ، حتى لا يصح أن نحبر لغة واحدة ، بل مجموعة من اللغات المتقاربة

وهكذا نرى الانجليزية في المرتبة الاولى التي لا ترقى اليها لغة أخرى تنافسها . ثم هناك من الشواهد ما يدل على أن أفق ذبوعها يتسع على مر الايام ، فليس ثمة لغة أخرى يتكاثر عدد الناطقين بها في سرعة عاجلة ، وفي مناطق ثانية . فقد مر وقت كانت فيه الفرنسية اللغة المقررة للعالم المسيحي كله ، كما كانت اللاتينية من قبل طوال العصور الوسطى ، فكان كل معلم ومتقف في سائر أرجاء العالم المسيحي يتكلم الفرنسية الى جانب لغته الاصلية ، وما زال الى اليوم عدد من يتكلمون الفرنسية بالتعلم أكثر ممن يتكلمونها بالوراثة . ولكن الامر تغير في العهد الحديث ، فروسيا - التي تقوم سياستها في كل شأن على أسس من الواقع الذي لا يرتبط بشيء من العرف والتقليد - قد فوقت الانجليزية والالمانية في مدارسها ومعاهدها على سائر اللغات الاجنبية . ومدارس ألمانيا واسكندناوة واليابان تعنى بالانجليزية دون سواها من اللغات . بل ان الفرنسيين أنفسهم بدأوا يتعلمون الانجليزية ، وكثر بينهم في العصر الحديث عدد من يجيدها قراءة وحديثاً وليس من اليسير أن نعرف عدد من يتخذون الانجليزية لغة ثانية الى جانب لغتهم

الاصلية ، ولكن هناك بعض حقائق تعيننا على ادراك مدى انتشارها في ربوع العالم جميعا . فيقول أحد رجال السلك السياسي في يوكوهاما : انه لا غنى للجانب في اليابان عن معرفة الانجليزية ، وهم ليسوا في حاجة الى اليابانية قدر حاجتهم الى الانجليزية التي لا يستطيعون أن يتفاهموا بدونها فيما بين بعضهم بعضا . والغالبية الكبرى من المتعلمين في الصين يعرفون الانجليزية ، لان الصلة الادبية - فضلا عن الصلة المادية - بين الصين وامريكا كفيلة بأن تنشر الانجليزية ، لغتها وثقافتها ، بين الطبقات الصينية المتعلمة . ومع أن عدد من يستطيع أن يقرأ الانجليزية ويكتبها في الهند لا يتجاوز مليونين ونصف مليون ، الا أنها هي اللغة الوحيدة في ميدان الاعمال والتجارة ودوائر الحكومة والسياسة . وعلى أي حال فإنه يمكن أن نقدر عدد من يتخذون الانجليزية لغة ثانية لهم بمئتين مليون نسمة ، ومع أن أغلبهم لا يجيدون القراءة والحدث بها ، الا أنهم يستطيعون على الأقل أن يتفاهموا بها

ما مرجع تفوق اللغة الانجليزية وذووعها ؟

مرجع هذا الى أن الشعوب التي تتكلمها قد انتشرت في أرجاء العالم ، تفزوها بالرحلة والتجارة والسياسة والحروب . فهذه الشعوب أنجبت أعظم من عرف العصر الحديث من الرحالة والمكتشفين ، ومن البحارة والتجار المغامرين ، ومن المستعمرين المجاهدين المتأبرين . ومرجع هذا الى أن هذه الشعوب ضميعة في تعلم اللغات الأجنبية ، لا تصبر على دراستها ولا تجيد التعلق بها ، فاضطرت الى أن تحمل معها لغتها الى حيث تسافر وتستقر وتستعمر ، والى أن تفرضها على الشعوب التي تسيطر عليها سلطانها أو تقيم بين أهلها ، على قبض كبير من الشعوب الأخرى ، وعلى الأخص شعوب البحر الأبيض المتوسط ، التي يسهل عليها تعلم اللغات الأجنبية ، فلا تكاد تستقر في بلد جديد حتى تتعلم لغته وتغدو في غير حاجة ماسة الى لغتها الأولى

ولكن ثمة ما هو أبعد أثرا من ذلك في اذاعة اللغة الانجليزية وتوسيع آفاقها . ان هذه اللغة قد نفذت الى أقصى ربوع العالم ، مجابهة لغات منافسة قوية النفوذ راسخة الدعامة ، لا عن طريق القوة والفرض ، بل بفضل ما لها من مزايا معينة اختصت بها دون سائر اللغات . فقد قال « يقوب جريم » منذ قرن مضى : « ما من لغة من اللغات الحية يمكنها أن تبارى اللغة الانجليزية في ثروتها ، وفي حكمتها ، وفي اقتصادها المحكم الدقيق » . وأضاف الى هذا « اوتو جيسبرشن » منذ قريب : « أنها تبدو لي لغة مذكورة . انها لغة الرجل المكتمل النماء ، الذي لم يبق فيه الا أثر ضئيل من الطفولة أو الانوثة » . ثم يفصل هذا العالم اللغوي كلامه فيقول : ان الانجليزية لغة سهلة يسيرة ، واضحة الجرس بينة الصوت ، منطقية في ترتيبها وتنسيقها ، خالية من مظاهر الحذلق الزائفة . ثم أية ميزة كبرى تلك التي اتصفت بها هذه اللغة حين خلا نحوها من اسم الجنس ،

فليس بين المذكر والمؤنث فيها فوارق نجهد من يطلب تعلمها . لقد أمضيت سنوات أحاول أن أتذكر فيها ما اذا كانت كلمة يد « Hund » أوهر « Katze » الألمانية مذكرة أو مؤنثة ، وما يستمع ذلك من أداة تعريف خاصة ، ومن تصريف خاص لما يتبعها من صفات ، وما زلت الى اليوم لا أدري وجه الصحة في هاتين الكلمتين وفي مئات أمثالها

عند ما يتنافس رجال التربية في أمر اللغة الانجليزية ، يبدأون بما يلاقه المتعلمون الاجانب من المشقة في حفظ مفرداتها التي تبلغ على الأقل ضعف ما في أية لغة أخرى من مفردات . ولكن واقع الامر أن طالب اللغة لا ينظر الى عدد مفرداتها ، اذ ليس المهم في معرفة لغة ما استيعاب ما فيها من الفاظ ومصطلحات وتراكيب ، وانما ينظر الى أصول مفرداتها والى قواعد نحوها . فاذا عرفت معنى « الاصل » في كلمة انجليزية ، أمكنك أن تعرف معنى عدد كبير من الكلمات المشتقة من هذا الاصل ، بما يضاف الى صدرها أو الى عجزها من حروف أخرى . هذا الى أن الانجليز احتصروا كثيرا من الكلمات اللاتينية الطويلة ، وحولوها الى كلمات قصيرة يسيرة ، يسهل نطقها ويسهل حفظها . وليس ثمة لغة أوروبية أخرى تشمل على كلمات ثلاثية الاحرف أو رباعيتها قدر ما تشمل عليه اللغة الانجليزية . وليس ثمة لغة أوروبية أخرى تعبر فيها عن المعنى بعبارة موجزة مقتصدة كما تعبر عنه باللغة الانجليزية . والدليل على ذلك تلك التجربة التي قام بها اللغوي الامريكي « والتر كيركوبيل » ، فقد أخذ يحصى عدد الكلمات التي تلزم لترجمة « انجيل مارك » الى أربعين من اللغات الهندية الاوربية ، متدرجة من الفارسية والهندوستانية الى الانجليزية والفرنسية . فماذا وجد ؟ وجد أن اللغة الانجليزية أكثرها توفيراً واقتصاداً ، اذ أن ترجمة هذا الانجيل لم تستغرق منها أكثر من ٢٩٨٠٠٠ لفظة ، في حين أن ترجمته الى اللغات التبتية احتاجت الى ٣٢٦٥٠ كلمة ، والى المجموعة السلافية الى ٣٦٠٠٠ كلمة ، والى المجموعة اللاتينية الى ٤٢٠٠٠ كلمة ، والى المجموعة الهندية الايرانية ، مثل البنغالية والفارسية والسكترية الى ٤٣١٠٠ كلمة ، ومن الشائع أن اللغة الفرنسية لغة موجزة مركزة ، وهذا صحيح اذا قورنت بابتنى عموميتها الايطالية والاسبانية ولكنها اذا قورنت بالانجليزية كانت لغة مسرفة مبذرة ، تنفق ستاً وثلاثين ألف كلمة فيما لا تنفق فيه الانجليزية سوى تسع وعشرين ألفاً فحسب !

يخيل الى أكثر الاجانب في بداية تعلمهم الانجليزية أنها لغة سهلة يسيرة كلغة الاطفال . فاذا انتقلوا من دور تعلم الكلام بها الى دور تعلم قراءتها وكتابتها ، صدمتهم بكثرة مفرداتها وبعموية تهجيتها . ولكنهم اذا ساروا في تعلمهم شوطاً طويلاً ، مروا على فهم ما يعمض من الفاظها ، وعلى ادراك ما يبههم في التطق من حروفها ، فلا يلبثون أن يجدوها لغة مريحة يسيرة ، الى جانب ما فيها من ميزة الدقة والاقتصاد

(خلاصة مقال بقلم د. ل. مكي في مجلة باريد)

العظماء في سن الحسين

عند ما يبلغ المرء سن الحسين ينظر ليرى وراء الشوط الاطول من حياته تولى وانقضى، ولا يرى أمامه الا مرحلة قصيرة يجتازها قريبا. تلك ان هذه هي السن - على حد قول أحد الادباء الفرنسيين - التي يبدأ فيها المرء يكثر من استعمال « الفعل الماضي » ويقلل من استعمال « الفعل المستقبل » ولكن دراسة حياة العظماء ترى أن ثمة نفرا كبيرا منهم بلغوا تلك السن ولما بلغوا يقسمهم من الشهرة والصيت ، وأنهم أمضوا هذه العقود الحسنة وما زالوا يجاهدون سعيًا الى هدفهم المنشود ، وإن كان ثمة نفر آخر بلغوا قبل تلك السن فاجتهدوا الصوصى ، أو لطموا في سبيلها المرحلة الكبرى . ففعل الذين لم تسلمهم الحياة بتصبيهم منها ، وقد انقضى شبابهم ورجولتهم ، يجدون في هذا المثال أنه ما زال في كهولتهم وشيخوختهم متسع يتأبرون فيه على السعى والكفاح ، ويأملون فيه تحقيق آمانيهم واصابة أهدافهم

هؤلاء كانوا في سن الحسين مفعورين

كربنفور كولبوس جاءته عليه سن الحسين وما زال في عسر وضيق من أمره ، لا يجد له نصيبا على تحقيق أمنته الكبرى . فما من أحد آمن برؤيته أن الى الغرب في عرض البحر طريقا الى الهند . ومع أن فرديناند وايزابلا ملكى اسبانيا رضا بتمويل رحلته الاولى في سنة ١٤٩٢ ، الا أنه لم يوفق الى كشف امريكا الا بعد ذلك بست سنوات ، أى عند ما بلغ السنة الاولى بعد الحسين من عمره . ولكنه لم يعرف لا هو ولا أحد من معاصريه أنه رسا على أرض قارة جديدة ، أغنى من أية قارة من القارات القديمة جميعا . ومات كولبوس في سنة ١٥٠٦ ، أى في سن التاسعة والحسين ، دون أن يظفر بشيء من المجد أو النفع الذي كان حقيقا بصاحب أكبر كشف جغرافي عرفه التاريخ

لويس باستير كان في سن الحسين مدرسا في إحدى المدارس ، ولكنه كان قد ظفر حينذاك بمعضوية مجمع العلوم الفرنسي ، الا أنه لم يكن قد أظهر للعالم كشافه الطبية الخطيرة ، مثل المصل الذي صنعه شفاء من مرض الكلب

وكان في سن الحسين ما يزال يعاني خصومة جمهرة العلماء في فرنسا وأوربا ، ومعارضة الهيئات العلمية والحكومية ، وما يزال عاكفا في معمله بين تلاميذه يجاهد جهاد الإبطال في سبيل الرسالة العلمية التي آمن بها ، ونذر نفسه لتبليغها

المارشال فورس في سن الخمسين ، أى في سنة ١٩٠١ ، كان ضابطا صغيرا مغمورا . وقد بدأ حياته العسكرية في الجيش الفرنسي في الحرب الفرنسية البروسية التي نشبت في سنة ١٨٧٠ ، ولكنه لم يوفق حينذاك لأن يقوم بدور هام يبرز اسمه أو يظهر كفاءته

وظل هكذا مجردا من أية شهرة خاصة حتى نشبت الحرب الكبرى الماضية . فلما كانت سنة ١٩١٤ ، ولما كان هو في سن الثالثة والستين ، كان اسمه يدوى في سائر أرجاء العالم ، رمزا للعبقريّة العسكرية ، وكانت في قبضة يده مصائر عدة ملايين من جنود الحلفاء ، بل مصائر الديمقراطيتين الكبيرتين حينذاك : ديموقراطية فرنسا وبريطانيا

نيجل تشمبرلين كان قد أمضى عاما واحدا من حياته البرلمانية عند ما بلغ سن الخمسين . ولم يرق منصب الوزارة لأول مرة في حياته الا بعد أن جاوز عقود الخمسة الأولى بثلاث سنوات

أما دوره في سياسة بريطانيا وسياسة العالم ، أما جهاده في سبيل تفادي الحرب وأقرار السلم ، أما يومه الأكبر في الحياة ، يوم أعلن أن بريطانيا في حالة حرب مع ألمانيا ، فقد حدث كل هذا وهو في سن الشيخوخة وعلى شرف من أيامه الأخيرة

هؤلاء كانوا في منتصف الطريق الى الشهرة

بوليوس قبصر كان في سن الخمسين قائدا معروفا من قواد الرومان ، فقد فتح بلاد الغال ، وعين حاكما على اسبانيا ، قبل ذلك بسنوات . ولكنه لم يكن حينذاك قد أرسل انذاره النهائي لمجلس شيوخ روما ، ولا عبر النهر زاحفا الى عاصمة الامبراطورية الرومانية

ولم يكن حينذاك قد خلع بطليموس من عرش مصر ، وأجلس عليه كليوباتره ، ولا سير جيوشه الى مصر فقهرت المدافعين عنها وغزت أراضيها
ولم يكن حينذاك قد أعلن نفسه ديكاتورا مطلقا ، يتصرف بأمره في الامبراطورية الكبرى

وليفر كرومويل بلغ سن الخمسين وهو أول ديكتاتور عرفه التاريخ الحديث . وكان حينئذ قد انتصر على الملك تشارلز الاول ، وأخذ أسيرا ، لينفذ فيه حكم الاعدام بعد ذلك بقليل

ولكنه لم يكن بعد قد غدا حاميا انجلترا ، ولم يكن بعد قد حل البرلمان الانجليزى ، ولم يكن بعد قد انتصر على جيوش اسكتلندة وايرلندة وهولندة . ومات كرومويل في سنة ١٦٥٨ وهو في التاسعة والخمسين ، فكانت سنوه التسع الاواخر أحفل سنى حياته بالعمل والمجد وفروع الصيت

مورج واشنجتونه تولى القيادة العليا للجيش الأمريكى فى حرب الاستقلال وهو فى سن الحسين . وكان الى هذه السن يعيش عيشة سراة الريف فى مزرعته الثانية ، لا يلقى بالا الى شؤون السياسة ومشاكلها . فلما نشب النزاع بين انجلترا ومستعمراتها الامريكية ، وثب الى الصف الاول وتولى تنظيم جيوش الاستقلال وقيادتها ، وهو فى سن الكهولة

ولم ينتخب لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة الا بعد أن جاوز الحسين بسنوات **بنجامين دزرائيلى** كان فى سن الحسين عضوا مبرزاً فى مجلس العموم ، ورئيساً لحزب المحافظين ، ووزيراً للمالية . ولكنه لم يرق منصب رئاسة الوزارة الا بعد الحسين . كما أن أجل أعماله ، وهو شراء نصيب مصر فى اسهم قناة السويس لبريطانيا ، وتمكين يد بلاده من هذا الثريان الجبوى العظيم ، لم يتم الا بعد أن حنكته سنوات الشيخوخة وتجاربها

هؤلاء كانوا قد بلغوا القمة قبل الحسين

سرماله كان فى ذروة قوته وأوج مجده ولما يبلغ من العمر خمسين عاماً . كان ملكاً على الفرنجة وسيداً على أوروبا وما زال فى سن التاسعة والثلاثين . وشن فى عامه الثانى بعد الأربعين أعظم حملاته الحربية الموفقة التى وسعت آفاق ملكه ودعمت أركان حكمه . وحقق حينذاك غايته الكبرى ، وهى توحيد شعوب أوروبا جميعاً تحت لوائه

وكل ما تم بعد ذلك هو تبويع البابا اياه ملكاً على الغرب ، ثم انشاء الامبراطورية الرومانية المقدسة ، خلقاً للامبراطورية الرومانية القديمة

وليم الفاتح جاءت عليه الخمسون وهو يحارب فيليب الاول ملك فرنسا الذى ادعى حقه فى ملك نورمانديا . وكان ابناً غير شرعى لروبرت ملك نورمانديا من أم قروية تزوجها من احدى قرى فرنسا

وكان وليم قد فتح انجلترا فى سنة ١٠٦٦ وما زال فى عامه التسع والثلاثين . وانتصر حينذاك نصراً حاسماً على ملك انجلترا هارولد فى معركة هاستنجس الفاصلة ، وغدا فى اثرها حاكماً على بلاد الانجليز

لويس الرابع عشر كان فى سن الحسين مشتبكا فى حروب ضروس مع الامبراطورية الرومانية المقدسة ومع اسبانيا ومع هولندا ومع انجلترا . وقد تولى عرش فرنسا وما زال فى سن الخامسة ، فلما بلغ عامه التاسع والعشرين بدأ حملاته العسكرية ، ففزا أرض الفلاندر واستولى على جميع مدنها وأرجائها ولم يكن حتى سن الحسين قد بدأ حرب الوراثة الاسبانية ، ولا تنازل عن نيوفونلاند لبريطانيا

فرديريك الأكبر وضع وهو في الخمسين من عمره حجر الأساس في بناء بروسيا الجديدة، بعد أن استولى على سيليزيا وقهر جيوش فرنسا . ولكنه لم يكن قد أضاف إلى ملكه أكثر من ثلث ما أضافه فيما بعد الحسين . لم يكن بعد مرق بولندة وضم أكثرها إلى ملكه ، ولم يكن بعد استولى على بوميرانيا بأسرها . وكانت هاتان القطعتان الأخيرتان ، حملته على بولندة وحملته على بوميرانيا ، هما اللتان كونتا الجيش البروسي الذي غدا منذ ذلك الحين أقوى جيوش أوروبا البرية . ومات فرديريك في الرابعة والسبعين

نابليون كان في سن الخمسين يتجرع مرارة الهزيمة والانتكاس في سانت هيلانة . فقد كان في السادسة والأربعين عند ما تلاقى مع ولنتون - الذي كان في مثل سنه - في معركة واترلو التي حتمت انتصاراته بهزيمة حاسمة . وقد كانت تلك السنوات القلائل التي أمضاها في منفاه قد أحواله كهلا فانيا ، حتى ليشق على من يراه حينذاك أن يظن أنه هو ذلك الذي صار ضابطا في الجيش الفرنسي وما زال في السادسة عشرة ، والذي أرغم الانجليز على فك حصار طولون وما زال في السادسة والعشرين . أو هو ذلك الذي ضم وهو في الثامنة والعشرين بلجيكا إلى فرنسا ووسع رقعة وطنه إلى حدود الرين . أو هو ذلك الذي غزا مصر وقبحها ، وقهر بالفين من جنوده جيشا من المعاليك والأتراك تعداده عشرون ألف جندي . أو هو ذلك الذي غدا في السادسة والثلاثين من عمره امبراطورا على فرنسا ، والذي انتصر في العام التالي في معركة من أعظم معارك التاريخ ، معركة أوسترلتز ، ثم احتل برلين ، واختصب بروسيا ، وانشأ مملكة وستفاليا !

فرمانس اوبسوه بنو العالم وهو في الخمسين بشرات من غشحاته العجيبة ، منها التليفون والجراموفون والمصباح الكهربائي . وقد باع وهو في عامه الرابع والثلاثين ، وفي سنة واحدة فحسب ، حقوق اختراعه لمائة وأربعة من المخترعات

نيكولاي لينين بلغ سن الخمسين في سنة ١٩٢٠ ، أي عند ما كان رئيسا لروسيا الشيوعية . وكان لينين ابن موظف صغير ، وأعدم أخوه لتأمره على حياة القيصر ، ونفى هو في سن الشباب إلى سيبيريا حيث قضى في كهوفها الثلجية ثلاث سنوات ، ثم فر إلى أوروبا ، حيث أخذ يث الدعوة ويدبر المؤامرة في عواصمها المختلفة منتقلا بين جنيف وباريس وبروسيا . إلى أن أتيح له أن يعود إلى روسيا في سنة ١٩١٧ ، حين توالى الهزائم على الجيش الروسي ، فعاد ليوقد نار الثورة الشيوعية التي ملوحت بالقيصرية وأعوانها . ثم استأنف ثورته على حكومة كيرنسكي الديمقراطية المعتدلة ، حتى اسقطها وأقام مكانها الحكومة الشيوعية التي وضعت أرض روسيا وغاباتها ومناجمها ، وكل ما في روسيا من منشآت صناعية ومالية وتجارية ووسائل إنتاج في ملكية الدولة العامة ، وأقامت بذلك النظام الشيوعي لأول مرة في التاريخ . كل ذلك ولما يبلغ لينين سن الخمسين !

(من مجلة ورلد دايجست)

الغلاة والعالة

الأرمن : كيف وجدوا وطنًا قوميًا

يشبه تاريخ الأرمن تاريخ اليهود من عدة وجوه : فكل من الشعبين تعرض لكثير من ضروب الاضطهاد التي انقصت عدد ابناءه وأضعفت قوته الحربية ، وكل منهما اضطر الى أن ينشئت في كثير من البلاد فرارا من ظلم الحكام والتساسا لسبل الحياة

ولكن الأرمن وقلوا أخيرا الى حل مشكلتهم القومية حلا لم يوفق اليه اليهود بعد - أو لعلهم لا يريدون التوفيق الى مثله -

فان التكتبات التي حلت بالأرمن في تركيا ، وعلى الاخص في عهد السنوات الأخيرة من السلطنة التركية نيبا بين سنتي ١٩١٥ و ١٩٢٠ اضطرتهم الى أن يهربوا في الارض ينتمون في أقطارها مواطن يقيمون ويرزقون فيها . فقامت جاليات كبيرة منهم في إيران ، والعراق والشام ، ومصر ، وليريس ، واليونان ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وفرنسا ، وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض جمهوريات أمريكا الجنوبية مثل البرازيل واورجواي والارجنتين

ولكن هذا التشتت لم يحل دون قيام وطن قومي لهم . وقد وجدوا هذا الوطن في روسيا حيث يقيم منهم زهاء مليون ونصف مليون نسمة في « الجمهورية الأرمنية السوفيتية » وهي إحدى الجمهوريات التي يتألف منها الاتحاد السوفيتي ، وهذا العدد هو نصف عدد سكان الأرمن جميعا ، إذ لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين من الانفس . وهذا هو الحل الواقعي الذي أقام للأرمن وطنًا قوميا دون أن يكون في هذا الوطن خطر على غيرهم من الشعوب . ذلك أنهم لم يتخذوا هذا الوطن في اقليم شقيق أو في شعب صغير كما

هو الأمر في فلسطين ، بل اتخذوه وسط روسيا التي تعد في مساحتها وفي عدد سكانها قارة كاملة تبلغ أربعة أمثال أوروبا في مساحتها ، فلا يضيرها أن يكون للأرمن فيها وطن مساحته عشرة آلاف من الاميال المربعة ، أو شعب نسبة عدده الى الشعب الروسي أقل من نسبة الواحد الى المائة الكاملة .

وهكذا لم يكن الوطن القومي للأرمن عبئا على روسيا ، بل كان جزاء منها لا يثقل عليها ولا ينشئ مشة أن يستغلها . ولهذا وجدت « الجمهورية الارمنية » من الاتحاد السوفيتي ضروبا كريمة من المساعدة على انهاءها وتقديمها عرضت على الأرمن ما قاسوه في تاريخهم الماضي من المحن والشدائد

فقد عنت موسكو بنشر التعليم بين الأرمن في روسيا ، فكان ٢٥ ٪ منهم في سنة ١٩٣٨ عليم في المدارس وطلابا في المعاهد . وكان فيها حينذاك ثلاثمائة من الكليات والمعاهد الفنية ، فصار عددها بعد ذلك بثلاث سنوات ٨٦٧ تضم زهاء تسعين ألفا من الطلاب والطالبات .

ولها خسون مهدها علميا واربعة وخسون مكتبة عامة . وتصدر فيها ثمانون من المجلات والمجلات توزع في العام خمسين مليون نسخة . ويصدر في هذه الجمهورية الصغيرة في العام الواحد خمسة ملايين نسخة من كتب تحمل بمائة عنوان . وتتناول هذه النهضة العلمية جميع نواحي الحياة الصناعية والزراعية في جمهورية الارمن الروسية

ولو أن الأرمن حاولوا أن يتخذوا موطنهم في بلد صغير ، يتقلون عليه بعدد أو بشاطئهم أو بمالهم ، لما وفقوا الى ما وفقوا اليه حين

من طائل الأرباح ، فلم تحجم عن تحمل بعض الخسائر المادية في سبيل إذاعة المخدرات وترويجها ، حتى أنها صنعت سجائر أرخص لنا من السجائر الصينية ، وحشت هذه السجائر بمادة الهيروين . وبذلك أخذت المخدرات تتفشى بين طبقات الشعب الصيني تفشى الوباة الفتاك

لقد كان عدد المرضى من مدمنى المخدرات في مقاطعات الصين الشمالية الأربع في سنة ١٩٣٦ حوالي نصف مليون ، فإذا به يبلغ في سنة ١٩٣٩ ثلاثة عشر مليونا من المرضى !

ويكف عن مدينة تيتسين من أعمال الصين المحتلة ماثنا مصنع لانتاج الهيروين ، ينتج كل منها في اليوم ما يفراوح بين خمسة وعشرين رطلا ومائة رطل من هذا السم الزعاف ، ويعمل في هذه الصناعة خمسة آلاف نسمة من عماله اليابان وكوريا . وفي مقاطعة نانكينج التي كانت الحكومة الصينية المستقلة قد طهرتها تطهيرا تاما من تجارة المخدرات ، كان يقوم بعد الاحتلال الياباني بخليل ، أي في سنة ١٩٤٠ ، اثنان وثلاثون مصنعا لانتاج مشتقات الأفيون ، و ٣٤٠ وحدة - يؤمنها للمعمون ، ١٢٠٠ متجرا مصرحا له ببيع المخدرات

وهذه من أخطى النكبات الكبرى التي يجرعها الاستعمار على الشعوب المستذلة التي تقع في قبضة الدول المستعرة والقائمين بالامر فيها من رجال الاموال وأرباب الصناعات وكبار العسكريين ومحترفي السياسة

لقد جاهدت الصين في عهد استقلالها الحديث جهادا كريها حتى ضيقت نطاق تجارة المخدرات التي كانت تقوم بها بعض الطوائف الاوربية التي نزحت الى الصين طلبا للرزق خلافا كان أم حراما . وفرضت أقصى العقوبات على من يساهمون في جريمتي تجارة وتناوله ، وكانت هذه العقوبات تبلغ حد الاعدام . وكافحت الطبقة المثقفة كفاحا طويلا لتبين للشعب الصيني ما يستهدف له من أخطار بسبب ذبوع المخدرات .

انتقدوا موطنهم في روسيا الفسيحة التي ترى فيهم خطوا من أعضائها ، لا منافسا يزاحمها ويستغلها

المخدرات

سلاح اليابان السري

هذه ما قامت اليابان بحملتها على منشوريا في سنة ١٩٣١ تبين قواد الجيش الياباني طاهرين مهتين : أولاها ، أن جنود جيش منشوريا الذين يسمون بمدخنين الأفيون هم أسرع الجنود الى التسليم أو الفرار ، وأن المدمنين من السكان المدنيين هم أقل الناس تمردا وأكثرهم استكانة . فوجدت اليابان في الأفيون السلاح الفتاك تفشى به على قوة الجيش وقوة الشعب في المناطق التي شرعت في احتلالها أو ازعمت السيطرة عليها .

وسرعان ما ألغت اليابان القوانين التي تحرم زراعة الأفيون وتنزل العقاب بمدخنيه ، ولما قامت الطبقة المثقفة في الصين بتندد بهذا العمل وتناشد القوم أن يستمعوا عن زراعة الأفيون ، سعت اليابان قانونا غريباً هو أن يمنع المزارع الصينية المروضة على تربيته كمية معينة من الأفيون عن كل قديم - فلم يده أمام المزارع إلا أن يزرع الأفيون أو يهجر أرضه التي من يزرعها فيونا

ولم تكف اليابان بذلك إذ وجدت ان الأفيون بطيء التأثير فيمن يدخنونه ، فأنشأت مصانع لاستخراج مستحقات الأفيون ، كالمورفين والهيروين ، فهما أشد فتكا وخطر بلاء . وراحت تنسج التجارة في هذه المواد القاتلة في سائر المناطق التي احتلتها في آسيا ، حتى غدا عدد الدكاكين التي تتاجر في المخدرات ثلاثة امثال تلك التي تتاجر في الارز ، مع ان الارز هو قوت الشعب الاساسي . وكانت اليابان تنظر الى ما تجره المخدرات على مدمنها من وخيم العواقب أكثر مما تنظر الى ما تجنيه من تجارتها

التي تؤدي الى تصارع الافراد وتعارف الشعوب . وكان أكثر العيب في هذه الدراسة مطلقا - بطبيعة الحال - على طلاب القانون وطلاب الاقتصاد ليبحثوا المشاكل السياسية والازمات الاقتصادية التي أدت الى ادارة دس الحرب في جميع مراحل التاريخ بلا استثناء .

وكانت نتيجة هذه الدراسة ستة وستين بحثا مفصلا في أسباب الحروب ، ولكن الجامعة نشرت من هذه البحوث عشرين بحثا فحسب ، وما زال الباقي منها محفوظا في مكتبة الجامعة لم يذبح على جدران الفناء . وقد لحس الأستاذ رايت هذه البحوث في سفر ضخم مؤلف من مجلدين يزيد عدد صفحاتهما عن ألف وخمسة مائة صفحة . ويمكن تلخيص هذه الدراسة المفصلة فيما يلي :

يبين التاريخ أن الحرب كانت ظاهرة مطردة في جميع عصوره وأدواره ، ولكنها مع هذه ليست بالأمر الذي لا بد ولا خلاص منه . وقد اختلفت كثافة الحرب باختلاف الحضارات التاريخية ، لكنها تقدمت الحضارة وتعمقت صار يلم الحرب أكثر كثافة ، أي أشد خطرا وموتلا وأعظم تدميرا . ولكن يلاحظ أن الحروب في الحضارة الحديثة أقل تقدما منها في الحضارات القديمة ، فقد كانت تنشب قبل العصر الحديث في فترات متقاربة ، وكانت تنشب عدة حروب في العالم في وقت واحد ، أما الآن فقد تباعدت فترات قيامها ولكنها كثيرا ما تشمل أكثر بقاع الأرض وشعوبها مرة واحدة .

وكذلك أثبتت هذه الدراسة أن الحرب قد تخرب وقد تهدم حضارة بأسرها . وأن سياسة توازن القوى - هذه الاداة العتيقة التي كانت مبدأ مقرا في السياسات القديمة - لا تجدي نفعا في منع الحرب والقرار السلم . فكثيرا ما نهبت الحروب وهذه السياسة القائمة ، بل كثيرا ما شبت نازعا بسبب هذه السياسة ذاتها . واذا - وهذه هي خلاصة البحث - فلا سبيل الى منع الحرب الا بالقامة سلطة عالمية ، ولكن عصبه أهم

ولكن كل هذه الجهود ذهبت هباء حينما حلت بالصين نكبة الاستعمار الياباني ، التي لم تخرج من اتخاذ أوضاع الوسائل في تحليم قوى الشعب الصيني البدنية والمعنوية على السواء .

وقد دمقت مصبة الأمم اليابان بهذه الوصمة في اجتماع عقد في يوليو سنة ١٩٣٨ وشهدته حنتلو سبع وعشرين دولة تألفت منهم لجنة الايون وغيره من المخابرات الخطرة ، لقد اسفرت بحوث هذه اللجنة عن اتهام اليابان بأنها « العقل المثير لاكثر تجارة دولية في المواد المخدرة » ، واليد التي تجمع أكبر الارباح المحرام من وراء هذه التجارة الآثمة . والواقع ان أكثر ما في العالم من مشغلات الايون الهيروين والمورفين ، يأتي من تلك المصانع التي انشأتها اليابان ، ومولها كبار الرأسماليين اليابانيين اما افسادا لروح الشعوب التي تريد السيطرة عليها ، واما جنيا للارباح الطائلة من وراء تسبيح العقول والابدان

بحث علمي في أسباب الحرب

تقوم به جامعة شيكاغو

ألفت جامعة شيكاغو الأمريكية في سنة ١٩٢٦ ، في تلك الايام التي أفرقت فيها آمال السلم الدائم في ظل ميثاق لوكارنو ، لجنة علمية لدراسة أسباب الحرب . وكان أعضاء اللجنة لبقا كبيرا من طلبة الدراسات العليا في الجامعة ، ورئيسها الأستاذ كوينس رايت . وانتشر أعضاء اللجنة في دور الكتب ، ومعامل البحث ، ودوائر السياسة ، وأخذوا الى جانب هذا يستطلعون آراء كبار المفكرين والباحثين في العالم . وتناولت هذه الدراسة جميع فروع البحث العلمي ، فطلاب علم الاحياء وطلاب علم الانسان بحثوا أسباب النزاع والصراع بين أنواع الحيوان ، وفي بيئات الانسان البدائي . وطلاب علم النفس وعلم الاجتماع بحثوا الاسباب النفسية والعمرانية

♦ « اضطراب الاصاب الهوائي » اسم مرض جديد ظهر في هذه الايام . وهو يصيب الطيارين الذين يقومون برحلات جوية طويلة منتظمة . وقد قرر معمل الابحاث السيكلوجية التابع للسلاح الجوي البريطاني أن ٥٠ ٪ من الطيارين الذين جاؤوا من الثلاثين معرضون لهذا الاضطراب العصبي . وعاقبته هي الاسراع بمرضاة الى حالة الشيوخة وما زالوا في سن مبكرة ، وهم شيوخة مصيب قواهم البدنية وقواهم العصبية على السواء .

♦ كلما صغر الجسم كانت نبضات القلب أكثر عددا وأسرع حثوثا . فالحيوانات الصغيرة تفوق الحيوانات الكبيرة في عدد نبضاتها زيادة عظيمة . مثال ذلك عصفور الكندري . فإن قلبه ينبض ألف مرة في الدقيقة ، بينما لا ينبض قلب الليل في الدقيقة سوى خمس وعشرين نبضة . ويبلغ عدد نبضات قلب الوليد من مائة وثلاثين الى مائة واربعين نبضة ، اما الرجل المكمل فتراوح نبضات قلبه بين ستين وخمس وسبعين نبضة في الدقيقة .

♦ صنع الطبيب المصري هيروبليس من أطباء الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ساعة مائة يقيس بها نبض القلب ، حين تبين العلاقة بين حالة النبض وصحة الجسم .

♦ استطاع الدكتور اليكس كاريل العالم الفرنسي الكبير أن يقي قلب كتكوت نابضا مدى أربع وعشرين سنة ، بواسطة بعض المواد الكيميائية الخاصة . وقد عاش هذا القلب مدة توازي المدة التي عاشتها خمسة أجيال متعاقبة من الدجاج . ويقول هذا العالم أن ليس هناك مانع على يحول دون بقاء القلب نابضا الى الابد اذا مون بكمية كافية من تلك المواد الكيميائية .

♦ يبلغ عدد من يتخذون نظارات في بريطانيا خمسة عشر مليونا ، وفي ألمانيا ثمانية عشر مليونا ، وفي اليابان عشرين مليونا ، وفي الولايات المتحدة خمسة واربعين مليونا .

جديدة ، لها من القوة ما يكفي لنح أية دولة من اثمارة الحرب أو الاحتكام الى السلاح فيما يقوم بينها وبين غيرها من شروب النزاع . ولكن يشترط في هذه السلطة العالمية شرطان : أولهما ألا تتدخل في شؤون الشعوب الداخلية وحرياتها الخاصة في توجيه حياتها كيف تشاء ، وثانيهما تمكينها بكل الوسائل التي تعمل بها لترقية مستوى الشعوب من الوجهة الاجتماعية الى الدرجة التي تألف منها من امتشاق السلاح عدوانا على جيرانها أو استخلاصا لحقها بطريق العنف والدون .

ثم يجب أن يكون الى جانب هذا اصلاح اقتصادي عالمي يقضي على ما تعانيه بعض الشعوب من حر وضيق ، بينما الى جوارها شعوب أخرى تعاني ما هي فيه من تخمة واكتظاظ بمواردتها الاقتصادية .

ولا شك أن كل الذين يهتمهم أمر المستقبل هذه أن تضع هذه الحرب أوزارها ، ولذا ذكر منهم طبقة السياسيين والكتاب والمصلحين والمدرسين ، خليفون بأن يقرأوا هذه الدراسة ليعينوا تلك العوامل البعيدة المتشابكة التي تؤدي الى قيام الحروب ، تلك الحروب التي ننسبها خطأ الى نزوات بعض الزعماء أو أطماع بعض العسكريين . بينما هي تنبع ، عند التحليل العلمي ، من أسباب أصغر من ذلك لمرارا وأخطر أمرا .

متفرقات علمية

♦ أعلن نيكولا تيلسا أحد مشاهير المخترعين أنه كشف عن أشعة يمكن تجسيدها في صورة ستار من العباد لا تستطيع الطائرات اختراقه . وأن هذا الستار يمكن القامته في هيئة سور ضخمة مرتفع يحيط بالمدن الكبيرة فلا تستطيع الطائرات المنيرة أن تنفذ اليها . وتتكون هذه الأشعة من ذرات شمالية دقيقة تطير بقوة خمسين مليون غولت ، فاذا اصطدمت إحدى الطائرات بالسور المؤلفة منها تحطمت في أقل من لح البصر .

الحكمة والفكرية

دع الناس يعرفون

للفكر الإنجليزي نورمان انجل

ضم هذه المحاضرات والآراء في كتابه الحديث الذي سماه « دع الناس يعرفون »

يقول في هذا الكتاب : « حربان فرضتا علينا في خلال جيل واحد لاننا نسينا الحليفة الاولى التي تقرر أن حق الفرد في الحياة لا يمكن الدفاع عنه إلا « اجماعيا » أي بواسطة المجتمع الذي تعيش فيه ، والا فلا سبيل الى الدفاع عنه اطلاقا . فاما اذا لم نجتمع رأينا وقوتنا على الدفاع عن حقوق الآخرين تجاه ما يقع عليها من عدوان ، فانا سنمنحج حتما في النهاية عن ان ندافع عن حقوق انفسنا ، وسنكون في يوم قريب أو بعيد ضحايا هذا العدوان ذاته . وما بقينا في ميدان السياسة الدولية غير عابثين بما يقع على هذا الشعب الا ذلك من اطاع المعتدين ، فستبقى جميع الشعوب - مهما تكن قوة بعضها - هدفا ميسرا للقوى الغاصبة »

وزير انجل هذه النظرية ابساحا بالمقارنة بين ما يحدث الآن في ميدان السياسة الدولية من اهتمام كل دولة بسلطانها الخاصة وعدم اقبالها بالسلامة الاجماعية ، وبين ما يحدث في المسائل الفردية حيث يد العودان على فرد واحد عدوانا على الجميع كله ، فيقول : « افترض ان شخصا قتل ، فيقوم الجميع كله قائلا : ان هذا العمل لا يخصنا في شيء ما ، انه مسألة بين القاتل والقاتل وحدهما ، فلتدعها يسويان المسألة حسبما يريدان . وليس من الحق ان تدفع الضرائب لتدفع منها مرتبات وجال الامن وكضاة المحاكم ، لتتكف عن دفع هذه الضرائب وتوفرها على انفسنا لتنفقها على شؤوننا الخاصة . فاذنا يحدث بعد هذا ؟ لا شك ان كل فرد في هذا المجتمع يتدو بين عشية وضحاها عرضة

لثلاثون سنة أمضاها الفكر السياسي الكبير نورمان انجل ، مبشرا بسياسة « السلامة الاجماعية » فيما ألف من كتب وما ألقى من محاضرات وما ألقى من جهود . فهو مؤمن ايضا مطلقا بأن الحروب لا تنشأ بسبب الازمات الاقتصادية أو المراكبات القومية أو مساوي الاستعمار أو ما الى ذلك من الاسباب والدواعي التي يقول بها مفسرو التاريخ ، وانما تنشأ من سبب واحد : وهو ان الانسانية لم تأخذ بعد في ميدان السياسة الدولية ، بما أدخلت به في ميدان المسائل الفردية ، من خطة « السلامة الاجماعية » ، أي قيام المجتمع الدولي بمد عدوان القوى على الضعيف ، واعتبار العدوان على أية دولة ، عدوانا على دول العالم جميعا

ولهذا كان نورمان انجل أكبر أصنام عصبة الأمم ، وأكبر الداعين الى تدعيمها بالقوة المسلحة . وقد أحلته جهوده في هذا السبيل مكانا ممتازا بين دعاة السلام ، فنال جائزة « نوبل » للسلام تقديرا لجهوده

ولا شك ان اخفاق عصبة الأمم في أداء رسالتها ، ونشوب الحرب مرة ثانية في أثناء حياة جيل واحد ، كانا صدمة قوية لجهود هذا الرجل وآماله ، ولكنهما كانا الى هذا حافزا له للمثابرة على التبشير بدعوته وإبلاغها ، لا الى آذان الساسة والحكام محض ، بل الى آذان الجماهير والشعوب في شتى أرجاء العالم . فألقى في امريكا عدة شهور يحاضر الناس ويحدث اليهم في دور الجامعات وأندية الجمعيات ، ثم

العام مجالا يبتدى فيه نفسه ويعبر فيه عن رغاية واجتماعه . فقام أحد تجار الورق في ألمانيا ، وهو ليوبولد أولشتين ، بشراء صحيفة متواضعة اسمها « برلينر زايونج » ، وجعلها لسانا للطبقة المستترة التي أخذت تنشد الحياة الدستورية الحرة . ثم أتبع ذلك بشراء جريدة أخرى هي « برلينر ايند بوست » ، فصارت جريدته أكبر جرائد برلين وأوسعها انتشارا .

وانتقل من ذلك الى سوق المجلات ، فاشتري مجلة « برلينر اليسيريت زرينج » ، وجعلها أكبر مجلة مصورة في أوروبا ، وأرسل مندوبيها الى شتى الاقطار يوالونها بالانباء والمقالات المصورة . فلم تلبث هذه المجلة ان غدت منجما فياضا بالذهب اذ كان يوزع منها مليون نسخة ، وهو اذ ذلك رقم قياسى في سوق المجلات .

ومات الرجل وهو يصدر هذه المجلة وثلاث جرائد يومية ، فتولى العمل من بعده أبنائه خمسة الذين أنشأهم مديرين على العمل الصحفي . وكان هرمان ، مؤلف الكتاب الذى نتحدث عنه أبرعهم وأكفأهم فى هذا العمل ، فعول تلك الجرائد من جرائد تعنى بنشر المقالات الطويلة الجافة الى جرائد تنشر كراما بالاختيار الشيعة والنبل الطريفة والصور والرسوم الجذابة . فلم تلبث صحف أولشتين ان احتكرت سوق القراءة الصحفية في ألمانيا . وأنشأت الدار عددا كبيرا من الصحف والمجلات التى تلائم جميع الطبقات والاذواق . فهذه مجلة شهرية للطبقة المثقفة ، وهذه مجلة شهرية أخرى للطبقة الوسطى من عامة القراء ، وهذه ثالثة لسيدات المجتمع ، وهذه رابعة للأطفال ، وهذه مجلة ذاتية لى الريف لمن يعنون بشؤون الزراعة والبساتين .

وكذلك بسطت دار أولشتين يدها الى سوق الكتب ، فأخذت تصدر المؤلفات القيمة والشعبية على السواء بكسيت مائنة ، وتغرى بها السوق بأثمان متواضعة . فلم تكن تجد ألمانيا يذهب لى رحلة الا وفى يده كتاب من كتب أولشتين

للمقتل كما قتل زميل له من قبل . ولا شك ان مثل هذا المجتمع يقدو مجتمعا خلوا من السلام ، والنظام ، والحق ، والقانون ، والعدالة ، وكل هذه العناصر التى تتألف منها المدنية .

ونورمان أنجل اشتراكى التفكير ، وقد كان مستشارا لرسمى مكتونالد فى رئاسته لوزارة العمال الاولى . ولكنه مع ذلك لا يسرف اسراف الاشتراكيين الذين يرون ان سبب قيام الحروب هو سوء النظام الاقتصادى الرأسمالى القائم على أساس الرأسمالية . بل يرى أن فى وسع العالم جميعه ، سواء دوله الرأسمالية ودولته الشيوعية (روسيا) ، وما بينهما من ذول تأخذ بالاتجاه الاشتراكى ، يستطيع أن يعيش متعاونوا بعضه مع بعض اذا طبق نظام السلامة الاجامية التى يراها الطريق الوحيد الى تفادى الحرب والفرار السلام .

دولة من الطباعة يحطمها النازى

هى دولة ولا شك رعاياها من القراء يدونون باللاين ، وموظفوها من الكتاب يدونون بالآلات . هذه هى دولة أولشتين ، الصحفية ، فى ألمانيا التى قامت فى سنة ١٨٧٧ ودالت الى سنة ١٩٣٣ ، والنزى بعد تاريخها تاريخا لألمانيا منذ عهد بسمارك الى عهد هتلر ، وما حفل به هذا التاريخ من أدوار الحرة والطغيان ، ومن فترات التقدم الى الامام وفترات النكسة الى الوراء .

أرخ هذه الدولة أحد رجالها ، هرمان أولشتين ، فى كتاب صدر حديثا عنوانه : « قيام دار أولشتين وسقوطها » ، وهذا ملخص تاريخها بدأت هذه الدار الصحفية الكبيرة عقب انتهاء الحروب الثلاث التى أثارها بسمارك وخرج منها ظافرا بانشاء الامبراطورية الألمانية الموحدة تحت امرة بروسيا . فقد كانت ألمانيا حينذاك أقوى دول القارة الاوربية ، وكانت برلين تلقى أنظار العالم السياسى ، فكان لا بد من ان يتبع هذه النهضة السياسية نهضة صحفية يجد فيها الراى

تاريخ العالم كانت هناك فوضى عظيمة . كانت الدنيا تنهب البيضة النية ، وكانت الساء والارض كبح (صفار) البيضة وآنها (ياضها) ، عندئذ ولد الرجل الاول ، بان كو ، فصاغ الساء والارض في شكلهما الراعين . ثم حدث ما ألم هذا الرجل ليكن ، فكانت دموه الجارية هي الانهار التي تتدفق الآن في ارض الصين .

ويضع عصر الاساطير هذا عصر يسترج فيه التاريخ بالأسطورة . وهو عصر الابطاطرة الذين حكموا الصين ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح ، ومرجع المؤرخين في تاريخ هذا العصر الى ما تركه أصله من كتابات أكثرها معطور على عظام السلاحف ، وهي تصور شعبا مستقرا متدينا يجيد الكتابة والتصوير بالرثاء

وظل هذا حال الصين تتعاقب عليها أسرة وراء أسرة حتى كانت سنة ٥٥١ ق. م. فولد حكيم الصين الأكبر كونفوشيوس الذي ما تزال أسرته قائمة الى اليوم ، وما تزال فلسفته غذاء العقل الصيني والروح الصيني معا . وليست الكونفوشية ديناً بالمعنى الذي يفهم من الادباني الاخرى ، بل هي مجموعة من القواعد التي يجب ان يسير عليها الانسان في علاقاته بالناس والتي يجب ان يشذرها المجتمع في اقامة اوضاعه ومعاملاته . وهذا هو الدين الذي يلائم الصيني ، فان العقيدة الصينية ليست بالعقيدة التصوفية كما هو شأن العقيدة الهندية ، بل هي عقيدة عملية تفكر دائما في الواقع ، وتجعل منها في تدبير هذا الواقع بدلا من التهروب منه الى عالم آخر نرجو أن يكون أفضل واجمل من عالمنا الذي لا نملك فيه حيلة ولا حولا

ويأتي بعد ذلك دور الاسر الحاكمة التي ما يزال العالم يذكر رجالها فيمن يذكرهم من اعلام الحروب ، مثل جنكينز خان وكوبلاي خان . وقد زالت هذه الاسر جميعها ، ولكن كلا منها خلف تراثا عظيما من الفن الصيني يصفه باق

يقطع الرحلة في قراءته ، هذا الى أن كسار الكتاب وجدوا في هذه الدار سبيلهم الى اذاعة كتبهم في أوسع نطاق

وظل الامر كذلك حتى جاء النازي ، فرأت أسرة أولشتين ان تصانع حنار وتهادته ، عسى ان تنجو من عاصفته المدمرة . ولكن لم يكد يقبض على زمام الحكم حتى أمر جوبلز بمصادرة تلك الدار الصحفية الفسحة وتوزيع مطابعتها ومكاتبها على الصحف المناصرة للنازية ، وهكذا قضى على تلك الدولة الصحفية التي كانت تضم عشرة آلاف نسمة من الكتاب والحررين والمواطنين وخرج آل أولشتين من ألمانيا خاويين الوفاض وان ظل الناس يذكرونهم ، يذكرون انهم كانوا من رواد الصحافة الاوربية الحديثة

الحضارة الصينية

يقول تيسون الشاعر الانجليزي الكبير ان « خسين سنة في أوروبا خير من ألف عام في الصين » . معنى ان ما يحدث في أوروبا في نصف قرن من عظام الحروب والاحداث والازمات والمكتشفات لا يحدث مثله في الصين في خلال عشرة قرون طوال . وإمل خيلته هي الفكرة الشائعة عن الصين بين الناس جميعا في مختلف الشعوب . فالصين في نظرهم بلد « رآكد » تتعاقب عليه الاجيال والاحقاب وهو كما هو لا يتغير فيه نظام ، ولا تقوم فيه ثورة ، ولا ينقلب فيه وضع من الاوضاع

ولكن الكاتب الصيني « تسوى تشي » في كتابه الحديث « تاريخ الحضارة الصينية » ينظر هذا الرأي اذ يقول : « ان الصين احتلت في كل فترة من فترات تاريخها ما لا يحمله نظر من الاقطار من الانقلابات والحروب والتكبات وسوء الحكم وقسوة الحكام وانتشار الرشى واستهدافها للغزو والعدوان »

يعرض المؤلف تاريخ هذه الحضارة منذ البداية فيقول : « تروى الاساطير الصينية انه في مستهل

المعاصرين ، لانهما وحدهما أنشأا من الآثار الادبية ما لا يفنى بغناء هذا الجيل أو ما يليه من الاجيال

وقد كتب كلاوس هذا الكتاب باللغة الانجليزية التي اتخذها بدلا من اللغة الالمانية . على تقيض آية الذي لا يكتب سوى الالمانية التي يد أسلوبه فيها نموذجاً يحتذى . وتوماس مان لديه في السنين الاخيرة منذ قيام النازي من اضطهاد وتطريد . وعند ما أخرج من ألمانيا استقر روحا في سويسرا الالمانية لانه أراد - على حد قوله - أن يستمع أبنائه الى اللغة الالمانية الحبية الى سمعه وقلبه . على أن كلاوس أحسن في اختيار اندرية جيدة موضوعا لكتابه هذا الذي أصدره بالانجليزية ، فان جيد يعد أقرب الادباء الفرنسيين الى الانجليز في اتجاهاه الفكري ، رغم ان بعض بحوثه الفكرية - ولا سيما بحثه في بعض مظاهر الفسوذ الجنسي - تنافي ما يعمد في التفكير الانجليزي بوجه عام من حرص على الآداب العامة وتجايف عن كل مبتذل يفتش وفار الرجال المفكرين

ويلاحظ أن جيد بروستانتى المذهب ولاشك أن صلبا الفصحى كان ذو أثر قوى في اتجاهاه الخلفي الذي يتألى الاتجاه الشائع بين عامة الادباء الفرنسيين الذين لا يتخرجون من زخرفة أديهم بنوازع جنسية طائشة أو بأخيلة غرامية مسرفة . وهذه هي الصفة البارزة التي تميز الادب الفرنسي عن الادب الانجليزي الذي تجد الروح الدينية ، بل روح التطهر والتزمت ، سارية واضحة فيه . وهذا ما يجعل أدب جيد أقرب الى الادب الانجليزي منه الى الادب الفرنسي . فان هذا الرجل - كما وصفه كلاوس - يعد « رجلا من رجال الاخلاق وهب عبقرية فنية » ثم يحكم المؤلف عن موقف جيد من الشيوعية التي آمن بها في صدر حياته ودافع عنها في مستهل أمرها ، فلما زار روسيا شعر « أن الشيوعية تشل الفنان وتجعل انشاء الفن متلفزا

في أرض الصين وأكثره موزع بين متاحف العالم الكبير

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى العصر الحديث ، الى القرن التاسع عشر ، حين تلقى الصين تتلقى وفود المهاجرين والتجار الاوربيين الذين جاءوا بغزونها بعلومهم ومالهم وحيلهم . ولا شك ان قصة الاتجار بالافئون في الصين ، واستغلال الشعب الصيني بشل هذه الوسيلة الخبيثة ، وصلة مشينة في تاريخ الاستعمار الاوربي ، كما ان كفاح هذه التجارة صدفعة انسانية مجيدة في تاريخ الانجليز ، وهي صفة حقيقة بأن توفق ما بين الشعبين الصيني والانجليزي من علائق زادت بها الآلام والاحداث الاخيرة تولفا

أعظم الادباء المعاصرين : اندرية جيد

يمكن أن تعتبر أسرة « مان » الالمانية أسرة الادب الالمانى المعاصر . فمن أرادها توماس مان معيد الادب الالمانى الحديث غير متنازع ، بل ان له من فن الروائي وفلسفته الصوفية ما يجعله أحد الادباء المحدثين القلائل الذين كتب لهم الخلود في ثبت الادباء الاعلام . ومنهم هنريك مان أحد المحدثين في فن النصة ولين المقال . ومنهم كلاوس ، ابن توماس مان ، الذي يرجى أن يكون من آية مثلاً كان دوماس الصغير من آية دوماس الكبير

نسوق هذه الكلمة مقدمة للحديث عن كتاب أصدره كلاوس مان عن الاديب الفرنسي العظيم « اندرية جيد » وموقفه من « أزمة الفكر الحديث » يقول المؤلف في صدر كتابه : « أذكر أنني أثرت ذات مرة في الدوائر الادبية عاصفة صغيرة حين أعلنت أن اندرية جيد هو أعظم وأهم مؤلف معاصر . فقد كان الناس جميعا يتوقعون أن أقول ان أبرز الادباء المعاصرين هو أبى توماس مان » . على أن نقاد الادب المحدثين يقررون ان اندرية جيد وتوماس مان هما الاديبان الوحيدان اللذان يجب أن يقدموا على سائر الادباء

امريكا التي تصد أكبر موطن للزواج . فان عددهم في امريكا يربو على عددهم في سائر أرجاء العالم ، أى أن عدد من استوردتهم امريكا من الزواج أكثر من عدد من بقى منهم في موطنهم الاصل افريقيا . ذلك أنهم وجدوا في امريكا - رغم ما يعانون من ضروب الاضطهاد - رخاء اقتصاديا مكثف من أن يشكروا على عكس اخوانهم الذين بقوا في لباني القربيا وغاباتها يعانون ألوانا شتى من لسوة الطبيعة واستغلال المستعمرين

أما الهنود الحمر فهم أصحاب امريكا الذين أخذوا يقرضون مذهب البيض أرضهم . وهذا بين ما ينجم عن الاستعمار من ضرر خطير اذا وقع على أقوام بدائيين لا يستطيعون مقاومة المستعمر وفي الوقت ذاته لا يستطيعون الافادة مما يجلبه معه من وسائل الحضارة ومظاهرها

أما اليابانيون والصينيون فقد شجعتهم امريكا على الهجرة إليها . عند ما كانت تعاني نقصا في القوى العاملة الرخيصة ، فوجد فيهم أصحاب المصانع الحديثة مجالا طيبا للاستغلال . ولكن لم تلبث مراسمتهم للعامل الأمريكى ان انقلته وتضمنه للمطالبة بأجساد باب الهجرة في وجوههم وتضييق ساحة العمل عليهم ، فسنت القوانين التي تحرم عليهم الهجرة والتي تؤثر عليهم الايدي العاملة الأمريكية

ويرى المؤلف ان علاج هذه المشكلة هو في الرجوع الى العنصرية الأمريكية ، عبرة الاتحاد والاندماج ، فالشعب الأمريكى الذي يتحد من سائر ما في العالم من شعوب وأجناس ، مختلفة الدين واللغة والتاريخ والثقافة ، لا يجره أن يكمل وحدته ويضمها بادماج هذه الاقوام الملونة في كيانها ، متغلبا على نوازع العنصرية ، وانما من ان الحظر الاقتصادي الذي يتوجه في هذه الاقوام أقل شأنا من الحظر الذي يستهدف له من بغائها منفصلة

ولعل مرجع ذلك الى أن الفنان كالفيلسوف يجب ألا ينحصر فكره في مذهب معين أو عقيدة خاصة ، بل يجب ان تتسع رحاب فكره لقبول شتى الافكار والمذاهب ، وتبين ما في كل منها من جوانب الخير والشر معا . وهذا هو الفارق بين الفكر والسياسة : هذا يؤمن بأن مبدأ ما خير كل الخير وما سواه شر كل الشر ، وذلك يرى في كل مبدأ جوانبه البيضاء وجوانبه السوداء ، ويجد من تفتح ذهنه وسعته ما يحول دون تحيزه ذات اليمين أو ذات اليسار

ويختتم المؤلف كتابه بصفحات قائمة عن تلك الحياة التي كان يحياها جيد منذ دخل الامان فرنسا ، حيث غلبوا بكل ثمين ليها ، حتى بذلك الدرة التي كانت تتألق في جبين فرنسا

الاقليات الأمريكية

« أخوة تحت الجلد » - هذا هو الاسم الطريف الذي اتخذته المؤلف الأمريكى كاري ماك ويليامز عنوانا لكتابه عن الاقليات الأمريكية الملونة

والاقوام الملونة في امريكا مشكلة كبيرة من مشاكلها الاجتماعية التي يتناول قيامها مع التوح الديموقراطية التي تسود الحياة الأمريكية ، والتي تساهم امريكا في هذه الحرب نداعا عنها واقاعة لها بين الشعوب . ولكنها في الوقت ذاته تلقى من العقبات الاقتصادية والبواصت النفسية ما يجعل حلها غير يسير رغم ما تجره على المجتمع الأمريكى من المتاعب بل من الاخطار

والاقليات الملونة في امريكا تتألف من ثلاثة عشر مليونا من الزواج ، وثلاثة ملايين ونصف مليون من الكسكيين ، و ٣٦١.٠٠٠ من الهنود الحمر ، و ١٢٧.٠٠٠ من اليابانيين ، و ٧٧.٠٠٠ من الصينيين ، و ٤٥.٠٠٠ من أهل جزر الفلبين ، وبضعة آلاف أخرى من الهندوس ومن الكوريين وأعدت مشكلة تهييها هذه الاقليات هي المشكلة التي أقادها الزواج ، نظرا لكثرة عددهم في

المكتبة الجديدة

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

لابي الحسن علي بن بسام الشتريني

نشره كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

معجم الالفاظ الزراعية

للأمير مصطفى الشهابي

مطبعة الحكومة السورية

قال المرحوم الدكتور أمين المثلث عن لغة العالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي في مؤلفاته الزراعية : « ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الاسلام »

فقد لبث الأمير الشهابي نحو عشرين سنة يمحس الالفاظ العلمية الفرنسية المتعلقة بالعلوم الزراعية ، ويراجع المعاجم العربية وكتب الزراعة والحيوان والنبات القديمة لوضع أصلح الكلمات العربية المقابلة لهذه الكلمات الاجنبية .

وهذا المعجم هو نتيجة الدراسة الطويلة والجهد العظيم . فهو يشتمل على أكثر من تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي وضع المؤلف أمامها أصلح الكلمات العربية . ومن هذه الكلمات ثلاثة آلاف على الأقل من وضع المؤلف أو تحقيقه ، وقد عرف منظما تحريفا علميا موجزا . واشتق هذه الاسماء بعد الرجوع الى أصول اسمائها العلمية باليونانية او اللاتينية

وله جاء متن المعجم في ستمائة وخمسين صفحة على صودين ، وفي آخره فهرس مرتب على حروف المعجم ومؤلف من تسعين صفحة على ثلاثة أعمدة ، وهو يشتمل على أهم الالفاظ العربية الواردة فيه . وهكذا يستطيع من لا يعرف الا اللفظ العربي ان يجد ما يقابله بالفرنسية أو ما يقابله في الاصطلاح العلمي

ولا شك أن الأمير مصطفى الشهابي ملاء بمعجمه هذا نراغا عظيما في حياتنا العلمية ، وأن هذا المعجم صدر في انسب الاوقات اذ تنبه

قام قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، وهو قسم حافل بنخبة من الاساتذة والباحثين الاجلاء في أدب العرب وتاريخ الاسلام ، بنشر طائفة من ذخائر الكتب العربية ليكمل بهذا واجبه في احياء الثقافة العربية

ومن هذه الكتب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وهو من أمهات المراجع الحالية بكثير من أدب الاندلس وتاريخه . وقد أخرجت الكلية من هذا الكتاب مجلدين قيسين بعد مراجعتها ومقابلة نسخها المختلفة ، وتصحيحها ونهيتها تصويبها . وبين أيدينا المجلد الثاني ، وهو القسم الذي يتحدث به كتابا قال المؤلف - ابن وأهل حضرة قرطبة وما يضافها من بلاد متوسطة الاندلس . . . ومع كتاب صدره المؤلف أربعة وثلاثون من الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء والادباء الاندلسي ذرة في جبين الادب العربي ، فقد وجد أدباؤه وشعراؤه في مشاهدتها ومقانيها وترف أعليها ، ما أنطقهم أجمل الوصف وأرق الغزل وانتهى الشعر ، ثم وجد كتابها وأدباؤها ليسا قام فيها من فنن ودقائق مرادا يرددون فيه الغزل في بث الفكوى وذم الزمان ، والتعسر على أمجاد الاسلام . وفي الرسائل في الادب الاندلسي من أبدع فنون الشعر العربي ، فقد تناول شؤوننا شتى لا نظفر بكثير منها في أدب المشاركة . وكتاب الذخيرة هذا حافل بكثير من آثار الشعر والنثر الاندلسي تلذ قراتها وتفيد دراستها

كتابه يتناول الفترة الاولى من الرسالة ، وهي الفترة الحافلة بالصراع بين رسول الله ومن والاه من الصديقين والاصحاب وبين من عادوه جهلا وحسدا ، أو حسدا وكيدا ، أو حرصا على ما كان لهم من ثراء وسيادة وقد جاء محمد يصوي بين الناس جميعا في أمر الدنيا ، ولا يفضل أحدا على أحد يوم الجزاء والعقاب الا بالتقوى

فتجد في الفصل الاول من فصول الكتاب سورة رائعة مروعة لذلك الرجل الذي صرحه الحمد ، أبي جهل ، وقد كان له من مكانته وقوته ما كان خليفا بأن يعطه مكانا محمودا الى جوار أبطال الاسلام الخالدین ، لو أن الله أراد له الخير والهدى فلم يقتله الحمد الاعشى الذي ختم على قلبه وسمعه وصره فأضله سواء السبيل وتجد صورا تأخذ بنجامع الفؤاد أخذا لهؤلاء الصديقين الشهداء الذين تاصروا رسول الله وما زال يشكر الى ربه خفف قوته وقلة حيلته وجوانه على الناس ، وأبلاوا في نصره أحسن البلاد ، فلبوا ، وشردوا ، وهاجروا في الأرض فرارا بعقيدتهم ونصرة لبيهم ، حتى اذا أذن الله لهم بالفرار عادوا يحارب من بلى منهم في غزوات الرسول ، ولم يعبوا سيف الجهاد الا وقد لاقوا منهم شهداء أبرارا

وكم يود كل قارئ لهذه السيرة أن يريه الدكتور طه من صحائفها ، ليحيط له نفوس هذا النفر من الصحابة والصديقين ، وما انطوت عليه قلوبهم من ألوان الايمان والبطولة ، لما اوجنا في هذه الفترة من حياتنا الى أن نرجع الى ذلك العصر العظيم نهل من ينابيع ايمانه وننقل من دروس بطولته

أنات حائرة

للاستاذ عزيز باظة بك

مطبعة المعارف في ١١٢ صفحة

وأصبحت ذات يوم فألكت نفس ذائع الصيت هذه الكلمة التي قالها الشاعر الانجليزي لورد

البيئات العلمية والجامعية في مصر والبلاد العربية كلها الى تعريب المصطلحات العلمية والى تدريس العلوم الحديثة باللغة العربية . ولو وجد في كل فرع من فروع العلوم والفنون ما يقوم بما قام به المؤلف الجليل لصار في ميسور مدارسنا ومعاهدنا أن تثبت قوميتنا العلمية وان تدرس لطلابها باللغة العربية التي كانت في يوم من الايام لغة العلم في العالم للتدوين كله

على هامش السيرة - الجزء الثالث

للدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف في ٢٤٠ صفحة

« على هامش السيرة » من أحب آثار الادب العربي الحديث الى النفوس . موضوعه السيرة الكريمة بما تمثل فيها من كمال الانسان وجهاد البطل وجلال رسول الله ، الحادثة بما جاءت به من دين أظهرته على الدين كله . وتركت في آفاق الأرض ، باليا ما بهى الدهر ، واسخ الدعائم مشرق الاضواء

وهذه السيرة التي يجب كل عقل ذكي وكل قلب رشيد أن يطالع صحائفها ، ليستبين ملكاتها ويستنهض منافقها ، ويستوحيا صور الحق والكمال وسبل الرشاد والتوفيق - تكون أرواح ما تكون حين يرونها فلم اجتمعت له موجبة الفن وصدق الايمان مما ، فبرى المرء فيها حيثما حطت به من المثل العليا للخلق الانسانية : بربه فيها الايمان بالله كيف يصفى القلب من شائبة الضعف والزيغ فلا تقوى عليه الخن والشدائد ، ويريه الجهاد في سبيل العقيدة كيف يملك على المرء أمره فلا تهوله تقصية ولا يضاطه فداء ، ويريه النصر في الله كيف لا يزدهي القلب خلا وغرورا بل يسلؤه طوا وعرفا واعراضا من الجامحين ..

وهذا مرجع الإبداع فيما كتبه الدكتور طه حسين من صحائف هذه السيرة ، أو على هامشها كما يريد أن يقول . وهذا الجزء الثالث من

ترجمته فرائغا في المكتبة الاقتصادية العربية ،
لانه يساعد طلاب علم الاقتصاد ومن تمنهم
المسائل الاقتصادية على الايام بالعوامل المختلفة
التي تتعاون بعضها مع بعض في تحديد قيم الاشياء
فيما لو سادت المنافسة المطلقة الحرة

وقد قام بهذه الترجمة الثمان من الشبان
الثقفيين المجتهدين ، هما الاستاذان صليب بطرس
وعلى فهمي عبد القادر ، وهما من خريجي الجامعة
في علم الاقتصاد ، ولهذا خلت ترجمتهما من
الاعطاء الفنية الى جانب امانتهما في الترجمة
بفضل فهمهما الصحيح لجميع المسائل التي تناولها
المؤلف ، والعلم الكامل بكل ما أدلى وأوصى به

من أمالي الوحدة

للاستاذ على الزين

مطبعة المرفان ببيدا في ٢٤٤ صفحة

مؤلف هذا الكتاب أديب شاب من أبناء
المراق الناهضين ، فتجد فيه كثيرا من تفكير
الشباب الطامح الى بلوغ ما يراه مثلاً أهل ،
الطامح الى الارتقاء بالمجتمع الذي يعيش فيه .
فيتحدث في جزء كبير من كتابه عن النهضة
الادبية في « النجف الاشرف » وكيف بدأت
تتخلص من اغلال التقليد الزائف وتتطلق متحررة
تلتبس آفاق التفكير الحر والخيال الميسر . وهو
في حديثه هذا يعالج ضروبا شتى من مشاكل
المجتمع ومسائره ، يعالجها بروح الشاب المخلص
الناهض ، وبفكر الرجل المثقف الذي يريد أن
يكون لبيته من ثقافته نصيب كبير

وفي الكتاب آثار يديته مما كتب المؤلف نثراً
ومما أنشأ شعراً ، وهي جديرة بكثير من التقدير
والاعجاب ، اذ تدل على قلم يبشر خيراً ما تمهده
صاحبه بالقراءة المتصلة ، وتمهده قراؤه بالمؤالاة
والنصح . ولا يفوتنا ان ننسى على كثير مما
في الكتاب من آراء قيمة في النقد الادبي ، تدل
على ذوق ناضج وثقافة أدبية طيبة

يرون . خليف بأن يقولها الشاعر المصري نزيه
أباطة . فالى اليوم الذي صدر فيه ديوانه « أنات
حائرة » لم يكن يعرف أنه شاعر غنى عاطفة
صادق الشعور ، جزل العبارة عربي الاسلوب ،
الا نثر قليل من صحبه وأهله ، ومن قرأوا
صحيفة « النشأة الاباطية » التي كان ينشر فيها
بعض قصائده . ثم ألم بهذا الرجل خطب فادح
اذ فقد زوجه في سنى قسرها ووريق صباها ،
للم يكن خطباً عتيقاً يدفع الى الجذب ، بل كان
خطباً خصياً يجد فيه الناس - على أنه وأذاه -
النتع والذواء

أخذ الرجل يصور حزنه وأله في هذا الشعر
السبح الجزل الذي يبلغ القلوب في غير مشقة ،
ويهبها في غير جهد ، ويدبها في غير عناء ،
كما يقول الدكتور طه حسين بك في تقديمه
الجذيلة لهذا الديوان

ومن أدوع ما في الديوان من شعر ذلك
الذي أنشده في بقاع الحجاز ، حين ارتحل اليها
ينشد السلوى والعرزا ، فتح البيت الحرام ،
ووقف في عرفات ، وألم بقبر أم المؤمنين ، ثم
بقبر النبي الكريم - وهو في انشاء هذا كله
ترافقه هذه الزوج الحبيبة اليه الكريمة عليه ،
فلا يملك نفسه من أن يتقن حزنها ويشكو بثها
في هذا الشعر الرقيق الرصين
وهكذا يكون الحب الخالص الطاهر نعمة
خالدة : تضمن السعادة في الحياة ، وتفجر
العاطفة بعد الوفاة ، فيكون منها هذان الاثران
الحالان في الشعر العربي الحديث : ديوان
« أنات حائرة » ومسرحية « قيس ولبنى »

العرض والطلب

للاستاذ ه. و. هندرسون

مكتبة الانجلو المصرية في ١٧٨ صفحة

هذا الكتاب من أهم المراجع الأولية لطلاب
الاقتصاد في الجامعات البريطانية ، ولهذا ملأت

بين الهلال وقناة السويس

أسهم مصر في قناة السويس

(القاهرة - مصر) ع . ف .

ذكرتم في العدد الماضي أن من أعظم أعمال
دزرائيل شراء نصيب مصر في أسهم قناة السويس .
فما قيمة هذه الأسهم المالية وكيف باعتها مصر ؟
(الهلال) كان لمصر حوالى نصف أسهم قناة
السويس . اذ اشترط في عقد الامتياز بإنشاء
القناة أن تتعهد مصر بشراء كل ما لا يباع من
أسهم الشركة التي أسسها ديلبس لانشاء
القناة . فلما وقعت مصر في أزمتها المالية المروعة
في عهد الخديو اسماعيل ، رأى الخديو ، أو
رأى مستشاره اسماعيل باشا صديق ، بيع هذه
الاسهم وكان عددها ١٧٦٦٠٢ . وكانت النية
متجهة الى بيعها لفرنسا ، فلما علم دزرائيل بذلك
أسرع وعرض شرائها . فبيعت لانجلترا ببillion
٣٩٧٦٨٥٨٢ جنيهها انجليزي . وكان البرلمان
الانجليزي حينذاك غير متفقد ، ولم يكن في
مقدور الحكومة فتح اعتماد بالبلغ دون موافقة
المجلس ، فاتفق دزرائيل مع البارون روتشيلد
على دفع ثمن شرائها مقابل عمولة قدرها ٢ ٪ / ٠ .
من الثمن وفاتحة قدرها ٥ ٪ / ٠ سنويا الى أن
يصلم البليغ من الحكومة البريطانية
وقد كان لهذه الصفقة دوى كبير في الدوائر
السياسية الدولية ، فلويت في فرنسا بالألم
واعترفت هزيمة للسياسة الفرنسية ، وقابلتها
ألمانيا بالسورور لانها رأت فيها سببا لتفتر العلاقات
الودية بين فرنسا وانجلترا ، واستامت روسيا
اذ رأت فيها خطوة جريئة من السياسة الانجليزية
لتعيق أطماعها في المسألة المصرية
وقد أضاعت مصر بهذه الصفقة الحاسرة رأس
مال عظيم القيمة في شركة القناة ، وجعلت

استغلالها هدفا للاختار ثم ان هذا الثمن الذي
لم يبلغ أربعة ملايين جنيه ، صار ٣٢ مليون
جنيه سنة ١٩٠٥ ثم صعد الى ٧٢ مليون جنيه
سنة ١٩٢٩

وهكذا كانت هذه الصفقة عملا عظيما من
أعمال السياسي الانجليزي الكبير دزرائيل . وفي
كتاب « الحركة القومية » للاستاذ عبد الرحمن
الراعي بك شرح مفصل لهذه المسألة ونتائجها

امريكو مكتشف امريكا

(القاهرة - مصر) عزيز فام .

أذكر أنى قرأت ان امريكا سميت هكذا نسبة
الى الرحالة الذي كشفها . فأرجو ان تذكروا
اسم هذا الرحالة الذي ليست ، ومتى كانت
رحلته ؟

(الهلال) اسم هذا الرحالة الذى نسب اليه
العالم الجديد « امريكو فسبوتشى » وهو ملاح
إيطالى أرسله ملك البرتغال سنة ١٤٩١ الى العالم
الجديد فوصل على « برازيل » والسبب
في تسمية العالم الجديد باسمه لا باسم كولمبوس
الذى كان أول من رسا على شاطئه ، في سنة
١٤٩٣ ، أن كولمبوس كان يعتقد انه لم يكشف
أرضا جديدة بل وصل الى آسيا عن طريق
الغرب . ولهذا سمي ما كشفه « جزر الهند
الغربية » ، وظلت هذه التسمية قائمة الى الآن
مع انه لا علاقة لها بالهند مطلقا . ومات كولمبوس
دون أن يدري أنه كشف عالما جديدا ، الى أن
قام « امريكو » برحلته فثبت ان هذه الارض
ليست من آسيا ولكنها قارة قائمة بين أوروبا
وآسيا ، فاشتق اسمها من اسمه . ولكن هذا
لم يجعل صيته أكثر ذيوعا من صيته كولمبوس

من لحم الخيل أكثر مما تأكل من لحوم الحيوانات الأخرى . وهذه هي الشعوب المحاربة التي كان الجواد أهم أدواتها الحربية ، مثل قبائل اللول والتار والهن . وكان هذا طبيعيا إذ كانت حياتهم في الحرب والغزو وتفتح البلاد تقتضى الاكتثار من تربية الخيول يتخذونها في حروبهم والاقبال من الأنعام الأخرى التي لا تصلح إلا للشعوب الزراعية المستقرة

ولكن كمية الغذاء في لحم الخيل أقل منها في لحوم البقر والأغنام . ولهذا فلا يتناولها الآن في البلاد المتقدمة إلا بعض الرضى أو في أوقات المجاعات . وفي كثير من العواصم الأوروبية دكاكين تبيع لحم الخيل ، وقد كان في القاهرة

بعض هذه الدكاكين في أثناء الحرب الماغية على أن المرء كثيرا ما يعاف أشياء مفذية . وقد ذكرنا في العدد الماضى ان بعض الحشائش وعلى الأخص البرسيم ، يحتوى على كمية من الفيتامين دونها ما في أكثر الحنظل والفواكه . ولكن للإنسان ذوقا يمتعه من تناول الحشائش كما يمتعه من تناول كثير من اللحوم التي قد تكون مفيدة . ولحم الإنسان مفذ جدا ، وهو أخف اللحوم على المعدة ، ولكن ليس منا من لا يفضل الجوع الى درجة الموت على أكل لحم أنفيه الإنسان

تسنين الطفل

(الاسكندرية - مصر) السيدة ن . ما هي السن الطبيعية التي تظهر فيها أسنان الأطفال ؟ وهل في تأخر ظهورها ضرر على الطفل ؟

(الهلال) تبدأ أسنان الأطفال في الظهور وهم في شهرهم السادس . على أنه في بعض حالات غير طبيعية يبدأ تسنين الطفل منذ الشهر الثالث . بل قد يولد الطفل وفي لثته السلي سنان . أما إذا تأخر ظهور الأسنان الى أن يكمل الطفل سنته الأولى فمرجع ذلك الى ضعف

الذى سيظل أكثر المكتشفين شهرة وأخدهم اسما وإن كان لم يكن من كشفه شيئا ، فقد مات فقيرا بعد ان قاسى السجن في سنواته الأخيرة

هل كان بلنت مسلما ؟

(اسيرط - مصر) ق . م هل اعتنق السياسي الانجليزى ويلفرد بلنت مذهب عرابى باشا الدين الاسلامى ، وهل كان مخلصا في صداقته لعرابى وللصيرين ؟ (الهلال) أمضى ويلفرد بلنت فترة من حياته في القاهرة يتزيا بالزى المصرى ولا يتكلم إلا العربية . ولكننا لا نعرف انه دان بالاسلام أو غير اسمه الانجليزى

وكان بلنت وثيق الصلة بزعماء الحركة الوطنية في بلاد الشرق ، وخاصة بجمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وعرابى باشا . وكان منذ بداية أمره متعيا بالشعوب المظلومة ، وبال دفاع عن حقوقها . وكان أكثر اهتمامه بمصر والهند وإيرلند . وقد زار جميع بلاد الشرق العربى واتصل برجال الحركة الوطنية فيها . وألف عدة كتب دافع فيها عن القضية المصرية وعن عرابى باشا دفاعا مجيدا . وأبان فيها الحفايا التي أحاطت بالاحتلال البريطانى والتدخل الاجنبى في شؤون مصر . وليس من الجائز اتهام الرجل في إخلاصه ، وقد كان كل ما كتب وكل ما قال دفاعا عن مصر وزعمائها . وأية فائدة تجنيها مصر من الفاء همة النفاق على من يتطوعون من الأجانب لخدمتها وتأييد قضيتها ؟

لحم الخيل

(دمشق - سوريا) ا . خليل هل من ضرر في أكل لحوم الخيل ؟ وإذا لم تكن مضرة ، فلماذا لا يأكلها الناس ولا سيما في البلاد التي تحنى بتربية الخيول ؟ (الهلال) كانت بعض الشعوب القديمة تأكل

من المسئول عن هزيمة فرنسا ؟

(القاهرة - مصر) م .

من المسئول عن هزيمة فرنسا : قوادها
وزعائها ، أم كتابها وأدباؤها ، أم عامة
الشعب ؟

(الهلال) لا يمكن ارجاع هذه الهزيمة
الكبيرة الى عدة اسباب تعاونت بعضها مع بعض
على تحطيم قوى الشعب الفرنسى المادية والمعنوية
لرجالها العسكريون لم ينتبهوا الى ان الحرب
الحالية تختلف عن الحرب الماضية : فهذه حرب
« جامدة » ، حرب خنادق وحصون ، وتلك
حرب « متحركة » تقوم على الدبابات والسيارات
ويصل فيها السلاح الجوى صلا خطيرا
ورجالها السياسيون فضلوا المناورات الحزبية
والمكائد السياسية واللاعيب البرلمانية والتشريعية
على الوحدة القومية التى لا بد منها فى ساعات
الخرج والشدّة

ورجال المال والصناعات فيها كانوا أحرص
على أموالهم ومصانعهم منهم على وطنهم ، فكانوا
يمالون « النازية » ويؤيدونها ، لأنها أكبر
حاجز يقوم بينهم وبين الشيوعية
وكتاب فرنسا وأدباؤها لم يراعوا الجانب
الاخلاقي فيما كتبوا وأنشأوا ، والصحافة الفرنسية
بوجه عام صحافة مهترة أو متبذلة فيما كانت
تعرض له من شؤون السياسة والاجتماع ،
والادب الفرنسى الحديث أدب توارى طائفة
وتزوات جنسية جامحة ، على نقيض الادب
الانجليزى

والمجتمع الفرنسى بوجه عام مسئول عن هذه
الهزيمة : فحرص الرجال على أموالهم وبيوتهم
ومدخراتهم فترتهم من الحرب وكوادتها ، وحرص
النساء على جمالهن وصحتهن وفراغهن للحياة
المتعة البهيجة كرههن فى مسئوليات الاسرة
والاولاد ، قتلن من النسل قلة أعوزت الجيش
الى الجنود ، وأعوزت المصانع الى العمال

صحته نتيجة المرض ، وعلى الاخص مرض الكساح .
وقد يرجع الى ضعف الغدة الدرقية وعدم نشاطها
فى الافراز

وعلى كل حال يجب استشارة الطبيب الاخصائى
فى حالة تأخر ظهور الاسنان ، وإن كان تأخرها
لا يدل حتما على ضعف صحة العظم أو خمول
غدة الدرقية . ولكن الاحتياط خير من الاعمال

البرلمان الروسى

(مصر - الاسكندرية) سعد الدين الزيات
هل فى روسيا نظام برلمانى ؟

(الهلال) نعم ، فى روسيا برلمان يسمى
« المجلس الاعلى » . وهو يتألف من مجلسين :
مجلس الاتحاد ومجلس القوميات . وينتخب
اعضاء المجلس الاول (وعددهم الآن زهاء
ستمائة نسمة) بالاقتراع العام بمعدل نائب عن
كل ثلاثمائة ألف نسمة . ويضم مجلس القوميات
نوابا عن جمهوريات الاتحاد السوفيتى وعددها
احدى عشرة جمهورية ، ويبلغ عدد أعضاء هذا
المجلس مائة وخمسين عضوا . ومدة النيابة
فى المجلس الاعلى أربع سنوات . والانتخاب
فى روسيا حق مباح للنساء على السواء
وكذلك حق النيابة ، وفى المجلس كثير من
النساء البارزات

ولكن يجب أن نلاحظ أن حرية الانتخاب
غير مطلقة ، كما هو الشأن فى البلاد الديمقراطية
ويرجع ذلك الى انه لا يوجد فى روسيا سوى
حزب واحد ، هو الحزب الشيوعى . والحرية
الانتخابية لا تتحقق الا اذا تعددت الاحزاب ،
وأبيح لكل منها ان يدعو لنفسه وبرنامجه كيف
شاء ، بالصحافة والاذاعة والاجتماعات والاعلانات
ولهذا يمكن ان يقال ان روسيا دولة
ديموقراطية من ناحية ، ودولة ديكتاتورية من
ناحية أخرى ، تنحصر السلطة فيها فى يد حزب
واحد ، ثم فى يد فرد واحد ، يسيطر على أمر
الدولة كلها